Marfat.com

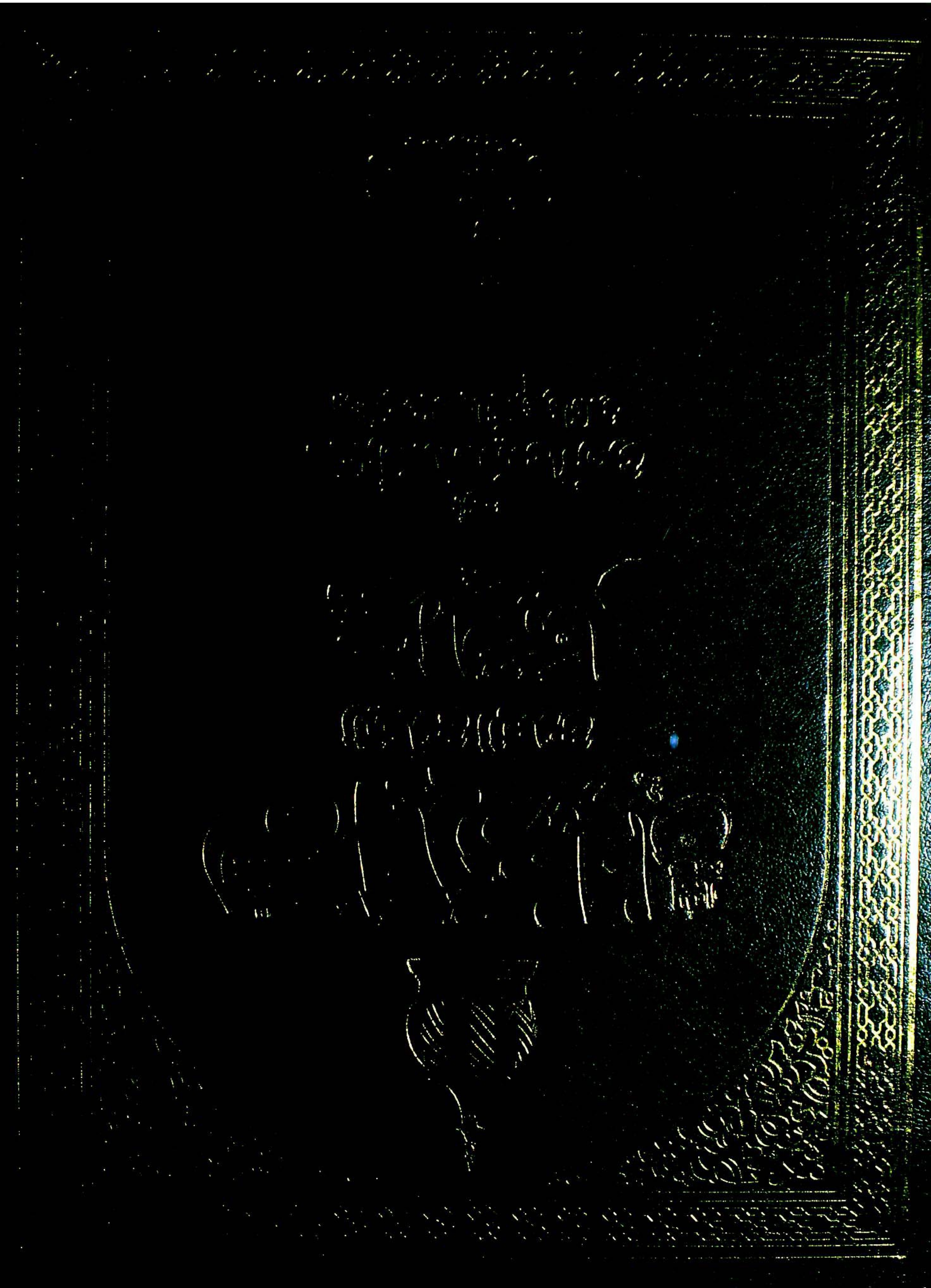

Marfat.com

الشيخ أحمد رضا خان رحمه الله تعالى

البريلوى الهندى

شاعراً عربياً

تاليف

ممتاز أحمد سديدى الأزهرى

الباحث فى الأزهر الشريف،

ابن الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادرى

مؤسسة الشرف

بلاهور، باكستان

Marfat.com

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م



يطلب هذ االكتاب من العناوين التالية

Maktaba Qadria

Jamia Nizamia Razvia i/s Lohari Gate Lahore Pakistan

Maktaba Razvia

Data Darbar Markeet, Lahore Pakistan Ph:7226193

Idara-i-Tahqeeqat-e-Imam Ahmad Raza

25,Japan mansion,Regal karachi Pakistan Ph:7771219

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــداء

إلى من احتضنني بكل عطف و حنان احتضان الأب المربي، ثـــم أضـــاء لـــى دروب الأدب العربي، و كم كنت في حاجة إلى هذا العطف والحنان في مصر بعيدا عن أهلي، وإلـــى تلك التوجيهات والإرشادات التي فارقت من أجلها أهلي و وطني، إنه أستاذي الدكتـــور رزق مرسي ابو العباس علي- حفظه الله تعالى- الذي تفضل بقبول الإشراف على تلك الرســـالة المتواضعة التي نلت بها درجة التخصص " الماجستير " فـــي الأدب والنقـــد مـــن الأزهـــر المعمور، جزاه الله تعالى عنيَ وعن كل تلاميذه خير الجزاء.

وإلى أستاذي و والدي فضيلة الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القـــادري- أطـــال الله بقاءه بالصحة والعافية- الذي رباني فأحسن تربيتي و غرس في قرارة نفسي حـــب العلـــوم الإسلامية والعربية، و وهبني للعلم و الدين الحنيف منذ طفولتي و مازلت في سبيل العلـــم و قد قضيت أربعة وثلاثين ربيعا من عمري، ولما رجعت بشهادة التخصص الماجســـتير إلـــى الأهل بعد قضاء أربع سنوات في ظلال الأزهر الوارفة انحدرت من عينـــي والـــدي دمـــوع الفرح، فقضيت مع الأهل فترة لا بأس بها و لما استأذنته للعودة إلى رحـــاب الأزهـــر مـــرة أخرى حتى أكمل رسالة العالمية الدكتوراة لم يستطع أن يوافق على عودتـــي إلـــى مصـــر الأزهر في أول وهلة، إلا أنه ما لبث أن تماسك و أعانه على ذلك فضل الله فأذن لي بـــالعودة إلى كعبة العلوم و منارة الإسلام و الحصن الحصين للغة القرآن وأدب العرب مرة أخرى لمـــا للأزهر الشريف من مكانة في قلوب المسلمين على امتداد العالم الإسلامي، ســـخرني وإيـــاه لخدمة الإسلام والمسلمين.

و إلى والدتي التي هي المربية والمعلمة الأولى فقد أرضعتني ما يغـــذي جســـمي و روحي، والتي غمرتني بعطفها و حنانها رضيعا فطفلا ثم شابا، وأكرمتني وما زالت تتحفنـــي بدعواتها الصالحة، حفظها الله تعالى، ولا حرمني من دعواتها وعطفها و حنانها..

وأسأل الله – سبحانه وتعالى- أن يجزى خيرا كل من له فضل علىَ، ومن ساهم فـــي تكويني العلمي من قريب أو بعيد، آمين يا رب العالمين، رب أوزعني أن أشكر نعمتك التـــي أنعمت علىَ و على والدى، وأن أعمل صالحا ترضـــاه، و أدخلنـــي برحمتـــك فـــي عبـــادك الصالحين.

تحريرا في
٣ من شهر رجب ١٤٢٢هـ
٢٠ من شهر سبتمبر ٢٠٠١م

كتبه
ممتاز أحمد سديدى
الباحث بالأزهر

Marfat.com

Marfat.com

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليم الأعلم الذى وعد عباده الشاكرين بالمزيد من الأنعم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المعلم الأعظم الذى علم أتباعه الشكر لله وعباده بقوله: من لم يشكر الناس لم يشكر الله " صلوات الله وتسليماته الدائمتين عليك ياسيدى يا رسول الله ، فقد نصحت الأمة ، وكشفت بتوفيق الله الغمة ، وبلّغت ما أنزل إليك ،لا حرمنا الله من شفاعتك " يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه " وبعد .

فقد سخر الله ـ سبحانه وتعالى ـ بفضله ومنّه وكرمه كاتب السطور لهذا الكتاب الذى يتناول حياة علم من أعلام الأمة الإسلامية فى العصر الحديث ، وشاعر من شعراء العربية فى شبه القارة ـ بما فيها كل من باكستان وبنجلاديش والهند ـ إنه الشيخ أحمد رضا خان الذى جعل موهبته الشعرية والثقافة الدينية وسيلتين لنهوض الأمة الإسلامية ، والذى نتحدث عن سيرته وثقافته وشعره العربى فيما يأتى من الفصول المخصصة لها .

إن أصل هذاالكتاب رسالة جامعية نال بها صاحبها درجة التخصص الماجستير فى الأدب والنقد من قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات الإسلامية والعربية (بنين القاهرة) جامعة الأزهر، وتمت مناقشة هذا البحث فى ١٢ من شهر ربيع الآخر عام ١٤٢٠ الموافق ٢٥ من شهر يوليو عام ١٩٩٩م ، وكانت لجنة المناقشتة مكونة من السادة الأساتذة .

١ . الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود – رحمه الله رحمة واسعةوأسكنه فسيح جناته–أستاذ الأدب والنقد المتفرغ (آنذاك) بكلية الدراسات الإسلامية والعربية (بنين القاهرة)

Marfat.com

جامعة الأزهر ، ورئيس جامعة الأزهر سابقا ، عضوا .

٢ . الأستاذ الدكتور القطب يوسف زيد -حفظه الله تعالى- أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية (فرع إيتاى البارود) جامعة الأزهر ، عضوا .

٣ . الأستاذ الدكتور رزق مرسى أبوالعباس على -حفظه الله تعالى - أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية (بنين القاهرة) جامعة الأزهر ، مشرفا .

وبعد مناقشة استمرت ثلاث ساعات أكرمت اللجنة هذا البحث بالامتياز ، وذلك بعد التوجيه والإرشاد النابعين من العلم الغزير لدى الأساتذة الأجلاء ، ومما أدلى به أستاذ الأجيال فضيلة الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود ـ خلال المناقشة ـ بالنسبة للشاعر موضوع البحث قوله : إننا أمام مجاهد مسلم يحرص على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن ، والحمد لله هناك مؤسسات تعليمية متعددة ومتنوعة تدرس اللغة العربية وآدابها ، وتدرس كثيرا من العلوم باللغة العربية ونحمد الله على هذا ، وإن كانت الهند تعرضت إلى غزوة إنجليزية ، وكان هناك صراع بين الذين ينحازون إلى الخط الإسلامى ومايتصل به من اللغة العربية ، وهؤلاء الآخرين الذين نقلوا العلم الأجنبى إلى شبه القارة الهندية ، ومن هنا وجد صراع سياسى واجتماعى ولغوى وثقافى كان الشيخ أحمد رضاخان قطبا من أقطاب هذا الصراع ، والخمد لله الأمور تعتدل، واللغة العربية تأخذ مكانها ومكانتها هناك ، ويأتى الباحثون وخصوصا شباب الباكستانيين ليتزودوا من الزاد العربى ، ومن الطبعى أنهم يعودون إلى بلادهم الأولى ليقودوا حركة لصالح الإسلام وصالح اللغة العربية . نستطيع أن نثنى على ممتاز ثناء ممتازا ، ونستطيع أن ندعى أنه أحسن اختيار موضوعه ، فقد عثر على غنيمة وعلى جوهرة من جواهر البحث والعلم فى شخصية الشيخ أحمد رضا خان .

كماتحدث فضيلة الأستاذ الدكتور القطب يوسف زيد ـ المناقش الآخر ـعن البحث قائلا:

"... وأما البحث فقد سعدت به وبما يمثله ، لأنه يقدم لنا شخصية عظيمة فى تاريخ الحياة الإسلامية الحديثة ، وكم نحن بحاجة إلى التعرف على أمثال الشاعر الشيخ أحمد رضا خان فى

Marfat.com

عـالمنا الإسلامى تحقيقا للتواصل بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة ، وإعلانا عن سعة عطائها فى كل زمـان ومـكان ، وهذا العطاء عطاء فكرى وأدبى فى كل العصور وفى كل الأماكن كما قلت ، وإبرازا لـمـواهب أبنائها ممن حباهم الله تعالى علما وفضلا وفكرا حتى يتعرف الناس عليهم ، فكثير من أبناء الإسلام الذين يعيشون خارج نطاق الأرض العربى ولهذا سعدت بهذه الدراسة كل السعادة إذ قدمت لـى كـمـا ستـقـدم لغيرى عندما تطبع فى كتاب حشدا هائلا من أعلام الإسلام فى شبه القارة الهندية لانـعـرف الـكثيـر عـنـه ، كـمـا قدمت شاعرا كبيرا يجب الاحتفاء به كما تجب دراسة آثاره وتحليل أخباره بالقدر الذى تجلى لنا حياته وأفكاره وأدبه الذى أجاد فيه وعبر عن فكره من خلاله "

وكـان الأستـاذ الـدكتـور الـمشـرف على الرسالة قد أدلى بكلمة قيمة ـ خـلا ل المناقشة ـ والتى جعلتها بعد إذنه مقدمة لهذا الكتاب . جزاه الله عنى وعن بحثى هذا خيرا الجزاء .

شـكـر الله لهـم حسـن تـوجيهاتهم ينتفع بها الباحث طوال حياته داعيا لهم ربه تبارك اسمه بالخير، معترفا بالجميل .

ولايـفـوتـنـى فـى هـذا الـمقام أن أتوجه بالشكر إلى أستاذى فضيلة الأستاذ الدكتور محمد رجـب البيـومـى الـذى رفـع من شأن هذا البحث بتفضله بإهداء الباحث كلمة عن بحثه بعد أن أسعد الـرسـالة بـإلـقاء نظرة عليها ، نرجو أن تكون الرسالة هذه أهلا لتلك اليد الفاضلة التى أمسكت بالقلم لتـضئ الطريق أمام الباحث ، إنها يد الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ، بارك الله فى عمره بطول بقائه لنا ولسائر تلامذته وأحبابه وللفكر والشعر العربيين الإسلاميين .

ولاأنسـى الشـكـر لـرائـد الأدب الإسـلامى المقارن ، مربى الأجيال فضيلة الأستاذ الدكتور حسيـن مجيب المصرى الذى أكرم البحث وصاحبه بكلمته العلمية الضافية الحانية ، والذى هو بحق صـاحـب أسلوب متميز من بين كتاب مصر المحمية ، نفع الله الأدب الإسلامى بطول بقائه بالصحة والعافية مجدا لمصر المحروسة وعميدا للأدب الإسلامى المقارن .

وأرى من الواجب أن أقوم بواجب الشكر لفضيلة الأستاذ الدكتور القطب يوسف زيد الذى

Marfat.com

أكـرم بـحثى المتواضع بالمناقشة أولا ثم بالكلمة المستفيضة وقد ربى أجيالا من الطلاب وغرس فى نـفـوسهم حب اللغة العربية ، وذوّقهم حلاوتها ، وأبان لهم معارفها ، إنه واحد من رواد الأدب العربى الحديث ، جزاه الله خيرا عن لغة القرآن وأدب العرب وعن البحث الذى شرفه بكلمة قيمة .

فـى نهـاية الـمطاف أتوجه بخالص شكرى وعظيم امتنانى إلى فضيلة الأستاذ الدكتور سمير عبـدالـجـواد أستـاذ الـنحو والصرف بكلية اللغة العربية (القاهرة) جامعة الأزهر الذى تكرم بمراجعة الـبـحـث بـعـد المناقشة رغم ظروفه الصحية الصعبة ونبه الباحث على الأخطاء الإملائية بدقة الأستاذ الـحـاذق مـمـا جـعـل الـبـحـث ـ إلى حد كبير ـ بريئا من الأخطاء المطبعية ، رحمه الله رحمة واسعة وأسـكـنـه فسيـح جـنـاتـه ، فقد لقى أستاذنا هذا ربه قبل طباعة هذا البحث ، لقد كان صديقا حميما لأستـاذى الـدكتـور رزق مـرسى ابوالعباس ، ومن هنا كان يكرمنى بعطفه وحنانه ، جزاه الله كل خير عنى وعن جميع تلاميذه وأحبابه .

ولا حـرمـنـا الله ـ سبـحانه وتعالى ـ من هؤلاء الأعلام مشاعل النور وأعلام الأدب العربى ، وجعل أفضالهم الجمة على الباحث فى ميزان حسناتهم يوم القيامة ، إنه سميع قريب مجيب .

وبـعـد ذكـرى لهـؤلاء جـمـيـعـا ليس على إلا أن استرحم الله عزوجل وأسترضيه فى شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان الذى أمتعتى بالنظر فى شعره وفكره ، شعره العربى خاصة لأنه محور البحث ، وفـكـره عـامة للتعرف عليه عن قرب ، وإنى لأشكره شكرا يليق بالعلماء وأحبه حبا يليق بالشعراء لأنه عرفنى بكل هؤلاء ، وماذا أقول أكثر من أننى أتمنى أن أكون قد وفقت ولو بعض الشئ تجاه الواجب العلمى . والله المستعان أولا وآخرا .

٩ ذوالحج ١٤٢٢ هـ

٢٢ فبراير ٢٠٠٢ م

كتبه

ممتاز أحمد سديدى

الباحث فى الأزهر المعمور حاليا

فى مرحلة العالمية الدكتوراه

Marfat.com

كلمات الأساتذه

كلمة أستاذ الأجيال الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى .

كلمة رائد الأدب الإسلامى المقارن الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصرى .

كلمة الأستاذ الدكتور القطب يوسف زيد.

كلمة الأستاذ الدكتور رزق مرسى ابو العباس على .

Marfat.com

Marfat.com

كلمة

أستاذ الأجيال الأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

بسم الله الرحمن الرحيم

اشتهرت في العالم العربي أسماء كثيرة لزعماء أفاضل من القارة الهندية ومن بينها اسم العلامة الباحث الفقيه الأديب الإمام احمد رضا خان، ولكن هذا الإشهار ولم يشمل تاريخ حياته، وجليل مواقفه، وزعامته الدينية السياسية في وطنه، لذلك كانت اللغة العربية في حاجة إلى كتاب يتحدث عنه حديثا مفصلا، فهو جدير بأن تذكر سيرته وينتشر صداه.

وقد أراد الباحث الفاضل "ممتاز أحمد سديدي بن محمد عبد الحكيم شرف القادري" أن يعطى القارئ العربي ما ينبئ عن عظمة الشيخ، فقدم رسالة جامعية تتحدث عن الإمام شاعرا أديبا، وإذا كان الأدب العربي محور هذه الرسالة، فإن الباحث الفاضل لم يغفل الحديث في المقدمة عن الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية في عصره، ثم عن جهاده السياسي وآرائه في الأزمات المتلاحقة التي شملت العالم الإسلامي بعامة والعالم الهندي بخاصة في حياته المباركة، كما أفاض في بيان اتجاهه الفكري بما جعل الإمام الكبير ذا صورة واضحة في مرآة اللسان العربي. وهو جهد مشكور مستطاب.

وإذا كانت ظروف العصر قد مرت بأعاصير عاتية إذ نشأت فتن وأحداث حول الاحتلال الإنجليزي الغادر، و سقوط الخلافة الإسلامية قي تركيا، والدعوة إلى الهجرة من البلاد، والمطالبة بعدم الولاء إلا للإسلام، فإن هذه الأحداث وجدت من قلم الأستاذ ممتاز أحمد سديدي ما يظهرها تمام الظهور من مبدئها إلى منتهاها

Marfat.com

كاشفا عن حوادث مجهولة لم تر النور واضحا إلا بمعاناته الفكرية، وقد كان مؤيدا كل أعمال الشيخ ومواقفه عن الاقتناع، وليس في ذلك ما يؤخذ عليه، لأنه لم يكتب عنه هذه الرسالة إلا عن حب وإخلاص دافعهما الإعجاب الشديد بمواقف الرجل وصلابته القوية وإيمانه الوطيد.

ولم يكتب الباحث بالإفاضة عن حياة الشيخ ومولده وموطنه وأخلاقه وأسرته ورحلته إلى الحرمين الشريفين،وشيوخه وقيامه بالتدريب وجلوسه للإفتاء وقيامه بالتصنيف والتأليف وموهبته الأدبية وجهوده في نشر اللغة العربية بل أضاف إلي ذلك تحليلا بارعا لما نظم الإمام في مديح خير المرسلين صلى الله عليه وسلم ومديح السادة الأخيار من علماء الإسلام مثل الشريف أبى الحسين النورى ومولانا صالح المكى والموالى عبد القادر البدايونى وعبد القادر الجيلانى ومحمد رضا النقشبندى ومحمد نقى على خان القادرى ومعين الدين الأجميرى، كذلك شرح ماجادت به قريحة الإمام في رثاء الصفوة من الراحلين، وكلهم خيار من خيار .

وكذلك لم ينس ما قام به الشيخ من أهاج، خاصة ممن يخالفهم الرأي لانحرافهم عن مذهب أهل السنة والجماعة الخارجين عليها، وقد يكون الهجاء مذموما إن كان دافعه شخصيا ذاتيا،أما إذا كان محاربة لفكرة منحدرة أو اتجاه مغرض فالهجاء حينئذ يحقق رسالة علمية اجتماعية يعتقدها الشيخ ويدعوا إليها ما استطاع.

أما الدراسة التحليلية في الباب الأخير فقد جاءت مستوفاة كاملة حيث شملت أيضا الخصائص الأسلوبية اللغوية ومكانة الشاعر بين شعراء الهند،وهو باب مهم جدا في الدراسة المقارنة، وقد بذل فيه الباحث عناء نلمس أثره في كل سطر من سطوره.

والرجل الكبير في حاجة إلى رسالة مماثلة توضح جهاده الفقهي وأثره التشرعي. وقيامه بواجب الإفتاء والهداية، وهذا ما نرجو أن يقوم به باحث آخر في الكلية، لان تخصص الأستاذ ممتاز قد حجزه في الحديث عن الناحية الأدبية وحدها

Marfat.com

وهي لم تكن وحدها مجال تبريز، وإن يكن أشار إلى عناصر طيبة في هذا الاتجاه تصلح أن تكون بذور الرسالة الأخرى في حقل التشريع.

لقد أدى الباحث دوره الأدبي فأطلع أبناء اللغة العربية على تراث لم يكونوا عارفين به من قبل، وبذلك يستحق جزيل الشكر، ووافر الثناء.

٢٠٠٠/٢/١٢م

أ.د. محمد رجب البيومي
عضو مجمع البحوث لإسلامية.

Marfat.com

Marfat.com

كلمة

فضيلة الأستاذ الدكتور / حسين محبيب المصري

رائد الأدب الإسلامي المقارن.

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله

عندما دعيت لكتابة تقدمة لهذا الكتاب طابت نفسي كما لم تطب من قبل، وأيقنت أن الله أراد خيرا على يدي فحمدته حق الحمد. فهذا البحث دراسة جامعية على المنهج العلمي الأقوم لعلم من أكبر وأشهر أعلام الإسلام في القرن العشرين هو مولانا أحمد رضا خان، ذلك الداعية الإسلامي الذي تأتي له التبحر في علوم الدين والعربية كافة والتضلع من لغات الشعوب الإسلامية خاصة علاوة على ما كان له من نزعة إصلاحية تتناول الدين والدنيا على سواء. لقد كان من أهل الفتيا تصدر للفتيا من حداثة سنه مما يدل على غزارة علمه منذ بدايته الأولى، كما أبدى رأيه في السياسة، وكان عليما ببواطنها، أما الأدب عموما والشعر خصوصا فكان له فيه علو القدر ومستفيض الشهرة، ولكن ينبغي أن نقف هنا وقفة لنحدد كلامنا فيما نبغي الإشارة إليه والتعريف به، فهذا العالم النحرير والأديب والشاعر الكبير كان له قلم في اللغة العربية والفارسية والأردية ، كما كانت له عبقرية في نظم الشعر بهذه اللغات، ويعنينا في هذا المقام على الخصوص أن الشيخ أحمد رضا خان كان عالما باللغة العربية علما قلما تيسر لغيره في عصره وبيئته، كما كان ذاشغف بلغة القرآن فكانت لسانه في تأليف أهم كتبه التي أخرجها وما أكثرها.

Marfat.com

إنه كان محبا للعرب وقد عقد الصلة الوثقي بينه وبين علماء الدين في مكـ
المكرمة والمدينة المنورة وغيرهما من الأمصار العربية، وذهبت به الصيت فـي
افاق العالم العربي شرقيه وغربيه. وحقيقة الحال أنه يلفتنا إلى حقيقة ربما خفيـت
حتى على كثير من أهل العلم ألا وهى أن في شبه القارة الهندية من أقصاها إلـى
أقصاها من أهل العلم والأدب من ملكوا ناصيْة اللغة العربية وبذلك يذكّروننا بمـر
يعرفون بأصحاب اللسانين من الفرس، بل نتجاوز ذلك لنقول: إن من أهل الهند من
تميزوا من أصحاب اللسانين وألفوا كتبهم بالعربية وذلك مما جعل اللغة العربية فـي
شبه القارة الهندية لغة دين وأدب في وقت معا.

إن أحمد رضا خان شاعر عظيم في لغات بلاده على الأعـم وفـى اللغـ
العربية على الأخص وهذا ما يعرفه عنه أبناء وطنه الذين أخرجوا ما أخرجوا مـن
دراسات عن أدبه، وكانت الكتب التى أخرجوها بالأردية وهذا ما جعلها محجوبـة
عن فهم العرب، ومن أسف أن في مصـر من لم يعرفوا كثيرا أو قليلا عن أحمد
رضا خان على حين كانت معرفتهم له من أوجب الواجب وهي ضرورة ثقافية، لأن
تراثه الأدبي جزء لا ينبغي أن يتجزأ من التراث الإسلامي على حال من الحـال،
لذلك لم تكن لأحمد رضا خان شهرة في مصـر مثلا وكذا في غيرها مـن البـلاد
العربية، ودار الزمان ولم يجدّ جديد في هذا الأمر حتى قيض الله لعالمين من علماء
مصـر أن يعكفا على دراسة أحمد رضا خان في شعره العربي وكان ذلك بـاكورة
لدراسات سوف تنجز في مقبل الأيام ولكن الفضل للمتقدم. وهذا مافيه الحاجة إلـى
فضل إيضاح وتعريف، فإن ديوان أحمد رضا خان العربي لـم يقـدم أحـد علـي
إخراجه في شبه القارة الهندية بل كان شعره العربي معروفا بالنظر فـي أشـتات
الكتب، وكان هذا الشعر متفرقات لا يجمعها نسق حتى اسـتطاع الأسـتاذ حـازم
المحفوظ أن يجمع هذا الديوان تحت عنوان بساتين الغفران، وبذلك بزغ نور تفجـر
بعد ليل طويل وانكشف كنز آن له أن يرى النور بعد أن طال اختفاؤه في ظلمـات
الثرى.

Marfat.com

ومما يبعث على الإعجاب أن الأستاذ ممتاز أحمد السديدى الباكستاني أخلى ذرعه للعكوف على دراسة أحمد رضًا خان في ديوانه العربي فكان صنيعه هذا فتح باب للخير ما في ذلك من ريب، لقد تقدم إلى جامعة الأزهر الشريف بهذا البحث الذي بذل فيه الوسع وطرقه في جميع أبوابه وجمعه من جميع أطرافه وعالج من خلال ذلك مطلبا صعبا إلا أن الله يسر له العسير فأخرجه بحثا أجازته جامعة الأزهر بدرجة الامتياز، إن الأستاذ ممتاز أحمد السديدى أحسن صنعا وأظهر خفاء وعلم القارئ العربي ما لم يك يعلم، وما كان للقارئ العربي أن يتعرف لهذا الشاعر العربي الهندى لولا أن وفق الله الأستاذ ممتاز أحمد السديدى إلى إخراج هذه الدراسة، إن هذه الدراسة في واقع الحال تعد نقطة تحول في العلم لأنها أظهرت للعربي على العموم وأهل مصر على الخصوص على حقيقة ما كان ينبغي أن تغيب عن علمهم، فألا يعرف العرب أحمد رضا خان صاحب ديوان بساتين الغفران يبعثنا على القول في صراحة: إنه يعد معرفة منقوصة التراث الإسلامية العربي، فمن المتعارف المعلوم أن وحدة التراث هي الوحدة الإسلامية بكل ما تنطوى عليه الكلمة من معني ، إن لهذا الديوان خصيصة أخرى لا ينبغى أن تعزب عن البال أن أحمد رضا خان يعد بحق أعظم مداح للنبي صلى الله عليه وسلم، وفى هذا الديوان من المدائح النبوية ومدائح الأولياء الصالحين ما لا نقع على مثله في ديوان آخر مما يجعل لهذا الكتاب مكانه ومكانته في المكتبة العربية الإسلامية، إن هذا الشاعر جمع الشعوب الإسلامية على اختلاف لغاتها وأجناسها على حقيقة لها مرموق من أهميتها ألا وهي التعرف لشاعر هندى صاحب ديوان عظيم بالعربية.

إن الأستاذ ممتاز أحمد السديدى لاشك أنه أضاف إلى العلم جديدا ومزيدا، فهو مشكور بحسنى صنيعه، والله أدعو أن يلهمه السداد والرشاد، وأن يتابع سلوكه في ذلك الطريق الذى شقه ومهده، والمأمول أن يسير غيره فى نور نبراسه وينظر إليه على أنه أسوة في هذه الدراسة التى اختارها لنفسه، فبهذا يعم الخير ويتيسر كل النفع.

Marfat.com

إن هذا أهم مايسترعي الانتباه مما يتضمنه هذا الديوان نعنى مدائح الرسول صلى الله عليه وسلم. ولكن من تتمة القول أن نشير إلى أن الشاعر تقلب شعره في جميع فنون القريض أى أنه لم يقتصر على المديح النبوي الشريف وهذا زيادة في الخير ما في ذلك من شك مما يجعل لهذا الشاعر رفيع المنزلة بين شعراء العربية، وأنه كان غير عربي ولكنه مسلم ، وما من فرق بين مسلم ومسلم، فهذه ظاهرة توضح لنا هذه الحقيقة وهذا الديوان يمكن أن يعد صلة موصولة بين أهل الأدب من المسلمين أجمعين.

ومما يلحظ على هذا الشاعر أنه يستخدم ألفاظا غريبة لم يجر عادة الشعراء المحدثين باستخدامها لغرابتها لا شيء سوى أنها غير مأنوسة، أما السبب في ذلك فهو تضلعه من اللغة العربية وعلمه بالكثير والكثير من ألفاظها، فهذه الألفاظ تنسال على خاطره وهو ينظم شعره دون أن يلتفت إلى أنها قد تقع موقع الغرابة من المتلقي، إنه في ذلك يشبه شعراء العرب القدامي من جاهليين وأمويين وعباسيين ولكن مع فارق فهؤلاء الشعراء القدامي كانوا يصدرون عن محصولهم من اللغة منطلقين على سجيتهم، فهم لا يلتفتون إلى أن هذه الألفاظ غريبة لأنها في عصرهم وبيئتهم لم تكن غريبة عن القوم، ولكنها غريبة مهجورة في العصر الحديث، هذا هو التحليل الواضح لصنيع الشيخ أحمد رضا خان وهو استخدام بعض الألفاظ تمس الحاجة فيها إلى الرجوع إلى معاجم اللغة لأن العادة لم تجر باستخدامها، ففي العصر الحديث يشترط أن تكون الألفاظ مأنوسة معروفة غير مهجورة.

فمن الخطأ مثلا أن نقول: إن امرء القيس مثلا كان يستخدم ألفاظا مهجورة بل بالنقيض والصحيح أن ما هو مهجور في زماننا كان مألوفا في عصره مثال ذلك قوله:

"في الخد إن شاء الخليط رحيلا دمع تزيد به الخدود ذبولا"

فإذا أورد شاعر معاصر كلمة الخليط على أنه حبيب كان ذلك خروجا على المألوف ولا يسوغ في الذوق.

Marfat.com

أما المعاني فهي رقيقة جيدة لا عيب فيها، إنه ليس شاعر عاطفة، إنه تقـــي نقي لا يعبر عن عاطفة المحبة ولكنه يستطيع أن يعبر كما يعبر شعراء الغــزل لأن شاعريته متعددة الجوانب يستطيع أن يقول في كل فن ويجيد وغزله دليل على ذلك، إنه يتكلف عاطفة المحبة والهيام ويتغزل رياضة أي اقتداء بشعراء الغزل، إنه فـــي شعره هذا يعبر عن شعر غير صوفي، ذلك أن شعراء التصـــوف يجمعـــون فـــي غزلياتهم بين الخمر والحسناء والغناء وهم يرمزون بهذا إلـــى مبـــادئ وأصـــول التصوف، فهم مثلا لا يقصدون بذلك الخمر على الحقيقة وإنما هي رمز للمعرفـــة الصوفية أو العلم اللدني، إنهم ما تغزلوا في شيء من محاسن المرأة مـــا تعزلـــوا ولكنه رمز للكثرة التي تدل على الوحدة أي هذا الكون بما فيه من مخلوقات كثـــيرة لا تقع تحت حصر إنما هو دليل على أن خالقه وصانعه واحـــد هـــو الله ، و كـــل جارحة من جوارح المرأة عندهم رمز إلى شيء من أصول مذهبهم فللكـــلام فـــي الغزل ظاهر غير مقصود، وباطنهم لا يحيط بشيء من علمه إلا الراســـخون فـــي العلم وهم يضنون بمعرفته على غير أهله وكلامهم رمز من ألفه إلى يائه، والكـــلام يحتمل معنيين في وقت معا، ولكن أحمد رضا خان لا يذكر الخمر ولا الغناء وهمـــا عنصران أساسيان من عناصر الغزل الصوفي، وبذلك يختلف عن الصوفية.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى الأستاذ الدكتور رزق مرســـــي أبـــو العباس أستاذ الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية من جامعة الأزهر فقد تولى الإشراف على هذا البحث وأحاطه بكل عناية و رعاية وبـــذل مجـــهودا فـــي التوجيه الرشيد مما ترتب عليه أنه كان ذا فضل لا سبيل إلـــى نســـيانه أو تناســـيه وبذلك شارك في الخير أحسن الله له المثوبة.

Marfat.com

Marfat.com

كلمة

الأستاذ الدكتور القطب يوسف زيد

فى حياة الأمة الإسلامية نجوم ساطعة .. شاء الله وأراد أن تكون مصابيح هداية على طريق الحياة .. لاينطفئ لها بريق ولايضل فى ضوئها خطو إنسان .. دفعته همته إلى متابعة هداها .. وتتبع مداراتها فى مطالع الأيام والسنين وهى ترسل إشعاعات الحق وضاءة على دروب المؤمنين . فترة عنفوان الباطل .. وأن تمادى فى صلفه وغروره وخطف الأبصار ، لأن أصحاب البصائر النيرة يستمدون وهج الحياة من فيض نور الله .

ولاشك أن الإمام الشيخ أحمد رضا خان واحد من أصحاب البصائر الذين فجروا فى الحياة الإسلامية الحديثة طاقات الخير والهدى بما قدم ـ مخلصا ـ من عطاء تجلى فى كثير من ألوان العلم والأدب والفكر .. وبما دار على دروب الحياة فى مجال الإصلاح السياسى والثقافى والدينى والأدبى فى زمن كادت فيه قيم الخير والحق أن تذوب فى مواجهة شراسة الاحتلال الوافد من الخارج بهدف الهيمنة والتطوى ، وكذلك فى مواجهة الضعف والتشرزم والانقسام وغير ذلك مما كان كائنا تحت مظلة الاستعمار وتموج به أرجاء الحياة فى داخل شبه القارة الهندية فكان الشيخ أحمد رضا خان مصباحا مضيئا للحياة ، وشعلة هادية لكل من يريد أن يستمد القوة من ذاته ودينه ليقيم أمجاد الإسلام ـ

وشيخنا الإمام ـ كمايؤكد تاريخه ـ لم يصدر فيما صدر عنه من فراغ وإنما أهله لإداء دوره فى الحياة الإسلامية أصالة منبت وعراة نسب .. إذ أن المتتبع لسلسلة آبائه وأجداده يرى أنهم جميعا من أصحاب الوجاهة والقوامة فى المجتمع الهندى .. قد أسندت إلى معظمهم الوظائف

Marfat.com

العامة التى تتمثل فيها معالم القيادة والولاية .. فضلا عن اتسامهم جميعا بالإصلاح والتقوى والانصياع إلى فضائل الدين والخلق القويم .. وإيثارهم العمل من أجل رفعة الإسلام وإبلاغ أمره بالحسنى بين الناس أجمعين على كل متاع فى الحياة .. مدفوعين إلى ذلك بميل فطرى فى تكوينهم .. وجههم إلى النشاط الدينى د عما للحياة الروحية .. ونهوضها بمهمة الحفاظ على الشخصية الإسلامية ـ

ومن هنا كانت الكتابة عن الشيخ الإمام ضرورة تفرضها تلك المجابهة الشرسة لكل ما هو إسلامى من كتائب أنصار التغريب الذين يزكمون أنوفنا بما يعلنونه على الناس صباحا ومساء فى أجهزة الإعلام من ضرور ة التعلق بالغرب وثقافته الإلحادية على وجه الخصوص أملا فى التقدم والارتقاء .. مؤكدين أن ذلك لن يحدث إلا إذا أدرنا ظهورنا لثقافة الإسلام ورموزه فى القديم والحديث على السواء ..

فجاء ت الكتابة عن الشيخ الإمام فى أخريات القرن العشرين إعلانا عن التواجد الإسلامى الواعى وعن قدرة مايمثله من حضارة ووعى على مجابهة جحافل التغريب .. وإسقاط نشاطهم ـ

ومن دوافع السعادة أن تكون هذه الكتابة فى رسالة علمية أكاديمية .. وفى جامعة الأزهر .. تلك الجامعة التى تحمل عبء الدفاع عن الإسلام ولغته ماضية على طريق الحق لا يعوقها أبدا خداع المارقين من أعداء الدين .. ولايعطل مسيرتها العملاقة ضباب الإلحاد ولواحقه الفكرية .. لأنها تنطلق من إيمان مطلق بأن الحق قوة ، والإسلام نور ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ـ

أما الرسالة فموضوعها: (الشيخ أحمد رضا خان البريلوى الهندى شاعرا عربيا) وأما الباحث فهو : ممتاز أحمد سديدى بن محمد عبدالحكيم شرف القادرى ذلك الدارس الذى جمع بين العلم والأخلاق .. إذ هو باحث يملك أدوات البحث العلمى بما توافر لديه من ثقافة ووعى ، وهو إنسان متواضع ، فى شخصه لين المؤمن ، وسماحته، وورعه ورحمته ـ وقد هيأ الله له أستاذا جليلا عالى القدر فى العلم والأدب والحياة .. فأشرف عليه ووجهه أرشده .. وأخذ بيده إلى أن

Marfat.com

من الله تعالى عليه بإتمام البحث .. ألا وهو الأستاذ الدكتور رزق مرسى أبو العباس .. الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر ، حرسها الله .

وقد أقام الباحث موضوعه على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة . فى المقدمة أبان عن منهجه فى بحثه ، كما أبان عن شخصية شاعره ومقامه الكريم ، وما اتسمت به تلك الشخصية من علم غزير وأخلاق سامية .. كما كشف جهوده الكثيرة فى التصنيف والتاليف ، ودوره فى الإصلاح السياسى والاجتماعى .. فضلا عن أدبه بصفة عامة ، وشعره العربى على وجه الخصوص .. وأنه كتب الشعر بأسلوب عربى عذب لا مثيل له عند أدباء العربية من شعراء العجم .. حتى إنه ليعد بحق فى طليعة أدباء العربية الذين ساهموا بدور ريادى من أجل نشر العربية وأدبها فى بلده .

ومن هنا كانت رغبة الباحث فى تعريف العالم العربى به .. وبدوره الريادى على الساحة السياسية ، والثقافية ، والدينية ، والأدبية .

أما الباب الأول : فقد جعل عنوانه (أثر البيئة فى الشاعر الشيخ أحمد رضا خان) واستطاع من خلال الفصول الأربعة كشف البيئة العامة والخاصة التى كان لها أثر كبير فى الشاعر وشعره .

ففى الفصل الأول من هذا الباب (الوضع الثقافى والاجتماعى والسياسى لشبه القارة الهندية فى عصره) كشف عن الأوضاع المتردية التى عاصرها الشاعر من خلال ثلاثة مباحث . فى الأول منها أبان الوضع الثقافى المتهالك مبينا أسباب هذا التهالك .. وأن السبب الرئيسى يكمن فى وقوع البلاد فى قبضة الاستعمار الإنجليزى الذى كان من سياسته فى كل البلاد التى أرهقها باستعماره لها : محاولة طمث معالمها .. إفساحا لما يمليه عليها من ثقافته وفكره ونظمه التعليمية . . ليعزز وجوده الاستعمارى بتياره الفكرى تمكينا لنفسه .

وفى المبحث الثانى الذى خصصه للكشف عن الواقع الاجتماعى فى عصر الشاعر أبان ملامح التدهور الاجتماعى والاقتصادى الذى عاشه المجتمع الهندى .. نتيجة لهيمنة المستعمرين على البلاد ومقدراتها .. وإفسادهم فى الأرض بقتل النفوس ، وسلب النفيس ، وتدمير القيم الأصيلة

Marfat.com

فحل الفقر ، وحل الفساد ، وعومل المسلمون معاملة خاصة تهدف إلى كسر شوكتهم وإضعاف قوتهم .. ولكنهم على الرغم من ذلك كله .. لم تتوقف حركتهم فى مقاومة تيار الاستعمار . بنشر الوعى الإسلامى ، وإحياء المفاهيم الدينية .. وقد كان الشاعر واحدا من الرواد فى هذا المجال .

أما المبحث الثالث فقد تناول (الوضع السياسى) وفيه ألقى الباحث الضوء على الحركات السياسية التى تواجدت على الساحة الهندية مثل (حركة الخلافة) و(حركة عدم التعاون مع الإنجليز) و(حركة الهجرة) .. وإتماما للفائدة رأى أن يلقى بعض الضوء على (حركة استقلال باكستان) باعتبار أن الشاعر الإمام وضع حجر الأساس للنظرية التى عرفت فيما بعد بتمايز الأمتين .. حيث كان يرى أن المسلمين أمة ، والكفار أمة أخرى أيا كان ولاؤهم وانتماؤهم .. وأنه لا موالاة للكفار لأن غير المسلمين لن يمكنوا المسلمين من الحكم .. فلا يصح أن نتخذهم بطانة .

ومن هنا أبان الباحث مواجهة الشاعر الشيخ أحمد رضا خان لكل من تابع المستعمرين أو والاهم .. أو حاول عن طريق تياره الفكرى المنحرف فتح دروب الشقاق والخلاف بين المسلمين .. ولذلك واجه الشيخ الدهريين بشدة ، وجابه القاديانيين بعنف .. فضلا عن مواجهته للزعماء المسلمين الموالين للهنادكة .. وكان ـ رضى الله عنه ـ قد بذل جهدا مشكورا فى إعداد الكوادر العلمية ، والشخصيات الإيمانية التى قامت على أكتافها حركة استقلال باكستان .

وفى الفصل الثانى من الدراسة (موطنه ومولده ووفاته) تناول الباحث بالبيان اسم الشاعر ومولده ، وأحوال جدوده ونشأته المتميزة فى بيئته وبيته .. والموطن الذى عاش فيه ، كاشفا جانبا كبيرا من سماته الأخلاقية ، وحياته الأسرية .. على اعتبار أن إيضاح ذلك كله يعطى الباحثين مفاتيح التعرف على فكره وشعره ، ويمنحهم القدرة على تفسير الظواهر الأدبية بما يدعمها من الواقع المعاش ، والبيئة الفاعلة فيها .

أما الفصل الثالث فقد خصصه الباحث لثقافة الشاعر ومؤلفاته . وفيه تناول بالعرض والبيان تعليمه ، وشيوخه ، وصلته بأعلام عصره، وعمله بالتدريس ، واشتغاله بالإفتاء .. كاشفا موهبته

Marfat.com

الأدبية ، وقدراته العلمية . . التى أعلنت عن نفسها فى كثير من التآليف والتصانيف . . والتى حاول من خلالها نشر الوعى الإسلامى ، ومقاومة البدع والمنكرات السائدة فى شبه القارة . . متخذا من إصلاح المجتمع دينا وفكرا وسياسة محورا لقلمه ومنطلقا لتوجهاته . وكانت سمة الموسوعية فى عطاء الشيخ علامة بارزة فيما أخذ نفسه به من علوم وفنون . . فقد نظم وكتب بالفارسية والأردية والعربية ، وألف فى علوم الدين والفلسفة والرياضة ، والفلك ، والأدب .

وكان مما أكده الباحث وأبرزه متصلا باللغة العربية وأثرها فى نتاجه الأدبى . . أن منظوماته باللغتين الفارسية والأردية لم تخل من تأثر بالعربية . . مما يدل على شغفة بها وهو ينظم فى لغة غيرها .

وفى الفصل الرابع (حال اللغة العربية والأدب العربى بشبه القارة الهندية تحت الاحتلال الإنجليزى) كشف الباحث عن ذلك الحال من خلال مبحثين مهد لهما بعرض وجيز عن دخول الإسلام شبه القارة . . وأنه كان منذ وقت مبكر عن طريق التجار العرب ، حيث أشرق نور الإسلام فى سماء الهند بفضلهم .

أما المبحث الأول فقد أفرده للحديث عن (جهود المسلمين لنشر اللغة العربية) وفيه أبان وضع اللغة العربية تحت الاحتلال ، وأنها كانت محل اهتمام المسلمين ، إذ هى لغة القرآن الكريم . . دستور الدين ومنهج الهداية . فقد (خلفت اللغة العربية بيئتها فترعرعت فى جو دينى يستهدف فهم الدين قرآنا وسنة . . وكان للمدارس الدينية والكتاتيب دور بارز فى هذا المجال كما كانت سببا فى بقاء اللغة العربية وانتشارها فى الهند) وأبرز الباحث كيف استمرت رغم العراقيل التى وضعها الاستعمار . . وأن ذلك كان بجهود العلماء المخلصين الغيورين على لغة القرآن والدين . . إضافة إلى المدارس الدينية .

وأما المبحث الثانى (دور الإنجليز فى نشر اللغة العربية) فقد تناول الباحث فيه بالعرض اهتمام الإنجليز باللغة العربية وعملهم على نشرها . . وأن ذلك لم يكن منهم تعبيرا عن حب لها . .

Marfat.com

وإنما (تلبية لمصالحهم) وتمكينا لنشر أفكارهم بهدف تدعيم الاحتلال بوجود ثقافى يؤصل لأفكارهم ، وينشر عادتهم وتقاليدهم ، ومن هذا المنطلق (قاموا بإنشاء المدارس والكليات لنشر اللغات والعلوم الثقافية وكانت العربية من بينها) مثل كليات (فورت ويليام) (ودلهى) (ولاهور الحكومية) (وجامعة بنجاب) وإلى جانب ذلك أشار الباحث إلى عدد من المستشرقين الذين كانت لهم إسهاماتهم فى هذا المجال .. وكان الإنجليز قد جاؤا بهم لنشر النصرانية ، ودراسة أوضاع المسلمين للإفادة منها فى التمكين للاحتلال .

وبعد ذلك عرض الباحث للباب الثانى من الدراسة وهو الأغراض الشعرية فى ديوان الشيخ أحمد رضا خان وفيه تناول إبداعات الشيخ الشعرية من خلال أربعة فصول ، كان الأول منها عن فن (المديح) .. وفيه تحدث عن منزلة هذا الغرض فى الشعر العربى ، وذكر شيئا عن نشأته وتوجه الشعراء فيه .. وأن الشاعر الشيخ لم يمدح رغبا ولا رهبا واحدا من ذوى السلطان والوجاهة .. فقد تخلى عن مدح أهل الدنيا بمنطق الرغبة فى العطاء وإنما وجه المدح إلى من اتسموا فى مسالكهم ومناهج حياتهم بالصلاح ، والتقوى ، والتمسك بالشريعة الإسلامية والمبادئ العظمى التى جاء بها النبى ﷺ ومن هنا لانعجب مع الباحث إذا وجدنا شيخنا الإمام يوجه وجهه شطر النبى الكريم ﷺ متتبعا أثر حسان وكعب وغيرهما من شعراء الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .. كما لا نعجب إذا وجدنا من هذا المنطلق يتوجه أيضا إلى العلماء والأولياء على اعتبار أنهم نجوم هداية ، وأعلام يقين .

وفى المبحث الأول من هذا الفصل أبان الباحث (جهود الشاعر فى المديح النبوى الشريف وأنه فى معظم ماصدر عنه يوجه موهبته الشعرية فى مدح من هوأحق بالمدح على وجه البسيطة وأن شعره فى هذا المجال يتسم بالصدق العاطفى والصفاء القلبى، ويعلن عن الحب الصميم .. لسيد المرسلين.

أماالمبحث الثانى فقد تناول فيه بالدراسة والتحليل (جهود الشاعر فى مدح الأولياء الصالحين ، وعلماء الدين .. من خلال عشرة مطالب قدم لها بتمهيد .. وقد تمثلت تلك المطالب

Marfat.com

فى مدحه للعدد من الأعلام ذكر منهم الشريف أبو الحسين أحمد النورى وإسماعيل بن خليل وأخوه وأبوه ، و صالح كمال المكى ، وعبد القادر البدايونى ،وعبدالقادر الجيلانى، و عبدالمجيد البدايونى ،و فضل الرسول البدايونى، و محمد رضا على خان، ومحمد نقى على خان، والشيخ معين الدين الجشتى، محللا فى كل ما عرض نماذجه الشعرية ، ومبينا توجهها الفنى والموضوعى ، وعناصر الأداء الشعرى المتميز عند الشاعر .

وفى الفصل الثانى من هذا الباب تناول بالدراسة والتحليل فى الرثاء باعتباره الفن الثانى بعد المديح فى ديوان الشاعر .. وقد عالج ذلك فنيا وعلميا من خلال مبحثين .. قدم لهما بتعريف هذا الغرض .. وأبان منطلقه الفنى-

وفى المبحث اللأول تحدث عن قصائد الشاعر فى رثاء وتاريخ أعوام رحيل كل من : مولانا محمد إسماعيل القادرى ، مولانا محمد عبد الغنى ، ومولانا محمد عبيد الله ، ومولانا محمد عمر الحنبلى الحيدر آبادى حيث عرض بالتحليل لأشعار الشاعر فيهم وفى مناقبهم معبرا عن فداحة مصابه فيهم .. وذاكرا ما يرجوه لهم عند الله تعالى من رحمة وعطاء .. وفاء لحقهم وذالك فى عبارات رصينة تدل على تمكنه من ناصية اللغة والبيان .. كما تدل على اعترافه بفضلهم على المسلمين فى شبه القارة .

أما المبحث الثانى فقد جعل عنوانه (مقطوعات شاعرنا ورباعيتاه وبيتاه فى الرثاء والتاريخ) مقدما من خلاله أشعار الشيخ أحمد رضا خان فى رثاء وتاريخ أعوام رحيل عدد من الأعلام إضافة إلى ماسبق .. ولم يشأ الباحث أن يضعهم فى إطار المبحث الأول .. لأن الأشعار التى تناولهم لم تأت فى قصائد مستقلة . وإنما جاءت ضمن مقطوعات أو فى صورة أبيات متناثرة ليس لها صفة الاستقلال .. وقد بذل الباحث جهدا كبيرا فى تتبع هذه الظاهرة حتى لا يتجاوزه بيت قيل فى هذا الغرض دون عرض وتحليل .

ثم كان الفصل الثالث عن (الهجاء) وفيه عالج نتائج شاعره فى هذا الفن من خلال عرض تمهيدى أتبعه بخمس وقفات استوعبت كل ماقاله فى الهجاء . أما التمهيد فقد عرف فيه

Marfat.com

بهـذاالغرض وأبان قيمته فى عالم الفن ٠٠ وأما الوقفات فقد جعل الأولى فى هجاء مولانا عبدالبارى الفرنجى محلى ٠ و كانت الثانية فى هجاء القائلين بإمكان كذب اللّٰه ـ تعالى اللّٰه عن ذلك علوا كبيرا ـ وأمـا الثـالثة فـكـانت فى هجاء أشخاص لم يذكر أسماء هم ٠ وفى الرابعة تناول هجاء الشاعر للفرق المخالفة ٠ و كانت الوقفة الخامسة فى هجاء الخارجين على إجماع أهل السنة والجماعة ٠

أمـا الـفصل الرابع فقد تناول فيه شعر الشاعر فى غير المدح والرثاء والهجاء وذلك من خلال ثلاثة مباحث جعل الأول منها للمناجاة ، والثانى للغزل ، والثالث للمشاعر الدينية الفياضة وبعض السيرة

وفـى تـنـاولـه للمناجاة عند الشاعر بين تمسكه بأساليب من سبقوه من الصوفية ، حيث سار عـلـى نهـجهم فى التسبيح والحمد مأخوذا بشوقه ووجده ، محبذا التوسل والاستغاثة برسول اللّٰه فى مواجهة مظالم الحياة ٠ مستغفرا ربه ومستعيذا به ٠٠ إلى غير ذلك مما حفلت به أشعار الصوفية ٠٠ مبيناأن أشعاره فى هذا المجال لم تأت فى صورة قصائد متفردة وإنما جاء ت متناثرة على امتداد الديوان ٠

أمـا مبـحـث (الـغـزل) فـقـد كشف فـى مـقـدمة الحديث عنه عند الشاعر مكانة هذا الفن الـمـرموقة فى الشعر العربى ، وتعدد ألوانه ، وأن العرب شغفوا به ٠٠ وأثاب حكامهم عليه ، ورأوا فيه تهـذيبـا لـلـوجدان ، وأن الدين لم ير فيه بأسا مادام على طريق العفة ٠٠ وأنه على هذا الشرط نظم فيه كثيـر مـن الـعلماء والفقهاء ٠٠ ثم انطلق من ذلك إلى عرض موقف الشاعر من هذاالفن ٠٠ وأنه نظم فيه (لإثبات تمكنه من مختلف ألوان الشعر العربى ٠٠ ومجاراة شعراء العربية ٠ وقد تمثل مانظمه فيه فـى عـدد من الأبيات جاء ت فى مقدمة قصيدة تعددت أغراضها ولم يكن الغزل هو الغرض الحقيقى وإنـمـا ورد فـى مـطلعها ٠ وأن الشاعر كان (منتهجا منهج الصوفية فى تعبيره عما يجيش فى نفسه) وقـد حـاول البـاحث نفى القصد إلى الغزل فى توجه الشاعر ٠٠ على اعتبار أن الشاعر نفسه لم يرض عـنـه ٠٠ لتنافى صدورهعنه مع ما أخذ نفسه به ورع وجهاد فى سبيل الدين ٠٠ ومن أجل ذلك جاء تمهيدا للمدح ٠٠ وتقليدا لمن سبقه من الشعراء ٠٠ فى الصدور عن المطلع الغزلى ـ

أمـا المبحث الثالث فقد خصصه الباحث لتناول ما ورد من بعض الأبيات المتناثرة فى ديوان الشاعر ٠٠ تعبيرا عن مشاعره الدينية الفياضة ووجده الصوفى الخالص ٠

Marfat.com

وفى الباب الثالث الذى جعل عنوانه (دراسة تحليلية لديوان الشيخ أحمد رضا خان) ففيه عالج عناصر الأداء الفنى وملامحه من خلال عدة فصول .. جعل الأول منها لبيان الخصائص الأسلوبية . ثم جعل مبحثا ثالثا تناول فيه بالعرض والتحليل (بيت القصيدعند الشاعر) . وقد ذكر السهولة من خصائص لغته . وأنها جاء ت فى جانب كبير من ديوانه .. وأن هذه السهولة جاء ت سمة بارزة فى مراثيه .. حيث استخدم اللغة العربية التى تجرى على ألسنة الأدباء فى عصرنا الحديث . (فقد اختار الكلمات السهلة ، والجمل القصيرة المتسمة بالفصاحة) وفى جانب آخر من شعره وجد الشاعر يميل إلى استخدام لغة العصر الجاهلى ، وأساليب شعرائه وموضوعاتهم . وضرب على ذلك مثلا بقصيدة (رن الحمام على شجون البان) وبين أن ذلك صدر عن الشاعر إعلانا عن مقدرته اللغوية .. وإلمامه بمعاجم اللغة .

أما الخصائص الأسلوبية فقد أفاض الدارس فى ذكر ها .. حيث أبرز اهتمام الشاعر بالاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وأقوال الأئمة . كما تحدث عن التضمين ، والتشطير ، والتخميس ، والطباق ، والجناس ، ومراعاة النظير ، والمراجعة، والتوكيد ، وبراعة الاستهلال ، ورد العجز على الصدر ، والمجاز واستخدام القوافى المقيدة ، والتاريخ بالشعر ، والجرى على طريقة أبى العلاء المعرى فى التزامه بما لايلزم ، إلى غير ذلك مما عرضه الباحث ، وكان جيدا فى عرضه وتحليله

وأما المبحث الثالث من هذاالفصل فقد خصصه الباحث للحديث عن (بيت القصيد عند الشاعر) . وفيه تجلت براعته فيما توجهت إليه نفسه ، وفيما انجذبت إليه مسامعه من أبيات مغردة توقف عندها معجبا بها .. وهو فى هذا المبحث لا يعتمد على المقاييس النقدية التى يحتكم النقاد إليها فى الحكم على الأدب وظواهره .. وإنما يجعل من نفسه حكما من خلال ذوقه الشخصى ، مع تحليل البيت وبيان مظاهر الجمال فيه . وقد اثبت بما اختار رقيا فى حسه ، ونبلا فى مشاعره وأن نفسه جبلت على ذوق جمالى رفيع . (إذ ماكانت النصوص الأدبية فى نظره إلا أزهارا لطيفة الذوق رائعة التركيب يحسن ممن يعرض لها أن يتنسم عبيرها ، ولا يضغط عليها .. لأن شأن الأزهار أن

Marfat.com

تمس ولا تفرك) ٠

أمـا الـفصل الثانى والأخير فقد جعل عنوانه (شاعرنا بين شعراء العربية فى الهند) وفيه تناول بـعـض الشـعراء الهنود مترجما له وذاكرا لبعض نصوصهم ٠٠ ثم ختم ذلك بعرض أراء العلماء ونقاد الأدب الـعـربـى فـى الشاعر وفى شعره وشاعريته ٠٠ منتهيا من ذلك إلى أن الشاعر الشيخ أحمد رضا خان ٠٠ كان علما من أعلام اللغة العربية وأدبائها فى شبه القارة الهندية ٠٠ بما قدم من عطاء شعرى تـمثـلت فيه ملامح الفن ٠٠ وتجلت فيه روعة الأداء ٠ وقد كان الباحث موفقا فى كل ما عالج وبين مالكا لأدوات بحثه عن قدرة وبراعة ٠٠ يستحق عليها التقدير ٠

وبعد فإذا كان من حق أهل الفضل أن نعترف بما قدموه ، وأن نعلن على الدنيا عطاء هم ٠٠ فـلايـفـوتـنـى فـى هذاالمجال أن أذكر القارئ الكريم بالسيد الأستاذ المفضال حازم محمد محفوظ الـذى يسـر طريق البحث أمام الباحثين بجمعه وترتيبه وإخراجه لأشعار الشيخ الإمام على نسق فريد ، فى ديوان أسماه (بساتين الغفران) ٠ وقد كانت بصماته واضحة على البحث والباحث ٠٠ إذ كثيرا مـا استـرشد بآرائه وتعليقاته فى معالجة قضايا الدراسة ومنعطفاتها الفكرية ٠ ومما تجدر الإشارة إليه ويجب التأكيد عليه فى النهاية ، إن الاحتشاد للاحتفال بالذكرى الثمانين لرحيل الإمام العظيم يجب أن يـوجه الأذهان إلى ضرورة تكثيف البحث عن جوانب الفكر ومجالاته التى ازدحم بها تراثه الخالد ٠٠ أمـلا فـى مـزيد من الكشف والتعريف ٠٠ بالقدر الذى يتناسب ويتلاء م مع ريادته لنجوم الهدى فى أمته الإسلامية التى آن لها أن تنهض فى الزمن المعاصر لتحقق بعون الله ٠ قوامتها على الحياة ٠

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون ٠

الأستاذ الدكتور/ القطب يوسف زيد

الشهير باسم الأستاذ الدكتور/ صفوت زيد

رئيس قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية من جامعة الأزهر

فرع إيتاى البارود-

جماد الأول ١٤٢٠ هـ - اغسطس ١٩٩٩ م

Marfat.com

كلمة

الأستاذ الدكتور رزق مرسى أبو العباس علي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد النبي الأمين وعلي آله وأصحابه أجمعين.وبعد فهذه مناسبة طيبـــة وجلســة كريمة. ذلك لأنها في سبيل العلم وللعلم الخالص لوجه الله تبارك اسمه نجتمع اليـوم لننظر في بحث مقدم إلي قسم اللغة العربية وآدابها كليـــة الدراســات الإســلامية والعربية جامعة الأزهر، إنه بحث أدبي بذل فيه طالبه وباحثه جهدا لا بأس به جهد يذكر فيشكر صاحبه تتبع شخصية عظيمة قد يكون الكثيرون لم يقرؤا عنها ولكـــن تتبعها من وجهتها العربية مما كتبه باللغة العربية وهو ليس بعربي إلا أنـــك حيـن تقرأ لهذا الشاعر تفاجئ بأنه شاعر عربي له قيمته، ولو لم تعرف أنه غير عربـــي لأيقنت أنه عربي، نجتمع اليوم لننظر في بحث موضوعه "الشيخ أحمد رضا خـــان البريلوي الهندي شاعرا عربيا" ننظر في ديوانه الذي يبلغ اثنين وتسعين وســبعمائة بيت، بيتا من الشعر العربي الرائع، تعددت أغراضه، وتنوعت مقاصده وسلك إلـــي كل غرض طريقه من الأغراض التي رأى أن يتحدث فيها دون أن يلم بـــأغراض أخرى ، ذلك لأن عقل الشاعر وقلبه اشتركا معا في صياغة هذا الشعر، ونحـــن إذ نذكر للشاعر بيتا يقال له بيت القصيد إننا نجد عند شاعرنا أحمد رضا خان أكـــثر من بيت في قصيدة واحدة، وربما كانت مقطوعة قليلة الأبيات، إلا أنك تعجب بأكثر من موطن من مواطنها، ومهما قلنا فلن نستطيع أن نوفى شاعرنا حق الوفاء كمـــا

Marfat.com

وفاه الباحث، في نظرى أن الشاعر عظيم يستحق هذا التقدير، رجل من الهند اهتم بلغه القرآن وأدب العرب اهتماما رائعا، رجل تفوق في أكثر من فن وعلم حتى بلغت تلكم الفنون والعلوم التي نبغ فيها خمسة وخمسين فنا وعلما،رجل ولد في السنة السابعة والخمسين بعد الثمانمائة والألف للميلاد، واستمرت حياته إلي أن بلغ الثامنة والسبعين من عمره، ثم فارق الدنيا في العام الحادى والعشرين من هذا القرن، إذن فقد أمضى مدة طويلة في دراسة اللغة العربية وآدابها وأحبها ووهبه الله موهبة استغلها في الشعر تارة وفي التأليف أخرى، ألف بأكثر من لغة وكتب شعرا بالعربية والفارسية والأردية، ولكن شعره العربي أكثر غزارة كما قال عنه أولئك الذين قرؤا عنه بمختلف اللغات، إذن فشاعرنا احتفى باللغة العربية أيما احتفاء،كان علينا أن نهتم به كما اهتم بلغتنا، وبالتالي عرض الأستاذ حازم لديوانه العربى فجمعه وحققه وبذل فيه جهدا نشكره عليه ،مع أن شعره كان متناثرا بين طيات الكتب والصحف إلا أنه جعل من هذا الديوان شيئا يزيد المكتبة العربية غني على غناها، ما أحسنَ أن نعرض أولئك الذين لم نعرف عنهم شيئا اللهم إلا قليلا.

عاش شاعرنا في عصر مليء بالحوادث السياسية وذلك لأن الإنجليز كانوا قد وضعوا أقدامهم علي أرض الهند قبل أن يخرج شاعرنا إلي الدنيا بعام واحد، وتوطدت أركانهم في شبه الجزيرة الهندية وأخذوا السلطة من أولئك الذين كانوا يحكمون، وكان الله تعالي قد من علي المسلمين بحظ وافر في بلاد الهند، إلا أن الإنجليز جاؤا فنازعهم هذا وبدأت هذه المشاكل التي انتهت بتحرير هذه الجزيرة وتقسيمها علي نسق الدين، والدين هو الحكم في ذلك، وكان شاعرنا أيضا ممن راي هذا مما سمي بنظرية التمايز بين الأمتين، وقسمت الهند علي هذا الأساس إلي باكستان المسلمة والهند غير المسلمة المتعددة الأديان.

وكان لشاعرنا سهمه في التأليف والسياسية وفي الفقه وفي علوم العقيدة، إذن فقد برز قلمه كما ذكر عنه في خمسة وخمسين فنا وعلما وهذا بعض الشيء عن شاعرنا، ولكننا نحب أن نسمع إلي الكثير عنه، وسوف نستمع إلي ملخص

Marfat.com

لهذه الرسالة أعدها الطالب ممتاز أحمد سديدي باكستاني الجنسية ابن محمد عبد الحكيم شرف القادري، وقد ساعدته ظروفه علي أن يبحث الكتب التي تضمنت الحديث عن شاعرنا، والعلماء الذين عرضوا له، والأدباء الذين تناولوه، والشعراء أيضا الذين كانوا في عصره، وذلك لغني المكتبة العربية هناك في باكستان بمثل هذه المؤلفات، والطالب من أولئكم الطلاب الذين سعد قسم اللغة العربية بانتسابهم إليها، وذلك لأنه طالب جاد، مثالي في بحثه -علي ما أرى - الطالب مجتهد لايمضي مدة طويلة علي مفارقته لأستاذه بل هو دائم الاتصال به والله أسأل أن يكون هذا العمل في ميزان حسناتي وحسناته، إنه سميع قريب.

الأستاذ الدكتور رزق مرسى أبو العباس علي
أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
(بنين،القاهرة) جامعة الأزهر.

Marfat.com

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين وسنه دستورا ونبراسا للعالمين الأمر الذي جعل اللغة العربية في حصن وحمى على مر السنين، شغف بها العجم كالعرب فكانوا على درب أعلام العربية سالكين، ظهر منهم أدباء أجلاء تركوا آثارا عربية خالدة تبهر وتستلفت أنظار الباحثين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين، الذي علمه شديد القوى فجعله أفصح الناطقين، وكان بيانه النبوي - ومازال وسيظل - نبراسا للمهتدين وحجة للسالكين، وعلى أهل بيته الطاهرين المطهرين وصحابته نجوم الهداية وتابعيهم، وسائر علماء المسلمين، والأولياء الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين.

أما بعد. فيعد الشيخ أحمد رضا خان شخصية معروفة لها قدرها ومنزلتها في الأوساط العامة والخاصة بباكستان وبنجلاديش والهند، إنه عاش في القرن الرابع عشر الهجري وفيه مرت بلاده شبه القارة بأحداث جسام كان لها عظيم الأثر في التاريخ الإسلامي لهذه البلاد، فقد سقطت الدولة المغولية الإسلامية - آخر دولة إسلامية حكمت شبه القارة - وفرض الغاصب الإنجليزي سيطرته وحكمه على تلك البلاد الشاسعة بمكره وخداعه، وأوقع بالمسلمين مظالم لا تقف عند حد، مما ترتب عليه أن ساءت الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية بهذه البلاد، فأفضى الأمر بالمسلمين إلى أن عاشوا أحلك عصورهم في شبه القارة بعد أن عاشت أزهى عصورها في العهد الإسلامي الذي استمر ما يقرب من ألف عام.

Marfat.com

وعلى الرغم من تلك الأحداث السيئة التي مرت بها شبه القارة إلا أن الله – عز وجل – قد قدر أن يُخرج من تلك البيئة وتلك الظروف الصعبة رجالا يقودون حركة البعث بهذه البلاد من جديد، وكان من أعلام هؤلاء القادة الشيخ أحمد رضا خان الذي استطاع – بشخصيته الموسوعية، وعلمه الغزير، ومؤلفاته الكثيرة، ومنظوماته الإصلاحية المناهضة، وإرادته القوية، وإيمانه الراسخ، وإخلاصه للأمة الإسلامية في بلاده – أن يقود حركة النهضة والإصلاح والبعث الإسلامي من جديد ببلاده شبه القارة. وعلى الرغم من دوره الريادى فى ميادين الأدب والسياسة والإصلاح الدينى ظلت شخصية هذا العلم الإسلامى الكبير وأعماله المتعددة مجهولة فى عالم العرب حتى اليوم، فلم يتطرق إلى التعريف به باللغة العربية غير نفر قليل فى وقت متأخر، على الرغم من أن الشيخ أحمد رضا خان كانت له صلة وثقى بعلماء العرب المعاصرين له، فقد اجتمع معهم أثناء قيامه بأداء مناسك الحج مرتين، وبالتالى نال إعجاب وتقدير وثناء علماء العرب كلهم الذين التقوا به وهم من مكة والمدينة المكرمتين، ومصر الأزهر، والشام، والعراق، وفلسطين، والمغرب.

إن الشيخ أحمد رضا خان كان نسيج وحده في شبه القارة من حيث تمكنه وإجادته التامة باللغة العربية واطلاعه على علومها. إنه اتخذ من لغة القرآن – التي هام بها إلى أبعد حد– أسلوب التعبير له، فرأيناه يؤلف أفضل مؤلفاته واشهرها باللغة العربية وبأسلوب سهل ممتنع يمت إلى العربية بصلة ويدل على أنه عربي البيان فطرة، ولم يحرم مؤلفاته بغير العربية من طعم العربية فقد توجها بأسماء عربية تدل على محتويات وتأريخ عام تأليفها – بحساب الجمل – وإلى جانب ذلك رأينا قريحته تفيض شعرا عربيا عذبا قلَّ أن نجد مثيلا له عند أدباء العربية من العجم، مما جعل له الريادة بين أدباء العربية في شبه القارة، بل لا نكون مبالغين إذا قلنا: إنه في طليعة أدباء العربية الذين ساهموا بدور ريادى من أجل نشر العربية وآدابها في بلده.

Marfat.com

إن رغبتي في تعريف العالم العربي عامة ومصر الأزهر بعلمائها الأجـــلاء خاصة بهذا العلم الإسلامي – ودوره في نشر العربية إلى جـــانب دوره الريـــادى الإصلاحي على الساحة السياسية والثـــقافية والدينية فى شبه القارة – كـــان ســـببا أساسيا في إقدامي على التصدى لهذا العمل العلمى فى رسالة جامعية.

إن جامعة الأزهر الشريف كما عهدناها دائما لها الريادة في كل الميادين، وإن هذه الرسالة المتواضعة حول أدب هذا العلم الإسلامي هي الأولى من نوعها في الوطن العربي قاطبة، وهذا فضل لجامعة الأزهر الشريف لا ينكر.

إن ثـــقافة الشيخ أحمد رضا خان درست في شبه القارة في رسائل جامعية، وبحوث علمية، ومقالات منشورة غير أن هذه الدراسات خرجت إلى الوجود باللغـــة الأردية على وجه الأخص، كما أن كل هذه الدراسات لم تعتمد على ديـــوان شـــعر يتضمن ما نظمه الشيخ أحمد رضا خان بالعربية، لأن هذه الدراسات خرجت إلـــى الوجود قبل جمع وترتيب ونشر ديوان بساتين الغفران، وهو الديوان العربي للشـــيخ أحمد رضا خان، إن أدباء العربية في شبه القارة لم يستطيعوا – على مدار ســـبعين عاما بالتمام – جمع الديوان، بل اعتمدوا على ما وقعت عليه أيديهم مـــن أشـــعار الشيخ أحمد رضا خان وهى قليلة في الأغلب، ولما كنت قد اعتزمت على دراســـة شعر هذا العلم الإسلامي أحسب أنني أفضل حظا ممن سبقني لأنني درست شـــعره العربي باللغة العربية التي أكتب بها هذا البحث، إلى جانب اعتمادي على ديوانـــه بساتين الغفران الذي قام بجمعه وترتيبه أحد رجالات الأزهر الشريف الأستاذ حازم محمد المحفوظ – المدرس المساعد بكلية اللغات والترجمة قســـم اللغـــة الأرديـــة، جامعة الأزهر – وصدر في باكستان عام سبعة وتسعين بعد التســـعمائة والألـــف للميلاد، ولا شك أن هذا الديوان قد أفادنى كثيرا وأعتبره المرجـــع الأساســـى فـــى دراستى لشعر الشيخ أحمد رضا خان.

Marfat.com

جعلت بحثي تحت عنوان: "الشيخ أحمد رضا خان البريلوى الهندي شاعرا عربيا"، وهو في مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، أما المقدمة فقد شرحت فيها منهج الدراسة.

والباب الأول عنوانه: "اثر البيئة في الشاعر الشيخ أحمد رضا خان" أما الفصل الأول فعنوانه "الوضع الثقافي والاجتماعي والسياسي بشبه القارة الهندية في عصره" بحثت فيه الأوضاع الثقافية والاجتماعية والسياسية التي عاصرها الشيخ أحمد رضا خان حتى وفاته، وبينت أثر تلك الأحداث في حياته، كما أوضحت دوره الريادي فيما مرت به بلاده من أحداث، وكيف تفاعل مع ظواهر عصره.

وأما الفصل الثاني فكان بمثابة المرآة التي انعكست عليها صورة شاعرنا وإذا بنا حين نفتحه نقرأ "موطنه ومولده" فتحدثت عن مسقط رأسه بريلى، ثم تحدثت بعد ذلك عن أسرته، ومولده، ونشأته ثم وفاته.

والفصل الثالث بعنوان: "ثقافته ومؤلفاته" أشرت فيه إلى مراحل التعليم، وأساتذته، وشغفه بالعلم، وإقباله على التعليم، وتضلعه في العلوم المختلفة وقيامه بالتأليف في كثير من العلوم.

والفصل الرابع عنوانه: "حال اللغة والأدب العربي في شبه القارة تحت الاحتلال الإنجليزي"، أشرت فيه إلى جهود علماء المسلمين من أجل إحياء اللغة العربية وآدابها مرة أخرى في شبه القارة، كما أشرت إلى قيام الإنجليز بافتتاح بعض الكليات من أجل المساهمة في تعليم مواطنيهم من الإنجليز اللغات الشرقية ومنها العربية إلى جانب تعليم أبناء شبه القارة هذه اللغة.

الباب الثاني بعنوان: "الأغراض الشعرية في ديوان الشيخ أحمد رضا خان" وقسمته إلى تمهيد وأربعة فصول، تناولت في التمهيد التعريف بالديوان العربي بساتين الغفران.

Marfat.com

والفصل الأول بعنوان: "المديح" وقسمته إلى مبحثين تناولت فيهما المديح النبوي عند الشاعر موضوع البحث إلى جانب مدحه للأولياء الصالحين وعلماء الدين الحنيف.

والفصل الثانى تحت عنوان: "الرثاء" وهو فى مبحثين أيضا الأول عنوانه: "قصائد شاعرنا فى الرثاء والتاريخ"، تناولت فيه ما نظم شاعرنا فى فن القصيد من رثاء للعلماء، والأولياء الصالحين، والمبحث الثانى تحت عنوان: "مقطوعات شاعرنا ورباعيته وبيتيه فى الرثاء والتاريخ" تحدثت فيه عن الرثاء والتاريخ لوفاة العلماء والصالحين وذلك فى مقطوعاته، ورباعيته، وبيتيه الواردين فى بساتين الغفران.

والفصل الثالث تحت عنوان: "الهجاء" تناولت فيه قيام الشاعر – موضوع البحث – بالنظم فى هذا الغرض فى نطاق محدود بهدف الإصلاح وتوجيه النصح للخارجين على إجماع أهل السنة.

والفصل الرابع تحت عنوان: "في غير ذلك من الأغراض" أشرت فيه إلى الأغراض الأخرى الواردة في بساتين الغفران وبالطبع غير المدح، والرثاء، والهجاء، قد استطعت أن ألمس هذه الأغراض وأضع لها العناوين التي تدل على مضمونها وهى: المناجاة، الغزل، مشاعر دينية فياضة وشئ من السيرة.

وأما الباب الثالث فهو عبارة عن "دراسة تحليلية نقدية لديوان الشيخ أحمد رضا خان" وهو في فصلين، الفصل الأول عنوانه: "الخصائص الأسلوبية واللغوية في ديوانه العربي" وقسمته في ثلاثة مباحث، أولها في "الخصائص الأسلوبية عند شاعرنا" وثانيها في "الخصائص اللغوية عنده" وثالثها في "بيت القصيد عند شاعرنا" في هذا الفصل تحدثت بشكل مستفيض عن سمات شاعرنا الأسلوبية واللغوية في ديوانه بساتين الغفران قدر ما وفقني الله – عز وجل – مع ذكر بعض النماذج، كما

Marfat.com

خصصت المبحث الثالث لإبراز جماليات شعره - كما هو في نظري - وأرجو أن توافق هواي عند الكثيرين ممن يتفضلون بالنظر في هذا البحث.

والفصل الثانى من الباب الثالث عنوانه: "شاعرنا بين شعراء العربية فى الهند" أوردت فيه من استطعت أن أقف على أسمائهم من شعراء العربية الذين عاصروه فى بيئته، وحاولت أن أعقد موازنة بينه وبين هؤلاء، ثم أردفت ذلك بأقوال أدباء العربية من علماء العرب وشبه القارة فى أدبه لإبراز مكانته الأدبية.

ثم تأتى الخاتمة وقد ذكرت فيها ما توصلت إليه من نتائج فى هذا البحث، ثم أردفت ذلك بقائمة المراجع.

وللحق فقد واجهتنى عدة صعوبات فى إنجاز هذا البحث لعل أهمها قلة مصادر هذا البحث فى مصر على أننى حاولت أن أتغلب على هذه الصعوبة بفضل من كتبت إليهم وكتبوا إلى فى باكستان أذكر منهم فضيلة الشيخ المفتى محمد عبد القيوم القادرى - شيخ الجامعة النظامية الرضوية بلاهور، والأمين العام لمنظمة المدارس (أهل السنة) باكستان - ومولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى - أستاذ الحديث النبوى الشريف والعلوم الإسلامية بالجامعة النظامية الرضوية، بلاهور - وأستاذنا الدكتور محمد مسعود أحمد - راعى مركز بحوث الإمام أحمد رضا، كراتشى، ومولانا الشريف وجاهت رسول القادرى - رئيس مركز بحوث الإمام أحمد رضا، كراتشى، والاستاذ الدكتور مجيد الله القادرى - نائب رئيس مركز بحوث الإمام أحمد رضا، كراتشى - والشيخ مقبول أحمد القادرى - مؤسس أكاديمية رضا، بلاهور - فلهم منى جزيل الشكر، وأخص بالذكر والدى الفاضل الذى كان أكثر الناس أداء لهذه المهمة، وبالطبع لم يكتف بإرسال المراجع التى كنت أطلبها بل كان يمدنى بالمراجع التى يمكن أن تمت إلى موضوعى بصلة، على أنه كان يشفع ذلك بدعواته الصالحات التى أسأل الله - عز وجل - ألا يحرمنى منها ولا من الأجر الذى يجود به ربنا - تبارك وتعالى - على بواسطتها، ولقد ساعدتنى

Marfat.com

مكتبة الأستاذ حازم محمد المحفوظ - مرتب ومحقق بساتين الغفران - أيضا فى التغلب على مشكلة قلة المصادر والمراجع فضلا عن لقاءاتى الكثيرة معه بمكتبته العامرة مما أطلعنى على معلومات أفدت منها، فأتقدم إليه بجزيل الشكر والتقدير.

واتوجه بخالص الشكر إلي فضيلة الشيخ حميد الدين شيخ الطريقة الجشتية بالزاويه المعظمية الذى كان ومازال يكرمني بدعواته الصالحة.

ومهما يكن من أمر فإن كانت مشيئة الله - عز وجل - التى شرفتنى بأن أنتقل من باكستان إلى كعبة العلم، إلى الجامعة العتيدة، إلى الركن المتين فى دراسة العربية بخاصة وعلوم الإسلام بعامة، إلى الأزهر المعمور الذى نسأل الله - جل وعلا - أن يديم عمارته، وأن يرفع ذكره على الدوام ليؤدى ما أعتقد أن الله - عز وجل - قد وكله إليه ، وأن الأزهر الشريف لون من ألوان الحفظ الذى تضمنته الآية الكريمة **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** [1] أقول: إن كانت مشيئة الله - جل جلاله - قد أتت بى من باكستان إلى مصر مفارقا والدى هناك إلا أننى بفضله - سبحانه - وبعونه - جلت قدرته - وجدت فى مصر أساتذة كراما فتحوا لى قلوبهم وعقولهم، وهذا دأبهم مع سائر تلاميذهم، إن من بينهم أستاذى الفاضل فضيلة الدكتور رزق مرسى أبو العباس على، موجهى ومشرفى لإخراج هذا البحث، والذى رافقنى مع الشاعر - موضوع البحث - صفحة بصفحة، بل سطرا سطرا، حتى استطعت أن أكمل هذا البحث بفضل توجيهاته القيمة بعد فضل الله - عز وجل - لقد وجدته خير أستاذ مشرفا وأبا، ولا أجد خيرا من أن أقول له: جزاك الله - سبحانه وتعالى - عن تلميذك وعن العلم خير الجزاء على أفضالك الكثيرة وأياديك البيضاء وأعانك على أن تظل حصنا من حصون العربية تأخذ بيد تلامذتك إلى حيث يريد الله - جل جلاله - لهم من توفيق، ولا حرمنا الله منك.

---

(١) سورة الحجر ٩/١٥.

Marfat.com

وإننى أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الجد فضيلة الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود - رئيس جامعة الأزهر سابقا - الذى عرضت عليه موضوع الإشراف أول الأمر، فاستقبلنى فى مكتبه العامر بكل كرم ولطف، ولازال عطر مقابلته هذه عالقا بقلبى وروحى حتى اليوم.

كما أتوجه بخالص الشكر إلى أستاذنا الدكتور محمد عرفه المغربى، ولما كان أستاذنا الدكتور من أهل فضل لا يقف توجيه عند حد بالنسبة لتلامذته فقد أسعدنى الحظ بأن أسمع توجيهاته حول هذا البحث بعد أن كمل بعون الله - عز وجل.

كما لا يفوتنى .الشكر لفضيلة الأستاذ الدكتور ضياء الدين الكردى - أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين، جامعة الأزهر الشريف - ولا أنسى الشكر لفضيلة الشيخ أحمد حسن جابر رجب - عضو مجمع البحوث الإسلامية، جامعة الأزهر الشريف - وأتقدم بخالص الشكر لكل من ساعدنى وعاوننى فى إنجاز هذا البحث.

وبعد فقد حاولت جهدى أن أُؤدى بعض ما على من واجب علمى تجاه حبيبة الأحباب لغة العرب ولسان حبيبنا المصطفى - صلى الله عليه وسلم - قدر استطاعتى، فإن كنت قد أصبت فمن الله - جل جلاله - الخير كله، وإن كانت الأخرى فهو التقصير من الإنسان الذى قال عنه ربه **وخلق الإنسان ضعيفا** (٢) والله - سبحانه وتعالى - أسأل أن يتقبل صالح عملى وأن يلحقنى بالنبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

الطالب الباكستانى

ممتاز أحمد سديدى

---

(٢) سورة النساء ٤/٢٨.

Marfat.com

الباب الأول

أثر البيئة في الشاعر الشيخ أحمد رضا خان

ويحتوى هذا الباب على تمهيد وأربعة فصول.

الفصل الأول: الوضع الثقافي والاجتماعي والسياسي لشبه القارة الهندية في عصره.

الفصل الثاني: موطنه، ومولده، ووفاته.

الفصل الثالث: ثقافته ومؤلفاته.

الفصل الرابع: حال اللغة والأدب العربي بشبه القارة الهندية تحت الاحتلال الإنجليزي.

Marfat.com

Marfat.com

تمهيد

لم تشهد شبه القارة الهندية عهداً أفضل من العهد الإسلامى على مر عصورها، ذلك العهد الذى سطعت أنواره على أيدى الجيوش العربية التى قادها الفاتح العربى محمد ابن القاسم الثقفى في العام الثانى والتسعين من القرن الأول الهجرى الموافق للعام الحادى عشر من القرن الثامن الميلادى، ثم تبعه على حكم هذه البلاد حكام مسلمون من غير العرب قاموا بتشييد دول إسلامية استمرت تحكم هذه البلاد بما أوجبه الشرع الحنيف ما يقرب من ألف عام، وإن شبه القارة الهندية لم تعرف قبل هذا العهد الإسلامى المديد الأمن والاستقرار والرخاء الذى شهدته في العهد الإسلامى والذى ما تزال آثاره الحافلة تتجلى أمامنا في عصرنا الحاضر، غير أن مما يؤسف له أن هذا الحكم الإسلامى المديد قد تعرض لجحافل المستعمرين الغربيين الذين تربصوا بحكامه وبشبه القارة الهندية ونجحوا نهاية الأمر وبالتحديد في العام الثالث والسبعين من القرن الثالث عشر الهجرى الموافق للعام السابع والخمسين من القرن التاسع عشر الميلادى في طوى صفحة العهد الإسلامى والحكم الإسلامى بهذه البلاد مجتمعة على إثر هزيمة الثورة الإسلامية

Marfat.com

الهندية التى قادها المسلمون من أجل إخراج الإنجليز من بلادهم واسترجاع الحكم الإسلامى المسلوب من أيدى هؤلاء.

وعن كيفية مقدم الإنجليز بهدف احتلال شبه القارة والقضاء على الحكم الإسلامى بها يقول الدكتور عبد المنعم النمر(١): "إنهم تمكنوا من القضاء على الحكم الإسلامى بحيلة وخدعة حيث إنهم جاءوا تجارا وضيوفا فوجدوا من الملوك والشعب كل إكرام، ثم جلسوا في مجالس الملك، ثم بالتدريج سيطروا على الهند وعزلوا حكام الهند، وبالتالى آل الأمر إليهم"، ولكن الشعب الهندى الغيور الذى تمتع بالحرية ونعيم العيش منذ مئات السنين لم يقبل الدكتاتورية والاستبداد البريطانى ولم يرض بأغلال العبودية، فلم تلبث جذوة الحرية في صدور الهنود - مسلمين وغيرهم - أن حاولت القضاء على الاستبداد البريطانى، وذلك في العام السابع والخمسين من القرن التاسع عشر الميلادى، ولكن هذه المحاولة لم تكلل بالنجاح بل أتاحت الفرصة للإنجليز أن يكشروا عن أنيابهم ويظهروا عداءهم المستشرى، وبالتالى اغتصبوا الأمر كله وأصبحت الهند تئن تحت وطأة سطوتهم، وعن هذه الأوضاع المأساوية يحدثنا الدكتور نجيب الكيلانى(٢): "لقد لوث جمالها وشاب جلالها وجود الاستعمار الغربى الذى لا يقدس حرية، ولا يبقى كرامة، لأن أجواء الحرية لا تعطى الفرصة له كي يتنفس ويعيش، وهما عدوان لدودان للغاصبين، فلن يستطيع الإنجليز أن يسودوا إلا حيث تهدر كرامة الأحرار وتداس عزتهم".

ولقد كانت مساهمة المسلمين في الثورة الهندية أكثر من غيرهم، وذلك لأنهم كانوا اصحاب الحق المسلوب والملك المنهوب، وقد لعب علماء الدين الحنيف

---

(١) تاريخ الإسلام في الهند، للدكتور عبد المنعم النمر، (ط: الهيئة القومية العامة للكتاب بالقاهرة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)، ص ٢٧٨.

(٢) اقبال الشاعر الثائر، للدكتور نجيب الكيلانى، (ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ)، ص ٧.

Marfat.com

ومشايخ الطرق الصوفية دورا رياديا ملموسا في قيام هذه الثـــورة[١] حيـــث إنـــهم رفعوا راية الجهاد ضد الإنجليز الصليبيين، وفى مقدمة هؤلاء العلمـــاء والمشـــايخ مولانا فضل حق الخير آبادى ومولانا الشريف كفايت على الكافى، ومولانـــا عبـــد الجليل على كرهى، ومولانا إمام بخش الدهلوى، ومولانا الشريف أحمد الله شـــاه، ومولانا المفتى صدر الدين الدهلوى، ومولانا المفتى عنـــايت أحمـــد الكـــاكوروى، ومولانا وهاج الدين، ومولانا معين الدين الأجميرى.

ومن الجدير بالذكر أن مولانا محمد رضا على خان النقشبندى – جد شـــاعرنا موضوع البحث – قام بدور فعال في الثورة الهندية، وعن هذا يخبرنا الدكتور مجيد الله القادرى قائلا[٢]: "كان مولانا محمد رضا على خان من المنـــاضلين لاســـترداد الحرية والحكم الإسلامى، ولما قام علماء أهل السنة والجماعـــة بـــإصدار فتـــوى الجهاد ضد الإنجليز في العام السابع والخمسين من القرن التاسع عشر الميلادى قـــام مولانا محمد رضا على خان بتأييد هذه الفتوى، وذلك بجانب مساهمته الفعالة فـــي حركة الجهاد، فكان يقدم كل ما في وسعه من العون للمجاهدين، وقد وقف ربـــاط الخيل للمجاهدين ابتغاء وجه الله تعالى، كما كلف ابنه مولانا محمد نقى على خـــان القادرى بمهمة إمداد المجاهدين بالمؤن، وقام كذلك بمساندة الجنرال بخت خان الذى أذاق الإنجليز مرارة الهزيمة في بريلى". فلبى المسلمون نـــداء علمائـــهم وقـــامت الثورة الهندية ضد الإنجليز، ولكن انطبعت تصرفات الثوار بطـــابع الثـــورة التـــى تسيطر عليها العواطف المتأججة، وعواطف حب الوطن التى دفعتهم إلى التضحيـــة بالنفس والنفيس، وعواطف الغضب التى دفعتهم إلى صب جـــام غضبـــهم علـــى ظالميهم ومغتصبى بلادهم وحرياتهم فوقعت تصرفاتهم هوجاء راح ضحيتها بعـض

---

(١) للاطلاع على بطولات هؤلاء العلماء والمشايخ في الثورة الهندية هذه انظر: أنوار رضا لصفـــوة من العلماء، (ط: ضياء القران ببلى كيشنز لاهور، ١٩٨٦)، ص ٤٣٥ : ٤٤٨.

(٢) "مولانا محمد رضا على خان": بحث مستخرج من "معارف رضا" لصفوة من العلمـــاء (ط: إدارة تحقيقات إمام احمد رضا كراتشى باكسان، ١٤١٤هـــ)، جـــ ١٧، ص ١٩٦.

Marfat.com

الأبرياء من نساء الإنجليز وأطفالهم أيضا، ولكن لم تحظ هذه الثورة بالنجاح، وكان الفوز حليفا للإنجليز، فحكموا على آخر ملوك الهند السلطان بهادور شاه ظفر بالنفى المؤبد مع أفراد أسرته إلى رانجون، وأعلنوا من بعد ذلك ضم شبه القارة الهندية كلها إلى امبراطوريتهم(١) وبالتالى فعلوا بالثائرين وبغيرهم مالا يمكن لعقل أن يتصوره، ولا لضير أن يتحمله حتى وجد التاريخ من عقلاء الإنجليز أنفسهم من يتبرؤن من أفعال بنى قومهم الوحشية، ويصمونها بأبشع ما يمكن أن يوصم به عمل في التاريخ(٢) وعن وحشية الإنجليز يقول الدكتور عبد المنعم النمر(٣): "لقد فقد الإنجليز بعد انتصارهم كل معانى الإنسانية وتجاوزوا في انتقامهم كل ما يتصوره الإنسان، رأوا أن القتل بالرصاص سهل على المقتولين فاستعملوا المشنقة، وكانوا يشنقون الثوار في كل مكان، ويقفون حول المشنقة يضحكون ويصفقون، وكانوا يشدون ضحاياهم على فم المدافع ثم يطلقونها فتتناثر أشلاؤهم في كل مكان، وكانوا يلفون أجساد الضحايا المسلمين بجلود الخنازير ويخيطونها عليهم أو يدهنونهم بشحومها ثم يحرقونهم... ولم يتركوا وسيلة للتنكيل والتعذيب يتفنن العقل في إخراجها إلا فعلوها بضحاياهم... صور مخزية تمت على يد مدعى الحضارة، ستظل وصمة عار على جبينهم، وكم على جبينهم من وصمات !!"

لم يكن حقد الإنجليز على المسلمين وليد الصدفة بل كانت له جذور مسبقة حيث كانت أوروبا قد تحركت كلها لمصارعة المسلمين فيما يسمى بالحروب الصليبية، وإذا كان الفشل باء إليهم بسوريا ومصر فإن الروح الصليبية كانت متأججة في نفوس الصليبيين، وكان دخول الإنجليز الهند امتدادا لما يتطلعون إليه من محاولات للصراع ضد الدين الحنيف(٤).

---

(١) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتها، للدكتور أحمد محمود الساداتى (ط: مكتبة الآداب بالجماميز، دون تاريخ الطبع)، جـ ٢، ص ٢٩٥.
(٢) تاريخ الإسلام في الهند، للدكتور عبد المنعم النمر، ص ٤٤٩.
(٣) المرجع السابق، ص ٤٥٥، ٤٥٦.
(٤) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، للدكتور أحمد شلبى (ط: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٣م)، جـ ٨، ص ٣٢٢.

Marfat.com

هكذا نجم التدهور الثقافى والاجتماعى والسياسى عـــن تصرفـــات الانجلـيز العشوائية، وإننى إذ أحاول دراسة هذه الأوضاع وقتها أتخذ مدخلاً لدراسة شخصية الشاعر وشعره، فبدأت بالثقافة باعتبارها علما يهذب الفكـــر وتســـهم فـــي إعـــداد الشخصية الإنسانية، وأتبعت ذلك بالناحية الاجتماعية، حيث إن شاعرنا قام بـــــدور مصلح دينى وداعية إسلامى، ثم انتقلت إلى الجانب السياسى المعاصر لشاعرنا لكى نعرف دوره الايجابى وسعة أفقه في الشئون الساسية، لما للسياسة من تأثير عميـــق في النتاج الأدبى، لذا تطرقت لهذه النواحى الثلاث، وحاولت التعرف عليها لأخـــرج بعد ذلك بفكرة واضحة عن نشأة شاعرنا والإلمام بشئ عن مجتمعه، والنظر بإيجاز إلى عصره، وسنحاول أن يكون حديثنا هيناً للإحاطة بمنبت شاعرنا حتـــى نتفـــرغ لدراسته بعد معرفة الظروف السياسية التى ألمت به، وهاكم أيها القـــارئ الكريـــم حديثنا الموجز عن هذه المباحث الثلاثة والتى وضعت لها العنوانات الآتية:

أولاً: الوضع الثقافى في عصره.

ثانياً: الوضع الاجتماعى فى عصره.

ثالثاً: الوضع السياسى في عصره.

هذه المباحث الثلاثة هى مكونات الفصل الأول، فأقول وبالله التوفيق..

Marfat.com

Marfat.com

الفصل الأول

الوضع الثقافي والاجتماعي والسياسي

لشبه القارة الهندية في عصره

ويشتمل هذا الفصل علي ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الوضع الثقافي في عصره.

المبحث الثاني: الوضع الاجتماعي في عصره.

المبحث الثالث: الوضع السياسي في عصره.

Marfat.com

Marfat.com

المبحث الأول

الوضع الثقافى فى عصره

اهتم حكام شبه القارة الهندية المسلمون بتثقيف الشعب الهندى اهتماما لا ينكر، فازدهرت الحالة العلمية في عهدهم، فقد بذلوا الأموال الطائلة لتوفير العلم على أبناء الشعب، وكانت القيم الإنسانية والخلقية نصب عيون الأساتذة والمدرسين والهدف الأسمى للتعليم، ولم يكن التعليم إلا لتكوين الشخصية المتزنة والتحلى بالأخلاق الفاضلة، ولم تكن الشهادة وسيلة للحصول على الوظائف بل كانت المواهب المصحوبة بالثقافة تأخذ بأيدى الناس إلى المناصب الحكومية، يحدثنا الدكتور عبد المنعم النمر عن تطور التعليم في عهد أورنجزيب(١): "لقد ازدهر التعليم في عهده أيما ازدهار، ولم يكن ذلك عجبا فقد كان أورنجزيب عالما محبا للعلم والعلماء فكثرت المدارس في عهده كثرة لم يسبق لها مثيل، وأجرى الأرزاق على العلماء والطلاب ليتفرغوا لدراستهم، وأنشأ المساجد الكثيرة، ورتب الأرزاق للقائمين عليها.. وكانت عنايته فائقة بالثقافة والآداب الإسلامية".

هذا وقد اهتم كذلك الأغنياء من الشعب الهندى المسلمون والهنادكة من الأمراء وسادة القبائل وعامة الناس بشأن الثقافة والتعليم كل فيما ينتسب إليه من عقيدة، فكانوا يتبرعون للمؤسسات التعليمية العليا والابتدائية، فكانت للمسلمين مؤسسات فى مساجدهم وللهنادكة مؤسساتهم التعليمة في معابدهم، على أن اللغة الفارسية كانت محل الدراسة من المسلمين والهندوس لكونها اللغة الرسمية في الهند

---

(١) تاريخ الإسلام في الهند، للدكتور عبد المنعم النمر، ص ٢٨٧

Marfat.com

آنذاك، وكانت المؤسسات التعليمية العليا تختار الأساتذة المتميزين بدرجة عالية من الثقافة، وكان الطلاب يدرسون دون سداد أى رسوم كما كان الأساتذة لا يتقاضون إلا مرتبات منخفضة، إلا أن بعض الحكام كان يقطع لبعض الأساتذة شيئا من المقاطعات وبذلك يحسن الدخل وتعم الفائدة، هذا وكان هناك نوع آخر من الأساتذة الأغنياء الذين كانوا يقومون بتدريس تلاميذهم مجانا، ومع هذا كانوا يتحملون تكلفة إعاشة هؤلاء التلاميذ(١).

هكذا كان الوضع الثقافى السائد في الهند قبل سيطرة الإنجليز على شبه القارة الهندية، ولكنه لما تمكن أدعياء المدنية والحضارة من السيطرة الغاشمة - المبنية على الخداع والخيانة - على شبه القارة الهندية قضوا على منابع النور والمعرفة، حينئذ عم الظلام في الشعب الهندى مسلمهم وغير مسلمهم من أصحاب الديانات الأخرى، وها هو ذا أحد المستعمرين مستر لدلو يعترف بآثارهم السيئة التى باءت إلى ثقافة الشعب الهندى فيقول(٢): "في العصور الماضية كانت المدارس الكثيرة في كل قرية، وأبناؤها كانوا يتعلمون فيها، ولكن بعد ما سيطرنا عليها أغلقنا المدارس، فأصبحوا جهالا" والخير ما شهد به الأعداء، لعلها كانت هذه هى المكافئة الأولى من الإنجليز للهنود حكومة وشعبا مقابل الترحيب والإكرام سالفى الذكر، وإن هؤلاء الغاصبين أقدموا على فرض أنظمة التعليم الإنجليزية - في المرحلة الثانية - على الشعب الهندى المقهور وذلك لتحقيق أهداف مدروسة يحدثنا عنها الدكتور عبد المنعم النمر(٣): "إن الإنجليز لما بدأوا في تنظيم سيطرتهم على الهند منذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادى كانت أمامهم أهداف ولكنهم أخذوا يضعونها فى قوالب براقة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، وكان من أعمالهم ثم من خططهم

---

(١) انظر: تاريخ تعليم هند (تاريخ التعليم في الهند)، للشريف نور الله (ط: ساوتهـ ايشين يبلشر كراتشى، ١٩٨١م)، ص ٤٩، ٥٠.

(٢) تاريخ الإسلام في الهند، للدكتور عبد المنعم النمر، ص ٣٧٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٩٨.

Marfat.com

أن يقضوا على التعليم الوطنى الحر الذى كان يقوم به الملوك السابقون والأغنياء من الشعب، وكان تعليما غير مدخول يهدف إلى تربية النفس وتقويمها وإعدادها لخدمة دينها وبلادها، وطبعا وجد الإنجليز في هذا التعليم خطرا عليهم فقضوا عليه، ثم لم يقيموا بدله شيئا يذكر، فقد كانت خطتهم أن يعصبوا عيون الشعب حتى لا يرى مهازلهم ويحصى مفاسدهم ويقوم في وجههم كما حدث في أمريكا، وكانوا يعلمون ذلك تماما ويعملون بما قاله أحدهم وهو مستر سميدى: "إذا غلب شعب أو قطر على أمره فلابد أن القوة الفاتحة تفسد على المفتوحين تعليمهم وتأخذ زمامهم بأيديها طوعا أو كرها، فمما لاريب فيه أن العلم لا يمكن أن يرضى بالعبودية ".

هكذا قام الاستبداد الإنجليزى بإفساد النظم التعليمية الهندية وسلب روح الدين والوطنية من التعليم بفرض النظم التعليمية المعينة للمستعمر، حيث كانت هذه النظم الجديدة منبثقة من رغبة الإنجليز في امتداد حكمهم على شبه القارة الهندية، ولكن المسلمين - بصفة خاصة - لم يتاثروا بالنظم التعليمية الإنجليزية، وفي هذا يقول المفكر الإسلامى عباس محمود العقاد[1]: "وكانت الثقافة الفارسية هى ثقافة المسلمين، فجاءت المدارس الأوروبية الحديثة، ولم يقبل عليها المسلمون لأنها كانت على الأكثر في أيدى المبشرين المتفرنجين".

وفعلا كان الإنجليز استقدموا معهم طوائف المبشرين لتمهد في الهند طرق الاستقرار أمام الدكتاتورية البريطانية، ولكى تغزو الصليبية ميدان الثقافة منفسة عن حقدها، لذا أصيب المسلمون بالصدمة العنيفة والهزة النفسية الشديدة نتيجة للإجراءات العدوانية التى اتخذها الاستبداد الإنجليزى ضد الشعب الهندى بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة، فإن الإنجليز استبدلوا المناهج الدراسية الهندية القديمة بمناهج حديثة تعادى مبادئ الإسلام وتثبت الأفكار المسيحية في نفوس

---

(١) القائد الأعظم محمد على جناح، للعباس محمود العقاد (ط: دار الهلال بالقاهرة، ١٣٧٢هـ)، ص ٤٢.

Marfat.com

التلاميذ، فأبعد المسلمون أولادهم عن هذه المدارس التبشيرية ولكن كثيرا من الهندوس انتهزوا هذه الفرصة، وفي هذا يقول الدكتور إحسان حقى(١): "رأى المسلمون ما حل بهم وما يقاسونه من سوء معاملة الإنجليز فلجأوا إلى سياسة الانكفاء، وأصدر العلماء فتاواهم بعدم جواز التعامل مع الإنجليز بأية صورة كانت، فاغتنم الهنادكة هذه الفرصة ومدوا أيديهم إلى الإنجليز، وأخذوا يتعلمون لغتهم ويتعاونون معهم فاحتلوا بعض المناصب الحكومية فأصبحوا هم والإنجليز يتولون أمر البلاد". وبهذا ازداد خسران المسلمين بيد أن الهنادكة استطاعوا تحقيق مصالحهم الثقافية وبالتالى الاجتماعية فاجتمعت مصالح الهنادكة مع مصالح الإنجليز وبالتالى اتحد الاثنان على عداء المسلمين، وخلاصة القول: إن عقول الإنجليز تمركزت على إضرار المسلمين ثقافياً ليقعوا فريسة التخلف عن ركب الثقافة وعن هذا يحدثنا الدكتور محمد البهى قائلاً(٢): "إن الإنجليز سلبوا أوقاف المساجد والمدارس، ونفوا علماءهم وعظماءهم إلى جزيرة إندومان رجاء أن تفيد هذه الوسيلة فى رد المسلمين عن دينهم بإسقاطهم في أغوار الجهل بعقائدهم حتى يذهلوا عما فرضه الله عليهم".

لقد حاول أولئك الحكام الجائرون كل المحاولة لدفع المسلمين إلى ظلام الجهل بإغلاق المدارس الدينية والمساجد وسلب أوقافهما، وإعدام جماعة من علماء الدين الحنيف المناضلين، كما تم نفى بعضهم إلى جزيرة إندومان، ولكن ثقة المسلمين في عقيدتهم جعلت تلك المحاولات تبوء بالفشل، وفي هذا يقول الشيخ مشتاق أحمد

---

(١) محمد على جناح بانى باكستان. حياته وسياسته، للدكتور إحسان حقى (ط: دار الفكر، دمشق، ١٤٠٧هـ)، ص ٢٤.

(٢) انظر: الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى، للدكتور محمد البهى (الطبعة: الثانية، ١٩٦٠م)، ص ١٥، ١٦، ١٩، ٣٠.

Marfat.com

شاه[١]: "وفي مثل هذه الظروف الصعبة قام بعض العلماء لتنشيط الحركة العلمية، وعلى رأسهم الإمام ولى الله المحدث الدهلوى، وابنه سراج الهند الإمام عبد العزيز المحدث الدهلوى، وتبعهما علماء كثيرون سلوكا ومنهجا، فقاموا بإضاءة الهند بنور العلم والمعرفة، منهم الإمام أحمد رضا خان الذى يتصل سنده بالإمام عبد العزيز المحدث الدهلوى بواسطة الشيخ آل رسول المارهروى، فقام بدوره في سد الفراغ الذى نشأ بسبب استشهاد بعض العلماء ونفى بعضهم على يد الإنجليز".

ومن المعلوم أن شاعرنا الفقيه الشيخ أحمد رضا خان كان قد أقام معهدا علميا في مدينة بريلى وذلك لنشر العلوم الإسلامية والعربية في عصر الانهيار الثقافى الذى عايشه شاعرنا، والذى أصاب المسلمين للأسباب التى سبق أن أشرنا اليها، وبالتالى قام تلاميذه بإنشاء المعاهد الدينية في ربوع الهند لنشر تلكم العلوم التى أراد الإنجليز إبعاد المسلمين عنها باتخاذ الإجراءات المشددة سالفة الذكر.

ومن عداء شاعرنا للنظم التعليمية الإنجليزية أنه لم يتحدث بها رغم علمه بها، هذا ما أميل إليه، فقد كان يعرف اللغة العربية والفارسية والأردية والهندية، فلم يكن صعبا عليه أن يتعلم اللغة الإنجليزية، ولكنه ترفع عن التحدث بها نظرا للعدوان الإنجليزى على المعاهد الدينية - معاقل اللغة العربية - في شبه القارة الهندية، واعتدائهم على اللغة الفارسية - لغة الهند الرسمية في العهد الإسلامى بالهند - وقيامهم بإعدام بعض كبار علماء الدين الحنيف، ونفى بعضهم إلى جزيرة إندومان، وما إلى ذلك، فكل هذا جعل شاعرنا يكره الإنجليز ولغتهم كل الكراهية وفي هذا يقول شاعرنا الفقيه[٢]: "إن الإنجليزية والمقررات الفارغة الأخرى التى لا

---

(١) انظر: الإمام أحمد رضا خان وأثره في الفقه الحنفى، للشيخ مشتاق أحمد شاه، رسالة ماجستير مخطوطة بمكتبة رسائل الماجستير بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر الشريف، تحت رقم ٣١٥٩، ص ١٢٤.

(٢) رسائل رضوية (الرسائل الرضوية) للشيخ احمد رضا خان / رتبه مولانا عبد الحكيم أختر شاهجا نفورى (ط: مكتبة حامدية لاهور، ١٣٩٦م)، جـ ٢، ص ٩٣.

Marfat.com

تعود بالنفع على الدين والدنيا، وقد فرضت على الطلاب لكى يظلوا غـــافلين عـــن دينهم مشتغلين بها، وحتى لا تنشأ فيهم الحمية الدينية، ولا يعلم الشباب عن دينـــهم شيئا".

هذا ونجد الشيخ أحمد رضا خان ينتقد الدراسة الغربية التى جاء بها الاستبداد الإنجليزى، حيث إن شاعرنا اقترح عشر نقاط تعليمية للمسلمين وعلى رأســـها(١): "يجب أن تحتل الدراسة الإسلامية مكانة جوهرية، وأصلية مـــن بيـــن المقـــررات الدراسية، وأن يكون الإسلام هو قطب رحى التعليم، حتى يعرف كل فرد من أبنـــاء الأمة الإسلامية هويته ودينه".

هذا هو إحساس شاعرنا نحو التعليم، ولم يكن هذا الشعور إلا رد فعـــل فـــي مواجهة النظم التعليمية التى فرضها اللورد ماكولى على الشعب الهندى لإعداد جيل هندى اللون والدم وإنجليزى الفكر والعقلية، ولم يكن شاعرنا بمعزل عن معاصريـــه من المفكرين في اتخاذ موقفه هذا من التعليم حسب النظم التعليمية الإنجليزية بـــل اتحدت فكرته مع المصلحين المفكرين الذين عاصرهم، فعلى ســـبيل المثـــال نجـــد صدى موقفه في أدبى الدكتور محمد اقبال وأكبر إله آبادى.

وإذا كان الإنجليز قد أحلوا النظم التعليمية الحديثة محل النظم التعليمية الهندية الحرة فقد شنوا حملة ثقافية أخرى تستهدف زعزعة إيمان المسلمين بالمبشرين أولا ثم بإنشاء طائفة من المفكرين المخدوعين من داخل صفوف المسلمين باسم الحركـــة التقدمية – من المنظور الغربى – في الإسلام(٢)، فاتخذ شاعرنا موقفا حاسما مـــن الاجتماعات التبشيرية التى كانت تثار فيها الشـــكوك فـــي الإســـلام، حيـــث كـــان المسلمون يستمعون إليهم فقام شاعرنا بتنبيه المسلمين إلى مغبة تلكم المحـــاضرات

---

(١) إمام أحمد رضا، كانظرية تعليم (نظرية الإمام أحمد رضا التعليمية)، لمولانا جلال الدين القادرى (ط: مركزى مجلس رضا لاهور، ١٩٨٤م). ص ٥٥

(٢) راجع: الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى، للدكتور محمد البهى، ص ١٥.

Marfat.com

فنجده يقول[١]: "إن عامة الناس من إخواننا في الإيمان والإسلام يقعون في أشد أنواع الجهل وذلك عند تلبيتهم لنداءات المسيحيين بشأن تنظيم اجتماع لإثبات مبادئ المسيحية، أيها الاخوة أنتم أكثر دراية بنفعكم أم الله - سبحانه وتعالى -؟ فإن الله - تعالى - ورسوله - ﷺ - يأمرانكم بطرد الشيطان وتكذيبه بمجرد مجيئه إليكم حتى لا تسمعوا كلمات ملعونة عن ربكم ونبيكم وقرآنكم، وإن أولئكم القسس لا ينادونكم للحضور إلى اجتماعهم إلا طمعا في زعزعة إيمانكم بأسلوب مخطط ومدروس حيث إنهم يأتون باتهامات شيطانية ملعونة تفتق أكبادنا، وإن أهل الخرافة هؤلاء لا يتفوهون بإساءة إلى ربنا - تبارك وتعالى - وحبيبنا المصطفى - ﷺ - والقرآن الكريم إلا لاستماعكم إليهم، فليتكم اتحدتم على عدم الانصات إلى تلك الطائفة، ثم بعد ذلك هل تتوجه تلك الطائفة بخرافاتها إلى الجدران والأحجار؟ أنتم تدفعونهم إلى مثل هذه الخرافات بالاستماع إليهم، ومن هنا فمن يكون موضع العقاب الإلهى كنتيجة لتلك الخرافات".

واتخذ شاعرنا موقفا واضحا كذلك من حركة التغريب أو ما يسمى حركة التقدمية في الإسلام وكان السير سيد أحمد خان[٢] على رأس المخدوعين الذين تحمسوا لهذه الحركة، وكانت هذه الحركة مقدمة وتمهيدا لنشأة القاديانية في الهند، وكل ذلك لزعزعة إيمان المسلمين وبالتالى لتثبيت أقدام الإنجليز في الهند[٣]، ولم

---

(١) انظر: العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية، للشيخ أحمد رضا خان (ط: الشيخ غلام على وأبنائه بلاهور بدون تاريخ الطبع)، جـ ١، ص ٢١٥.

(٢) وند السير سيد أحمد بن المتقى في عام ١٢٣٢هـ بدهلى، وتربى في حجر أمه وجده لأمه فريد الدين، قرأ مختلف العلوم النقلية والعقلية على علماء عصره، ولما ثار الشعب ضد الإنجليز سنة ١٢٧٣هـ وقف إلى جانب الإنجليز، ولما أخمدت الثورة عين له الإنجليز راتبا شهريا قدره مائتا روبية طيلة حياته ولولده الكبير كذلك، وسافر مع ولديه حامد ومحمود إلى بريطانيا سنة ١٢٨٦هـ وأقام في لندن سنة وخمسة أشهر زار خلالها المراكز الثقافية والمجامع العلمية وبعض الجامعات والمصانع الكبيرة، واطلع على بعض المشاريع العلمية والفنية، والتقى بكبار المفكرين وأعيان الدولة، وقابل الملكة فيكتوريا أيضا، توفى سنة ١٣١٥هـ.
راجع نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للشريف عبد الحى اللكنوى (ط: دائرة المعارف الإسلامية بحيدر أباد الدكن الهند، سنة ١٤٠٢هـ)، جـ ٨، ص ٣٠ : ٣٤.

(٣) انظر: الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى، للدكتور محمد البهى، ص ١٦، ١٩، ٣٠.

Marfat.com

يلبث شاعرنا أن انخرط في سلك المتصدين للهجوم الثقافى الذى شنه الإنجليز، فكان شاعرنا من بين زعماء حركة المقاومة للاستعمار والاستشراق، فكان شديد الكراهية للإنجليز لم لا فقد توارث هذه الكراهية من والده وجده واقتنع بها، وكان دأبه أن يكتب العنوان على المظروف البريدى بحيث يجعل رأس الجورج الخامس البريطانى - الذى طبعت صورته على مظاريف البريد - إلى الأسفل(١)، وكان يفخر بتصرفه هذا بغضا وكراهية للإنجليز(٢)، ولقد طلبته المحكمة الإنجليزية - ذات مرة في قضية سجلت ضده ولكنه أبى أن يمثل أمام المحكمة قائلا: إنى لا أعترف بالحكم الإنجليزى فكيف أخضع لمحكمته طالبا منها العدل والانصاف؟! وبالتالى لم يحضر المحكمة حتى بعد تسجيل قضية إهانة المحكمة ضده بسبب عدم حضوره إلى المحكمة(٣) إلى أن استردت المحكمة هذه القضية دون المحاكمة وذلك نظرا لمكانة شاعرنا في قلوب الشعب، وخوفا من رد فعل المسلمين ضد الإنجليز حيث إنهم كانوا قد تلقنوا درسا من الثورة الإسلامية الهندية، فقد كان للمسلمين في قيامها دورا بارزا، وكانت حماية الله - سبحانه وتعالى - قد أظلته فوقته شر كيد الأعداء الصليبيين.

فإذا كان ثمة أناس تأثروا بالإغراءات الإنجليزية البراقة في ظاهر الأمر، فإن شاعرنا كان من الذين ازدادوا تحمسا للدين الحنيف فلم يتأثر من الأساطير العلمية التى نسجتها عقول الإنجليز باسم التقدمية وذلك لإخضاع عقول الهنود المقهورين، فلم يزل شاعرنا يقوم بدوره كداعية إسلامى ومصلح دينى يغرس حب الإسلام وبغض الكفر والكفرة في قلوب المسلمين، وقد أسهم في إعداد الكوادر العلمية أيضا وبعثهم إلى شتى أرجاء الهند لمواجهة الثقافة الغربية، وإعداد الأذهان لاستقبال القيم

---

(١) انظر الصورة الشمسية لهذا المظروف ورأس جورج المنكس في الملحق لهذه الرسالة.

(٢) كناه بى كناهى (جريمة البراءة) للأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد (ط: أكاديمية رضا بلاهور ١٩٨٨م)، ص ٣٨.

(٣) جهان رضا (عالم الدراسات الرضوية) لمولانا مريد أحمد الجشتى (ط: مركزى مجلس رضا لاهور، ١٤٠١هـ)، ص ١١٨.

Marfat.com

الإسلامية، ومقاومة البدع التى تسربت في المسلمين خلال عصر الانحطاط نتيجة لتخطيط الإنجليز، فتصدى شاعرنا لما يسمى بالحركة التقدمية في الإسلام، وبالطبع وجه شاعرنا نقده إلى الطائفتين اللتين غرستهما يد الإنجليز لإهانة العقيدة الإسلامية وزعزعة إيمان المسلمين، وقد عرفت هاتان الطائفتان بالدهرية والقاديانية، فقد اتخذ شاعرنا موقفا حاسما غيورا منهما، وبالتالى تصدى للرد عليهما نظما ونثرا، حيث إنه ألف في الرد على الدهريين تحت عنوان: "الدلائل القاهرة في الرد على الكفرة النياشرة" (أى الطبيعين) كما نظم بالعربية قصيدة في أربعة وسبعين ومائة بيت في الرد على الفرق المخالفة لإجماع أهل السنة والجماعة - وعلى رأسها الدهرية - وذلك تحت عنوان: "آمال الأبرار وآلام الأشرار"[1] وكان شاعرنا شديدا على القاديانيين كذلك فألف أربعة كتب في الرد على القاديانية باللغة الأردية وأسماؤها كالتالى: المبين في ختم النبيين، قهر الديان على المرتد بقاديان، السوء والعقاب على المسيح الكذاب، الجراز الديانى على المرتد القاديانى، وكان شاعرنا قد نظم قصيدة عربية طويلة في الرد على المتنبئ القاديانى أشار إليها مولانا محمود أحمد القادرى[2] والأستاذ حازم محمد أحمد عبد الرحيم المحفوظ[3]، ولكن لم يعثر الباحث على هذه القصيدة بيد أن الأمل مازال يراود قلبه في الإطلاع على القصيدة

---

(١) إننا نحاول دراسة هذه القصيدة في الفصل الثالث من الباب الثانى لهذا البحث.

(٢) إمام أحمد رضا كى كياره عربى أشعار (أحد عشر بيتا عربيا للإمام أحمد رضا) لمولانا محمود أحمد القادرى (ط: الإصلاح يبلى كيشنز ملتان، بدون سنة الطبع)، ص ٣، ٤.

(٣) هو الأستاذ حازم محمد أحمد عبد الرحيم المحفوظ، المدرس المساعد بقسم اللغة الأردية كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر الشريف، حصل على درجة التخصص الماجستير من قسم لغات الأمم الإسلامية بكلية الآداب جامعة عين شمس في عام ١٩٩٣م في اللغة الأردية وادابها، وإنه خلال الفترة الدراسية أجاد وأتقن اللغة الأردية، وبعد حصوله على درجة التخصص الماجستير قام بالتسجيل لدرجة الدكتوراه، وبعدها سافر عام ١٩٩٥م إلى جامعة بنجاب بمدينة لاهور استاذا زائرا بها وأمضى هناك خمسة عشر شهرا، وإنه خلال إقامته في باكستان قام بجمع وترتيب وتحقيق أشعار الشيخ أحمد رضا خان في ديوان عنوانه "بساتين الغفران".
راجع: بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان / رتبه الاستاذ حازم محمد أحمد (ط: ١، طبع بمشاركة أكاديمية رضا بمدينة ستاك بورت إنجلترا، ومجمع بحوث الامام احمد رضا، ورضا دار الاشاعة ١٤١٨هـ)، لاهور، ص ١٨:٢٤، ٤٤.

Marfat.com

- المشار اليها - في المستقبل باذن الواحد الأحد، علما بأننى سألت محقق الديوان عن هذه القصيدة فأخبرنى بأنه علم بوجودها ولكنه لم يطلع عليها. وبذلك أكون قد أتيت على الحديث عن الوضع الثقافى في عصر شاعرنا، ولعلي أكون قد استطعت أن أوضح الأوضاع الثقافية التى عاصرها شاعرنا في وقت كانت الهند ترزح تحت نير الاستعمار وممارسة شرسة ضد التعليم الهندى المحلى، سواء كانت الثقافة إسلامية أم تتصل بموروثات الهندوس، وما دمنا قد حاولنا الوقوف على بعض سمات الوضع الثقافى الذى عاصره شاعرنا فلنربط الآن بينه والوضع الاجتماعى إبان وجوده، وهذا هو موضوع المبحث الثانى.

Marfat.com

المبحث الثانى

الوضع الاجتماعى فى عصره

لقد حاولنا في المبحث الأول أن نبين أسباب قيام الإنجليز بتغيير الأوضاع الثقافية من الاستقرار إلى قلاقل في الهند فلننظر الآن إلى الحالة التى آلت إليها شبه القارة الهندية من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، فنجد أن التدهور الاجتماعى والاقتصادى كان قد ألم بالمجتمع الهندى بشكل رهيب نتيجة لتصرفات الإنجليز الوحشية، حيث إنهم قتلوا النفوس وسلبوا النفيس ودمروا البلاد لترهيب الهنود المقهورين فحل بالمسلمين - على الأخص - دمار نتج عنه تدهور أحوالهم الاقتصادية أكثر من مواطنيهم الهندوس والسيخ كما اعترف الزعيم الهندوسى باندت جواهرلال فكتب في سيرته الذاتية أنه: "بعد سنة سبع وخمسين من القرن التاسع عشر الميلادى كانت اليد القوية للبريطان أشد وطأة على المسلمين منها على الهندوس"(١)

هذا ويخبرنا الكاتب الإنجليزى ويليام هنتر عن سياسة الاضطهاد التى قام بها الإنجليز ضد المسلمين بقوله(٢): "إنه لن يجدينا أن نصم آذاننا عن هذه الحقيقة الماثلة من أن المسلمين الهنود قد ارتكبنا ضدهم أمورا خطيرة لم ترتكبها حكومة من الحكومات، إنهم يستطيعون مقاضاتنا عن هذه الأمور، يقاضوننا عن إغلاق كل

---

(١) العلامة محمد اقبال حياته وآثاره، للدكتور أحمد معوض (ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، ١٩٨٠م)، ص ١١٨، ١١٩.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامى، للدكتور أحمد شلبى، جـ ٨، ص ٣٢٣.

Marfat.com

حياة كريمة في وجوههم، ويقاضوننا عن نظام الاقتصاد الذى حكم عليهم بالفقر، لقد عاش ملايين المسلمين في الهند بعد سقوط دولة المغول في تعاسة وشقاء بعد أن فقدوا كبرياءهم وأملاكهم وقوتهم".

ومن المعلوم أن الهنادكة قاموا جنباً إلى جنب مع المسلمين خلال الثورة الهندية حيث إنهم عاشوا مع المسلمين عدة قرون جيلاً بعد جيل في وفاق ووحدة، فساهموا في حركة استقلال الهند بالنفس والنفيس وإن كان المسلمون أكثر تحمساً لاسترداد الحرية والاستقلال، وهذا التضامن لم يكن في صالح الإنجليز إنما كان التفكك والشقاق ضامنين لتثبيت أقدامهم، لذا أخذ الإنجليز يخططون ويفكرون في خرق هذا الوفاق وبالتالى استجلاب الهنادكة. وعن هذا يخبرنا الدكتور أحمد محمود الساداتى قائلا(١): "إن المستعمرين البريطانيين أخذوا يزيفون تاريخ الحكم الإسلامى بالهند ويظهرون سلاطين المسلمين وعمالهم مظهر الطغاة، ثم انطلقوا من بعد ذلك يدعون الهنادكة إلى إحياء ماضيهم القديم قصد إثارتهم بذلك على مواطنيهم من المسلمين لينجلى كل ذلك فيما بعد عن مذابح رهيبة متكررة بينهم وخلافات عميقة متواصلة شغلتهم جميعا حينا طويلا من الدهر حمله مناوءة الحكم البريطانى بالهند... لقد بلغ من عداء الحاكم البريطانى لورد ألنبرو للمسلمين أنه أمر بنزع بعض بوابات رآها بغزنة حين دخل البريطانيون أفغانستان بزعم أنها أجزاء من معبد سومنات حملها محمود الغزنوى معه من الهند بعد أن خرب معبد الهنادكة في أوائل القرن الخامس الهجرى تقرباً إلى الهنادكة وتذكيراً لهم بما كان بين المسلمين وبينهم، واشعالاً لنار العداوة التى لم تكن موجودة قبل مجيئ الإنجليز إلى الهند". فكان كيد الإنجليز ناجحا بمعنى الكلمة فحل البغض والكراهية بين المسلمين والهنادكة محل الود والوحدة، واقترب الهنادكة من الإنجليز مبتعدين عن المسلمين، وهكذا تغير الحب والتوافق بين المسلمين والسيخ إلى كراهية وتنافر بل حروب

---

(١) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، للدكتور أحمد محمود الساداتى، جـ ٢، ص ٢٩٨.

Marfat.com

حين تطلب الأمر وذلك بعد الجهد الذى بذله الاستعمار البريطانى في سبيل إيجاد الهوة بين المسلمين وغيرهم من شعوب الهند المختلفة. وهكذا نجح الإنجليز في استقطاب السيخ وتعكير صفو العلاقات بين المسلمين وطائفة السيخ أيضا. فاجتمع الإنجليز والهنادكة والسيخ على عداء المسلمين، واستملح الإنجليز فرصة الاضطهاد للمسلمين بكل بشاعة ووحشية مما أدى إلى تدهور المسلمين اجتماعيا واقتصاديا، وبهذا تحقق للإنجليز إذلال المسلمين للتنفيس عن الهزيمة في الحروب الصليبية والسيطرة على خيرات شبه القارة الهندية.

لقد اعترف ميكلم لويتس - أحد قضاة الإنجليز بمدينة مدراس - بكل ما ارتكبه بنو جلدته من جرائم تنافى الإنسانية فيقول(١): "نحن أذللنا السادة في الهند ومسخنا قانون وراثتهم، وغيرنا قواعد الأعياد وعقود النكاح، وما وقرنا شعائر مذاهبهم بل كنا نضحك عليهم، ونجعل شعائرهم سخرية، وأخذنا أوقاف المساجد... وخربنا جميع البلاد، وفرضنا عليهم الضرائب الباهظة، وجعلنا أعزة أهلها أذلة يتيهون في الأرض". ومع ذلك لم ينقطع خوفهم من المسلمين فتعددت هجماتهم عليهم دون مراعاة لضمير أو شرف أو قانون وعن هذا يحدثنا الاستاذ عباس محمود العقاد قائلا(٢): "إن الإنجليز عملوا على إضعاف شوكة المسلمين وإقصائهم من الوظائف كبيرها وصغيرها، وكان المسلمون أثناء إقامة دولتهم قانعين من الحياة العامة بالوظيفة الحكومية" وقد كشف الدكتور ويليام هنتر غطاء عن إقدام الإنجليز رسميا على إبعاد المسلمين من الوظائف الحكومية وذلك تقريبا للهنادكة فنجده يقول(٣): "المسلمون وإن كانوا يملكون المؤهلات لوظيفة ولكنهم كانوا يمنعون عن

---

(١) تاريخ الإسلام في الهند، للدكتور عبد المنعم النمر، ص ٣٨٣.
(٢) القائد الأعظم محمد على جناح، لعباس محمود العقاد، ص ٢٨.
(٣) الإمام عبد الحى اللكنوى علامة الهند وإمام المحدثين والفقهاء، للدكتور ولى الدين الندوى (ط: دار القلم، دمشق، ١٤١٥هـ)، ص ٣٢.

Marfat.com

ذلك ببلاغ رسمى، وقد أعلن في بعض البلاغات الرسمية أن الوظائف الفلانيـــة لا يقبل فيها إلا الهنادكة".

ويشير الدكتور أحمد شلبى إلى بعض الوظائف التى لـــم يصـــرح بذكرهـــا الدكتور ويليام هنتر، تلكم الوظائف التى حرم المسلمون منها ببلاغات رسمية، ففـــى هذا يقول(١): "إن الإنجليز من أجل استقرار الأحوال بالهند - كما يرغبون ويرون رؤيتهم في هذه الأمور - اتخذوا كل الوسائل التى تضعـــف المســـلمين ووضعـــوا قوانين جديدة لحكم البلاد، وعينوا قضاة للحكم بهذه القوانين من الإنجليز والهندوس، واستولوا على أموال الأوقاف التى كانت تنفق منها على التعليم ومراكز العبـــادة... واستبعد المسلمون كذلك من المناصب الكبرى، وكل هذا الوضع وضـــع حواجـــز ضخمة بين الإنجليز والمسلمين بوجه خاص".

هكذا تحققت أطماع الإنجليز في السيطرة على شبه القارة الهندية والحصـــول على ثرواتها وخيراتها مما جعل شبح الخراب يخيم على البلاد فتجرع الهنود بصفة عامة والمسلمون بصفة خاصة كأس الذل والفقر بعد أن كانوا أعز الناس وأغنـــاهم الأمر الذى دفع ولسن يرثى الهند قائلا(٢): "إن جلب المال من الهند لإنجلترا جـــعل الهند جسما بلا روح، فإن استنزاف الدم من رجل مريض بفقر الدم يقضى عليه".

هكذا انتشر اليأس في أجزاء شبه القارة، وكل من استسلم للإنجليز اســـترجع مكانته الاجتماعية من الناحية الاقتصادية، فنشأ جو انتهازى، وكان المسلمون أكـــثر خسارة من غيرهم وذلك لعدم إقدامهم على الاستسلام للإنجليز اللـــهم إلا القليلـــون منهم الذين اشتروا الدنيا بالآخرة، وفي ضوء هذه الظروف نرى الكثيرين من علماء الدين الحنيف ومشايخ الطرق الصوفية حاولوا أن يقوموا بنشر الوعى الإســـلامى، واسترجاع المسلمين إلى مبادئهم الدينية، لعلهم في ذلك يجدون منفذا من مأزقـــهم،

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى للدكتور أحمد شلبى، جـ ٨، ص ٣٢٣.
(٢) تاريخ الإسلام في الهند للدكتور عبد المنعم النمر، ص ٢٩٤.

Marfat.com

وكان شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان من بين أولئكم المصلحين الصفوة الذين قاموا بدورهم كداعية دينى حينما كان الوضع الاجتماعى متدهورا من الناحية الاقتصادية ولم يكتف شاعرنا بأن يكون من الدعاة إلى التحلى بالأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة فقط، بل كان رجل تفكير وتصميم وعمل، وفي هذا يقول الاستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد[١]: "كان الشيخ أحمد رضا خان يقول: إن آمال الأمة وتطلعاتها لا تتحقق بمجرد العواطف، وإنما يلزم عنده التدعيم الاقتصادى للمنعة القومية والوطنية، مع توعية الشعب توعية صحيحة، وإصلاح أخلاقه وعاداته، وتقويم عقائده ونظرياته، فنظرا إلى الأوضاع الاقتصادية المتدهورة لمسلمى شبه القارة الهندية تقدم الشيخ أحمد رضا خان بالمبادئ الآتية من أجل تحسين تلك الأوضاع في العام الثانى عشر من القرن العشرين (أى قبل نهاية الحكم الإنجليزى بخمس وثلاثين سنة):

(١) يجب للمسلمين أن يحكموا في قضاياهم فيما بينهم سوى القضايا التى تتدخل فيها الحكومة الإنجليزية لئلا تستنزف الملايين من الروبيات (العملة الهندية) في المحاكمات.

(٢) وأن ينشئ الموسرون من المسلمين البنوك لإخوانهم في بومباى وكلكته ورانجون، ومدراس وحيدر آباد الدكن.

(٣) وألا يشتروا من غير إخوانهم المسلمين.

(٤) وأن يسعوا ويجدوا في نشر التعليم الدينى".

من كان لا يعرف الشيخ أحمد رضا فسوف يتصور بعد الاطلاع على هذه النقاط الأربعة - أنه عالم اقتصاد، ولا أدرى بأى الأمرين كانت ولادة هذه النقاط،

---

(١) انظر: الشيخ أحمد رضا خان البريلوى وشئ من حياته وأفكاره وخدماته للأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد، تعريب مولانا محمد عارف الله المصباحى (ط: مؤسسة رضا بلاهور، ١٤١١هـ)، ص ٧٧، وانظر: تدبير فلاح ونجاة واصلاح (تدبير الفلاح والنجاة والإصلاح) للشيخ أحمد رضا خان (ط: كلكته، ١٣١٣هـ).

Marfat.com

بالإحساس أم الفكر أم بهما جميعا، وهذا ما أراه، انظر أيها القارئ الكريم كيف فكر الشاعر، وكيف أحس العالم الفقيه بما يصلح معه أمر المسلمين، إنه احساس شاعر وفكر عالم قد أملى هذه النقاط الأربعة، ومثل هذا الذى استوقفنى وجعلنى أختار الشيخ أحمد رضا خان لهذه الدراسة، ونلاحظ أن المبدأ الرابع، وإن لم يكن وثيق الصلة – في ظاهر الأمر – بعلم الاقتصاد ولكنه في نظر الشيخ أحمد رضا خان أساس للاقتصاد الإسلامى، لأن الاقتصاد إذا انفصل عن الدراسات الدينية كيف يحتفظ اتجاهه الإسلامى، فلابد إذن أن يكون الدين مصحوبا بكل علم حتى تتدفق العلوم من ينبوع الإسلام، وتنصب في بحره الذى لا ساحل له، وحينئذ يسقى العالم بعضه بعضا، ولا ننسى أن الدين الإسلامى أساسا عنى بسائر الأشياء المحيطة بالإنسان والتى فيها سعادته، ومن أهمها الناحية الاقتصادية، فقد تناولها الدين بالبحث والتفصيل زكاة وصدقة ومعاملات وغير ذلك مما يعين على إقامة الحياة الاقتصادية السليمة، ومن هذا المنظور نستطيع معشر المسلمين أن نتعلم كل علم معتزين بديننا الحنيف، دون التأثر بأى حضارة مهما كانت تدعى الرقى فإن الإسلام دين علم وفكرة وحضارة وعاطفة، فلا جهل ولا جمود ولا تنطع في الإسلام، وبهذا أعتقد أننى تحدثت عن الوضع الاجتماعى في عصر شاعرنا وقيامه بأداء مهمته.

Marfat.com

المبحث الثالث

الوضع السياسى فى عصره

تمهيد

عرضنا فيما سبق لسيطرة الإنجليز على الهند وإحلالهم الزعزعة محل الاستقرار، والاهانة مكان الكرامة، والفقر موضع الغنى، والجهل في أرض كانت تنشر نور العلم، وإنهم بعد إحباطهم الثورة الهندية بلغوا القمة في الظلم والاستبداد لتغمر هيبتهم البلاد المقهورة ولا تقوم لأهلها قائمة، ولكنهم أحسوا بحاجة إلى حزب سياسى يكون حلقة الاتصال بين الشعب وحاكميه "فقام موظف إنجليزى مستر هيوم بوضع دستور حزب سياسى في العام الخامس والثمانين من القرن التاسع عشر الميلادى، وسمى هذا الحزب بـ "المؤتمر الهندى الوطنى" فكان أول حزب سياسى أنشئ في البلاد، وإنه وإن كان من صنع الإنجليز فلم ير بعض المسلمين من بأس في الانضمام إليه"(١) فكان من المتوقع أن تقع رئاسة هذا الحزب في يد الهنادكة وهذا ما حدث فعلا، لأنهم كانوا مقربين من الإنجليز بينما كان المسلمون متباعدين مباعدين لدى الإنجليز، وكان المسلمون ينتظرون حسن التعامل من الهنادكة نظرا للتعايش السلمى الطويل معهم، لذا انخرطوا في سلك المؤتمر الهندى في بداية الأمر طمعا ورغبة في استقلال الهند من يد الإنجليز، وسعادة المسلمين تبددت بعد مرور

---

(١) محمد على جناح بانى باكستان، للدكتور احسان حقى، ص ٣٠.

Marfat.com

عدة سنوات، فإنهم اكتشفوا سوء نية الهنادكة خلال التعامل معهم، وقد تمثلت هذه الظاهرة في تقسيم بنغال[١] وعلى إثر ذلك انسحب بعض المسلمين من حزب المؤتمر وأدركو أنهم لا يستطيعون أن يعتمدوا على الإنجليز ولا على الهنادكة لنيل حقوقهم بل عليهم أن يعتمدوا على الله – سبحانه وتعالى – ثم على أنفسهم، وأسفر هذا التفكير عن إنشاء حزب سياسى آخر يخبرنا عنه الدكتور إحسان حقى قائلا[٢]: "اجتمع زعماء المسلمين في شهر ديسمبر من العام السادس من القرن العشرين للميلاد في مدنية داكا عاصمة ولاية بنغال الشرقية، ووضعوا أسس منظمة سياسية إسلامية سموها "الرابطة الإسلامية" فكان لها من الأنصار أكثر مما يتوقع لأنها أصبحت لسان حال فريق كبير من المسلمين".

ومما هو جدير بالذكر أن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان كان في نهاية العقد الثالث من عمره عند تأسيس "المؤتمر الهندى الوطنى" ولكنه لما سئل عن مساندة المسلمين للمؤتمر الهندى رد على هذا السؤال بحكمة الشيوخ فقال[٣]: "يجب على المسلمين ذوى التدبير والرأى المنظم وأصحاب النظر الدقيق في العواقب أن يمعنوا ويمحصوا جديا وبنظر دقيق فيما إذا كانت هذه المساندة للمؤتمر لا تبوء بالضرر والخسارة على المسلمين عاجلا أو آجلا فيصح لهم المشاركة في أنشطة المؤتمر الهندى والإ فلا".

فكان شاعرنا الفقيه واثقا تمام الثقة فيما قال الله – سبحانه وتعالى – بشأن الموالاة للكفار والمشركين، فكان يرى الإنجليز والهنادكة من منظور واحد، يراهم غير مخلصين للإسلام والمسلمين، لم لا فالكفر ملة واحدة، ولما أحس شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان أن المسلمين المصابين بالانهيار الثقافى الطويل سيبتعدون

---

(١) المرجع السابق، ص ٣١

(٢) المرجع السابق. ص ٣٢

(٣) الشيخ أحمد رضا خان البريلوى وشئ من حياته وخدماته، للأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد، (ط: مؤسسة رضا لاهور، ١٤١١هـ)، ص ٥٢.

Marfat.com

عن دينهم باندماجهم في المؤتمر الهندى أقدم على تشكيل منظمة باسم "رضائى مصطفى" (رضى المصطفى) بهدف إصلاح المجتمع وتنظيم المسلمين وذلك في العام الخامس والثمانين من القرن التاسع عشر الميلادى، وقد برزت هذه المنظمة فيما بعد على المسرح السياسى باسم "الجمعية العالية المركزية" وقامت بدور ملموس فى حركة استقلال باكستان(١) وإن شاعرنا لم ينضم إلى حزب المؤتمر ولا ليوم واحد، ولم يفكر في إيجاد الوحدة بين المسلمين والهنادكة، ونرى أن استقالة محمد على جناح من حزب المؤتمر - بعد قضاء خمسة وعشرين سنة عضوا بالمؤتمر الهندى الوطنى كداعية للوحدة والتقريب بين الهنادكة والمسلمين - خير دليل على إصابة موقف شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بشأن عدم الثقة في الكفار، سواء كانوا نصارى إنجلترا أم هنادكة الهند، وقد عاصر شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان حركات سياسية مقرونة بالعواصف العاطفية، فكان بعض المسلمين اتخذوا غاندى زعيماً لهم وأخذوا يقتدون به بينما كان شاعرنا من الرجال الذين فطنوا إلى الجوانب السلبية لهذه الحركات في وقت مبكر وبالتالى وجه نقده إلى الذين اتخذوا غاندى قائداً لهم، وهذه الحركات تتمثل في حركة الخلافة، وحركة عدم التعاون مع الإنجليز، وحركة الهجرة، ولم يعاصر شاعرنا حركة استقلال باكستان فقد كان تلاميذه وخلفاؤه ضمن المؤيدين لحركة استقلال باكستان وذلك امتداد لفكر الشيخ أحمد رضا خان وجهوده الرامية إلى وقاية المسلمين من الوقوع في هاوية الموالاة للهنادكة والإنجليز، وهاكم فكرة موجزة عن الحركات السياسية التى حاولت القيام بدراستها والتى ألقيت عليها بعض الضوء.

---

(١) المرجع السابق، ص ٥١.

Marfat.com

المطلب الأول

حـركة الخـــلافة

كانت حركة الخلافة أول حركة إسلامية بعد فشل الثورة الهندية، والتى كانت تتصف بالروح الثائرة ضد الإنجليز، فإن مسلمى شبه القارة الهندية بعد ما خسروا بلادهم واستقلالهم باستيلاء الإنجليز على آخر معقل من معاقلهم سنة سبع وخمسين بعد الثمانمائة والألف الميلادية، وكانوا يتطلعون إلى الإمبراطورية العثمانية باعتبارها ملاذا لهم، وكأنها بلدهم على اعتبار أنها بلد الخلافة الإسلامية، ويرون في وجودها سالمة تعزية لما أصابهم وتقوية لمعنوياتهم، ولذلك فقد كانوا يتمنون بقاء الخلافة الإسلامية سليمة قوية عزيزة ليظل لهم ظهر يستندون إليه(١)، ولكن هذا الحلم لم يتحقق مما أثار موضة الغضب في الأوساط الإسلامية بالهند، الأمر الذى أسفر عن نشأة حركة الخلافة، وفي هذا يقول الدكتور أحمد معوض(٢): "ولما انتهت الحرب العالمية الأولى في الحادى عشر من شهر نوفمبر من العام الثامن عشر بعد التسعمائة والألف للميلاد كان من بين نتائجها أن الحلفاء قرروا فيما قرروا إنهاء الخلافة الإسلامية في تركيا (مع تقسيم تركة المريض) فكان لذلك رد فعل واسع في شبه القارة الهندية، الأمر الذى أدى إلى قيام حركة الخلافة... وهكذا قامت حملة واسعة في شبه القارة ترمى إلى دعم الخلافة الإسلامية وأنشئت لجنة الخلافة شاملة كل الهند، واتخذت مقرا لها في مدينة بومبائى، وفي العام العشرين

---

(١) محمد على جناح بانى باكستان، للدكتور إحسان حقى، ص ٣٣، ٣٤.
(٢) العلامة محمد إقبال حياته واثاره، للدكتور أحمد معوض، ص ١٢٧، ١٢٨.

Marfat.com

من القرن العشرين أختير الشاعر الإسلامى الدكتور محمد إقبال عضوا في لجنة البنجاب".

تولى مولانا محمد على جوهر وأخوه شوكت على زعامة حركة الخلافة في بداية الأمر، ولكنه لما رأى غاندى شعبية هذه الحركة رأى من الحكمة ألا يقف أمام التيار الذى يدعو إلى الخلافة العثمانية، بل لم يكتف بهذا فكان أبعد نظرا فاختار أن ينضم إلى هذه الحركة ويصبح من أعوانها مع كونه غير مسلم، ولم يكن هذا إلاذرا للرماد في عيون المسلمين، أو بعدا عن أن تناله سهام نقد المسلمين، أو طمعا في شعبية، حتى إذا ما حانت له الفرصة وواتته الظروف خرج على الحركة، وقد تزعم المسلمين العاطفيين أيضا، وقتها لم يفطن المسلمون لما وراء مبادرة غاندى، وها هو الدكتور اشتياق حسين القريشى يعرب عن موقف غاندى من حركة الخلافة فيقول(١): "سرعان ما رأى غاندى أن الفرصة سانحة لجذب المسلمين إلى المؤتمر الهندى مع أن ذلك كان صعبا جدا، لذلك لم يتوان عن بسط نفوذه وهيبته على حركة الخلافة ومعه معظم أعضاء المؤتمر الهندى".

إن حركة الخلافة أحدثت ضجة في شبه القارة الهندية ولكنها لم تدرّ على المسلمين نفعا فظل محمد على جناح بعيدا عن السياسة في هذه الفترة(٢) كما كان الدكتور محمد إقبال قد استقال عن عضوية لجنة الخلافة للبنجاب(٣) وقال عن أعضاء لجنة الخلافة(٤) "إن جميع أعضاء لجان الخلافة لا يستحقون الثقة، فإن

---

(١) سيرة ميلاد الأمة، للدكتور اشتياق حسين القريشى، ترجمه إلى العربية الدكتور خليل جواد (ط: مؤسسة علا للطباعة والتوزيع بالدمشق، ١٩٩٦م)، ص ٥٠.

(٢) حقيقة باكستان الإسلامية أكبر دولة إسلامية في العالم، للدكتور محمد حسن الأعظمى (ط: مكتبة سليم الحديثة بالقاهرة)، ص ١١٦.

(٣) الإمام أحمد رضا خان الحنفى البريلوى وشخصيته الموسوعية، للأستاذ كوثر النيازى (ط: أكاديمية رضا لاهور، ١٤١٦هـ)، ص ٣٠١.

(٤) زنده رود (النهر الخالد) للدكتور جاويد اقبال، (الشيخ غلام على وأبنائه، لاهور)، جـ ٢، ص ٢٤٩.

Marfat.com

بعضهم يبدون مسلمين في ظاهر الأمر ولكنهم إخوان الشياطين باطنا، ولذا كنت قد أقدمت على الاستقالة من الأمانة العامة للجنة الخلافة بإقليم بنجاب".

بينما كانت عاصفة غاندى تغمر العديد من الزعماء المسلمين فضلاً عن ألوف عامة الناس إذا بمصيبة أخرى تلم بالمسلمين يشير إليها المفكر الإسلامى عباس محمود العقاد قائلا(١): "بينما الهند تغلى مراجلها بالثورة والمقاومة تارة والمقاومة الايجابية أخرى إذا بمصطفى كمال يلغى الخلافة، وينفى آخر الخلفاء العثمانيين من القسطنطينية".

نزلت هذه الفاجعة على المسلمين فأذهلتهم ودفعتهم إلى القنوط واليأس الشديدين، ومن هنا وجد غاندى فرصة لتحويل مجرى حركة الخلافة إلى حركة عدم التعاون مع الإنجليز، وذلك بعد الحيازة على الشعبية التى لم يكن حزب المؤتمر الهندى متمتعا بها، وبهذا وصلت حركة الخلافة إلى نهايتها المأساوية، وفي مثل هذه الظروف العصيبة انقسم الزعماء المسلمون فيما بينهم إلى قسمين، قسم يساند حزب المؤتمر، وقسم آخر نفض يده من السياسة يأساً وقنوطاً، وذلك لسيطرة غاندى على قلوب بسطاء المسلمين، ولكن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان لم يزل بعيدا عن حركة الخلافة منذ تولية غاندى زعامة هذه الحركة، وكيف يثق في غير مسلم حين يتولى زعامة حركة الخلافة، فكان إيمانه القوى يمنعه من الاقتداء بغاندى ولا ليوم واحد، وقد برهنت الأيام على صدق موقف الشيخ أحمد رضا خان، والدكتور محمد إقبال، ومحمد على جناح من حركة الخلافة في حال زعامة غاندى لما قد ساير غاندى ومشى في صفه متخذاً منه قائداً له، سواء كانت هذه القيادة للدعوة إلى حركة الخلافة أو لعدم التعاون مع الإنجليز، أو حين تولى المؤتمر الهندى، ومادمنا قد حاولنا أن نوفى الكلام حقه عن حركة الخلافة فلننتقل الآن إلى الحديث عن حركة عدم التعاون مع الإنجليز.

---

(١) القائد الأعظم محمد على جناح، لعباس محمود العقاد، ص ٦٠.

Marfat.com

المطلب الثانى

حركة عدم التعاون مع الإنجليز

لقد كان غاندى تحقق له من الشهرة الواسعة والشعبية الهائلة والتبرعات الكثيرة باسم الخلافة ولكنه لما رأى المسلمين المصابين بالحزن والأسى الشديدين نتيجة لنهاية الخلافة العثمانية على يد مصطفى كمال أتا تورك أقدم على تغيير مسار العواطف الجياشة إلى حركة عدم التعاون مع الإنجليز، فلم يكن لدى المسلمين بصيص الأمل في عودة الخلافة، كما لم يكن لدى غاندى رغبة في عودة الخلافة العثمانية التى كان غاندى يلقى كلمات متحمسة للدعوة لها، على كل فإن غاندى غير مجرى حركة الدعوة إلى الاحتفاظ بالخلافة، وذلك بأسلوب لم يدرك المسلمون المخدوعون خطورته وعواقبه، فإنهم سرعان ما تناسوا الخلافة العثمانية وانكبوا على حركة عدم التعاون، وأخذوا ينقادون لغاندى حتى يقعوا فريسة مكره مرة أخرى، وذلك عند نشأة حركة عدم التعاون مع الإنجليز التى نشأت في العام العشرين من القرن العشرين الميلادى، وكانت هذه الحركة تهدف إلى إثارة الضغط على الإنجليز بمقاطعة مصنوعاتهم، ومقاطعة المؤسسات التعليمية الحكومية والأهلية – من المدارس والكليات والجامعات – التى تستمد من الحكومة معونتها، كما كانت هذه المقاطعة متمثلة في الامتناع عن سداد الضرائب الحكومية، والاستقالة من الوظائف الحكومية، وحاول غاندى أن يلحق بالمسلمين كل الضرر كنتيجة لهذه المقاطعة، – كما سنذكر ذلك – وأن تحظى الحركة بالنجاح على حساب المسلمين فقط، دون أن يتضرر الهنادكة، وقد استطاع أن يستميل بعض

Marfat.com

علماء الدين الحنيف الذين تحمسوا لحركة عدم التعاون ووصفوا مقاطعة الإنجليز بحركة عدم الموالاة للإنجليز وإن كان غاندى في الحقيقة لم يناد إلا بعدم التعاون، وإنهم لم يدركوا أن المقاطعة في واد والموالاة في واد آخر، كما أنهم لم ينتبهوا إلى خطورة النازلة التى كانت على أهبة الاستعداد للإلمام بالمسلمين على يد غاندى مرة أخرى. وفي هذا يقول الأستاذ محمد صديق(١): "إن تسمية هذه الحركة بحركة عدم التعاون مع الإنجليز سليم وصحيح، والإسلام لا يمنع من التعامل مع الكفار في الشئون المادية الدنيوية، لذا لا يعتبر المسلم كافرا وملحدا نظرا لتعامله مع الكفار، ولكن بعض المسلمين العاطفيين وصفوا هذه الحركة بحركة عدم الموالاة للإنجليز منطلقين من منظور الحكم الإلهى بهذا الشأن، وبالتالى وصفوا المسلمين المعارضين لهذه الفكرة بالملحدين، إلا أنهم اعتبروا أنفسهم مسلمين مع موالاتهم المفرطة للهنادكة المشركين".

إن كثيرا من علماء الدين الحنيف - في هذه الظروف - كانوا يرون عدم الموالاة للإنجليز والهنادكة معا، وكان منهم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان ايضا، وفي هذا يقول الاستاذ كوثر النيازى(٢): "إن الشيخ أحمد رضا خان كان يقول: إن الإسلام يطالب بعدم الموالاة للكفار، ولا يمنع من معاملتهم، والإضراب تتعلق بالمعاملة لا بالموالاة، وإن قاعدة عدم الموالاة لا تنطبق على الإنجليز فقط بل تنطبق على الهندوس أيضا، فتخصيص الإنجليز فقط دون الهنادكة لا مبرر له، وإن مقاطعة مشرك مع الموالاة لمشرك آخر لا تتمشى مع الإسلام، هذه خلاصة موقف الشيخ أحمد رضا خان من حركة عدم الموالاة للإنجليز التى نادى بها غاندى" وإن كان في حقيقة الأمر لم يناد إلا بعدم التعاون.

---

(١) بروفيسر مولوى حاكم على (الأستاذ المولوى حاكم على)، للأستاذ محمد صديق (ط: مكتبة رضوية لاهور، ١٩٨٨م)، ص ١٣٤.

(٢) الإمام أحمد رضا خان الحنفى البريلوى، للأستاذ كوثر النيازى، ص ٣٠، ٣١.

Marfat.com

يقول الدكتور اشتياق حسين القريشى مبررا موقف الشيخ أحمد رضا خان من حركة عدم التعاون مع الإنجليز فيقول(١): "لما اجتمع مولانا محمد علـــى جوهـــر وأخوه مولانا شوكت على مع الشيخ أحمد رضا خان للحصول على الفتوى بشـــأن تأييد حركة عدم التعاون مع الإنجليز رد عليهما قائلا: إن سياســـتى تختلـــف عـــن سياستكما، أنتما تؤيدان الوحدة الإسلامية الهندوكية وأنا أرفضها مع أننى لا أخـــالف حرية المسلمين السياسية ولكننى أخالف ثقة المسلمين في الهنادكة".

ومن نفس المنطلق يقول الأستاذ إعجاز الحق القدوسى(٢): "إن الشيخ أحمـــد رضا خان كان شديد الكراهية للإنجليز ولكنه بثاقب نظره تفطن لعواقب حركة عدم التعاون مع الإنجليز (بالاعتماد على الهنادكة المشركين) فإنه كان يـــرى بفراســـته الإيمانية أن المسلمين الهنود هم الأقلية، وأن هذه الحركة ليست إلا خدعة تســـتهدف الأغلبية الهندوسية بها أن تسحق الأقلية المسلمة، وإذا حظيت هذه الحركة بالنجـــاح فتؤثر الأغلبية الهندوسية في الأقلية المسلمة، من كل النواحى الاجتماعية، وليـــس ببعيد أن تذوب الأقلية المسلمة في الأغلبية الهندوسية في نهاية المطاف" وللأســـف هذا ما حصل سياسيا واجتماعيا، أما مُن ناحية العقيدة فلم يســـتطع أحـــد أن يثنـــى المسلمين عن عقيدتهم ولا يزحزحهم عنها مهما كانت السيطرة للهندوس باعتبـــارهم أزيد عددا.

وكان أبو الكلام آزاد ومولانا محمد على جوهر، ومولانا شوكت علـــى مـــن أبرز علماء المسلمين المتحمسين لحركة عدم التعاون مع الإنجليز، وكـــأن غـــاندى يصطحب أبا الكلام آزاد في جولاته السياسية، ونرى غاندى يحـــث المســـلمين - بمكر هندوسى وخدعة مميتة - على الامتناع من تعليم أبنائـــهم فـــي المؤسســـات

---

(١) Ulma in politic by Ishtiaq Husain Qureshi (Ma'aref Limited Krachi 1974 A.D.) p. 264.

(٢) إقبال اور علمائى بالـــ وهند (إقبال وعلماء شبه القارة الباكستانية الهندية) للأستاذ إعجاز الحـــق القدوسى (ط: إقبال اكيدمى لاهور باكستان، ١٩٩٧م)، ص ٢٠٨.

Marfat.com

التعليمية الحكومية و المؤسسات الأهلية التى تستمد من الحكومة معونتها، فيقول(١): "إن فيكم أناسا و أبناؤهم يدرسون في الكليات و المدارس - الحكومية و الأهلية - و إن مولانا آزاد أفتى بحرمة تعليمهم في تلكم المؤسسات. و إن شئتم فلا ترسلوا أبناءكم إلى تلكم المؤسسات من الصباح المقبل".

كان هذا موقف غاندى من إبعاد أبناء المسلمين عن المؤسسات التعليمية، وبالتالى إغلاق باب هائل من أبواب العلم، لا سيما أنه يقصد المؤسسات التعليمية الحكومية و غيرها من المؤسسات الأهلية التى تسهم الحكومة في معونتها وقد عضد كلامه برأى أبى الكلام آزاد، وبالتالى ينصب الحرمان من التعليم على أبناء المسلمين وما أخبثها من فكرة، وتعال معى أيها القارئ المفضال لننظر معاكيف كانت فكرة غاندى خبيثة، وإلى أى مدى بعيد كان رأيه حقيرا، استمعنا إلى رأيه ونصحه لأبناء المسلمين و استشهاده لهم برأى واحد من علمائهم ولكنه عندما قام بزيارته إلى جامعة بنارس - وللعلم هذه جامعة هندوكية معانة من الإنجليز - أبدى موقفا مختلفا عما سبق، وقد استند إلى رأى عالم هندوسى متطرف فوجه النصحية إلى الطلبة الهنادكة قائلا(٢): "إننى أوافق باندت مالوى في رأيه حين قال: "على الطلبة أن يتخذوا قرارا بشأن عدم التعاون مع الإنجليز نظرا لتوصية ضميرهم" و إننى أقول لكم بكل تأكيد ألا تنفذوا قاعدة عدم التعاون مع الأنجليز إذا لم تقتنعوا بأدلتى بشأن هذه الحركة".

ومن هنا تتجلى شخصية غاندى ذات الوجهين، وجه للمسلمين ووجه آخر للهنادكة، و هذا منه إن دل على شئ فإنما يدل على ميله إلى أبناء دينه الهندوكى، كما يدل على حيدته و انحيازه للهنادكة وكراهية النفع للمسلمين مما يدل على عدم

---

(١) بروفيسر مولوى حاكم على، للأستاذ محمد صديق، ص ٩٨.
(٢) هندون سي ترك موالاة (الامتناع من الموالاة للهنادكة) للمنشى تاج الدين أحمد (ط: لاهور، ١٩٢٠م). ص ٢٠.

Marfat.com

استواء نظرته لسائر الشعب الهندى، ومع ذلك لم يتبين أمـــره لبعـــض الزعمـــاء المسلمين، فشهدت حركة عدم التعاون مع الإنجليز عصر العواصف العاطفية، فقـــد اعتمد المسلمون على العواطف أكثر من اعتمادهم على المبادئ الدينية والسياســية، فكان مكر غاندى وخداعه السياسى في قمة النجاح - من وجهة نظـــر غـــاندى - حيث لم يكن عامة المسلمين وبعض زعمائهم ينصتون إلى من يخالف حركة عـــدم التعاون، وإنما كانوا يتهمونه بعمالة الإنجليز، وغير ذلك الكثير مـــن الافـــتراءات، وفي مثل هذه الظروف كان محمد على جناح صامتا ينتظر هدوء العاصفة، وفـــي هذا يقول الأستاذ رئيس أحمد الجعفرى[1]: "لم كان السكوت مسيطرا على زمـــلاء محمد على جناح؟ ولماذا توقفت أنشطتهم؟ هل أصيبت قواهـــم العمليـــة بالشـــلل؟ وألسنتهم بالبكم؟ وأذهانهم بالجمود؟ كلا، لم يكن ذلك كله بل كانت نظـــرات جنـــاح تنظر في مرآة الحال وتبحث عن المستقبل فإنه لم يكن من المستســـلمين لفيضـــان العواطف".

إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان كان من الذين لم ينقادوا لفيضان العواطف، والأمر الذى يميزه عن معاصريه هو أنه صمـــد فـــي وجـــه الساســـة المســـلمين المخدوعين من غاندى والمستسلمين لفيضان العواطف، وقد جعله إيمانه القوى بـــالله - تعالى - لا يخاف في الحق لومة لائم، فكان رفع راية الحق عنده أهم مما يـــراه البعض احتفاظا بالكرامة مؤقتا، وفعلا قد استهدف شاعرنا بالاتهامات والافتراءات، ولكنه عندما هدأت العاصفة وسكنت العواطف المتأججة انجلت الحقائق، وبالتـــالى برز صدق النظرة عند شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان وصحة التفكير، فلـــم يكـــن شاعرنا وحيدا في اتخاذ موقفه من حركة عدم التعاون بل كان هذا موقف لفيف مـــن علماء الدين والساسة ومنهم الدكتور محمد إقبال ومحمد على جناح أيضا.

---

(١) حياة محمد على جناح (حياة محمد على جناح)، للأستاذ رئيس أحمد الجعفرى، (ط: كتب خانه افس بومبائى، الهند)، ص ١٠١.

Marfat.com

هذا وتحققت توقعات شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بشأن اتخـــاذ المســلمين العاطفيين شخصية غاندى زعيما لهم واستغل غـــاندى صفـــو العلاقـــات الطيبـــة والتعاون ما بين المسلمين المخدوعين والهندوس حيث كان المسلمون المخدوعـــون قد اقتربوا من الهندوس وكان سوء النية عند الهندوس الذين كانوا يخططون لـــهم، ومن ضمن حيل غاندى في السطو على فكر بعض المسلمين حيلته التى قام ينـــادى بها، وفحواها أن يتجنب المسلمون ذبح البقر في يـــوم الأضحـــى مشـــاركة منـــهم للهندوس الذين يحرمون ذلك وفق ديانتهم، والذى ينادى به غاندى هو تحريم هـــذا العمل في يوم واحد من العام، وكأن ذلك أمر يهون على المسلمين حتـــى تكتمـــل الدعوة إلى القومية المتحدة وتتحقق بذلك الألفة بين أبناء الشعوب التى تقيم فى شـبه القارة. وقد إرتآى بعض المسلمين من ذوى الرأى الضعيف أن طلب غاندى أمـــر هين لا بأس بالانقياد له فتصدى شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان لـــهاتين الفكرتيـــن أيضا، ورفع راية الشريعة الإسلامية وعزز موقف كل من الدكتور محمد إقبـــال و محمد على جناح، ونرى بعد نظره في أوضاع عصره من خلال مطالعة موقفه من هاتين الفكرتين.

Marfat.com

المطلب الثالث

حـــركة الـهجـــرة

نشأت حركة الهجرة بعد حركة الخلافة وحركة عدم التعاون مـــع الإنجلـيز وذلك في العام العشرين من القرن العشرين الميـــلادى، فحركـــة الـــهجرة ثالثـــة الحركات التى نشأت في الهند، ونظرا لأن الهند لم تكـــن مـــن الناحيـــة السياســـية تستطيع الوقوف على قدميها وكانت نشأة هذه الحركات الثلاث متتابعة واحدة بعـــد الأخرى، ولم تكن تجتمع حركة مع حركة ثانية بل تعد هذه الحركات متولدة بعضها من بعض، فالإنجليز ينالون من كل دعـــاة السياســـة ويخططـــون للـــهند لتصبـــح إمبراطوريتهم العظيمة في الشرق حيث كانت نيتهم ألا يفارقوا هذه الأرض وبالتالى لأن لهم رغبة في أن يرسخوا جذورهم في الهند وأنى لهم ذلـــك؟ وإن كـــانوا قـــد استطاعوا أن يسوموا أهلها ألوان الخسف والهوان كما هو الحال المنتظر مـــن أى مستعمر غاصب، لا سيما إن كان ذلك هو الجندى البريطانى الـــذى تعـــود علـــى الخروج من بلده والمعيشة في أرض غير أرضه يسقى أهلها كأس المرارة ويـــأخذ بخناقهم، فلا يستطيع واحد منهم أن يشم هواء إلا إن كان فاسدا يرضى المســـتعمر عن مروره إلى صدره، وهذا مَا كان من أمر الهنود لا سيما أولئك الذيـــن خافـــهم الاستعمار وحسب لهم ألف حساب، وسلط عليهم بنى وطنهم ليعادوهم أيضا، إذا كل من الإنجليز والهنادكة كانوا يتمنون عدم عودة الحكم الإسلامى فقد حاول الإنجلـــيز كل المحاولة أن يتم انهيار المسلمين اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا، وفعلا لحق بالمسلمين من الضرر ما لم يحدث في الماضى، ولكن الهنادكة ظلوا خـــائفين مـــن

Marfat.com

النهضة الإسلامية حتى بعد اطمئنان الإنجليز على انهيار المسلمين، فأخذوا يخططون لتنفيذ نواياهم، ولقد خسر المسلمون المنكوبون خلال حركة الخلافة وحركة عدم التعاون ما خسروا وبالتالى فإن غاندى لم يطمئن بعد كل هذا، فقد دبر خدعة أخرى انطلت كذلك على بعض علماء الدين الحنيف السائرين في ركبه، فأخذ أولئكم العلماء ينشرون في ستار من الدين فكرة غاندى المعادية للإسلام في حقيقتها، يقول الاستاذ حبيب الله خان(١): "إن اللجنة المركزية للخلافة قامت بتوجيه المسلمين إلى الهجرة بوصاية من غاندى فحسب عامة المسلمين - وبالطبع غير المثقفين - أن الهجرة فريضة دينية مقدسة فقاموا بالهجرة إلى أفغانستان".

يقول أحد كبار المحققين الأتراك مبينا حركة الهجرة من منظورها الحقيقى(٢): "كان غاندى يخاف الكفاح الإسلامى المسلح للاستقلال فشجع اقتراح الهجرة، وتقول الوثائق العلمية أن ثلاثين ألف مسلم من الموظفين والتجار تركوا وظائفهم وتجارتهم وبيوتهم قاصدين الأناضول عن طريق أفغانستان، ولكن لقى عدد كبير منهم مصرعهم نظرا لظاهرة الجوع وتفشى الأمراض". وهنا يطرح السؤال نفسه: ماذا أصاب الإنجليز من ضرر كنتيجة لهذه الحركة، وما الذى أفاده المسلمون من الهجرة؟ وإنما نرى أن الإنجليز لم يتضرروا، وأن المسلمين لم ينتفعوا بل تجرع المسلمون كأس الخسارة، منهم الذين لقوا مصرعهم في سبيل الهجرة ومنهم من استطاعوا أن يعودوا إلى أرض الهند ولكنهم لم يتمكنوا من استرداد نعيم الحياة، وبالطبع عاشوا بؤساء تعسين تحت حد الفقر، وفي هذا يقول

---

(١) برصغير باك هندكى سياست مين علماء كاكردار (دور العلماء في سياسة شبه القارة الباكستانية الهندية) للأستاذ حبيب الله خان (ط: قومى إدارة برائ تحقيق وتاريخ وثقافت إسلام أباد، ١٩٨٥م)، ص ١٦٤.

(٢) تحريک خلافة (حركة الخلافة) للدكتور ميم كمال اوكى (ط: سنک ميل ببلى كيشنز لاهور، ١٩٩١م)، ص ١٤٨.

Marfat.com

الاستاذ رئيس أحمد الجعفرى[١]: "لما نشأت حركة الهجرة هاجر ثمانية عشر ألفا من بسطاء المسلمين بعد أن باعوا بيوتهم وعقاراتهم بثمن بخس ودراهم معدودة، وكانت أغلبية المشترين من الهنادكة، ولكن المسلمين طردوا من أفغانستان إلى الهند، فرجعوا بالآمال الخائبة والأحلام الضائعة، ولقد لقى البعض حتفه في سبيل هذه الهجرة، والذين تمكنوا من العودة إلى بلادهم عادوا منهارين طريدين ومصابين بالفقر والإفلاس الرهيبين لا يجدون من يمد إليهم يد العون، وإذا لم تكن هذه الفجيعة هلاكا فما هى"؟.

وهكذا وصلت حركة الهجرة إلى نهايتها المأساوية التى دبرها ذهن غاندى ولم يفطن إليها الساسة المسلمون العاطفيون، وكان لبعض علماء الدين الحنيف دور في دفع هذه الحركة إلى الأمام حيث إنهم أفتوا بأن الهند دار الحرب وكانت حركة الهجرة نتيجة منطقية لاعتبار الهند دار الحرب حيث كانت المناقشات حائمة حول هذه المسألة، ولقد كان اعتماد بعض العلماء السائرين في ركب غاندى على فتوى بعض العلماء الذين ذهبوا إلى أن الهند دار الحرب، أما شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فكان من بين من أمعن النظر في هذا الأمر، وفي نهاية المطاف أدلى برأيه الذى لم يكن بمعزل عن موقف الكثيرين من أصحاب البصيرة الثاقبة من معاصريه من هذه المسألة فنراه يقول[٢]: "إن هناك ثلاثة أمور تحول دار الإسلام إلى دار الحرب على رأى إمامنا الأعظم أبى حنيفة النعمان: منها أن تكون أحكام الشرك مفروضة على المرأى والمسمع، ولا يتمكن المسلمون من العمل بأحكام الشريعة الإسلامية، ولا تحظى شعائر الإسلام بالحرية، ولكنه لا يوجد في الهند ما ينطبق عليه القاعدة المذكورة آنفا"، ومن هذا المنطلق رأى شاعرنا الفقيه أن الهند دار

---

(١) قائد أعظم اورأن كاعهد (القائد الأعظم وعصره)، للأستاذ رئيس أحمد الجعفرى (ط: مقبول اكيدمى لاهور، ١٩٦٢م)، ص ١٠٢، ١٠٣.

(٢) إعلام الأعلام بأن الهند دار الإسلام، للشيخ أحمد رضا خان (ط: حسنى بريس بريلى، دون تاريخ الطبع)، ص ٢.

Marfat.com

الإسلام، ولم يكن بمعزل عن معاصريه في هذا الرأى، بل جرى على هذا النحو الشيخ جمال ابن عبد الله مفتى الأحناف بمكة المكرمة، والعلامة أحمد زينى دحلان مفتى الشافعية بمكة المكرمة، والشيخ حسين بن إبراهيم مفتى المالكية بمكة المكرمة[١] والشيخ كرامت علي الجونفورى - خليفة السيد أحمد البريلوى[٢] - ومولانا عبد الحى الفرنجى محلى[٣] والشيخ أشرف على التانوى[٤] والشيخ صديق حسن خان البوفالى[٥].

هذا كان موقف شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان في شأن كون الهند دار الإسلام وكذلك موقفه من حركة الهجرة التى أسفرت عن نهاية مأساوية، فكان لا يرى هذه الهجرة من الإسلام بشئ بعدما ثبت من الأدلة الدامغة أن الهند دار الإسلام، ولكن العلماء السائرين في ركب غاندى لم يستسلموا للحكم الشرعى الذى بينه الشيخ أحمد رضا خان وأيدته آراء علماء الحرمين الشريفين وعلماء الهند، وهكذا تصدى شاعرنا للحركات السياسية التى عاصرها ولم يخف في إعلاء كلمة الحق لومة اللائمين.

لقد صب الإنجليز على المسلمين بحار المصائب وأنواع العذاب فأقدموا على إذلالهم بكل قسوة ووقاحة حيث إنهم قتلوا النفوس وسلبوا النفيس متناسين الإنسانية والمبادئ الخلقية وزرعوا الأحقاد في قلوب طائفتى السيخ والهنادكة ضد المسلمين، فحاول الهنادكة أيضا أن ينالوا من المسلمين، وكانوا قاب قوسين أو أدنى من بغيتهم

---

(١) إسلامى مجلس مذاكره علميه (الندوة الإسلامية للمناقشة العلمية) للشيخ كرامت على الجونفورى (ط: نولكشور، لكهنو بالهند، دون تاريخ الطبع)، ص ٢٩ : ٤٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٣.

(٣) مجموعه فتاوى (مجموعة الفتاوى) لمولانا عبد الحى الفرنجى محلى (ط: مطبع يوسفى بلكنوء، دون تاريخ الطبع)، جـ ١، ص ٣٠٢.

(٤) تحذير الإخوان، للشيخ أشرف على التانوى (ط: تهانه بهون الهند) ص ٩.

(٥) ترجمان الوهابية (لسان حال الوهابية) للشيخ صديق حسن البوفالى (ط: مطبع محمدى لاهور)، ص ١٥.

Marfat.com

ولكن شاءت القدرة الإلهية أن تخرج الأمة الإسلامية من مأزقها، فانتخب ربنـــا – تبارك وتعالى – من عباده شخصيات مثل شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان، والدكتور محمد إقبال، ومحمد على جناح، وغيرهم الكثير والكثير، فتحققـــت – بـــإذن الله – أحلام الأمة الإسلامية الضائعة بميلاد حركة باكستان.

Marfat.com

المطلب الرابع

حركة استقلال باكستان

إن حديثنا عن حركة استقلال باكستان من باب إتمام الفائدة، وذلك لأن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان لم يمتد به العمر حتى يشهد هذه الحركة ولكنه ساهم في نهضة الأمة الإسلامية وبث روح الذاتية في النفوس المؤمنة بالله تعالى في وقت مبكر، والامتناع عن الموالاة للهنادكة والإنجليز، فتقدم برسالة تحمل اسم "تدبير الفلاح والنجاة والإصلاح" وذلك في العام الواحد والثلاثين بعد الثلاثمائة والألف للهجرة، الموافق للعام الثانى من القرن العشرين الميلادى، كما ألف رسالة أخرى في العام التاسع والثلاثين من القرن الرابع عشر الهجرى الموافق للعام العشرين من القرن العشرين الميلادى، وفيها نبه على عواقب حركة عدم التعاون مع الإنجليز وإقدام المسلمين على الموالاة للهنادكة، وإنه أسمى هذه الرسالة "المحجة المؤتمنة في الآية الممتحنة"[1] وبهذا فقد وضع شاعرنا حجر الأساس للنظرية التى عرفت فيما بعد بتمايز الأمتين (حركة استقلال باكستان) فإنه كان يرى أن المسلمين أمة والكفار أمة أخرى، سواء كانوا بشكل الإنجليز أو الهنادكة، فلا موالاة للكفار، ولا يستطيع غير المسلمين أن يمكنوا المسلمين من الحكم، ولا نستطيع أن نتخذهم بطانة، فقام بالرد على الدهريين حينا وعلى القاديانيين الموالين للإنجليز حينا آخر، كما وجه نقده للزعماء المسلمين الموالين للهنادكة أيضا، وكان شاعرنا قد أعد

---

(١) تحريک ازادى هند اور السواد الأعظم (حركة استقلال الهند وموقف السواد الأعظم منها)، للأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد، (ط: ضياء القرآن يبلى كيشنز، لاهور ١٩٨٨م)، ص ١٤٣.

Marfat.com

كوادر علمية وشخصيات متماسكة بالمبادئ الإسلامية الذين قاموا بدفع حركة استقلال باكستان إلى الأمام.

هذا وقام محمد على جناح - على الصعيد السياسى - بمحاولة سياسية مخلصة دامت ربع قرن للتقريب بين المسلمين والهنادكة ولكن دون جدوى، فتأكد محمد على جناح أنه لا يمكن إيجاد وحدة بين هاتين الأمتين، أما الدكتور محمد إقبال فيعرب عن موقفه من الوحدة الإسلامية الهندوكية حيث يقول(١): "إننى أيضا كنت ضمن المسلمين المؤيدين لنظرية القومية الهندية الواحدة، ولعلى أول من نادى بهذه النظرية ولكن التجارب (المرة) وسعة الأفق غيرت فكرتى هذه". وبهذا اجتمعت أفكار هؤلاء الثلاثة على التمسك بالمبادئ الدينية والابتعاد عن الموالاة للكفار، الأمر الذى أسفر عن قيام أكبر دولة إسلامية في العالم، والتى كانت ثمرة كفاح طويل حوالى سبع عشرة سنة، بدأ صريحا من العام الثلاثين من القرن العشرين للميلاد، فكان كل من الإنجليز والهندوس وطائفة من السيخ يضيق ذرعا أن يعود الحكم إلى المسلمين، وليس هذا فحسب بل كانوا يريدون أن يعيش المسلمون أقلية محرومة من حقوقها، والمصيبة الكبرى التى ألمت بالمسلمين وفاقت بلايا الإنجليز والهنادكة والسيخ تمثلت في انحراف التفكير عند بعض المسلمين ذوى العقل السطحى، والذين استغل مكر غاندى وخداعه بساطتهم وسذاجتهم فأوقعهم في هاوية الموالاة للهنادكة تحت ستار حركة الخلافة تارة وحركة عدم التعاون مع الإنجليز تارة أخرى وحركة الهجرة تارة ثالثة، فأخذوا يسيرون في ركب غاندى مؤيدين لفكرة "القومية الهندية الواحدة" وتمثل هؤلاء المخدوعون في

---

(١) زنده رود، للدكتور جاويد إقبال، جـ ٢، ص ٢٤٩.

Marfat.com

جمعية علماء الهند(١)، ولقد تمكن الدكتور محمد إقبال ومحمد علـــى جنـــاح مـــن الصمود في وجه الإنجليز والهنادكة ولكن لولا تلاميذ شاعرنا الشيخ أحمـــد رضـــا خان ومريدوه وصفوة علماء أهل السنة ومشايخ الطرق الصوفية المساندون لحركـة استقلال باكستان لما تمكن الدكتور محمد إقبال ومحمد على جناح مـــن التصـــدى لهؤلاء العلماء الغانديين الذين أصروا على الموالاة للهنادكة والتمسك بقاعدة القومية الواحدة، واستمرار المساندة لحزب المؤتمر الهندى الوطنى، ونلاحظ أن شـــاعرنا الشيخ أحمد رضا خان قام بدور الجندى المجهول حيث إنه نادى بفكرة عدم الموالاة للكفار - كما سبق أن ذكرنا - في العام العشرين من القرن العشرين، وبهذا وضـــع أساسا لفكرة "التمايز القومى" في حين لم يجاهر بها أحد في تلك الآونة، وكان ابنـــه مولانا محمدحامدرضاخان، وابنه مولانا محمد مصطفى رضاخان وتلاميـــذه ضمـــن علماء أهل السنة والجماعة الذين أيدوا فكرة التمايز بين الأمتيـــن، وســـاهموا فـــي حركة استقلال باكستان، ووقفوا في وجه مكائد غاندى، كما تصـــدوا للـــرد علـــى البسطاء من الزعماء المسلمين المخدوعين بآراء غاندى، وبهذا أعتقد أننى أكملـــت حديثى عن الأوضاع السياسية التى عاصرها شاعرنا الشيخ أحمد رضا خـــان، وإن كانت باكستان نالت استقلالها بعد وفاته بسنوات غير أنه دون أدنى شك كان نتيجـة لفكرة عدم الموالاة للكفار التى نادى بها شاعرنا الشيخ أحمد رضا خـــان، والتـــى عرفت فيما بعد بفكرة التمايز بين الأمتين، وكان تلاميذ شاعرنا ومريـــدوه امتـــدادا لجهوده الرامية إلى استقلال المسلمين من أغلال الموالاة للإنجليز والهنادكة.

---

(١) يقول الشيخ محمد مصطفى محمد جميعة عن طائفة علماء الدين الحنيف الذين أصيبـــوا بخدعـــة غاندى والذين تمثلوا في جمعية علماء الهند: تقدم جماعة العلماء الهندية بصيغة سياســـية بنـــاءة تهدف إلى قبول المسلمين بشرعية الدولة الهندية والمشاركة في سياســـتها... وعـــارضت قيـــام باكستان، وأيدت حزب المؤتمر في كفاحه ضد الاستعمار البريطانى. انظر: رحلة الإمام الأكـــبر إلى الهند للشيخ محمد مصطفى جميعة (ملحق مجلة الأزهر لشهر رجب ١٤١٧هـــ)، ص ٤٤.

Marfat.com

لاحظنا من خلال دراسة الأوضاع السياسية المعاصرة لشاعرنا الشيخ أحمد رضا خان أنه لم يتخذ موقفه من الحركات السياسية المعاصرة له في عجالة اعتمادا على العواصف العاطفية أو التوجيهات من غير المسلمين، لذا لم نجده مضطرا إلى التخلى عن رأيه في اتخاذ الموقف الصائب من عضوية المؤتمر الهندى الوطنى، ومساندة حركة الخلافة، وحركة عدم التعاون مع الإنجليز، وحركة الهجرة، فإنه صمد في وجه الموالاة للإنجليز مرة وللهنادكة مرة أخرى بكل ثقة وفهم دقيق لما قال الله - سبحانه وتعالى - ورسوله - ﷺ - بشأن الموالاة للكفار، الأمر الذى دفع الدكتور محمد إقبال إلى أن يقول عن الشيخ أحمد رضا خان(١): "إنه تعود على التفكير العميق قبل إظهار الرأى (في المسائل المطروحة عليه)، وهذا هو السبب في تصلبه بآرائه وعدم احتياجه إلى الرجوع في فتاواه".

---

(١) مقالات يوم رضا، للأستاذ عبد النبى كوكب، (ط: دائرة المصنفين، لاهور، دون سنة الطبع)، جـ ٣، ص ١٠.

Marfat.com

Marfat.com

الفصل الثاني

موطنه ، مولده، وفاته

يشتمل هذا الفصل علي النقاط التالية:

= اسمه ومولده.

=أحوال أجداده.

= نشأته.

=موطنه.

=خلقه.

=حياته الأسرية.

=وفاته.

Marfat.com

Marfat.com

الفصل الثانى

موطنه ، مولده ، ووفاته

تفتحت عين شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان البريلوى قبل الثورة الهندية بعام في الظروف القلقة والأحداث الرهيبة، وعاصر الحركات السياسية التى سبق أن أشرت إلى طرف منها، وكانت الهند آنئذ تغلى كالمرجل من ظلم الاستعمار البريطانى الغاشم فكان لذلك تأثير قوى في حياة الشيخ أحمد رضا خان من حيث حبه للإسلام والمسلمين وكراهيته للاستعمار البريطانى بل كل ملة تخالف دين الإسلام.

ولد شاعرنا – موضوع البحث – في أسرة عريقة ميسورة حال، اشتهرت بالعلم والعمل الصالح والمحافظة على شعائر الدين، يشير إلى مولده الأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد[١] حيث يقول[٢]: "ولد الشيخ أحمد رضا خان في العاشر من شهر شوال من العام الثانى والسبعين بعد المائتين والألف للهجرة، الموافق للرابع عشر من شهر يونيو من العام السادس والخمسين بعد الثمانمائة والألف للميلاد بمدينة بريلى".

---

(١) هو الأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد، المولود سنة ١٩٣٠م بمدينة دهلى، يعرف برائد الدراسات الرضوية ليس في باكستان وحدها بل في الهند أيضا، وقد قام فضيلته بتأليف مصنفات علمية تتجاوز المائة، ويرأس فضيلته اليوم مجمع بحوث الإمام أحمد رضا بمدينة كراتشى، وإنه شيخ الطريقة النقشبندية، تدرج في الدرجات العلمية حتى وصل إلى درجة أستاذ وعمل عميدا لبعض الكليات وسكرتيرا لوزارة التعليم بإقليم السند حتى بلغ سن المعاش.
انظر: بساتين الغفران للشيخ أحمد رضا خان، ص أ (مقدمة).

(٢) الشيخ أحمد رضا خان، للأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد، ص ١٦.

Marfat.com

يقول مولانا محمد ظفر الدين البهارى[١] عن اسم شاعرنا[٢]: "إنه سمى محمدا، والمخت
اسمه التأريخى[٣]، وسماه جده بأحمد رضا فاشتهر (شاعرنا موضوع البحث) بهذا الاسـ
هذا والأستاذ حازم محمد أحمد المحفوظ قام بالجمع بين الاسمين فمال إلى أن يكتب: محم
أحمد رضا خان[٤] وهو أول من جاء بهذا الأسلوب المبدع في تسمية شـــاعرنا، ويعتق
كذلك أنه فعل هذا نظرا لعادة أهل السنة في شبه القارة الباكستانية الهندية حين يضيفـــو
لاسم كل وأحد منهم لقب محمد في بداية الاسم، ولكننى استخدمت اسم الشاعر حيث اشتهر
في الأوساط العلمية منذ زمان.

أحوال أجداده

ينحدر شاعرنا من أسرة أفغانية نزحت من مدينة قندهار الواقعة حاليا في أفغانسـتان
واستوطنت بمدينة لاهور الواقعة فى باكستان حاليا، ثم تركتها إلى مدينة دلهى - عاصمـة
الهند اليوم - واقاموا فيها ما شاء الله لهم أن يقيموا، ثم إنتقلوا إلى مدينة بريلى الواقعة فـي
إقليم يوبى (أوتار برديش) في الهند، يقول الأستاذ إعجاز الحق القدوسى في هذا الصدد[٥]:

---

(١) هو من خيرة تلاميذ الشيخ أحمد رضا خان ممن أغرم بالجلوس إليه ليستقى من علمه فـي المعهد الذى أقامه شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان باسم منظر إسلام، ولد مولانا محمد ظفر الديـن البهارى في عام ١٣٠٣هـ الموافق للعام ١٨٨٠م تنقل من مدينة لأخرى لدراسة العلوم الإسلامية والعربية، وألقى عصا الترحال حين وصل إلى الشيخ أحمد رضا خان في عام ١٣٢٢هـ وبعـد سنة أخذ يدرس في منظر إسلام ودام يدرس أربعة سنوات هناك حيث تشرف بالإفادة العظيمة من علوم الشيخ أحمد رضا خان، ويرجع إليه الفضل أنه من أوائل الكتاب الذين ترجموا حياة الشـيخ أحمد رضا خان في كتابه الشهير بالأردية تحت عنوان "حيات أعلى حضرت".معناه بالعربية "حياة الحضرة العالية" وللأسف الشديد لم تعرف ثلاثة أجزاء من هذا الكتاب طريقها إلى المطبعة حتـى اليوم، توفى مولانا محمد ظفر الدين البهارى في عام ١٣٨٢هـ الموافق للعام ١٩٦٢م.
انظر: تذكره علماء أهل سنت (تراجم علماء أهل السنة) لمولانا محمود أحمد القادرى (ط: سـنى دار الاشاعت فيصل اباد باكستان ١٩٩٢م)، ص ١٠٩ : ١١٢.
وانظر: حياة ملك العلماء (حياة ملك العلماء)، للأستاذ الدكتور مختـار الديـن أحمـد (ط: إدارة معارف نعمانية لاهور، باكستان، ١٩٩٣م)، ص ٩.

(٢) حياة اعلى حضرت (حيات الحضرة العالية) لمولانا ظفر الدين البهارى (ط: المكتبـة الرضويـة كراتشى الطبعة الأولى)، جـ ١، ص ٢.

(٣) لقد اعتاد بعض أهل الهند بتسمية أولادهم اسما تاريخيا والذى يدل على عام ولادة المولود حسـب أعداد الحروف وفق النظام بحساب الجمل.

(٤) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص أ (المقدمة).

(٥) إقبال اور علمائ ياكـ وهند، لاعجاز الحق القدوسى، ص ٢٠٥.

Marfat.com

"كان الشيخ أحمد رضا خان ينتسب إلى قبيلة أفغانية كريمة ذات وجاهة تسمى برهيـــج، وهو أحد الفروع من الباتان".

وكان أجداد شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان أصحاب مناصب في حكومـــة الدولـــة المغولية وفيما يلى أحوال أجداده بالإيجاز حيث وجدت في المصادر والمراجع.

(١) شجاع الحرب سعيد الله خان القندهارى:

هو الجد الخامس للشيخ أحمد رضا خان من جهة والده، يقوم بتعريفه مولانـــا بـــدر الدين أحمد حيث يقول[١]: "كان محمد سعيد الله خان منحدرا من القبيلة الأفغانية برهيـــج باتان، أحدى القبائل المعروفة في أرجاء قندهار، نزح إلى مدينة لاهور في عصر الدولـــة المغولية حيث عين في منصب رفيع... ثم انتقل إلى دلهى واستوطنها".

ويحدثنا مولانا حسنين رضا خان ابن أخ شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان عن جـــده الأعلى سعيد الله خان فلنستمع إليه حيث يقول[٢]: "إن هناك رواية عن جدنا الأعلى ســـعيد الله خان يرويها أفراد أسرتنا جيلا بعد جيل مجملها أنه كان قد عهد له والده بولاية العـــهد من بعده بدولته التى كان يتخذ من مدينة قندهار عاصمة لها، وحدث أن ماتت أمـــه وهـــو مازال صغيرا وعندما بلغ سن الرشد حاولت زوجة والده الثانية أن تجعل من ابنـــها وليـــا للعهد بدلا من سعيد الله خان، وسعت من أجل الوقيعة بين سعيد الله خان ووالده مما ترتب عليه حدوث الحقد بين الوالد وولده، فاضطر إلى مغادرة مسقط رأسه والهجرة إلى مدينـــة لاهور، وقد رافقه بعض أصدقائه في هذه الهجرة، وعند وصوله إلى مدينة لاهور استقبلهم حاكم لاهور بكل ترحيب وأرسل خطابا إلى البلاط المغولى بدلهى مخبرا فيها بأن أمـــيرا قندهاريا غادر وطنه لظروفه الخاصة به ونزل بمدينة لاهور، فأمر الملك باستضافة الأمير القندهارى وإنزاله بالقصر الزجاجى (بقلعة لاهور أمام المسجد الملكى).

---

(١) سوانح إمام أحمد رضا (أحوال الإمام أحمد رضا) لمولانا بدر الدين أحمد القـــادرى (ط: مكتبـــه نوريه رضويه سكهر باكستان، ١٤٠٧هـــ)، ص ٩٣.

(٢) سيرت أعلى حضرت (سيرة الحضرة العالية) لمولانا حسنين رضا خان، ص ٤٠.

Marfat.com

يخبرنا مولانا محمد ظفر الدين البهارى بشأن انتقال الأمير سعيد الله خان القندهارى من مدينة لاهور إلى دهلى فيقول(١): "جاء سعيد الله خان إلى دهلى في عصر السلطان محمد شاه حيث تولى هناك منصب "الستة آلاف" [وهو من المناصب الرفيعة في الجيش آنذاك] وأقطعه السلطان محمد شاه إقطاعا في مدينة رامفور (الواقعة في الهند) كما لقبه البلاط الملكى "بشجاع الحرب" وذلك نظرا لبسالته وصموده".

(٢) سعادت يارخان:

هو الجد الرابع للشيخ أحمد رضا خان من جهة والده، يحدثنا عنه مولانا محمد ظفر الدين البهارى قائلا(٢): "إنه كان وزير الاقتصاد في عهد السلطان محمد شاه، وقد أقطعه السلطان إقطاعا في محافظة بدايون، وهذه الأراضى مازالت في ملك أولاده حتى اليوم(٣) وقد أرسلته الحكومة إلى مدينة روهيل كند لإنجاز مهمة حربية هناك، وعرضت عليه منصب رئيس الوزراء بروهيل كند، ولكنه توفى إلى رحمة الله تعالى قبل تنصيبه في هذا المنصب".

(٣) الشاه محمد أعظم على خان:

هو الجد الثالث للشيخ أحمد رضا خان يحدثنا عنه مولانا محمد ظفر الدين البهارى حيث يقول(٤): "تولى الشاه محمد أعظم على خان منصب الوزارة لفترة محدودة ولكن نفسه كانت تميل إلى الزهد وإيثار الباقية على الفانية، لذا استقال من منصبه تفرغا للعبادة".

وعن إقدامه على تبليغ الإسلام يحدثنا مولانا بدر الدين أحمد حيث يقول(٥): "إنه ملأ كأسه من رحمة الله – سبحانه وتعالى – فاشتغل بالتبليغ ودعوة الناس إلى تعاليم الإسلام،

---

(١) حيات أعلى حضرت، لمولانا محمد ظفر الدين البهارى، جـ ١، ص ١٣.
(٢) المرجع السابق، جـ ١، ص ١٣.
(٣) كتب مولانا ظفر الدين البهارى هذا الكلام بعد سنوات عديدة على وفاة الشيخ أحمد رضا خان.
(٤) حيات أعلى حضرت، لمولانا محمد ظفر الدين البهارى، جـ ١، ص ١٣.
(٥) سوانح إمام أحمد رضا، لمولانا بدر الدين أحمد القادرى، ص ٦٧.

Marfat.com

وبدأ يعلمهم مبادئ دينهم، فكان ينتقل من بلد لآخر للقيام بمهمته حتى دخل مدينة قندهـــار وقام بنشر العلم فيها لفترة لا بأس بها، وأفاد منه عشر قبائل قندهار، واستقر في آخر أيـــام حياته بمدينة بريلى حيث توفى ودفن بها".

(٤) مولانا الحافظ كاظم على خان:

هو الجد الثانى للشيخ أحمد رضا خان يتحدث عنه مولانا بدر الدين أحمد قـــائلا(١): "إنه تولى منصب تحصيلدار (الصرافة في الجيش) وكان يرأس كتيبة مكونة مـــن مـــائتى جندى في مدينة بدايون، وقد أقطعته الحكومة ثمانى قرى مع الإعفاء الضريبى له ولأسرته من بعد، وذلك نظرا لخدماته، كما كلفته الحكومة بإيجاد حل للصراع الدائر بين الحكومـــة المغولية والإنجليز فكان قد ذهب إلى مدينة كلكتا مندوبا مـــن طـــرف الحكومـــة بـــهدف التفاوض مع الإنجليز بهذا الشأن".

(٥) مولانا محمد رضا على خان النقشبندى(٢):

هو جد الشيخ أحمد رضا خان، وكان من كبار العلماء والصالحين، وهو الذى صبـــغ أسرته بالصبغة الروحية الخالصة حيث كان أسلافه يتولون المناصب الحكومية وفي آخـــر أيام حياتهم يتنازلون عنها تفرغا لعبادة الله - سبحانه وتعالى - والنشاط الروحـــى ولكـــن مولانا محمد رضا على خان النقشبندى لم يفكر في المناصب الحكومية أبدا، إنمـــا عـــاش حياته في مجال الزهد والتقوى والتصوف الإسلامى المتبع لشريعة النبيﷺ(٣).

ويخبرنا الدكتور مجيد الله القادرى عن مولد مولانا محمد رضا على خـــان حيـــث يقول(٤): "إنه ولد في العام الرابع والعشرين من القرن الثالث عشر الهجرى الموافق للعـــام التاسع من القرن التاسع عشر الميلادى".

---

(١) المرجع السابق، ص ٩٣.

(٢) هكذا كتب حفيده الشيخ أحمد رضا خان بخط يده، انظر: الزلال الانقى من بحر ســـبقة الأتـــقى للشيخ أحمد رضا خان، (المخطوط بحوزة الشيخ محمد عبد الحكيم شـــرف القـــادرى بلاهـــور)، ص ٥.

(٣) سوانح إمام أحمد رضا، لمولانا بدر الدين أحمد، ص ٩٤.

(٤) معارف رضا، لصفوة من العلماء، (ط: إدارة تحقيقات امام أحمد رضـــا، كراتشـــى، ١٩٠٠م)، جـــ ١٧، ص ١٩٦.

Marfat.com

وعن إقدامه على دراسة العلوم الإسلامية والعربية يحدثنا الشـــريف عبـد الحـى اللكنوى حيث يقول(١): "إنه سافر للعلم إلى مدينة طوك فلازم القـــاضى خليـل الرحمـن الرامفورى، وقرأ عليه الكتب الدرسية ثم رجع إلى بلده وتصدر للتدريس".

وعن ثقافته يقول مولانا محمود أحمد القادرى(٢): "إنه أكمل دراسة العلوم العربيـــة والإسلامية السائدة في عصره ولم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره، ومما اتسم به مـــن سمات بارزة هو الزهد في الدنيا، والتواضع لله - سبحانه وتعالى - والوعظ المؤثر فـــي القلوب".

وعن وفاة مولانا محمد رضا على خان يحدثنا الدكتور مجيد الله القادرى قـــائلا(٣): "إنه توفى إلى رحمة الله - سبحانه وتعالى - في العام الثانى والثمانين من القرن الثـــالث عشر الهجرى"(٤).

(٦) مولانا محمد نقى على خان القادرى:

كان مولانا محمد نقى على خان - والد الشيخ أحمد رضا خان - من كبار علمـــاء الأحناف والأولياء الصالحين، يحدثنا عنه الشريف عبد الحى اللكنوى حيث يقول(٥): "إنـــه أحد فقهاء الحنفية، ولد في غرة رجب سنة ست وأربعين ومائتين وألف للهجرة، وأخذ عـن أبيه، وقرأ عليه ما قرأ من الكتب الدرسية، ثم أخذ الطريقـــة عـــن الشـــريف آل رســـول

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للشريف عبد الحى اللكنوى (ط: مجلس دائرة المعـارف العثمانية بحيدر اباد الدكن الهند، ١٣٩٩هـــ)، جـــ ٧، ص ٣٨٧.

(٢) تذكره علماء أهل سنت، لمولانا محمود أحمد القادرى، ص ٨٩.

(٣) معارف رضا، لصفوة من العلماء، جـــ ١٧، ص ١٩٧.

(٤) اختلف مؤرخو سيرة مولانا محمد رضا على خان في عام وفاته فذكر مولانا محمود أحمد القادرى ومولانا محمد شهاب الدين الرضوى أن وفاته كانت عام ١٢٨٦هـــ، انظر: تذكره علماء أهل سنت، لمولانا محمود أحمد القادرى، ص ٨٩، مولانا نقي على خان، لمولانا محمد شـــهاب الدين الرضوى (ط: عالمى دعوت اسلامية لاهور ١٩٩٦م)، ص ٢٨. غير أننا نرى أن الصواب ما ذكرناه بالمتن، لأن حفيده هو الذى ذكره كما أن أكثر مؤرخى سيرته رجحوا ما ذكره الشـــيخ أحمد رضا خان فى تاريخ وفاة جده، أنظر: بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص ١٨٤.

(٥) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للشريف عبد الحى اللكنوى، جـــ ٧، ص ٥٣٣، ٥٣٤.

Marfat.com

المارهروى وأسند الحديث عنه سنة أربع وتسعين ومائتين وألف للهجرة".

وعن رحلته للحج يحدثنا مولانا محمود أحمد القادرى حيث يقول(١): "إنه سافر للحج قبل نهاية القرن الثالث عشر بخمسة أعوام حيث أخذ الإجازة من الشيخ أحمد زينى دحلان وغيره من علماء بلد الحرام، وتوفى فى شهر ذى القعدة من العام السابع من القرن الثالث عشر الهجرى الموافق للعام الثمانين من القرن التاسع عشر الميلادى".

إنه خلف مؤلفات علمية وابنه الشيخ أحمد رضا خان، كما ترك الأراضى الزراعية الشاسعة يحدثنا عنها مولانا محمد شهاب الدين الرضوى حيث يقول(٢): "كان مولانا محمد نقى على خان يملك الأراضى الشاسعة في محافظة بدايون، وبعد خمود شرارة الثورة الهندية طلبت منه الحكومة الإنجليزية إثباتا بشأن ملكية هذه الأراضى، وكانت الوثائق قد ضاعت خلال أيام الثورة فلم يتمكن من تلبية مطلبهم حتى قامت الحكومة الإنجليزية بمصادرة هذه الأراضى... هذا وكان مولانا محمد نقى على خان يملك ست قرى بمحافظة بدايون ومازالت قرية كبيرة تدعى "كرتولى" في ملك المنحدرين من نسله، وكانت لديه المساحات الزراعية الكبيرة بما يمكن أن يقدر في مصبر بعشرات الأفدنة، وقد تزيد بعض القرى عنده على ما ذكرنا، فكان مولانا محمد نقى على خان يشرف على الأراضى بالاعتماد على الموظفين حيث إنه كان يزور أراضيه مرتين في سنة، وبعد رحيله إلى عالم البقاء قام الشيخ أحمد رضا خان بالإشراف على الأراضى، ولم يتجاوز هذا الإشراف أكثر من عام وأحد وذلك لرغبته الملحة في التصنيف والإفتاء، لذا كلف أخاه الأصغر مولانا حسن رضا خان بهذه المهمة، فقام أخوه بهذه المهمة خير قيام حيث إنه أغنى الشيخ أحمد رضا خان عن متاعب الإشراف على الأراضى مما جعله يتفرغ لخدمة الإسلام والمسلمين".

وهكذا حظى شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بالأسرة التى كانت تتمتع بالتقوى والصلاح ونعومة العيش، وحب الإسلام والمسلمين، والكراهية للاحتلال الإنجليزى.

---

(١) تذكره علماء أهل سنت، لمولانا محمود أحمد القادرى، ص ٢٥١، ٢٥٢.
(٢) مولانا محمد نقى على خان، لمولانا محمد شهاب الدين الرضوى، ص ٤١.

Marfat.com

نشأته

نشأ الشيخ أحمد رضا خان وترعرع في أسرة قد نبغت في العلوم الإسلامية والعربية حيث مالت إليها ووجدت فيها ما يبل صداها ويشبع رغبتها في البحث والدرس، يقول مولانا افتخار أحمد القادرى في هذا الصدد(١): "نشأ الإمام (يعنى الشيخ أحمد رضا خان) فى أسرة إسلامية كريمة ونبيلة وفي جو العلوم الدينية، كان والده مولانا محمد نقى على خان وجده مولانا محمد رضا على خان عالمين كبيرين ومتخلقين بالخلق القويم المستمد من القرآن والسنة".

هكذا نشأ وتربى شاعرنا على يد والده وجده، فلم يسمع منهما طوال طفولته غير آيات الله البينات، والأحاديث النبوية الشريفة، والحديث عن مكارم الأخلاق، والأعمال الصالحة، ولقد شرفت أذناه بالاستماع عن جده مولانا محمد رضا على خان لمدة وإن كانت قصيرة، ولا ننسى أنه يمت ببذور إلى أسرة عرفنا عنها ما عرفنا من اهتمامها بالدين دراسة وبحثا، وواصل والده بمهمة تربيته وتعليمه، إنه ربى ابنه فأحسن تربيته، وأدبه فأتقن تأديبه، فكان مربيا لروحه مع جسده، مهذبا لعقله كتهذيبه لأعماله، فهو يعد لكل أمر عدته، وهكذا قضى شاعرنا طفولته البريئة بين يدى والده وجده، وقد ظهرت آثار هذه التربية فى صغر سنه، من ذلك - على سبيل المثال لا الحصر- " في يوم من أيام رمضان المبارك انعقد حفل في بيت مولانا محمد نقي على خان بمناسبة أنه أول رمضان يأتى عليه ابنه (الشيخ أحمد

---

(١) أنظر: جد الممتار على رد المحتار للإمام أحمد رضا خان (ط: المجمع الإسلامى بمباركفور الهند، ١٣٩٨هـ)، جـ ١، ص ٢٥.

Marfat.com

رضا خان) وقد أعدت ألوان من الطعام المختلفة بمناسبة هذا اليوم السعيد لأسرته، فلما بلغت الشمس نصف النهار واشتدت الحرارة أخذ الوالد ابنه إلى غرفة فيها جميع المأكولات[١] وناوله بعضها وذلك بعدما أغلق الباب جيدا وطلب منه أن يتناول فأجابه الولد في احترام: "كيف أتناولها وأنا صائم"؟ فقال له الوالد الحكيم: "قد أغلقت الباب ولن يراك أحد من الأقارب". فأجابه ولده البار قائلا: "إن لم يرنى أحد من الأقارب فإننى في مراقبة من أمرنا بالصيام" فانهمرت دموع الفرح من عين الوالد لهذا الموقف"[٢].

ومن آثار حسن التربية ما حدث في كتاب الحى حيث أقام شاعرنا في صغر سنه، يحكى مولانا محمد ظفر الدين البهارى قائلا[٣]: "كان مدرس الكتاب مشغولا في تدريس الطلاب الصغار إذ سلم عليه أحد الأولاد، فرد عليه المدرس قائلا: "طال عمرك" فلفت أحمد رضا الصغير نظر أستاذه إلى أمر مهم قائلا: كان المطلوب من فضيلتك أن ترد على تحية التلميذ قائلا: "وعليك السلام"، وطال عمرك ليس برد على السلام، فلم يغضب الأستاذ من كلام تلميذه الصغير بل أبدى سروره من هذا التوجيه داعيا له بالخير واليمن والبركات"، نلمس في هذا الجرأة في قول الحق، على أن المناخ الذى يتنسم شاعرنا عبيره كان مناسبا، فكل من حوله وقّاف عند الحق.

---

(١) هذه عادة اجتماعية دأب المجتمع في شبه القارة على المحافظة عليها، وهى عبارة عن احتفال في نطاق الأسرة فقط بذالكم الصبى الذى يصوم رمضان لأول مرة، ولازالت هذه العادة شائعة حتى يومنا هذا بين مسلمى شبه القارة الباكستانية الهندية.

(٢) حيات أعلى حضرت لمولانا محمد ظفر الدين البهارى، جـ ١، ص ٢٤.

(٣) المرجع السابق، جـ ١، ص ٢٤.

Marfat.com

يشير الدكتور محى الدين الألوائى[١] إلى بعض الآثار الخلقية في طفولة الشيخ أحمد رضا خان حيث يقول[٢]: "وقد بدت في سلوك (الشيخ) أحمد رضا منذ الصغر آثار الزهد في متعة الحياة الدنيوية، والتمسك بالأخلاق الفاضلة، والتواضع، والحلم، في معاملته مع الناس".

في ضوء هذا الكلام يمكننا أن نقول: "إن الشيخ أحمد رضا خان تربى تربية إسلامية عالية على يد والده وجده، وكان لهذه التربية أثر عميق في تكوين شخصيته الإسلامية حيث تمسك طوال حياته بالصبغة الإسلامية منذ نعومة أظفاره على نحو ما سبق أن استشهدنا به، وإذا كان حاله هو هذا وهو صغير فكيف به عند النضج وبلوغ العقل من التمام ما أراد الله – سبحانه وتعالى – أن يبلغ، لا شك في أننا وجدنا ذلك واضحا جليا حين عرفنا كيف يفكر سياسيا وعلميا، وسوف نستشهد على ذلك فيما بعد.

---

(١) ولد الدكتور محى الدين الألوائى بقرية وليتساد بقرب مدينة ألوائى في ولاية كيرالا في غرة شهر يونيو من عام ١٩٢٥م، أكمل الدراسة الابتدائية والثانوية والجامعية في ولاية كيرالا بالهند ونال شهادة أفضل العلماء عام ١٩٤٩م من جامعة مدراس الحكومية، وفي عام ١٩٥٠م توجه إلى القاهرة فالتحق بمرحلة التخصص فى كلية أصول الدين ونال شهادة "العالية مع الإجازة" وفي أواخر عام ١٩٦٣م عاد إلى القاهرة ميمما وجهه شطر جامعة الأزهر العريقة في دراسة الإسلام والعربية وخدمة الدين واللغة وحسبها من ذلك مقصدا فالتحق بالدراسات العليا بكلية أصول الدين ونجح في امتحان التخصص في فترة ١٩٦٥م، وحصل على درجة العالمية الدكتوراه فى عام ١٩٧١م ليعود بعد ذلك إلى بلده. انظر: الأدب الهندى المعاصر للدكتور محى الدين الألوائى (ط: دار العلم بالقاهرة دون سنة الطبع)، ص ٧.

(٢) "مولانا أحمد رضا البربلوى" بحث مستخرج من مجلة صوت الشرق (الصادرة من السفارة الهندية بالقاهرة) عدد فبراير ١٩٧٠، ص ١٦.

Marfat.com

موطـنه

عاش شاعرنا حياته كلها في مدينة بريلى حيث ولد وشب واكتهل، فاشـــتهر بانتسابه إلى هذه المدينة كما اشتهر كثير من أسلافنا نسبة إلى بلادهـــم كالبخـــارى والترمذى والنسائى يقول السيد يوسف السيد هاشم الرفاعى[١] مؤكدا هذا الأمـر[٢]: "ولد الشيخ أحمد رضا خان في مدينة بريلى ولذلك صار يلقب بالبريلوى نسبة إلـــى هذه المدينة كما هى عادة العلماء والرجال المشهورين في بلاد الهند".

أما الأستاذ إعجاز الحق القدوسى فيرى[٣] أن شهرة مدينة بريلى ترجع إلـــى الشيخ أحمد رضا خان الذى نشأ بها فانتسب إليها فاشتهرت مدينة بريلـــى بكونـــها

---

(١) هو الشيخ يوسف الشيخ هاشم الرفاعى، عالم دينى جليل وشيخ الطريقة الرفاعيـــة، يمتـــد نسبة إلى العارف بالله الإمام أحمد كبير الرفاعى، وانتخب الشيخ يوسف هاشم الرفاعى امينا عامـا لمجلس الأمة في عام ١٩٦٣م وذلك بعد قيام دولة الكويت، كما تولى منصب وزير المواصـــلات والبريد والكهرباء سنة ١٩٦٤م، كما كان وزيرا للدولة خلال الفترة من عام ١٩٦٥م إلـــى عـــام ١٩٧٠م، وانه إذ كان وزيرا جعل الحكومة الكويتية تصدر قانونا بشأن تحريم الخمر في البـــلاد رسميا، كما رفع صوته ضد النظام التعليمى المزدوج، وله عدة جهود دينية أخرى، منها إقدامـــه على إقامة معهد الإيمان الشرعى على غرار الأزهر الشريف، لتعليم العلوم الإسلامية والعربيـــة، متع الله الإسلام والمسلمين بطول بقائه وحياته.
انظر: إسلامى عقائد (العقائد الإسلامية) للشيخ يوسف الشيخ هاشم الرفاعى، ترجمه إلى الأرديـــة مولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى (ط: مكتبه قادريه لاهـــور، ١٤١٠هـــ)، ص ١٨:٢٢، مقدمه.

(٢) من عقائد أهل السنة، لمولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى، (ط: منظمة الدعـــوة الإســـلامية، لاهور، ١٤١٥هـــ)، ص ١٥.

(٣) إقبال اور علمات باكـــ وهند، للأستاذ إعجاز الحق القدوسى، ص ٢٠٥.

Marfat.com

موطنا للشيخ أحمد رضا خان" وقد أرخت له دائرة المعارف الإسلامية كذلك في مادة بريلى[١] والنص كالآتى: "وكان من أهلها أحمد رضا خان وهو متكلم وعالم" فالشيخ أحمد رضا خان أفغانى النسب وهندى الموطن وبريلوى المولد والنشأة والتعليم والمدفن.

(١) دائرة المعارف الإسلامية لمجموعة من المستشرقين، ترجمه إلى العربية صفوة من العلماء والمحققين، (ط: دار الشعب بالقاهرة، مصر، ١٣١٩هـ)، المجلد السابع، الجزء ٥١، ص ١٩٣.

Marfat.com

خلقـــه

إن الشيخ أحمد رضا خان كان مستمسكا بالأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة مـــن التواضع، والحلم، والتقوى، وبعد النظر، ورث هذا عن أبيه وجده، يحدثنا مولانـــا محمد ظفر الدين البهارى عن خلق الشيخ قائلا(١): "كانت كل أعماله لله – ســبحانه وتعالى – فقط، ولم يكن يرغب في مدح أحد، كما لم يخف في الله لومة لائم، وكان خير مصداق لقول الرسول ﷺ(٢): "**من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان**" فلم يكن يحب أحدا إلا لابتغاء وجه الله، وبالتالى لم يكـــن يبغـــض أحدا إلا لله – سبحانه وتعالى – وإذا أعطى أعطى لله – عز وجل، وإذا منع منع لله – جل جلاله – وقد عبر شاعرنا عن هـــذا الخلـــق فـــي وأحـــدة مـــن رباعياتـــه بالفارسية(٣) وترجمة النص الفارسى كالآتى: لا أهتم بالثناء على من قبل أحد، كمـــا لا يهمنى هجاء أحد إياى، وليس عندى فرصة للتوجه إلى مدح أو للالتفات إلـــى ذم أحد، إننى في خلوة ليس فيها غيرى إلا بعض الكتب والقلم والدواة".

---

(١) حيات أعلى حضرت، لمولانا محمد ظفر الدين البهارى، جـــ ١، ص ٦٦-٦٧.

(٢) سنن أبى داود للإمام أبى داود سليمان بن الأشعث (ط: مطبعة السعادة بالقاهرة دون سنة الطبـــع) ج، ٤، ص ٢٠٤، كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه حديث رقم ٤٦٨١.

(٣) والرباعى بالفارسية كمايلى

نه مرانوش زتحسين نه مرانيش زطعن — نه مرا كوش بمدح نه مراهوش ذمے

منم وكنج خمولي كه نه كنجد دور وے — جز من وجند كتابے ودواتے وقلمے

Marfat.com

ويحكى مولانا محمد ظفر الدين البهارى قصة تدل على حلم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فنجده يقول(١): "جاءت رسالة إلى الشيخ أحمد رضا خان ضمن الرسائل اليومية فقرأت منها بعض السطور (كان مولانا محمد ظفر الدين البهارى قد اعتاد قراءة الرسائل للشيخ أحمد رضا خان) فوجدتها مليئة بالشتائم، فوضعتها في جانب وأخبرت الشيخ عما فيها بإيجاز فحملها أحد المريدين الجدد للشيخ أحمد رضا خان وأخذ يقرأها، فتألم كثيرا، وبعد صلاة المغرب حين أراد الشيخ أن يدخل بيته طلب منه هذا الرجل برفع القضية في المحكمة ضد كاتب الرسالة نظرا للإهانة التى قام بها كاتب الرسالة حتى تكون محاكمته عبرة للآخرين، فما كان رد الشيخ إلا أن طلب إليه أن يجلس وينتظره قليلا ثم دخل البيت، فلما خرج كانت في يده مجموعة من الرسائل، فناولها للرجل وطلب إليه أن يقرأها، فبدأ وجهه مشرقا فرحا ومسرورا بقراءة هذه الرسائل، ولما انتهى من قراءتها توجه إليه الشيخ قائلا: "لتكرم هؤلاء الناس أولا بالهدايا والأموال والأقطاع ثم تفكر فى أمر الشاتمين" هكذا واجه شاعرنا شتائم المخالفين، ولكنه مع حلمه هذا كان غيورا على الشريعة الإسلامية الغراء، فلم يكن يسمع ولو كلمة عن الشريعة إلا تصدى لقائلها.

ويحدثنا مولانا محمد إبراهيم الفريدى عن سمة خلقية أخرى اتسم بها شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فلنستمع إليه حيث يقول(٢): "سمعت الشيخ مهدى حسن - شيخ الطريقة القادرية بزاوية المارهرة - وهو يقول: بعثت إلى الشيخ أحمد رضا خان برسالة فتأخر في الرد عليها على غير عادته، ولما أرسل الىّ برسالة ذكر فيها سبب تأخيره في الرد على رسالتى قائلا: "إنه لم يكن يملك ما يشترى به طوابع البريد، فتخيلت أن الشيخ تنقصه الفلوس، فأرسلت إليه حوالة بريدية قيمتها مائتا

---

(١) حيات أعلى حضرت، لمولانا محمد ظفر الدين البهارى، جـ ١، ص ٦٩.
(٢) حياة أعلى حضرت، لمولانا محمد ظفر الدين البهارى، جـ ١، ص ٥٨.

Marfat.com

روبية، ولكنه بعد أيام عدة بعث الى بنفس المبلغ بالحوالة البريدية قائلا بكل احترام: إن من عادتى أننى أدخر مبلغا معينا من المال على قدر متطلباتى و أتصرف في الباقى على نحو معين، وكانت النقود قد انتهت قبل مجيئ رسالتكم، ولم تكن النقود وصلتنى من القرية(١) وإننى لا آخذ من أحد لسداد حاجاتى" هكذا كان شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان يربأ بنفسه أن تكون محل جميل من أحد، ويرى أن عزتها أغلى من أى شئ من أمور الدنيا، ومع هذا إذا أتيحت له فرصة العطاء لغيره فإنه يمد يده إلى كل من يكون في حاجة إليها، وعن ذلك يحدثنا الشريف أيوب على قائلا(٢): "إنه لم يكن يرد سائلا دون أن يعطيه ويمد له يد المعونة، وعلاوة على هذا كان يخصص بعض المال لمساعدة الأرامل والمحتاجين، ولم تكن هذه المساعدات قاصرة على أهل حيه فقط بل كان يبعث بها إلى مدن أخرى أيضا".

ويستطرد ذكاء الله خان في الحديث عن جود شاعرنا فيقول(٣): "كنا في فصل الشتاء عند الشيخ أحمد رضا خان وهو يودع الزوار عند البوابة، وسألنى حينما رآنى: هل عندك لحاف؟ فسكت فأكرمنى بإعطاء لحافه الذى لم يكن عنده سواه، وبعد يومين أو ثلاثة أيام هيأ لحافا آخر، فلم يمض عليه أيام حتى سأله أحد المسافرين لحافا في المسجد فلم يمنعه عنه، ورأى أن إعطاءه هذا اللحاف الجديد أفضل من أن يحتفظ به لنفسه مهما كانت حاجته إليه، لاسيما وقد أعده ولم يكن له غيره"، ولعله كان يستحضر قول الله – عز وجل – { **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** }(٤)، وكان هذا دأبه طيلة حياته، فإنه كان يسعد بالإنفاق في

---

(١) من المعلوم أن الشيخ أحمد رضا خان كان يملك الأراضى الزراعية، وكان أخوه محمد رضا خان يتولى مهمة الإشراف على الزراعة، فكان يرسل إلى الشيخ نصيبه من النقود، والتفاصيل ذكرنا في موضعها.

(٢) حيات أعلى حضرت، لمولانا محمد ظفر الدين البهارى، جـ ١، ص ٥١.

(٣) المرجع السابق، جـ ١، ص ٥٠.

(٤) سورة الحشر ٥٩/٩.

Marfat.com

سبيل الله، حتى أنه كان في أحيان كثيرة ينفق كل ما يملكه في سبيل الله، ولم يهتم بجمع المال طيلة حياته، فقد كان يؤثر الصدقة على الزكاة، فلم تبق له الصدقات مجالا لأن يؤدى الزكاة، ليس بعدا عن أداء الفريضة، وإنما نزاهة نفس وكرم يد، ورغبة في الإسراع بالتقرب إلى الله عن طريق الصدقة تقربا حال دون أداء الزكاة، يحكى مولانا محمد ظفر الدين البهارى عن عدم حيازة الشيخ أحمد رضا خان المال يمر عليه حول كامل طيلة حياته ونقل عنه قوله(١): "ما أديت زكاة المال طيلة حياتى ولو بيسة" (أدنى عملة في الهند)، وهذا كلام سليم لأنه لم يجمع قط مالا حال عليه الحول، بل كان يأتيه المال فينفقه على أصحاب الحاجات بكرمه البالغ.

داوم الشيخ أحمد رضا خان على المحافظة على الصلاة مع الجماعة، ولم يستطع أن يثنيه عن هذه الفضيلة أى شئ، وفي الفترة الأخيرة من حياته عندما داهمه المرض حافظ كذلك على صلاة الجماعة(٢).

---

(١) حيات أعلى حضرت لمولانا ظفر الدين البهارى، جـ ١، ص ٥٣.
(٢) المرجع السابق، جـ ١، ص ٣٠، ٦٧.

Marfat.com

حياته الأسرية

تزوج شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان من السيدة إرشاد بيجوم بنت الشيخ فضل حسين وذلك في العام الحادى والتسعين من القرن الثالث عشر الهجرى الموافق للعام الرابع والثمانين من القرن التاسع عشر الميلادى، وبعد سنة من الزواج أنجبت له زوجته إبنه الأول محمد حامد رضا خان وذلك في العام الثانى والتسعين من القرن الثالث عشر الهجرى، وفي العام العاشر من القرن الرابع عشر الهجرى أنجبت له ولده الثانى محمد مصطفى رضا خان(١).

ولقد روى مولانا محمد ظفر الدين البهارى عن أولاد الشيخ أحمد رضا خان(٢): "إنه ولد للشيخ سبعة أولاد، ابنان وخمس بنات"، وأورد الآن الحديث في شيئ من الإيجاز عن مولانا محمد حامد رضا خان.

مولانا محمد حامد رضا خان

اسمه محمد وشهرته حامد رضا خان، ولقبه حجة الإسلام، ولد بمدينة بريلى في شهر ربيع الأول من العام الثانى والتسعين من القرن الثالث عشر الهجرى، الموافق للعام الرابع والثمانين من القرن التاسع عشر الميلادى كما أسلفنا، وهو

---

(١) فاضل بريلوى علماء حجازكى نظرمين (الفاضل البريلوى من منظور علماء الحرمين الشريفين) للأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد (ط: ضياء القران ببلى كيشنز، لاهور، ١٩٨٨م)، ص ٨٣.

(٢) حيات أعلى حضرت لمولانا محمد ظفر الدين البهارى، جـ ١، ص ٨١.

Marfat.com

أكبر أولاد الشيخ أحمد رضا خان، تلقى العلوم الدينية الرائجة آنذاك عن والده، وقد أكمل دراسته وهو ابن تسع عشرة سنة(١). وبعد إكمال الدراسة قام بالتدريس في "منظر الإسلام" (لقد سبق أن عرفت بهذا المعهد الدينى) وعين مديرا لهذا المعهد الدينى بعد إنشائه مباشرة في العام الثالث والعشرين من القرن الرابع عشر الهجرى الموافق للعام الرابع من القرن العشرين الميلادى، وكانت له اليد الطولى في حل المسائل الفقهية وإصدار الفتوى على المذهب الحنفى شأنه في ذلك شأن ابيه.

يقول مولانا محمود أحمد القادرى مشيرا إلى مكانة مولانا محمد حامد رضا خان في الأوساط العلمية(٢): "ذاعت شهرته في قيامه بتدريس التفسير والحديث، وكانت له مكانة رفيعة في مجال العلم والعمل، وكان صاحب أسلوب خاص في مجال الأدب العُربى نظما ونثرا، وكان خير خلف لوالده الشيخ أحمد رضا خان حيث أخذ منه الإجازة والخلافة، وقد أخذ الطريقة من الشريف أبى الحسن أحمد النورى الذى أكرمه بالخلافة أيضا".

وكان مولانا محمد حامد رضا خان خطيبا ذا أسلوب خطابى مؤثر على سامعيه، كما كان عليه الحال من محاضراته التى كان يلقيها، فقد تركت مواعظه تاثيرا عظيما في قلوب مستمعيه، وأقلعت الكثير من مخالفيه عن معتقداتهم المغايرة وبالتالى لم يكن تأثيره قاصرا على المسلمين بل تخطاهم إلى غير المسلمين مما نتج عن ذلك أن دخل كثير من الهنادكة إلى الإسلام بفضل أسلوبه الرائع وحجته الواضحة وعرضه الأسمى لمبادئ الإسلام"(٣).

---

(١) تذكره خلفاء أعلى حضرت (ذكر خلفاء الحضرة العالية) للأستاذ محمد صادق القصورى، والدكتور مجيد الله القادرى (ط: إدارة تحقيقات إمام أحمد رضا، كراتشى ١٤١٣هـ)، ص ٢٣٤، ٢٣٥.

(٢) تذكرة علماء أهل سنت، لمولانا محمود أحمد القادرى، ص ٨٠، ٨٢.

(٣) تذكرة خلفاء أعلى حضرت، للأستاذ محمد صادق القصورى والدكتور مجيد الله القادرى، ص ٢٣٨.

Marfat.com

وعن وفاته يحدثنا مولانا محمود أحمد القادرى قائلا(١): "توفى مولانا محمد حامد رضا خان في شهر جمادى الأولى من العام الثانى والستين من القرن الثالث عشر الهجرى، الموافق للعام الثالث والأربعين من القرن العشرين الميلادى.

مولانا محمد مصطفى رضا خان

اسمه محمد وشهرته مصطفى رضا خان وهو ثانى ابنى الشيخ أحمد رضا خان، ولد في الثانى والعشرين من شهر ذى الحجة من العام العاشر من القرن الرابع عشر الهجرى، الموافق للعام الثانى والتسعين من القرن التاسع عشر الميلادى(٢).

يقول الشريف شاهد على النورانى(٣): "إن مولانا محمد مصطفى رضا خان تلقى تعليمه الابتدائى عن أخيه مولانا محمد حامد رضا خان ثم انتقل إلى كل من الشيخ رحم على المنكلورى، والشريف بشير أحمد على كرهى، والشيخ ظهور الحسن الفاروقى الرامفورى، وفي خاتمة المطاف اتجه إلى والده حيث أكمل الدراسة المعهودة آنذاك فى العام الثامن والعشرين من القرن الرابع عشر الهجرى الموافق للعام العاشر من القرن العشرين الميلادى".

يقول مولانا محمود أحمد القادرى(٤): "إن مولانا محمد مصطفى رضا خان أخذ الطريقة عن الشريف المخدوم أبى الحسن أحمد النورى، واستلم الإجازة في الطريقة عن والده الشيخ أحمد رضا خان أيضا".

عاش حياته مدرسا مربيا ثم مفتيا، وبالتالى كان عمله أن يتعهد العقول ويرعاها تدريسا ثم افتاء، وقام بدور فعال في نشر الوعى الإسلامى في أرجاء شبه

---

(١) تذكرة علماء أهل سنت لمولانا محمود أحمد القادرى، ص ٨٢.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٣.
(٣) انظر: مولانا محمد مصطفى رضا خان، للشريف شاهد على النورانى، (ط: اداره معارف رضا، لاهور، ١٩٩٤م)، ص ١٧، ١٨.
(٤) تذكرة علماء أهل سنت، لمولانا محمود أحمد القادرى، ص ٢٢٤.

Marfat.com

القارة الهندية، ولعب دورا ملموسا في حركة استقلال باكستان حيث إنه شارك في اجتماع المؤتمر السنى بعموم الهند، وذلك لتأييد حركة استقلال باكستان(١).

يقول الشريف شاهد على النورانى(٢): "إن مولانا محمد مصطفى رضا خان انتقل إلى رحاب ربه في الرابع عشر من شهر المحرم من العام الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى، الموافق للعام الحادى والثمانين من القرن العشرين الميلادى".

ولا أحسبنى قد أطلت حين تحدثت عن حياة شاعرنا الأسرية، فلم يكن له من الذكور سوى اثنين اقتبسا من العلم ما شاء الله لهما أن يقتبسا، وأضيئت حياة كل منهما بالفتيا والتدريس على النحو الذى سلف، فما قصدت إلا أن أبين أن هذه الشجرة مضت على طريق واحد في النشأة والمعيشة والتلقى، ومضت حياتهم جميعا على نسق وأحد، ولم أجد فيما قرأت دورا لإناث شاعرنا الخمسة أكثر من أسمائهن، ويبدو أن الأسرة قد آثرت تعليم الذكور فقط شأنها في ذلك شأن أغلبية الأسر في الهند آنذاك.

---

(١) مولانا محمد مصطفى خان رضا، للشريف شاهد على النورانى، ص ٣١، ٤١، ٧١.
(٢) المرجع السابق، ص ٩١.

Marfat.com

وفـــاته

إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان عاش مناضلا مـــن أجـــل قضايـــا الأمـــة الإسلامية وخدمة الإسلام والمسلمين، وإصلاح المجتمع بمقاومة البدع والمنكـــرات، وبث روح النهضة في المسلمين بشبه القارة الهندية، وبعد حيـــاة حافلـــة بالعطـــاء والجهاد والعمل للدفاع عن مصالح الأمة الإسلامية لبى شاعرنا داعى ربه فارتحلت نفسه المطمئنة إلى ربها راضية مرضية، وفي هذا يقول الأســـتاذ حـــازم محمـــد أحمد[١]: "بعد عمر طال خمسة وستين عاما (حسب التقويم الميلادى) تنبـــأ الشـــيخ أحمد رضا خان بوفاته وتحقق ما تنبأ به، وتوفى في نفس السنة التى تصور أنـــها زمان وفاته، فقد أقدم في الثالث من شهر رمضان المبارك عام تسعة وثلاثين بعـــد الثلاثمائة والألف للهجرة الموافق للعاشر من شهر مايو عام واحد وعشرين بعـــد التسعمائة والألف للميلاد، أى قبل رحيله بأربعة أشهر واثنين وعشرين يوما علـــى استخراج عام رحيله بحساب الجمل وذلك من الآية القرآنية **ويطـــاف عليـــهم بآنية من فضة وأكواب** (١٣٤٠هـــ)[٢] وفي الساعة الثانية وسبع وثلاثين دقيقـــة من ظهر يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر صفر عام أربعين بعد الثلاثمائـــة

---

(١) الإمام الأكبر المجدد محمد أحمد رضا خان والعالم العربى، للأستاذ حـــازم محمـــد أحمـــد (ط: رضافاونديشن لاهور باكستان، ١٤١٩هـــ)، ص ٤٧، ٤٨.
وانظر: سوانح إمام أحمد رضا لمولانا بدر الدين أحمد، ص ٣٩١.
وانظر: إمام أحمد رضا اور ردبدعات ومنكرات (الإمام أحمد رضا ودوره في مقاومـــة البـــدع والمنكرات) لمولانا يسين أختر المصباحى (ط: مدنى كتب خانه ملتان ١٤٠٥هـــ)، ص ٤١٥.

(٢) سورة الإنسان ١٥/٧٦.

Marfat.com

والألف للهجرة الموافق للثامن والعشرين من شهر أكتوبر عام واحد وعشرين بعد التسعمائة والألف للميلاد رحل الشيخ أحمد رضا خان إلى الرفيق الأعلى، وعندما شاع خبر رحيله أقبل الألوف من علماء وأدباء وساسة أهل السنة للمشاركة في تشييع جنازته، وقد روى مولانا يسين أختر المصباحى أنه قد شوهدت الشوارع المؤدية من مدينة بريلى إلى الميدان الفسيح المخصص لصلاة العيدين - والذى شهد صلاة الجنازة - يزدحم بالآلاف من أهل السنة والجماعة، الذين اشتركوا في أداء صلاة الجنازة، وبدأت الجرائد والمجلات في جميع أنحاء شبه القارة تنشر خبر وفاته مع معلومات عن حياته ومؤلفاته وخدماته الدينية والعلمية، وتصفه بأنه الإمام والعالم الجليل الذى ترك بوفاته فراغاً لا ينسد".

وهكذا تفجعت قلوب مسلمى الهند بوفاة الشيخ أحمد رضا خان وأصيبوا ببالغ الحزن والأسى، وكانت جريدة "بيسه أخبار" من المقدمين على الكتابة بهذه المناسبة فجاءت معربة عن قلق الشعب الهندى وخسارة الأمة الإسلامية بمايلى[1]: "إنه [أى الشيخ أحمد رضا خان] كان منقطع النظير في العلوم الإسلامية في بلاد الهند، كما كان فريد عصره ونسيج وحده وعالما متبحرا، حرمت الهند بوفاته من عالم كبير لا يرى أن أحدا يمكن أن يسد مكانه، وكان مثالا صادقا للإنسان المسلم الصادق، عاملا بالشريعة الإسلامية مواظبا عليها".

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه خيرا عن الإسلام والمسلمين.

---

(١) الشيخ أحمد رضا خان البريلوى، للأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد، ص ٣٢.
وانظر: جريدة بيسه أخبار الصادرة فى ١ نوفمبر ١٩٢١م، ط: لاهور، ص ٢.

Marfat.com

الفصل الثالث

ثقافته ومؤلفاته

يحتوي هذا الفصل علي النقاط السبعة الآتية:

أولا: تعليمه.

ثانية: رحلته إلي الحرمين الشريفين.

ثالثا: شيوخه.

رابعا: إقدامه على التدريس.

خامسا: جلوسه للإفتاء.

سادسا: قيامه بالتصنيف والتأليف.

سابعا: موهبته الأدبية

Marfat.com

Marfat.com

الفصل الثالث

ثقافته ومؤلفاته

تعرضنا فيما سبق لعصر شاعرنا لنصعد الصرح الشـــامخ لشـــخصيته ذات الأبعاد الكثيرة، والمثيرة للدهشة والاستغراب لمن يحاول معرفتها، وبالتالى حـــاولت أن أعرف القارئ الكريم بالمعلومات الأساسية عن حياة شـــاعرنا حيـــث تطرقـــت لتاريخ ميلاده، وأسرته، ونشأته وموطنه، وخلقه، وحياته الأسرية، ووفاتـــه، والآن أحاول دراسة ثقافته، ومؤلفاته، ويتكون هذا الفصل من النقاط السبعة الآتية:

أولا: تعليمه.

ثانيا: رحلته إلى الحرمين الشريفين.

ثالثا: شيوخه.

رابعا: إقدامه على التدريس.

خامسا: جلوسه للإفتاء.

سادسا: قيامه بالتصنيف والتأليف.

سابعا: موهبته الأدبية.

هذه هى النقاط السبعة التى يدور في فلكها الفصل الثالث مـــن البـــاب الأول، فأقول وبالله التوفيق.

Marfat.com

أولا: تعلـيمه

اشتغل شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بالدراسة منذ نعومة أظفاره حينما ألحقه والده بكتاب الحى وفيه تلقى تعليمه الأول حيث درس بكل اهتمام منذ اليـــوم الأول وأقبل على التعليم بشغف كبير، وظهرت عليه مخايل الذكاء ومواهب الإقبال علـــى العلوم الإسلامية والعربية، فتعلم القرآن في سن مبكر، وفي هـــذا يقـــول الأســـتاذ الدكتور مختار الدين أحمد[١] معجبا بذكائه الخارق[٢]: "إن طفولة الشيخ أحمـــد رضا خان المدهشة تختلف تماما عن طفولة الآخرين من معاصريه حيث إنه ختـــم قراءة القرآن الكريم ولما يتجاوز الرابعة من عمره".

ويبين لنا مولانا محمد ظفر الدين البهارى إقبال الشيخ أحمد رضا خان بشغف كبير على قراءة القرآن حيث يقول[٣]: "إنه كان يذهب إلى الكتاب بنفسه حتى أنـــه ذات يوم قصد الكتاب في يوم العطلة الأسبوعية أى يوم الجمعة" ولم يتغيـــب عـــن الدراسة ليوم وذلك لشدة شوقه إلى قراءة القرآن".

هكذا بدأ شاعرنا تعليمه ناشئا على حب العلم والمعرفة حيث إنه كـــان حـــاد الذكاء، كما كان موهوبا وحريصا على تلقى العلوم الإسلامية والعربيـــة، خاصـــة القرآن الكريم، فبدأت موهبته الصافية تنمو وقريحته النافذة تصقل، ولما أكمل الشيخ

---

(١) وهو ابن مولانا محمد ظفر الدين البهارى ويعمل رئيسا بجامعة مسلم على كرة بالهند

(٢) انوار رضا، لصفوة من العلماء، ص ٣٥٥.

(٣) حياة أعلى حضرت لمولانا محمد ظفر الدين البهارى، جـ ١، ص ٢٦.

Marfat.com

أحمد رضا خان قراءة القرآن وجهه والده إلى مرحلة أخرى يحدثنا عنها مولانا محمد ظفر الدين البهارى حيث يقول(١): "ولما اجتاز المرحلة الدراسية الأولى انتقل إلى المرحلة الثانية حيث إنه أخذ يدرس مبادئ علم الصرف على يد مولانا غلام قادر بيك، ولما تأهل لتلقى العلوم تتلمذ على يد والده فتعلم على يده العلوم الإسلامية والعربية حتى أنه أكمل دراسة العلوم والمقررات السائدة وقتئذ".

ويشير الشيخ أحمد رضا خان إلى إكمال دراسته قائلا(٢): "وذلك لمنتصف شعبان سنة ست وثمانين ومائتين بعد الألف للهجرة (الموفق سنة تسع وستين وثمانمائة والألف للميلاد) وأنا إذ ذاك ابن ثلاثة عشر عاما وعشرة أشهر وخمسة أيام، وفي هذا التاريخ فرضت علي الصلوة وتوجهت إلى الأحكام". وهذا منه كان بتوفيق الله- سبحانه وتعالى - بالموهبة الصافية، ثم التربية الصالحة من قبل أبيه وجده وحسن اهتمامهما بتعليمه وثقافته.

لقد قام الشيخ أحمد رضا خان بزيارة إلى مدينة رامفور حوالى عام الحادى والتسعين من القرن الثالث عشر الهجرى، وذلك لحاجة شخصية فتعرف هناك على أستاذ كبير في علم الهيئة وهو مولانا عبد العلى الرامفورى، فقرأ عليه جزءا من شرح جغمينى في علم الهيأة(٣).

وإنه تلقى تعليم الطريقة عن مرشده الشريف آل رسول المارهروى، ونهل من ينابيع شيخه ومرشده زهاء ثلاث سنوات بدءاً من العام الرابع والتسعين إلى العام السادس والتسعين من القرن الثالث عشر الهجرى، وإنه قبل لحاقه بالرفيق

---

(١) نفس المرجع السابق، جـ ١، ص ٣٢.
(٢) رسائل رضوية (الرسائل الرضوية)، للشيخ أحمد رضا خان، رتبه مولانا محمد إحسان الحق، (ط: المكتبة الحامدية، لاهور ١٩٧٦م)، ج ٢، ص ٣٠٩.
(٣) حيات أعلى حضرت، لمولانا محمد ظفر الدين البهارى، جـ ١، ص ٣٣.

Marfat.com

الأعلى جعل الشيخ أحمد رضا خان تحت إشراف خليفته ونائبه وحفيده الشريف أبى الحسين أحمد النورى حيث أخذعنه بعض علوم الطريقـــة وعلـــم التكســـير وعلـــم الجفر"(١).

ويحدثنا الأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد عن استمرار شاعرنا في الســـير على دروب العلم وقيامه بتثقيف نفسه بنفسه فيقول(٢): "ولم يزل بعد تخرجه يبحـــث ويكتب ويستزيد بدراسته ومطالعته أنواعا من العلوم والفنون حتى برع في خمســـة وخمسين علما وفنا".

تلقى شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان واحدا وعشرين علما وفنا عـــن والـــده، والتفصيل كما بينه الشيخ بنفسه(٣) كالتالى: "القرآن، الحديث، أصول الحديث، الفقه، أصول الفقه، التفسير، أصول التفسير، العقائد، الكلام، النحو، الصرف، الحســـاب، الهيئة، الهندسة".

هذا وقد تضلع في أربعة وثلاثين علما وفنا غير المذكورة آنفا، أخذ بعضـــها عن غير أبيه من العلماء، وبرع في بعضها بذهنه الحاد وذكائه الخارق الموهـــوب، ويدلى شاعرنا بأسماء هذه العلوم حيث يقـــول(٤): "القـــراءة، التجويـــد، الســـلوك، الأخلاق، أسماء الرجال، السير، التاريخ، اللغة، الأدب بجميع فنونه، الإرثمـــاطيقى، الجبر والمقابلة، الحساب الستينى، اللوغارثمات، التوقيت، المناظر والمرايا، الأكـــر، الزيجات، المثلث الكروى، المثلث المسطح، الهيئة الجديـــدة، المربعـــات، الجفـــر،

---

(١) المرجع السابق، جـــ ١، ص ٣٤، ٣٥.
(٢) الشيخ أحمد رضا خان البريلوى للأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد، ص ١٧.
(٣) رسائل رضوية، للشيخ أحمد رضا خان، جـــ ٢، ص ٣٠١.
(٤) المرجع السابق، جـــ ٢ ص ٣٠١

Marfat.com

الزائدجة، النظم العربى، النظم الفارسى، النظـــم الأردى، النـــثر العربـــى، النـــثر الفارسى، النثر الأردى، خط النستعليق، الفرائض وغيرها".

أما عن إتقانه للعربية والفارسية والأردية فيحدثنا عن ذلك الأستاذ حازم محمد أحمد حيث يقول(١): "كان الشيخ أحمد رضا خان محبا للغته الأم اللغـــة الأرديـــة، بالإضافة إلى اللغتين العربية والفارسية، وكان قد وهب ذاكرة لاقطة فـــأقبل علـــى آداب هذه اللغات ينهل منها بشغف شديد ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وكـــان لوالـــده الفاضل مولانا محمد نقى على خان دور كبير في هذا المضمار حيث إنـــه غـــرس هذا الحب في قلب ابنه، وكانت نظرة الوالد إلى اللغتين العربيـــة والفارســـية بـــأن تعلمهما شيئ أساسى لا غنى عنهما لأى عالم أو أديب يعيش على أرض شبه القارة لعمق الصلة بين هاتين اللغتين واللغة الأردية، فاللغة العربية لغة الدين الإســـلامي كما أن اللغة الفارسية لغة الحضارة والتراث الإسلامى الضخم فـــي شـــبه القـــارة بالنظر إلى أنها كانت قبل هيمنة الاستعمار الإنجليزى الغاشم على شبه القارة اللغـــة الرسمية بهذه البلاد، وقد رأينا الشيخ أحمد رضا خان يعرف هذه الحقيقة منذ صبـــاه فأقبل بشغف شديد على هذه اللغات يتعلمها ويطلع على آدابها وقد رأينـــاه يؤلـــف وينظم بهذه اللغات، وبمطالعة آثاره الخالدة بهذه اللغات يتبين أن مؤلف هذه الآثـــار الأدبية على الأخص – ما هو إلا أديب عربى، وعندما نطالع مؤلفاته النثرية التـــى كتبها بالعربية نتحير من مدى تمكنه التام من اللغة العربية وآدابها بل إننا وجدنـــاه ينظم شعرا عربيا اتسم بلغة فصيحة وأسلوب سلس".

---

(١) انظر: الإمام الأكبر محمد أحمد رضا خان والعالم العربى، للأستاذ حازم محمد أحمـــد، ص ٢٩، ٣٠.

Marfat.com

ثانياً: رحلته إلى الحرمين الشريفين

كان قلب شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان عامرا بحب الحبيب المصطفى- صلى الله عليه وسلم - فكان يعيش في لهف وشوق شديدين لزيارة الحرمين الشريفين، ولم يزل حب النبى - صلى الله عليه وسلم - يزيد ويقوى مع الأيام، وكانت عيناه تذرفان بالدمع الغزير إذا ذكرت المدينة المنورة في مجلسه، فكان شاعرنا يحن إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ويتمنى زيارتهما مهما كانت الظروف والأحوال، وأخيرا آن الأوان لتحقيق أحلامه وإرواء أشواقه، وإشباع نفسه التى كانت تهفو إلى رؤية الحرمين الشريفين، فقد أسعده الله - سبحانه و تعالى - بزيارتين ورحلتين عظيمتين، فكأن الله - سبحانه وتعالى - يشبع ري هذه النفس، فعطاؤه واسع، ومنّه عظيم، ونعمته إن أراد لا تحدها حدود، فبدلا من أن يروى ظمأه مرة واحدة تفضل فأشبع هذه النفس برؤيتين لا رؤية واحدة، وفيما يلى تفصيل هاتين الرحلتين.

رحلته الأولى إلى الحرمين الشريفين

لقد تشرف شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بزيارة الحرمين الشريفين مع والده سنة خمس وتسعين ومائتين وألف للهجرة، الموافق لثمانية وسبعين وثمانمائة وألف للميلاد. وفي هذه الرحلة الميمونة المباركة أخذ الشيخ أحمد رضا خان إجازة الحديث عن الشيخ أحمد زينى دحلان المكى، والشيخ عبد الرحمن سراج، والشيخ حسين بن صالح جمل الليل. لقد فوجئ الشيخ أحمد رضا خان في يوم من الأيام بعد

Marfat.com

انتهائه من صلاة المغرب عند مقام سيدنا إبراهيم - عليه السلام - إذ جاءه شيخ الشافعية وإمام المسجد الحرام آنئذ الشيخ حسين بن صالح جمل الليل فأمسك بيده وأخذه إلى بيته، ولم تكن بينهما معرفة مسبقة، وهناك وضع الشيخ حسين بن صالح يده على ناصية الشيخ أحمد رضا خان قائلا: "إنى لأجد نور الله في هذا الجبين" ثم منحه إجازتين في الصحاح الستة والطريقة القادرية، وحينئذ اقترح عليه إمام الحرم المكى المذكور آنفا أن يكتب شرحا على كتابه الجوهرة المضية، فأخذ الشيخ أحمد رضا خان الكتاب وكتب بما فتح الله به عليه في فترة بسيطة لا تزيد عن يومين، وأسماه "النيرة الوضية في شرح الجوهرة المضية"(١) وأورد فيه آراء علماء الفقه الحنفى جنبا إلى جنب آراء المذهب الشافعى"(٢).

كان شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان عقلية علمية مضيئة شأنه في ذلك شأن المصباح الذى يوضع في أى مكان فيضيئه، وهذا ما كان من أمر شاعرنا بحيث إنه طلب منه الشرح والتعليق فأدى ذلك خير أداء كما لو كانت لديه فكرة مسبقة عما يطلب منه وأنا أستطيع هنا أن أقول إن إمام الحرم تفرس في وجه شاعرنا النجابة، فكان شاعرنا عند حسن ظنه.

---

(١) الجوهرة المضية عبارة عن أرجوزة فى الفقه الشافعى، وقد رأى شاعرنا أن يتناولها بإيجاز طبقا لما طلب إليه الشيخ حسين بن صالح جمل الليل لعل أهل الهند الذين لم يعرفوا عنها شيئا يلموا بها ويقفوا على بعض ما فيها حيث يقوم شاعرنا بشرح هذه الأرجوزة باللغة الأردية ليتمكن أكثر أهل الهند من الاطلاع عليها، على أنه سوف يعرض لمواطن الخلاف بين المذهب الشافعى والذى عليه الأرجوزة ومذهب الأحناف والذى يعتنقه أكثر أهل الهند، مشيرا إلى ذلك بوضوح ليبين لأهل الهند الذين استقر فى نفوسهم معرفة المذهب الحنفى ما عليه الشافعية فى هذه النقطة التى يعرضها.

(٢) انظر: من هو أحمد رضا للشيخ شجاعت على القادرى (ط: منظمة الدعوة الإسلامية لاهور ١٩٨٦م)، ص ١٢٥.
وانظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للشريف عبد الحى اللكنوى، جـ ٢، ص ٤٢.

Marfat.com

لقد رجع شاعرنا من هذه الرحلة المباركة بعد أن غنم من نعمة الله – سبحانه و تعالى – الكثير، فقد تمتع بحج وزيارة للمسجد النبوى والقبر الشريف مبـــاركتين كما عاد واصطحب معه إجازات ثلاثا في الحديث، والفقه، والطريقة القادرية، كمـا تمتع بالبيئة العربية بمعنى الكلمة والروح فازدادت ثقافته العربية نظما ونثرا.

رحلته الثانية إلى الحرميـن الشريفيـن

ومرة أخرى يسعد قلبه الملتاع ونفسه التائقة برؤية مباركة للحرمين الشريفين وهذه المرة لم تكن زيارته هذه قصدا في بادئ الأمر وإنما دفعه إلى هذا حبه واتجاه قلبه وميول غامرة في نفسه إلى الحرمين الشريفين، اجتمع كل ذلـك عليـه فقـاده فضل الله إلى الحرمين الشريفين مرة ثانية، وذلك أنه ذهب ليودع أخـاه الأصغـر محمد رضا خان وابنه الأكبر محمد حامد رضا خان حيث إنهما كانا ينويـان حـج البيت العتيق وزيارة الحرم النبوى الشريف. فجاء شاعرنا الشيخ أحمد رضا خـان إلى الميناء بمدينة بومبائى ليودعهما ثم رجع إلى مدينة بريلى ولكن حب الحرميـن الشريفين كان قد سيطر على قلبه وروحه، وقد اشتد شوقه ولهفه إلى ديار الحرمين الشريفين، فحضر إلى أمه واستأذنها بكل احترام في هذه الرحلة، وبعـد إذن أمـه أسرع شاعرنا إلى الميناء ليلحق بركب الحجيج، فكانت الباخرة لحسن حظه متأخرة بالميناء فلحق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بأخيه وابنه، وتمت هذه الرحلـة فـي العام الثالث والعشرين من القرن الرابع عشر الهجرى الموافق للعام السادس مـن القرن العشرين الميلادى(١).

---

(١) انظر: سوانح إمام أحمد رضا، لمولانا بدر الدين أحمد القادرى، ص ٢٩٨، ٢٩٩.
وانظر: من هو .أحمد رضا خان، للشيخ شجاعت على القادرى، ص ١٢٤.

Marfat.com

وإذا كانت الرحلة الأولى لم تخل من العلم اطلاعا وتأليفا فإن الرحلة الثانيـــة أيضا أضيئت بالعلم، ففى الرحلة الثانية قام شاعرنا الفقيه بمهمة الإفتاء، والتـــأليف خلال إقامته بأرض الحرمين الشريفين، وفي هذا يقول الشريف أبو الحســـن علـــى الندوى(١): "إنه سافر إلى الحرمين الشريفين عدة مرات وذاكر علماء الحجاز فـــي بعض المسائل الفقهية والكلامية وألف بعض الرسائل أثناء إقامته بالحرمين، وأجاب عن بعض المسائل التى عرضت على علماء الحرمين الشريفين، وأعجبوا بغـــزارة علمه وسعة إطلاعه على المتون الفقهية، والمسائل الخلافيـــة، وســـرعة تحريـــره وذكائه".

هكذا استطاع شاعرنا أن يتمتع بالبيئة العربية التى شغف بلغتها وآدابها وذلـك بعد زيارة الحرمين الشريفين، كما قام بتأليف بعض كتبه بالعربية للعـــرض علـــى علماء العرب، فما برحت هذه الكتب إلا نالت إعجاب علماء الحرمين الشريفين مـن ناحية المادة العلمية والبراعة اللغوية، ومما تجدر الإشارة إليه أن شـــاعرنا مـــدح البعض من علماء الحرمين الشريفين بشعره العربى، كما مدحـــه بعضـــهم أيضـــا بالشعر العربى، الأمر الذى أهاج في قلب شاعرنا الموهبة الأدبية وسوف نحـــاول دراسة الأبيات المشار إليها في مواضعها.

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للشريف عبد الحى اللكنوى / والشريف أبـــى الحســـن على الندوى، جـــ ٨، ص ٤١.

Marfat.com

ثالثاً: شـــيوخـه

إن لشاعرنا الشيخ أحمد رضا خان أساتذة وشيوخا من نوعين منـــهم شـــيوخ الإقراء ومنهم شيوخ الإجازة، أما شيوخ الإقراء فنذكر فيما يلى أسماءهم.

١- مولانا الشريف آل رسول المارهروى.

٢- مولانا الشريف أبو الحسين أحمد النورى.

٣- مولانا محمد نقى على خان القادرى.

٤- مولانا عبد العلى الرامفورى.

٥- مولانا غلام قادر بيك.

وأما شيوخ الإجازة من أرض الحرمين الشريفين الذين منحوا للشـــيخ أحمـــد رضا خان إجازة في الحديث والفقه وغيرهما من العلوم الإسلامية والعربية فنســـرد أسماؤهم فيما يلى:

١- الشيخ أحمد زينى دحلان المكى.

٢- الشيخ عبد الرحمن سراج المكى.

٣- الشيخ حسين بن صالح جمل الليل.

هذا ولم نعثر على اسم الأستاذ الذى قرأ عليه الشيخ أحمد رضا خان القـــرآن الكريم، والباقى من شيوخ الإقراء خمسة، أما شيوخ الإجازة فثلاثة.

Marfat.com

إطلالة خفيفة على هؤلاء

(١) مولانا الشريف آل رسول المارهروى:

هو مرشد شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان، الذى أفاض على شاعرنا من علومه، ومنه أخذ شاعرنا الطريقة القادرية والإجازة في الحديث والطرق الصوفية.

كان مولانا الشريف آل رسول المارهروى - المولود في العام التاسع من القرن الثالث عشر الهجرى - من كبار أولياء الله الصالحين، تلقى العلوم الابتدائية في الزاوية البركاتية عن مولانا عبد المجيد البدايونى ومولانا سلامت الله كشفى البدايونى، وتلقى آخر دروسه الدينية على يد علماء فرنجى محل، ثم التحق بدروس الإمام عبد العزيز المحدث الدهلوى حيث حصل على إجازات لسلاسل الحديث والطرق الصوفية فأصبح أستاذاً في الحديث وشيخا في الطريقة، عاش حياة حافلة في خدمة الإسلام والمسلمين وتوفى إلى رحمة الله - سبحانه وتعالى - في العام السادس والتسعين بعد المائتين والألف للهجرة الموافق للعام السابع والسبعين بعد الثمانمائة والألف للميلاد(١).

(٢) مولانا الشريف أبو الحسين أحمد النورى:

هو حفيد مولانا الشريف آل رسول المارهروى وخليفته، ومنه أخذ شاعرنا بعض علوم الطريقة وعلم التكسير وعلم الجفر، ولد المترجم له في العام السابع والخمسين من القرن الثالث عشر الهجرى الموافق للعام التاسع والثلاثين من القرن التاسع عشر الميلادى، توفيت أمه وهو لم يتجاوز السنة الثالثة من عمره، وفي العام السادس والستين من القرن الثالث عشر الهجرى توفى والده أيضا، فنشأ وتربى في

---

(١) انظر: تذكرة علماء أهل سنت، لمولانا محمود أحمد القادرى، ص ٢١، ٢٢.
وانظر: رسائل رضوية، للشيخ أحمد رضا خان، جـ ٢، ص ٣٠٩.
وانظر: الشيخ أحمد رضا خان، للأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد، ص ٢٦.
وانظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للشريف عبد الحى اللكنوى، جـ ٧، ص ٤.

Marfat.com

حضن جديه وتلقى دراسته في الزاوية البركاتية على يد أساتذة أجلاء منهم مولانا محمد سعيد البدايونى، ومولانا نور أحمد البدايونى، ومولانا فضل الله الجاليسرى، ومولانا هدايت على البريلوى، أخذ الحديث والطريقة عن جده مولانا الشريف آل رسول المارهروى، كما أخذ المسلسل بالأولية عن الشيخ أحمد حسن المراد آبادى، عن الشيخ أحمد بن محمد الدمياطى، عن الشيخ المعمر محمد بن عبد العزيز، عن الشيخ المعمر أبى الخير بن عموس الرشيدى، عن شيخ الإسلام زين الدين زكريا بن محمد الأنصارى، وهو سند عال جدا [على حد قول الشريف عبد الحى اللكنوى]، توفى المترجم له إلى رحمة الله تعالى بعد حياة حافلة قضاها مشتغلا بإصلاح المسلمين ظاهرهم وباطنهم وذلك في العام الرابع والعشرين من القرن الرابع عشر الهجرى، الموافق للعام السادس من القرن العشرين الميلادى(١).

(٣) مولانا عبد العلى الرامفورى:

قرأ عليه الشيخ أحمد رضا خان شرح جغمينى [اسم كتاب في علم الهيئة] وهو أحد العلماء البارزين في علم المنطق والحكمة والهيئة، درس وأفاد مدة عمره، وأخذ عنه غير واحد من العلماء، تلقى المترجم له دراسته الابتدائية عن المولوى حيدر على تونكى، والمفتى شرف الدين الرامفورى، ودرس الحديث على يد مولانا محمد إسحاق الدهلوى، كما قرأ كتب الطب على الحكيم صادق على الدهلوى، ودرس على يد مولانا فضل حق الخير آبادى "حاشية قديمة" [هذا اسم كتاب في علم الحكمة]، وكان شغوفا بعلوم الحكمة، عمل مدرسا بالمدرسة العالية بمدينة رامفور، وتوفى إلى رحمة الله في السنة الثالثة من القرن الرابع عشر الهجرى(٢).

---

(١) انظر: تذكرة علماء أهل سنت، لمولانا محمود أحمد القادرى، ص ٢٨.
وانظر: الشيخ أحمد رضا خان، للأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد، ص ٢٦.
وانظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للشريف عبد الحى اللكنوى، جـ ٨، ص ٨، ٩.

(٢) انظر: تذكره علماء أهل سنت، لمولانا محمود أحمد القادرى، ص ٢٨.
وانظر: تذكره كاملان رامبور، للحافظ أحمد على شوق، (ط: دهلى، ١٩٢٩م)، ص ٢٢٨.
وانظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للشريف عبد الحى اللكنوى، جـ ٨، ص ٢٧٥، ٢٧٦.

Marfat.com

(٤) مولانا غلام قادر بيك اللكنوى:

هو غلام قادر بيك اللكنوى بن حسن جان بيك اللكنوى، ولد في العام الثانى والثلاثين من القرن الثالث عشر الهجرى الموافق للعام السابع والعشرين من القرن التاسع عشر الميلادى بمدينة لكنو، نزح والده من مدينة لكنو إلى مدينة بريلى حيث أقام في المسجد الجامع بجوار القلعة.. وكانت أسرته في الأصل قد نزحت من إيران إلى الهند واشتغل أجداده في الجيش المغولى حيث منحوا لقب "ميرزا" و "بيك" وذلك نظرا لخدماتهم في الجيش.

كان مولانا غلام قادر بيك من أصدقاء مولانا محمد نقى على خان فأقدم بنفسه لتدريس ابن صديقه حيث تعلم الشيخ أحمد رضا خان على يده بعض المواد التى كانت تدرس بالمرحلة الابتدائية في عصره.

نزح مولانا غلام قادر من مدينة بريلى إلى مدينة كلكته في أواخر أيامه، فكان يقوم بزيارة إلى شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان، وكان تلميذه هذا يعامله بكل الإجلال والتكريم كلما ذهب إليه، وكان مولانا غلام قادر يرسل إلى الشيخ أحمد رضا خان الاستفتاءات من مدينة كلكته بعد تحوله إليها طالبا منه الفتوى فيها، وهذه الاستفتاءات مع أجوبتها موجودة في ثنايا الفتاوى الرضوية، وقد ألف الشيخ أحمد رضا خان رسالته: "تجلى اليقين بأن نبينا سيد المرسلين" ردا على استفتاء مولانا غلام قادر اللكنوى.

توفى مولانا غلام قادر بيك إلى رحمة الله - سبحانه وتعالى - في السنة السادسة والثلاثين من القرن الرابع عشر الهجرى الموافق للسنة السابعة عشر من القرن العشرين الميلادى(١).

---

(١) انظر: حياة أعلى حضرت، لمولانا محمد ظفر الدين البهارى، جـ ١، ص ٣٢.
وانظر: تجلى اليقين بأن نبينا سيد المرسلين، للشيخ أحمد رضا خان، (ط: بروكريسو، ببلشرز، دون سنة الطبع)، ص ١٤.
وانظر: مولانا غلام قادر بيك اللكنوى، بحث مستخرج من مجلة سنى دنيا (الصادرة من مدينة بريلى) بقلم عبد الوحيد بيك البريلوى في عدد يونيو ١٩٨٨م، ص ٣٧.

Marfat.com

(٥) ومن أساتذته أيضا والده مولانا محمد نقى على خان القادرى، وقد سبق أن ذكرت ترجمته ضمن آباء الشيخ أحمد رضا خان. وبالتالى فوالده يضاف إلى شيخوخه الذين أقرأوه وأجازوه إلى جانب هؤلاء جميعا.

هذه كانت وقفتنا مع شيوخ الإقراء للشيخ أحمد رضا خان أما شيوخ الإجازة لشاعرنا الذين اجتمع معهم على أرض مكة المكرمة خلال زيارته الأولى إلى الحرمين الشريفين حيث تتلمذ على أيديهم وأفاد من علمهم وأخذ منهم الإجازة في الحديث، والفقه والتصوف فهاكم نبذة عن حياة أولئك الذين أجازوه.

(١) الشيخ أحمد بن زينى دحلان المكى:

ولد الشيخ أحمد زينى دحلان بمكة المكرمة في العام الحادى والثلاثين من القرن الثالث عشر الهجرى وتعلم بها، وأخذ العلم عن محمد سعيد المقدسى، وعلى سرور، وعبد الله سراج الحنفى، وبشر الجبرتى، وأخذ الفقه الحنفى عن السيد محمد الكتبى، ويروى عن الوجيه الكزبرى، والشيخ عثمان الدمياطى، والقاضى ارتضا على خان المدراسى الهندى وغيرهم، وكان أكثر اعتماده على أسانيد المصريين[١].

وصفه إسماعيل باشا البغدادى برئيس العلماء وشيخ الخطباء[٢] كما يلمح عمر رضا كحاله إلى مكانته العلمية قائلا[٣]: "فقيه، مؤرخ، مشارك في أنواع من العلوم ، مفتى الشافعية بمكة المكرمة". ويعرفنا به الزركلى قائلا[٤]: "فقيه مكى، مؤرخ، ولد بمكة وتولى فيها الإفتاء والتدريس". وعن اهتمامه بتدريس الحديث النبوى الشريف يحدثنا الكتانى حيث يقول[٥]: "كان مدمنا على الدرس، خصوصا الحديث حتى قالوا: صار البخارى عنده ضروريا كالفاتحة" وله مؤلفات قيمة وكلها

---

(١) فهرس الفهارس، لأبى جعفر الكتانى، (ط: دار الغرب الإسلامى، دون سنة الطبع)، جـ ١، ص ٣٩٠.
(٢) هدية العارفين، أسماء المؤلفين واثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادى (ط: المكتبة الإسلامية بطهران، دون سنة الطبع)، جـ ١، ص ١٩١.
(٣) معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، (ط: دار احياء التراث العربى)، جـ ١، ص ٢٢٩.
(٤) الأعلام، لخير الدين الزركلى، (ط: دار العلم، بيروت، ١٩٨٦م)، جـ ١، ص ١٢٩.
(٥) فهرس الفهارس، لأبى جعفر الكتانى، جـ ١، ص ٣٩١.

Marfat.com

مطبوعة[١] أخذ عنه مولانا محمد نقى على خان القادرى والشيخ أحمد رضا خان إجازة الحديث في العام الخامس والتسعين من القرن الثالث عشر الهجرى[٢]. وتوفى المترجم له في العام الرابع من القرن الرابع عشر الهجرى[٣].

(٣) الشيخ عبد الرحمن سراج:

ولد الشيخ عبد الرحمن سراج بمكة المكرمة سنة تسع وأربعين ومائتين وألف للهجرة، وحفظ القرآن المجيد وكثيرا من الفنون، وتتلمذ على والده شيخ علماء مكة، مفتى الأحناف الشيخ عبد الله سراج، كما تلقى العلم على يد مفتى مكة الشيخ جمال عبد الله شيخ علماء مكة الذى تولى مشيختها بعد وفاة الشيخ عبد الله سراج، كما درس على الشيخ أحمد زينى دحلان مفتى الشافعية بمكة المكرمة، وعلى الشيخ رحمة الله الهندى مؤسس المدرسة الصولتية، وكان مجتهدا في الطلب مجدا فيه، متميزا بين الأقران فصار أوحد علماء هذا العصر وفقهائه وشعرائه، وحصل على إجازات أقطاب العلماء في زمانه تفنن في علومه وأجاد في منثوره ومنظومه، فأصبحت له حلقة في المسجد الحرام، وتتلمذ عليه طلاب العلم وتخرج جماعة منهم على يده، ولما توفى الشيخ جمال عبد الله مفتى الأحناف ولى الشيخ عبد الرحمن هذا المنصب الذى أسنده إليه الشريف عبد الله بن عون أمير مكة[٤].

توفى الشيخ عبد الرحمن سراج بعد حياة حافلة عاشها في نشر العلم في العلم الرابع عشر بعد الثلاثمائة والألف للميلاد[٥] وأخذ عنه مولانا محمد نقى على خان

---

(١) انظر للتفصيل: الأعلام، للزركلى، جـ ١، ص ١٣٠، وهدية العارفين، للبغدادى، جـ ١، ص ١٩١.
(٢) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للشريف عبد الحى اللكنوى، جـ ٨، ص ٤٢.
(٣) فهرس الفهارس، لأبى جعفر الكتانى، جـ ١، ص ٣٩١.
(٤) انظر: أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر الهجرى وبعض القرون الماضية، للأستاذ محمد على المغربى (مطبعة المدنى بالقاهرة، ١٤٠١هـ)، جـ ٣، ص ٣٣٩، ٣٤٠.
وانظر: المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، للشيخ عبد الله مرداد أبو الخير (ط: عالم المعرفة، جدة، ١٤٠٦هـ)، ص ٢٣٤، ٢٤٤.
(٥) معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله، جـ ٥، ص ١٤٩، ١٥٠.

Marfat.com

و الشيخ أحمد رضا خان إجازة الفقه في العام الخامس و التسعين من القرن الثالث عشر الهجرى(١).

(٣) الشيخ حسين جمل الليل:

هو الشيخ حسين جمل الليل بن صالح بن سالم الشافعى المكى الخطيب، الإمام بالمسجد الحرام، ولد بمكة المشرفة ونشأ بها و أخذ العلم عن أفاضل أهلها، وتولى منصب مشيخة الخطباء و الأئمة بمكة سنة تسع وتسعين ومائتين و ألف للهجرة، نصبه إياه أمير مكة يومئذ الشريف عبد المطلب، ولبث فيه إلى أن توفي بمكة سنة خمس وثلاثمائة و ألف للهجرة، صلى عليه عند باب الكعبة ودفن في المعلاة، وكان لطيفا حسن المفاكهة ناظما للشعر (٢).

وبهذا أعتقد أننى إستطعت أن أسلط بعض الضوء على شيوخ شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان الذين قاموا بإسهاماتهم في تكوين شخصية هذا الشاعر و المصلح الدينى. ومن الجدير بالذكر أن كلا من الشيخ عبد الرحمن سراج و الشيخ حسين كان شاعرا عربيا أيضا ومن المؤكد أن شاعرنا أفاد منهما من هذه الناحية أيضا و إن لم يذكر شئ عن ذلك في المراجع المعنية بشاعرنا.

---

(١) تذكره علماء أهل سنت، لمولانا محمود أحمد القادرى، ص ٤٣.
(٢) المختصر من كتاب نشر النور و الزهر، للشيخ عبد الله مرداد أبو الخير، ص ١٧٧.

Marfat.com

رابعا: إقدامه على التدريس

تخرج شاعرنا في العلوم العربية و الإسلامية في العام السادس و الثمانين ومائتين و ألف للهجرة الموافق للعام التاسع و الستين بعد الثمانمائة و الألف للميلاد، عندئذ وجد شاعرنا بنى جلدته من المسلمين الهنديين في تخلف ثقافى هائل، و هم يعانون من الأمية التى نتجت عن تصرفات الإنجليز حيث إنهم أغلقوا المعاهد الدينية و الكتاتيب، وقاموا بإعدام الكثير من علماء الدين الحنيف شنقا في الشوارع، كما أرسلوا بعضهم إلى جزائر لا تتناسب لصحتهم وذلك للتخلص منهم، حتى يضرب التخلف أطنابه في عقول المسلمين و لا تقوم لهم قائمة، فما كان من شاعرنا الفقيه إلا أنه وجه اهتمامه إلى تدريس العلوم العربية و الإسلامية نظرا للعدوان الإنجليزى على المسلمين، وفي هذا يقول مولانا محمد ظفر الدين البهارى[1]: تولى الشيخ أحمد رضا خان بعد تخرجه تدريس الطلاب لعدة سنوات مع قيامه بالإفتاء... وكان و الده مولانا محمد نقى على خان أنشأ بمدينة بريلى معهدا علميا دينيا في العام التاسع و الثمانين بعد المائتين و الألف للهجرة، الموافق للعام الثانى و السبعين من القرن الثامن عشر الميلادى، وسماه مصباح التهذيب، و اشتهر فيما بعد باسم مصباح العلوم درس فيه الشيخ أحمد رضا خان بنفسه سنوات عدة ثم أقام معهدا علميا آخر في العام الثانى و العشرين من القرن الرابع عشر الهجرى، الموافق للعام الرابع من القرن العشرين الميلادى، وسماه منظر الإسلام، و إنه تولى إدارة هذا المعهد بنفسه أولا ثم عين ابنه مولانا محمد حامد رضا خان مديرا لهذا المعهد لانشغالاته العلمية الأخرى.

---

(١) جودهوين صدى كے مجدد (مجدد القرن الرابع عشر)، لمولانا محمد ظفر الدين البهارى (ض: مركزى مجلس رضا، لاهور، ١٩٨٠م). ص ٥٩، ٦٠.

Marfat.com

وفي هذا يقول الدكتور حامد على خان(١): "لما توجه الشيخ أحمد رضا خان إلى تدريس العلوم الإسلامية و العربية روى غليل الطلاب الكثيرين بالعلوم الإسلامية و العربية، ولم يكتف بهذا بل أنشأ معاهد دينية أخرى في أرجاء شبه القارة الهندية، وذلك عن طريق تلاميذه الذين تعلموا على يديه".

ويخبرنا الدكتور محى الدين الألوائى عن دور شاعرنا في نشر اللغة العربية في الهند فيقول(٢): "يعد مولانا أحمد رضا خان البريلوى من طليعة علماء الهند المسلمين الذين ساهموا مساهمة فعالة في خدمة العلم و الدين و اللغة العربية في أنحاء شبه القارة الهندية، وله صفحات مجيدة في تاريخ نشر العلوم العربية و الإسلامية في ربوعها". ولم أشأ أن أذكر تلاميذه وما حاولت أن أذكر بعضهم خوف الإطالة و إن كانوا كثيرين.

---

(١) أنوار رضا، لصفوة من العلماء، ص ٥٦٤.

(٢) "مولانا أحمد رضا" بحث مستخرج من مجلة صوت الشرق (القاهرة)، بقلم الدكتور محى الدين الألوانى، عدد يناير ١٩٧٠م، ص ١٦.

Marfat.com

خامسا: جلوسه للإفتاء

لقد عاش شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان أربعا وخمسين سنة من حياته الحافلة مؤديا واجبه نحو الفقه الإسلامى والمذهب الحنفى، فقد مضى في هذه المدة كلها مفتيا على المذهب الحنفى مصدرا فتواه تبعا لآراء علماء الحنفية، لم لا وقد ولد في بيت علم وفضل حيث كان أبوه وجده من علماء الأحناف، وقد قاموا بإصدار الفتوى جيلا بعد جيل على المذهب الحنفى كما سبق أن ذكرنا، وتبلغ مدة إفتاء الشيخ أحمد رضا خان وأبيه وجده حوالى إحدى وتسعين سنة كما سيأتى ذكرها، فكان شاعرنا ثمرة مباركة لهؤلاء الأعلام في الفقه الحنفى.

أقدم شاعرنا على الإفتاء في حياة والده ولم يكن يصدر الفتوى إلا بعد نظرة ثاقبة من أبيه الفقيه، على أن أول هذه الفتاوى كانت بدايتها في الرابع عشر من شهر شعبان من العام السادس والثمانين من القرن الثالث عشر الهجرى الموافق للعام التاسع والستين من القرن التاسع عشر الميلادى وهو إذ ذاك دون الرابعة عشرة من عمره، وحصل شاعرنا من والده إجازة تامة في الإفتاء في العام الثانى والسبعين من القرن التاسع عشر الميلادى كنتيجة لإجادته في الإفتاء، ولما توفى والده – إلى رحمة الله – في العام السابع والتسعين من القرن الثالث عشر الهجرى الموافق للعام الثمانين من القرن التاسع عشر الميلادى أخذ يصدر الفتوى وهو يتحمل وحده مسئولية الإفتاء(١).

ويحدثنا الشيخ أحمد رضا خان عن أنه كان يعرض على والده فتياه فيقرأها ويصلح ما يرى أنه يستحق ذلك ويجيز له ما يراه بعيدا عن الخطأ، وبالتالى فقد

---

(١) حيات مولانا أحمد رضا خان، للاستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد (ط: إدارة تحقيقات إمام أحمد رضا، بومبائى، الهند، ١٤١٠هـ)، ص ١٢٠.

Marfat.com

كان والده مرجعا يلوذ به ويعرض عليه فكره ونسمع إليه حيث يقول(١): "فجعلت أفتى ويهذبنى - قدس سره - [يعنى والده] فيما أخطى فبعد سبع سنين أذن لى - عطر الله مرقده النقى العلى - أن أفتى ولا أعرض عليه، ولكن لم أجرئ بذلك حتى قبضه الرحمن إليه".

ويقول شاعرنا مشيرا إلى سنده في الفقه الحنفى(٢): "سند الفقير في الفقه المنير مسلسلا بالحنفية الكرام والمفتيين والمصنفين والمشايخ الأعلام، له - بحمد الله تعالى - طرق كثيرة من أجلها أنى أرويه عن سراج البلاد الحرمية مفتى الحنفية بمكة المحمية مولانا الشيخ عبد الرحمن السراج ابن المفتى الأجل مولانا عبد الله السراج، عن مفتى مكة سيدى جمال بن عبد الله بن عمر، عن الشيخ الجليل محمد ابن عابد الأنصارى المدنى - إلى أن قال - عن الإمام الحجة أبى عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى، عن الإمام الأعظم أبى حنيفة عن حماد عن إبراهيم، عن علقمة والأسود، عن عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم".

واستمر الشيخ في نشاطه في الإفتاء كتابة وشفهيا ويقول مولانا محمد ظفر الدين البهارى(٣): "كان الشيخ أحمد رضا خان يرتجل في الرد على الأسئلة الشفهية حين يستفتى شفهيا وذلك نظرا لاستحضاره المسائل الفقهية في ذاكرته، ولم يذكر أنه كان يراجع أمهات الكتب الفقهية قبل الإفتاء شفهيا".

ولم تكن الفتيا من الشيخ أحمد رضا خان بلغة واحدة بل تعددت اللغات لتمكنه من الرأى الفقهى تارة - ومن اللغة تارة أخرى - يقول الأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد مشيرا إلى اللغات التى استخدمها الشيخ أحمد رضا خان لفتاواه(٤):

(١) العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية، للشيخ أحمد رضا خان، جـ ١، ص ٨٨.
(٢) العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية، للشيخ أحمد رضا خان، جـ ١، ص ٨٨.
(٣) حيات أعلى حضرت، لمولانا محمد ظفر الدين البهارى، ج ١، ص ١٣٨.
(٤) الشيخ أحمد رضا خان البريلوى، للأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد، ص ٨٩، ٩٠.

Marfat.com

"إنه أصدر فتاواه بالعربية والفارسية والأردية، فكتب بهذه اللغات. وقد ترجمت بعض فتاويه إلى اللغة الإنجليزية التى كتبها ردا على أسئلة شرعية".

وكان الشيخ أحمد رضا خان في رده على الاستفتاءات يهتم بالنثر والنظم كاهتمامه بلغة المستفتى، فإذا ورد عليه السؤال نثرا رد عليه نثرا، وإذا جاءه السؤال منظوما رد عليه في فتوى منظومة(١).

ويشير مولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى إلى ميزة من مزايا فتاوى الشيخ أحمد رضا حيث يقول(٢): تتجلى حقيقة مدهشة بعد مطالعة "العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية" إن أكثر طالبى الفتوى من الإمام أحمد رضا خان كانوا من أصحاب العلم والفضل فمنهم المفتون، والمصنفون، والقضاة، والمحامون [وهذا أفضل عن ثقة العامة، ولا غرابة فإذا كانت الثقة من الخاصة فلا يكون ذلك إلا عن مكنة في العلم وسعة في العقل ومتانة في الرأى وإصالة في الدراسة] وقد أقدم مولانا خادم حسين على كتابة مقال يحمل عنوان: "الإمام أحمد رضا مرجعا للعلماء" وذلك في العام العاشر من القرن الخامس عشر الهجرى بعد دراسة تسعة مجلدات من فتاوى الشيخ أحمد رضا خان التى كانت قد طبعت حينئذ، فاتضح له أن ربع طالبى الفتوى تقريبا هم علماء الدين الحنيف، وهذه الأعداد كما وردت في مقدمة الفتاوى الرضوية وهى كما تلى: "عدد أسئلة المستفتين في الأجزاء المطبوعة [وهى كانت تسعة وقتذاك] للفتاوى الرضوية أربعة وتسعون وأربعمائة وأربعون آلاف، أما عدد المستفتين من علماء الدين فهو واحد وستون بعد الألف"(٣).

تتضح من منظور ما درسناه المكانة المرموقة للشيخ أحمد رضا خان بين فقهاء الأحناف في أقطار شبه القارة الهندية، ولم يكن الشيخ أحمد رضا خان مرجعا

---

(١) حيات مولانا احمد رضا، للأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد، ص ١٢٤.
(٢) فتاوى رضوية كى انفرادى خصوصيات (مزايا الفتاوى الرضوية)، لمولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى (ط: رضا الكيدمى، لاهور، ١٤١٦هـ).
(٣) العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية، للشيخ أحمد رضا خان، جـ ١، ص ٥١.

Marfat.com

لمسلمى شبه القارة الهندية فقط بل كان مرجعا لمسلمى بلاد أخرى، وسيأتى ذكرها، على أنه لم يكن يتقاضى أى أجر على قيامه بالفتوى، وقال في هذا الصدد حينما سأله أحد المستفتين عن المقابل المادى للفتوى(١): "لا نأخذ مقابلا ماديا نظير إصدار الفتوى والحمد لله على ذلك، وتأتينا الاستفتاءات بفضل الله تعالى من أقطار الهند كبنجاب وبنغال، ومليبار، وبلاد أخرى كأفغانستان، وبورما، والصين، وإفريقيا، وأمريكا، والعراق، والحرمين الشريفين فتجتمع عندنا في بعض الآونة حوالى أربعمائة استفتاءات، وإننى بعون الله تعالى أقوم بهذا العمل منذ إحدى وخمسين سنة، والحمد لله نقوم بالإفتاء منذ عهد جدنا الشيخ محمد رضا على خان حتى يومنا هذا أى العام السابع والثلاثين من القرن الرابع عشر الهجرى الموافق للعام الثامن عشر من القرن العشرين الميلادى، وتبلغ هذه الفترة إحدى وتسعين سنة، وليس من السهل إحصاء الفتاوى الصادرة في هذه الفترة إلا أن هذا العبد الفقير كتب إثنى عشر مجلدا في الفتاوى، وخلال هذه الفترة الطويلة لم نأخذ أى مقابل مادى نظير الفتوى، ولو بيسة واحدة(٢) ولن تؤخذ بعونه تعالى والحمد لله، ولا أعرف السبب الذى دفع البعض إلى اختيار الإفتاء كمهنة مربحة مما دفع بعض الناس الذين يقدمون أسئلتهم للحديث عن تقديم مقابل مادى نظير إفتائى وإجابتى عن أسئلتهم، إخوة الإيمان والإسلام: **وما أسئلكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين** (٣). وفي هذا دلالة على نزاهة الشيخ وعدم حبه للمال خاصة إذا أتى من سبب لا ترتاح له نفسه، وهو لا يتحدث عن ذلك السبب فقط بل يستنكر على غيره أن يشرب من هذا المورد، فهو لا يراه صافيا يروى ظمأ النفس وتطلعها إلى المال، إنه يتجنب الحصول على الرزق من هذا المورد ويدعو غيره إلى التأسى بفعله وإن كان لا يطلب ذلك بصراحة.

---

(١) المرجع السابق، جـ ٣، ص ٢٣٠.
(٢) بيسه واحدة تساوى مليما بعملة مصر.
(٣) سورة الشعراء ١٠٩/٢٦.

Marfat.com

لقد تمكن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان من القيام بالعدد الكبير من الفتـــاوى بتوفيق الله – تبارك وتعالى – فإنه كان موهوبا في الإفتاء فقام بهذه المهمـــة خـــير قيام وأمضى أربعة وخمسين عاما في القيام بالإفتاء، وقد اعترف أهل العلم بنزاهتـــه وطول باعه في الفقه الحنفى، ونستأنس لذلك بقول الدكتور محمـــــد إقبـــال حيـــث يقول(١): "كان الشيخ أحمد رضا خان عالما زكيا دقيق الفكر ذا المرتبة الرفيعة فـــي التفقه، تتجلى مواهبه الاجتهادية من مطالعة فتاوية، وكان من نوابغ الهند، ويصعـــب علينا أن نجد فقيها بالطبع ورجلا زكيا مثله في عصر المتأخرين". ولم يكـــن هـــذا الرأى للدكتور محمد إقبال فقط بل نوه بشاعرنا وفتياه أناس كثـــيرون لـــم أشـــأ أن أذكرهم خوف الإطالة.

هكذا كانت لشاعرنا إسهامات قيمة في إثراء الفقه الحنفى الأمر الـــــذى دفـــع الطالب الباكستانى الشيخ مشتاق أحمد شاه إلي أن يقوم بإعداد رســـــالة التخصـــص الماجستير والتى موضوعها: "الإمام أحمد رضا خان وأثره في الفقه الحنفى" وذلـــك في كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر الشريف، وقـــــد منحتـــه الكليـــة درجـــة التخصص الماجستير في العام الثامن والتسعين من القرن العشرين الميلادى.

---

(١) مقالات يوم رضا، للشيخ عبد النبى كوكب، جـ ٣، ص ١٠.
قام الدكتور أحمد على برواية هذا الرأى حيث إنه سمع هذه الكلمات عن الدكتور محمـــــد إقبـــال وبالتالى ضبطها في مقاله الذى يتضمنه الكتاب المذكور أعلاه.

Marfat.com

سادسا: قيامه بالتصنيف والتأليف

إن الشيخ أحمد رضا خان وجه اهتمامه البالغ إلى التصنيف والتأليف لنشر الوعى الإسلامى والحث على حب الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتحريك العواطف للارتواء من هذا الحب، ومقاومة البدع والمنكرات السائدة فى شبه القارة آنذاك. فصنف في موضوعات شتى وعلوم كثيرة، وفي هذا الصدد يقول مولانا محمد ظفر الدين البهارى(١): "إن الله تعالى جعله جامعا لعلوم وفنون حيث إنه بتوفيق الله تعالى وبفضل جهوده في مجال العلم وذكائه الموهوب استطاع أن يؤلف في خمسة وخمسين علما وفنا".

ويقول مولانا محمد حسين الجشتى معبرا عن إحساس الشيخ أحمد رضا خان بمسئولية التصنيف والتأليف(٢): "كان الشيخ أحمد رضا خان نحيلا قانعا بأقل الطعام، وإذ انشغل بشئ من ألوان التصنيف أحاط بعقله ما يؤلف فيه إحاطة تجعله يأنف من كثرة الكلام فلا يميل إلى الزائرين ليتجنب ما يلهيه عن التأليف" "على أن ساعة العصر كانت هى الوقت الذى يتفرغ فيه لزواره والذين كانوا يتحلقون حوله ويكتنفونه من جميع أقطاره، في هذه الفترة كان يملى الرد على الرسائل ويحادث مع الزوار ويجيب على سؤال المستفتى"(٣) على أن هذه الأوصاف حفلت بذكرها بعض الكتب التى عرضت لحياة الشيخ أحمد رضا خان.

ويقول الشيخ أحمد رضا خان موضحا تأدبه مع والده(٤): "كنت أقدم إلى والدى كل ما أكتبه للمراجعة، وكان في بعض الأحيان يصلح بعض الأشياء، كما

---

(١) حياة أعلى حضرت، لمولانا محمد ظفر الدين البهارى، جـ ١، ص ٢٥.
(٢) المرجع السابق، ص ٣٠.
(٣) المرجع السابق، ص ٦٧.

Marfat.com

كان يسعد لرؤية الموضوعات العلمية وتحقيقى للمسائل وعندئذ كان يكرمنى بأدعيته الجليلة، ومازالت هذه المراجعة مستمرة طوال حياته".

هذا ولم يجلس شاعرنا ليدلى بدلوه في فن الأدب إلا إذا كانت نيته أن يكتب نصا، شعرا كان أو نثرا على نحو ما مثلنا لذلك وما سوف نعرض لنصوصه الشعرية، في البابين الثانى والثالث، أما النقد فما قرأنا له شيئا في ذلك، وما أخبرنا أخذ بأن قلم شاعرنا قد عرض للنقد الأدبى وإن كانت له بعض التعليقات القليلة، وإنما اتخذ من إصلاح المجتمع دينا وفكرا وسياسة محورا لقلمه، وقد ألف باللغة العربية عددا من الكتب لا يستهان به وقد برئت هذه المؤلفات من أى لكنة أعجمية بل جاءت بلسان فصيح عرف للعربية قيمتها فكتب بها وتذوق من العربية طعمها فجعل من هذا الطعم وهذه اللطافة في الأسلوب منهجا ومنوالا يسير عليه في تأليفه ونضرب لذلك مثلا بمؤلفاته الثلاثة التى ألفها بالعربية خلال إقامته في الحرمين الشريفين، ونالت إعجاب علماء الحرمين الشريفين.

١- الدولة المكية بالمادة الغيبية. (في العلوم التى أكرم الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه وسلم)

٢- كفل الفقيه الفاهم في أحكام قرطاس الدراهم. (في أحكام الأوراق المالية).

٣- حسام الحرمين على منحر الكفر والمين. (في الرد على بعض الفرق الزائغة)

هذا ولم يكن طعم العربية ومذاقها قاصرا على ما يؤلفه بالعربية، وإنما عمد إلى مؤلفاته بغير العربية فاتخذ من عنوانها سبيلا يذيع من خلاله الحروف العربية فيعنون لبعض مؤلفاته بغير العربية عنوانا بالعربية محتفظا فيه بالسجع اللطيف المنبئ عن مضمون الكتاب المراعى لحساب الجمل، وفي هذا يقول الأستاذ حازم

Marfat.com

محمد أحمد[١]: "إنه اختار لأغلب مصنفاته أسماء "مسجوعة" دالة على عام تأليفها بحساب الجمل، وكان يراعى عند اختيار أغلب مؤلفاته الآتى:

١- أن يكون اسم الكتاب مسجوعا ومقفى.

٢- مراعاة موضوع الكتاب أو الفن الذى ألفه فيه، فلما يقال: "العنوان دليل على ما فيه" [وإن كان المثل: "الكتاب يقرأ من عنوانه"] فنجد هذه المقوله منطبقة تماما على عناوين مصنفاته.

٣- استخراج عام التأليف من عنوان الكتاب.

٤- اختيار العنوان باللغة العربية لكل مؤلفاته بالعربية، على أنه كان يختار عنوانا عربيا لأكثر مؤلفاته غير العربية.

٥- اختيار كلمات مفهومة للعامة والخاصة من العرب [وغيرهم] على حد سواء، أى اختيار كلمات فصيحة من اللغة العربية المعاصرة".

وهاك بعض الأسماء على سبيل المثال لا الحصر.

١- العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية.

٢- الفضل الموهبى فيما إذا صح الحديث فهو مذهبى.

٣- الزبدة الزكية فى تحريم سجود التحية.

ومما هو جدير بالذكر أن عنوان "مؤلفات الشيخ أحمد رضا خان يحمل طعم الشعر وكأن العنوان بيت من القريض له قافيته ذات نغمة تدعو إلى قراءة المضمون.

---

(١) انظر: بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢٣٣، ٢٣٤.

Marfat.com

سابعا: موهبته الأدبية

تحدثنا فيما سبق عن ثقافة الشيخ أحمد رضا خان وذكرنا إلمامه بالعلوم الإسلامية والعربية، ونتحدث الآن عن موهبته الأدبية في الآداب العربية والأردية والفارسية، وكما هو معلوم أن موهبته الأدبية ظهرت منذ حداثة عهده فبدأ يكتب في الآداب العربية والأردية والفارسية في الفترة المبكرة من حياته، وإلى جانب هذا نظم الشعر باللغات المشار إليها آنفا، ومما هو جدير بالذكر أن شبه القارة الهندية بدأت علاقتها باللغة العربية بمهبط التجار العرب على أرض الهند، ولكنها بعد قدوم العرب بقيادة محمد بن القاسم إلى أرض السند - الواقعة بباكستان حاليا - أخذت تتبوأ منزلتها في نفوس علماء وأدباء شبه القارة، واستمرت مسيرة اللغة العربية تمضى قدما هكذا حتى عصر شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان وإلى الآن.

أما اللغة الفارسية فكانت لها الريادة في شبه القارة منذ القرن الرابع الهجرى وحتى نهاية الحكم الإسلامى بشبه القارة باعتبارها اللغة الرسمية، ومع هذا وذاك ظهرت اللغة الأردية على المسرح الرسمى قبيل انتهاء الحكم الإسلامى وأصبحت لغة رسمية بشبه القارة طيلة فترة الحكم الإنجليزى، فكانت الهند ملتقى الحضارات والآداب.

وبمطالعة ما كتب عن الشيخ أحمد رضا خان نجده وقد تأثر بكل هذه اللغات الثلاث. وعرف أنه لابد من إتقانها جميعا للوقوف على الآثار الثقافية الإسلامية، وقد مكنه من إجادة هذه اللغات بيئته الخاصة التى نشأ بها بالإضافة إلى تثقيفه نفسه بنفسه، فوصل إلى منزلة سامية في هذه اللغات وترك آثارا نثرية وشعرية، وعن ذا

Marfat.com

يحدثنا الدكتور محى الدين الألوائى(١): "قديما قيل: إن التحقيق العلمى الأصيل والخيال الذهنى الخصيب لا يجتمعان في شخص واحد (إلا نادرا) ولكن مولانا أحمد رضا خان كان محل اجتماع التحقيق العلمى الأصيل والخيال الذهنى الخصيب، تشهد له بذلك دواوينه الشعرية باللغات الفارسية والأردية والعربية، وديوانه المعروف باسم حدائق بخشش (حدائق العطيات) في مدح الرسول مشهور في أوساط شعراء الهند، وذلك بجانب مؤلفاته في علوم الفلسفة، والفلك، والرياضة، والدين، والأدب".

نظم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان الشعر الأردى في عصر كان الشعر الأردى قد بلغ درجة ليست بالقليلة، وقتها عاصر شاعرنا الكثير من شعراء الأردية المشاهير أمثال الدكتور محمد إقبال، والميرزا أسد الله خان غالب، وداغ الدهلوى، ومولانا ألطاف حسين حالى، وعن مكانة شاعرنا بين معاصريه في المديح النبوى الشريف يقول الدكتور رياض مجيد(٢): "نال الشيخ أحمد رضا خان منزلة عالية بين كبار شعراء الأردية، وعلى الأخص إنه يعد الشاعر الأوحد الذى ترك أثرا كبيرا عند كل من تصدى للنظم في المديح النبوى الشريف، ولا نجد صنوه في تاريخ المديح النبوى بالأردية، وقد تربت عنده ملكة المديح النبوى نتيجة لكل ما قرأه عن ذلك الفن بمختلف اللغات، وقد اقتبس في شعره العربى والفارسى والأردى من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، كما كانت منظوماته في المديح النبوى الشريف مزدانة بمصطلحات من المنطق، والرياضة، والهيئة، والنجوم، والهندسة، وغير ذلك من العلوم [لم لا وقد سبق أن اشرت إلى نبوغه في فنون عدة]، ومما تجدر الإشارة إليه أنه كان ملما إلماما تاما بأصول النظم كما كانت لغته واسلوبه أفضل مثال في المديح النبوى الشريف، وكان الدافع وراء نظمه الشعر الأردى في

---

(١) "مولانا أحمد رضا خان" بحث مستخرج من مجلة صوت الشرق (القاهرة) بقلم الدكتور محى الدين الألوانى عدد يناير ١٩٧٠م، ص ١٦، ١٧.

(٢) اردو مين نعت كوئى (المديح النبوى في الأدب الأردى) للدكتور رياض مجيد (ط: اقبال أكيدمى لاهور، ١٩٩٠م). ص ٤٠٩.

Marfat.com

المديح النبوى الشريف إبلاغ رسالته السامية القائمة على تعظيم النبى الأكـــرم وال بيته الأطهار وصحابته الكرام.

ويقول الدكتور محمود حسين البريلوى[١] والدكتور محمد طاهر الفـاروقى[٢] في شأن موهبة الشيخ أحمد رضا خان: "من المثير للدهشة والغرابة أن الشيخ أحمـد رضا خان لم يتتلمذ على يد أستاذ في نظم الشعر بل إنه اعتمد كل الاعتمـاد علـى الموهبة التى أكرمه الله تعالى بها". وإن كنت لا أوافق على ما رآياه من عدم وجود الأستاذ للشيخ أحمد رضا خان في نظم الشعر؛ وذلك لأننى أعتبر أن ما طالعه مـن كتب في المديح النبوى الشريف وما وقع تحت نظره من نتاج شعراء العربية كـل هذا كاف بأن يكون أستاذا يلقنه طريقة نظم الشعر، ويغرس في سمعه العبارة تلـو العبارة والصورة الشعرية إثر الصورة، مما جعله بعد ذلك يخوض هذا المضمـار بفضل ما اطلع عليه والأدب الذى قرأه، ولا ينبغى أن يفوتنا المقام الأعظـم محـل المدح، أعنى بذلك مقام الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - حيث تتجـاوب العواطف الشعرية مع الحب القلبى، وإن شئت فقل: الحب النابع من كل إحساس في الفرد لديه الاستعداد الذى يمكنه من تجاوب الأدب مع المحبوب وانسـجام الشـعر وانقياده للمقام الأسمى - صلوات الله وتسليماته عليه - ولم أكن مبالغا في حديثـى عن قيمة ما أهدى إليه من حبه للمصطفى - صلى الله عليه وسلم - واطلاعه علـى أشعار العرب وذلك حين نسمع قول شاعرنا نفسه فى رباعية من رباعياتـه حيـث يقول[٣]: "تكفينى اللوعة والدمعة زادا وآهات القلب المشجون حاديا، إذا احتجت إلى مساعدة في مدح الهادى - صلى الله عليه وسلم - استرشد بآثار قدم سيدنا حسان".

---

(١) معارف رضا، لمجموعة من العلماء والمحققين، جـ ١٢، ص ١٣٨.

(٢) إقبال اور محبت رسول (إقبال وحب الرسول) للدكتور محمد طاهر الفاروقى (ط: إقبال اكيدمـى لاهور ١٩٩٥م)، ص ١٢٤.

(٣) حدائق بخشش للشيخ أحمد رضا خان (ط: رضوى كتاب كهر بهيوندى الهند ١٤٠٥هـ)، جـ ٢، ص ١٧٥.

والنص الأردى للرباعية كما يلى:

توشه ميرغم واشك كاسامان بس هے — فغان دل زارحدى خوان بس هے

رهبركى ره نعت مين گرحاحت هو — نقش قدم حضرت حسان بس هے

Marfat.com

وهكذا دام شاعرنا ينظم شعره باللغة الأدرية حتى نال منزلة رفيعة في آفاق الأدب الأردى، وكان شاعرنا فريدا في أسلوب نظمه للمدائح النبوية فيتجلى من أسلوبه مدى هيامه وعشقه للحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وقد اتسمت أشعاره الفارسية والعربية بمثل هذه السمات.

إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان نظم في مدح الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بالأردية وقد طبع ديوان شعره الأردى في حياته في جزئين باسم "حدائق بخشش" وهذا الديوان يحتوى على منظومات أردية وفارسية وعربية في مدح الرسول - عليه الصلاة والسلام - وأهل بيته الطيبين الطاهرين، وأصحابه الكرام، والأولياء الصالحين، وخاصة الشيخ عبد القادر الجيلانى[١] ولقد قام مولانا محبوب على خان اللكنوى بجمع منظومات أردية وفارسية وعربية لا توجد بالجزئين الأول والثانى من "حدائق بخشش" وذلك بعد وفاة شاعرنا بسنتين، وسمى هذه المجموعة "حدائق بخشش الجزء الثالث"[٢].

هذا عن آثاره ومكانته في الشعر الأردى، أما نثره الأردى فنجد النماذج الرائعة في كتبه التى ألفها بأسلوب نثرى رصين وبلغة أردية سلسة، ومن أشهر كتبه الأردية المشار إليها نذكر: تمهيد إيمان، تدبير فلاح ونجاة، الزبدة الزكية في تحريم سجود التحية"[٣].

والآن نتحدث بشئ من الإيجاز عن براعة شاعرنا في الأدب الفارسى نظما ونثرا، وعن شعره الفارسى يقول الدكتور محمد إنعام الحق كوثر[٤]: "إن هذا

---

(١) بساتين الغفران للشيخ أحمد رضا خان ، (المقدمة). ص ١١

(٢) نفس المرجع السابق. (المقدمة) ص ١٣

(٣) للمزيد من الاطلاع انظر: إمام أحمد رضا كے نثرى شه يار (النماذج النثرية [الأردية] الرائعة في أدب الإمام أحمد رضا خان) للشريف رياست على القادرى، (ط: إدارة تحقيقات إمام أحمد رضا كراتشى ١٤٠٥هـ).

(٤) أرمغان رضا (هدية رضا) للشيخ أحمد رضا خان / رتبه الأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد (ط: المختار ببلى كيشنز كراتشى ١٩٩٤م)، ص ٧، ٨.

Marfat.com

الشاعر الجليل أبدع في تعبير مشاعره و أحاسيسه باللغة الفارسية، فاتخذ اللغة كوسيلة لبيان ما في ذهنه وقلبه من أفكار شعرية سامية و عو اطف جياشة بأسلوب بديع بشأن المديح النبو ى الشريف، وذلك على الرغم من كون اللغة الأردية لغته الأم، إنه كان مغرما بالنبى - صلى الله عليه وسلم - وقصائده الفارسية في مدح الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - تمثل عظمة العشق النبو ى الشريف، ومن مزايا شعره الفارسى مقدرته على التعبير و استعمال الكلمات المناسبة و الأفكار النقية، ويتميز أسلوبه بكثرة إيراد تشبيهات و استعارات، و أهم من كل هذا أن طبعه الموزون وروحه المتصفة بحب خاتم النبيين - صلو ات الله و تسليماته عليه - جعله في مرتبة كبار الناظمين في مدح أشرف الأنبياء و المرسلين بالفارسية [في شبه القارة الهندية] و هذا هو سر شعره المحبب إلى القلوب.

وفي هذا المعنى قال الأستاذ خضر النوشاهى(١): "إن الشيخ أحمد رضا خان محب صادق عشق جمال الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وقد نظم بالفارسية في مدح خير البرية، - صلو ات الله و تسليماته عليه - حيث يفو ح شذى الحب النبو ى الشريف من كل كلمة وردت في منظوماته الفارسية، وتعطر قلوب أهل الإيمان و أرو احهم، وتجعلهم في هيام روحى فريد.. و إنه ليس شاعر اللغة العربية و الفارسية و الأردية فقط إنما هو مبلغ نور الحب النبو ى الشريف، وبهذا النور اضاء قلوب المسلمين في شبه القارة، و إن شعره الفارسى مفعم بو جد الحب و حرقة العشق بكل ما تحمله من معان، و متسم بالمحاسن البديعية، يتميز بأسلوبه البلاغى باتصافه بالحقائق وبعده عن التكلف حيث يجذب القلوب ويثير الدمو ع".

إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان لم ينظم بالفارسية إلا قليلا ولكنه أجاد وأبدع فيما نظم، ورتب الأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد ديو ان شعزه الفارسى وقد ركز على الأبيات و القصائد الفارسية الو اردة في المديح النبو ى الشريف، و هناك الكثير من الأبيات الفارسية لشاعرنا الشيخ أحمد رضا خان في أغراض شعرية

---

(١) المرجع السابق، ص ٥.

Marfat.com

اخرى والتى مازالت متفرقة في كتبه بصفة عامة وفي ثنايا ديوان شعره الأردى بصفة خاصة، وكان شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بارعا في النثر الفارسى إلى جانب كونه شاعرا في الفارسية، حيث أنه كان يجيب بالفارسية الأدبية على من يطرح عليه الأسئلة الدينية بالفارسية، وتوجد الفتاوى الفارسية ضمن مجموعة فتاويه التى تحمل اسم "العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية".

وإننى لأستسمح القارئ الكريم أن يغتفر لى عدم الاستشهاد أو استحضار بعض الصور فيما كتبه شاعرنا بالأردية أو الفارسية، لأن مجال الرسالة في الأدب العربى ولن يظهر جمال الضورة ودقة العبارة ولطف التركيب إلا أن أستحضرها بلغتها التى كتبت بها، ولما كان ذلك يتعارض مع مجال رسالتى رأيت أن أحجم عنه مكتفيا بتلك الإشارات الخفيفة، على أن نظرتى لموهبته الأدبية فيما كتبه بلغة العرب سوف أستشهد وأستحضر على أننى أرجو ألا أزيد لا سيما وموهبة الشيخ فياضة.

ولقد بدأت علاقة شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان باللغة العربية منذ حداثة سنه فمعلوم أن والده وجده أجادا هذه اللغة، وقد ترك هذا أثرا واضحا على ثقافته وميوله حيث إنه بدأ تعليمه للغة العربية على يديهما، فمنذ ذلك العهد بدأت صلته وعلاقته باللغة العربية، وحين كنا نتحدث عن بداية دراسة الشيخ أحمد رضا خان قد رأيناه يدرس ويتطلع إلى هذه اللغة حتى أنه بدأ التأليف بشرح كتاب هداية النحو لأبى حيان محمد يوسف الأندلسى باللغة العربية وهو في الثالثة عشر من عمره وذلك في العالم الخامس والثمانين من القرن الثالث عشر الهجرى الموافق للعام الثانى والستين من القرن التاسع عشر الميلادى، وبعد ذلك بعامين قام بشرح كتاب في أصول الفقه يحمل اسم "مسلم الثبوت للعلامة محب الله البهارى"(١). ومازال بعد ذلك يهتم بهذه اللغة على مرور الأيام حتى عرف عنه واشتهر بكونه عالما ضليعا في اللغة العربية وآدابها، وتجلت موهبته الأدبية في مؤلفاته القيمة، ومما يدل على امتلاكه ناصية اللغة العربية إقدامه على اختيار عناوين أغلب مؤلفاته الأردية باللغة

(١) انظر: أنوار رضا، لصفوة من العلماء والمحققين، ص ٣١.

Marfat.com

العربية، ليس هذا فقط بل نجده يقدم على كتابتها دالة على تاريخ تأليفها بحساب الجمل مع خلوها من التكلف والتصنع وقد أشاد أهل العلم بموهبته في الأدب العربى - نظما ونثرا[١] - وها أنذا استشهد ببعض ما يمكن أن يكون قد ترك أثرا فى نفسى بعدما قرأته، لذلك سأختار قليلا من كثير، وهاك اختيارى من البيت الثامن والثلاثين بعد المائتين إلى البيت الثالث والأربعين بعد المائتين، إننى إخترت نموذجا مما نظمه شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان في الصلاة والسلام على خير الأنام - صلى الله عليه وسلم - ذكرت سابقا أن الحب النبوى كان قد امتلك ذلك القلب وجرى فيه جريان الماء في الزهر اليانع، وكان هذا الحب اتباعا لما جاء في الحديث النبوى الشريف مما قاله الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - **"لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"**[٢] وأكاد أرجح أن هذا الحب الشديد أكبر دافع إلى حب الشيخ أحمد رضا خان للغة العربية وتمكنها من قلبه، واندفاع الشيخ أحمد رضا خان إلى نظم شعر المديح باللغات العربية والفارسية والأردية، وإننى أعجبت بما نظمه الشيخ أحمد رضا خان مصليا ومسلما على الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ولنسمع صوت شاعرنا حيث يقول[٣]:

وصلاة ربى دائما أبدا على ... خير البرية سيد الأكوان
والآل والصحب والأحباب والـ ... ـنواب والأصهار والأختان
صلى المجيد على الرسول وفضله ... ومحبه ومطيعه بجنان
صلى عليك الله يا ملك الورى ... ما غرد القمرى في الأفنان
صلى عليك الله يافرد العلى ... ما أطرب الورقاء بالألحان
صلى عليك الله يا مولاى ما ... رن الحمام على شجون البان

---

(١) سوف أذكر هذه الأراء في الفصل الثانى من الباب الثالث.

(٢) صحيح البخارى، للإمام محمد بن إسماعيل البخارى كتاب الإيمان، باب حب الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الإيمان (ط: مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة، ١٣٧٧هـ)، الجزء الأول، ص ٩.

(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٨٨.

Marfat.com

نظم شاعرنا هذه الأبيات في قصيدته التى سماها بالاسم التـــاريخى بحســاب الجمل "مدائح فضل رسول" والتى تشتمل علي مائتين وثلاثة وأربعين بيتا ومطلعها:

رن الحمـــام على شجون البان ياما أميلح ذكـــر بيض البان
تبكى دما وتقول في أسجاعها الله يضحك سن من أبكانى(١)

نلاحظ أن شاعرنا تتبع نهج شعراء العصر الجاهلى وذلك في مطلع القصيـدة، يقول مرتب بساتين الغفران الأستاذ حازم محمد أحمد المحفوظ في هذا الصـــدد(٢): "مما تجدر الإشارة إليه وبخصوص أشعار التشبيب التى افتتح بها الشيخ أحمد رضا خان هذه القصيدة أنها على غرار مطلع قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير بن أبـــى سلمى، وتلك من خصائص أسلوب وموضوعات نظم الشعر في العصر الجـــاهلى، وعندما ندقق النظر في تلك القصيدة لا نجد فيها لفظا خارجا عن حدود الأدب فـــهو غزل عذرى عفيف، ولا نجد له أى أشعار عربية في الغزل العذرى ضمن بســاتين الغفران إلا في مطلع هذه القصيدة... ثم بعد ذلك نجده يخاطب نفسه قائلا في البيـت رقم ستة وعشرين:

دع عنك هذا لست أهل بطالة وانهض إلى ما كنت فيه تضانى

وكأنه يقول لنفسه: "إن أشعار التشبيب التى افتتح بها كعب بن زهير بن أبـــى سلمى قصيدته ولم ينهه الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأن كعبا كان حديث عهد بالإسلام، ولم تكن لديه معرفة مسبقة بكل ما نزل على الرسول - صلى الله عليـــه وسلم - لذلك التمس له الرسول - صلى الله عليه وسلم - العذر، وأنت الآن يارضا ليس لك من عذر لكى تنظم في الغزل وإن كان أسلوبك عفيفا، فعليك بالابتعاد عـــن النظم فيما فيه شبهات وعد إلى ما أخذته على عاتقك عن تحمل كل صعـــاب فـــي طريق التقوى والهدى والرشاد والدعوة".

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان . ص ٧٢.
(٢) المرجع السابق. ص ١٠٦.

Marfat.com

كان هذا رأى الأستاذ حازم حيث إنه حاول أن يوازن بين ما هو من أشـــهر القصائد في المديح النبوى الشريف، وإن شئت فقل: إنها بداية هذا الفن الرائع الـذى كان يشبع النفس العربية من جهتين، الأولى الشعرية ونفس العربى إليه أميل وبـــه أحفل، والثانية حب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وقلب مشبع وطرب بذكـر اسمه - صلى الله عليه وسلم - أوصفة من صفاته الشريفة - صلوات الله وسـلامه عليه - أو ذكر صحابته وغزواته، وأى شئ في حياته - صلى الله عليه وسلم - أو في حياتنا مرتبط بشأنه - عليه الصلاة والسلام - قولا أو فعلا، إرشادا أو تقريـرا إلى آخره، وقد حاول الأستاذ حازم محمد الموازنة بين القصيدة الأولى ظهورا فـي المديح النبوى وبين قصيدة للشيخ أحمد رضا خان في نفس الغرض، وكم كنـت أود أن تكون الموازنة شاملة لعدة أمور.

أولا: علمنا الغرض الذى سيقت من أجله قصيدة "بانت سعاد" على حيـن أن قصيدة الشيخ أحمد رضا خان كانت في مدح أحد العلماء، ألا وهو مولانـا فضـل الرسول البدايونى، وإن كان الأستاذ حازم لم يعرض لذلك وإنما استهواه ما قاله فـي المقدمة.

ثانيا: طول النفس فقد بلغت قصيدة الشيخ أحمد رضا خان ثلاثـة وأربعيـن ومائتى بيت على حين أن قصيدة "بانت سعاد" تشتمل على ثمان وخمسين بيتا.

ثالثا: كثرة الأغراض التى اشتملت عليها قصيدة الشيخ أحمد رضا خان على حين قلتها في "بانت سعاد".

رابعا: لا نستطيع أن ننسى ذلك الغـزل العفيـف المصحـوب بالأوصـاف المتعددة والتى لا تنقص من عفته شيئا، فرغم الصفات التى اشتملت عليها قصيـدة بانت سعاد إلا أن الغزل لا يخرج عن نطاق التهذيب بل ظل الغزل جديـرا بـأن سمعه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولم ينكر على قائله، على حين أن الغـزل

Marfat.com

عند الشيخ أحمد رضا خان في القصيدة التى بين أيدينا لم يشتمل على تلك الصفات، و إن كان قد زين ببعض الحكم.

خامسا: لم يقف الأستاذ حازم عند الطرب الناتج من القافيـــة النونيـــة التـــى استخدمها الشيخ أحمد رضا خان و التى أكسبت القصيدة روعة وطربا و غناء، حيـث وجدت النون بين الألف و الياء فكان النطق بها من أحلى ما يمكن، و إن كـــان ذلـــك الطرب أقل في القافية اللامية التى استخدمها سيدنا كعب بن زهير، ولو أضفنا مـــا أشرنا إليه من طول النفس لعلمنا أين الطرب في القصيدتين و لانسجمنا أى انســـجام من قصيدة مليئة بالطرب لقافيتها من ناحية وطول نفسها من ناحية أخرى.

سادسا: لا ننسى البحر البسيط ولطافته و هو ما جاءت عليه قصيدة كعب بـن زهير على حين أننا نحفل بظرف بحر الرجز وخفته وسرعة الحركة التى يمكن أن يكون عليها لكونه معرضا لكثير من الزحافات، ولعل ذلك ما دفع بعضهم بتســـمية بحر الرجز حمار الشعراء.

إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان استطاع بموهبته الشعرية أن ينظم الشـــعر بأسلوب شعراء العصر الجاهلى عند العرب، فقد أتى بالتشبيب على نهجهم فأجـــاد و أبدع الغزل حيث إنه مع كونه رجل دين عاش في القرن الرابع عشـــر الـــهجرى الذى يتميز بخصائص وسمات وموضوعات تختلف عن العصر الجاهلى، و هذا يدل على مقدرته على النظم في أسلوب وموضوعات كل عصر أدبى.

ولقد تجلى أثر اللغة العربية على المنظومات الأردية و الفارسية التى نظمـــها الشيخ أحمد رضا خان، و هذا إن دل على شيئ فيدل على مدى شغفه بالعربية حتـــى و هو ينظم بلغة غيرها، فبمطالعة ديوان شعره "حدائق بخشش" في أجزائه الثلاثـــة تتجلى لنا هذه الظاهرة، مثال ذلك ما وجدناه من أشعار أردية وفارسية نظم شـاعرنا صدر البيت فيها بالعربية، وكذلك ما وجدنا من أشعار أردية وفارسية نظم شـــاعرنا عجز البيت منها بالعربية، بالإضافة إلى أن هناك أشعارا قد استخدم فيها الشاعر مـا

Marfat.com

يسمى في علم البديع "الاقتباس" من آيات القرآن الكريم و الحديث النبو ى الشـــريف. وقد جمع مرتب بساتين الغفران الأستاذ حازم محمد هذه النماذج وضمـــها بملحـــق ورد في نهاية بساتين الغفران(١).

ونجد في حدائق بخشش قصيدة للشيخ أحمد رضا خان التى نظمـــها بـــأربع لغات في كل بيت، و هذ اللغات هى بـــالترتيب العربيـــة، و الفارســـية، و الأرديـــة. و الهندية(٢)، و هذه القصيدة لا نكاد نجد لها نظيرا في الشعر الأردى، ومطلع هـــذه المنظومة هو :

"لم يأت نظيرك في نظر مثل تو نه شـــدپيدا جـــــــانار
جگ راج كوتـــاج تورے سرسوے تجھ كوشه دوسرا جانار"

الترجمة: "لم يأت نظيرك في نظر، ولم يلد مثلك يا حبيبى - صلى الله عليـــك وسلم - يا سيد الدارين إن تاج السيادة على العالم أجمعه لا يليق إلا بك".

إنه التزم بهذا الأسلوب و المنهج في تسعة أبيات حيث يـــأتى صـــدر البيـــت بالعربية و الفارسية، وعجز البيت بالهندية و الأردية، وقد استطاع شـــاعرنا الشـــيخ أحمد رضا خان أن يسير على هذا المنوال حتى نهاية هذه المنظومة، و هذا منه يدل على تمكنه من اللغات الأربعة، بحيث إنه مستعد بأن يقول شعره باللغات الأربعـــة في وقت و احد، ومدى إشباع ذلك القلب بحب المصطفى - صلى الله عليه وســـلم - إشباعا يملك عليه العاطفة في الأحوال كلها، فإذا أراد أن يعبر عن ذلك الحب بـــأى لغة من اللغات الأربع فعن طريق ثلاثة لغات استعرض مقدرته علـــى الصياغـــة وتمكنه من ناصية الإفصاح باللغات الأربعة بحيث جعل منها نسيجا متكاملا، ويعتبر هذا خطا جديدا لم يلجه أحد قبله اللهم إلا أن يكون بين لغتين وليس بين أربع كمـــا

---

(١) راجع: بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢٩٠.
(٢) حدائق بخشش، للشيخ أحمد رضا خان، ص ١٩، ٢٠.

Marfat.com

فعن الشيخ أحمد رضا خان، ومما هو جدير بالذكر أنه استخدم اللغة الهندية أيضا ببراعة في صياغة هذه المنظومة، ولكنه رغم معرفته هذه اللغة وبراعته في النظم بها لم يبذل جهده في النظم بهذه اللغة بصفة مستقلة، بل ركز اهتمامه على ثلاثة لغات فقط فأبدى موهبته فيها.

هذا كما أبدى شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان موهبته الفياضة في الإتيان بالنثر العربى المتميز فقد ظهرت براعته النثرية في فتاويه التى كان يقوم بها باللغة العربية. وذلك عندما كان يسأله المستفتى باللغة العربية، ويوجد في الفتاوى الرضوية ما يؤكد هذا، وكان قد اعتاد تصدير مؤلفاته الأردية والفارسية بخطب عربية موجزة مشتملة على حمد الله تعالى والصلاة والسلام على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وبمطالعتها تتجلى أمامنا مدى مقدرته وتمكنه من العربية وشغفه بكتابة النثر العربى بأسلوب سلس واضح لا لبس ولا غموض ونذكر على سبيل المثال مما كتبه في بداية "العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية" قوله(١): "الحمد لله هو الفقه الأكبر، والجامع الكبير لزيادات فيضه المبسوط، الدرر الغرر، به الهداية، ومنه البداية، وإليه النهاية، بحمده الوقاية و نقاية الدراية وعين العناية وحسن الكفاية.

والصلاة والسلام على الإمام الأعظم للرسل الكرام، مالكى وشافعى أحمد الكرام، يقول الحسن بلا توقف: محمد الحسن أبو يوسف، فإنه الأصل المحيط لكل فصل بسيط؛ ووجيز ووسيط، البحر الذخار، والدر المختار، وخزائن الأسرار وتنوير الأبصار، ورد المحتار على منح الغفار، وفتح القدير، وزاد الفقير، وملتقى الأبحر، ومجمع الأنهار، وكنز الدقائق، وتبيين الحقائق، والبحر الرائق، منه يستمد كل نهر فائق، فيه المنية وبه الغنية، ومراقى الفلاح، وإمداد الفتاح، وايضاح الإصلاح، ونور الإيضاح، وكشف المضمرات، وحل المشكلات، والدر المنتقى

(١) العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية، للشيخ أحمد رضا خان، (ط: رضا فاونديشن لاهور ١٤١١هـ)، جـ ١، ص ٨٣، ٨٤.

Marfat.com

وينابيع المبتغى، وتنوير البصائر، وزواهر الجواهر، البدائع النوادر، المنزه وجوبا عن الأشباه والنظائر، مغنى السائلين، ونصاب المساكين، الحاوى القدسى، لكل كمال قدسى وإنسى، الكافى الوافى الشافى، المصفى، المصطفى، المستصفى، المجتبى، المنتقى، الصافى، عدة النوازل، وأنفع الوسائل لإسعاف السائل بعيون المسائل، عمدة الأواخر وخلاصة الأوائل، وعلى آله، وصحبه وأهله، وحزبه مصابيح الدجى ومفاتيح الهدى، لا سيما الشيخين، والختنين الكريمين، كل منهما نور العين ومجمع البحرين، وعلى مجتهدى وأئمة أمته، خصوصا الأركان الأربعة، والأنوار اللامعة وابنه الأكرم الغوث الأعظم، ذخيرة الأولياء، وتحفة الفقهاء، وجامع الفصولين، فصول الحقائق والشرع المهذب بكل زين، وعلينا معهم وبهم ولهم يا أرحم الراحمين، آمين، آمين، والحمد لله رب العالمين".

افتتح الشيخ أحمد رضا خان هذه الخطبة العربية بالحمد لله تعالى والصلاة والسلام على خير الأنام - صلوات الله وتسليماته عليه - وعلى آله وصحبه وعلماء أمته والمسلمين أجمعين، ولكنه من خلال هذا وذاك استطاع بمقدرته النثرية أن يشير إلى ثمانية وسبعين مرجعا لتأليفه "العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية" كما أشار إلى ثلاثة عشر شخصية، نجد أسلوبه يغلب عليه السلاسة والبساطة والفصاحة والوضوح مع انتقاء الألفاظ المناسبة، فلا يشعر القارئ بملل وهو يطلع على هذه وغيرها من الخطب التى كتبها الشيخ أحمد رضا خان في بداية كتبه.

إن المسلمين في شبه القارة - المتمثلة في باكستان وبنجلاديش والهند - كانوا ومازالوا يميلون إلى حب أهل البيت، شأنهم في ذلك شأن أهل مصر الأزهر جميعا، وإن كان ذلك الحب يغذو قلوب جميع السلمين فالباكستان ومصر الأزهر والهند بذلك أحفل، وكان الشيخ أحمد رضا خان أيضا من المحبين للنبى - صلى الله عليه وسلم - وآله وأصحابه، فكتب بالعربية صلاة وسلاما على الحبيب المصطفى - عليه الصلاة والسلام - وأتى بأسماء بعض مشايخه من الأشراف ضمن هذه العبارة، وهذه الأسماء المذكورة بها لا تؤثر على معناها الحقيقى وهو الصلاة على

Marfat.com

النبى - صلى الله عليه وسلم - واستخدم الشيخ أحمد رضا خان أسماء مشايخه كصفات لسيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو كذكر لبعض آل بيته - عليه الصلاة والسلام - متخذا من هذه الأسماء صفات واضحة لسيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو ذاكرا بعض آل بيت النبوة دون أن ينسى مشايخه هؤلاء، ومن ذلك عبارته الآتية:

"اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد المصطفى رفيع المكان، المرتضى على الشان، الذى رجل من أمته خير من رجال من السابقين، وحسين من زمرته أحسن من كذا وكذا حسنا من السابقين، السيد السجاد زين العابدين، باقر علوم الأنبياء والمرسلين، ساقى الكوثر، ومالك كوثر وتسنيم وجعفر، الذى طلب موسى الكليم رضا ربه بالصلاة عليه"(١).

هذا وكان شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان واسع الإطلاع وملما بكل ما يتعلق باللغة العربية. مثال ذلك ما قام بذكره العلامة الشريف محمد أمين بن عابدين الشامى من فعل "طف" فقال الشيخ أحمد رضا خان(٢): لم أر هذا الفعل ولا مصدره فى الصحاح، ولا الصراح، ولا المختار، ولا تاج العروس، ولا المفردات، ولا النهاية، ولا الدر النثير، ولا مجمع البحار، ولا المصباح، وإنما فى القاموس: طف المكوك والإناء، وطفه محركة، وطفافه، ويكسر ما ملأ أحباره، (قال فى الصراح: أى جوانبه) أو ما بقى فيه بعد مسح رأسه، أو هو جمامه أو ملؤه إلى أن قال: وإناء طفان بلغ الكيل طفافه، وفى تاج العروس هذا: طف الميكال وطفافه: إذا قارب ملأه". وهذا منه إن دل على شئ فإنما يدل على سعة إطلاعه على المعاجم وكتب الحديث فقد ذكر عشرة منها من أجل تحقيق لفظ، وهذا يدل كذلك على حبه للتحقيق فى كل ما يتعلق باللغة العربية وآدابها.

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان.، ص ٣٠٨.
(٢) جد الممتار على رد المحتار، للشيخ أحمد رضا خان، ج ١، ص ١٢٩.

Marfat.com

الفصل الرابع

حال اللغة العربية والأدب العربي بشبه القارة الهندية تحت الاحتلال الإنجليزي

وهذا الفصل يحتوى على تمهيد ومبحثين:

المبحث الأول: جهود المسلمين في نشر اللغة العربية.

المبحث الثاني: دور الإنجليز في نشر اللغة العربية.

Marfat.com

Marfat.com

تمهيد

إن علاقة الهند مع العرب قديمة جدا حيث إن منتجات الهند كانت تجذب العالم - بما فيه العرب - إلى أرضها، وكانت البضائع الهندية تصل إلى أرض الحجاز لما لها من مكانة تجارية مرموقة حيث إنها كانت ملتقى الطرق، ومن هنا نشأ احتكاك قوى بين الهنود والعرب، ولكن علاقة الهند مع العرب لم تبق تجارية فقط بل أصبحت فيما بعد ثقافية أيضا، فدار التأثر والتأثير فيما بين الشعبين، وبلغت هذه العلاقة ذروتها بظهور الإسلام، وبالتالى اعتناق الهنود للإسلام عن طريق الاحتكاك التجارى، وكما حاول العرب تأمين المسلمين فى الهند، وعملا على نشر الدعوة فانتقلوا إلى الهند، وانقادت لهم عقول الهنود معتنقين الإسلام مختارين لما رأوه من خلق أولئك العرب الذين هذبهم الإسلام وأعلى نفوسهم، وبالتالى رأت شعوب الهند أن تسمو أفكارها وتصح عقولها بهذا الدين الحنيف، فاعتنقوه وبدأوا في التعرف على لغته التى نزل بها، وهى لغتنا العربية، فانتقل الناس من الهند إلى بلاد العرب لكى يتعلموا هذه اللغة بدافع العقيدة من ناحية، وبدافع الثقافة من ناحية أخرى، لأن ابن الهند الذى عرف شيئا عن الإسلام أراد أن يقف على أكبر قدر منه، فإذا كان الهنود انتقلوا إلى العرب ليتعلموا اللغة العربية فقد انتقل العرب أيضا إلى الهند تجارا ودعاة، الأمر الذى كان حافزا على نشر اللغة العربية في ربوع شبه القارة الهندية، ومن هنا نستطيع القول: إن الهنود عرفوا اللغة العربية أكثر من مصدر، ونرى أن أناسا وقفوا على ثقافة إسلامية عالية، ولا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق معرفة اللغة العربية من ناحية، والإلمام بالكتب المؤلفة باللغات الشائعة في الهند من ناحية أخرى.

Marfat.com

أما عن إشراقة الهند بنور الإسلام فيحدثنا عنها الدكتـــور حبيـــب الله خـــان قائلا[١]: "دخل الإسلام في جنوب الهند أول ما دخل حيث يرجع تاريخ دخوله فـــي جنوب الهند إلى وقت مبكر من التاريخ الإسلامى، والذى ساعد علـــى ذلـــك هـــو العلاقات التجارية الوطيدة التى كانت قائمة بين جنوب الهند والبلاد العربية، ولقـــد كانت منطقة جنوب الهند وخاصة إقليم مالابار مسرحا عظيمـــا لمزاولـــة التجـــارة الهندية العربية، وكان العرب قابضين على زمام النشاط في بحر العرب منذ زمـــن بعيد، ولما ظهر الإسلام في جزيرة العرب، ودخلت القبائل العربية فـــي ديـــن الله زرافات ووحدانا كان من بين من أسلم بعض هؤلاء التجار الذين تعودوا القدوم إلى هذه المنطقة من جنوب ألهند، فأشرق هذا النور في سماء الـــهند بفضـــل هـــؤلاء التجار".

وحين ننتقل إلى عصر شاعرنا نجد أن عصره يتمثل في الثانى والسبعين مـــن القرن الثالث عشر الهجرى الموافق للعام السادس والخمسين من القرن التاسع عشر الميلادى إلى العام الأربعين من القرن الرابع عشـــر الـــهجرى الموافـــق للحـــادى والعشرين من القرن العشرين الميلادى، وإن عصر شاعرنا ينطوى ضمن العصـــر الأدبى والتاريخى الحديث، والذى يبدأ من العام الثامن والتســـعين بعـــد الســـبعمائة والألف للميلاد، وهذه الفترة تصادف بالعصر الذى عرف في تاريخ الأدب العربـــى بالعصر الحديث حيث إن الفرنسيين شنوا حملة على أرض الكنانة ومصر الأزهـــر في الثامن والتسعين من القرن الثامن عشر الميلادى[٢] وهذه هى بدايات العصـــر

---

(١) اللغة العربية وأدباؤها في الهند منذ دخول الإسلام إلى نهاية الاحتلال الإنجليزى (رسالة دكتوراه) للدكتور حبيب الله خان، مخطوط بمكتبة الرسائل العلمية بكلية اللغة العربيـــة بجامعـــة الأزهـــر الشريف بالقاهرة تحت رقم ١٤٣٧، ص ٨٠.

(٢) الأزهر تاريخه وتطوره، تأليف اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر، (ط: الأزهر الشريف، القاهرة، ١٤٠٣هـــ)، ص ٤٣.

Marfat.com

الحديث، بينما أقدمت الحكومة الإنجليزية على إنشاء شركة تجارية في الهند تحمل اسم شركة الهند الشرقية، وذلك في العام التاسع من القرن الحادى عشر الهجرى الموافق للقرن السادس عشر الميلادى[١]: تلك هى بداية العصر الأدبى الحديث في الهند أيضا، وبذلك زرعت إنجلترا بذور الاستعمار في شبه القارة الهندية، وذلك بعد أن كانوا ضيوفا وتجارا على شبَه القارة الهندية، وانتظروا طويلا للحصول على ثمار مازرعوه بكل صبر حتى أمكن لهم قطافها في العام السابع والخمسين من القرن الثامن عشر الميلادى حين أسفرت إنجلترا عن وجهها القبيح، وفرضت وجودها على أهل الهند بالقوة، ومن هذا المنطلق رأيت من المناسب أن أجعل محاولتى لدراسة الفصل الرابع من الباب الأول من منظور العصر الأدبى الحديث المعروف في الأوساط الأدبية العربية، حيث إننى كنت جعلت هذا الفصل تحت عنوان: "حال اللغة والأدب العربى بشبه القارة الهندية تحت الاحتلال الإنجليزى" وسوف أجعل هذا الفصل في مبحثين أولهما تحت عنوان: "جهود المسلمين لنشر اللغة العربية" وثانيهما جهود الإنجليز في نشر اللغة العربية، هذا وبالله التوفيق.

---

(١) تاريخ الإسلام فى الهند، للدكتور عبد المنعم النمر، ص ٢٤٢.

Marfat.com

Marfat.com

المبحث الأول

جهود المسلمين فى نشر اللغة العربية

إننى لا أحصى جهود المسلمين في سبيل نشر اللغة العربية فى شبه القارة الهندية على مر العصور إنما أحاول أن أركز فكرى ويراعى على عصر الاحتلال البريطانى حيث إن هذا الفصل الذى نحن بصدد مبحثه الأول يحمل العنوان: "حال اللغة والأدب العربى في شبه القارة الهندية تحت الاحتلال الإنجليزى"، فأحاول ذكر كلمة وجيزة عن انتشار اللغة العربية قبل سيطرة الإنجليز على الهند تارة وعن حال اللغة العربية وآدابها في عصر الاحتلال البريطانى للهند تارة أخرى، فقد قام الإنجليز بمحاولة إحباط اللغة العربية كل المحاولة ولكن العلماء المتمسكين بالقرآن والسنة لم يتركوا اللغة العربية تمحى من شبه القارة الهندية رغم كل الصعوبات التى أنشأها الإنجليز في سبيل تعليم وتعلم اللغة العربية، ولكن الإنجليز اضطروا إلى بعض الاهتمام باللغة العربية وذلك تلبية لمصالحهم الإدارية، فاهتموا بها بعض الاهتمام رغم أنفهم، لذا جعلت هذا الفصل في مبحثين الأول في جهود المسلمين لنشر اللغة العربية في عصر الاستعمار الإنجليزى، رغم كل العوائق والصعوبات، والثانى في دور الإنجليز لنشر اللغة العربية برغم كراهيتهم لهذه اللغة.

لقد كانت الثقافة الإسلامية واللغة العربية في شبه القارة الهندية في حالة جيدة حين بدأت شركة الهند الشرقية توطد أقدامها على أراضى شبه القارة مع طموحها وآمالها، وكانت الثقافة العربية مركزة حول الثقافة الإسلامية بدافع العقيدة، وكان في الهند من أتقنها حتى بلغ هذا الإتقان التفاعل مع موهبته فقال بها الشعر، وكانت

Marfat.com

العربية سوقا رائجة وقتذاك حيث كانت الثقافة تحسب لها حسابا أيما حساب، ولـــذا نستطيع القول: إن اللغة العربية و الثقافة الإسلامية كانتا موجودتيـــن وقـــت قـــدوم الإنجليز على الهند مهما مكروا ومهما كادوا، لذا كانت الكتب مؤلفـــة فـــي فنـــون عربية، و علوم إسلامية، ولم تكن للعربية حوافز مادية في الهند حيث إنها لم تكـــن في يوم من الأيام لغة البلاط الحاكم، و لا لغة التخاطب فيما بين الشعب الهندى، فلـم تكن البيئة متلائمة لتطورها و ازدهارها، ولكن لغة العرب شـــقت طريقـــها بعـــزم وتصميم حتى بلغت العقول ثم القلوب، وقد كان طريقها يتمثل في كونها لغة الديـــن الحنيف الذى اعتنقه أهل الهند بعد معرفتهم إياه، ودراستهم للغته التـــى نـــزل بـــها القرآن ألا وهى لغة العرب، ولقد خلقت العربية بيئتها فترعرت في الهند في جـــو دينى تستهدف فهم الدين قرآنا وسنة، فكان للمدارس الدينية و الكتاتيب دور بارز في هذا المجال عبر العصور، حيث كانت هذه المدارس و الكتاتيب سببا هاما في بقـــاء اللغة العربية و انتشارها في أرجاء الهند، وفي هذا يقول الأستاذ أبو الحســـن علـــى الندوى[١]: "ومن سمات علماء الهند البارزة أنهم قادوا الحركة الأدبية الإنشائية فـــي شبه القارة الهندية، وكانوا من الدعائم القوية السامقة التى قام عليـــها قصـــر الأدب الرفيع، و النثر الفنى بعد ثورة السابع والخمسين من القرن التاسع عشر الميـــلادى، وكان كل واحد منهم مؤسس مدرسة أدبية خاصة لا يـــزال لـــها أنصـــار وأتبـــاع ومقلدون، وكان كثير منهم رائد نشاط جديد في الإنشاء، والتحرير، و النقد، وتـــاريخ الأدب، و الشعر و لا تزال مؤلفاتهم هى المرجع الأصيل و العمدة في هذا الموضـــوع، ولم يكن في الهند ذلك الفصام النكر بين علوم الديـــن، و الأدب العصـــرى ولغـــة البلاد، ولم تكن تلك الفجوة التى وقعت في بعض البلاد بين علماء الدين و الشـــادين

---

(١) نظرات فى الأدب، للأستاذ أبى الحسن على الندوى (ط: دار القلم، دمشق، ١٤٠٨هـــ)، ص ٧٥.

Marfat.com

بالأدب والشعر والهائمين بهما، الفجوة التى جنت على الدين والآداب في وقت واحد".

ويحدثنا الدكتور حبيب الله خان عن تطور الثقافة العربية في عصر الاستعمار البريطانى رغم جميع الحواجز والصعوبات فلنستمع إليه حيث يقول(١): "لقد استمرت اللغة العربية في الانتشار في هذه الفترة رغم الظروف التى مرت بها البلاد، ورغم العراقيل التى وضعت من جانب الاستعمار في سبيل انتشار هذه اللغة آنذاك.. فلقد انتشرت اللغة العربية في هذه الفترة انتشارا ملموسا بجهود العلماء الغيورين من المسلمين وخاصة الأثرياء منهم، وقد تجلى هذا الانتشار في نشأة المدارس العربية واستمرت حركة إنشاء المدارس على قدم وساق رغم الصعوبات السياسية والاقتصادية، وعلى الرغم مما كان يعانيه المسلمون من الاضطهاد".

ولم تكن حركة إنشاء المدارس العربية هى الوحيدة التى استمرت رغم الأوضاع الثقافية والاجتماعية والسياسية المتدهورة بل كانت حركة التأليف بالعربية أيضا مستمرة، حيث ألف علماء الإسلام كتبهم بالعربية في الأدب العربى وغيره من العلوم والفنون، وفي هذا يقول الدكتور محمود محمد عبد الله المصرى(٢): "استمرت حركة التأليف بالعربية في فترة الاحتلال البريطانى، فقد استمرت بغير ضعف بل ازدادت قوة وصلابة [كرد فعل للاضطهاد الإنجليزى للمسلمين] ودفعت الأنشطة الأدبية إلى مستوى عال، وكثر روادها، ويشهد على ذلك ما خلفه العلماء من المؤلفات العربية التى تدل على رسوخهم في العلم، وتعمقهم في اللغة أمثال العلامة عبد الحى اللكنوى صاحب نزهة الخواطر، والنواب صديق حسن

---

(١) اللغة العربية وأدباؤها في الهند، للدكتور حبيب الله خان، ص ٨٣.

(٢) اللغة العربية في باكستان دراسة وتاريخ، للدكتور محمود محمد عبد الله المصرى (ط: مجلة العرب، كراتشى، ١٤٠٤هـ)، ص ٦٨.

Marfat.com

خان صاحب أبجد العلوم، والمفتى أحمد رضا خان صاحب الفتـــاوى الرضويـــة، والشيخ أشرف على التهانوى الذى ترك عددا ضخما من الكتب الثمينة، وغـــيرهم من العلماء".

هذا وثمة مدارس دينية أسهمت في نشر الثقافة الإسلامية والعربية في عصـر الاحتلال البريطانى. وقامت بالذود عنهما، واذا كنـــت ســأعرض لذكـــر بعـــض المدارس التى كانت في هذا العصر فأحب أن أذكر أنه ليس المراد بكلمة المدرســة ما عرف في عصرنا من نحو المدارس التى تدرس المراحل التعليميـــة المختلفـــة، وإنما تطلق كلمة المدارس ويراد منها نظما معينة في التعليم وهى بـــالطبع تضـــم مقررات منذ البداية العلمية إلى أن يصل الطالب إلى ما يعتبر دراسة عالية، وإليكـم أسماء المدارس الدينية الشهيرة التى لعبت دورا هاما في نشر اللغة العربية وآدابـــها في عصر الاحتلال البريطانى.

دار العلوم ديوبند: تأسست في الثالث والثمانين من القـــرن الثـــالث عشـــر الهجرى الموافق للسابع والستين من القرن التاسع عشر الميلادى بمدينة ديوبند التى تقع على بعد مائة ميل شمالى دهلى العاصمة، قام بتأسيسها جماعة من أهل العلـــم والفضل [وعلى حد قول الدكتور محمود محمد]، وفي طليعتهم الشيخ محمد قاســم النانوتوى. وتقوم دار العلوم بأنشطة مختلفة إلى جانب تدريس العلـــوم الإســـلامية حيث إنها تهتم بالعلوم العصرية وتعليم الحرف، وتعليـــم الخـــط، وتعليـــم الطـــب اليونانى(١).

مدرسة مظاهر العلوم: أسست هذه المدرسة في العام الذى أنشـــئت فيـــه دار العلوم ديوبند، وكان من بين كبار أساتذتها والقـــائمين بـــها الشـــيخ رشـــيد أحمـــد

---

(١) اللغة العربية في باكستان ، للدكتور محمود محمد عبد الله المصرى، ص ٤٢٦.

Marfat.com

الكنكوهي، والشيخ أشرف على التانوى، وتخرج فيها علماء كثيرون(١).

دار العلوم أشرفية بمدينة راندير سورت غجرات: هى من أقدم المدارس التى أنشأت في هذه المنطقة في عهد الاستعمار، لقد أسست في العام السبعين من القرن التاسع عشر الميلادى، ونسبت إلى الشيخ إسماعيل أشرف الذى وضع حجر أساسها. لقد أنشأت هذه المدرسة فيما بعد حوالى ثمانين كتابا لتعليم الأطفال شعائر الدين ومبادئ اللغة العربية تحت رعايتها(٢).

مصباح العلوم: أنشأ مولانا محمد نقى على خان هذا المعهد بمدينة بريلى في العام التاسع والثمانين من القرن الثالث عشر الهجرى، الموافق للعام الثانى والسبعين من القرن التاسع عشر الميلادى، كما سبق أن ذكرنا، وفي هذا يقول الأستاذ حازم محمد(٣): "نشأ الشيخ أحمد رضا خان في أسرة لها مع اللغة العربية وأدابها باع وتاريخ طويل حافل، فكان والده وجده - على سبيل المثال - ممن يجيدون العربية إجادة تامة، وقد ألفوا بها، كما وجدنا والده يفتتح مدرسة للغة العربية وآدابها في موطنه مدينة بريلى تحت اسم "مصباح العلوم" من أجل تعليم ونشر اللغة العربية وآدابها ليس في مسقط رأسه فحسب بل في كل ربوع شبه القارة، وقد توافد على هذه المدرسة طلاب من جميع الأنحاء، وإن عمل مولانا محمد نقى على خان دليل على مدى شغفه باللغة العربية ومعرفته بإنها المطلب الأول لكل داعية صادق إلى الله تعالى على بصيرة وهدى".

الجامعة النظامية بحيدر آباد الدكن: أسسها الشيخ أنوار الله الحنفى في العام الثالث والتسعين من القرن الثالث عشر الهجرى، وأسس مجمعا علميا للتأليف والنشر، ولا تزال هذه الجامعة تقوم بدورها في نشر اللغة العربية وادابها إلى جانب

---

(١) اللغة العربية وأدباؤها في الهند، للدكتور حبيب الله خان، ص ٨٤.
(٢) المرجع السابق، ص ٨٤، ٨٥.
(٣) الامام الأكبر المجدد محمد أحمد رضا خان، للأستاذ حازم محمد أحمد، ص ٦٣.

Marfat.com

العلوم الإسلامية، فلنستمع إلى ما قاله فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى لدى زيارته لهذه الجامعة العريقة(١): "ويعجبنى في هذه الجامعة أنها اشتملت على عدد كبير من الكليات، وعدد كبير من الأقسام، مع الاهتمام الواضح باللغة العربية وآدابها، وتدريس اللغات على اختلاف أنواعها وعلى مجهودها الفذ فى تحقيق التراث العربى الإسلامى".

الجامعة المعظمية: أسست هذه الجامعة في السنة الأولى من القرن الرابع الهجرى الموافق للعام الثالث والثمانين من القرن التاسع عشر الميلادى، وذلك لتدريس القرآن وتحفيظه، ومازالت تنشر نور القرآن حتى جاءها طلاب العلم لتلقى العلوم الإسلامية والعربية فوجدوا بغيتهم على مر العصور، وقد أشتهرت مؤخرا بالاسم المذكور أعلاه، وذلك تخليدا لذكرى العارف بالله الشيخ معظم الدين صاحب الفضل في إنشاء هذه الجامعة، وقد أقدمت مؤخرا على تدريس المواد السائدة في المدارس والكليات الحكومية وذلك لجعل مناهجها ومقرراتها الدراسية شاملة وأكثر نفعا(٢).

دار العلوم نعمانية: لقد قام كل من المولوى خليفة تاج الدين والحكيم سليم الله، والمنشى سراج الدين بتأسيس الجمعية النعمانية بهدف نشر اللغة والعلوم الإسلامية وذلك في العام الخامس من القرن الرابع عشر الهجرى الموافق للعام الثامن والثمانين من القرن التاسع عشر الميلادى(٣).

دار العلوم ندوة العلماء لكنوء: تأسست جمعية ندوة العلماء في العام الحادى عشر من القرن الرابع عشر الهجرى، الموافق للعام الرابع والتسعين من

---

(١) رحلة الإمام الأكبر إلى الهند، للشيخ محمد مصطفى جميعة، ص ١٢٤.

(٢) ملفوظات سديدية للأستاذ معين النظامى (ط: مكتبه سديديه، معظم اباد، سركودها. ١٤١٠هـ)، ص ١٢.وانظر : تذكرة أكابر أهل سنت، لمولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى، ص ١٧٩.

(٣) اللغة العربية فى باكستان، للدكتور محمود محمد عبد الله المصرى، ص ٦٩.

Marfat.com

القرن التاسع عشر الميلادى، أسسها نخبة من رجال الفكر والأدب، وقد عقدت حفلتها الأولى بكانفور في نفس العام بدعوة من السيد محمد على المونكيرى، وبعد عام من إنشاء جمعية الندوة أسسوا مدرسة عربية "دار العوم" تابعة لجمعية ندوة العلماء ويرأسها السيد محمد على المونكيرى سالف الذكر، والحق يقال [والقول للدكتور محمود محمد]: إن هذه الدار لعبت دورا هاما في إنعاش اللغة العربية الفصحى في بلاد بعيدة عن العرب والعربية، بل بين شعب متمسك ومغتبط بلغته ولغاته المتعددة"(١)

منظر الإسلام: إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان نادى بتعليم العلوم الإسلامية والعربية ضمن النقاط الاقتصادية الأربعة مرة والنقاط التعليمية العشرة مرة أخرى والتى ذكرناها فيما سبق، وأقام بنفسه معهدا علميا باسم منظر الإسلام في العام الثانى والعشرين من القرن الرابع عشر الهجرى الموافق للعام الرابع من القرن العشرين الميلادى، فكان له التلاميذ والذين أنشأوا معاهد إسلامية وعربية في أنحاء الهند بعد تخرجهم على يد شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان(٢).

الجامعة الحسينية: تقع هذه الجامعة في مدينة راندير محافظة سورت، أسستها جماعة من أصحاب العلم وذوى المال من المسلمين في السنة السابعة عشر من القرن العشرين، تدرس فيها جميع العلوم العربية والإسلامية الرائجة في الدرس النظامى(٣).

الجامعة الأشرفية : تقع هذه الجامعة بمدينة مباركبور في ولاية أوتار برديش، وتم تأسيسها في العام السادس والعشرين من القرن الرابع عشر الهجري الموافق للعام التاسع من القرن العشرين الميلادي لتوفير الدراسات الإسلامية

---

(١) المرجع السابق ص ٦٩، ٧٠.
(٢) انظر: اللغة العربية وأدباؤها في الهند، للدكتور حبيب الله خان، ص ٨٤.
(٣) انظر: المرجع السابق ص ٨٥

Marfat.com

ِ العربية في انحاء، شبه القارة الهندية، وتقوم هذه الجامعة بواجبها حتى اليوم خير قيام. (١)

·**الجامعة العثمانية بحيدر آباد الدكن:** اقام أعلى حضرت (الحضرة العالية) نظام هذه الجامعة في العام الثامن عشر من القرن العشرين الميلادى، والتى لاتزال تنشر أنوار العلم، هذه الجامعة تحتل مكانة رفيعة بين جامعات الهند، وذلك لأن اللغة الأردية كانت لغة التعليم فيها(٢). وكانت هذه الجامعة - ولا تزال - تهتم باللغة العربية أيضا كما هو معروف في الأوساط العلميْة الباكستانية والهندية.

الجامعة النعيمية بمراد آباد: أسسها مولانا الشريف محمد نعيم الدين المراد أبادى في العام الثامن والعشرين من القرن الرابع عشر الهجرى، فكانت تدعى بمدرسة جمعية أهل السنة والجماعة في بادئ الأمر، ولكنها بعد فترة وجيزة اشتهرت في الأوساط العلمية بالجامعة النعيمية(٣). ومازالت تساهم في نشر العلوم الإسلامية والعربية.

دار العلوم المحمدية الغوثية: أرسى حجر أساسها العارف بالله الشيخ محمد شاه في الخامس والعشرين من القرن العشرين الميلادى وعين أفاضل عصره للتدريس هناك، وكان الشيخ محمد كرم شاه أول تلميذ في هذه الجامعة، وورد هذا المنهل الكثيرون من الطلبة لإرواء ظمئهم العلمى، وفي العام السابع والخمسين من القرن العشرين الميلادى أثار الشيخ محمد كرم شاه ثورة علمية حيث إنه جمع بين العلوم الإسلامية والعربية وبين العلوم العصرية وذلك عند عودته من جامعة الأزهر الشريف، ومازالت هذه الجامعة تقوم بنشر العلوم الإسلامية والعربية

---

(١) مجلة الثقافة (نيودلهى) الصادرة في جمادى الأخرى ١٤١٨هـ ص ٣٥ ٣٦ ملخصا
(٢) تاريخ تعليم هند. للشريف نور الله، ص ٢١٤
(٣) حياة صدر الافاضل. لمولانا غلام معين الدين النعيمي (ط: ادارة نعيمية رضوية) ص ٣٠

Marfat.com

بفروعها في أرجاء باكستان(١).

دار العلوم حزب الأحناف: لقد قام مولانا الشريف محمد ديدار على شاه بإنشاء جمعية حزب الأحناف المركزية في العام الخامس والعشرين من القرن العشرين، وبالتالى أقدم على تأسيس دارا لعلوم حزب الأحناف(٢) ومازالت أبوابها مفتوحة لطلاب العلم والمعرفة حيث تدرس العلوم الإسلامية والعربية.

وأعتقد أن ثمة مدارس أخرى ولكنى لم أقرأ عنها ولم أشأ أن أدونها خوف الإطالة. على أن هناك نظاما للتعلم ليس بالمدرسة التى تقام إنما تمثل ذلك النظام فى بيوت العلماء الذين أسعدهم الحال بأن يفتحوا بيوتهم لاستقبال طلاب العلم وتلقى العلم وإضاءة هذه البيوت بالعلم، بعلوم الدين تارة وعلوم العربية تارة أخرى، وبالطبع لم تكن هذه البيوت بمثابة المدارس لذلك لم نسجلها وإنما اكتفينا بالإشارة إلى أن مثل هذا النظام العلمى كان قائما فى الهند، وبالطبع سوف تكون له إسهاماته وتنشيطه للعلم، وإن كان العالم سوف يلقى بظلال فهمه وثقافته إلى الطالب الذى يدرس على يديه، مما يكون أقل من عطاء المدرسة ذات العلماء الكثر، وبهذا أعتقد أننى أكملت حديثى عن دور المسلمين في نشر اللغة العربية وآدابها في أرجاء شبه القارة الهندية في عصر شاعرنا - موضوع البحث - وألمحت إلى دور شاعرنا في هذا المجال، فلننتقل الآن إلى المبحث الثانى حيث أحاول دراسة دور الإنجليز في هذا المضمار.

---

(١) تذكره أكابر أهل سنت، لمولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى، (ط: مكتبة قادريه لاهور. ١٤٠٩هـ)، ص ٤٧٧.
وانظر: مقالات للشيخ محمد كرم شاه الأزهرى / رتبها الأستاذ الحافظ أحمد بخش (ط: ضياء القران ببلى كيشنز لاهور ١٩٩٠م)، ص ٤٤، ٤٥.

(٢) تذكره محدث دكن (أحوال محدث الدكن)، للدكتور عبد الستار خان (ط: الممتاز يبلى كيشنز لاهور ١٩٩٨م)، ص ٣٧٢.

Marfat.com

Marfat.com

المبحث الثانى

دور الإنجليز فى نشر اللغة العربية

لقد حاولنا في المبحث الأول دراسة دور علماء الدين في رفع رايـــة اللغـــة العربية عالية في العصر الذى قام الإنجليز بتحطيم نظم التعليم الهندية وبالتالى سلط على الهنود نظم التعليم الحديثة التى دبرتها عقول المستشرقين البريطـــانيين، وقـــد سبق أن حاولنا دراسة أفكارهم الحاقدة على الإسلام والمسلمين، وقد يندهش القارئ، عند قراءته لهذا العنوان "دور الإنجليز في نشر اللغة العربية" وأول ما يفاجئـــه أن يسأل نفسه: هل من الممكن أن يساهم الإنجليز في نشر اللغة العربية؟ أقول: نعم قد يعملون على نشر اللغة العربية ليس حبا ولا كرامة لها وإنمـــا تلبيـــة لمصالحـــهم وتغطية لما صنعوا باللغة العربية حيث إنهم احتلوا بلاد الهند.

تعود حركة الاستشراق من حيث الرغبة الكامنة في نفوس من توجهوا إليـــها واختصوا بها إلى أمد بعيد في الماضى، فإن المسيحيين المصابين بالهزائم العسكرية لما عجزوا عن مواجهة المسلمين عسكريا أخذوا يفكرون في شـــن هجـــوم ثقـــافى سرى على المسلمين وذلك رغم قوتهم العسكرية الهائلة وكثرتهم العدديـــة، فلجـــأوا إلى دراسة مواطن الضعف في المسلمين والمنافذ للغزو الثقافى على المسلمين دون إراقة الدماء ومواجهة المسلمين، لأنهم رأوا في الغزو الثقافى منفذا يحميهم مـــن أن

Marfat.com

يسفروا عن وجوههم ونياتهم الخبيثة، فنجد السير روز دينسون يقول(١): "إن اهتمام المستشرقين بتركيا وإيران والعرب كان قد بدأ في عصر الحروب الصليبية".

وتقول الدكتور رضيه نور محمد عن بداية اهتمام المستشرقين بشبه القارة الهندية(٢): "إزداد اهتمام المستشرقين بتركيا وإيران والعرب في مستهل القرن التاسع عشر الميلادى، ولما تحولت الهند إلى مستوطنة إنجليزية وجاءت تحت التاج البريطانى بعد الاستيلاء الشامل على الهند". عندئذ توجه المستشرقون إلى دراسة أوضاع مسلمى آسيا وليس ذلك إلا ليكيلوا الصاع بالصاعين، وعند تمكنهم من الاستيلاء على الهند بالمكر والخدعة قاموا بأبشع المظالم التى فاقت مظالم جنكيز خان وعسكره الوحشى، وبالطبع أنشأت هذه المظالم حاجزا بين الحكام المغتصبين والمحكومين المخدوعين، فأخذت العقول الإنجليزية تفكر في التقرب إلى الهنود - مسلمين وغيرهم - وبالتالى بث الأفكار الإنجليزية في قلوبهم تحت شعار العلوم الجديدة (ويعنون بها الثقافة الغربية).

وتحدثنا الدكتور رضية عن خطة الإنجليز لإزالة الحاجز الناشئ بين الحكام والمحكومين الهنود وهى تقول(٣): "رأى المستشرقون أنهم لا يقدرون على استمالة قلوب الهنود إلا بأن يأخذوا على عاتقهم مهمة تعليمهم، وكانوا يعلمون تماما أنهم بحاجة ماسة إلى معرفة نفسية أولئكم الهنود الذين أراد الإنجليز استغلالهم، فلم يكن

---

(١) Both Ends of the candle By Sir Roos Densan (Febn ltd London. 1931 A D). p. 261.

(٢) اردو زبان وادب مين مستشرقين كى علمى خدمات كاتحقيقى وتنقيدى جائزه از ١٤٩٨ ء تا ١٩٤٧ ء (الاستعراض التحقيقى والنقدى لإسهامات المستشرقين في تطور اللغة الأردية وادابها من العام ١٤٩٨م الى ١٩٤٧م). للدكتور رضية نور محمد (ط: لائن ارت بريس لاهور ١٩٨٥ ء). ص ٢٥٩.

(٣) اردو زبان وادب مين مستشرقين كى علمى خدمات. للدكتور رضية. ص ١٤٧ (بتصرف).

Marfat.com

من المتوقع أن تقرب الطبقة المثقفة من الثقافة الغربية لذا اضطر الإنجليز إلى إيصال الثقافة الغربية إلى الهنود مترجمة إلى لغتهم تحت اسم تعليم اللغات الشرقية والنهوض بها والعربية من بينها طبعا، حينئذ رأى المستشرقون إبقاء جزء من الثقافة الشرقية لخدمة مصالحهم بنشر أفكارهم الغربية عن طريق شيوع ثقافتهم على أن يبدأوا بتثقيف جماعة محدودة من الهنود على أن تقوم هذه الجماعة بنشر الثقافة الغربية بنفسها في الشعب الهندى وتثير فيه الرغبة تجاه العلوم الغربية، وكان اهتمام المستشرقين - في بداية الأمر - باللغات التقليدية من العربية والفارسية والسنسكريتية، وبالتالى اكتفوا بأن تكون هذه اللغات وسيلة لإرسال ثقافتهم إلى العقول الهندية، وهى اللغات الشائعة عندهم المحبوبة لديهم المتوطنة في نفوسهم".

انتهت الدكتورة رضية إلى أن الإنجليز ارتضوا بعض اللغات ذات القيمة العالية في نفوس الهنود ومن بينها العربية، وجعلوا منها الوسيلة التى تصل عن طريقها ثقافة هؤلاء وأفكارهم، والإنجليز على رأس الغربيين بالطبع.

على كل أقدم الإنجليز على تعليم الهنود وتثقيفهم بعد إلغاء نظم التعليم الهندية بفرض نظم التعليم الحديثة، والتى دبرتها عقول المستشرقين البريطانيين، وعن بداية إقدام الإنجليز على الاهتمام بتعليم الهنود يحدثنا الدكتور غلام حسين حيث يقول(١): "لقد أوصى منتظموا شركة الشرق الهندية بإنفاق مائة ألف روبية على تعليم الهنود أول مرة في العام الرابع عشر من القرن التاسع عشر الميلادى، وقد حظيت هذه التوصية بالتنفيذ بعد عشر سنوات في العام الرابع والعشرين من القرن التاسع عشر الميلادى، فأخذت حكومة الشركة تمديد المساعدة إلى بعض المعاهد

---

(١) تاريخ أورينتيل كالج (تاريخ الكلية الشرقية). للدكتور غلام حسين (ط: جديد اردو نائب بريس لاهور ١٩١٢م). ص ١

Marfat.com

المحلية و المعاهد التبشيرية الواردة في الهند، ومن هذا المنطلق تم افتتاح كلية دهلى في العام الخامس و العشرين من القرن نفسه، وتم تأسيسها في معهد قديم لدراسة العلوم و الألسنة الشرقية، الذى كان يدعى "بمدرسة غازى الدين فيروز جنك" و هكذا حظيت العربية و الفارسية و السنسكريتية و غيرها من اللغات و العلوم الشرقية بالمظلة الحكومية. وبدأت هذه اللغات و العلوم تخرج من مساجد المسلمين ومعابد الهندوس .وتتبوأ مكانها في الكليات حديثة النظم".

لقد أقامت حكومة الشركة لجنة تعليمية لإعداد نظم التعليم للهند وذلك بعد أن مضى ربع القرن التاسع عشر الميلادى، وكان اللورد ماكولى رئيسا لهذه اللجنة يقول الدكتور غلام حسين(١): "وفي اجتماع لهذه اللجنة انقسم أعضاؤها إلى قسمين قسم يرى تعليم الهنود باللغات المحلية بينما يرى القسم الآخر تعليم الهنود بالإنجليزية، فكانت إحدى الطائفتين ترغب في محو العلوم الشرقية بينما كانت الطائفة الأخرى تؤيد نشر العلوم الشرقية و إحيائها إلى جانب نشر العلوم الحديثة في شبه القارة الهندية [لمصلحة الإنجليز و إلا فكانت أحقاد هاتين الطائفتين على الإسلام مشتركة وجروح الحروب الصليبية مازالت تنزف وتتال منهم] ولما استوت أصوات الطائفتين جعل اللورد ماكولى صوته في كفة تعليم الهنود بالإنجليزية، ومن هنا بدأت نظم التعليم تقيم مبناها على أسس معوجة و أصبحت الإنجليزية وسيلة لتدريس العربية و الفارسية و السنكريتية فضلا عن دورها في تدريس العلوم الحديثة".

إنّ الإنجليز كانوا قد قرروا تدريس الهنود بالإنجليزية غير أن هذا لم يستمر وذلك بناء على رواية الدكتور عبد الحق بشأن اضطرار الإنجليز إلى التراجع عن

---

(١) تاريخ أورينتيل كالج، للدكتور غلام حسين، ص ٢٠١.

Marfat.com

موقفهم من اتخاذ اللغة الإنجليزية وسيلة التدريس في المؤسسات التعليمية بالهند، و بالتالى عادت اللغات الشرقية في المؤسسات التعليمية الهندية، ولم نستطع أن نعرف سبب تراجعهم عن هذا القرار، ولعلها محاولة إرضاء الشعب الهندى ونوع من أنواع الخداع و المهادنة حتى يكسروا حدة العداء ضدهم، ولا يتصور الهندى أن الإنجليزية أصبحت كل شئ ويكرهها، على كل يقول الدكتور عبد الحق[١]: "كان العام الخامس و الثلاثون من القرن التاسع عشر الميلادى عام التغيير الجذرى في تاريخ التعليم بالهند وخلاصة ما انتهجه التعليم من أسلوب:

أحدها: اعتبار اللغات الشرقية لغة التدريس في أغلب المدارس الهندية – الحكومية و الأهلية – فبدأت دراسة اللغات و العلوم الشرقية فيها مرة أخرى.

ثانيها: إقداء الحكومة الإنجليزية على إعطاء أغلب طلاب المدارس الحكومية و الأهلية المنح الدراسية.

ثالثها: إقدام الحكومة على الدعم المالى الكبير للترجمة إلى اللغتين العربية و السنكريتية، ومن المثير للدهشة أن الإنجليز وجهوا اهتمامهم إلى اللغة العربية حيث إنهم خصصوا اثنين وثلاثين ألف روبية لترجمة كتاب بهاتين اللغتين، وكانوا في بعض الأحيان إذا وجدوا صعوبة في فهم الترجمة طلبوا إلى المترجم القيام بشرح الترجمة نظير مقابل مادى كما كانوا ينفقون أموالا طائلة على طبع الكتب المترجمة"، ومن الممكن أن يكون اهتمام الإنجليز بالترجمة إلى العربية و السنسكريتية لتنال الثقافة الغربية بعض المكانة في قلوب وعقول أهل الأرض المحتلة كما دخل عسكرهم.

---

(١) راجع: مرحوم دهلى كالج (كلية دهلى المرحومة)، للدكتور عبد الحق (ط: أنجمن ترقى اردو، دهلى ١٩٨٩م)، ص ٢٤، ٢٥.

Marfat.com

هكذا قام الإنجليز بشن هجوم ثقافى على أهل شبه القارة الهندية بعدما شنوا عليهم هجوما عسكريا، وكانت نظم التعليم تستهدف إلى تمجيد حضارة الإنجليز ومبادئ المسيحية، كما كانت تستخف بحضارة الشرق بوجه عام وأمجاد شبه القارة الهندية والمسلمين بصفة خاصة، وإنهم جاؤا بأساطير التقدم التكنولوجى في الغرب وحاولوا أن يبهروا بها عقول الهنود لتستسلم لهم بكل خضوع وطاعة، فكانت الأحقاد المكنونة في صدورهم نحو المنتصرين في الحروب الصليبية متمثلة تماما في نظم التعليم التى خططوها لتثقيف أهل الهند بثقافتهم وإبعاد الهنود عن إنجازات أسلافهم، وإن أحقاد الإنجليز لم تهدأ بإلغاء نظم التعليم الهندية وإحلال نظم التعليم الحديثة مكانها بل خطت خطوة أخرى باتخاذ اللغة الإنجليزية لغة التدريس، وإن كان بعضهم لا يرون هذا الاعتداء في صالح الإنجليز، على كل فإنهم بدأوا يفكرون فى تنفيذ نظم التعليم الحديثة التى جاؤا بها حتى تقترب الأذهان الهندية بالثقافة الغربية، بالابتعاد عن الحضارة الشرقية، وفي هذا يقول الدكتور غلام حسين(١):

"يتصف العام الرابع والخمسون بأهمية كبيرة في التاريخ التعليمى لشبه القارة الهندية، حيث إن الحكومة الإنجليزية أنشأت هيئة تعليمية بكل ولاية هندية، وقررت تمويل المؤسسات التعليمية التى لم تكن تابعة للحكومة، كما تقرر قيام جامعة بمدينة كلكته، ومدراس، بومبائى، وتم تنفيذها هذا القرار في العام السابع والخمسين من القرن التاسع عشر الميلادى".

ومن هذا المنطلق قام الإنجليز بإنشاء المدارس والكليات تنفيذا لأفكارهم المتمثلة في نظم التعليم الحديثة، وإنهم خلال إنشاء هذه المؤسسات التعليمية أنشأوا بعض الكليات لنشر اللغات والعلوم الثقافية وكانت العربية من بينها، وإن أول كلية أسهمت في نشر اللغات والعلوم الشرقية - في رأيى - هى "كلية فورت ويليام"

---

(١) تاريخ أورينئيل كالج، للدكتور غلام حسين، ص ٣.

Marfat.com

يحدثنا الأستاذ الدكتور وقار العظيم عن نشأتها والدوافع إلى إنشائها حيث يقول(١): "نشأت كلية فورت ويليام تلبية لبعض المصالح الحكومية، وتفصيل ذلك أنه لما جاء اللورد ولزلى ليتولى منصب الحاكم العام بالهند رأى أن الموظفين الإنجليز الذين يتولون مهام إدارية في عدة أقسام إدارية لا يتمكنون من إنجاز أعمالهم إلا بعد تربيتهم بالأساليب المدروسة وإعلامهم بالطبائع الهندية، لذا اقترح اللورد ولزلى قيام كلية تتولى تدريس بعض اللغات المحلية إلى جانب تدريس اللغات الأوروبية وشتى العلوم الغربية، وكان هذا المشروع يشمل اللغة العربية وغيرها من بعض اللغات التى كانت معروفة في الهند، كما كان يشمل العديد من العلوم، ولكن حكومة الشركة لم توافق على المشروع ككل بل وافقت جزئيا حيث إنها أذنت بقيام كلية تقوم بتدريس اللغات المحلية فانتهز الحاكم العام بالهند اللورد ولزلى هذا القدر من موافقة الحكومة فأقدم على إنشاء الكلية في الثامن من شهر مايو من نهاية القرن الثامن عشر الميلادى، وسماها بـ "كلية فورت ويليام" وأخذت هذه الكلية تمهد للموظفين الأجانب الطرق المؤدية إلى فهم الطبع الهندى حتى يحسن تعامل الحكام الإنجليز مع محكوميهم الهنديين، وبالتالى تزداد قوة سيطرتهم يوما فيوما".

أما الكلية الثانية – في نظرى – التى قامت بإرساء دعائم اللغات الشرقية في الهند فهى "كلية دهلى الشرقية" يحدثنا عنها الدكتور عبد الحق قائلا(٢): "لقد تم تأسيسها – بشكلها الحديث – في الخامس والعشرين من القرن التاسع عشر الميلادى بهدف تدريس العلوم واللغات الشرقية ومن بينها العربية، وذلك بعد تأسيسها بما يقارب ثلاثة وثلاثين سنة... وحظيت هذه الكلية بالقبول والنجاح وذلك

---

(١) فورت وليم كالج (كلية فورت ويليام) للدكتور وقار العظيم، (ط: الوقار ييلى كيشنز لاهور ١٩٩٥م)، ص ١٩.

(٢) مرحوم دهلى كالج، للدكتور عبد الحق، ص ١٢، ٢٥.

Marfat.com

لكون اللغة الأردية وسيلة لتدريس العربية و الفارسية و السنسكريتية إلى جانب تدريس بعض العلوم ضمن المقررات".

أما الكلية الثالثة التى ساهمت في نشر اللغة العربية ضمن اللغات الشرقية - في نظرى - فهى كلية لاهور الحكومية، و التى تم افتتاحها في شهر يناير من العام الرابع و الستين من القرن التاسع عشر الميلادى، و عين الدكتور ويليام لايتنر أول عميد لها و الذى تولى هذا المنصب في شهر نوفمبر من السنة نفسها، و الذى قام بدور فعال لنشر اللغة العربية و آدابها حيث إنه كان قد سبق له أن درس اللغة العربية و ادابها و العلوم الإسلامية في مدرسة العلوم الإسلامية بمدينة قسطنطينية، ثم تحول إلى مدينة لندن حيث التحق بالكلية الملكية و ذلك في العام الثامن و الخمسين من القرن التاسع عشر الميلادى، و استمر في دراساته العليا و بحوثه القيمة حتى نال منصب الأستاذية في اللغة العربية و آدابها بالكلية الملكية نفسها، و انتخب كذلك عضوا بالجمعية الآسيوية الملكية في السنة نفسها، و في السنة الثانية و الستين من القرن التاسع عشر الميلادى نال شهادة الماجستير ثم الدكتوراه من جامعة فرى بورج [ولم نستطع الاطلاع على العام الذى نال فيه الدكتور ويليام لايتنر درجة الدكتوراه و أعتقد أنه نال درجة الدكتوراه قبل العام الرابع و الستين من القرن التاسع عشر الميلادى حيث نصب عميدا لكلية لاهور الحكومية لأنه كان حائزا على الدكتوراه وقتذاك] و إنه قبل توليته منصب العميد بكلية لاهور كان أستاذ اللغة العربية و آدابها بالكلية الملكية بلندن، كما كان أستاذ القانون الإسلامى أيضا بنفس الكلية"(١).

---

(١) مقدمة النحو العربى الفلسفى، للدكتور ويليام لايتنر (ط: المجمع العربى الباكستانى، لاهور و انظر: تاريخ أورينتيل كالج، للدكتور غلام حسين، ص ٣، ٤.

Marfat.com

إذا كنا تحدثنا عن ثلاث كليات حكومية لعبت دورها في نشر اللغة العربيـــة وآدابها في شبه القارة الهندية فإن أمامنا خضما هائلا من الثقافة العربية التى تمثلت فيما بعد في جامعة بنجاب بمدينة لاهور والتى كانت نتيجة لخطوات اتخذها الدكتور وليام لايتنر من أجل نشر اللغات الشرقية ومن بينها اللغة العربية، يحدثنا الأســـتاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر عن دور الدكتور ويليام لايتنر لإنشاء جامعـــة بنجـــاب فيقول(١): "ومن الخطوات الجريئة التى اتخذها الرجل من أجل النـــهوض بـــالتعليم ورفع مستواها على أوسع نطاق ممكن في إقليم بنجاب خاصة وفي شـــمال الـــهند عامة هو إنشاء جمعية بنجاب... وكان من أهم أهداف هذه الجمعية إنشاء جامعـــة في مدينة لاهور والتى بإمكانها أن تلبى حاجات المواطنيـــن التعليميـــة والثقافيـــة بالإضافة إلى عدة أهداف أخرى، وفي العام التاسع والستين والعام والســـبعين مـــن القرن التاسع عشر الميلادى حققت حركة الدكتور لايتنر التعليمية أول نجاح بـــاهر وأتت بثمرة مفيدة وذلك أن جمعية بنجاب وفقت في إنشاء كليتين في الوقت نفســـه، إحداهما الكلية الشرقية وكان عميدها المؤسس هو الدكتور لايتنر نفســـه، والكليـــة الثانية هى كلية بنجاب الجامعية، وأصبح الدكتور ويليام لايتنر المســـجل المؤســـس أيضا لهذه الكلية التى أصبحت جامعة بنجاب فيما بعد، واستمر هذا المستشرق فـــي محاولاته الجدية من أجل ترقية الكلية وتقدمها ورفعها إلى المستوى الذى يليق بـــها حتى تمكن الوصول إلى اللورد ليتون نائب الملك البريطانى على الهند فأخذ منـــه الموافقة الرسمية في السنة السادسة والسبعين من القرن التاسع عشر الميلادى برفع الكلية إلى درجة الجامعة المستقلة وأقر بذلك المجلس الملكى الذى عقد اجتماعه في السنة السابعة والسبعين من القرن نفسه، ثم تحقق حلم الدكتور ويليام لايتـــنر فـــي

---

(١) مقدمة النحو العربى الفلسفى، للدكتور ويليام لايتنر، ص ١٩، ٢٠ (مقدمة).

Marfat.com

الثانى و الثمانين من القرن التاسع عشر الميلادى حين صـــدر المرســوم الرســمى بإنشاء جامعة بنجاب بلاهور فخرجت إلى حيز الوجود رسميا".

هكذا حلت اللغة العربية و آدابها محلها مرة أخرى في لبســـة جديـــدة علـــى مستو ى الكلية و الجامعة على يد الحكومة الإنجليزية بعدما ألغـــى حكـــام الإنجلـــيز المغتصبو ن دراستها بالقضاء على نظم التعليم الهندية التقليدية، و أحلوا محلها نظـــم تعليم خططها الأذهان البريطانية لتخضع لهم قلوب الهنود و أذهانهم، وكـــانت هـــذه المحاولة المدروسة تستهدف الغزو الثقافى بعد الغزو العسكرى المصحوب بـــالجبن و المكر و الخدعة ولكن حكمة الله تبارك وتعالى ومشيئته غلبت كيد الكائدين و أنقـذت المسلمين بمفكريهم من أمثال شاعرنا موضو ع البحـــث و الدكتـــور محمـــد إقبـــال و الشاعر المفكر أكبر إله آبادى الذين قاموا بتوجيه المسلمين إلى الأضرار الكامنـــة في نظم التعليم الإنجليزية، الأمر الذى دفع الطلاب المسلمين إلى الاحتفاظ بهويتهم، و الاعتزاز بدينهم ولغاتهم، و هكذا عادت حياة هذه اللغات إلى عروقـــها وشـــرايينها مرة أخرى وذلك على يد الإنجليز الذين حاولوا محوها.

لقد تحدثنا عن قيام الإنجليز بإنشاء الكليات لإحياء اللغـــات الشـــرقية بعدمـــا أصيبت بالخراب و الدمار على يد هؤلاء الغاصبين المغتصبين، نتقدم الآن بـــالحديث عن الجهود الفردية التى بذلها علماء الإنجليز في سبيل نشر اللغات الشرقية بما فيها اللغة العربية وذلك تحقيقا لخطتهم المدروسة، إلا أننا لم نســـتطع الاطـــلاع علـــى تراجمهم أو على أحد التاريخين تاريخ الميلاد أو الوفاة، لذا لم نرتب أسماءهم حسب الترتيب الزمنى وكان جل اهتمامنا على ترتيب أسمائهم حسب الترتيب الأبجـــدى، فمن تقدم اسمه ابجديا تقدم ذكره، ومن تأخر اسمه تأخر ذكره أيضا.

Marfat.com

لقد تحدثنا عن الدكتور ويليام لايتنر فيما سبق ذكره خلال الحديث عن كلية لاهور الحكومية، وجامعة بنجاب، لذا لم نكرر اسمه تجنبا للملل و الكلل، وسوف نتناول أسماء بعض المستشرقين الذين وصلت يدى إلى خدماتهم وجهودهم نحو اللغة العربية وآدابها.

(١) **إسبرنغار:** إنه كان طبيبا من الناحية المهنية تم تعيينه في بنجال حيث كان يعمل طبيبا جراحا، ولكن نظرا إلى معرفته و اهتمامه بالعربية و آدابها شغف بالفارسية و الأردية أيضا، لذا نصب عميدا لكلية دهلى في الخامس و الأربعين من القرن الثامن عشر الميلادى.. و إنه قام بتوفير النسخ المطبوعة من ديوان الحماسة وديوان المتنبئ لكلية دهلى فأفاد المقررات العربية لدى الكلية.. و إنه تقدم باقتراح الإصلاح في أساليب الترجمة من العربية و الفارسية(١)، وبالتالى كل ماكان بينه وبين اللغة العربية حب وشغف ومنصب ومحاولة لزيادة المكتبة العربية بدليل إتيانه بالنسخ من الكتابين، ثم قيامه بالاقتراح بشأن الإصلاح في أساليب الترجمة من العربية و الفارسية، و إن كنا لم نعثر على نص الاقتراح.

(٢) **إيدوارد هنرى بالمر:** إنه من طائفة المستشرقين المشهورين [في شبه القارة الهندية] بمطالعته العميقة للعربية و الفارسية و الأردية علاوة على براعته في اللغات الأوربية، إنه ولد بإنجلترا بمدينة كيمبرج [حيث نشأ وترعرع] وتم لقاؤه مع البروفيسور الهندى الشريف عبد الله بن الشريف محمد خان بهادور الأستاذ بجامعة كيمبرج، ساعتها شغف باللغة الأردية وبدأ بتعلمها على يد الشريف عبد الله الهندى حتى أتقنها، ولم يكتف بالأردية فقط فقد برع في اللغة العربية و الفارسية أيضا، وأخذ ينطق هذه اللغات الثلاثة بكل طلاقة، إنه عرض بعض أبياته التى كان

---

(١) كارسان دتاسى اوراس كى همعصر بهى خواهان أردو (غارسان ديتاسى والمعاصرون له من المتعاطفين مع الأردية)، للشريف محى الدين القادرى (ط: سب رس كتاب كهر حيدر اباد دكن ١٩٦١م)، ص ٩٣، ٩٤.

Marfat.com

قد نظمها بالعربية الفصحى على البروفيسور توماس برستن وذلك في الثامن والستين من القرن التاسع عشر الميلادى، وإنه أخذ ليسانس في السابع والستين من القرن نفسه، ثم أخذ الماجستير بعد سنوات ثلاث، لقد قام إيدوارد هنرى بالمر بجمع وترتيب قائمة المخطوطات العربية والتركية الموجودة لدى كلية ترينى بإنجلترا، وإنه عند إقدامه على الهند قام بطبع مقالاته العربية والفارسية في الجرائد بمدينة "أودهـ" وبالتالى في جرائد الهند الأخرى أيضا، وكتب عند وفاة الشريف محمد خان بهادور مقالا بالإنجليزية تحت عنوان "الحديث مع الهند" [وأعتقد أنه شاطر الهند أحزانها بفقد الشريف محمد خان بهادور] ولقد قام بزيارتين إلى جزء من الوطن العربى ومن بينها فلسطين ومصر - وذلك في العام السابع والستين من القرن التاسع عشر الميلادى، وعند عودته إلى الهند قام بطبع مقالات بأكثر من لغة ومن بينها العربية، وإنه ألف كتابا في قواعد اللغة العربية والذى يعتبر من نوادر الكتب وأنفعها للدارسين [على حد قول الدكتورة رضية ولم أشأ أن أناقشها حتى لا أتجاوز الموضوع الذى أتناوله] وفي العام الثانى والثمانين من القرن التاسع عشر الميلادى بعثته الحكومة الإنجليزية بالهند إلى مصر للقيام بمهمة سرية هناك، ولكنه لم يوفق حيث لقى حتفه على يد أحد المصريين[1] ونلاحظ أنه كان عاما يقف التاريخ أمامه باكيا حيث كان الإنجليز يحاولون دخول مصر وبالتالى نجحوا في محاولتهم. فيبدو أنه راح ضحية للشك وكراهية المصريين للاحتلال الإنجليزى.

(٣) **بريتن:** هذا هو ثالث المستشرقين - حسب ترتيبى - الذين قاموا بإسهاماتهم في نشر اللغة العربية ضمن اللغات الشرقية فإنه قام بتأليف كتاب عن مختلف أعضاء جسم الإنسان تحت عنوان: A Vocabulary of the Names of

---

(١) اردو زبان وادب مين مستشرقين كى علمى خدمات، للدكتور رضية، ص ٢٠٩، ٢١٠. (ملخصا).

Marfat.com

various of the Parts of the Human body and medical technical Terms "قائمة أعضاء جسم الإنسان و المصطلحات الطبية".

وكانت هذه الأسماء بثلاثة لغات العربية و الفارسية و السنسكريتية، وقد طبع هذا الكتاب فى مدينة كلكته في السابع و العشرين من القرن التاسع عشر الميلادى(١).

(٤) **الدكتور جون بارت وك غل كرست:** إنه أحد الأساتذة المدرسين بكلية فورت ويلياد. وقد قام بتأليف العديد من الكتب في اللغات الشرقية - وبالطبع للأهداف المنشودة - فكان من ضمن مؤلفاته باللغة الأردية "مرآة الهندية و العربية" جاء فيه بالكلمات العربية التى تتداول في اللغة الأردية وتحدث الدكتور وقار العظيم عنه بأنه اهتم بالخط العربى وتحدث عنه في كتابه بالأردية "كتاب القصة في الهند"(٢).

(٥) **زنكن فوربس:** إنه خامس المستشرقين المهتمين باللغات الشرقية ومن بينها اللغة العربية، ومن الذين وصلت يدى إلى أسمائهم، وكلما عرفت عنه أنه ظل أستاذا بأكاديمية كلكته من العام الثالث و العشرين من القرن التاسع عشر الميلادى حتى العام السادس و العشرين من القرن نفسه... و إنه ألف بالعربية و الفارسية و الأردية و البنجالية عددا لا بأس به(٣) هذا ولم نعرف على أسماء مؤلفاته العربية.

(٦) **ويليام ناسوليس:** هذا هو سادس المستشرقين الإنجليز - حسب ترتيبى - ومن المهتمين باللغات الشرقية من بينها اللغة العربية، ولم تصل يدى إلا إلى

---

(١) اردوزبان وأدب مين مستشرقين كى علمى خدمات، للدكتور رضية، ص ١١٠.
(٢) فورث وليم كالج، للدكتور الشريف وقار العظيم، ص ٢٠، ٢٧ (ملخصا).
(٣) اردوز بان وأدب مين مستشرقين كى علمى خدمات، للدكتور رضية، ص ١٢٦.

Marfat.com

معلومات ضئيلة عن دوره في نشر اللغة العربية، تحدثنا عنه الدكتور رضية حيث تقول[١]: "إن أكبر شهرته تعود إلى قيامه بخدمة اللغة الفارسية، كما عرفت عنه بعض الأعمال العلمية باللغة العربية فاعتبر من أصحاب الفضل على اللغة العربية أيضا".

ها هم المستشرقون السبعة الذين استطعت أن أتعرف إسهاماتهم في نشر اللغة العربية، أحدهم مجرى الجنسية، ألا وهو الدكتور ويليام للايتنر، ولكنه اشتغل في الهند كمبعوث إنجليزى، والذى تحدثت عنه فيما سبق، وأما بقية المستشرقين الستة فكانوا إنجليزى الجنسية، على كل كانت لهؤلاء جميعا أهداف معينة والتى أشرنا إليها في بداية هذا المبحث حيث إن الإنجليز كانوا قد جاؤا بالمبشرين لنشر النصرانية مباشرة، وإنهم جاؤا كذلك بالمستشرقين لدراسة أوضاع المسلمين خاصة وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى في الهند بصفة عامة، حتى يشقوا الطرق للغزو الثقافى على المحكومين الهنود بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة، فقد كانت ذكرى الهزائم الساحقة في الحروب الصليبية تتغلغل فى أحشائهم وتلتهب في قلوبهم الحاقدة على الإسلام والمسلمين، وإنهم بواسطة تقارير هؤلاء المستشرقين استطاعوا التفرقة بين أفراد الشعب الهندى فحلت الخلافات الطائفية بين المسلمين والسيخ تارة والهنادكة تارة أخرى رغم أن المسلمين كانوا قد حكموا شبه القارة الهندية بكل عدل وإنسانية تطبيقا للمقولة المأثورة عن الاستعمار "فرق تسد" وإنهم بناء على تقارير المستشرقين قاموا بمحاولات بشعة لتشويه وجه الإسلام وتغريب عقول الشرقيين بصفة عامة، لقد حاول المستشرقون كل المحاولة لتوطيد حكم الإنجليز في شبه القارة الهندية ولكن أنى للظلم والإحتلال استقرار؟ وكان الاهتمام باللغات الشرقية إحدى المحاولات لتوطيد الحكم الإنجليزى في الهند، وهكذا قام الإنجليز بنشر اللغة العربية ليس حبا لها وإنما تلبية لمصالحهم، وتنفيذا لأهدافهم، ولكنهم أفادوا اللغة العربية في شبه القارة الهندية بعض الإفادة بعد تدميرها تماما وإحلال الإنجليزية محلها.

---

(١) انظر: اردو زبان وأدب مين مستشرقين كى عملى خدمات، للدكتور ضيه، ص ٥٧ (ملخصا).

Marfat.com

الباب الثاني

الأغراض الشعرية في ديوان الشيخ أحمد رضا خان

ويحتوى هذا الباب على تمهيد وأربعة فصول

تمهيد :التعريف بالديوان

الفصل الأول: المديح.

الفصل الثاني: الرثاء.

الفصل الثالث: الهجاء.

الفصل الرابع: في غير ذلك من الأغراض.

Marfat.com

تمهيد

التعريف بالديوان

إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان كان قد رتب ديوانه الأردى في حياته في جزئين وقد صدر الجزء الأول والثانى في مجلد تحت عنوان حدائق بخش [حدائق الغفران] وذلك في العام الخامس والعشرين من القرن الرابع عشر الهجرى الموافق للعام السابع من القرن العشرين الميلادى، ولكنه لم يقم ولم يفكر في ترتيب ديوانه العربى وكذلك ديوانه الفارسى واكتفى بما تضمنه حدائق بخشش من بعض المنظومات العربية والفارسية إلا أن بعض مؤلفاته قد توجت بذكر بعض قصائده، وقد ذكرها ضمن مؤلفاته بمناسبة الكلام مخافة عدم قدرته على جمع الديوان العربى والفارسى في حياته، وهذا ما حدث بالفعل.

ومما تجدر الأشارة إليه أن الأدباء والعلماء بشبه القارة الباكستانية الهندية اهتموا بالمنظومات العربية التى نظمها شاعرنا، وبدأ الاهتمام بشعره في أواخر حياته وبعد رحيله وإلى يومنا هذا، فأقدم عدد منهم على وضع إحصائية عدد الأبيات العربية لشاعرنا الشيخ أحمد رضا خان، بل زاد الاهتمام إلى أن وضعت بعض أبياته الأردية حيث الترجمة لقصيدته المسماة "بالمنظومة السلامية" وعدد أبياتها بالأردية مائة وسبعون بيتا، وقد قام بهذه الترجمة محقق ديوانه العربى بساتين الغفران الأستاذ حازم محمد أحمد، وقد قام بصياغة هذه الترجمة شعرا

Marfat.com

الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصرى[١] وقد رأيت أصول هذه الترجمة و الصياغة الشعرية، وأعتقد أن القارئ سوف يسعد بها قريبا بعد أن تلم بها المطبعة، على أننى لم أشأ أن أضعها في ظلال بساتين الغفران وذلك لأن موضوعنا شـــعره العربـــى وليس المترجم إلى العربية، رحم الله شاعرنا عربيا و أرديا وفارسيا، وفيما يأتى ذكر أولئك الذين اهتموا بالشعر العربى عند الشيخ أحمد رضا خان إلا أننـــا لا نعـــرف مدى صحة ما ذهبوا إليه في هذا الإحصاء نظرا لعدم قيامهم بالإقدام على إصـــدار ما جمعوه على الرغم من مضى سنوات طويلة على هذه الإحصائية.

ومن بين من وضعوا إحصائية نذكر الدكتور حامد على خان الذى ذكر أنـــه إطلع بنفسه على ثلاثمائة وتسعين بيتا عربيا للشيخ أحمد رضا خان[٢].

كذلك مولانا محمود أحمد القادرى الذى قال: "إنه جمع مـــن بيـــن مؤلفـــات شاعرنا المختلفة الفنون - المطبوعة والخطية - خمسين ومائة بعـــد الألـــف مـــن الأبيات العربية إضافة إلى أنه لم يستطع الحصول على منظومة نظمها شاعرنا فـــي

---

(١) ولد المترجم له فى القاهرة فى ١٦ فبراير عام ١٩١٦م، تلقى تعليمه الابتدائى فى مدرســـة شبرا الابتدائية ومدرسة السعيدية الثانوية، ثم التحق بقسم اللغة العربية واللغات الشرقية بجامعـــة فواد الأول (جامعة القاهرة حاليا) وتخرج فيها عام ١٩٣٩م، ودرس إحدى عشرة لغة يجيد منـــها ثمانى لغات، من هذه الثمانية التركية والإنجليزية، ثم التحق بقسم لغات الشعوب الإسلامية بمعـــهد الدراسات الشرقية التابع للجامعة المذكوزة سنة ١٩٤٠م، ونال منه درجة الماجستير سنة ١٩٤٣م، ثم سافر إلى استنبول للاطلاع على المخطوطات المتعلقة بالشاعر التركى "فضولى البغدادى" وقدم رسالة عنه نال بها درجة الدكتوراه عام ١٩٥٥م.
يعمل حاليا أستاذ الدراسات الفارسية والتركية والأدب الإسلامى المقارن فى قســـم لغـــات الشعوب الإسلامية بجامعة عين شمس بالقاهرة، وخبير وعضو لجنة المعجـــم الكبـــير بـــالمجمع اللغوى والأعلام والتاريخ والآثار بالقاهرة.
منحه الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق وسام الامتياز (تمغة امتياز) عام ١٩٨٨م، لـــه اثنان وستون كتابا منها ستة دواوين باللغة العربية، كما أن له ديوانا فارسيا واخر بالتركية، ولـــه شعر غير مطبوع بالفرنسية.
انظر: نخبة من اراء مفكرى العرب حول محمد إقبال، جمعه وقدم له الدكتور محمد السيد جمـــال الدين والدكتور أمجد حسن سيد أحمد (ط: السفارة الباكستانية بالقاهرة، ١٩٩٨م). ص ٥٢
(٢) انوار رضا. لصفوة من العلماء، ص ٥٦٦.

Marfat.com

الرد على المرزا غلام أحمد القاديانى، إلا أنه أشار إلى أن عدد تلك المنظومة تضم مئات الأبيات باللغة العربية[١] ومع قوله هذا لم يقدم على إصدار إلا ثلاثين بيتا لشاعرنا في كتيب تحت عنوان "أحد عشر بيتا عربيا للإمام أحمد رضا خان" وإن أردت التعبير السليم فلا تقل كتيبا وإنما قل ملزمة عبارة عن ستة عشرة صفحة.

ونذكر أيضا الدكتور محمود حسين البريلوى الذى ذكر أنه قام بجمع ألف ومائة وثمانية وأربعين بيتا عربيا لشاعرنا الشيخ أحمد رضا خان[٢] وذلك بالطبع بعد مجهود كبير بذله في هذا الصدد، وإنه مع قوله هذا ذكر أنه من الصعب إحصاء عدد منظومات الشيخ أحمد رضا خان نظرا لتفرقها بين كثير من مؤلفاته باللغات العربية والفارسية والأردية تلك المؤلفات التى لا توجد في مكتبة واحدة وذكر أيضا أن مؤرخى سيرة الشيخ أحمد رضا خان أشاروا إلى مزيد من أبياته العربية.

ظل الحال هكذا عند من اشتغل بالبحث الشعرى وتصدى بهدف وضع إحصائية لعدد الأشعار العربية لشاعرنا الشيخ أحمد رضا خان دون إقدام احد من أهل شبه القارة - باكستان الهند وبنجلاديش - على التفكير الجاد بهدف جمع وترتيب وإصدار منظومات شاعرنا في ديوان مستقل.

ومما تجدر الأشارة إليه أن هذا الوضع استمر منذ أواخر حياة شاعرنا وبعد رحيله إلى العام الخامس والتسعين من القرن العشرين الميلادى، وحين قدم باكستان الأستاذ حازم محمد أحمد عبد الرحيم المحفوظ - أحد أبناء الأزهر الشريف - وبعد ما علم بعدم إقدام أحد من الأدباء والعلماء على التصدى إلى جمع وترتيب وتحقيق

---

(١) امام أحمد رضا کے گیاره عربی أشعار، لمولانا محمود أحمد القادرى، ص ٣.
(٢) معارف رضا، لصفوة من العلماء، ج ٨، ص ٧٥.

Marfat.com

وإصدار المجموعة الشعرية العربية لشاعرنا عكف على إنجاز هذا العمل، وعن بداية مطالعته لمنظومات شاعرنا يقول(١) "بدأت معرفتى بالشيخ أحمد رضا خان في كلية اللغات والترجمة من جامعة الأزهر الشريف حين قدم الأستاذ الدكتور محمد مبارز ملك أستاذا زائرا بقسم اللغة الأردية وآدابها في العام التاسع والثمانين بعد التسعمائة والألف للميلاد فقام سيادته بإهدائى مجموعة من الكتب - كما أهدى مجموعة أخرى لمكتبة كلية اللغات والترجمة - حول حياة ومصنفات الشيخ أحمد رضا خان، وكانت أول أشعاره باللغة العربية التى قرأتها بعض أبيات من قصيدته الشهيرة "حمائد فضل رسول".

وعن بداية تصديه لإنجاز هذا العمل يقول(٢): "وشاءت الأقدار أن أقدم إلى جمهورية باكستان الإسلامية أستاذا زائرا بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بنجاب بمدينة لاهور - قلب باكستان - في الخامس من شهر يناير عام خمسة وتسعين بعد التسعمائة والألف للميلاد وبعد أن عرفت أنه لم يقدم أحد على جمع ديوان الشيخ أحمد رضا خان [جمعا يحيط بسائر نتاجه الشعرى] حتى ذلك الوقت فعقدت العزم على المضى قدما في القيام بهذا العمل، فقد توفرت لى الوسائل في باكستان حيث يوجد أغلب مصنفات الشيخ أحمد رضا خان التى تحتوى على العديد مما نظمه باللغة العربية، وقد رأيت مدى رغبة علماء أهل السنة والجماعة هنا في مدينة لاهور [بجمهورية باكستان الإسلامية] وتشجيعهم لى للقيام بهذا العمل فعكفت على جمع أشعار الشيخ أحمد رضا خان". وعن المؤلفات المطبوعة والمخطوطات لشاعرنا والتى اعتمد عليها في جمع وترتيب هذا الديوان العربى يقول(٣): "قمت بالاعتماد في ترتيب هذا الديوان على مؤلفات الشيخ أحمد رضا خان التى وصلت

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان (المقدمة)، ص ٤١.
(٢) المرجع السابق، (المقدمة) ص ٤٢.
(٣) انظر: المرجع السابق (المقدمة)، ص ٤٢-٤٣.

Marfat.com

إليها يدى [و الكلام للأستاذ حازم محمد أحمد المحفوظ] ومن بين الكتب التى أرخت لحياته ككتاب "حيات أعلى حضرت" [وترجمته: حياة الحضرة العالية] لتلميذ وخليفة الشيخ أحمد رضا خان وهو مولانا محمد ظفر الدين البهارى وغيره من الكتب الموثوق فيها والتى يعد مؤلفوها من خير من أرخوا لحياة الشيخ أحمد رضا خان وكذلك عثرت على بعض أشعاره من بعض مؤلفات كبار معاصريه مثل كتاب سراج العوارف في الوصايا والمعارف لفضيلة الشيخ أبى الحسين أحمد النورى، وأيضا من بعض المجلات التى قامت بنشر بعض أشعار فضيلته مثل المجلة الشهرية الرضا (بريلى) وكذلك بعض الكتب التى أرخت في الآونة الأخيرة لحياة شاعرنا، أمثال المصنفات التى ألفها الأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد. وأيضا من بعض المقالات العلمية التى كتبت حول الأشعار العربية لفضيلة إلى غير ذلك مما أوردته في حواشى هذا الديوان الذى بين أيدينا الآن".

أما عن المنهج العلمى الذى اتبعه مرتب الديوان فيقول(١): "وكان منهجى في جمع وتحقيق أشعار هذا الديوان بأننى لم أكتف بقراءة وجمع ما أعثر عليه من أشعار من مخطوط أو مصدر أو مرجع بل عندما كنت أجد نفس هذه الأشعار بمصدر آخر كنت أقوم بمطابقتها بما جمعته وعندما أجد اختلافات في بعض ألفاظ بعض أبيات أو إبدال كلمة موضع كلمة أخرى تقديما أو تأخيرا قمت بالاشارة إلى ذلك بالحاشية تحريا للدقة، وأيضا قمت بالتعليق على كل قصيدة ومرثية وقطعة ورباعية وفرد أوردته بمتن هذا الديوان، وقمت بوضع عناوين لكل القصائد والمراثى والقطع والأفراد [المراد بالفرد البيت الواحد وكذلك أفراد المراد بها عدة أبيات كل منها في مجاله] والتواريخ وغيرها لتسهيل معرفة وفهم مضمونها وكذلك أوردت الهوامش المناسبة، والسنة التى نظمت فيها إن وجدت".

وهذا الديوان الذى بين أيدينا الآن قام محقق الديوان باختيار عنوان له هو

---

(١) انظر: المرجع السابق (المقدمة)، ص ٤٥-٤٦.

Marfat.com

بساتين الغفران وعن هذا يقول[١]: "عندما أقدمت على اختيار عنوان لهذا الديوان – بعد الانتهاء من جمعه وترتيبه وتحقيقه – رأيت من الواجب مراعاة مـــا اختـــاره الشيخ أحمد رضا خان من عنوان لديوانه الأردى "حدائق بخشش" لذلك أقدمت على تسميته بـــ "بساتين الغفران".

ويقع هذا الديوان في ثلاثمائة وخمسين صفحة مقاس ٢٠ × ٣٠ سم ويبـــدأ هذا الديوان بتمهيد في ثمان صفحات تحت عنوان التعريف بالإمام محمد أحمد رضا خان تحدث المرتب فيه عن حياة وأعمال ومصنفات وعقيدة الشيخ أحمد رضا خان، وبعده تقديم بقلم الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادرى – الأستاذ بالجامعة النظامية الرضوية بمدينة لاهور ومراجع هذا الديوان – استغرق هذا التقديم اثنتـــى عشـــرة صفحة تحدث فيها عن الشيخ أحمد رضا خان وموهبته الأدبية في اللغات العربيـــة والفارسية والأردية كما تحدث فيها عن بساتين الغفران والمجهود الذى بذله المرتب من أجل إتمامه، وتحدث كذلك فيه عن السيرة الذاتية والعلمية والأدبية لمرتب هـــذا الديوان[٢]

ثم تأتى تواريخ التاريخ لطبع هذا الديوان بحساب الجمل والتى نظمها الشـــيخ القاضى عبد الدائم دائم وعددها تسعة وعشرون، ومنها العنوان الذى وضعه لـــهذا الديوان بحساب الجمل وهو "إشعار الفهام بأشعار الإمام" (١٤١٦هـــ) [٣].

وبعد ذلك قصيدة باللغة العربية في مدح الشيخ أحمد رضا خان نظمها الشاعر الدكتور محمد حسين إقبال القادرى في خمسة وأربعين بيتا[٤] ثم تأتى مقدمة مرتب هذا الديوان وتقع في إثـــنتى عشرة صفحة يبين فيها سبب إقباله على إنجـــاز هـــذا

---

(١) المرجع السابق (المقدمة)، ص ٥٢.
(٢) المرجع السابق (المقدمة)، ص ٣ : ٢٥.
(٣) المرجع السابق، (المقدمة) ص ٢٣ : ٢٦.
(٤) المرجع السابق. (المقدمة) ص ٣٧ : ٤٠.

Marfat.com

الديوان الذى جمعه ورتبه وضبطه وحققه ومهد وقدم له وأردفه بملحق[١].

أما عن هذا الديوان فيقول الجامع والمحقق[٢] وقمت بتقسيم هذا الديوان "بساتين الغفران" إلى :

أولا: القصائد.

ثانيا: المراثى والقطع.

ثالثا: الرباعيات.

رابعا: الأفراد.

خامسا : أشعار عربية ضمن منظومات أردية أو فارسية.

سادسا: أشعار عربية تتخللها كلمات أو حروف أعجمية.

سابعا: التواريخ".

وبعد ذلك أردف هذا المتن بملحق يقول عنه المرتب[٣]: "ثم أردفت هذا المتن بملحق موسوم بـ "أثر اللغة العربية في ديوان حدائق بخشش" و يتضمن الآتى:

أولا: نماذج من أشعاره أول شطرة فيها باللغة العربية.

ثانيا: نماذج من أشعاره ثانى شطرة فيها باللغة العربية.

ثالثا: نماذج من أشعاره تتخللها عبارات باللغة العربية [ما عرف في علم البديع بالاقتباس] من آيات القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف.

رابعا: نماذج من أشعاره تتخللها عبارات باللغة العربية".

وبعد ذلك نماذج من المخطوطات وتليها قائمة بالمصادر والمراجع ثم الفهرس الذى يتضمن موضوعات الديوان.

---

(١) المرجع السابق، (المقدمة) ص ٤١ : ٥٢.
(٢) المرجع السابق، (المقدمة) ص ٤٦.
(٣) لمرجع السابق، (المقدمة) ص ٤٦.

Marfat.com

وعلى الرغم من هذا المجهود الكبير الذى بذله المرتب من أجل إتمـــام هـــذا العمل إلا أننا نجده يشير إلى أن هناك أشعارا لشاعرنا لم يدرجها في هذا الديـــوان وعن السبب وراء ذلك يقول المرتب(١) "ولا بد لى أن أشير هنا إلى أن هناك بعض أشعار التبس على الأمر فيها، اهى للشيخ أحمد رضا خان أم لغيره، وهذه الأشـــعار توجد بين مصنفاته ومصنفات غيره فتحريا للدقة لم أقدم على إدراجها في متن هـــذا الديوان.. وقد وقع هذا اللبس لأن الشيخ أحمد رضا خان أوردها هو وغـــيره ولـــم يذكر أهى له أم لغيره".

كما أشار المرتب إلى أن هناك أشعارا أخرى لشاعرنا ولم يتمكن من جمعـــها فيقول(٢): "وأيضا تحريا للأمانة العلمية لابد لى أن أشير إلـــى أن هنـــاك بعـــض أشعاره لم أتمكن من جمعها على الرغم من أننى بذلت مجهودا كبيرا فـــي البحـــث عنها بعديد من المكتبات الخاصة والعامة بمدينة لاهور، وقمت بمراسلة العديد مـــن العلماء الأفاضل من أجل السؤال عن إمكانية وجودها – من أمثال ذلك ما أشار إليه مولانا محمود أحمد القادرى في تأليفه "أحد عشر بيتا للإمام أحمـــد رضـــا" علـــى المنظومة التى نظمها الشيخ أحمد رضا خان في الرد على المـــرزا غـــلام أحمـــد القادياني، فقمت بالبحث عن هذه القصيدة ولكن دون جدوى ولو وفقت في المستقبل القريب بإذن الله تعالى في العثور عليها وعلى غيرها من أشعار شـــاعرنا الشـــيخ أحمد رضا خان أقوم بإضافتها لهذا الديوان في طبعته الثانية.

هكذا يتجلى أمامنا أن مرتب بساتين الغفران قام بهذا العمل في مدينة لاهـــور بجمهورية باكستان الإسلامية وهذا يبين لنا مدى ما تحتويه المكتبات الباكســـتانية – خاصة مكتبة الجامعة النظامية الرضوية – على أكثر مؤلفات ومخطوطات الشـــيخ أحمد رضا خان على الرغم من أن مسقط رأسه مدينة بريلى – بالهند الآن – كمـــا

---

(١) المرجع السابق، (المقدمة) ص ٤٣.
(٢) المرجع السابق، (المقدمة) ص ٤٤.

Marfat.com

يتجلى لنا أن هذا العمل الكبير قد بذل فيه مجهود مشكور وقد تمنـــى عديـد مـن العلماء والأدباء إنجاز هذا العمل منذ رحيل شاعرنا وحتى العام الخامس والتسـعين من القرن العشرين الميلادى، إلى أن تم إصداره تحت رعاية مجمع بحوث الإمـام أحمد رضا خان بمدينة كراتشى، ورضا دار الإشاعة بمدينـة لاهـور بجمهوريـة باكستان الإسلامية. وأكاديمية رضا ستاك بورت بإنجلترا.

هذا ولم أكتف بإحصاء غيرى أبيات هذا الديوان، وذلـك لأن غـيرى نظـر فأحصى فأما نظرنا فقد حاولنا أن نلقيه إلى الديوان لننظر ما فيه إحصـاء ومعنـى وفكرا وعاطفة، وأغراضه المتعددة سواء كانت هذه الأغراض محل عنايـة مـن الشاعر أو ألم بها إلماما خفيفا، وهاك أيها القارئ الفاضل الإحصاء بعد نظرتنا، فقد وجدت الديوان مشتملا على ثلاث قصائد طويلة، وغير ذلـك مـن المقطوعـات والرباعيات والأفراد، والقصيدة عنده تمثل الوحدة الموضوعية، يعنى لها بداية ولها نهاية، وما بين ذلك حاول شاعرنا أن يتحدث عن الموضوع الذى أراده، فـالقصيدة الأولى عبارة عن إثنين وسبعين بيتا من صفحة ثمانية وخمسين إلى صفحة تسـعة وستين - ومطلع هذه القصيدة كالآتى:

الحمـد للمتوحـد بجلالـه المتفـرد
وصلاة مولانا علـى خير الانام محمـد

وتنتهى هذه القصيدة بالصلاة والسلام على خير الأنام، وقد حاول شـاعرنا أن يسجل اسمه في نهاية القصيدة دون ملل ولا تكلف فقال سائلا ربه:

وادم صلاتـك والسـلا م على الحبيب الاجـود
واجعل بها احمد رضـا عبـدا بحـرز السـيد

أما القصيدة الثانية فتتمثل في مائة وثلاثة وأربعين بيتا - من صفحـة إثنيـن وسبعين إلى صفحة ثمانية وثمانين - تستهل هذه القصيدة بـالغزل حيـث يقـول شاعرنا:

Marfat.com

رن الحمام على شجون البـــان ياما اميلح ذكر بيض البـــان

تبكى دما وتقول فى اســجاعها الله يضحك سن من ابكـــانى

أما نهاية هذه القصيدة فهى أيضا بالصلاة والسلام على خير الأنام وذلك بعـــد انتقاله من الغرض لآخر يقول شاعرنا:

صلى عليك الله يا فرد العلـــى ما اطرب الورقاء بالالحـــــان

صلى عليك الله يامولاى مـــــا رن الحمام على شجون البـــان

أما القصيدة الثالثة التى سماها شاعرنا بـــ "آمال الأبرار وآلام الأشرار" فقـــد نظمها في الرد على بعض الأفكار السائدة المعاصرة له، وتقع هذه القصيدة في مائة وأربعة وسبعين بيتا – من صفحة مائة وستة عشـــر إلـــى صفحـــة مائـــة وســـتة وعشرين. تستهل هذه القصيدة بذم الدنيا حيث يقول شاعرنا في مطلع القصيدة:

هـــى الدنيـــا تبيـــد ولا تفيـــد فاف لمن يريد ومـــن يـــرود

نفـــوس الجـــهل تائقـــة إليـــها فملتمـــس واخـــر مســـــتزيد

انتقل شاعرنا في هذه القصيدة أيضا من غرض لآخر، وقد تنـــاول الغـــرض الذى صاغ لأجله هذه القصيدة، وهو الرد على بعض الأفكار السائدة المعاصرة له، وقال في نهايتها:

سليمان الصلاح هناك اشـــرف وصاحب ندوة الجهلا فســـــيد

لاحظت أن القصيدة الأولى في المدح من بحر الكامل المجزوء، والثانية أيضا في المدح من بحر الكامل التام، أما الثالثة فهى من بحر الوافر وهى في الرد علـــى بعض المعاصرين له من أصحاب الأفكار الزائغة – كما رآهم شاعرنا الشيخ أحمـــد رضا خان – فبدأ شاعرنا قصيدته الأولى بالحمد لله تعالى، والثانية بالغزل، والثالثـــة بذم الدنيا، فهذه القصائد الثلاثة متنوعة المقدمات، وهذا ما يدل على القدرة الفائقـــة عند الشاعر وتنوع النفس عنده، وهو في نظره قيمة واحدة بدليل أنه نظم القصـــائد الثلاثة وحاول أن يتجنب الملل ويستعرض قوته الشعرية، ولا شك أنه بين المقدمات الثلاث رابطة نفسية، فإنه يحمد ربه في الأولى ثم مروحا عن نفسه بـــالغزل فـــي الثانية، ثم متبرما من الدنيا ومن فيها من أصحاب الأفكار الزائعة، لذلك أقدم علـــى

Marfat.com

ذمها في القصيدة الثالثة، فكأنه يريد أن يقول: "إن الغزل ليس قصدى وإنما القصد الشعر الذى يروح عن النفس ويذهب بعض ما فيها فلجأ إلى حيث الطرب، ألا وهو مجال الغزل، وفي هذا يقول(١):

"مالى وللغزل المهيج فلا اكن غزلا ولم ار مرتع الغزلان
مالى وللاهوا إلى مهوى الهوى افلى غناء فى غناء غوان
ما كان هذا ديدنى لكنه تشبيت شعر لادد الشبان
إذ ما ددمنى ولا انا مِن دد إذ جئت امدح رحْلة لاوانى"

فهذه المقدمات الثلاثة بينهن ارتباط نفسى، هذا وأرى أن هناك ارتباطا بين هذه القصائد الثلاثة من جهة أخرى فإنه صاغ القصيدة الأولى والثانية في مدح مولانا فضل الرسول البدايونى، أما القصيدة الثالثة فنظمها في الرد على بعض الأفكار الزائغة المعاصرة له، ولكنه في نظرى مدح للشريعة لأنه يدافع عنها، ويرد عنها كيد الكائدين ويقاوم الأغلاط التى يحاول البعض أن ينسبها لها.

هذا والمقطوعات تتمثل في إحدى وأربعين مقطوعة بما فيها الكبيرة والصغيرة حجما في الأغراض الشعرية المختلفة من المدح والرثاء والهجاء والتاريخ، أما عدد الرباعيات فهو لا يتجاوز خمسا، أما الأفراد من الأبيات فهى ثلاثون بيتا، والمجموع يساوى سبعمائة وإثنين وتسعين بيتا، والناظر إلى هذا الإحصاء يجد أنه أقل مما ذكره بعضهم، وهذا خير من إحصاء يفيد الكثرة ولكنه لم يصل إلينا، وحتى يزداد هذا الإحصاء ننتظر العثور على غير ذلك من الشعر العربى، ونحن في ذلك متأسون بما قاله محقق الديوان، على أننى سوف أجتهد بنفس الاهتمام الذى يحاوله الأستاذ حازم محمد أحمد، فإن صح لى شعر وتحقق أمام عينى نسبته الصحيحة وإلى شاعرنا لعله يكون نصيبا جديدا من بحث يساعدنى على نشر ما لم تصل إليه أيدينا من شعر الشيخ أحمد رضا خان باللغة العربية.

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص ٧٤.

Marfat.com

الفصل الأول

المديح

وقوامه تمهيد ومبحثان

تمهيد: في التعريف بفن المدح وعلى رأسه المديح النبوي الشريف

المبحث الأول: جهود شاعرنا في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثاني: جهود شاعرنا في مدح الأولياء الصالحين وعلماء الدين.

Marfat.com

Marfat.com

تمهيد

فى التعريف بفن المدح والمديح النبوى الشريف

فن المدح أحد الأغراض الأساسية في الشعر العربى لأن المديح إظهار لإحساس إنسانى، والعرب أمة استطاعت أن تسجل إحساسها الإنسانى ومن بينها المديح، وقد أبدع الشعراء في هذا الفن على مر العصور من العصر الجاهلى إلى عصرنا الراهن، ويعد هذا الفن من الأهمية بمكان في الأدب العربى. وأنا أعتقد أنه لو سجل التاريخ لشيىء قبل العصر الجاهلى قبل انضباط الشعر بهذه الطريقة التى عرض لها خليل بن أحمد لوجدنا من بين هذا الشعر الذى لم يسجل والذى لم يكن طبق القواعد العروضية شعرا يشتمل على هذا الفن لأنه كما قلنا فن لإبراز الإحساس الإنسانى في وقت معين.

إن معظم الممدوحين الذين ذكرهم الشعراء كانوا من الملوك والأغنياء والعظماء والشجعان والأصدقاء، وكان الهدف من مدحهم تخليدا وتسجيلا لعظمتهم وإنسانيتهم، واعترافا بما لهؤلاء من فضل على وطنهم وعلى الإنسانية جمعاء، كما أنشد الشعراء هذه المدائح بدافع من الحب الغامر والإعجاب الصادق، ومازال شعر المدح يعبر عن صدق العاطفة ولكنه افتقد مكانته عند بعض الشعراء الذين نظموا في هذا الفن بهدف التكسب، فحولوا شعر المدح إلى البقرة الحلوب الثرارة بكرم وسخاء.

يقول الأستاذ نجيب عقيقى في هذا الصدد(١): "مازال يخصب المدح وينمو في العصور العباسية متوكئا على معانى الأقدمين، مفيدا من ترجمات المحدثين، متلونا

---

(١) من الأدب المقارن، لنجيب عقيقى (دون ذكر الطابع وسنة الطبع)، ص ١٣٩ : ١٤١.

Marfat.com

بألوان الحضارة الطريفة، ولكنه يفقد في معظمه ذلك الإخلاص الذى كان البـــاعث على مدح الأوائل للكرام والأقوياء والشجعان بعد أن اصبح أكـــثره أداة تكســب... فبشار الذى ركز مدحه على أصل واحد في طبعه وهو التكسب، لا تستهويه منـاقب الممدوح ولا تستخفيه عطاياه إلا على قدر يوفق إلى الكثير من المعانى الفريـــدة... وكان أبو تمام يتكسب بالمدح كالكثير من الشعراء ولكن بإباء يحفظ عليه كرامته... ومعظم ديوان البحترى في المدح، فقد كان محبا للمال مدركا لكثير من الخلفاء".

هذا وقد عاش شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان في عصر بلغ الشـــعر الأردى قمته وكان شعراء الأردية – من المعاصرين له – يترددون على بـــلاط الأمـــراء والحكام فينشدون القصائد في مدحهم، وأصبح أكثرهم كالموظفين في القصور فكـان نتيجة هذا أن نالوا كل ما كانوا يتطلعون إليه من رغد العيش وجمع المال، وإذا كان شعر المدح قد أصبح حرفة عند كثير من الشعراء إلا أن شاعرنا الشيخ أحمد رضـا خان لم يكن من هؤلاء المداحين الذين جعلوا شعر المديح حرفة للتكسب، والذيـــن كانوا يحملون قصائدهم إلى أبواب الوجهاء والأمراء فيؤذن لهم بالوقوف بين أيـدى هؤلاء، فلم ينظم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بيتا واحـــدا فـــي مـــدح الملـــوك والأمراء، ويتجلى لنا هذا في عدم وجود أى قصيدة لا في الأردية ولا الفارسية ولا العربية في مدح الأمراء والحكام بهدف جمع المال، فكان المدح عند شاعرنا نتيجـة لإحساسه بالرضا عن ممدوحه فكان يرضى بالرضى الخلقى، ولم يكن المدح لديـــه من أخذه مالا أو عطية أو إنعامات معينة، وأنا أراه أن نفسه أرفع مـــن أن تتدنـــى للتكسب بشعره ولو كان في حاجة إلى المال، فقد اشتهر عنـــه اعـــتزازه بنفســـه، واستقامته، وغيرته الدينية، وعزة نفسه، كما كانت له منزلة كبيرة في نفوس الناس، ولعله كان لانتمائه إلى أسرة غنية بالثروة الدينية والمالية أثر كبير بالإضافة إلى ما ذكرنا – في زهده عن طلب ما في يد الآخرين – ومعروف أنه شب على رغد من العيش حيث كان آباؤه يملكون الأراضى الزراعية الشاسعة، وكان قـــد ورث عـــن أبيه ميراثه من الأراضى الزراعية وغيرها من الأموال، والعقارات – كما ذكرنـــا

Marfat.com

سابقا – وأنا أرى أنه لو لم يكن منتميا لهذه الأسرة الواسعة الثراء لكان قد ترفع أيضا بنفسه عن أن يطلب المال بشعره، لأن الرجل أنفق الشعر في مدح سيد الخلق، أى أنه مدح من هو أهل لذلك المدح وهذا هو الذى حال دون المديح للأمراء والملوك.

إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان لم يقبل أى هدية من الأمراء المسلمين، ولم يسع هو ولا أحد من أسرته للحصول على أى لقب من الإنجليز كلقب "السير" [أى السيد] و"خان بهادور" [أى الرجل الشجاع] و"شمس العلماء" كما كان عليه حال كثير من معاصريه المتلهفين على هذه الألقاب(١) فكان شاعرنا زاهدا في هذه الألقاب كما كان معتزا بكرامته وكرامة آبائه الغيورين، والسبب الأكبر بالطبع في عدم إقباله على مطامع الدنيا ومدح الأمراء هو حبه الشديد لسيد المرسلين الحبيب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – الذى فاق كل حد فهام به عما سواه، فقد أغناه المديح النبوى الشريف عن مدح الملوك والأمراء، وتبدو رقة المتصوفة وتفانيهم في حب الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى منظوماته التى نظمها في المديح النبوى الشريف باللغات العربية والفارسية والأردية.

ومما يجدر بالتنويه أن بعض الناس طلبوا من شاعرنا أن ينظم قصيدة في مدح الملك بأمارة "نان باره" حتى يكرمه الملك بعطاياه السخية فأصيب شاعرنا بصدمة نفسية لهذا العرض الرخيص الذى لم يكن يتوقعه من أحد، ولم يغضب منهم فأجابهم باسلوب يدل على صفاء باطنه وعفة لسانه، ولم يظهر مدى تألمه نفسيا بل أنشد على الفور قصيدة في مدح حبيبه وحبيب المسلمين جميعا سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – ليبين فيمن يكون المدح، حيث قال بالأردية في مطلع القصيدة ما ترجمته: إن جمال سيدنا ومولانا محمد – صلى الله عليه وسلم – في أكمل صورة ولا تشوبه شائبة من النقص، فهذا هو الورد إلا أنه بدون أشواك، وهذا هو الشمع

---

(١) إن الانجليز لقب بعض العلماء بهذه الألقاب اعترافا بعلمهم وإن شئت فقل: استرضاء لهم ليكون للإنجليز عليهم يد، على حين كافح بعض الناس بهذه الألقاب لخدماتهم للإنجليز، وكان بعض الناس يترددون على الإنجليز حرصا في هذه الألقاب حتى نالوا ما أرادوا. (الباحث).

Marfat.com

إلا أنه بدون دخان[١] [رغم إضاءة الجو] وجاء في مقطع القصيدة ما يدل على شغفه في النظم في الحب النبوى الشريف، ونفوره عن مدح الملوك و الأمراء يقول شاعرنا ما ترجمته: أنا صعلوك أكرم البشر - صلى الله عليه وسلم - فهل ينتظر منى أحد أن أمدح ملوك الدنيا؟! فليس دينى بقطعة خبز[٢] فلم يمدح شاعرنا طيلة حياته أحدا من الملوك و الأمراء[٣].

بهذا الاسلوب بين شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان موقفه من مدح أهل الدنيا، وليس معنى هذا أنه لم يوظف موهبته الشعرية في مدح غير النبى - صلى الله عليه وسلم - بل إنه مدح الكثيرين لله وفي الله - باللغات الثلاثة العربية و الفارسية و الأردية - وذلك نظرا لتقواهم وورعهم و انتمائهم لله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وتمسكهم بالشريعة الإسلامية الغراء و الإنسانية النبيلة التى جاء بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولما كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - على رأس هؤلاء المتقين المتسمين بسمات الإنسانية و المثل العليا ركز شاعرنا اهتمامه على المديح النبوى الشريف مقتفيا بآثار سيدنا حسان بن ثابت وكعب بن زهير وغيرهما من شعراء الصحابة و التابعين ومن و الاهم من اللاحقين، كما نراه يمدح الأولياء الصالحين وعلى رأسهم سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى، ويمدح العلماء المعاصرين له على أن أبدأ بالكلام عن تقسيم الأنواع الواردة في المدح إلى خمسة أقسام، و أقوم الآن بعرض وتحليل منظوماته في هذه الأقسام، أما الظواهر الفنية و اللغوية فأذكرها في مواضعها، و أستهل هذه الأقسام بتناول جهود شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان في المديح النبوى الشريف.

---

(١) لعله في هذه الكلمات تأدب بما قاله سيدنا حسان بن ثابت - رضى الله عنه -:

واجمل منك لم ترقط عينى ... واحسن منك لم تلد النساء

خلقت مبرا من كل عيب ... كانك قد خلقت كما تشاء

وجدت هذين البيتين تحت عنوان: "خلقت مبرءا"، وليس لهما ثالث.

ديوان حسان بن ثابت (ط: دار صادر بيروت، دون سنة الطبع). ص ١٥.

(٢) قد أشار شاعرنا "بقطعة خبز" إلى اسم الامارة، فقد قام بقلب هذا الاسم فاستخدمه في معنى قطعة خبز مع الإيحاء إلى اسم الإمارة مما يدل على دقة اختياره من الكلمات في شعره.

(٣) اقبال اور علما باكـ وهند، للأستاذ إعجاز الحق القدوسى، ص ٢٠٨.

حدائق بخشش، للشيخ أحمد رضا خان، ص ٦٧.

Marfat.com

جهده فى المديح النبوى الشريف

يعد المديح النبوى الشريف مقصدا لكثير من الشعراء الذين خاضوا هذا المضمار وقد نشأ هذا الفن بعد أن لفظ العصر الجاهلى أنفاسه الأخيرة، وكان نور الإسلام قد بدأ يبدد ظلمات الجاهلية وينقذ البشرية من الضياع بصفة عامة والأمة العربية بصفة خاصة لأنهم أول من سعدوا بتلقى هذا النور، وذلك بالبعثة المحمدية - على صاحبها الصلاة والسلام - وأخذ النبى - صلى الله عليه وسلم - يدعوا الناس إلى الأسس العادلة، والقيم الأخلاقية، والإنسانية السامية، والمساواة، بإعادة صلتهم بربهم، وإقلاعهم عن عبادة الأوثان، وإخراجهم من مخالب تقاليد العصر الجاهلى، فلم تطب هذه الدعوة - في بداية الأمر - قلوب رؤساء القبائل العربية الذين كانوا قد استعبدوا الناس، وانقسم الناس أمام هذه الدعوة السمحة إلى قسمين، فقد رفضها المستبدون الاستغلاليون وهالهم أمر هذه الدعوة، وأذهلهم خطرها عليهم، لأنهم أحسوا بأن سيادتهم وسيطرتهم الغاشمة على الناس مهددة بالضياع، وعلى صعيد آخر أقبل المظلومون على هذه الدعوة، واستظلوا بالمبعوث رحمة للعالمين، فأخذ هؤلاء القساة يفكرون ويدبرون خططا لهدم هذه الدعوة سالكين مسلك الترغيب حينا والترهيب حينا آخر، ولم يكتفوا بهذا القدر من المخالفة بل تجاوزوا حدود الأخلاق والإنسانية، وذلك بإيذاء النبى - صلى الله عليه وسلم - وأتباعه، كما شجعوا الشعراء المشركين على تجريح مشاعر المسلمين بإنشاد هجائهم وهجاء من هو أعز عليهم من أنفسهم وأموالهم، ولما اشتدت هجماتهم اللسانية على الإسلام قام الشعراء المسلمون للدفاع عن النبى - صلى الله عليه وسلم- وبيان بعض ما هو متصف به من نبل خلق، وعظمة إنسانية، وكمال

Marfat.com

بشرى ليس عليه أحد من الناس، وإظهار بعض أغراض الإسلام العليا، ومبادئه السامية، والتى يجب أن يتحلى بها كل عاقل ويستمسك بها ذو النفوس السامية، فأتوا بقصائد في قمة الفصاحة والبلاغة، تتسم بالأحاسيس الصادقة وبالطبع لم تدفعهم إلى نظمها الرغبة في التكسب بالشعر بل كانوا مندفعين إليها لحبهم الغامر وإعجابهم الصادق بمن هداهم إلى الإيمان، وبين لهم طريق السعادة في الدارين فكان أعز عليهم من ملوك الدنيا وأمرائها.

يقول الدكتور محمود على مكى[١] في هذا الصدد[٢] هاجر الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى يثرب بعد أن ظل في مكة المكرمة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الدين الجديد فيلاقى هو وأصحابه من تعنت قريش وعنادهم بلاء كبيراً وكانت هجرته إلى يثرب التى أصبحت تسمى بالمدينة المنورة مفتتح طور جديد في تاريخ الإسلام، إذ التف حوله أهلها، ولم يمض وقت قليل حتى اعتنق معظم أهلها الإسلام في صدق وإخلاص، على أن المعركة ظلت حامية الوطيس بين المسلمين من جهة وقريش ومن والاهم من العرب من جهة أخرى، وكان الشعر من أمضى الأسلحة في هذه المعركة [ولا شك فالكل عرب وللشعر في حياة العرب ماله من قيمة عظمى، فهو السجل الحافل بكل ما مرّ على العرب في جاهليتهم، وبالتالى سوف يتبوأ مكانة عليا في الدفاع والمناهضة بالنسبة لهذا الدين الجديد الذى ملك على البعض عقولهم وقلوبهم وهم أولئك المهتدون، على حين أن أعداءه تصدوا له بالكلمة كما تصدوا له بالسلاح ولكن جرح السنان قد يندمل أما جرح اللسان فسوف يبقى دون علاج إلا أن يتصدى لعلاجه لسان آخر، من هنا كانت أهمية الشعر في الحديث عن الإسلام خلقا ومبادئ ومبعوثا به - صلى الله عليه وسلم - وهواة

---

(١) أستاذ الأدب الأندلسى، كلية الآداب جامعة عين شمس، القاهرة.

(٢) المدائح النبوية، للدكتور محمود على مكى، (ط: الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة. ١٩٩١م)، ص ١٢.

Marfat.com

هادين ومهديين وهم صحابته – عليه الصلاة والسلام – وتابعوهم وأتباع تابعيهم وكل الهادين المهتدين إلى أن تقوم الساعة] فقد عمد شعراء قريش من المشركين إلى هجاء الرسول وأصحابه من المهاجرين ومن آواهم في المدينة من أنصار، وكان من أبرز هؤلاء الشعراء أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بن الزبعرى، وضرار بن الخطاب الفهرى، وابو عزة الجمعى، وهبيرة بن أبى وهب المخزومى، وعمرو بن العاص السهمى، فاستأذن بعض المسلمين الرسول في أن ينتدب على بن أبى طالب للرد على هؤلاء غير أن الرسول آثر أن يضطلع شعراء الأنصار بهذه المهمة، إذ يؤثر عنه قوله: "ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟" فقال حسان بن ثابت: "أنا لها"(١) ومنذ هذه اللحظة أصبح حسان بن ثابت شاعر الرسول الأول وأبرز المدافعين عن الإسلام ومناقضى خصومه".

ولقد كان حظ الرسول – صلى الله عليه وسلم – من المدائح النبوية الشريفة التى أنشدت في مدحه والدفاع عنه أوفى الحظوظ بين الأنبياء والمرسلين لأن النبى – صلى الله عليه وسلم – مرسل في قوم عرب لغتهم العربية، ومعجزته الكبرى القرآن الكريم، وكان من اللازم أن يؤلف شيئا عظيما للمناهضة والدفاع عن هذا الدين ولما يكون الأمر كذلك وربنا يقول: **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه** (٢)، وكذلك يقول ربنا: **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم** (٣) وكان المطلوب أن يكون الرد على المخالفين من العرب بلغتهم العربية، فقام الشعراء المسلمون بالرد على الشعراء المشركين، دفاعا عن النبى – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) أسد الغابة لمعرفة الصحابة، للإمام عز الدين على بن محمد بن الكريم الجزرى، (ط: المكتبة الإسلامية بطهران، دون الأشارة إلى عام الطبع)، جـ ٢، ص ٥٠٤.

(٢) سورة ابراهيم ١٤/٤

(٣) سورة الجمعة ٦٢/٢.

Marfat.com

وقد سبق الشعراء المسلمين وأدباءهم ربهم - سبحانه وتعالى - بالثناء عليه صلى الله عليه وسلم - فيقول سبحانه وتعالى - مخاطبا إياه: **وإنك لعلى خلق عظيم** (١) وقد رأينا المداحين لحضرة سيد المرسلين متأدبين بآداب الكتاب المبير فكل نبى قامت حوله بعض القصص، وصورت شمائله بألوان صيغ أكثرها من وحى الخيال أما النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - فحجته الباقية هى القرآن وهو كتاب لم يضف إليه ولم يضع منه سطر واحد [ولا حرف واحد] بعد موت ذلك الرسول فسبحان من قال عنه(٢) **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** (٣).

وهذا بوعد من منزله جل شأنه حيث قال: **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** (٤) فكان القرآن الكريم المصدر الأساسى والينبوع النقى الذى استقى منه شعراء المديح النبوى معانيهم وأفكارهم على مر العصور، وإنهم لا يزالون يردون هذا المنهل العذب فتهتز وتهيم قلوب المحبين لجمال حضرة النبى - صلى الله عليه وسلم - لقراءة هذه المدائح النبوية.

تطور فن المدائح النبوية على مر العصور و بلغ مبلغا لا بأس به في عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وما زال يتطور في كل عصر حتى يومنا هذا، يقول الشيخ أبو الحسن على الندوى مشيرا إلى مكانة المدائح النبوية بين الفنون الأدبية(٥): "إن الملم بلغات العالم وآدابها وثروتها الأدبية ومكتبتها الشعرية،

---

(١) سورة القلم ٦٨/٤.
(٢) سورة فصلت ٤١/٤٢.
(٣) انظر : المدائح النبوية. للدكتور محمود على مكى، ص ١٥.
(٤) سورة الحجر ١٥/٩..
(٥) جوانب المدائح النبوية فى المدائح النبوية الفارسية والأردية، لأبى الحسن على الندوى، (ط: دار الصحوة. القاهرة. ١٤٠٩هـ)، ص ٣ : ٥ .

Marfat.com

والمشتغل بالدراسات الأدبية المقارنة يعرف أن صنف المديح النبوى (أو النبويات) ثروة أدبية معنوية من أغنى الثروات الأدبية والإنتاج الشعرى، وفيض القريحة ورشحاتها، وتوليد المعانى والانطلاق في عرصاتها، من بين لغات البشر المحفوظ تراثها، الباقية آثارها، وذلك لعمق تأثير البعثة المحمدية في العالم وفي الأجيال والنفوس البشرية، ولكون سيرة سيد الأنبياء وخاتمهم معلومة محفوظة، متداولة متناقلة على اختلاف الأزمنة والأمكنة، والأمم والبلاد، وأخيرا لا آخرا لتعلق قلوب هذه الأمة وارتباطها عقديا وعقليا، ونفسيا وعاطفيا بنبيها - صلى الله عليه وسلم - تعلقا لم يعرف في تاريخ الديانات وفي واقع الأمم لأى أمة بنبيها... وذلك شأن المدائح النبوية (او النبويات) مع ثروة المدائح البشرية وشعر المديح في تاريخ الأدب والشعر فإن الأول (المديح النبوى) يفوق شعر المديح والوصف وقصائد المدح والرثاء كما وكيفا، وقامة وقيمة، وذلك لأسباب نفسية واقعية، تحليلية طبيعية وعقلية، فإن الأول تقترن به العقيدة المتغلغلة في الأحشاء المسيطرة على الأعصاب وقوى الفكر والشعور العميق بالسعادة والتوفيق والأمل في النجاة، والمغفرة في بعض الأحيان، والزلفى عند الله، والرجاء في شفاعته - صلى الله عليه وسلم - وكل ذلك كفيل بإثارة المواهب الدفينة، وتدفق القريحة الخامدة، وإثارة المعانى، والحماس البيانى، مع رقة الشعور الإنسانى، فإن الشاعر إذا كان مدفوعا من داخل نفسه، مسوقا من إيمانه، متجردا عن الأغراض الخسيسة، والمنافع المادية، متجاوبا لقلبه وروحه غرف من بحر لا ساحل له، واقتنص نجوما كانت فوق متناول يده".

يقوم الأستاذ الدكتور محمود سالم محمد بتعريف فن المديح قائلا[1]: "لقد مدح الشعراء الرسول المختار - صلى الله عليه وسلم - بإظهار صفاته الكريمة وشمائله

---

(١) انظر: المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكى، للدكتور محمود سالم محمد (ط: دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٩٩٦م)، ص ٥١، ٥٣، ٥٧.

Marfat.com

الطيبة، ومكانته السامية، وأفعاله الميمونة، وكان حيا بينهم، ولكن مدحه - صلى الله عليه وسلم - لم ينقطع بموته، فظل الشعراء يمدحونه إلى يومنا هذا وكأنه حي يسمع ويجزى، ولم يسم هذا المديح رثاء أو ما يشابه الرثاء... فإن الشعر الذى يقال في ميت يسمى رثاء، لكنه فى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مديح، وكأن في ذلك ما دل على أنه - صلى الله عليه وسلم - موصول الحياة، لأن شريعته لازالت حية... وإن المديح النبوى في بدايته قسم من المديح العام الذى عرف في أدبنا العربى ولكنه انفرد عنه لأنه كل ما يرد في المدحة النبوية يلتزم نهجا خاصا في التأدب والسمو ولا نجده في المدائح الأخرى، وافترق المديح النبوى عن الرثاء بعد أن اتجه الشعراء نحو الإشادة بفضائله الكريمة، وشمائله العطرة، وأفعاله المباركة دون التعرض للحزن والأسى، وهما من خصائص الرثاء وبعد أن استقر في أذهان الشعراء تواصل حياة النبى المصطفى - صلى الله عليه وسلم - اتسع نطاق المديح النبوى الشريف طلبا للمغفرة والرحمة، وتحقيقا للأهداف المختلفة أرادها الشعراء من وراء تسابقهم إلى المديح النبوى".

يحدثنا الدكتور محمد علوى المالكى عن فن المديح النبوى الشريف قائلا(١): "توالت المدائح النبوية منذ عهد الرسالة تمجيدا للإسلام ورسوله حتى وقتنا الراهن، ومع أن المدائح النبوية الإسلامية مثل غيرها من أنواع المديح شعورا فياضا وبلاغة رائعة وفصاحة بارعة، وإبداعا فنيا، وتصويرا خياليا، إلا أنها تفتخر عليها بتأثر أصحابها بمشاهدة الجمال المحمدى والكمال النبوى، والفضل الإسلامى في رسالته وحضارته، إنها تمتاز بميزة ظاهرة واضحة لا يشاركها ولا يزاحمها فيها أى مديح على وجه الأرض إلا إذا كان تابعا لها، ومندرجا تحت لوائها، ذلك هو

---

(١) المديح النبوى بين الغلو والإنصاف، للدكتور محمد بن علوى المالكى (ط: دار وهدان للطباعة والنشر. القاهرة، دون الإشارة إلى عام الطبع)، ص ١٤٠، ١٤١.

Marfat.com

الإخلاص المجرد والحب الصادق والعاطفة الإيمانية القلبية التى لا يدفع صاحبها هوى، ولا يسوقه غرض، ولا يصدر عن طمع لأنها توجه لله تعالى - ولرسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم -.

إذا كان المديح النبوى الشريف نشأ منذ حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقد بلغ قمته في العصر المملوكى وفي هذا يقول أستاذنا الدكتور رزق مرسى أبو العباس(١): "المدائح النبوية هى غرض نظم فيه الشعراء في عصر المماليك ولونوه بلون جديد، وضمنوه الكثير من الحكم والأمثال التى سارت مسير الشمس وجرت على الألسنة، وحلقت في سماء الروحانيات، وصورت شعور صاحبه نحو المقام الكريم، مقام الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكل ذلك جديد لم يطرقه شاعر قبل البوصيرى المتوفى في الخامس والتسعين من القرن السابع الهجرى، باستثناء ما كان في العصر الإسلامى، وذلك الشاعر المبدع الذى برع في هذا الباب حتى استحق أن يسمى مخترع المدائح النبوية... لقد ابتكر البوصيرى في مصر هذا اللون من المدح، مديح الرسول - صلى الله عليه وسلم - استجابة لداعى نفسه المتعلقة بالرسول الأمين، وقد أحسن في شعره كل الإحسان، وأصابت الشعراء موجة التقليد، فأخذوا ينظمون في مدائح الرسول تقليدا لقصيدة البوصيرى المسماة بالبردة تقليدا استمر إلى عصرنا هذا، ولكنهم لم يأتوا منها بدليل على تأسيهم بصفات الرسول - صلى الله عليه وسلم - وشعورهم نحو مقامه الكريم إلا القليل منهم، وذلك الشعر الذى لا يدع للشاعر مجالا إلا لحشو شعره بالمحسنات البديعية فجاء صورة مشوهة لقصيدة البوصيرى.

واذا تلمسنا طريق المدح للحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - لنمسك بأول خطوة من خطواته ولنتعرف على أولى حبات ذلك العقد الثمين لوجدنا أن من أولى القصائد التى اتجهت إلى ذلك المضمار هى اللامية المنسوبة إلى أبى طالب،

---

(١) ملامح الأدب والثقافة في العصر المملوكى، للدكتور رزق مرسى أبو العباس، (ط: مصر للخدمات العلمية للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٩٧م)، ص ١٠٦، ١٠٧.

Marfat.com

وفي هذا يقول الدكتور محمود على مكي[١]: "لعل أول ما نعرفه من الشعر الـــذى قيل في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الدور المكى من حياتـــه هـــو الشعر المنسوب إلى أبى طالب عم الرسول وكافله بعد وفاة جده عبد المطلب".

ويقول الدكتور صلاح عيد عن فن المديح النبوى قبل الهجرة النبويـــة حيـــث كان هذا الفن في مرحلته الأولى[٢]: "هذه هى مرحلة الطفولة [لفن المديح النبوى] فمديح الرسول مازال في بدايته قليلا في كمه، كما أنه يرتكز على أساس بدوى فـــي الغالب، إلى جانب تصورات اجتهادية لطبيعة الجانب الدينى للرسول، فقـــد مدحـــه شاعران لم يسلما، أولهما وأهمهما عمه أبو طالب بن عبد المطلب، وثانيهما أعشـــى قيس".

إذا كان الدكتور صلاح عيد قد قرر أن شعر أبى طالب فـــي دور الطفولـــة بالنسبة للمديح النبوى الشريف، ولكنه على أى حال من أولى الخطوات علـــى درب المديح، وكيف لا وصاحب الشخصية هو مصطفى الله عز وجل مـــن خلقـــه، وإن كانت عاطفة أبى طالب الشعرية قليلة الانفعال، فهذا أمر آخر وهو كون هذا المديح من البذور الأولى في هذا الفن، ومن الأمر الطبعى أن تكون قليلـــة محـــدودة فـــى نسجها وكيانها، ولم لا نقول أن الله عز وجل قد أجرى مديح الرسول - صلـــى الله عليه وسلم - على لسان أبى طالب ليبين لمن أراد معرفة شئ عن شخصية رســـول الله - صلى الله عليه وسلم - وليعرف أنه الشخصية التى حركت ألسنة الشـــعراء سواء آمنوا به أو لم يؤمنوا، كما كان لأبى طالب نونيته التى يبلغ بها ذروة المديح، وذلك بالنسبة لشاعر لم يؤمن بالممدوح لكن هذه القصيدة قد تضمنت شـــهادة حـــق أراد بها قائلها أن يقف بلسانه وينصر بشعره كما نصر بمكانته في قريـــش وذلـــك عندما جاءت قريش إلى أبى طالب يطالبونه بمنع الرسول - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) المدائح النبوية، للدكتور محمود على مكى، ص ١٧.

(٢) مديح الرسول في فجر الإسلام، للدكتور صلاح عيد، (ط: دار المعرفـــة، القـــاهرة، دون ســـنة الطبع)، ص ٤٣.

Marfat.com

عن نشر دعوته، وتمام القصة كما ذكرها ابن كثير فيما يلى[1] قال يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى بن عبد الله عن موسى بن طلحة، أخبرنى عقيل بن أبى طالب قال: جاءت قريش إلى أبى طالب فقالو: إن ابن أخيك هذا آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا. فقال [أبو طالب]: يا عقيل انطلق فأتنى بمحمد، فانطلقت إليه فاستخرجته من كنس - أو قال خنس -يقول بيت صغير، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر، فلما أتاهم قال: إن بنى عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم، فحلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ببصره إلى السماء فقال: ((ترون هذه الشمس؟ قالوا: نعم، فقال: فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتعلوا منه بشعلة، فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخى قط فارجعوا)) رواه البخارى في التاريخ عن محمد بن العلاء عن يونس بن بكير ورواه البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عنه به - وهذا لفظه - ثم روى البيهقى عن طريق يونس عن ابن إسحاق - حدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن قريشا حين قالت لأبى طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له: "يا ابن أخى إن قومك قد جاؤنى وقالو لى كذا وكذا فأبق علي وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق أنا ولا أنت فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك". فظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن قد بدا لعمه فيه، وأنه خاذله ومسلمه، وضعف عن القيام معه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "ياعم لو وضعت الشمس في يمينى والقمر في يسارى ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في أمره" ثم استعبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبكى، فلما ولى قال له حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله - صلى الله عليه وسلم- "يا ابن أخى" فأقبل عليه، فقال: "أمض على أمرك وافعل ما أحببت، فو الله لاأسلمك لشيىء ابدا" قال ابن إسحاق ثم قال أبو طالب في ذلك:

---

(١) السيرة النبوية، لابن كثير الدمشقى، تحقيق صدقى جميل العطار، (ط: دار الفكر، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، جـ ١، ص ٢٢٩، ٢٣٠.

Marfat.com

"والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفينا
فامض لأمرك ما عليك غضاضة أبشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتنى وعلمت أنك ناصحى فلقد صدقت وكنت قدم أمينا
وعرضت دينا قد عرفت بأنه من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذارى سبة لوجدتنى سمحا بذلك مبينا"

ولما رأى أبو طالب استنكار قريش للدعوة النبوية قام بنظم ثلاثة أبيات أشاد فيها بالرسول - صلى الله عليه وسلم - ليستجلب عونهم للنبى - صلى الله عليه وسلم - وذلك بتذكيرهم نسب النبى - صلى الله عليه وسلم - ففى هذا يقول(١):

"إذ اجتمعت قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت أشراف عبد منافها ففى هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوما فإن محمدا هو المصطفى من سرها وكريمها"

وما زال استنكار قريش يزداد يوما فيوما، وظلت دائرة الصراع تتسع بينهم من جهة وبين الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعمه أبى طالب من جهة أخرى، وزادت شدة هذا الصراع في موسم الحج حيث قام الرسول - صلى الله عليه وسلم - بدعوة الوفود العربية للإسلام على حين بث زعماء قريش أكاذيبهم في نفوس هذه الوفود ضد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووصفوه بأنه ساحر يفرق بين المرء وأهله مستدلين في ذلك بما حدث من انقسام قريش نتيجة الدعوة إلى الإسلام، وفي هذه الظروف "خشى أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه" فنظم لاميته التى تعوذ فيها بحرم مكة ومكانه منها وتودد فيها إلى أشراف قومه، فهو يخبر رؤساء قريش - الذين كانوا يريدون سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من عمه أبى طالب حتى ينتقموا منه - أنه غير مسلم ابن أخيه ويتركه إليهم أبدا،

---

(١) السيرة النبوية. لأبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى، (ط: دار المنار، القاهرة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، جـ ١، ص ٢٦٠ .

Marfat.com

ويذكر في لاميته ما لقيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - من عنت قريش وتكذيب سائر بطون قريش فنجده يقول(١):

"كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ... ولما نطاعن دونه وننأضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم فى الحديد إليكم ... نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وما ترك قوم لا ابالك سيدا ... يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده فى رحمة فواصل"

أقدم أبو طالب في هذه الأبيات على إبراز شخصية الرسول من ناحية نسبه الزكى العالى، وقد امتدح أسرته وذكر فضائله التى منها العطف على الضعاف واليتامى والأرامل، وبعد هذه المرحلة يتقدم أبو طالب فيستعطف خصومه ويقول(٢):

"حليم رشيد عادل غير طائش ... يوالى إليها ليس عنه بغافل
فو الله لولا ان اجيئ بسبة ... تجر على اشياخنا فى المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة ... من الدهر جدا غير قول التهاذل
لقد علموا ان ابننا لا مكذب ... لدينا ويعنى بقول الاباطل
فأصبح فينا احمد ذو ارومة ... تقصر عنها سورة المتطاول
حدبت بنفسى دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
فايده رب العباد بنصره ... واظهر دينا حقه غير باطن"

في هذه الأبيات مدح أبو طالب ابن أخيه بمكارم الأخلاق ثم نفى عنه الكذب،

---

(١) السيرة النبوية. لابن هشام. جـ ١. ص ٢٦٢، ٢٦٣.
(٢) المرجع السابق. جـ ١، ص ٢٦٨.

Marfat.com

وأخيرا أشار إلى علاقة النبى - صلى الله عليه وسلم - بربه الذى لا يغفل عنه وكذلك أشار إلى صدقه وتأييد الله له، وهذه اللامية عبارة عن أربعة وتسعين بيتا.

ذهب ابن سلام إلى أن أبا طالب أحد أبرع شعراء مكة(١) ويقول عنه(٢): "كان أبو طالب جيد الكلام، أبرع ما قال [قصيدته اللامية] التى مدح فيها النبى" - صلى الله عليه وسلم - هذا هو أول شعراء المديح النبوى الشريف".

أقول وأما الشاعر الآخر الذى مدح النبى - صلى الله عليه وسلم - قبل هجرته إلى المدينة المنورة فهو الأعشى بن قيس، وتعد قصيدته في المدح النبوى الشريف من الأهمية بمكان، نظرا لمكانة صاحبها بين شعراء العصر الجاهلى، وإن كان الأعشى لم يتم مشواره، ولم يبلغ من المدح غايته بل قصرت همته وحالت إرادة الله دون أن يبلغ ما انتواه يقول ابن هشام في هذا الصدد(٣): إن الأعشى خرج إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد أعد قصيدة يمدح الرسول فيها، فلما كان بمكة أو قريبا منها اعترضه أحد المشركين من قريش، وكان من طبيعتهم العمل على التنفير من الدعوة والبعد قدر الاستطاعة عن صاحبها - صلى الله عليه وسلم - قابل المشرك الأعشى وسأله عن وجهته، فلما أخبره الأعشى بحسن الوجهة وقرب العقل من النور ما كان من هذا المشرك إلا أن حاول صرفه عن هذه الوجهة حيث عز عليه أن يزداد النبي - صلى الله عليه وسلم - نصرة لا سيما إن كانت من شاعر، فطفق يقول هذا المشرك للأعشى: "إن الإسلام يحرم الزنا" فلم يبال الأعشى بذلك فلما قال له: "إنه يحرم الخمر" توقف أعشى وأزمع الانصراف لكى يرتوى من الخمر في عامه ثم يأتى الرسول في العام القابل ليسلم، ولكنه مات في هذا العام، ولم يعد إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

---

(١) طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحى، تحقيق محمود محمد شاكر، (ط: مطبعة المدنى، بالقاهرة)، ص ٢٤٤.
(٢) نفس المرجع، ص ٢٣٣.
(٣) السيرة النبوية، لابن هشام، جـ ١، ص ٣٨٦-٣٨٨.

Marfat.com

هكذا نجح المشرك القرشى في صرف الأعشى عن الإسلام رغم عدم نـــزول تحريم الخمر حتى ذلك الوقت، ولكنه استغل شغف الأعشى بـــــالخمر التـــى كـــان يعشقها، وأقنعه بتأجيل اعتناقه للإسلام وربما يكون ذلك توقعا من المشرك ولعلـــــه بنى توقعه هذا على أن الإسلام دين يحارب كل ما يتدنى بالإنسان ويهبط بـــه إلـــى مهاوى الرزيلة، والخمر كما يراها كل عاقل أم الخبائث، فالإسلام لا محالة متصـــد لها، وهذا ما جاء به في المستقبل، وفي هـــذا يقـــول الدكتـــور صـــلاح عيـــد(١): "والصحيح أن الأعشى قد قصد مكة ولم يقصد يثرب" وإن كـــان بعـــض الأدبـــاء المحدثين يرون أن ذكر مكة فيه خطأ وأن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان قـــد هاجر، ولعلهم أنسو بموضوع تحريم الخمر، وإن كنت أرى أنه لا بـــأس إن كـــان الأعشى قصد النبى - صلى الله عليه وسلم - بعد الهجرة وهو في المدينة، وبالتالي حرمت الخمر وإن كانت الرواية على حقيقتها بمكة، إذن أراد المشرك أن ينفره من الدعوة وقد علم ولوعه بالخمر فأراد أن يصرفه عن الإسلام، هذا إذا كانت روايـــة مكة صحيحة، أما إذا كان - كما أشارً إليه بعض الأدباء - أن النبى - صلـــى الله عليه وسلم - قد هاجر بعد فيكون المشرك قد ذكر أمرا حقيقيا بتحريم الخمر، يعنى نزل هذا الحكم والنبى - صلى الله عليه وسلم - في المدينة.

تبدأ قصيدة الأعشى التى تقع في ثلاثة وعشرين بيتا بتجربة صاحبـــها فـــي الحياة الذى يبدو مسهد الجفن لا من عشق النساء ولكن بسبب الزمان المتقلب الـــذى أفقد الخلان والمال(٢) وأرى أن هذا يدل على زهد الأعشى في حياة الدنيا ومتعـــها الفانية وذلك بعدما تذوق الأعشى حلاوة الثراء الناتج من عطايا الملوك والأمـــراء، ومع ذلك فإن عطاياهم لم تشبع رغبته الروحية وهى الاطمئنان، ولما سمع الأعشـــى عن نبى الإسلام ورسالته ودعوته وأتباعه وجد بغيته فسعى للتقرب منه، واعتنـــاق الإسلام، ونجده يشير إلى ما يجيش بخاطره في مطلع القصيدة حيث يقول(٣):

---

(١) مديح الرسول في فجر الإسلام، للدكتور صلاح عيد، ص ٤٩.

(٢) المرجع السباق، ص ٤٩. (٣) السيرة النبوية، لابن هشام، جـ ١، ص ٣٥٠.

Marfat.com

ألم تغتمض عيناك ليلـــة ارمـــدا وبت كما بات السليم المســـهدا

وماذاك من عشق النساء وإنمـــا تناسيت قبل اليوم خلة مـــهددا

ولكن ارى الدهر الذى هو خـائن إذا صلحت كفاى عاد فافســـدا

كهولا وشـــبانا فقـــدت وثـــروة فلله هذا الدهر كيـــف تـــرددا

ومازلت ابغى المال مذ انا يـــافع وليدا وكهلا حين شب وامـــردا

ثم نراه يكبد ناقته للوصول إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - ولا يرحمـــها لتعبها بل يمنيها بما ستلقاه من راحة وكرم عند باب ابن هاشم فيقول(١):

واليت لا ارثى لها مـــن كلالـــة ولا من وجى حتى تزور محمـدا

متى ما تناخى عند باب ابن هاشـم تريحى وتلقى من فواضله يـــدا

ثم ينتقل إلى الغرض الذى صيغت لأجله القصيدة وإن كان قد مهد لذلك فمـن الممكن أن تعتبر أبيات قبل ذلك الغرض ممهدة للغرض الرئيسى، وهو مدح النبـــى - صلى الله عليه وسلم - فنراه يصف النبى - صلى الله عليه وسلم - ببعد النظـــر وذيوع الصيت، كما يصفه بالجود، ثم يبدى أسفه على عدم استماعه إلـــى وصايـــا النبى - صلى الله عليه وسلم - حتى ذلك الوقت فيقول في هذا الشأن(٢):

نبى يرى ما لاتـــرون وذكـــره اغار لعمرى فى البلاد وانجـدا

له صدقات مـــا تغـــب ونـــائل وليس عطاء اليوم ما نعه غـــدا

اجدك لم تسمع وصـــاة محمـــد نبى الإله حيث اوصى واشـــهدا

ثم ينتقل الأعشى إلى نظم ما استمع إليه من دعوة نبى الإســـلام وإرشـــاداته، وبالطبع ما ذكره الأعشى مروى له عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وليـــس مشافهة وسماعا من فمه الشريف - صلى الله عليه وسلم - فنراه يوجز هذه التعاليم

---

(١) المرجع السابق، جـ ١، ص ٣٥١.

(٢) المرجع السابق، جـ ١، ص ٣٥١.

Marfat.com

التى هى من عقائد الإسلام الأساسية، وهذا مما يوحى إلى رغبته في حياة الآخـــرة فيقول(١):

إذا انت لم ترحل بزاد من التقـى ولا قيت بعد اليوم خلـــة مـــهددا

ندمت على ألا تكـــون كمثلـــه فترصد للموت الذى كان ارصـدا

ففى ضوء هذا نرى أن اسلوب الأعشى في مدح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو نفس الاسلوب الذى كان متبعا عند أقدم الشعراء في العصر الجـــاهلى على مدح أى عظيم في قومه، فكأنما يسير في مدحـــه علـــى الطريقـــة الجاهليـــة المألوفة، فنجده يمدح النبى - صلى الله عليه وسلم - بالمآثر والأخـــلاق، وذيـــوع الذكر، وبعد الصيت، والقوة والنفوذ في عشيرته إلى غير ذلك من المعـــانى التـــى درج شعراء الجاهلية على ترديدها في مدائحهم(٢) ولم يمدحه بالطريقة التى مدحـــه بها شعراء المسلمين فيما بعد، وذلك راجع لأمرين إما لأن هذا النوع من المديح لـــم يكن قد عرف بعد، وإما لأن الأعشى لم يسلم، وبالتالى لم يكن قلبه قد تشبع بحـــلاوة الإسلام، ولم يعرف نور الإيمان الذى يضئ القلب ويحرك رغبته في قول الشـــعر منسجما بكل ما يملأه من فضائل الإيمان وضوئه وحبه للمبعـــوث بتلـــك الهدايـــة العظمى وبالطبع من الصعب تتصل الأعشى مما درج عليه طوال حياته، فلم يكـــن يستطيع التغيير حتى يتم له إصلاح العقيدة، وبصلاحها يسهل تغيير النسق الشـــعرى حيث الوجدان والصدق في الانفعال المعروف عن العرب، وبالتـــالى فـــإن مـــدح الأعشى يعتبر من المدائح النبوية الأولى، فكل شئ يكون في بداية الأمر صغـــيرا وينمو ويتطور مع مرور الوقت، وهكذا حدث فعلا في المدائح النبوية، فإن الشعراء الذين جاؤا بعد الأعشى قاموا بتطوير هذا النوع من المديح ورقيه مع الأخـــذ فـــي

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، جـ ١، ص ٣٥١.

(٢) انظر التصوف في الشعر العربى، للدكتور عبد الحكيم حسان، ص ٣٠٧.

Marfat.com

الاعتبار تلكم الأمور النفسية التى عرضنا لذكرها في شعر أبى طالب والأعشى فوصل المديح النبوى الشريف إلى هذا الشكل الذى نراه عليه اليوم وإن كنت لا أميل إلى ما ذكره الدكتور زكى مبارك الذى لا يرى قصيدة الأعشى من المديح النبوى بشئ ونجده يقدم على إيراد الدافع من وراء قوله هذا فيقول(١): "لأن الأعشى لم يقل هذا الشعر وهو صادق النية في مدح الرسول، وإنما كان أراد به التقرب من نبى الإسلام، وآية ذلك أنه انصرف حين صرفته قريش، ولو كان صادقا ما تحول".

لا ندرى كيف قام الدكتور زكى مبارك بقياس صدق عاطفة الأعشى من عدمه، وإن كان الدكتور زكى مبارك عبر عن صدق العاطفة بصدق النية، ولكن ما المانع من أن ينتوى الإنسان شيئا ويصدق في ذلك إقبالا وإخلاصا ثم يطرأ عليه ما يحول الإقبال إعراضا والاخلاص اتجاها إلى الناحية الأخرى، ولا أرى لذلك مانعا، فإن الأعشى - كما أراه - لم يقصد النبى - صلى الله عليه وسلم - إلا استجابة لعاطفته الصادقة وعقله المنقاد لنبى الإسلام وإلا لما قال "ندمت" وما قبله وما بعده، فنحن لم نشق عما في قلبه، وإنه لم يرغب في التقرب من الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلا ليتشرف بنور الإسلام كما هو ظاهر من أبيات قصيدته، ولم يثبت أنه قصد النبى - صلى الله عليه وسلم - رغبة في المال أو المنصب، وإن كان قد عرف الأعشى بالتكسب من وراء شعره، وقد كانت ظروف المسلمين الاقتصادية - عندئذ - ظاهرة للجميع، وإن الأعشى لم ينصرف عن النبى - صلى الله عليه وسلم - لعدم تحقيق ميوله ورغباته النوالية، بل رجع ليعود ثانيا بعد إشباع رغبته في الخمر كما ذكرت بعض الروايات، فقد وقع الرجل فريسة لخداع الكفار

---

(١) المدائح النبوية، للدكتور زكى مبارك، (ط: مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، ١٣٥٤هـ). ص ١٩.

Marfat.com

المشركين له، وبالتالى فلا يمنعنى هذا القول من اعتبار قصيدة الأعشى في مقدمة المدائح النبوية التى قالها أصحاب العواطف الصادقة في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ومما يؤيد رأينا هذا هو موقف ابن نباته المصرى من قصيدة الأعشى هذه وإقدامه على تسميتها نبوية واستحسانه لها فنجده يقول في هذا الصدد(١): "ومن محاسن شعره قوله في القصيدة النبوية".

ويعلم الكل أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان أزهد أهل الدنيا في الدنيا فكيف يطلب منه الأعشى عطية أو نوالا بعشره، وماذا يفيده التقرب من رجل اجتمع على معاداته في مكة بالمظاهر التى عرفت عن مشركى مكة ومواجهتهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم ما عرف بعد ذلك من أمر الغزوات والسرايا ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المدينة المنورة، ولولا فضل الله ونصرته وعونه ما نهض هذا الدين، فمن أين للأعشى بالفائدة؟ التى تعود عليه إذا رغب في التقرب من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رغبة في العطاء، اللهم إلا أنها كانت شهادة حق وأحسبه راغبا في الإسلام رغبة لم يقدر الله النجاة لصاحبها والفوز بالجنة.

وقد أنشأ كذلك كعب بن زهير لاميته الشهيرة في مدح النبى - صلى الله عليه وسلم - التى تبلغ عدد أبياتها ثمانية وخمسين بيتا، استهلها بأبيات في الغزل الحسى على غرار شعراء العصر الجاهلى حيث قال في مطلعها:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

نرى الدكتور زكى مبارك يقول في قصيدة "بانت سعاد"(٢) "إنها لم تنظم بعاطفة دينية قوية تسمو به إلى روح التصوف، إنما هى من قصائد المديح يقولها

---

(١) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، لابن نباته المصرى (ط: دار الفكر العربى. مطبعة مدنى، القاهرة، مصر، ١٣٨٣هـ)ـ ص ٤١٧.

(٢) المدائح النبوية، للدكتور زكى مبارك، ص ٢٠، ٢٢.

Marfat.com

الرجل حين يرجو أو يخاف، وليست من المدائح النبوية بشئ".

القصيدة في رأى الدكتور صيغت للنجاة من القتل فقط وليست مقرونة بالعاطفة الدينية القوية، وخالية من روح التصوف، وليست من المدائح النبوية بشئ، فلا ننكر أن كعب بن زهير جاء طائعا تائبا معتذرا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخوفه هذا لا ينافى ما كان يكنه من حب وتقدير لنبى الإسلام قد جاءه نادما تائبا، والخوف حرك عاطفته فنجده يقول:

أنبئت أن رسول الله اوعدنى والعفو عند رسول الله مامول

فلم يحضر إليه إلا معترفا برسالته ومادحا كرمه وعفوه، والقرآن الكريم الذى بعث به إلى البشرية جمعاء، وإن ما يرشدنا إلى صدق عاطفته وحبه الصادق للرسول - صلى الله عليه وسلم - هو أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يكتف بقبول عذره فقط بل أكرمه ببردته على قصيدته التى نحن بصددها، حتى أنها صارت عنوانا على لاميته هذه فأصبح يقال بردة كعب بن زهير.

ولما كان مديح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذا تأثير حاول بعض الشعراء أن يتصدى للدعوة إمعانا وطعنا في الكيد لها، وطعنا في صاحبها - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الأطهار، وهم بذلك يردون على عاطفة المسلمين الشعرية والتى تجلت مدافعة عن الدين بالكلمة كما دافع أصحابها بالسيف، وربما يكون هجاء المشركين هذا تنفيسا عن أنفسهم بعد هجرته - صلى الله عليه وسلم - إلى قوم منعوه من كل يد آثمة، فأكثر شعراء المشركين في هجاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من الأنصار والمهاجرين وذلك لعدم كون المسلمين في متناول أيديهم الظالمة، وكانوا في حياتهم المكية هدف مظالم المشركين المتمردين، وفي حياتهم المدنية موضع سهام شعرهم، فانبرى الشعراء المسلون للرد عليهم، وقد تفضل الدكتور محمود على مكى بإحصاء الهجائين من المشركين متبعا ذلك بأسماء

Marfat.com

من ردوا عليهم وتصدوا لهم وهاك ما قاله الدكتور محمود على مكى في ذلك[١]: "ثلاثة من جلة الأنصار بذلوا أنفسهم للدفاع عن الإسلام والمنافحة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والرد بسلاح الشعر على مشركى قريش، أولهم وأشعرهم في نظر القدماء وأكثرهم شعرا هو حسان بن ثابت، أما الإثنان الباقيان فهما كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، وقد مدح الرسول شعراء آخرون [من المهاجرين] ويحسن بنا أن نشير إلى بعضهم... فمن هؤلاء أبو قيس بن صرمة بن أبى أنس، وكعب بن زهير، وعبد الله بن الزبعرى، وأبو سفيان بن الحارث، وأنس بن زنيم الديلمى، إن كل هذه المدائح تعد نواة لفن المديح حينما تحول إلى غرض مستقل من أغراض الشعر على أن بعضهم كان قد تعرض بشعره لهجاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابته، وبالطبع كان ذلك قبل إيمانهم".

وما تعدد الشعراء الذين عرضوا لفن المديح وسلكوا خطواته الأولى من مهاجرين وأنصار إلا أن الريادة كانت من نصيب سيدنا حسان بن ثابت شاعر الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقد فاق الجميع، ولعله أراد أن يعوض بالسلاح بما نسج لسانه من شعر ورأى في القصيدة العربية التى تدافع عن الدين ومن جاء به ومن آمن، السيف الذى يهز رقاب أعداء الإسلام وبالطبع لم يكن شعر حسان محل تأثير في غيره في هذا العصر فحسب وإنما تعدى ذلك العصر بتأثيره حتى بلغ عصرنا الحديث، أقول هذا لأن شاعرنا موضوع بحثنا الشيخ أحمد رضا خان أفتتن أيما افتتان بحسان بن ثابت - رضى الله عنه-، وقد صرح بذلك في موطن غير عربى حيث قال[٢]: "تكفينى اللوعة والدمعة زادا، وآهات القلب المشجون حاديا، وإذا احتجت إلى مساعدة في مدح الهادى [صلى الله عليه وسلم] استرشد

---

(١) المدائح النبوية، للدكتور محمد على مكى، ص ٢٧، ٣٥، ٣٦.

(٢) حدائق بخشش، للشيخ أحمد رضا خان، جـ ٢، ص ١٧٥.
ونص هذين البيتين باللغة الأردية كالتالى:
توشه ميں غم واشكـ كا سامان بس هے — فغان دل زار حديخوان بس هے
رهبر كى ره نعت ميں گرحاجت هو — نقش قدم حضرت حسان بس هے

Marfat.com

بآثار قدم سيدنا حسان" لعله اكتفى بهذه الإشارة اجتنابا عن التكرار، وبالتالى فقد تأثر به شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان في شعره العربى أيضا، نعم كان حسان بن ثابت النموذج والمثل الأعلى للشعراء الذين نظموا بعده في المديح النبوى في شتى العصور على وجه البسيطة ، وكان شاعرنا سائرا على غرار من سبقه من شعراء المديح النبوى الشريف فقد أخذ على عاتقه التوجه في شعره إلى الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - يمدحه بمنظوماته الرائعة، ويتوسل به إلى الله تعالى لعله يكشف عن الأمة المسلمة الضر ويفرج الكرب.

يقول الأستاذ كوثر النيازى بعد ذكر بعض الجوانب المهمة لشخصية الشيخ أحمد رضا خان(١): "الشعر مجال آخر والمديح النبوى أصعب أنواع الشعر من الغزل وغيرها من الأنواع الشعرية يزل فيه الإنسان بدون شعور الخطورة، وبدون التزام صور الأدب والحزم فيضع الشاعر قدمه على جسر الصراط، حيث هناك محبة في جانب والشريعة في جانب آخر... فالحق أن مراعاة الشريعة مجردة من مشاعر المحبة لا تبقى الشعر شعرا، كما أن مراعاة المحبة فقط قد تسبب انحرافا عن الشريعة وانزلاقا، فالأمر في الحقيقة صعب جدا... ولقد كان الشيخ أحمد رضا خان يحس هذه المشكلة التى يشعر بها مادح الرسول إحساسا صادقا".

ويقول مولانا محمد أحمد المصباحى عن شعر الشيخ أحمد رضا خان(٢): "يمتاز شعره بالطابع الإسلامى والفكر الدينى، وتتجلى فيه الروعة الأدبية والبراعة الفنية، ويتقوى بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية وأقوال الأئمة، وإلى جانب ذلك فكره القويم وذوقه السليم، وكل ذلك يعجب الأسماع، وينشط الأذهان وينير الأفكار، ويهز المشاعر، ويرهف العواطف، وأكثر شعره [باللغة العربية والفارسية والأردية] في المديح النبوى وليس ذلك إلا لعميق صلته بالنبى - صلى الله عليه

---

(١) الإمام أحمد رضا خان الحنفى وشخصيته الموسوعية، للأستاذ كوثر النيازى، ص ٢٣-٢٤.

(٢) بحث مستخرج من مجلة الدراسات الإسلامية الصادرة في شهر مارس ١٩٨٤م، (ط: مجمع البحوث الإسلامية بالجامعة الإسلامية بإسلام اباد باكستان)، ص ٣٧.

Marfat.com

وسلم - وتمكن حبه من سويداء قلبه، فكان لا يكاد يمسك ما في قلبه من عواطف الحب ودواعى التعظيم والإجلال، فتشكل صورة الشعر، ومع ذلك لا يتضمن أى بيت غلوا ولا تقصيرا، ولا أى لفظ مما لا يحسن استعماله في حضرة النبى الكريم - عليه أفضل الصلاة وأكرم التسليم -.

لم يكن هدف شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان من نظمه لشعر المديحِ حصول مال أو أى مطمع دنيوى كالحصول على مكانة اجتماعية، أو السعى من أجل الحصول على المنصب العالى، أو الوظيفة الحكومية؛ بل كان نظمه لغرض تكسب محمود الذى لا يذم صاحبه، وهو أن يحظى بمكانة أخروية عند الله - تعالى - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وهو المكسب المرغوب في الحصول عليه، وكان كل ذلك استجابة لعاطفته المشبوبة، شأنه في ذلك شأن الشعراء الذين ليس لهم أى هدف غير ما ذكرناه، فقد ترفعوا عن التكسب المادى بنظم المدائح للملوك والرؤساء وفي هذا يقول الدكتور زكى مبارك(١): "إن أدباء الصوفية هم الذين رحموا تاريخ الأدب العربى من تلك الوصمة؛ وصمة التزلف بالمديح إلى الملوك والأمراء والوزراء، هم الذين استطاعوا أن يكدروا الحياة على المتحكمين والمسيطرين، فكان الخلفاء والملوك يحسبون لهم ألف حساب، وكان من الخلفاء من يزهد في الحج حتى لا يتعرض له بعض الواعظين... وأدباء الصوفية هم الذين جعلوا السلامة من باب السلطان كالسلامة من باب الطبيب، فكانت عندهم سلامة الأرواح فوق سلامة الأبدان، أدباء الصوفية هم الذين عطروا الأدب العربى بأريج الكرامة، والعزة، والصيانة والعفاف، وهم الذين وصلوا المشرق بالمغرب وحفظوا الإسلام بإذاعة المعانى الروحية والذوقية، وهم الذين جعلوا الأدب ترجمان المنطق والعقل، ولم يقفوا على الحس والخيال كما صنع أكثر الأدباء في عصر بنى العباس".

---

(١) التصوف الإسلامى في الأدب والأخلاق، للدكتور زكى مبارك، (ط: دار الكتاب العربى بمصر، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م)، جـ ١، ص ٣٩٢، ٣٩٣، أصل هذا الكتاب رسالة قدمها المؤلف إلى الجامعة المصرية [جامعة القاهرة حاليا] فى سنة ١٩٣٧م ونال به إجازة الدكتوراه في الفلسفة برتبة الشرف، كما هو مذكور في غلاف الكتاب.

Marfat.com

Marfat.com

المبحث الأول

جهوده فى المديح النبوى الشريف

قام شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بمدح النبى - صلى الله عليه وسلم - كما يتجلى لنا في مواضع كثيرة من ديوانه بساتين الغفران، وذلك في مقدمات أو ثنايا أو خواتيم القصائد، وبعضها مقطوعات، وجملة ما قاله في هذا الغرض في الديوان الذى نحن بصدده تسعة وثلاثون بيتا، لقد مدح النبى - صلى الله عليه وسلم - في الأبيات من البيت رقم سبعة وستين إلى البيت رقم إثنين وسبعين من نهاية القصيدة التى صاغها في مدح مولانا فضل الرسول البدايونى(١): "فقد استهل هذه القصيدة بالحمد لله تعالى وختمها بمدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيقول هائما في حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٢):

---

(١) هو مولانا فضل الرسول بن مولانا عبد المجيد العثمانى البدايونى، أحد فقهاء الحنفية، ولد في شهر صفر سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف، وقرأ العلم على جده ثم سافر إلى لكنوء ودرس على نور بن أنوار اللكنوى، ثم تعلم الطب على الحكيم بير على الموهاني ببلدة دهولفور وأقام بها زمانا، ثم طلبه والده إلى بدايون وأقام بها مدة من الزمن، ثم سافر إلى بنارس واشتغل بالتطبيب مدة طويلة، ثم رجع إلى بلدته وأخذ الطريقة عن أبيه، وسافر إلى الحجاز وأدى فريضة الحج سنة ١٢٥٦هـ وأخذ عن الشيخ عبد الله سراج المكى والشيخ عابد السندى المدنى ورجع إلى الهند وأقام بها مدة، وعاد إلى الحجاز وأدى فريضة الحج مرة ثانية وزار بغداد وأخذ الطريقة عن السيد على نقيب الأشراف بها، ثم عاد إلى الهند فحصل له القبول بحيدر أباد... ومن مؤلفاته المعتقد المنتقد، والبوارق المحمدية، وتصحيح المسائل، وسيف الجبار، وفوز مبين، وتلخيص الحق، وإحقاق الحق، وله كتب وشروح وتعليقات أخرى، توفى لثلاث ليال خلون من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين ومائتين وألف للهجرة، وله من العمر سبع وسبعون سنة.
انظر: علماء العرب في شبه القارة الهندية، للشيخ يونس الشيخ ابراهيم السامرائى، (ط: وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالعراق، دون سنة الطبع)، ص ٢٦٢-٢٦٣.
وانظر: تذكرة علماء أهل سنت، لمولانا محمود احمد القادرى، ص ١٣٥، ١٣٦.
وانظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للسيد عبد الحى اللكنوى، جـ ٧، ص ٣٨٦.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص ٦٩.

Marfat.com

"هـذا وصلـى ربنـا بتكـرر وتمجـد
دوما على من يوصف بمحمـد وبـاحمد
والال والاصحاب هـم ماواى عنـد شـدائد
ما غرد الورقا علـى بـان كخـير مغـرد
وادم صلاتك والسـلا م على الحبيب الاجـود
واجعل بها احمد رضـا عبدا بحـرز السـيد"

إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بعد ما صلى على النبى - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وأصحابه - رضوان الله عليهم أجمعين - يتقدم ويسأل ربه أن يجعله ببركة هذه الصلاة والسلام مثل عبد مأمون في حرز سيده، وتلوح من خلال هذه الابيات - والتى ستأتى - شبح الظروف القلقة التى كان المسلمون يواجهونها في الهند، حيث إنهم كانوا في أسوأ أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية، فالشيخ أحمد رضا خان يبين مشاعره الجياشة في نونيته التى تحتوى على ثلاثة وأربعين ومائتى بيت نظمها في مدح مولانا فضل الرسول البدايونى، فقد افتتحها بالغزل حيث قال في مستهل القصيدة(١):

"رن الحمام على شجون البـان ياما أميلح ذكـر بيـض البـان"

وقد رأيناه ينتقل من غرض إلى اخر حتى أنه في نهاية مطافه انتهى إلى الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وذلك من البيت الثامن والثمانين بعد المائتين إلى البيت الثالث والتسعين بعد المائتين فيقول(٢):

"وصلاة ربى دائمـا ابـدا علـى خير البريـة سـيد الاكـوان
والآل والصحـب والـ نواب والاصبـهار والاختـان
صلى المجيد على الرسول وفضلـه ومحبـه ومطيعـه بجنـان
صلى عليك الله يا ملـك الـورى ما غرد القمرى فى الافنـان

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص ٧٢.
(٢) المرجع السابق، ص ٨٨.

Marfat.com

صلى عليك الله يـــا فـــرد العلـــى ما أطرب الورقاء بالالحـــــان

صلـــى عليـــك يـــامولاى مـــــا رن الحمام على شجون البـان"

ففى هذه الأبيات يتجلى أمامنا أن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان يـــهيم فـــي العشق المحمدى ويقدم على بعض صفات الرسول - صلى الله عليه وسلم - فـــنراه يصف الرسول - صلى الله عليه وسلم - بملك الورى، وأعتقد أن شاعرنا لم يقصد من هذه الكلمة شخصية الملك دستوريا، المتعارف عليها في بعض الـــدول، وإنمـــا أراد أن النبى - صلى الله عليه وسلم - ملك في خلقه، نظرا لعلوه وارتفاعه، فـــهو في رفعته وعلو مكانته كأنه ملك للورى جميعا فلا يعلـــــى عليـــه - صلـــوات الله وسلامه عليه - وكما أن الملك فرد في مجتمعه فهو - صلى الله عليه وسلم - ملك في الخلق لا يبلغ أحد مبلغ كماله البشرى وذلك لأنه على خلق عظيم كما وصفـــــه ربه القائل عنه[١]: **وإنك لعلى خلق عظيم** ولم لا وقد تولى ربه تأديبه بنص قوله عليه الصلاة والسلام[٢]: «**أدبنى ربى فأحسن تأديبى**» ويذكر ربنـــا - تبـــارك اسمه - نعمته على النبى - صلى الله عليه وسلم - فيذكرنا بهذا الفضـــل العظيـــم قائلا[٣]: **وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما** ولا بأس بأن يكون شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان قد أخذ فكرة لفظة الملك معبرا عـــن ســـيادته - صلى الله عليه وسلم - على سائر الكون، ولا غرو فهو القائل[٤] - صلـــوات الله وســـلامه عليـــه - «**أنـا سـيد ولـد آدم يـوم القيامـة، وبيـدى لـواء الحمـد، ولا فخر**» فلا تعارض بين لفظ ملك الورى وبين سيادته - صلى الله عليه وســـلم - على ولد آدم.

( ) سورة القلم ٤/٦٨.

(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للعلامة إســـماعيل بـــن محمد العجلونى (ط: دار التراث، القاهرة، دون سنة الطبع)، ص ٧٢.

(٣) سورة النساء ٤/١١٣.

(٤) سنن الترمذى، للإمام عيسى محمد بن عيسى الترمذى (ط: مكتبة مصطفى البابى الحلبـــى وأولاده بمصر، ١٣٨٥هـــ)، ج ٨، ص ٥٨٧.

Marfat.com

نرى شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان أنه اختتم قصيدته بالشطرة التى كان قد استهل بها نونيته، وأنه كان قد افتتح قصيدته بالغزل واختتمها بالصلاة والسلام على الحبيب المصطفى - صلوات الله وتسليماته عليه - وإنه مع ذلك نجح في تصوير هذه المقطوعة صياغة في القالب الغزلى مصدرا بها هذه القصيدة بلون من الغزل العفيف، حيث إنه ذكر تغريد القمرى، وإلحان الورقاء، وغناء الحمام على شجون البان، فمن خلال هذه الكلمات يبدو بوضوح هيام الرجل في حب من هو خير البرية وسيد الأكوان، وأنه أقبل على هذا العمل ليجعل القارئ يتمتع ويهتز بقراءة هذه الأبيات.

إننا نرى شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان يحذر المسلمين من الفتن المحيطة بهم، وذلك في قصيدته التى تشتمل على أربعة وسبعين ومائتى بيت وقد استهلها بذم الدنيا حيث يقول(١):

"هى الدنيا تبيد ولا تفيد فأف لمن يريد ومن يرود"

ومن المعلوم أن الاستعمار البريطانى أثار الفتن المحيرة لإبقاء سيطرته على أهل شبه القارة الهندية من المسلمين وغيرهم، فنرى شاعرنا ينبه المسلمين على هذه الفتن ويرشدهم إلى اللياذة في أحضان الإسلام والتمسك به وذلك من البيت التاسع والخمسين بعد المائة إلى البيت الحادى والستين بعد المائة، فيقول(٢):

"أمسلم عذ بوجه الله منهم فإن معاذة الركن الشديد
ولذ برسوله فلياذه الحق وعاهده من الله العهود
جوار لا يضام ولا يرام وركن لا يهد ولا يهيد"

شأنه في هذا شأن الإمام البوصيرى متأسيا ببعض المعانى التى وقعت للبوصيرى في ميميته من نحو قوله(٣):

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان، ص ١١٦.
(٢) المرجع السابق، ص ١٢٥.
(٣) بردة المديح المباركة للإمام شرف الدين محمد البوصيرى / شرح وتقديم دكتور أحمد عمر هاشم. (ط: دار المقطم قاهرة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، ص ٤٩.

Marfat.com

"يا اكرم الخلق ما لى من الوذ بـــه سواك عند حلول الحادث العمـــم"

ثم ينتقل شاعرنا إلى الصلاة والسلام على خير الأنام فيقول(١):

"على المولى من الأعلى صلاة تفيض فتستفيض بها العبيـد
على الوالى من العالى ســـــلام يجود فيجتدى منه العبـــود
صـــلاة لا تحـــــد ولا تعـــد ولا تفنى وإن فنيت ابـــود
ســـلام لا يمـــن ولا يمـــــانى ولا يبلى متى بليت عـــهود"

ثم ينتقل إلى خطاب الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم فيقول راجيا جوده(٢):

"رسول الله أنت لنـــــا الرجـــاء وفضلك واسع وجـــداك جـــود
حبيب الله مـــن تقربـــه حفظـــا فكـــل كريهـــة عنـــه بعيـــــد
ومن يدرى علاك وقد علا العر ش قدرك والسماء سما الوصيـد
وليى ثـــم أنـــت بنـــا لأولـــى من انفســـنا ورب بـــذا شـــهيد
غليمك الوحيد رجـــــا رضاكـــا إذ انت العدل والقاضى الوحيـد"

لاحظنا في هذه الأبيات أن شاعرنا خلال مخاطبته الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وصفه في ضوء قصة المعراج وأظهر عجز البشر عـــن إدراك علاه، وقد أسند الشيخ أحمد رضا خان إلى نفسه صيغة التصغير "غليم" ورأيناه فـــي البيت قد أشار إلى آية قرآنية حيث قال الله تبـــارك وتعـــالى(٣): **النبـــى أولـــى بالمؤمنين من أنفسهم** .

إن شاعرنا يمدح جود النبى - صلى الله عليه وسلم - في المقطوعـــة التـــى عارض بها منظومة أمية بن أبى الصلت، وقد قام باقتباس البيتين الأولين، ونظـــم

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص ١٢٥.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص ١٢٥.
(٣) سورة الأحزاب ٦/٣٣

Marfat.com

على منوالهما الأبيات الثلاثة وحول أبيات أمية بن أبى الصلت أيضا إلى مدح الرسول فيقول(١):

"أأذكر حاجتى أم قد كفانى حياءك أن شيمتك الحياء
اذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من توضئك الثناء"
كريما لا يغيره صباح عن الخلق الكريم ولا مساء
رسول الله فضلك ليس يحصى وليس لجودك السامى انتهاء
فإن أكرمتنا دنيا وأخرى فليس البحر ينقصه الدلاء

وعندما قام محقق ديوان بساتين الغفران بمقارنة هذه الأبيات مع ما ورد منها برسالة "عروس المعطار في زمن دعوة الإفطار" وجد أن البيت رقم ثلاثة به تبديل في بعض الألفاظ هكذا(٢):

كريما لا تغيره ذنوب عن الخلق الكريم ولا جفاء

إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان اقتبس فكرته تجاه جود النبى - صلى الله عليه وسلم - من الحديث النبوى الشريف حيث قال النبى - صلى الله عليه وسلم - "**إنما أنا قاسم والله يعطى**"(٣) وقد وردت هذه الأبيات في رسالة تحمل اسم "النور والنورق لإسفار الماء المطلق"(٤) وهو يقول بعد بيان الفوائد الفقهية(٥):

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٤٨-١٤٩.
(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان. ص ١٥٠.
(٣) صحيح البخارى للإمام محمد بن إسماعيل البخارى (ط: مكتبة النهضة الحديثة. ١٣٧٧هـ)، ج ١، ص ٢١.
(٤) انظر الفتاوى الرضوية. للشيخ أحمد رضا خان، جـ ١، ص ٥٢٥.
(٥) بساتين الغفران للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٥٤، ١٥٥.

Marfat.com

"فـــهذه ســـتون بحثـــا فـــاخرا حمـــدا لربـــــى أولا وأخـــــرا
وقـــد تقدمـــت كثـــير غيرهـــا وليس يخفـــى خيرهـــا وميرهـــا
وكل خير من عطاء المصطفـــى صلى عليه الله مع من يصطفـــى
الله يعطـــى والحبيـــب قاســـم صلـــى عليـــه القـــادة الأكـــارم
ما نال خيرا مـــن ســـواه نـــائل كـــلا ولا يرجـــى لغـــير نـــائل
منه الرجا منه العطا منه المـــدد في الدين والدنيا والأخرى للابـــد"

نظم شاعرنا من بين ما نظمه في المديـــح النبـــوى الشـــريف بفـــن يعـــرف بالتخميس[1] وهذه الأبيات تتعلق بالقيام عند ذكر ميلاد خير الأنام - صلى الله عليه وسلم - ولم يكن شاعرنا الفقيه سابقا في النظم الذى يشيد بفضل الحبيب بـــل كـــان تابعا للحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - إنما استحسنه علمـــاء المســـلمين قديما وحديثا[2] منهم - على سبيل المثال لا الحصر - الإمام على بن برهان الدين الحلبى إنه يقول[3]: قد وجد القيام عند ذكر اسمه - صلى الله عليه وســـلم - مـــن عالم الأمة ومقتدى الأئمة دينا وورعا الإمام تقى الدين السبكى - رحمه الله تعالى -

---

(١) التخميس هو أن يقدم الشاعر على البيت من شعر غيره ثلاثة أشطر على قافيـــة الشـــطر الأول فتصير خمسة أشطر، ولذلك سمي تخميسا.
انظر ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، للسيد أحمد الهاشمى، (ط: المكتبة التجارية الكبرى. بمصر. دون الإشارة إلى سنة الطبع)، ص ١٤٣.

(٢) للمذيد من الأدلة في هذا الموضوع انظر:
(أ) إقامة القيامة على طاعن القيام لنبى تهامة، للإمام أحمد رضا خـــان (ط: مكتبـــة قادريـــة. لاهور، ١٤١٩هـــ).
(ب) الاحتفال بالمولد النبوى الشريف بين المويدين والمعارضين: مناقشـــة وردود. للســـيد أبـــى الحسنين عبد الله الحسينى المكى الهاشـــمى (ط: ١٤١٧هـــ - ١٩٩٦م). ص ٨٢ : ٨٨.

(٣) السيرة الحلبية فى سيرة الأمين المأمون، للعلامة على بن برهان الدين الحلبى (ط: دار المعرفـــة. بيروت. لبنان. دون سنة الطبع)، ج ١. ص ١٣٧

Marfat.com

وتابعه على ذلك مشايخ الإسلام في عصره، فقد حكى بعضهم أن الإمام السبكى اجتمع عنده جمع كثير من علماء عصره فأنشد منشد في مجلسه قول الصرصرى[1] في مدحه - صلى الله عليه وسلم -:

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب ... على فضة من خط أحسن من كتب

وأن ينهض الأشراف عند سماعه ... قياما صفوفا أو جثيا على الركب

فعند ذلك قام الإمام السبكى وجميع من في المجلس، فحصل أنس كبير بذلك المجلس، ويكفى مثل ذلك في اقتداء".

ولما التقت هذه الرباعية[2] بسمع شاعرنا المغرم بالإنشاد في الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - أحدثت نغمة عذبة في سمعه، وأثارت وجدا في

---

(١) هو يحيى بن يوسف الأنصارى. فقيه، أديب، لغوى، كان حسان وقته في المديح النبوى الشريف، قتله التتار عند دخولهم بغداد سنة ٦٥٦هـ، وكان أعمى.
انظر: المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكى، للدكتور محمود سالم محمد، ص ٣٣.
وانظر كذلك: ديوان الصرصرى، ظاهرية رقم (٣٣٣٢) ورقه ١.

(٢) تبين الدكتورإ سعاد معنى الرباعية فتقول: الرباعى فن أصيل من فنون الشعر الفارسى الإسلامى، ولا يكاد ديوان من دواوينهم يخلو من هذا الضرب من النظم، وقد نقل العرب عن الفرس فن الرباعى في أزمنة متأخرة، ذلك أن هذا الضرب من النظم لم يكن معروفا بينهم في الشعر العربى القديم، ومن أجمل ما عرف من الرباعيات في العربية ما جاء في ديوان [شاعر الحب الالهى] عمر بن الفارض من النوع المعروف بالدوبيت، والرباعى من حيث الشكل عبارة عن بيتين من الشعر يشتملان على أربعة مصاريع تجرى على وزن واحد وقافية واحدة، غير أن المصراع الثالث قد يتفق مع المصاريع الثلاثة الأخرى في القافية وقد لايتفق معها. فلا يشترط فى الرباعى الا تقفية المصاريع الأربعة المقفاة بالرباعى الكامل، وذو المصاريع الثلاثة المقفاة بالرباعى الأعرج. ومن حيث الوزن يختلف وزن الرباعى عن جميع أوزان العربية المعروفة، فقد تفنن الفرس فى أوزان الرباعى فجعلوها على أربعة وعشرين وزنا من مستخرجات بحر الهزج. واستعملوا فيه من الزحاف ما لم يعرف في الشعر العربى القديم وجعلو من العبارة: "لا حول ولا قوة الا بالله" ميزانا للوزن الأساسى للرباعى.
انظر: فنون الشعر الفارسى. للدكتور اسعاد عبد الهادى قنديل، (ط: دار الأندلس. بيروت، ١٤٠٢هـ). ص ١٦٧. ١٦٨.

Marfat.com

نفسه، فأقدم شاعرنا على التعبير عما بداخله من مشاعر فياضة، وأحاسيس رقيقة، وعاطفة مشبوبة، واختار فن التخميس لإبراز إعجابه بهذه الرباعية وبالتالى إشباعا لرغبته فنجده يقول(١):

سواد عيون العين سنا ذهب ولوح نحور الحور لاح كما يجب

فإن يمل جبريل لقال أولو الأدب قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب

على فضة من خط أحسن من كتب

يقوم بحق المدح قوم فلاته توله وقم بالوجد قومة واله

فحق خضوع الوجه رغما لكاره وان ينهض الاشراف عند سماعه

قياما صفوفا أو جثيا على الركب

إذا كانت عاطفة شاعرنا تحركت عند استماعه لرباعية الصرصرى فأقدم شاعرنا على تخميس هذه الرباعية فقد دفعته عاطفته القوية إلى رحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث يحلق شاعرنا بأجنحة خياله القوى وقلبه الولوع الحنون، ويتحدث إلى الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - عن أمته والمصائب التى ألمت بها نظرا للظروف التى أنشأتها يد الاستعمار البريطانى فى الهند، فقد فقدت الأمة الاسلامية سيادتها وكرامتها وهبطت من قمة المجد والشرف وبدأت تعانى من الذل والهوان على يد الأعداء من المسيحيين والسيخ والهنادكة المنبوذين، وشاعرنا في هذه الظروف القارسة لم يستسلم لليأس والقنوط بل إنه متأكد تمام التأكيد أن كيد الكافرين لا يدوم بل ينتهى عن قريب ولنستمع إليه حيث يقول(٢):

"رسول الله أنت المستجار فلا اخشى الاعادى كيف جاروا

بفضلك ارتجى أن عن قريب يمزق كيدهم والقوم باروا"

أما الرباعية الثانية التى يمكن أن نسميها بالرباعى الكامل نظرا لتقفية

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٧١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٢.

Marfat.com

المصاريع الأربعة[١]. والتى تشتمل على المشاعر نفسها التى كانت فى الرباعية الأولى، ولكنه يتذكر الماضى المشرق أولا فيقول: يارسول الله - صلى الله عليك وسلم - بعثت فينا رحمة من الله سبحانه وتعالى - فوجدتك الأمة كريما، كما كنت حصنا حصينا للأمة بالتعاليم السامية التى جئت بها، ولم تكن أمتك يارسول الله - صلى الله عليك وسلم - ترهبها قوة عسكرية بل كانت أمتنا على الدوام قوة يحسب لها ألف حساب، والآن يخوفنا الأعداء بالمكائد، أجرنى يا أمان الخائفين من كيد الكائدين ومكر الماكرين، وعن هذه المشاعر يعبر شاعرنا قائلا[٢]:

رسول الله أنت بعثت فينا كريما رحمة حصنا حصينا

تخوفنى العدى كيدا متينا اجرنى يا امان الخائفينا

هذه صرخات شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان التى انبعثت من قلبه الجريح، وهكذا كان شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان يستنجد برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى أبياته بكل لسان استطاع أن يستنجد به سواء كان ذلك اللسان عربيا أو فارسيا أو أرديا، وليس هذا الاستنجاد بالرسول - صلى الله عليه وسلم - إلا توسلا به - صلى الله عليه وسلم - إلى الله - سبحانه وتعالى - فإن المستغاث به حقيقة هو الله - تبارك وتعالى - يقول الإمام تقى الدين السبكى مشيرا إلى أنواع الاستنجاد أو الاستغاثة بالحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم -[٣]: ولا فرق فى هذا المعنى بين أن يعبر عنه بالتوسل أو الاستغاثة أو التشفع، أو التجوه (قول القائل بجاه النبى - صلى الله عليه وسلم -).

ولم يكن شاعرنا مبتكرا لهذا اللون من النظم وليست هذه لهجته فقط بل هذه لهجة الكثيرين من الشعراء، وهذه طبيعة الشاعر من الناحية النفسية يعنى الانفعال، فكل إنسان عندما يصاب بأى شئ يلجأ إلى القوة التى هو متمسك بها، فالشيخ أحمد رضا خان رجل متدين يعرف ربه فيتوسل بالحبيب المصطفى - صلى الله عليه

(١) وجه تسميتها بالكامل اتباعا لما قاله الدكتور إسعاد عبد الهادى فى تأليفه فنون الشعر الفارسى، ص ١٦٧.

(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان، ص ١٦٢.

(٣) شفاء السقام. للإمام تقى الدين السبكى (ط: دار كنز السعادة، درب الأتراك القاهرة، دون سنة الطبع)، ص ١٧٥.

Marfat.com

وسلم - فيلجأ إلى باب ربه ليطرقه رجاء العطاء والمن والفضل، ومادام يطمع فى كرم ربه - عز وجل - يتكلم عن الحبيب - عليه الصلاة والسلام - لعلّه يأخذ بوسيلته - صلى الله عليه وسلم - طريقا إلى فضل الله، وهذا شأن الشعراء المسلمين فالكل يلجأ إلى الله طالبا منه العون مستشفعا بحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى تفيض به أشعارهم، وكان شاعرنا يستهدف بالاستنجاد بالرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى السياسة مرة، وإلى التغلب على أصحاب العقائد الزائغة مرة أخرى باحثا عن الدواء للمجتمع، فلعله يجد ذلك فى الاستنجاد، إذن هذا منه تدين، وسياسة، وإصلاح اجتماعى، وإصلاح علمى، ولاغرو فالدين هو كل ذلك، يعنى لو صحت العقيدة يصح الإنسان، وإذا صلح الإنسان عقديا صلحت بقية الاتحاهات فى المجتمع.

نشأ هذا اللون من المديح النبوى الشريف فى عصر الحروب الصليبية وفى هذا يقول أستاذنا الدكتور رزق مرسى أبو العباس(١): "إن مدائح الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى الأندلس اشتملت على الكثير من الشكوى والاستغاثة والاستنجاد، وهذا لما أحاط بالأندلس من البلايا والكوارث التى صبها المسيحيون على رؤوس المسلمين باستيلائهم على بلاد أندلس الزاهرة، وفى هذه الحوادث المدلهمة كانت سيوف المسيحيين تعمل فى رقاب المسلمين وترتكب فى حرمات الإسلام أفظع الآثام، وطبعى أن ترتفع أصوات الشعراء فى هذه الأحوال بالاستنجاد برسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأولياء الصالحين، وقد ظهر ذلك فى شعر لسان الدين ابن الخطيب وغيره من شعراء هذا العصر".

ولما دخل الصليبيون فى الهند بالمكر والخداع والنوايا الطامعة والنفوس الحاقدة على الإسلام وأهله وبالتالى أخذوا يبسطون نفوذهم وسلطانهم على شبه القارة الهندية، وأخيرا تحقق لهم ما طمعوا فيه، وعندئذ توجه شعراء الهند إلى ربهم وإلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - [يعنى متوسلين به إلى الله تعالى] يبتغون النجاة".

ويحدثنا الدكتور ماهر حسن فهمى عن نشأة هذا اللون من الشعر فى مصر حيث يقول(٢): وفى القرن السابع الهجرى كانت الحروب الصليبية مشتعلة يمتـ

(١) ملامح الأدب والثقافة فى العصر المملوكى، للدكتور رزق مرسى أبو العباس، ص ١٠٦.
(٢) شوقى وشعره الإسلامى، للدكتور ماهر حسن فهمى، ص ١٨٠.

Marfat.com

لهيبها إلى مصر، وشالع الويلات يوقد العاطفة الدينية ويجعل الناس يلجـــأون إلـــى رحاب ربهم متوسلين ومستنجدين برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولنســـتمع إلى أصوات بعض الشعراء الهنديين يقول الإمام ولى الله المحدث الدهلوى(١):

"وصلى عليك الله يا خـــير خلقـــه ... ويا خير مأمول ويا خـــير واهـــب
ويا خير من يرجى لكشف رزيـــة ... ومن جوده قد فاق جود الســـحائب
وأنت مجيرى من همـــوم ملمـــة ... إذا انشبت فى القلب شر المخـــالب"

ويقول الشيخ صديق حسن خان البوفالى(٢):

"يا سيدى يا عروتى ووســـيلتى ... يا عدتى فى شدة ورخـــاء
قد جئت بابك ضارعا متضرعـــا ... متأوها بتنفس صعـــــداء
مالى وراءك مستغاث فـــارحمن ... يا رحمة للعالمين بكـــائى"

ويقول الشيخ أشرف على التانوى(٣):

"يا حبيب الإلـــه خـــذ بيـــدى ... ما لعجـــزى ســـوالك مســـتندى
كن رحيمـــا لذلتـــى واشـــفع ... يا شفيع الـــورى إلـــى الصمـــد
اعتصامى سوى جنابك لـــــى ... ليس يـــــا ســـيدى إلـــى أحـــد"

ويقول الشيخ إعزاز على الديوبندى(٤):

"رسول الله جئتـــك مســـتعينا ... عليك صـــــلاة ربـــى والســـلام
رسول الله جئت إليك ضيفـــا ... وحق الضيف تعرفـــــه الكـــرام

---

(١) أطيب النغم. للإمام ولى الله الدهلوى (ط: مجتبائى، دلهى) ص ٢٢.
(٢) هدية المهدى، للشيخ وحيد الزمان، ص ٢٠.
(٣) ضمان التكميل. للشيخ أشرف على التانوى (ط: مجتبائى، دلهى) ص ١٧٣.
(٤) شعر المديح النبوى الشريف بالعربية فى الهند بقلم الأستاذ الدكتور محمد إسحاق القرشى، بحـــث مستخرج من مجلة "أوج" الصادرة من كلية شاهدره الحكومية، لاهـــور، للعـــام الجـــامعى ٩٢-١٩٩٣م. ص ٢٧٢، ٢٧٣.

Marfat.com

حريمك آمن من كـــل هـــول وبابك حولـــــه عكـــف الأنـــام"

ويقول الشيخ حبيب الرحمن العثمانى(١):

لذ بباب المصطفى خير الـورى ملجاء المكروب مفتاح العقـل

واقرع البـــاب ملحـــا مدمنـــا من أدام القرع لابـــد يصـــل

فإذا كنا سمعنا إلى صوت الشعراء الهنديين باللغة العربية فلنسمع إلـــى مـــا ترجمه إلى العربية الدكتور عبد المنعم النمر من الشعر الذى جـــرى علـــى لســـان شاعر الأردية وآخر الملوك المسلمين بالهند بها دور شاه ظفر فى منفـــاه بمدينـــة رانجون يقول الدكتور عبد المنعم النمر(٢):

"يارسول الله: ما كانت أمنيتى إلا أن يكون بيتى فى المدينة بجوارك".

"ولكنه أصبح فى رانجون وبقيت أمنياتى مدفونة فى صدرى"

"يارسول الله كانت أمنيتى أن أمرغ عينى فى تراب أعتابك"

"ولكن ها أنذاك أتمرغ فى تراب رانجون"

"وبدلا من أن أشرب ماء زمزم بقيت هنا أشرب الدموع الدامية"

"فهل تتجدنى يارسول الله ولم يبق من حياتى إلا عدة أيام"

ولنستمع الآن إلى شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال الذى أعرب عن آلامـــه ومصائب أمته بالفارسية وترجمها إلى العربية وصاغها شـــعرا الأســـتاذ الدكتـــور حسين مجيب المصرى(٣):

"ويبدى المسلم المحبوب فقـره يصعد مثل حـــر النـــار زفـــره

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٧٠.

(٢) تاريخ الإسلام فى الهند، للدكتور عبد المنعم النمر، ص ٤٧٥.

(٣) هدية الحجاز للدكتور محمد إقبال / قدم لها وشرحها وترجمها شعرا عن الفارسية الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصرى (ط: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،١٩٧٥)، ص ٥٠.

Marfat.com

شكى منه الفواد وليس يدرى فهبنا يارسول الله نظره"

مهما قال شاعرنا مدحا فى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومهما قال غيره فى هذا المضمار، ومهما عرض الباحث أو الكثيرون من الباحثين، فلا نستطيع مجتمعين أن نوفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حقه علينا مما هو أهل له من المديح و الثناء، ولو قسنا ذلك بهدايته - عليه الصلاة و السلام - وبالضياء الذى بلغنا إياه، و أنار به السبيل أمامنا للفلاح فى الدنيا و الآخرة ما استطعنا أن نوفيه حقه على أى واحد منا. أضف إلى ذلك ما طبعه الله عليه من كريم الخصال، ونبيل الفعال وغير ذلك مما هو لائق بكمال بشريته - صلى الله عليه وسلم - لأيقنا أننا فى مدحنا دون المستوى اللائق به - صلى الله عليه وسلم - ولو كنا مجتمعين.

إذا كنا درسنا ثلاث مقطوعات من ثلاث قصائد لشاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فى مدح النبى - صلى الله عليه وسلم - ومقطوعتين مستقلتين عارض بالأولى أمية بن أبى الصلت، كما درسنا أيضا تخميس شاعرنا لبيتين نظمهما الصرصرى، ورباعيتين فى مدح الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فقد بقى لنا بيتان نظم كلا منهما باللغة العربية ضمن منظومتين أرديتين فى المديح النبوى الشريف، نظم أولهما ضمن منظومة أردية تحت عنوان: "قصيدة فى المديح النبوى الشريف المتضمنة لبعض مصطلحات علم الهيئة و النجوم"، فيقول شاعرنا وهو يخاطب الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - قائلا: إن الله تبارك وتعالى - خالق لكل الورى ولا خالق غيره. ونور هدايتك غطى كل الورى، ولم يتشرف أحد من الأنبياء بالمرتبة التى شرفك الله بها فى أى زمن من الأزمان، وكأن الشاعر يشير إلى الميثاق الذى أخذه الله تعالى من الأنبياء، وقد كشف ربنا - سبحانه وتعالى - غطاء عن هذا الميثاق لبيان شرف الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم -

Marfat.com

حيث قال فى القرآن الكريم[١]: **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، قال: ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى؟ قالو: أقررنا، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ومن هذا المنظور القرآنى يشير شاعرنا إلى شرف لحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - مبينا مرتبته الرفعية فيقول[٢]:

خالق كل الورى ربك لا غيره نورك كل الورى غيرك لم ليس لن

استوقفتنى كلمات ثلاثة لم، ليس، لن، أعجبت بهذا الإيجاز الذى أدى معنى واسعا، وهذه الكلمات الثلاث تدل على النفى وإن النفى ينصب على الماضى والحاضر والمستقبل، وكأن شاعرنا يقول: إن نور هدايته لا يضارعه نور أبدا، ولم يسبق إليه، ولن يأتى بعده نور آخر مثله، ومن هناك كأنه أشار إلى ختم النبوة حيث لا نبى بعد الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم -

والبيت الثانى الذى أردت أن أذكره هنا هو ما ذكره شاعرنا فى منظومة أردية أخرى غير التى أشرت إليها، وجاء شاعرنا بهذا البيت ضمن منظومة باللغة الأردية فى مدح وبيان أفضال الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه على المسلمين، وفى هذا البيت أيضا يشير شاعرنا إلى سمو مكانة الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - التى أكرمه الله تعالى بها، وعبر شاعرنا عن رفعة النبى - صلى الله عليه وسلم - كأنما يعبر عن مبنى شاهق ولم لا والنبى - صلى الله عليه وسلم - أساسا مدرج من مدارج الخير -، فأخلاقه ترفعنا وتعلينا وتعلى كل من

---

(١) سورة ال عمران، ٣/٨١ . ٨٢.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص ٢٢٣.

Marfat.com

تحلى بها، فالتشبيه قائم على تشبيه شئ بشئ فى محله، لأن الرسول - صلـــى الله عليه وسلم - معراج المعارج من ناحية البناء الخلقى فهو مستكمل لكل كمال بشرى يليق برفعة مكانته - عليه الصلاة والسلام - وعظمة بشريته، ومما هو جديـــر أن نأخذ فى الاعتبار أن اتباع الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وسيلة مـــن وسائل الارتفاع للمسلمين، والارتفاع عند النبى - صلى الله عليه وسلم - لم يكـــن ارتفاعا ماديا إلا أن شاعرنا عبر عنه بأسلوب الارتفاع المادى لتكـــامل الارتفـــاع المعنوى فى شخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كفى برفعتـــه رفعـــة أن يكون الرافع هو الله، وليست الرفعة المعنوية إلا لرفعة الخلق الذى كان يتحلى بـــها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم لا وقد قال عنه الحق - تبارك وتعـــالى - (١): **{وإنك لعلى خلق عظيم}** فرفع الله - تبارك وتعالى - قدر النبى - صلـــى الله عيه وسلم - بإتيان حرف "على" فإنه يفيد العلو والتمكن والارتفـــاع، وأى ارتفـــاع أعظم من أن يكون الرسول - صلى الله عليه وسلم - فوق الخلق كأن الله عز وجل قد أعد له صرحا من الخلق عظيما فأجلسه عليه. وما أحلى صـــوت شـــاعرنا، إذا تناول معنى ارتفاع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتفوقه فى الكمال البشرى، ومهما يكن من أمر فالشاعر أحلى منا عبارة وأندى منا صوتا، وألطف منـــا وقعـــا على الأسماع والقلوب، ها هو يقول(٢):

رفيع المدارج منيع المعـــارج سمى المراتب ســـنى المنـــاقب

وإن إتيان شاعرنا هذين البيتين ضمن المنظومتين الأرديتين يدل على حبه للغة العربية لكونها لغة الدين، ولغة القرآن، ولغة الحبيب المصطفى - صلى الله عليـــه وسلم - فعندما يقدم شاعرنا على مدح النبى - صلى الله عليـــه وســـلم - باللغـــة

---

(١) سورة القلم. ٤/٦٨.
(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان . ص ٢١٥.

Marfat.com

الأردية تدفعه عاطفته الجياشة، وبراعته الفائقة فى اللغة العربية إلى النظم بلغة الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وهذا منه خير دليل على تمكنه من النظم بأكثر من لغة، ولا سيما فى غير لغته الأم.

وهكذا وظف شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان موهبته الشعرية فى مدح من هو أحق بالمدح على وجه البسيطة، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على صدق عاطفته، وحبه البالغ للحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ونجد شعره الأردى والفارسى كذلك حافلا بالمديح النبوى، وإن كان المديح النبوى باللغة الأردية أكثر مما نظمه باللغة العربية والفارسية، وذلك لأن هذه اللغة يفهمها أغلب مواطنيه فى شبه القارة الهندية.

وهكذا أكون قد حاولت إلقاء بعض الضوء على جهود شاعرنا فى المديح النبوى الشريف، تلكم الجهود التى تمثلت فى تسعة وثلاثين بيتا، علما بأنه ما وصلت إليه يدى بالنسبة للديوان، أما شعره العربى فى المديح النبوى الشريف الذى لم نقف عليه، ولم يجمع حتى الآن لأى سبب من الأسباب فسوف يكون به لقاؤنا إذا يسر الله لنا هذا.

وما دمنا قد انتهينا من أرفع ألوان المديح عند شاعرنا ألا وهو المديح النبوى الشريف فلننتقل الآن إلى مدحه للأولياء والصالحين، وعلماء الدين الحنيف، ومن كانت له منزلة فى قلبه، والدين هو المقياس فى ذلك، ولنطبق هذا فنقول:

Marfat.com

Marfat.com

البحث الثاني

جهود شاعرنا في مدح الأولياء الصالحين وعلماء الدين

ويشتمل هذا البحث على تمهيد وأحد عشر مطلبا

المطلب الأول : مدحه لمولانا الشريف أبو الحسين أحمد النوري.

المطلب الثاني : مدحه لمولانا إسماعيل بن خليل وأخيه وأبيه.

المطلب الثالث : مدحه لمولانا صالح كمال المكي.

المطلب الرابع : مدحه لمولانا عبد القادر البدايوني.

المطلب الخامس: مدحه لمولانا للشيخ عبد القادر الجيلاني.

المطلب السادس : مدحه لمولانا عبد المجيد البدايوني.

المطلب السابع : مدحه لمولانا فضل الرسول البدايوني.

المطلب الثامن : مدحه لمولانا محمد رضا علي خان النقشبندى.

المطلب التاسع : مدحه لمولانا محمد نقي على خان القادري.

المطلب العاشر : مدحه للشيخ معين الدين الجشتى الأجميرى.

المطلب الحادي عشر :مدح أثناء الهجاء.

Marfat.com

Marfat.com

تمهيد

إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان لم ينظم شعر المديح من أجل هدف دنيوى - كما سبق أن ذكرنا - فقد نظم مدح النبى - صلى الله عليه وسلم - كما نظم فى مدح بعض الشخصيات الدينية - دون انتظار لأى مقابل، وقد ترفع عن مدح الأغنياء والملوك، ولم يكن شأنه شأن أغلب معاصريه من الشعراء الذين كانوا ينظمون من أجل التكسب ولمثل هذا أشارت الدكتور إبتسام صالح الدين حين تحدثت عن الأغراض والموضوعات التى نظم فيها الشعراء المعاصرون لشاعرنا الشيخ أحمد رضا خان(١): "كان المدح هو الموضوع الأول للقصائد، خاصة ما ألقى منها فى المناسبات الخاصة بالبلاط مثل الأعياد الرسمية والاحتفال بتولى العرش، ولهذا نجد معظم المديح موجها إلى الملوك والأمراء وأصحاب المناصب العليا فى الدولة، وقليل منه موجه إلى الشخصيات الدينية، وقد حظى الملوك والأمراء، بمعظم المدح فى النصف الأول من القرن التاسع عشر".

ولم يكن مدح شاعرنا للشخصيات الدينية إلا لتقواهم وتقربهم إلى الله تعالى، فقد مدح الشخصيات الدينية من الأسلاف ومن المعاصرين له قاصدا بذلك التقرب - ببركتهم - إلى الله تعالى، وهنا تتجلى رغبة شاعرنا فى الاقتفاء بآثار هذه الشخصيات الدينية الذين قاموا بمهمة إرشاد الخلق إلى الخالق وأذاقوا البشرية حلاوة الحب الإلهى والحب النبوى مما يساعد على تمكنه من قلوبهم.

(١) الشعر الأردى منذ نشأته حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى، الدكتور ابتسام صالح الدين ص ٢١٣، ٢١٤ (ط: القاهرة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م).

Marfat.com

فالننقتل الآن إلى ما نظمه شاعرنا فى مدح الأولياء الصالحين و علماء الدين الحنيف عبر العصور المختلفة، وقد رتبت هذه المدائح حسب ترتيب الأسماء أبجديا، و هذا المبحث الذى نحن بصدده يتكون من تمهيد وأحد عشر مطلبا، ويحتوى على أربعة عشر و ثلاثمائة بيت.

Marfat.com

المطلب الأول

مدحه لمولانا السيد أبو الحسين أحمد النورى[١]

نظم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان ستة عشر بيتا من بحر الكامل فى مدح مولانا السيد أبو الحسين أحمد النورى، وكذلك فى الثناء على تأليفه المسمى "العسل المصفى فى عقايد أرباب [المراد بها الأحباب والأصحاب جريا على كثرة استعمالها عندنا بهذا المعنى] سنة المصطفى" وقد استخرج فى آخر القصيدة تاريخ عام الانتهاء من تصنيف وطبع هذه الرسالة، وبدأ أبياته بخطاب صاحبيه وذلك على غرار شعراء العصر الجاهلى فمدح مدينة ممدوحه وهى "مارهرة" ومما تجدر الاشارة إليه أن شاعرنا أحب هذه المدينة لكونها موطنا لمرشده مولانا السيد آل رسول المارهروى وكذلك لحفيده مولانا الشريف أبى الحسين أحمد النورى، وفى هذه المدينة قام الممدوح - بعد وفاة جده - بإرشاد الخلق إلى الخالق وتربيتهم بالتربية الروحية الإسلامية، وقد نال شاعرنا فى هذه المدينة تربية روحية بالغة منه مبلغ الإقبال على الدين وحبه والتفانى فى سبيله، وأداء شعائره على خير منهج وذلك من الشريف آل رسول المارهروى والشريف أبى الحسين أحمد النورى، ففى هذا يقول شاعرنا[٢]:

"يا صاحبى قفا لما يعنينا ... واد شممنا منه نفحة سينا

أنست من مارهرة نارا على ... طور أشا طورا به يهدينا

فعزمت فى ممشاى هذا أننى ... ما لم أنلها لن أذوق هدونا

---

(١) سبق أن ذكرنا ترجمته فى الفصل الثانى من الباب الأول.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٦٠-١٦١.

Marfat.com

امضى على سننى و لا أصغى إلـى قول من الأغوال و المردينـا
سيرا معـى أو لا فلسـت براجـع إنى لفى شـان أراه يقينـا
طوبى لابناء السـبيل إذ اهتـدوا ومشوا لهذا النور منقادينـا"

وبعد هذا التمهيد الموجز يمدح شاعرنا ممدوحه بالضوء الذى نشره فى أرجاء الهند. وبالطبع هذا الضوء يشع من نور الهداية ليستقبل القادم، ونور الهدايـة هـو الذى أشار إليه فيما بعد، فبكل تأكيد أن نور الهداية وشعاعه قد استطاعا أن يلـهم الشاعر مدح ممدوحه هذا، ثم يمدحه بنور الهداية الذى أضاء به الأطراف، ولم يكن النور سطحيا بل تعمق فى داخله فأوجد التقوى، وما أعظمها إذا كانت متربية علـى هذا النور، وكذلك يمدحه بنسبه الممتد إلى سيدنا الحسين - رضى الله عنه - الـذى رضى البلاء فى ميدان كربلاء ففى هذا يقول(١):

اكرم بنار ضوؤها يجلو الدجـى من احمد النورى جـاء مبينـا
نور الهدى بحر التقى بدر النقـى اضحى له حفـظ الإلـه معينـا
من ال من رضى البلا فى كربـلا من اهل من خلق الحسين حسـينا

وبالطبع نلاحظ الجناس التام بين الكلمة وجزء منها وهو فى قوله: "من آل من رضى البلا فى كربلا" ولم يكن الشعاع ونور الهداية وتقوى الممدوح بالأمر الكافى للمدح بل عرض شاعرنا لعقل ممدوحه وفكره ونتاج قريحته ونعنى بذلـك مؤلفـا لممدوحه. فقال يا قوم هذا هو حق وسبب نجاة إن عملتم به، وفى هذا يقول(٢):

ياقوم هذا الحـق هـذا المنتقـى هذا النجاة إن اتخذتم دينـا
عسل مصفى بـاليقين فلـم يـذر بذواقه ظنـا و لا تخمينـا

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان . ص ١٦١.
(٢) المرجع السابق. ص ١٦١

Marfat.com

تعسا لمن اهوى إلى مهوى الـهوى ... وراى بدين السنة المفتونـا
لم يـات شـئ للصـواب بديـلا ... ما كان حق بالجدال قمينـا
فعليك يـا هـذا بجمـع اوقـدوا ... مصباح دين الله فى نادينـا

وفى نهاية المدح يخاطب شاعرنا نفسه قائلا: يا رضا لك أسوة فـى الذيـن أوقدوا مصباح دين الله فى مدينة مارهرة فلا تتبع غيرهم مـن المبتدعيـن، وفـى الشطرة الثانية من البيت الأخير استخرج شاعرنا تاريخ عام جمع وتأليف وطبع تلك الرسالة التى ألفها ممدوحه فى بيان العقائد الصحيحة المستمدة من السـنة النبويـة، ففى هذا يقول شاعرنا(١):

"لك اسوة فيهم فلذ بجنابـهم ... لا تتبع مـن غـيرهم مجنونـا
قال الرضا ارخ رسالة سيدى ... هذا هو الحق الصريـح مبينـا"

وهكذا توجه شاعرنا بالمدح إلى مولانا الشريف أبو الحسين أحمد النـورى، كما أثنى على تأليفه "العسل المصفى" وقد أقدم على مدح الممدوح نفسـه وتأليفـه الآخر، ولما كان المدح للتأليف أكثر جعلت اسمه فى العنوان، ولازال شاعرنا يمدح مولانا الشريف أبا الحسين أحمد النورى، وإن شئت فقل: يمـدح تـأليف مولانـا الشريف ابى الحسين أحمد النورى، فلنستمع إليه وهو يقول، وقبل أن نستمع نمـهد السبيل، ولننظر كيف كان المدح لهذا التأليف قبل أن نسمع صوت شاعرنا.

---

(١) المرجع السابق. ص ١٦١

Marfat.com

فى تاريخ جمع وتأليف وطبع رسالة
"سراج العوارف فى الوصايا والمعارف"

أقدم شاعرنا على التاريخ لعام جمع وتأليف وطبع رسالة "العسل المصفى فى عقائد أرباب سنة المصطفى" وخلال هذا التاريخ مدح مؤلف هذا الكتاب وهو مولانا الشريف أبو الحسين أحمد النورى - كما أسلفنا - وتعد هذه المرة الثانية التى يقدم فيها شاعرنا على مدحه، فقد أورد مدحه فى قيامه بتاريخ عام جمع وتأليف وطبع رسالة "سراج العوارف فى الوصايا والمعارف" وعن عدد الأبيات التى نظمها شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فى الغرض المذكور آنفا يقول مرتب ومحقق بساتين الغفران[1]: ذكر الدكتور حامد على خان أن الشيخ أحمد رضا خان نظم أحد عشر بيتا ضمن تقريظ كتبه لكتاب "سراج العوارف فى الوصايا والمعارف" إلا أنه لم يورد منها إلا ستة أبيات وهى التى أوردتها بالمتن [فى ديوان بساتين الغفران] وقمت بالبحث عن هذا الكتاب فى طبعته القديمة إلا أننى لم اتمكن من العثور على نسخة منه، وقد تمكنت من العثور على نسخة من هذا الكتاب فى طبعته الجديدة، والذى قام بترجمته إلى الأردية الدكتور سيد محمد أمين مدرس بقسم اللغة الأردية بكلية سينت جانسن بمدنية آجره والتى صدرت منها الطبعة الثانية عام ثمانية وأربعمائة وألف للهجرة الموافق للعام ثمانية وثمانين بعد تسعمائة وألف للميلاد. وذلك من ضياء الدين ببلى كيشنز بمدينة كراتشى، وعند تصفحى لهذه النسخة لم أجد فيها الأشعار التى أوردتها بالمتن، ولا باقى هذه الأشعار أى خمسة أبيات أخرى".

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان . ص ١٩٥.

Marfat.com

مدح شاعرنا ممدوحه بطريقة لا ينصب فيها المدح على الشخصية مباشرة فقد مدح ذلك المؤلف، ومدح المؤلف للجهد العلمى مدح للعلم و العقل، ومدح العقل مدح لجزء من الإنسان، إن لم يكن للإنسان كله. فالإنسان هو العقل و الفكر. و غير ذلك ينبع من العقل أيضا. مثل كريم الصفات و الإذعان و الانقياد للدين، إلى غير ذلك مما يمدح العاقل به. ومهما يكن من أمر، فإننا نجد شاعرنا فى الأبيات الستة التى نظمها من بحر المتقارب يستهلها بالاشارة إلى التتلمذ على يد مولانا أبى الحسين أحمد النورى من طريق ايراد لفظ "سيدى"، نقوم بدراسة هذه الأبيات الستة التى بين أيدينا فضلا عن فقداننا أبياتا خمسة، فالإحصاء الذى سوف أقوم به إنما هو إحصاء لنصف القطعة تقريبا لأنها ستة أبيات من أحد عشر بيتا، هذا الإحصاء الذى أريد أن أعمله أركز فيه جهدى على "النور" "المعرفة" "المصطفى" "كلامك" فإننى أجد الشيخ أحمد رضا خان أنه وصف ممدوحه بصفات ما أحسنها لو اجتمعت لعالم من العلماء، فهنا الوصف المفضل لدى أهل العلم جميعا، نور ومعرفة وسراج ومصفى وبعد عن الزيغ، هذا مدح ظاهره أنه يقضى حقا عليه لكنه ملئ بالشاعرية وشاعريته تأتى من هذا الإحصاء البسيط الذى أجرى هذه الأبيات، أبيات ستة ذكر فيها كلمة النور مرتين، وذكر فيها المصفى، وذكر فيها بعد الممدوح عن الزيغ وذكر فيها المعرفة التى صاغ منها اسم التفضيل على النحو الذى ذكرناه، وإضافة النور إلى المعرفة تفيد ما تفيد من عظمة المعنى، يشرف هذا كله بأن يقول "كلامك" يعنى علمك وإنتاجك، وما يجود به عقلك، وما يخرجه قلمك. فهذه هى الأوصاف التى مدح بها شاعرنا ممدوحه تتجلى منها مدى ما كان له من أسلوب خلاب جذاب مؤثر فلنسمع إليه حيث يقول(١):

أنا سيدى يابن عز غطارف ... ويا أحمد النور نور الأعارف

---

(١) .بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٩٥.

Marfat.com

كلامك نور بـــهاء السلاســـل وشهد مصفى عن الزيغ صارف

وتحقيق ترويح كشف القلـوب دليل اليقين ســـراج العــوارف

فى مستهل هذه الأبيات أشار شاعرنا إلى التتلمذ على يد مولانا أبى الحســـين أحمد النورى، كما وصفه بالأوصاف المذكورة آنفا، وإنه فى بداية هذه الأبيات جاء بكلمة "الأعارف" والظاهر من هذه الكلمة أنها جاءت للقافية ولكننـــى لا أرى هــذا الظاهر بل إذا نظرت إليها وجدتها كلمة ذات مدلول أعمق من أن تكون قد حبئ بها للوزن، لأن كلمة معارف كان الممكن أن تحل محلها لتغطية الوزن، إلا أنها اضاف النور إلى الأعارف، والأعارف كلمة تفيد الجمع ومفردها أعرف، وهو بذلك جمــع اسم التفضيل كأنه أثبت إليه المعرفة ثم فضله وقال أعرف، ثم جمع فقال أعــارف، وأضاف إليها كلمة النور، وبالتالى وصفه بوصف ما أحسن أن يوصف به أهل العلم وقلما يوصف به أهل العلم، والاشتقاق بهذه الطريقة مبتكر، ووجه الابتكار إضافــة اسم التفضيل المجموع إلى كلمة "النور" وهو مما لم نجده عند غيره، وهــو مــدح ولكنه لا ينصب إلا على العلم، وأفضل أنواع المدح هو تلك الصفات وتلك الألــوان التى تكون بسبب، وهنا السبب العلم. وبعد ذلك نراه يقدم على تشبيه تأليف ممدوحه بالسراج الذى يتجلى نوره فى الظلام، وهكذا تأليفه الثانى الذى أنار الطريق أمــام السالكين ليلا ونهارا، بل يضيف إلى هذا القول بأن السراج - أى الكتاب المؤلف - ليس سراجا عاديا، بل هو سراج وهاج، وكأنه الشمس فى ضوئها، وإن هذا الضوء لا يغيب ليل نهار. فيقول فى هذا الشأن[1]:

ولا غرو أن جاء منك ســراج فإنك نــورى نــادى المعــارف

أرانا سراجك بــالليل شمســا وشمس بليل عجيــب وطــارف

فهل مثله فى تليد وطـــارف واين فـــاين تــراه الطــوارف

---

(١) بستين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٩٥.

Marfat.com

نلاحظ الكناية فى كلمة "الليل" و"سراج"، فقد وصف شاعرنا علـــم ممدوحـــه بأنـــه سراج، وذكر كلمة الليل كناية عن حالة مسلمى الهند وحاجتهم إلى من يبصرهـــم بـــأمور دينهم ودنياهم، وإضافة السراج إلى الليل تدل على الأثر الذى تركه علم ممدوحه هذا، ولـــم يشأ شاعرنا أن يترك هذا الأثر دون وضوح فوضحه بقوله "شمس" وأما نســـبة الممـــدوح إلى النور فيستغل شاعرنا اسم ممدوحه، وإنه أتى بهذه النسبة ليوجد علاقـــة بيـــن الأثـــر والوصف وبين النسب.

هكذا قام شاعرنا بمدح الشيخ أبى الحسين احمد النورى - أستاذه ومرشـــده - فـــى منظومتين، وبالتالى جملة ما نظمه يتمثل فى إثنين وعشرين بيتا دون أن ندخل فى حســـابنا الأبيات المفتقدة لو وجدناها لأصبحت سبعا وعشرين بيتا، على أننى ســـأحاول أن أبحـــث عن الأبيات الخمسة المفتقدة والتى بالطبع ستتضمن التاريخ، ويتجلى لنا مدى حبـــه لهـــذا الشيخ واحترامه إياه كما وجدناه عند مدح كل معاصريه من أهل السنة والجماعـــة الذيـــن تحدث عنهم.

Marfat.com

المطلب الثانى

مدحه لمولانا السيد إسماعيلَ بن خليل وأخيه وأبيه

مدح شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان مولانا السيد إسماعيل بن خليل - وأخا مولانا السيد مصطفى خليل، وكذلك والدهما السيد خليل آفندى وقد استخدم شاعرنا - فيما نظم - الأسماء المذكورة آنفا بأسلوب يستقيم المعنى والوزن الشعرى معا وقد نظم شاعرنا هذه المقطوعة من بحر الكامل - خلال إقامته بمكة - ضمن رسالة أرسلها إلى مولانا السيد إسماعيل وأخيه مولانا السيد مصطفى خليل، وفى هذه الرسالة أجازهما شاعرنا المحدث الفقيه ومنحهما إجازات الحديث وسائر مروياته من قديم وحديث وقد أرسل هذا الخطاب فى التاسع عشر من شهر شوال من عام ألف وثلاثمائة وستة وعشرين للهجرة[١] يقول شاعرنا فى مدح هذه الشخصيات الثلاثة مستهلا بمدح مولانا السيد خليل آفندى المكى[٢]:

الله أرسل للخلال خليلا ... سد الخلال ولم يخل خليلا

منحت بنوه خلال خير طبقة ... عن طبقة وتعم جيلا جيلا

ياعز بيت جاء فيه المصطفى ... للمصطفى العز الجليل انيلا

خلت القرون وماخلا ذا البيت من ... لطف الإله ولن يرى تحويلا

يمن الخليل مع الحبيب توافقا ... ليديمه الرب الجليل جليلا

---

(١) رسائل رضوية. للشيخ أحمد رضا خان، جـ ٢، ص ٢٩٠.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٦٣.

Marfat.com

إذا كانت الأبيات الثلاثة – فى مدح مولانا صالح كمال مكى – قد استوقفتنى بعاطفتها الفياضة وشاعريتها التى خلت من التكلف، وروعتها التى أثرت فى الممدوح قبل أن تؤثر فى القارئ فكيف بهذه الأبيات الخمسة التى صاغها مدحا لأخوين عالمين جليلين وأبيهما ولعل الشاعر كان يعرف التسلسل الأسرى ولم لا والأصول تدل على الفروع، وهو فى هذه الأبيات الخمسة يستعرض ثروته العربية من معرفة باللغة والصياغة الشعرية والمحسنات البديعية من جناس وتورية حتى أن البيت الثالث فيه التورية ما يجعله – حلو العبارة لطيف الصياغة، ولو استغنينا عن التورية وأردنا باللفظ معناه القريب لزادت حلاوة البيت أيضا، وذلك لأن الكلام والمدح سينصرف إلى الحبيب المصطفى – عليه الصلاة والسلام – وثمة رابطة قوية تجمع بين النبى – صلى الله عليه وسلم – والعلماء الأتقياء وأهل الفضل، فهو – صلى الله عليه وسلم – إمام لهؤلاء جميعا، ولنا الفخر كل الفخر بأن يكون أعظم الخلق إماما لنا، علما، وتقوى، وفضلا، وغير ذلك من خلال الخير، وبالتالى لا بأس من أن يراد بالبيت الثالث المعنى القريب.

Marfat.com

المطلب الثالث

مدحه لمولانا صالح كمال المكى[١]

سافر شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان إلى أرض الحرمين الشـــريفين للمـــرة الثانية فى العام الثالث و العشرين من القرن الرابع عشر الهجرى الموافـــق للعـــام الخامس من القرن العشرين الميلادى، وخلال زيارته تلك نـــال شـــاعرنا إجـــازة الحديث و الفقه من ثلاثة أجلاء من علماء مكه[٢] على حين أقبل عليه لفيـــف مـــن علماء الحرمين الشريفين يستجيزونه فى رواية الحديث، و الفقه، فأجـــازهم، وكـــان على رأس هذا اللفيف مولانا الشيخ صالح كمال المكـــى، فعندمـــا كتـــب شـــاعرنا المحدث الفقيه إجازة الحديث و الفقه لمولانا صالح كمال كتب ضمنها بعض الأبيـات من بحر الكامل فى مدح مولانا الشيخ صالح كمال حبا وتقديرا له، وفى هذا يقـــول مرتب الديوان ومحققه الأستاذ حازم محمد المحفوظ[٣]: لما سافر الشيخ أحمد رضا خان للحج و الزيارة مرة ثانية أتاه زائرا أجل العلماء الكرام مولانا الشـــيخ صـــالح كمال المكى مع بعض آخرين من بيت دحلان، بيت الفضل و الكمال، فسألوه إجـــازة الحديث وسائر مروياته من قديم وحديث فكتب لهم نسخة الإجازة وسماها "الإجـــازة الرضوية لمبجل مكة البهية".

(١) سبق أن ذكرت ترجمته فى الفصل الثالث من الباب الاول.
(٢) وقد أشرنا الى هذا فى الفصل الثانى من الباب الأول لهذا البحث.
(٣) انظر: بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص ١٩٣.

Marfat.com

نظم شاعرنا بعض الأبيات ضمن هذه الإجازة التى قدمها إلى مولانا الشيخ صالح كمال أورد فيها شاعرنا اسم ممدوحه على سبيل التوريه، وقبل أن نسمع صوته نقرأ كيف مهد لهذا الصوت قبل أن يخرج، فنجده يقول مخاطبا ممدوحه(١): "أما بعد فاسمع ياسعد، جعلنى الله و اياك و أحبابنا ممن رزق السعد، وسبق له من ربه حسن الوعد، قبل خلق السماء وصوت الرعد، ونصر فى الدين أوفر من عدة كل ذى وفرة. وذات جعدو خذل عداى وعداك، من عدا منهم ومن لم يعد وهو يريد العدوان من بعد. ياحسنة الزمان، وبركة الأوان، ياطيب الوجود، وطيب الجود، من وجهه أنضر من روض مجود، وفيضه أجود من جود يجود، أمجيد المجيد الجيد الجائد، مردى الأمارد، مجدى الأماجد، ياصالح الأفعال، وصديق الأقوال، ياأبا الأفضال و ابن الكمال، ألا ياسامعين هل عرفتم الإسم؟ و إن لم تعرفوا فهذا نظم خذوا منه رؤس الشطور تنبئ باسم مبين نور":

صلحت قلوب العارفين فاصلحت اعضاءهم فى طاعة المفضال

لا غرو إن بحسن احوال الملك حسنا لملك الملك فى الاحوال

ونجد شاعرنا بعد ذلك يورد صفة تميز الشيخ صالح كمال من بعض علماء الدين الذين لا يتجاوزون حدود القول، ثم يتوجه شاعرنا إلى نفسه بالنصيحة قائلا: إن أصحاب العلم قليلون فالزم الشيخ صالح كمال المتصف بالعلم و العمل، فيقول فى هذا الشأن(٢):

"كم عالم فى عالم الدنيا بدا ما علمه إلا شقاشق قال

العلم قل وبعد فيه تكثر لكن عليك بصالح لكمال"

---

(١) رسائل رضوية، للشيخ أحمد رضا خان ، جـ ٢، ص ٢٨٢.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ احمد رضا خان ، ص ١٩٧.

Marfat.com

نلاحظ الجناس غير التام بين كلمتى "عالم" و"عالم"، كما نجد هنا التورية، وذلك عند قوله "صالح لكمال" فإن شاعرنا لم يقصد الصفة فقط من كلمة "صالح وكمال" بل قصد العلم أيضا.

هذا وقد نظم شاعرنا ثلاثة أبيات أخرى من بحر الطويل. وقد أدرج بها ضمن الإجازة وأشار فيها إلى فترة استأنس فيها بصحبة الشيخ صالح كمال خلال إقامته بمكة المكرمة، ويرى شاعرنا فيما نظم أن فترة وصل الحبيب مضت بسرعة وكأنها كانت فترة قصيرة، ثم يتحدث شاعرنا فى تواضع شديد فيبين أنه ناقص أمام هذا الشيخ الكامل، ويقصد الشيخ صالح كمال ومع هذا يرجو شاعرنا أن يجمعه الله تعالى مع ممدوحه هذا فى الجنة، ثم يشير إلى أنه سمع هاتفا غيبيا يخبره بأن أمله هذا سوف يتحقق، ومهد شاعرنا لأبياته الثلاثة هذه قائلا(١): يا أهل مكة والبلدة المباركة ألم تعلموا من هذا الذى سميت؟ وهذا الخطاب لمن نميت؟ أليس إمامكم والقائد أمامكم؟ علم العلماء الأعلام، المشتهر كالركن بالبلد الحرام، أليس هذا الأبيض أقدم وأسود، ومستلم اليد كالركن الأسود، سيد مسود، جيد مجود، ألا فاعرفوا الحق من الأباطيل، وميزوا الصدق من الخزعبيل، فرب أحمق سفيه يقال له فقيه، ففيه ما فيه، ورب شعب أو شعيب من شعاب الضلال يدعى جبل الفضائل والأفضال. هذا وحب حبى قد حبى قلبى قبل أن ألقاه، وأحيى محياه، بفضل الله طار إلى الهند رياه، فلما تواجهنا توافقنا وتصادقنا بل تعاشقنا فإن **الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**"(٢) بل صار كنفس واحدة، وهو الذى نصرنى ووقانى قبل أن يلقانى، وبغيب رعانى وبعد ما رآنى، وذلك لأنه محب السنن [للحبيب المصطفى - عليه الصلاة والسلام] وناصر أصحابها [أى أهل

---

(١) انظر: رسائل رضوية، للشيخ أحمد رضا خان ، جـ ٢، ص ٢٨٤.

(٢) صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى، ج ٢، ص ٢٠٧.

Marfat.com

السنة والجماعة] فجزاه الله عنى وعن الدين كل خير، وحمى حماه عن كل ضـــر وضير، ولقاه سرورا، ووقاه شرورا، آمين، يا من كان عزيزا غفورا، ولقد طال بنا المجالس، وحصل بها انس آنس، فتذاكرنا العلوم، وتحاورنا الفهوم، فرأت الأعيـــان ووعت الآذان فوق ما كان فى تصور الأذهان، فمازاد أحد منا طول الجلـــوس إلا لوعة فى القلوب وشوقا فى النفوس، وأنشدنى لسانى ما أنشأه جنانى.

"فياليتها طالت ولكن مضى قضـا بان مدى وصل الحبيـــب قصـــير

وكيف وذا نجل الكمـــال وإننـــى اخو النقص حظى فى الكمال يسـير

وأرجو لقاء دار الهنا وكان قـــد قد اسعد بختى هـــاتف ســيصير"

ومما تجدر الاشارة إليه أن من يطالع البيت الأول ولـــم يطلـــع علـــى المناسبة التى أنشد من أجلها هذا البيت، يعتقد أنه فى الغزل العذرى، وهذا مـــا لـــم يقصده شاعرنا، فهذه الأبيات فى مدح عالم ورجل دينى كبير، - كما أشـــار إليـــه شاعرنا أيضا - وهذا إن دل على شئ فلا يدل إلا على صـــدق العاطفـــة والحـــب المتدفق فى قلب شاعرنا نحو ممدوحه هذا.

هذا وقد نظم شاعرنا بيتين آخرين من بحر الطويل فى مدح الشـــيخ صـــالح كمال، يمدحه فيهما قائلا: إن عين الرضى كليلة عن رؤية كل عيب فى الحبيبـــب، فتحسب مثلى صالحا للكمال، ويقول شاعرنا - تواضعا - لست أهلا للكمال، كمـــا بدى لعين الرضى، وأرى أنه يقصد من هذه العين عين ممدوحه الذى أثنى على علم شاعرنا كثيرا[1] فقد استأنس بقول الشاعر عبد الله بن معاوية ونظم بيتين فى مـــدح الشيخ صالح كمال، وقد مهد لهذين البيتين قائلا[2]: "فيا من من منه علينا بهذا اللقيا، كلما روينا وظمينا، فزدنا السقيا، واجمع بيننا يا قريـــب المجيـــب، علـــى حـــوض الحبيب، وفى دار التقريب، - صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وصحبه وبارك

---

(١) انظر تقريظا للشيخ صالح بن كمال المكى على "حسام الحرمين على منحر الكفر والمين"، للشـــيخ أحمد رضا خان، (ط: ليتهو يريس كانبور ١٣٧٩هـــ)، ص ١١٦، ١١٧.

(٢) رسائل رضوية، للشيخ أحمد رضا خان ، ج ٢، ص ٢٨٦.

Marfat.com

وكرم، سبحان الله مالى غبت غبا أن خاطبت، ولذة الخطاب بغية الأحباب، نعم يـــا عالم العلام، يا علامة، يا من علمه بعلم غنى عن علامة، فعلام تطلب علامـــة؟ - رفعك الله - كم تتواضع، هذا مسكك فائح، أمثلى يوازيك، بل هل يدانيك، فتسأل منه إجازة الحديث، وسائر مروياتى ومحوياتى من قديم وحديث، نعم فهمت الأمـــر أن اسمى رضا وصرت عينى، فانت عين الرضا" وبعد هذا يستأنس شاعرنا بقول عبد الله بن معاوية(١) فيقول(٢):

"وعين الرضا عن كل عيب كليلـــة فتحسب مثلى صالحـــا لكمـــال

وما بى صلاح للكمال كمـــا لـــها كما لا قذى فى صالح بن كمال"

يذكر شاعرنا أن ممدوحه ظنه مثله لذلك المراد من "عين الرضا" نظرة مولانا الشيخ صالح كمال، وقد أورد شاعرنا اسم الشيخ صالح واسم الشيخ كمـــال المكـــى على سبيل التوريه، ونلاحظ الجناس غير التام فى هذين البيتين.

وهكذا يكون شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان قد انتهى من مدح تلميـــذه بـــهذه الأبيات التسعة التى حشد فيها ألوانا من البديع كعادته، حقا هو يتحدث عن تلميـــذه ولكنه يحبه ويقدره حب الأستاذ لتلامذته النجباء، ولولا أنه رأى منه إقبالا على العلم

---

(١) وعين الرضا عن كل عيب كليلـــة وعين السخط تبـــدى لـــك المســـاويا

وأنت أخى مالم تكن لـــى حاجـــة فـــإن عرضـــت فـــإنى لا أخاليـــــا

الشعر لعبد الله بن معاوية بن عبد الله الجعفرى، يقول للحسين بن عبـــد الله بـــن عبيـــد الله بـــن العباس. هكذا ذكر مصعب الزبيرى، وذكر مورج فيما أخبرنا به اليزيدى عن عمه ابـــى جعفـــر عن مورج - وهو الصحيح - أن عبد الله بن معاوية قال هذا الشعر فى صديق له يقال له قصـــى بن ذكوان. وكان قد عتب عليه، وأول الشعر:

رأيت قصيـــا كـــان شـــينا ملففـــا فكشفه التمحيـــص حتـــى بـــدا ليـــا

فلا زاد ما بينـــى وبينـــك بعدمـــا بلوتـــك فـــى الحاجـــات إلا تنائيـــــا

انظر: كتاب الأغانى. للإمام أبى الفرج الأصفهانى (ط: مطبعة التقدم بشارع محمد على بمصـر)، جـ ١١، ص ٦٣.

(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٩٧.

Marfat.com

ونجابة فيه ما قدره بهذا التقدير، إن شاعرنا يرى أن الشيخ صالح كمال المكى يعلى قدره حيث يظن المثلية قائمة بينهما، ولكن شاعرنا يرى نفسه أقل من هذا الممدوح، أى حب هذا يجمع بين الأستاذ وتلميذه على هذا النحو، وإنه حب الدين والعلم به والإسهام فى نشره، وازدهار ثقافته فى مختلف علومه من فقه وحديث وغير ذلك مما منح فيه شاعرنا تلميذه النجيب صالح بن كمال، على أن لشاعرنا أبياتا أخرى يمدح فيها هذا التلميذ النجيب.

كان شاعرنا خلال إقامته بمكة يقوم بزيارة أربعة من علمائها على رأسهم مولانا الشيخ صالح كمال المكى، وكانوا يأتونه يوميا، وقد مرض شاعرنا فى شهر محرم فكان يعوده مولانا صالح كمال مرتين فى بعض الأيام، ولكنه ذات مرة لم يتمكن من القدوم إلى شاعرنا مدة يومين، ولما اشتد شوق شاعرنا إلى زيارة هذا العالم الجليل نظم ثلاثة أبيات من بحر البسيط عفو الخاطر وأرسلها إليه ضمن رسالة، وعندما وصلت هذه الرسالة إلى الشيخ كمال جاء من فوره لزيارة شاعرنا، وبعد ذلك عاد ليزوره كل يوم[١] والأبيات التى قالها فى هذا الصدد هى كالآتى[٢]:

"هذان يومان ما فزنا بطلعتكم ... ولو قدرنا جعلنا الراس قدما

قالوا لقاء الخليل للعليل شفاء ... الا تحبون أن تبروا لنا سقما

عودتمونا طلوع الشمس كل ضحى ... وهل سمعتم كريما يقطع الكرما"

وفى الأبيات نلحظ أن الشاعر يفصح عن شوقه إلى ممدوحه وشاعرنا إن كان قد صاغ مدحه فى ثلاثة أبيات فقط إلا أنه كان لين العبارة لطيف الأسلوب، لذلك استطاع أن يؤثر فينا وأحسبه يؤثر فى قارئيه أيضا وقد عرضت لهذه الأبيات مع قلتها لأبين اتجاهه وكيف كان انفعاله ومدى يقظة العاطفة الشعرية عنده، وبالتالى الرجل يمدح الشخصيات فيما عدا حبيبنا - صلى الله عليه وسلم - يمدحهم بما مدح الله به متأسيا بقوله عز وجل[٣]: {**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**} وهكذا تكون التقوى

---

(١) انظر: تذكرة خلفاء اعلى حضرت، للدكتور مجيد الله القادرى / والأستاذ محمد صادق القصورى، ص ٣٧، ٣٨.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص ١٥٩.

(٣) سورة الحجرات ٤٩/١٣.

Marfat.com

والورع والاشتغال بالعلم ومجالسة العلماء والود بينهم أمورا تحرك عاطفة شاعرنا فتملى عليه المدح فى مكانه، وأردت كذلك أن أبين كيف أن اليومين قد تركا أثرا دفعه إلى التعبير بالشعر وذلك شأن العواطف المتوقدة عند الشعراء حين يهيجها ويشعلها حنين أيما حنين من أى مصدر كان.

وما أحسن الشاعر إذا أراد من ممدوحه أمرا وقد يظن أن ذلك الأمر مال أو عطية أو غير ذلك، ولكن النوال عند شاعرنا مطمعه فى ممدوحه ينحصر فى شئ يقتنع الشاعر به، وقد جربه وعرف أن فيه خيرة، إنها تلك الزيارة التى حرم منها وهو يرى أن فيها الشفاء، واستدر عاطفة الممدوح بهذا الأسلوب من أساليب الاستفهام وهو قوله: "ألا تحبون أن تبروا لنا سقما" وما أحلي هذه العاطفة ربما كانت بين المحبوبين ولكنها هنا بين أهل العلم والفضل يعبر بها عالم شاعر يستقيها من نفس ملتاعة، وسب التياعها حرمانها من زيارة هذا العالم الجليل.

وكم كان الشاعر لطيف التعبير وحلو البيان حين شبه الممدوح وزيارته بأنها الشمس التى تطالعه كل ضحى ولا شك أننا حين نقرأ هذا التشبيه يتبادر إلى ذهننا الدفء والإضاءة، وبالتالى الراحة والهداية التى نفيدها من الشمس، ولو علم شاعرنا كوكبا لأشار إليه، ولكنه شبه بأكبر الكواكب فى هذا الدفء، والإضاءة، سبحان الله، وقد كنت أنتظر من الشاعر أن يشير إلى تكرار الزيارة التى ربما وقعت من الممدوح، وكم كنت أود أن تكون تلك الشمس التى تطالعه كل ضحى تلقاه فى وقت آخر لعله اكتفى بالضحى لأنه مظنة طلوعها.

وكم كان الشاعر لطيفا حين أشار إلى زيارة الممدوح بأنه كرم منه، وبين له أنه لا ينبغى أن ينقطع الكرم، وليس هذا بمحتمل عمن يفيد من الكرم، ولا أدل على ذلك من بيته الثالث. وهكذا يبلغ عدد أبيات الشيخ أحمد رضا خان - فى مدح مولانا صالح كمال المكى - إثنى عشر بيتا.

Marfat.com

المطلب الرابع

مدحه لمولانا عبد القادر البدايونى[١]

مدح شاعرنا شخصية دينية أخرى، هى شخصية مولانا عبد القادر البدايونى، وذلك فى نونيته من البيت رقم إثنين وثلاثين بعد المائة إلى البيت رقم ستة وأربعين بعد المائة[٢] ولقد تسلسل الشاعر فى مدحه مقتديا بالتاريخ فكما بدأ جده من ناحية الوجود ثم تلا ذلك أبوه ثم الممدوح الذى معنا ونحن بصدد الحديث عنه انتهج الشاعر نفس المنهج فبدأ بمدح مولانا عبد المجيد البدايونى[٣] ثم ثنى بابنه مولانا فضل الرسول البدايونى[٤] ثم أتى بعد ذلك بابنه مولانا عبد القادر البدايونى، وقد استغرق فى مدحه خمسة عشر بيتا كان عرضه فيها على النحو الآتى، بدأ مدحه له ببيان مكانته العلمية ومدى شهرته الواسعة فيقول شاعرنا بعدما خاطب نفسه ناصحا

(١) هو العالم الفقيه الشيخ عبد القادر البدايونى بن مولانا فضل الرسول البدايونى. حد العلماء المشهورين فى بلاد الهند من ذرية عثمان بن عفان - رضى الله عنه - ولد ببلدة بدايون سنة ١٢٥٣ للهجرة ونشأ بها وقرأ العلم على الشيخ نور أحمد البدايونى، والعلامة فضل حق الخير ابادى، وأدى فريضة الحج ثم درس فى مكة الحديث على الشيخ جمال عمر المكى ثم رجع إلى الهند. وكان على جانب من العلم والمعرفة، وقد ألف عدة كتب، توفى إلى رحمة الله فى سنة ١٣١٩ للهجرة.

انظر: علماء العرب فى شبه القارة، للشيخ يونس الشيخ ابراهيم السامرائى، ص ٧٩٨.

وانظر: نزهة الخواطر، للشيخ عبد الحى اللكنوى، جـ ٨، ص ٢٧٦.

وانظر: تذكرة علماء أهل سنت، لمولانا محمود أحمد القادرى، ص ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧.

(٢) اشرنا إلى بيانات القصيدة فى الفصل الثانى من الباب الأول.

(٣) سوف نذكر ترجمته فى المطلب السادس من الفصل نفسه .

(٤) سوف نذكر ترجمته فى المطلب السابع من الفصل نفسه .

Marfat.com

بالتوجه إلى مدح من سمى باسم الشيخ عبد القادر الجيلانى، وهو مولانا عبد القادر البدايونى. يقول(١):

ثم الدعاء فارجع غيا غانما ... واقصد سمى السيد البغدادنى

العالم العلامة العلم الذى ... ذكراه فائحة بكل معان

ثم يمدح شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان ممدوحه هذا فيشبهه ببحر ماؤه ذو وصفين مختلفين. أحدهما ماء صاف وذلك لأحبابه، وآخرهما ماء مهلك، وذلك لأولى الأضغان. وهذا النوع الثانى تهيج أمواجه وتموج وتفعل بأولى الأضغان ما يجعلهم عبرة للآخرين فيقول شاعرنا متعجبا فى هذا الصدد(٢):

اعظم ببحر فيه انهار بها ... ماء له وصفان مختلفان

فهلاهل مرو لارباب الولا ... او هلهل مرد اولى الاضغان

امواجها بيض قوالب البست ... حللا ممشقة من الإثخان

هاجت وماجت والسماء تفيض والـ ... الإحبال ليس يذب عن كنعان

فعلت بهم ما فيه عبزة مثلهم ... فعلت على نجد سيول رثان

حتى تداعت للخراب ربوعه ... وبكت بواكى النجد فى الميدان

وبعد هذا الوصف يتوجه شاعرنا إلى الدعاء لممدوحه مولانا عبد القادر البدايونى. فيدعو بأن يبقيه الله بالإتقان والإيقان والإبقان(٣) وأن ينضر الله وجهه،

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان، ص ٨٠-٨١.

(٢) نفس المرجع. ص ٨١.

(٣) يقول الزبيدى موضحا معنى كلمة الإبقان: (أبقن) أهمله الجوهرى وقال ثعلب عن ابن الأعرابى (بقن) اذا اخضب جنابه، واخضرت نعاله، والنعال الأرضون الصلبة.
تاج العروس من جواهر القاموس. للإمام محب الدين محمد مرتضى الزبيدى (ط: المطبعة الخيرية. المنشأة بجمالية مصر. ١٣٠٦هـ). ج ٩. ص ١٤٣.

Marfat.com

وهنا يظهر على شاعرنا أثر الثقافة التى نالها فى مختلف العلوم الإسلامية ومنها علمه بالحديث الشريف سندا ومتنا فهو يستأنس بما علم فيأتى بلفظ التسلسل المعروف فى رواية الحديث، وبعض ألفاظه على نحو ما دعا له بأن ينضر الله وجهه مستأنسا بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى ذلك: "**نضر الله وجه امرىء سمع مقالتى فوعاها فبلغها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**"(١).

وأرى الشاعر قد استخدم مصطلحات الحديث فى مدح مولانا عبد القادر البدايونى مما يدل على مدى إلمام شاعرنا بالثقافة الدينية الممتزجة بالبراعة الشعرية فنراه يقول(٢):

فالله ربك سيدى ابقاك بالـ ... الإيقان والإتقان والإبقان
ربى ينضر وجهك الاسنى كما ... تروى حديث العلم والعرفان
غضا طريا كابرا عن كابر ... عن مالك عن نافع امان
ومسلسلا بالمجد والافضال عن ... إتقان ضبط ليس فيه توان
ما فيه تدليس ولاوهم ولا ... عيب الشذوذ ووصمة الإهان

وبعد هذا المدح الحافل بمصطلحات الحديث يقول شاعرنا يا طالب النجاة إلزم صحبة مولانا عبد القادر البدايونى حيث إنه يحميك عند الشدائد بفضل الله، كما أنه من الذين لا يشقى جليسهم، ومكارمه التى أوردتها حقة - دون ريب - وليست كما يفعل أهل النفاق ففى هذا يقول(٣):

ياباغيا لنجاتك الـزم غرزه ... يحميك عند طوارق الإيهان

---

(١) سنن ابن ماجه. للامام ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، جـ١ ص ٨٤
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٨١.
(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٨١.

Marfat.com

فالقوم لا يشقى بهم جلساؤهم والطيب حفظ فيه للندمان

تلك العلى تلك المكارم حقة لاما ادعته عشيرة الإدهان

وبهذه النصيحة أتم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان مدح مولانا عبد القادر البدايونى، الذى أحبه لتقواه وورعه ولكونه سميا للشيخ عبد القادر الجيلانى ومتربيا بالتربية الإسلامية على يد والده مولانا فضل الرسول البدايونى، هذه هى الأمور الثلاثة التى حركت عواطف وأحاسيس شاعرنا فنظم ما أوردناه من أبيات هذه القصيدة.

Marfat.com

المطلب الخامس

مدحه للشيخ عبد القادر الجيلانى(١)

إن الشيخ عبد القادر الجيلانى من أكبر الشخصيات الدينية التى اهتم شـــاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بمدحها، تعد شخصية الشيخ عبد القادر الجيلانى - مؤســـس

---

(١) ولد الإمام العارف بالله الشيخ عبد القادر الجيلانى بمنتصف شهر شـــعبان ســـنة إحـــدى وسبعين وأربعمائة بجيلان - وهى مجموعة من القرى الفارسية وموقعها الآن شـــمال ايـــران - وأمضى بها فترة شبابه الأول إلى أن بلغ الثامنة عشر من عمره فارتحل إلى بغداد ودخلها ســـنة ثمان وثمانين وأربعمائة، واستمر فيها إلى نهاية حياته.

ابتدأ حياته العلمية بقراءة القران الكريم ودرسه على يد أبى الوفاء على بن عقيـــل وابـــى الخطاب محفوظ الحنبليين، أما الحديث النبوى الشريف فدرس على أيدى كثير من مشاهير عصره من الحفاظ كأبى غالب محمد بن الحسن الباقلانى، وتفقه على أيدى مشاهير عصره من الفقـــهاء كأبى سعد المخرمى الذى تلقى عنه الشيخ عبد القادر الجيلانى الإجازة فى التصوف أيضا واســـهم حماد الدباس فى تعليمه الطريقة أيضا، وتعلم الأدب واللغة على يد أبى زكريا يحيى بـــن علـــى التبريزى.

جلس للوعظ فى شوال سنة إحدى وعشرين وخمسمائة فى مدرسة أبى ســـعد المخرمـــى بباب الأزج فى بغداد وذاع صيته فى الزهد فضاقت المدرسة بالناس مما اضطره إلى توســـعتها، حتى نقل مجلسه إلى خارج بغداد عند المصلى، فقد أصبح يحضر مجلسه عدد كبير من النـــاس قدر بسبعين ألف، وتتلمذ على يديه عدد كبير من العلماء والفقهاء والمحدثين وأربـــاب الأحـــوال والمقامات.

انتقل الشيخ - رحمه الله تعالى - إلى جوار ربه فى عاشر ربيع الأول سنة إحدى وســـتين وخمسمائة، وشيعه خلق لا يحصون، ودفن بمدرسته بباب الأزج ببغداد حيث يزار قـــبره حتـــى اليوم.

وإن نسب الشيخ عبد القادر الجيلانى محل خلاف والأكثرون على أنه عبد القادر بن أبـــى صالح جنكى دوست وبعضهم يدخل موسى قبل أبى صالح، على أن الكثير من الكتب حافلة بذكره فمن أراد التحقيق المزيد فليرجع إلى هذه الكتب ولم أشأ أن أطيل حتى لا أخرج عن الموضـــوع الذى بين أيدينا.

انظر: سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبـــى، (ط: مؤسســـة الرسالة، ١٤١٠هـــ)، ج ٢٠، ص ٤٣٩ : ٤٥١.

وأنظر: الشيخ عبد القادر الجيلانى الإمام الزاهد القدوه، للدكتور عبد الرازق الكيلانـــى، (ط: دار القلم، دمشق)، ص ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٩٠.

Marfat.com

الطريقة القادرية - واحدا من كبار رجالات التصوف، فقد أحبه شاعرنا لانتسابه إلى الطريقة القادرية مرة، ولكون ممدوحه من عترة الرسول - صلى الله عليه وسلم - مرة أخرى، وكان سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى موضع مدح شاعرنا باللغات الثلاثة، العربية، والفارسية، والأردية، ولما كان شعره الفارسى والأردى خارجا عن موضوعنا إكتفينا بإيراد ما نظمه شاعرنا فى ديوانه العربى، وأول ما يطالعنا فى مدح الشيخ عبد القادر الجيلانى أبيات ضمن قصيدة صاغها فى مدح مولانا فضل الرسول البدايونى[1] فهذه الأبيات من البيت التاسع والخمسين بعد المائة، إلى البيت الثانى والتسعين بعد المائة وبالتالى فإن أبيات المدح هذه أربعة وثلاثون بيتا، ولما كان الممدوح والناظم من المنتسبين إلى الطريقة القادرية اهتم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بمدح الشيخ عبد القادر الجيلانى، وذلك بأن نظم فى الرد على بعض المعاصرين له من المخالفين لأهل السنة والجماعة، يقول شاعرنا بأنه كلما أصابه هم توسل بالشيخ عبد القادر الجيلانى إلى الله تعالى[2] ونجد شاعرنا يورد العبارة "الفقير العانى" و "الأثيم الجانى" - ويقصد نفسه - تواضعا لله تعالى ولنسمع صوت شاعرنا حيث يقول[3]:

"صه يارضا لاتكترث لحثالة ستطير فى نسم وفى نسمان
وعنك عين الله قم فاسمع إلى قولى فقولى منشط الاذهان
إنى إذا هم هم داهم فاهم همت وقلت فى هيمانى
لله شيئا للاثيم الجانى يابن الكريم الدائم الغفران"

يرى شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان أن الأنظار عجزت عن درك مرتبة ممدوحه فرجعت خائبة، وإنه يشبه مادح الشيخ عبد القادر الجيلانى بقول الرجل الأصم - الذى لم يسمع الأصوات - فى عالم الأصوات، ويشبهه كذلك بالأعمى الذى يصف الألوان ولم يرها، ثم يشير إلى مدى انتشار شهرة ممدوحه ومدى تأثيره

(١) أشرنا إلى بيانات هذه القصيدة فى الفصل الثانى من الباب الأول تحت عنوان "موهبته الأدبية".
(٢) ليس هذا مجال مناقشة لموضوع التوسل فاهتمامنا بالناحية الأدبية من تصوير وتشبيه، إلى غير ذلك مما يعين على إدراك معنى الشعر.
(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٨٢.

Marfat.com

البالغ فيقول(١):

"اعيى البصائر درك سرك والنـهي نكصت بلا شرب إلى الاعطـان
فالقول قول الصم فى الاصـــوات والمدح مدح العمـــى للالـوان
من قال ليس وراء عبادان شـــيئ انت الـــورا وراء عبـادان"(٢)

ثم بعد هذا نرى شاعرنا يقدم على مدح الشيخ عبد القادر الجيلانى وذلك بعـد أن أظهر عجزه عن مدحه لهذا الرجل العظيم الذى أكرمه الله تعالى بالمرتبة العالية بين الأولياء الصالحين، وأنزله الله في نفوس المؤمنين منزلة كبيرة كما هو فى نظر الشاعر، فلنستمع إليه حيث يقول(٣):

"يـامن مكانتـه بجمـــع الأوليـا كمكانة الأرواح فى الأبـــدان
والبحر فى الأنهار والقرآن فـى الـ أسفار والأباء فـــى الولـدان
والنور فى الإنسان والإنسان فى الـ أعيان والأعيان فى الجثمـان
والطيب فى الريحان والريحان فى الـ قضبان والقضبان فى العيـدان"

نلاحظ أن شاعرنا يرى ممدوحه خلاصة كل شيئ، فعبر عنه بأنه خير ما فى الشيئ، والخيرية التى تتحكم وتعتبر قمته، وهو لون من ألوان المديح مبتكر نستطيع أن نضيفه إلى ابتكار شاعرنا، يسمو شاعرنا بالشيخ عبد القادر الجيلانـــى ويجعلـه قمة كل شيئ، وبالتالى لا يغالى فى المدح، فهو لا يخرج عن كنهه وإنما يحكم عليه بأنه الخير الموجود فى كل شيئ، وقمة الشيئ أعلاه، والمتحكم فى الشـــيئ أهمـه، وهذه الأهمية وذاك العلو هو خير ما فى الأشياء، وهذا هو الخير الذى حكم به على ممدوحه، وبعد هذا يناجى شاعرنا ممدوحه - كما هو دأب الشعراء - الذى ســيطر حبه على قلبه، فنجده يصرح له بما يجيش فى داخله من أشواق، وأحزان، ويبين له

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٣.
(٢) يقول شاعرنا موضحا معنى كلمة عبادان: اسم بلد ليس وراءه عمران، المرجع السابق، ص ٩٩.
(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٨٣.

Marfat.com

ما بينه وبين الممدوح من علاقة الحب فى الله ولله، فيقول(١):

أدعوك بالقلب الحزين وقد مضى ... أن لا يجازى الحزن بالحرمان

إن لم تكن لى قربة إلا الولا(٢) ... فولاك أوجهُ أوجه القربان

أوردت راحلتى موارد حبكم ... الحمد لله الذى آوانى

لم أعتقد فيكم بسوء ساعة ... الحمد لله الذى عافانى

مما يضاف إلى جماليات المدح التى نعدها لشاعرنا وتحسب له لا عليه، هو مدحه لرجل قضى تسعين عاما فى هذه الحياة بين القرن الخامس والسادس الهجريين - كما أشرنا إلى ذلك - والمادح قد عاش بين القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، استحضاره لهذه الشخصية مع أنها رحلت منذ زمن، ولكنه يرى حياة هذه الشخصية بوجود آثارها وفكر صاحبها، وإرشاداته، وتوجيهاته، فهذا من أسمى ألوان المديح الذى يقدمه شاعرنا لممدوحه، إنه المعايشة التامة مع فكر وإرشاد وتوجيهات، وكأنما يعيش مع صاحب هذا كله، وكأنه لم يمت بعد، وكيف يموت وقد بقيت لنا آثاره وتعاليمه، وتصوفه بصفة عامة، ومادام لم يمت فالشاعر يرجو نداه ذلك المتمثل فى إدراكه الطريقة وفهمه لمسلكه بصفة عامة، حتى يحظى بأن يعد واحدا من أتباعه.

وما أعظم الشاعر الذى يمدح ولا ينسيه المدح ربه - سبحانه وتعالى - فهو يمدح إنسانا وبالتالى يذكر ربه حامدا عطاءه المتمثل فى الإيواء والمعافاة فى شطرتين وهو حين يقول: "الحمد لله الذى آوانى" ثم يقول فى الشطرة الأخرى: "الحمد لله الذى عافانى" إنه يشعر القارئ لشعره بأن لسانه هو الذى نطقها وليس الشاعر، معنى ذلك أن الشاعر جعل من نفسه قارئا لشعره، ثم نطق بما يحب القارئ أن يقوله، وهذا انسجام بديع بين الشاعر والقارئ لشعره كما يتراءى للباحث ويحسه من خلال هاتين الشطرتين المشار اليهما.

---

(١) المرجع السابق. ص ٨٣.

(٢) استخدم شاعرنا كلمة "الولا" ترخيما للولاية ويعنى بها المحبة التى تجمعهما.

Marfat.com

وهكذا يستمر شاعرنا فى نجواه، ويشكوا إليه حالة قلبه مذكرا إياه بلقبه "محى الدين" وإنه عمر القلوب بذكر الله من خلال إرشاداته وتوجيهاته، وما قام بـــه مـــن تربية روحية للمريدين، فيقول له: ما دمت مرشدا لى فلا يصيب قلبى المـــوت(١)، ويمدح كذلك جوده فيقول(٢):

"ياغوثـــا قلبـــى يجـــود بنفســـــه ... ونداك خير ند على الموتـــان

أيصيبـــه مـــوت وأنـــت نصيبـــــه ... ومحى دين الله لا ينســـــانى

جدلـــى بمـــا أملتـــــه يـــــاموئلى ... ياروح دين أطيب الأديـــــان

إن كان أرضى صفصفا قاعا فـــلا(٣) ... بأس ولا يأس من الإغضـــان

فالقفر ليـــس بمقفـــر ممن جودكـــم ... والجود لا يختص بالبســـتان

كم زهرة بسمت بغيث فـــــى الفـــلا ... كشقائق النعمان والطيـــــان"

ونراه يحكى لمرشده همومه وأفكاره القلقة كما يحكى التلميذ مشاكله لأســـتاذه ويسأله الإرشاد والمساعدة للتغلب على هذه المشاكل، ثم يطمئن شاعرنا قلبه قـــائلا: إن الشيخ عبد القادر الجيلانى أستاذى ومرشدى فلا داعى للإضطراب، وبعد هـــذا يقول: إن هذه الهموم والأفكار بمنزلة الداء ولكن هناك مصيبة تفوق هذا الداء وهى

---

(١) يقول الجرجانى: الموت صفة وجودية خلقت ضد الحياة، وباصطلاح أهل الحق قمع هوى النفس، فمن مات عن هواه فقد حيى بهداه، والموت الأحمر مخالفة النفس، والموت الأبيض هـــو الجوع لأنه ينور الباطن ويبيض وجه القلب، فمن ماتت بطنته حييت فطنته، والموت الأخضر هو لبس المرقع من الخرق الملقاة التى لا قيمة لها لاخضرار عيشه بالقناعة، والموت الأســـود هـــو احتمال أذى الخلق. وهو الفناء فى الله لشهود الأذى منه برؤية فناء الأفعال فى فعـــل محبوبـــه. كتاب التعريفات للعلامة على بن محمد السيد الشريف الجرجانى / حققه الدكتـــور عبـــد المنعـــم الحفنى (ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى، ١٣٥٧هـــ)، ص ٢١١.
وانظر: معجم مصطلحات الصوفية، للدكتور عبد المنعـــم الحفنـــى (ط: دار الســـيرة، بـــيروت، ١٤٠٧هـــ). ص ٢٥٠.

(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٨٣.

(٣) لاقتباس واضح من القران الكريم: {**ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعـــا صفصفا**}، سورة طه ٢٠/١٠٥، ١٠٦.

Marfat.com

مشكلة هجر الممدوح مع شدة الشوق إليه وفى هذا يقول(١):

لا بأس إن أدرت ذنوبى نارها تطفى حريق شنانها بشنان
فاجعل عبيدك(٢) هاديا مهديا يمحو الضلالة فى رضى الرحمان
أأضاع فقرا أم أضام مذلة أولست أنت بضامنى وضمانى
هذى هموم كلها داء ولا كرزية ألقى من الهجران
ياويح من ينحى إليك فيعترى شؤم الذنوب وألفة الأوطان

وعندما يشتد شوق شاعرنا إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى، ويشعر بعدم استطاعة كبت مشاعره يبادر بحكاية أحوال قلبه المشتاق الذى مازال يعانى شعور الفراق، والقلب الأواه السجين في سجن الهجر والفراق، ويسأل حبيبه قائلا: يا راحتي، يا روح المنى، ياسلوة أحزانى كيف الوصول إليك؟ والصوفية يحبون مشايخهم حبا جما لله وفى الله، وأدب التصوف خير شاهد على رأينا هذا - فإن الصوفية يحبون مشايخهم لقيامهم على إرشادهم إلى الحب الإلهى حتى تصل علاقة العبد بمعبوده إلى القمة فينظر هذا الإنسان إلى البشرية كلها بنظر المحبة فيرى أن الخلق كلهم عبيد لله، كل على قدر محبته وقربه على أساس أن البشر هى بعض صنعة الله – عز وجل – فى الكون، وحب الصنعة محبة للصانع – جل وعلا –، هكذا ينير المشايخ دروب المحبة المؤدية إلى رحاب ربهم فيحبهم تلاميذهم ومريدوهم بكل أنفسهم، فلهذا نرى أدب التصوف متصفا بالرقة والتفاني فى الحب والإخلاص وذلك لصدق العاطفة، وفى هذا يقول شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان(٣):

"نال الفراق من الفؤاد مرامه هيهات للإسلاء والإسكان
كيف الوصول إليك ياروح المنى ياراحتى ياسلوة الأحزان

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٨٤.
(٢) أعتقد أنه يقصد بالعبودية هنا حبا يبلغ به حدا يملكه تفكيره واحتفاؤه به وليست كعبوديتنا لله عز وجل، وفى هذه الأبيات أفكار تنسب إلى المتصوفة أقرب منها إلى أي شئ اخر (الباحث).
(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٨٤.

Marfat.com

كيف الوصول وحال بحـــر بيننـــا وسفينتى متلاطـــم الطوفـــان

أم كيف يرجو الوصل عبد باء فـى سجن الشجون باسوا الارســان

قلب شج مشجى شـــجيج شـــاجن أوه من الإشجان والاشـــجان

نلاحظ أن الشاعر يستعرض ثقافته العربية فيـــأتى بـــالكثير مـــن المشـــتقات المأخوذة من أصل واحد، ولا أدرى إن كان ساعتها قد استحضر بيت الأعشـــى أو المتنبئ، يقول الأعشى(١):

وقد غدوت إلى الحـــانوت يتبعنـــى شاو مشل شلول شلشل شـول

ويقول المتنبئ(٢):

فقلقلت بالهم الذى قلقـــل الحشـــى قلاقل عيـــس كلـــهن قلاقـــل

بصرف النظر عن موضوع بيت الأعشى وعما قاله البلاغيون فى الحكـــم علـــى فصاحة بيت المتنبئ، وأعتقد أن شاعرنا قد أراد أن يدلى بدلوه لبيان مـــدى ثقافتـــه العربية. نرى شاعرنا يخاطب نفسه بعد ما أبرز مشاعره الجياشة ويقول(٣):

"ارفق بنفسك يـــا مذكـــر همـــه هو عالم الاســـرار والاعـــلان

فيه استجر واستجز أعيان الغنـــى وبه استعن واستغن عن اعـوان"

هذه هى مشاعر شاعرنا تجاه شخصية أحب الله تعالى ورسوله - صلـــى الله عليه وسلم - كما أحب خلق الله تعالى لله وفـــى الله، وقـــام بـــإصلاح المســـلمين وإرشادهم وتربيتهم بالحكمة والموعظة الحسنة فأحبه الخلق أيضا حبا جما، وكـــان شاعرنا أيضا ضمن المحبين له، المعترفين بأفضاله - جيلا بعد جيل -.

---

(١) ديوان الأعشى، (ط: دار صادر، بيروت، دون سنة طبع)، ص ١٤٧.

(٢) ديوان المتنبئ بشرح أبى البقاء العكبرى (ط: شركة ومكتبة المصطفـــى البـــابى الحلبـــى وأولاه بمصر، دون سنة طبع)، جـــ ٣، ص ١٧٥.

(٣) هذه شطحة من الشطحات التى قد تعرض لبعض الشعراء، ربما يقولها الصوفى وهـــو لا يقصد أن يصف ممدوحه بوصف خاص بالله عز وجل، وإنما يعبر بمثل هذا كنايـــة عـــن مـــدى الامتزاج بين الشاعر والممدوح من ناحية التمسك بفكر الممدوح، وإرشاده وطريقته بصفة عامـــة (الباحث).

Marfat.com

لم يكن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان مجرد شاعر بل كان من كبار علمـــاء الأحناف أيضا فى شبه القارة الهندية فإنه أنشد بيتا على غرار بيتين للشاعر حنفـــى المذهب[١] مما يظهر حبه للمذهب الحنفى و الشيخ عبد القادر الجيلانى، ففـــى هـــذا يقول[٢]:

"حسبى من الخيرات ما اعددتـــه يوم القيامة فى رضى الرحمـــن"
"دين النبى محمد خير الـــورى ثم اعتقادى مذهـــب النعمـــان"
و إرادتى و عقيدتـــى ومحبتـــى للشيخ عبد القـــادر الجيلانـــى

هذه هى أحاسيس شاعرنا نحو الشخصية التى أحبها الكثـــيرون علـــى مـــر العصور – و مازالوا يحبونه – مع تعدد البلاد و الألسنة، و اســـتتاروا – و مـــازالوا يستنيرون – بتعاليمه الدينية وينتمون إلى ميوله الصوفية، وبهذا يكون شاعرنا قـــد أتم مدحه للشيخ عبد القادر الجيلانى ونصيبه من الذكر فى هذه القصيدة، وما أحسن الإتمام إذا كان الشاعر قد اختتمه بذكر الضمير العائد على ممدوحه و هو قوله: "وبه استعن و استغن عن أعوان" وبالتالى فإن شاعرنا موفق غاية التوفيق فـــى الاختتـــام بحيث لا يمكن أن نستبدل هذا الاختتام باختتام آخر و إن كنت قد ذكرت بيتا لشاعرنا نظمه على غرار بيتين لشاعر حنفى و استحسنته أيضا.

---

(١) حاولت البحث عن ناظم هذين البيتين فوجدت الإمام السيوطى يقول: قال ابـــن خســـرو أنشـــدنى القاضى أبو سعيد محمد أحمد بن محمد قال أنشدنا الأستاذ الأديب أبو يوسف بن أحمد بن محمـــد لنفسه "حسبى من الخيرات" الخ.
تبيض الصحيفة فى أخبار أبى حنفيفة، للإمام جلال الدين السيوطى (ط: مطبعـــة مجلـــس دائـــرة المعارف النظامية، حيدر اباد الدكن، الهند، ١٣٣٤هـــ)، ص ٢٥.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢١٢.

Marfat.com

المطلب السادس

مدحه لمولانا عبد المجيد البدايونى[١]

مدح شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان مولانا عبد المجيد البدايونى - والد مولانا فضل الرسول البدايونى - ضمن النونية التى كان غرضها الأساسى مدح مولانا فضل الرسول البدايونى[٢] وقد قام بمدح والده من البيت السادس بعد المائة إلى البيت الحادى والعشرين بعد المائة، ثم أخذ يمدحهما معا واستمر هذا المدح المزدوج إلى البيت الثامن والعشرين بعد المائة، يقول شاعرنا إنه يلتجى - أيضا - عند الشدائد إلى روح مولانا عبد المجيد البدايونى حيث يدعو الله تبارك وتعالى فى لحظات يراها لحظات إجابة الدعاء، يقول شاعرنا فى هذا الصدد[٣]:

"فحيا الحياء مبسم زهر الغنى أنا ملتج والملتجى عثمانى

---

(١) الشيخ الفاضل عبد المجيد بن عبد الحميد البدايونى احد مشايخ الصوفية ولد ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبع وسبعين ومائة وألف. وتربى فى كنف الشيخ محمد على البدايونى وقرا عليه مبادئ العلوم ثم سافر إلى بلاد اوده ودرس على الشيخ ذو الفقار على. ثم ذهب الى مارهرة واخذ الطريقة عن السيد ال احمد المارهروى ولازمه مدة طويلة وذهب الى الحجاز وادى فريضة الحج وهو فى الثمانين من عمره. مات لسبع عشرة خلون من شهر محرم سنة ثلاث وستين ومائتين وألف.
انظر: علماء العرب فى شبه القارة، للشيخ يونس الشيخ ابراهيم السامرائى، ص ٦٣٥.
وانظر :نزهة الخواطر، للشيخ عبد الحى اللكنوى، جـ ٧، ص ٣١٨.
وانظر: تذكرة علماء اهل سنت، لمولانا محمود أحمد القادرى. ص ١٣٥-١٣٦.

(٢) أشرنا الى بيانات هذه القصيدة فى الفصل الثانى من الباب الأول.

(٣) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٨-٧٩.

Marfat.com

فإذا رأيـــت إجابـــة فانـــهض إلـــى قبر المجيد الأمجد الروحانى

و هناك فاســـــتفرغ بجـــهدك للدعـــا إن المقام مقام الاســتيمان(١)

أخضـــل ثـــراه بعـــبرة هطالـــــــة ~~أفما~~ ترى طلا على ريحـــان

نرى شاعرنا يستغيث ويتوسل بمولانا عبد المجيد البدايونى قائلا: إنه لم يتردد إلى أبواب الأغنياء لكسب الأموال، بل إنه كره عطاءهم ونوالهم ورغب فى عطـاء الممدوح المشار إليه فيقول(٢):

"هذا الذى يدعوك ياعين العطـا من ضيفكم والضيف غير مـهان

كن عند شدته الشـــــهيد وداره يابن الشـــــهيد بـــدارة عثمـــان

لا اسأل الأمراء بـــل إيـــاك إذ لم يبن باب الفضل فى الإيـــوان

أرجو عطاءك كارها لعطائـــهم إذ ليس باب المجد فى الديـــوان

جانبت ظلمتهم وجئت إليـــك إذ ما تم باب النور فـــى وجدانـــى

قد كنت ياتيم ابن حمزة ســـيدا فـــردا فريـــدا فـــاقدا لمـــــدان

أى ما خلا ريحان آل محمـــــد ذاك ابن شيخك سيدى وأمـــانى"

وانتقل بعد هذا إلى وصف الممدوح بالجود والسخاء وأنه حلال مشكلة ودفـاع معضلة عن المصاب وفى هذا يقول(٣):

حلال مشكلة تعى أهـــل النـــهى دفاع معضلـــــة عـــن اللـــهفان

---

(١) يعنى طلب اليمن والبركة.
(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٩.
(٣) المرجع السابق، ص ٧٩.

Marfat.com

بأبى وأمـــى لا يقـاس بجـوده ما ليس يدرك بالسؤال حبـــانى
ما بعت نفسى منه بل هو بالسـخا والجود من أيدى العنود شـرانى

ويحكى لنا الشاعر تجربته حين رعاه الممدوح فى ظروف صعبة، ثم بـــدأ - يمدح الرجلين معا - وهما مولانا عبد المجيد البدايونى وابنه مولانا فضل الرســول البدايونى - بالجود الهائل والسبقة فى الفضل فيقول(١):

"يوما أحاط بى العدى ودنا الـــردى إذ جاء يجر رداءه فرعـانى
لا أعدلـن بـه ولكـــن أنتمـــا بحران سباقان يـوم رهـان
جاوزتمـا الميتـــاء أول وهلـــة والخيل مازالت عن الميطان
فسبقتما فى الفضـــل مـن ســابقتما وبقيتما لا تقـــدران لمـان"

وبعد هذا ينتقل شاعرنا إلى وصف ممدوحيه بالقمرين على عـــرش الخلافـــة التى شرف الله تعالى بها الإنسان، وبين أنهما متأسيان بسيدنا عمر بن الخطـــاب - رضى الله عنه - ثم يحكى لنا شاعرنا صفة ممدوحه على لسان القمرين الذين غربا ولكنهما لم يتمكنا من إكمال حديثهما فى بيان وصف الممدوحين لشاعرنا، ففى هـذا يقول شاعرنا(٢):

من أنتما قمرا جلال بل علـى عرش الخلافة والعلى عمـران
يحكى بهاءكما ونور ســناكما قمران معتوران فى الأعنـــان
حكيا ولكن ما استتما إذ بـــدا لهما الأفول ونازع اللمعـــان

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٠
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٨٠.

Marfat.com

من شئت أسأل منكما ما أنتما إلا لشيخكما الكريم يدان

كان لابد أن يقول عنهما عمران، فلا يستطيع أن يشبه كل واحد منهما بأحد من الصحابة حتى لا تقع المفاضلة بين الوالد وولده، وقد تتفاوت المفاضلة فى جانب اخر. وقد تعلو فى جانب غيره و بالتالي يكون الاختلاف بين الوالد وولده، ولكنهما لما كانا عبارة عن والد وولده استحسن شاعرنا أن يشبههما بصحابى بعينه ويجعل ممدوحيه شبيهين لسيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - و إذا كانت عائلة سيدنا عمر تفخر بانتسابه إليها فمن البدهي أن تفخر هذه الأسرة بأنها ولدت عمرين وليس عمرا واحدا، وإن لم يصرح بذلك وإنما هو الإيحاء الذى نستشفه من كلمة واحدة فى شعره سبق لنا أن أشرنا إليها (عمران) مع تقديرنا لسيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وهو أصل التشبيه، وأرى أن القاسم المشترك ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به يتمثل فى تصديهما للخارجين على الشريعة وإلا فمرتبة الصحابة لا يستطيع أن يبلغها أحد مهما كانت أعماله الصالحة.

بعد هذه الأبيات التى نظمها شاعرنا فى مدح مولانا عبد المجيد البدايونى وابنه مولانا فضل الرسول البدايونى يدعو لهما أن يكرمهما الله تعالى فى الجنة متجليا عليهما باللطف والرضوان وأن يجزيهما مثوبة من عنده فى الجنة ببركة سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول فى هذا الصدد(١):

فالله ربكما غدا لقاكما متجليا باللطف والرضوان

وجزاكما بمثوبة من عنده فى عدنه بنبيه العدنانى

إنه ختام طيب، كأن شاعرنا دعا للممدوحين، وكأنما بعد مديحه لا يحتاجان إلا للدعاء، وبه تكون قد كملت مدحته فيهما فى هذه القصيدة، على أننا نراه ينتقل

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٨٠.

Marfat.com

إلى نفسه ناصحا إياها، بالتوجه إلى من سمى باسم الشيخ عبد القادر الجيلانى وهو مولانا عبد القادر البدايونى ابن مولانا فضل الرسول البدايونى فيقول[١]:

تم الدعاء فارجع غنيا غانما . واقصد سمى السيد البغدانى[٢]

وبعد هذا البيت وهو البيت الحادى والثلاثون بعد المائة - فى القصدية النونية - والتى بين أيدينا - أخذ شاعرنا يمدح مولانا عبد القادر البدايونى[٣] وبالطبع أول ما استهواه موافقة اسمه لاسم الشيخ عبد القادر الجيلانى.

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٠.

(٢) يقول الشيخ أحمد رضا خان معلقا على كلمة بغدانى: والبغدان بالنون لغة شائعة من سبع لغات فى بغداد. المرجع السابق، ص ٩٧.

(٣) لقد حاولنا دراسة الأبيات فى مدحه فميا سبق فى المبحث الثالث وذلك نظرا لترتيب الأسماء أبجديا. وان لم يكن هذا الترتيب حسب المراتب (الباحث).

Marfat.com

المطلب السابع

مدحه لمولانا فضل الرسول البدايونى

أنشد شاعرنا قصيدتين فى مدح مولانا فضل الرسول البدايونى، فقد نظم أولاهما من بحر الكامل المجزوء وثانيتهما من بحر الكامل التام، وتشتمل القصيدة الأولى التى نحن بصددها على اثنين وسبعين بيتا استهلها شاعرنا بحمد الله تعالى والصلاة على خير الأنام محمد - صلى الله عليه وسلم - وآله وأصحابه - رضى الله عنهم أجمعين - ثم أقبل على مناجاته ربه مستمرا إلى البيت رقم عشرين من هذه القصيدة، ثم انتقل إلى هجاء المخالفين لأهل السنة والجماعة حتى البيت رقم ثمانية وعشرين[١] وبعد هذا يتناول شاعرنا شخصية الممدوح التى صاغ لأجلها هذه القصيدة، ويستمر هذا المدح إلى البيت رقم أربعة وثلاثين، فيصف مولانا فضل الرسول البدايونى بما أكرمه الله تعالى من فضل، ومجد، وفيض روحى، وجود، حتى أشرقت بوارقه بعليا فرقد، ونشرت الضياء فى الكون وفى هذا يقول شاعرنا[٢]:

فضل الرسول هو الذى ... والاه كل مسدد

وموافق لموفق ... يحظى بأوفق مقصد

أعظم به كم فاز من ... فضل ومجد ماجد

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٥٨ : ٦٢.

(٢) المرجع السابق. ص ٦٢، ٦٣.

Marfat.com

أكرم به كم حـــاز مـــن فيض وجود جـــائد

انظـــــر بوارقـــــه إذا برقت بعليـــا فرقـــد

نعـــم الضيـــاء ويالـــــه من واقـــــد متوقـــد

وبعد هذا يتوجه شاعرنا إلى هجاء المخالفين لمولانا فضل الرسول البدايونـــى، الذين لم يستنيروا من إرشاداته وتوجيهاته وأصروا على ما كانوا عليه على الرغـــم من محاولات الممدوح لإقناعهم بالمفاهيم الإسلامية المستمدة من الأصلين الشريفين، ولما فشلت هذه المحاولات ولم يتراجعوا عن آرائهم قام ممدوح شاعرنا بالرد عليهم بمصنفاته ومواعظه، ويصف لنا الشيخ أحمد رضا خان هذه الأمور فى سبعة أبيات من البيت رقم اثنين وأربعين إلى البيت رقم ثمانية وأربعين فيقول(١):

"فالله يجزيـــــك الجـــزا يـــا قاصمـــا لمعـــــاند

إذ كان هديـــــك هاديـــا يحمى عن النهج الـــردى

تسطوا على أهل الجفـــا سطو المؤمر من عـــدى

قطعت يـــداك و تينـــهم بمحـــــدد ومـــــــهند

فسبحت بحـــر دمائـــهم فيها تـــروح و تغتـــدى

أثخنتـــهم حقـــا فـــــلا يقتص منـــك ولا تـــدى

حاججتـــهم فحججتـــهم وحججت خير معـــابد"

وبعد هذا يشير شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان إلـــى قصـــد ممدوحـــه أرض الحرمين الشريفين، ويخص بالذكر شد رحاله لزيارة قبر الرسول - صلى الله عليه

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٦٤-٦٥.

Marfat.com

وسلم – ثم يتحدث عن إقبال الناس عليه بعد عودته إلى الهند، وفـــى هـــذا يقـــول شاعرنا(١):

"وقصدت طيبة طيـب فوردت أعذب مـورد

وشددت رحلك نحـوه فشهدت أطيب مشـهد

اليـوم كـل مقـــوم بك يهتدى بك يقتـدى"

نلاحظ أن شاعرنا شبه ممدوحه بصحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا نجد أرقى فى الحديث عن الممدوح وتدينه من أن يشبه بصحابة رســـول الله – صلى الله عليه وسلم – وهم القمة فى الهداية والاقتداء بهم، مقتبسا هذا من حديـــث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن صحابتـــه: "**أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**"(٢)، ونلاحظ أن وجه الشبه بين المشبه وهو مولانـــا فضـــل الرسول البدايونى والمشبه به وهم الصحابة – رضى الله عنهم أجمعين – ليـــس إلا بلوغه مبلغا يقتدى ويهتدى به، وذلك بسبب اتباع الممـــدوح المشـــبه للصحابـــة – رضى الله عنهم – المشبه بهم.

وانتقل شاعرنا بعد هذا إلى رحلة ممدوحه من العالم الفاني مرضيا إلى العـالم الباقي، ويسأل ممدوحه أن يتشفع لناظم القصيدة عند الحبيب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – ويعبر شاعرنا عن هذه المشاعر بقوله(٣):

فحشرت مرضيا إلـى عدن كأحسن واحـد

ونبيـــك المتفضـــل أدناك فى ذا المقعـد

---

(١) المرجع السابق. ص ٦٦.

(٢) صحيح مسلم المسمى الجامع الصحيح للامام مسلم بن الحجاج القشـــيرى (ط: مصطفـــى البـــابى الحلبى وأولاده بمصر. ١٣٧٧هـــ). ج ١. ص ١٨.

(٣) نسبة الى استاذه ونائب شيخه الشاه أبو الحسين أحمد النورى شيخ الطريقة القادرية.

Marfat.com

فإذن تشفع للرضـــا عند النبى الامجـــد

بـــالله لا تنســـاه اذ هو قادرى احمـــدى

ونجد شاعرنا فى غاية الفرح والغبطة والسرور بـــهذه الشـــفاعة المأمولـــة المترقبة فإنها تفتتح الطريق إلى الجنة حيث ينتظر شاعرنا قرة عينيه برؤية الجمال الإلهى، وجمال الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فيبشر نفســـه بـــالخير ويوجهها إلى الشكر لله تعالى فيقول(١):

"يانفس طـــاب اوانـــك فتشـــكرى وتجلـــــدى

اتت المنى ودنى الـــهنا فلوجه ربـــك فاســـجدى

نبـــع العبـــاب فلاظمـــا وسخا السحاب فلاصـــدى

وجما الجمال جلا العنـــا وجلا الجلال الســـرمدى

وجنا الجنان لمن جنـــا فكلى وطيبـــى واحمـــد

وادعـــى قلوبـــا لينـــة ودعى القســـى الجلمـــد

إذ ان هذا عرس مـــن(٢) بنـــداه مزرعنـــا نـــدى"

ولا ننسى أن نقول لشاعرنا لقد أحسسنا بجناسك الذى زينت به أبياتك الثلاثـــة، ونحن إذ قرأناه لا نشعر بأنك قد تكلفت عناء وإنما سيق إليك التعبير سوقا، وسـلمت لك الألفاظ قيادها تسليما، فكانت عباراتك فى الأبيات الثلاثة رصينة غير مســتكرهة لطبفة مستملحة غير قلقلة.

وأما الأبيات الخمسة الأخيرة من البيت السابع والستين إلـــى البيـــت الثـــانى والسبعين وهو الأخير فقد قضاها فى مدح أولى البشر بالمدح لأنه سيدهم فضلا عن أنه سيد الكون كله - صلوات الله و تسليماته عليه - وقد تمثل مدحـــه هـــذا فـــى

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ احمد رضا خان . ص ٦٦، ٦٧.

(٢) يقصد المسلمون فى شبه القارة الباكستانية والهندية من كلمة العرس احتفالهم بأيام وفاة الأوليـــاء الصالحين إلى رحمة ربهم، ويقومون بهذه الحفلة بمناسبة مرور الحول السنوى على وفاة هـــؤلاء الأولياء الصالحين، وفى هذه الحفلات يقومون بإهداء الثواب إلى أرواحهم، كما يهتمون بالمواعظ الحسنة للتذكير بالآخرة، والترغيب فى الأعمال الصالحة والتنفير عن البدع والمعاصى. واتخـــذوا فكرة تسمية هذه المناسبة بالعرس من الحديث النبوى الشريف الذى يخبر فيه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم - عن حضور المنكر والنكير فى القبر وقولهما للميت الناجح فى الرد على استئلهم: نم كنومة العروس"، سنن الترمذى للإمام عيسى محمد بن عيسى الترمذى (ط: شـــركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر. ١٣٨٥هـــ)، جـــ ٣، ص ٣٤٣.

Marfat.com

الصلاة و السلام على الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وهكـــذا يكـــون شاعرنا قد جعل مدح مولانا فضل الرسول البدايونى بين مرتين صلى فيهما علـــى النبي المختار - صلى الله عليه وسلم - بعد أن بدأ قصيدته بالحمد مـــرة وبـــالغزل العفيف مرة أخرى، ونحن إذ نذكر هذا لا ننسى لشاعرنا أنه اختتم مدحه للممـــدوح بذكر تاريخ وفاة الممدوح ثم يذكر السنة التى قيلت فيها هذه القصيدة، وذاك فى بيته السادس والستين - كما أسلفت - وهو نوع من الختام يلجأ إليه شاعرنا فى الكثـــير من قصائده مطابقا بذلك ما عليه أهل عصره فى الهند.

تشتمل هذه القصيدة على اثنين وسبعين بيتا خصص منها أحدا وثلاثين بيتـــا لمدح مولانا فضل الرسول البدايونى، وقد لاحظنا أن الشيخ أحمد رضا خان تطـرق لأغراض شعرية أخرى غير الغرض الرئيسى والأساسى الذى أنشد من أجله هـــذه القصيدة.

وبعد هذا يتقدم شاعرنا فى استخراج تاريخ الوفاة لمولانـــا فضـــل الرســـول البدايونى، وذلك فى الشطرة الأولى من البيت السادس والستين، وفى الشطرة الثانية من هذا البيت أشار شاعرنا إلى سنة نظم هذه القصيدة، ونراه يخاطب نفسه كتمـــهيد لاستخراج التاريخين فيقول(١):

"لا تبلغيـــن مديحـــــه إذ أنت قاصرة اليـــد
لكـــن أبينـــى عامـــــه وزمان رحلة ســـيدى
فى مصرعين كدرتيـــــ ن بنظم سلك مفـــرد
فضل الرسول مؤيـــــد يافضل عرس أمـاجد"

١٢٨٩هـ ١٣٠٠هـ

صاغ شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان قصيدته الثانية فى البحر الكامل مادحـــا مولانا فضل الرسول البدايونى أيضا، وقد توج هذه القصيـــدة بالاســـم التـــاريخي بحساب الجمل وهو "مدائح فضل رسول" (١٣٠٠هـــ) وتشتمل هذه القصيدة علـــى مائة وثلاثة وأربعين بيتا، وقد استهل شاعرنا هذه القصيدة - التى نحن بصددهـــا -

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٦٧.

Marfat.com

بالتشبيب ونجده يقول فى مطلع هذه النونية(١):

رن الحمام علـــى شـــجون البـــان ياما أميلح ذكر بيض البـــان

ونفسه فى التشبيب طويل فهو يستمر فى التشبيب إلى ستة وعشرين بيتا(٢) ثم ينتزع شاعرنا نفسه من الغزل، ويلوم نفسه على تغزله. رغـــم عفتـــه ونزاهتـــه، ويستمر هذا اللوم إلى البيت الثلاثين، ومن هذا المنطلق أخذ شاعرنا يصف الليل(٣) حتى البيت الأربعين من هذه النونية، ومن هنا بدأ شاعرنا يتناول الغرض الأساســى الذى نظم لأجله نونيته هذه، وهو مدح مولانا فضل الرسول البدايونى، فبدأ مدحـــه بالرفعة والشجاعة - وأرى أن الشيخ أحمد رضا خان قد قصد شجاعة ممدوحه فى إعلاء كلمة الحق - والجود والمجد، وقد سلك فى مسلكه هذا مسار الشعر العربـــى فى العصر الجاهلى، فمدح بما كان الشعراء قد تعودوا عليه من أساليب المدح، ففى هذا يقول(٤):

جبلا رفيعـــا فائقـــا شـــماعلا بطلا شـــجيعا ســـيد الشـــجعان

برجا منيعا مانعـــا لا يرتقـــى حصنا حصينا صين بالإرصـــان

بحرا محيطا زاخـــرا متدفقـــا برقـــا بريقـــا باســـم الأســـنان

جودا مجيدا مجديا جودا جـــوا دا ماجدا مجـــدا مجيـــد الشـــان

نورا منيرا نيرا نـــارا علـــى عليـــا منـــائر نيرهـــا نورانـــى

إننا لاحظنا فى الأبيات السابقة براعة شاعرنا و لغويته المحيطة بكثـــير مـــن المشتقات من ناحية وما يسمى بمراعاة النظير من ناحية أخرى، وقدرته الفائقة على الصياغة ووضع الأشياء فى موضعها.

وبعد هذا المدح المبدوء من البيت الحادى والأربعين والممتد إلى البيت الرابع والأربعين أفصح شاعرنا عن اسم ممدوحه وبدأ يمدحه بعلمه وفضله فيقول(٥):

(١) المرجع السابق، ص ٧٢.
(٢) انظر الفصل الرابع من هذا الباب.
(٣) المرجع السابق، ص ٧٤، ٧٥.
(٤) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٤، ٧٥.
(٥) المرجع السابق، ص ٧٥.

Marfat.com

علما عليمـــا عالمـــا علامـــة فضل الرسول العالم الربـانى

إن كانت الأسما تنال من السما فاقدر فضل اسمه المـــزدان

ثم انتقل إلى نشأة ممدوحه وتربيته فى بيئة دينية حتى أنه فاق أقرانه نظـــرا لحسن تربيته ونشأته، وفى هذا يقول(١):

رضع المكارم فى صباه وحق إذ ربته ظؤر المجد فى الأحضـان

حتـــى تربـــى زاكيـــا متزكيـــا يربو على الأمثـــال والأقـــران

خضعت له الأعناق من أعناقـهم خذءت له الأعيان من أعيـــان

عبد المجيد فجاءه فضل الرســو ل مهنئا بـــالفضل والرجحـــان

قوله: "خضعت له الأعناق من أعناقهم" فيه تزيد فى قوله "من أعناقـــهم": إذ كان يكفى أن يقول: خضعت له الأعناق، ولكنه جاء بقوله من أعناقهم ممـــا يعيـــن على إكمال الشطره الأولى من البيت وليس فى الشطرة الثانية تزيد، وقوله: "عبـــد المجيد فجاءه فضل الرسول" يشير إلى اسم والد الممـــدوح مولانـــا عبـــد المجيـــد البدايونى كما يشير إلى اسم الممدوح مولانا فضل الرسول البدايونى أيضا، ففى هذا البيت ذكر لاسم الممدوح بعد ذكر اسم والده على سبيل التورية وهذا هـــو المعنـــى القريب، أما البعيد فهو أن يكون المراد أن الممدوح مولانا فضل الرسول البدايونـــى عبد الله - تبارك اسمه - وهو المراد بقوله: "المجيد" وأمـــا قولـــه إيـــاه: "فضـــل الرسول" فهو أن الممدوح تعلم العلم وحظى من الدين بما يجعله من أولئـــك الذيـــن يحظون بشفاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعلوم الدين بصفة عامة عطيـــة من الله - سبحانه وتعالى - بها علينا بتبليغ رسولنا إياها، وبالتالى فإن من أدركتـــه علوم الدين فقد أدركه شيء من فضل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ هـــو مبلغنا، لأن النصين الشريفين أحدهما بلاغ من الله - عز وجل - والآخـــر بيـــان لسانه الشريف - صلى الله عليه وسلم - .

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٥.

Marfat.com

هذا ويذكر شاعرنا ممدوحه الذى نشأ وتربى فى بيئة دينية، فشب على البر والتقوى، واتسع تأثيره الروحى فيما بعد، وقد أشار شاعرنا إلى هذا عند اختياره كلمة "الفيض والفيضان" فى المدح، وهذا اتساع فى المعنى بعيد المدى، فنجده وقد تأتيه القلوب التائهة المحطمة لتنال فيضا روحيا، فلا ترجع إلا بعد إشباع رغبتها، وفى هذا المعنى يقول شاعرنا(١):

"لا تعجبوا إن عاشت الأطيار فى الـ ... أبحار والحيتان فى الحيطان

فالبحر بر فى وزان فيوضه ... والبر بحر من ندى الفيضان

وعلى الظماء يصب هامر فيضه ... صبا من الأركان والجدران

يأتيه قلب كالهشيم فينتشى ... خضرا نضيرا ناعم الأغصان"

فشاعرنا يصف لطف ممدوحه الذى اتصف بصفة "رحماء بينهم" كما يتذكر شاعرنا تبسم ممدوحه ونظرته الرحيمة نحو ضيوفه، وقد عبر عن كل هذا بأسلوب يشبه الغزل حيث يقول(٢):

وأظل ألحظ فى مناظر خاطرى ... ذكرى تبسمه إلى الضيفان

فكأننى بسجنجل صاف به ... وردان مبتسمان مرتسمان

شرقت شوارق لطفه فتبلجت ... زهر الرشاد تبلج العقيان

نلاحظ أن شاعرنا استخدم كلمة "سجنجل" كأنه يقول: إننى أعرف المستعمل من العربية والمتروك منها، وأعرف استخدامها.

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٥.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٥.

Marfat.com

ثم بعد ذلك يتطرق شاعرنا إلى أن غضب ممدوحه لم يكن إلا لله ودينه، ثم يشير إلى أنه كان متبعا للصحابة الكرام - رضى الله عنهم - فى اتصافهم بالشدة على الكفار وعلى الذين يتعرضون للشريعة ولو أدنى تعرض، فكان مولانا فضل الرسول البدايونى - ممدوح شاعرنا - سيفا مسلولا على المستخفين بالشريعة الإسلامية الغراء، وعلى المثيرين للفتن، ففى هذا المعنى يقول شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان(١):

"برقت بوارق سيفه فتأججت هام العناد تأجج النيران

تلك البوارق من شوارق ربنا لاما تجلى واختفى فى الآن

الودق يخرج من خلال سحابه فالرعد يندب اين من ظمآن

والبرق يبرق من ومْيض رميضه فالنور يذهب من عيون شانى"

وهنا يخاطب شاعرنا ممدوحه ابن مولانا عبد المجيد البدايونى الذى سطعت بركاته على جميع أفراد أسرته - بفضل الله تعالى وبركة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول شاعرنا مخاطبا ممدوحه(٢):

يامجد سلسلة المجيديين فى أفضالها إذ زانها فضلان

فنمت بفضل الله فى بركاته وسمت بفضل رسوله الحنان

وانتقل شاعرنا بعد هذا إلى مدح مولانا فضل الرسول البدايونى ذاكرا أسماء العلوم والفنون التى ألم بها إلماما تاما بفضل الله تعالى، وفى هذا يقول شاعرنا(٣):

"إن رمت علم القلب فهو مناره والمبصرون بهم هدى العميان

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٥.
(٢) المرجع السابق، ص ٧٦.
(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٦.

Marfat.com

أو علـم تـأويل القـران فيالـه ... من آية فى الشرح والإزكـان
أو علـم إسـناد الحديـث ومتنـه ... فالبحر زخار بـدون عـدان
أو علم أسـماء الرجـال فذكـره ... يحيى كنجل سـعيد القطـان
أيصول فى علم الأصول عليه مـن ... هو بـاقل والشـيخ بـاقلانى
أم فى الفروع يريد بفرعـه الـذى ... عى وغـى فيـه مجتمعـان
الغى يغلو فهو فى حجـر الصبـا ... والعى يعلو فهو فى ادلـهنان
لكـن مولانـا يفـوق بفقهـه ... فى شـبيه وشـبابه شـيبانى
أدب الادبـا شـعبة مـن فضلـه ... أعنى على ما فيه من أفنـانى
لو أدركت روح ابـن سـينا طبـه ... لتمـارضت وأتتـه بالإرنـان
هذى العلوم وما حواها كـان فـى ... مندوحة عن منزع شـيطانى"

فكان لمولانا فضل الرسول البدايونى اليد الطولى فى العلـوم الدينيـة مثـل التفسير(١) وعلوم الحديث، وعلم الأصول، وعلم الفقه، وعلم التصوف(٢) - وكذلـك نال شهرة واسعة فى الفنون الأدبية، ولم يكتف مولانا فضـل الرسـول البدايونـى بالعلوم الدينية فقط بل أخذ نصيبه من العلوم الطبية، ذلك النصيب الذى فـاق مـا وصل إليه ابن سينا - على حد قول شاعرنا - وشاعرنا يرى أن ابن سينا لو سـمع عن مولانا فضل الرسول لتمارضت روحه لتحظى بتطبيب مولانا فضل الرسـول إياها، على أن شاعرنا يرى ممدوحه وقد نال من إرث الأنبياء ما نال، وهو يقصـد

---

(١) قد رمز له شاعرنا بعلم تأويل القران.
(٢) لعله يقصد التصوف بقوله "علم القلب" حيث إنه يهتم بتزكية القلوب وتصفيتها ووضعـها علـى الطرق الموصلة إلى حسن العلاقة بالله - عز وجل - على النحو الذى يراه المتصوفة (الباحث).

Marfat.com

بذلك العلوم الدينية، كما نال نصيبا من علوم اليونان، وهو بالطبع ما عرفه من العلوم الطبية، ولكنه يشيد بمجهوده الرائع فى الدفاع عن الدين الحنيف دفاعا يشبه من بنى قصرا قوى الأركان متين الدعائم، هذا القصر هو دفاعه دفاعا حصينا عن الحنيفية البيضاء، وفى هذا يقول(١):

"سبحان ربى أين إرث الأنبيا من سؤر بطالين فى يونان
مع ذاك فانظر هل تراك عديله فى فطنة أو منطق وبيان
الله يجزيه الجنان كما بنى للدين قصرا جيد الأركان
الوصف يقصر عن جلالة قصره والقصر قصوى حيلة الحيران"

وفى ضوء ما ذكرنا نرى المنزلة السامية والحب الصادق الذى كان يكنه شاعرنا لمولانا فضل الرسول البدايونى، هذا الحب الذى أفصح عنه فيما ذكرناه تدل على مدى احترام وإجلال شاعرنا لكبار العلماء المعاصرين له، مما يدل على الأخلاق الحميدة التى كانت تتصف بها شخصية شاعرنا، وبهذا يكون مدحه لمولانا فضل الرسول البدايونى ونصيبه من هذه القصيدة قد انتهى لينتقل شاعرنا إلى غرض آخر نعرض له فى موضعه.

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٧.

Marfat.com

المطلب الثامن

مدحه لمولانا محمد رضا على خان(١)

نظم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان تسعة أبيات من مجزوء الرجز فى مـــدح جده مولانا محمد رضا على خان فيستهل هذه المنظومة قائلا(٢):

جدى كـــان عالمـــا لم ير مثله النظـــر

بهجة جل من مضـــى حجة كل من غـبر

بان برمـــزه الزبـــر دان لزمره الزمـر

ولا أحسبه مادحا جده للصلة الأسرية التى تجمع بينهما، ولكنه مدحه لعلمـــه ومكانته بين أهل زمانه، وقيمته بين العلماء، وكيف أن علمه أثر فى غيره، والـــذى دفعنى لأن أنفى عنه أن سبب المدح هو الصلة الأسرية إنما كان مدحه لغيره مـــن العلماء الذين أثروا فيه وتأثر بهم خلقا، وعلما، وتصوفا، وودا، ومعاملـــة، ولعلـــه استدرك ورأى ألا يغفل جده من المدح لكونه من أهل العلم والفضل فـــى زمانـــه، ولعله أراد أن يكافئ جده وذلك للتوجيه إلى أن يشرب من المعين العذب وهو بحـــر العلوم الدينية واللغوية، لذلك ذكره فمدحه اعترافا بالجميل من ناحية وتقديرا لمكانته فى المجتمع باعتباره عالما من العلماء من ناحية أخرى، وإن لم يذكر ذلك الجميـــل

---

(١) أسلفنا ترجمته فى الفصل الثانى من الباب الأول لهذا البحث.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٨٣-١٨٤.

Marfat.com

فى أبياته هذه، وبعد هذه الأبيات الثلاثة مدح شاعرنا جده بأسلوب يتحدث عنه مرتب الديوان ومحققه الأستاذ حازم محمد قائلا(١): "هذه الأبيات فى فن السؤال والجواب وهذا الفن قديم معروف عند شعراء اللغة الفارسية وقلدهم فى النظم فيه شعراء اللغة الأردية".

لا تميل نفسى إلى ما ذهب إليه الأستاذ حازم من أن فن السؤال والجواب أسلوب فارسى الأصل فإننى أرى أن جذور هذا الأسلوب تمت إلى العربية بصلة ما يعرف فى علم البديع بفن المراجعة أو السؤال والجواب، يحدثنا عنه ابن أبى الإصبع المصرى قائلا(٢): "وهو أن يحكى المتكلم مراجعة فى القول ومحاورة فى الحديث جرت بينه وبين غيره، أو بين اثنين غيره بأوجز عبارة، وأرشق سبك وأسهل ألفاظ، إما فى بيت واحد أو فى أبيات [وقد تقع المراجعة مرتين فى شطرة واحدة] أو جملة واحدة كقول عمر بن أبى ربيعة:

"بينما ينعتننى أبصرننى ... مثل قيد الرمح يعدو بى الأغر
قالت الكبرى ترى من ذا الفتى ... قالت الوسطى لها هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها ... قد عرفناه وهل يخفى القمر"

... ومن جيد أمثلة فى هذا الباب قول أبى نواس:

"قال لى يوما سلما ... ن وبعض القول أشنع
قال: صفنى وعليا ... أينا أنقى وأنفع

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨٤.
(٢) تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القران لابن أبى الإصبع المصرى (ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٣هـ)، ص ٥٩٠ : ٥٩٢.

Marfat.com

قلت: إنى إن أقل مـــا فيكمـــا بـــالحق تجـــزع

قال: كلا قلت: مـــهلا قال: قل لى، قلت: فاسـمع

قال صفه قلت: يعطى قال: صفنى قلت: تمنـــع"

والى لطافة البحترى تنتهى الرئاسة حيث قال:

"بت أســـقيه صفـــوة الـــراح وضع الكأس مـــائلا يتكفـــا

قلت عبد العزيز تفديك روحى قال: لبيك قلت لبيـــك ألفـــا

هاكها، قال هاتها قلت خذهَـــا قال: لا أستطيعها ثم أغفى"

وإنى لأشهد بصحة ما قاله صاحب التحرير والتحبير من أن رئاسة هذا الفـــن تنتهى إلى البحترى، ولولا أنه وقع عند غيره لقلت يكفى الأدب العربى مـــا قالـــه البحترى فى هذا الفن، فلم يكن قد أصاب فحسب وإنما أراه بلغ القمة فى هذا الفـــن، بلوغه القمة فى الرقة وحلاوة التركيب، وماذا أستطيع أن أقول عن البحترى أكـــثر مما قاله غيرى، وهو "أنه أراد أن يشعر فغنى".

ونجد كذلك صاحب زهر الربيع يعد المراجعة من ألوان البديع فيقول معرفـــا بفن المراجعة(١): هى حكاية ما جرى من محاورة بين متخاطبين بقال، وقيل، وقلت - مثلا - بشرط تمام المحاورة، وأحسنها ما كان حسن السياق وسلس المعنى".

ونجد كذلك الإمام فخر الدين الرازى وهو يعد أقسام النظم العربى فيقـــول(٢): الوجه الثامن: فى السؤال والجواب، كقول الباخرزى:

---

(١) زهر الربيع فى البيان والمعانى والبديع، للشيخ أحمد الحملاوى (ط: المطبعة الأميريـــة ببـــولاق، مصر المحمية، ١٣٢٣هـــ)، ص ١٧٩.

(٢) نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز للإمام فخر الدين الرازى، تحقيق الدكتور بكرى شيخ أميـــن (ط: دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م)، ص ٢٩٤.

Marfat.com

قد قلت هجرتنى فماذا العلـة صدت وتمايلت وقالت قلـه

هذا وأرى أن من أحلى ما قيل فى فن المراجعة ما نظمه صفى الدين الحلـى فى قصيدته تحت عنوان: "قالت" وهى عبارة عن عشرة أبيـات، وأرى أن البيـت الثالث والرابع من أروع ما نظمه صفى الدين الحلى فى هذه القصيدة فلنسمع إليـه حيث يقول(١):

قالت تسليت بعـد فرقتنـا فقلت عن مسكنى وعن سـكنى

قالت تشاغلت عن محبتنـا فقلت بفرط البكـاء والحـزن

قالت تناسيت قلت عـافيتى قالت تنائيت قلت عن وطنـى

قالت تخليت قلت عن جلـدى قالت تغيرت قلت فـى بدنـى

إن أقدم ما وصلنى من شعر ما استشهدت به لعمر بن أبى ربيعة وهو شـاعر أموى، وقد ذكر بعضهم أن فن المراجعة هذا نبغ فيه عمر بن أبى ربيعة وبعـض أجواد العرب، ولم ينص على هؤلاء الأجواد ولا من هم، ومن الممكـن أن يكـون بعضهم من أهل الجاهلية، وإذا صح ذلك فإن فن المراجعـة يعـود إلـى بعـض الجاهليين، وإن لم تصح ولم تتحقق من أنه كان فى عصر الجاهلية فنسبته أقل مـا يمكن إلى العصر الأموى، ذلك العصر الذى لا أظن أن العرب قد استقت فيه شـيئا من أدب الفرس وحضارتهم لتطعم بها أدبنا، وبالتالى أرجو أن أكون قد اسـتطعت أن أصل فن المراجعة بأدبنا العربى لا بالأدب الفارسى كما ذكرت ذلك آنفا.

---

(١) ديوان صفى الدين الحلى، (ط: دار بيروت، للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٣هـ)، ص ٤٠٩، ٤١٠.

Marfat.com

ولقد أتى شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بهذا اللون من الشعر عند إقدامه على مدح جده مولانا محمد رضا على خان وكعادته أرخ لأمور ثلاثة خاصة بجده فيقول شاعرنا فى هذا الشأن(١):

قلت لطائف سرى طيف جماله السحر
تعلم عام إذ ولد؟ سيدنا الرضا الابر
قال رايت انجما قلت نظرت قال ذر
قلت فكيف نهتدى قال اضاءنا القمر١٢٢٣هـ
قلت ختام درسه قال اخار الدرر ١٢٤٧هـ
قلت فعام نقله قال محجل آغر ١٢٨٢هـ

وبمدحه لجده يكون الشاعر قد أتى ألوان المدح المتعددة لأشخاص عديدين بدأهم بسيد الأكوان - صلى الله عليه وسلم - وامتدادا لذلك لم يمدح إلا العلماء وأهل التقى والعلم والفضل، والمكانة الأسمى، كل أولئك كان دافعه للمدح، فلم يكن فى حاجة إلى التكسب ولا إلى النوال وإنما كان كل غايته إظهار مشاعره تجاه الممدوحين جميعا، بادئا ذلك بسيد الخلق - صلى الله عليه وسلم - كما أسلفنا - وذلك مع رغبته فى التقرب إلى الله - سبحانه وتعالى - واكتساب مرضاته، كما كان يرغب فى أن يتوسط ببعض ممدوحيه من أهل التقى والنقى إلى الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - يوم يتشرف بالمقام المحمود طمعا فى شفاعته - صلى الله عليه وسلم -.

ولاحظنا أن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان لم يسلك سبيل المبالغة بل كان مدحه فى حدود الشريعة الإسلامية التى كان شاعرنا متمسكا بها متعمقا فى علومها، وهذا ما يميزه عن أغلب الشعراء المعاصرين له.

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٨٤.

Marfat.com

المطلب التاسع

مدحه لمولانا محمد نقى على خان القادرى(١)

إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان نظم فى مدح العلماء ما نظم، وبالطبع نظم رباعية من بحر الطويل فى مدح والده مولانا محمد تقى على خان القادرى، ولكننا نلحظ - على حسب ما اطلعنا على الأبيات العربية للشيخ أحمد رضا خان - أنه لم يركز على مدح والده وجده بقدر تركيزه على مدح غيرهما من العلماء الذين لم يرتبط بهم شاعرنا بالنسب، فقد كان الدين يجعله مرتبطا بهم، وخدماتهم الدينية تجذب شاعرنا لمدح تلكم الصفوة، وهذه الرباعية التى نحن بصددها فى مدح مولانا محمد نقى على خان القادرى أراها مدحا لشخصيته الدينية، وليس المدح مقصورا فى شخصيته لكونه مجرد والد لشاعرنا بل أقدم شاعرنا على مدح والده نظرا لعلمه وصلاحه، وكأن الشاعر يتوجه بالشكر إلى والده على أفضاله، وعلى رأسها التوجيه الدينى الذى جعل شاعرنا من علماء الدين، فلم يكن والده قد وجه ابنه إلى المدارس الإنجليزية كدأب الأغنياء من الهنود، استهانة بالدراسات الدينية وطمعا فى المناصب الحكومية، فيقول شاعرنا: والله لم يبلغ ثنائى كمال مولانا محمد نقى على خان القادرى، وأرى أن اعتراف عجزى عن مدحه خير مدح له، فلو لم يكن للبحر ساحل لوصفته بالبحر، ولولا النقص للبدر لوصفته بالبدر، وإن الممدوح بحر لا ساحل له، وبدر لم يألف النقص، وفى هذا يقول شاعرنا(٢):

---

(١) أشرنا إلى ترجمة مولانا محمد نقى على خان القادرى فى الفصل الثانى من الباب الأول.

(٢) نزال الأنقى من بحر سبقة الأتقى، للشيخ أحمد رضا خان، ص ٥.

Marfat.com

"فو الله لم يبلـــغ ثنـــائى كمالـــه ولكن عجزى خير مدح لما لـــه

فذا البحر لو لا أن للبحر ســاحلا وذا البدر لو لا البدر يخشى مالــه"

نرى أن مدح شاعرنا لمولانا محمد نقى على خـــان القــادرى مــدح للقيــم الإسلامية التى كان الممدوخ متصفا بها، وكأن الشـــاعر يــبرز للقــراء شـــخصية الممدوح المثلى مادحا سعة علمه وكثرة خيره.

Marfat.com

المطلب العاشر

مدحه للشيخ معين الدين الجشتى الأجميرى(١)

بالإضافة إلى ما ذكرنا اهتم شاعرنا بمدح شخصية إسلامية كبيرة وهى شخصية الشيخ معين الدين الجشتى الأجميرى، مع العلم أن شاعرنا لم يتعرف على شخص الممدوح و إنما هى شفافية وصلت إليه عن طريق حديث العلماء عنه، فلم يلتق به إلا فى الفكر، وليس ذلك إلا لتقوى الممدوح وورعه وخدماته الجليلة فى

---

(١) ولد الشيخ معين الدين الجشتى الأجميرى فى عام ٥٣٧ للهجرة الموافق ١١٤٢ للميلاد وذلك بمدينة "سجستان" من بلاد فارس، وكان والده الشيخ غياث الدين حسن رجلا غنيا واسع النفوذ فى مجتمعه - نشأ الشيخ معين الدين الجشتى بمسقط رأسه على حب طلب العلم، ثم سافر إلى مدينة "بخارى" - التى كانت محط طلاب العلم من أنحاء العالم - حيث حفظ القران الكريم ودرس علوم التفسير والحديث والفقه، ولما اشتد شوقه إلى التصوف ارتحل إلى العراق حيث توجه إلى منطقة تحمل اسم "هارون" والتقى هناك بالشيخ العارف بالله الشيخ عثمان الهارونى، وأخذ منه الطريقة الجشتية وعكف هناك على أخذ المعارف الربانية زهاء عشرين سنة، فكان شيخه يصطحبه فى أكثر أوقاته حتى فى أسفاره وجولاته أيضا، ولما ذاع صيته فى أرجاء العراق غادرها الى بلدة "أصفهان" حيث لقى الشيخ محمود الأصفهانى فتتلمذ على يده، ومن هنا انتقل الشيخ معين الدين الأجميرى إلى المدينة المنورة حيث استقر بها مدة، ثم انتقل إلى مدينة أجمير بإشارة سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى المنام. واستقر بها طول حياته كما ذكر ذلك الشيخ عبد الحى اللكنوى، وقد حظى بمكانة مرموقة لدى رجال العلم والأدب، وأفاد منه جمع غفير من العلماء والمشايخ البارزين وعامة الناس، وقد دخل الإسلام على يده عدة ملايين من الهندوس كما ذكره الدكتور عبد المنعم النمر، وإنه يعرف بسلطان الأولياء فى الهند، توفى يوم الاثنين السادس من رجب سنة سبع وعشرين، وقيل: إثنين وثلاثين، وقيل: ثلاث وثلاثين وستمائة وله خمس وتسعون، وقبره مشهور ظاهر بمدينة أجمير يزار ويتبرك به.
انظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للشريف عبد الحى اللكنوى (ط: بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن، الهند، ١٣٨٢هـ)، جـ ١، ص ١٠٤.
وانظر: تاريخ الإسلام فى الهند، للدكتور عبد المنعم النمر، ص ٢١٨.

Marfat.com

نشر الإسلام فى شبه القارة الهندية فى القرن السادس الهجرى، وكان من أوائل الصوفية الذين قاموا بنشر التعاليم الإسلامية بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالطبع مدحه شاعرنا لوجه الله تعالى، وجاء هذا المدح ضمن قصيدة أنشدها مادحا مولانا فضل الرسول البدايونى، وقد وقعت أبيات هذا المديح للشيخ معين الدين الجشتى من البيت رقم خمسة وتسعين إلى البيت رقم خمسة بعد المائة، ولاحظنا أن شاعرنا كان قد نظم بعض الأبيات فى هجاء الخارجين على أهل السنة والجماعة، وذلك من البيت رقم اثنين وثمانين إلى البيت رقم تسعين وبعد ذلك لم ينتقل إلى المدح مباشرة بل أخذ يخاطب نفسه بالنصح، ويبدو فى هذا الخطاب تواضع شاعرنا، وهذا التواضع من شأن أهل العلم، حيث إنه أتبع هذا التواضع بعد الهجاء، فكأنه يريد أن يقول: لم تكن حمية الجاهلية مثيرة لنظم هذا الهجاء بل كان هذا الهجاء للغيرة الدينية، وللدفاع عن الشريعة الإسلامية الغراء، فإنه لم يكن شاعرا فحسب بل يضاف إلى ذلك علمه وفقهه ونجده يجعل هذا الخطاب كمدخل لمدح الداعية الإسلامى الكبير الشيخ معين الدين الجشتى الأجميرى فيقول فى هذا الصدد(١):

"قم يارضا لا تغش أهل غشاوة ذرهم وماهم فيه من خذلان

اشغل بنفسك أنت أجنى من جنى كم من معاب هن ونصح فلان

تب يا أثيم فقد أظل زمانه يمحى بهاجم من العصيان

ثق بالرسول المستعان وفضله وائت المزار الباهر السلطان"

نرى شاعرنا بعد هذا التمهيد الموجز يخاطب نفسه قائلا: توسل بالشيخ معين الدين الجشتى الأجميرى رغم أنف المنكرين للتوسل بالأولياء الصالحين، فنجده يناجى ممدوحه متوسلا به إلى الله تعالى فيقول(٢):

"رغما لأنف الآنف المستكنف الـ محروم عن بركات ذا الإتيان

وارفع نداك بيا معين الحق يا زين الزمان وبهجة البلدان

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٧-٧٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٨.

Marfat.com

ياعين سر الحـــق فـــى أســـراره ياسر عين الحق فى الإعـــلان

ياروح ياريحان يـــــاروح الصفـــا ياغيظ أهل الزيغ والخســـران

يـــامن فضلـــت بنســـبته العلـــــى ياعبد من هو سيد الأكـــــوان"

يتجه شاعرنا متوسلا بالشيخ معين الدين الجشتى إلى ذكر ماله من الفضـــائل التى أكرمه الله تعالى بها، وفى البيت رقم مائة وخمسة يســـأل شـــاعرنا ممدوحـــه الشفاعة إلى الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وذلـــك عندمـــا يتشـــرف بالمقام المحمود الذى وعده به ربنا تبارك وتعالى، وفى هذا البيت يجســـد شـــاعرنا رغبته الشديدة فى شفاعة الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بوسيلة هـــذا الرجل الصالح الذى ينتسب إلى سلالة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وذلك إلى جانب ورعه وتقواه، ففى هذا يقول شاعرنا مخاطبا ممدوحه(١):

جئناك نرجو منك فضلا أن حبـــا فضل الرسول لك العلو الدانـــى

عظم العلو فأنت فردوس المنـــى كرم الدنو فـــأنت قطـــف دان

أجد العنايـــــة لا يقـــل جدودنـــا أعد الإعانة لا يقل لك وانـــــى

أن قد أعنت وما عنيت معيـــــن فلاى معنى ذا المعان معـــــان

إن كان للأضياف نزل عندكـــــم فقراى ثأرى من أولى عـــدوان

أرجو الشفاعة من عند أبيـــك إذ باب العنايـــــة لا يســـد لعـــان

فى قوله: "فردوس المنى" حديث عن أن ممدوحه فى أعلى الدرجات، لذلـــك يرجو شاعرنا أن يكون من أحبابه، فحبه أغلى ما يتمناه شاعرنا، ونلاحظ الجنـــاس التام بين كلمتى "معان" إذ الأولى معناها المرجو عطـــاؤه، والأخـــرى "المصـــاب بالتعب" وبالطبع تنصرف الأولى إلى الممدوح والأخرى إلى الشاعر.

هكذا وجه شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان موهبته الشعرية إلـــى مـــدح هـــذا الرجل الصالح رغبة فى شفاعة الممدوح عند الحبيب المصطفى - صلى الله عليـــه وسلم - يوم القيامة، وهذا الموضوع تميز به شاعرنا عـــن الشـــعراء المتكســـبين

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٨.

Marfat.com

أموال الدنيا بمدح الملوك والأمراء، فإنه يفضل أن يتكسب النجاة على أن يجمع أموالا فى الدنيا، وهذا شأن المؤمن الصادق، فالمال والنوال فانيان وأما الكسب الدينى والذى يأخذ بيد العبد إلى النجاة فى الدنيا والآخرة فذاك خير وأبقى ولا يدرك هذا إلا العاقل الذى لا يرى أن المال يصحبه فى آخرته، وإنما كل ما فى الدنيا من نعمة فهى إلى زوال، فإما أن نتركها وإما أن تتركنا، طريق النجاة فى الدنيا والآخرة فهو أنفع لذى الدين والعقل السليم.

ونلاحظ أن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان أسند الأبوة إلى ضمير الخطاب فى قوله: "أبيك" وهو يعنى الحبيب المصطفى - عليه الصلاة والسلام - وإن كنت أرى أنه أبو الروح لجميع المسلمين، حتى أن بعض القراءات قرأ صاحبها قوله عز وجل فى سورة الأحزاب: **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم** (١) ويؤيد رأينا هذا قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -(٢): « **كل تقى ونقى فهو آلى** » فالأبوة موجودة غير أننى أحاول تبرير موقف الشاعر ذكرها بضمير الخطاب، بينما كان من الواجب أن يذكر بضمير المتكلم ومعه غيره، فأرى أنه آثر ضمير الخطاب للسببين الآتيين:

أولاً: اعترافا من الشاعر بمكانة الممدوح وتقواه، حيث يراه شاعرنا أرفع تقوى وصلاحا منه، فلذلك وسط شاعرنا ممدوحه بينه وبين النبى - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) ذكر الإمام السيوطى بعض الروايات فى هذا المعنى فلنسمع إليه حيث يقول:
اخرج الفريابى وابن مردويه والحاكم والبيهقى فى سننه عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه كان يقرأ هذه الآية **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم** .
وأخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة - رضى الله عنه - قال: كان فى الحرف الأول **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم** .
وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: فى القراءة الأولى **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم** .
انظر: الدر المنثور فى التفسر المأثور للإمام جلال الدين السيوطى، (ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م)، جـ ٥، ص ٣٥١.

(٢) الدز المنثور فى التفسير المأثور، للإمام جلال الدين السيوطى، ج ٣، ص ١٨٣.

Marfat.com

ثانياً: إشارة إلى نسب الممدوح الممتد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فكأنه قصد كلمة الجد ولكنه نظرا للوزن الشعرى استخدم كلمة الأب.

ومن هذه الرغبة فى شفاعة الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بواسطة الشيخ معين الدين الجشتى الأجميرى تبدو الخشية الإلهية التى اتصف بها شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان.

وبعد حديثى عن هذا الغرض الشعرى أستميح القارئ عذرا لأنى مررت على أمور لم أشأ أن أقف عندها ذلك لأن الوقوف عندها يحتاج إلى حديث طويل وليس من موضوع حديثنا فنحن غايتنا وموضوعنا الناحية الأدبية ما يفتح الله علينا به من حديث عنها وما يجود به - سبحانه وتعالى - على مشاعرنا من إحساس تجاهها، أما التوسل وغير ذلك فليس من موضوعنا هنا، لذا طلبت إلى القارئ أن يتفضل علينا بالعفو عن أخطائنا والمسامحة العامة.

Marfat.com

المطلب الحادى عشر

مدح أثناء الهجاء

هذا حديث عن ثمانية وستين بيتا قالها شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فى مدح علماء أهل السنة والجماعة المتصدين للرد على الأفكار الزائغة للفرق المجتمعة تحت مظلة جمعية الندوة، والأبيات التى نحن بصدد الحديث عنها من قصيدة قوامها سبعون ومائة بيت فى هجاء الفرق الزائغة ذوى الأهواء غير المستقيمة(١) من منظور شاعرنا موضوع البحث ، و الأبيات التى أتناولها تحتوى على مدح خمسة و خمسين عالما، ورأيت ألا أذكر مدحهم فى فصل الهجاء، وإن كان المدح واردا فى قصيدة صيغت للهجاء، لأن هذه الأبيات أقرب إلى المدح منه إلى الهجاء.

قد يبدو هذا العنوان غريبا ولكنه ليس بغريب، وذلك لأنه يبدو كأن الشيخ أحمد رضا خان استخدمها للهجاء أيضا ولكن بطريقة أراها مختلفة، وذلك لإنى أرى أن للهجاء طريقين، الطريق الأول أن يلوم الشاعر مهجوه ويظهر مثالبه وعيوبه، والطريق الآخر أن يأتى الشاعر إلى نقيض المهجو والمخالف له فيمدحه، فحين يمدح الشاعر مخالفا للمهجو يعد هذا المدح أيضا ذما للمهجو ، وحين يمدح شاعرنا علماء أهل السنة والجماعة ويهجو الخارجين عليهم فإنه يصب لومه على المهجوين بالأسلوبين المذكورين آنفا، على أننى أرى أن هذا النوع الثانى من الهجاء، هجاء غير مباشر ولكنه مدح مباشر، لذا رأيت أن أجعل هذه الأبيات فى

---

(١) حاولنا دراسة أبيات الهجاء هذه فى الفصل الثالث من الباب الثانى.

Marfat.com

الفصل الأول من الباب الثانى و الذى خصصناه لدراسة المدح، و الذى يؤكد صحة ما ذهبت إليه من أن للهجاء طريقين هو أننى لم أكتب عنوانا يماثل هذا العنوان، لذلك لم أشأ أن أقول "غزل أثناء كذا" أو "فى بداية كذا" أو غير ذلك من الأغراض.

يتكون هذا المدح من ثمانية وستين بيتا كما سبق أن ذكرنا بدأ من البيت السادس و الخمسين إلى البيت التاسع عشر بعد المائة، ثم من البيت الحادى و السبعين بعد المائة إلى البيت الرابع و السبعين بعد المائة وبذلك يصل المجموع إلى ما أشرنا إليه آنفا.

بدأ شاعرنا مدح علماء أهل السنة و الجماعة بتعديد فضائلهم وذكر مآثرهم، و يبين كذلك خدماتهم الجليلة من أجل الإسلام و المسلمين، و هذا منه يدل على مدى احترامه و إكباره لمعاصريه من أهل العلم، ففيما قاله فى شأنهم أنهم كسحب ممطرة على العطشى فى الصحارى، وجودهم لا يترك أحدا فى حرمان، وفى هذا يقول(١):

"فنادينا لنادينا كراما ... بهم لصرامها يرجى الهمود

فضائلهم سحائب ماطرات ... وتمطر بالسداد لهم سدود(٢)

بغيثهم يغاث المستغيث ... إذا ما الناس فى الفيفاء جيدوا

وجودهم وجودهم كجود ... يجود فلا جواد و لا مجود(٣)"

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١١٩.

(٢) يقول شاعرنا: سدود جمع سد بالضم: السحاب المرتفع الساد للأفق كما فى المحكم. المرجع السابق ص ١٢٨

(٣) والجواد كغراب: العطش أو شدته، جيد يجاد فهو مجود عطش قاموس. (ترتيب القاموس المحيط (للفيروزابادي) على طريقة مصباح المنير و أساس البلاغة، للأستاذ طاهر الزاوي الطرابلسي و (ط: مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٥٩م) ج ١، ص ٤٧٣، ٤٧٤) المرجع السابق ص ١٢٨.

Marfat.com

فى البيت الأخير نلحظ كثرة الاشتقاقات حيث يتولد منه الجناس، إذا كان شاعرنا قد مدح كرم العلماء فنجده ينتقل إلى مدح تقواهم، ورسوخ قدمهم وثباتهم مشبها ذلك بالجبال الشامخات الضاربات إلى أبعد الأعماق، وبالتالى فثباتها غير مشكوك فيه، كما شبههم بالأسود عند اللقاء، وأضاف إلى هذا أنهم ليسوا أسودا عاديين بل إنهم أسَد لا تزجرهم جنود، ونجده عند استخدامه هذا الأسلوب يضمن شعره ما قاله سيدنا حسان بن ثابت الأنصارى، و إن كانَ الغرض الشعرى بالطبع يختلف، فالاستئناس بالشكل العام للتشبيه(١):

"ونشر بها وتتركنا ملوكا وأسدا لا تنهنهنا اللقاء"

وبعد هذا التضمين يقدم شاعرنا لبيان علو منزلة العلماء لأهل السنة والجماعة قائلا إن أعلام علمهم خافقات فى الشمال والجنوب، ولها بنود عاليات، ويستطرد شارحا أسلوبه هذا حيث يقول(٢): "فيه من المبالغة ما فيه، فجعل الأعلام من ذوى الأعلام وقرر لها بنودا عاليات، وذلك على وزان ليل لائل وأليل ومُلَيَّل، و دهر دهير داهر، ودهور ودهارير، وأبد آبد أبيد، إلى أمثال ذلك" وفى هذا يقول شاعرنا(٣):

اذا ذكر النقى فهم اللآلى وإن كان اللقاء فهم الأسود

---

(١) ديوان حسان بن ثابت الأنصارى، ص ٨.
تشتمل هذه القصيدة على اثنين وثلاثين بيتا بدأ من:

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء

وتنتهى بقول الشاعر :

لسانى صارم لا عيب فيه وبحرى لا تكدره الدلاء

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٢٨.
وانظر: لسان العرب، للإمام أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ط: دار صادر، بيروت، ١٣٧٤هـ)، ٦٩/٤، وكذلك ٦٠٨/١٦.
وانظر: تاج العروس، للزبيدى، ٣١٩/٣، وكذلك ١٠٩/٨.

(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١١٩.

Marfat.com

جبال لا تزحزهم عصوف وأسد لا تنهنهم جنود

لهم أعلام علم خافقات علت فى الخافقين لها بنود

ونخل السبق فيهم باسقات مظللة لها طلع نضيد

وهنا نجد فى البيت الثالث والستين أن شاعرنا يشير إلى الآيتين القرآنيتين حيث قال الله عز وجل(١): **ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد. والنخل باسقات لها طلع نضيد** وبعد هذا الاقتباس القرآنى ينتقل شاعرنا إلى الحديث عن مجلس هؤلاء العلماء الربانيين وما فيه من وقار، وهيبة، وقداسة، كما يصف لنا أحوال الحضور إليهم فيذكر بأن جليسهم لا يشقى لأنه جلس فى صحبة الصالحين الذاكرين الله تعالى، ويرى أن مجلسهم يتميز بكونه مجلس علم وتقوى لا يذكر فيه إلا كل ما يتفق مع الشرع الحنيف، فنجد شاعرنا يصف هذا المجلس قائلا(٢):

"بمجلسهم تحف طيور قدس ولا يشقى بهم لهم قعيد

هدى هاد مهدى من لديهم بديد أو عديد أو حديد"

هنا نلحظ إقداء شاعرنا على الاقتباس من الحديثين الشريفين ، ففى الشطرة الأولى من البيت الأول يشير إلى الحديث النبوى الشريف حيث قال حبيبنا المصطفى - صلى الله عليه وسلم -(٣): « **لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده** » فشاعرنا يشير إلى الملائكة بقوله "طيور قدس" فلم يقصد من طيور القدس إلا هذه الجماعة من الملائكة.

أما الاقتباس الثانى ففى الشطرة الثانية من البيت الثانى وهو اقتباس من حديث النبوى الشريف حيث قال حبيبنا المصطفى - صلى الله عليه وسلم -(٤): «

---

(١) سورة ق: ٥٠/٩. ١٠.

(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان . ص ١١٩.

(٣) صحيح مسلم المسمى الجامع الصحيح للامام مسلم بن الحجاج القشيرى (ط:مصطفى البابى وأولاده بمصر، ١٣٧٧هـ). القسم الثانى، جـ ٢. ص ٢٢٧.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، (دار صادر، بيروت، دون سنة الطبع)، جـ ٢، ص ٣٥١، ٣٥٢.

Marfat.com

إن لله ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم إلى السماء الدنيا، فيقول الله: أى شئ تركتم عبادى يصنعون؟ فيقولون: تركناهم يحمدونك، ويمجدونك، ويذكرونك، فيقول: هل رأونى فيقولون: لا، فيقول: فكيف؟ فيقولون: لو رأوك لكانوا أشد تحميدا وتمجيدا وذكرا، فيقول: فأى شئ يطلبون؟ فيقولون: يطلبون الجنة، فيقول: وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا، فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا، قال: فيقول: ومن أى شئ يتعوذون؟ فيقولون: من النار، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا قال: فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها هربا، وأشد منها خوفا، قال: فيقول: إنى أشهدكم أنى قد غفرت لهم. قال: فيقولون: فإن فيهم فلانا الخطاء لم يردهم وإنما جاء لحاجة، فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم".

واستمرارا فى مدح علماء أهل السنة يصف لنا الشاعر حال الممدوحين بأنهم يحولون الصحارى إلى الأمصار، كأنهم يصطحبون معهم كل رونق وبهاء، وكأنهم جعلوا تلك الصحارى بساتين بمجرد حلولهم فيها، ومهما جمع لهم الشاعر من صفات خير لن يساوى شيئا بجانب وصف القرآن، يرى الشاعر وصفهم به وصفا يطابق ما قاله القرآن العظيم، فما أحسن أن يقول لهم: "إنهم حزب الله" والسامع والقارئ يعرف أن حزب الله هم المفلحون[1] طبقا لرأى ملك الملوك - جل وعلا - ولنسمع صوت الشاعر وهو يقول[2]:

"إذا حلوا تمصرت الفيافى وحين ترحلوا الأمصار بيد

أولاء الحزب حزب الله حقا وسيد حزب الاعداء المريد"

يبرر شاعرنا موقفه من حذف الهمزة ونقل حركتها إلى الساكن قبلها فيقول[3]: "بدرج الهمزة، وهو شائع فى فصيح الكلام نظما ونثرا، وقد التزمه ورش

---

(١) هذا اقتباس من قول الله - عز وجل - فى سورة المجادلة ٥٨/٢٢.

(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان . ص ١٢٠.

(٣) المرجع السابق . ص ١٢٨، ١٢٩.

Marfat.com

فى قراءته من أول القرآن العظيم إلى آخره فيقرأ فى قوله تعالى( ): **وبـــالآخرة هم يوقنون** وبالاخرة هم يوقنون، بفتح اللام وحذف الهمزة، وقـــال زهـــير بـــن جناب: "ولازمت الملوك من ال نصر" وقال كعب بن زهير - رضى الله عنـــه -: "موعودها ولو أن النصح مقبول" وعندما راجعت الإمام الشاطبى فى هـــذا الأمـــر وجدته يقول تحت عنوان باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها(٢):

"وحرك لورش كل ساكن آخـــر صحيح بشكل الهمز واحذفه مســـهلا"

رأينا رأى شاعرنا فى شأن علماء أهل السنة والجماعة المقـــاومين لأفكـــار الفرق الثلاثة المجتمعة فى جمعية الندوة، وأرى أنه عندما أقدم على مـــدح هـــؤلاء العلماء قصد الإجلال لهم، وبالطبع يستفاد من هذا الإجلال إذلال لأولئك المخـــالفين لهم، والذين لم يكونوا على نسقهم، فشاعرنا يهجو فرقا معينة ويمدح أخرى مخالفـــة لهم فى المنهج أولئك السائرين على منهج أهل السنة والجماعة، وكلتـــا الطريقتيـــن تؤدى إلى هجاء المهجوين ومدح الممدوحين الذين وقفوا وقفة الرجل الواحـــد فـــى وجه تلك الفرق المخالفة، وقاموا بمقاومتهم رغبة فى إصلاحهم، واستمر شـــاعرنا يمدح هؤلاء اللفيف من العلماء من البيت السادس والخمسين إلـــى البيـــت الســـابع والستين، ثم أقدم شاعرنا على ذكر أسماء هؤلاء العلماء الممدوحيـــن فـــى أبياتـــه، واستمر فى ذكر أسمائهم، حتى البيت السابع عشر بعد المائة، فمرة يذكر واحدا فـــى بيت وأخرى يذكر أكثر من واحد، ولم يذكر شاعرنا أسماء جميع العلماء بل اكتفـــى بالإشارة إلى أعلامهم فقط، وقد ألمح إلى هذا الأمر قائلا(٣):

"أصول جلـــهم والفـــرع أكـــثر وإن جمعوا فأضعاف شـهود

فلو أنى قصـــدت الكـــل ذكـــرا لزال القصد وامتد القصيـــد

---

(١) سورة البقرة ٢/٤.

(٢) حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع، للإمام قاسم بن فيره الشـــاطبى (ط: مكتبـــة دار الهدى المدينة المنوره ١٤١٥هـــ)، ص ١٩.

(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٢٢.

Marfat.com

وضيق نطاق نظمى عذر نقصى وعفوهم كثير لا زهيد"

وكأن شاعرنا بذكر أسماء هؤلاء الممدوحين يريد أن يقول: إنما ما أقدمت عليه فى الرد على هؤلاء المهجوين لم يكن ذلك رأيا لى أنفرد به، بل كان الرأى ما هو عليه إجماع أهل السنة، ويقول أيضا: أنا لست إلا واحدا من عدد ليس بقليل، وهذا القول منه يدل على أن علماء المسلمين لا يجتمعون على الباطل، هنا لم يذكر شاعرنا أسماء المهجوين كطبيعته فى الهجاء فهو دائم الترفع عن التصريح بأسماء المهجوين، وذلك لأثر السنة المشرفة فى أدبه، فقد كان حبيبنا - عليه الصلاة والسلام - يقول(١): «**ما بال أقوام**»، ونجده يخص بالذكر أعلام علماء أهل السنة والجماعة المدافعين عن الدين الحنيف والمتصدين لكل أعدائه، ومن الممكن أن نقول: إن شاعرنا لم يذكر أسماء المهجوين لأن شخصهم لم يكن مقصودا من الهجاء فضلا عما ذكرناه قبل ذلك من تعليل ولأن الهدف من الهجاء هو الفكر السائد والعقيدة المعوجة المعارضة لمذهب أهل السنة والجماعة، والتى دافع عنها علماء أهل السنة وأخذوا فى الدعوة إليها، فنجد الشاعر يركز على المساوئ أكثر من تركيزه على الشخصيات، على كل حال لم يقصد شاعرنا من قصيدته هذه المدح أكثر مما قصد إليه من الهجاء بهدف الإصلاح وعودة المهجوين إلى جماعة المسلمين.

بدأ شاعرنا ذكر أسماء العلماء مع الإشارة إلى فضائلهم فبدأ بذكر مولانا "أمين أحمد البهارى" الذى اعتبره شاعرنا خير خلف لخير سلف، ورأى أن شمائله - بسبب تمسكه الشديد بالشريعة الإسلامية الغراء ونصرتها - تذكرنا بالصحابة - رضى الله عنهم أجمعين - وأن سحاب جوده العلمى والروحى تجود على كل، وفى هذا يقول(٢):

"أسمى بعضهم أسماء نظمى فليس الكل يحتمل النشيد

---

(١) كنز العمال فى سنن الأفعال والأقوال، للعلامة علاء الدين على المتقى، (ط: مؤسسة رسالة، بيروت، ١٤١٣هـ)، ج ١٤، ص ١٠٣.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٢٠.

Marfat.com

بقية الأولياء أميـــن أحمـــد أمين أحمد أمـــن حميـــد

شمائله تذكرنـــا الصحابـــة سحائبه على كل تجـــود"

وبعد هذا يقدم شاعرنا على ذكر مولانا عبد القادر البدايونى الملقـــب "بتـــاج الفحول" فيراه شاعرنا قدوة لجميع المذكورين من أعلام العلمـــاء، وذلـــك لأن الله تبارك وتعالى أكرمه بالمجد، ثم يصفه شاعرنا بالجُود والمجد، ويرى أن كل هـــذا الفضل والجود والمجد ببركة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى اهتدى بـــه ممدوح شاعرنا، وسلك سبيله واتبعه، والتزم شريعته طول حياته، وفى هذا يقـــول شاعرنا(١):

"وقدوة جمعهم تاج الفحـول إمام الحق ليس له نديـــد

وما أدراك ما تاج الفحـول بفضل المجد فضله المجيد

وتوجه بتاج الفصل حقـــا رسول الله ليس له ضديـــد

جواد جيـــد جـــود مجـــاد مجيد ماجد مجـــد مجيـــد

وذا فضل الرسول لمهتديـــه فكيف يناله غـــاو كئـــود"

يوضح شاعرنا معنى الشطرة الثانية من البيت الثالث والسبعين قائلا(٢): "ليس له ضديد": أى لا مخالف لحكمه - صلى الله عليه وسلم - فإن أريد ما يجرى علـى لسانه الكريم من الأحكام التكوينية بنيابة ربه العظيم فالنفى حقيقة لا مخالف له فيـها أحد أبدا وإن أريد الأحكام التشريعية فالنفى كما فى قوله عز وجـــل(٣): **لا ريـــب فيه** أى ليس من شأنه أن يرتاب فيه.

فى البيت الثانى والسبعين نلحظ أن شاعرنا قد أشار إلى اسم جـــد الممـــدوح مولانا عبد المجيد البدايونى، وذلك فى قوله "فضله المجيد" ثم فـــى قولـــه: "مجيـــد

(١) المرجع السابق. ص ١٢٠.
(٢) المرجع السابق. ص ١٢٩
(٣) سورة البقرة ٢/٢.

Marfat.com

ماجد . كما يشير شاعرنا إلى اسم والد الممدوح مولانا فضل الرسول البدايونى، وذلك فى قوله: "وذا فضل الرسول لمهتديه"، وهنا يمكن لنا توجيه الكلام إلى كلا المعنيين القريب والبعيد، وكذلك نجد الجناس فى البيت الرابع والسبعين، وهو جناس غير تام.

وبعد هذا يقدم شاعرنا على التحدث بنعم الله - سبحانه وتعالى - عليه، حيث يشير إلى أن الله تعالى أكرمه وجعله من علماء أهل السنة فهو يشكر الله تعالى على نعمة الإيمان كما يذكر ويشكر بما من الله عليه من توفيق للتصدى لمقاومة البدع وإحياء السنة وتجديد الدين، ويشير كذلك إلى يديه المدافعتين عن الشريعة الإسلامية، والمتصديتين لأهل الردى لمقاومتهم وإصلاحهم، وثنى اليدين كناية عن كثرة كتاباته، وكأنه يمسك بقلمين، أو يشير إلى كلتا يديه وهما تتناوبان فى الكتابة حتى لا يتسلل التعب والإنهاك، ثم يلمح كذلك إلى تصانيفه الكثيرة المسفرة التى صنفها بتوفيق الله تعالى، وإن هذه التصانيف إن كانت مثل "إسفار صبح يطلع بالعيد السعيد" وذلك لأهل السنة والجماعة فإنها فى نفس الوقت ذات حد حديد وتبقى بلا غمد وتقضى على الفتن والضلالة بضربة واحدة، وفى نهاية هذه الأبيات التى خصصها للحديث عن نعم الله تعالى عليه يقول شاعرنا عن نفسه:

رضى الحبيب النقى الهاشمى - صلى الله عليه وسلم - حماه فكيف يستطيع أن يوهنه أى لدود، ومن الجدير بالذكر أن شاعرنا فى هذا البيت ألمح إلى اسم جده مولانا محمد رضا على خان إلىْ جانب اسم والده مولانا محمد نقى على خان حيث يؤدى اللفظ معناه القريب والبعيد على السواء، فهذه الأبيات وإن كانت تدخل إلى الفخر ولكنه فخر محمود، لأن شاعرنا فى الأساس يفخر بالدين يعنى أنه يرى أنْ هذا محل الفخر، ولكن مبعث فخره هو تمسكه بالدين، والتمسك بالدين لا يمقت المفتخر به، بل هو أهل لأن يكون محلا للفخر، وإذا كان شاعرنا يفخر بتمسكه بالدين فهو ينعى على هؤلاء المهجوين - والذين هم موضوع هذه القصيدة باستثناء أبيات المدح والتى أنا بصدد الحديث عنها، وسوف أعرض لهجائهم فى الفصل

Marfat.com

الثالث من هذا الباب – وعدم تمسكهم بالدين وتفلتهم منه، وفى هذا يقول(١):

"وعالم أهل السنة مصطفانا مجدد عصره الفرد الفريد

له أيد بها منح الأيادى ورد روى لصولتها عقيد

وأسفار بها إسفار صبح متى يطلع يعد عيد سعيد

حسام حاسم الطغوى بعمد بلا غمد له حد حديد

وعز رضا نقى هاشمى حماه فكيف يوهنه لدود"

وبعد هذا يشير إلى اسم مولانا محمد عبد الصمد النقوى السهسوانى الجشتى النظامى، رئيس مجلس العلماء لأهل السنة لدائرة بريلى(٢).فوصفه بالإعراض عن الدنيا وتوجهه إلىْ الله تعالى، ثم أشار إلى اسم مولانا هداية الله الجونفورى الذى كان طوال حياته مرجعا لطلاب العلم، ثم أشار إلى اسم عالم دينى كبير وهو مولانا وصى أحمد الملقب بالمحدث السورتى، الذى كان شديد التمسك بالدين، وفى هذا يقول(٣):

"وعبد سيد صدر الفضائل بذى صمد إلى الصمد استفيدوا

وفاضل جونفور هداية الله لطلاب الهدى شيخ مفيد

وذو وقر الجبال وصى أحمد اسد أشد بل أسد اسيد"

وبعد هذا يشير إلى اسم عالمين جليلين ويقول عنهما مخاطبا كل فرد إنك تعتبر مصيبا كل الصواب إذا نسبتهما إلى الحق والصدق وجادة الصواب، وهما مولانا السيد نصير الحق الجشتى النظامى، ومولانا السيد وحيد الحق، كما يشير فى البيت الخامس والثمانين إلى ثلاثة أسماء هم مولانا غلام حسين، ومولانا مظفر حسين، ومولانا عزيز الدين، وفى البيت السادس والثمانين يشير إلى اسم مولانا أمين المومر فى مدينة جرهوه(٤) ثم أشاد بمجدهم وسيادتهم، وفى هذا يقول(٥):

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٢٠.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٢٩.

(٣) المرجع السابق. ص ١٢١.

(٤) المرجع السابق، ص ١٣٠.

(٥) المرجع السابق، ص ١٢١.

Marfat.com

"ومن للحق إن تنسب تقل ذا نصير ذا وحيد ذا شـــهود

غلاما للحســـين وللمظفـــر عزيز الدين ذا عز يسود

أمير والمؤمر فى جرهـــوه بفضل سيادة كلا أشـــيد"

وبعد هذا أقبل شاعرنا على الإشارة إلى اسم مولانا محى الديـــن الفلـــوارى تشبيهه بورد مدينة الفلوارى، كما شبهه بالنجم الفريد فى سماء مدينة فلوارى، ثـــم شار إلى اسم مولانا عبد المقتدر البدايونى ابن مولانا عبد القادر البدايونى[١] وقـــد آه رفيع القدر، وأرفع مما قدره الحاسد، ثم يشير إلى أن المذكورين من عبـــاد الله لصالحين المتمسكين بدين الله تعالى لا يزالون يتمسكون به ولو قطع الوريد، وفـــى هذا يقول[٢]:

"بفلواريه محى الديـن ورد لبدر ســـمائها نجـــم فريـــد

وعبد المقتدر أقدرت قـدره رفيع فوق ما اغتاظ الحسـود

وللقيوم عبد نصـــر دينـــه يقوم به وإن قطع الوريـــد"

وبعد هذا ينتقل إلى ذكر أسماء آخرين فأقدم على ذكر مولانا ســـراج الديـــن سلامة الله الرامفورى، وقال عنه: إنه عليم وعالم وعلم شهير، كما أنـــه صـــاحب حكمة وبصيرة، ثم دعا له بالسلامة، ثم يقول: إن مولانا عناية الله الرامفورى مكرم بهات الهدى، وعندما يصير أحد من أهل الضلالة عنيدا يقومه الممدوح بأســـلوب علمى مقنع يليق بالعلماء، ثم يشير إلى ثلاثة أسماء، وهم مولانـــا إعجـــاز حســـين الرامفورى، ومولانا أرشد على الرامفورى، ومولانا عبد الغفار خان الرامفورى[٣] وفى هذا يقول[٤]:

"عليـــم عـــالم علـــم شـــــهير حكيم محكم حكـــم شـــهيد

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٣٠.
(٢) المرجع السابق، ص ١٢١.
(٣) المرجع السابق، ص ١٣١.
(٤) المرجع السابق، ص ١٢١.

Marfat.com

سراج ن ابو الزكاء سلامة الله حباه سلامة المبدى المعيد

عنايات الهدى لعناية الله إذا بضلاله يعنى عنود

وإعجاز الحسين على ن ارشد وللغفار عبد لا يشيد"

تحدثنا فيما سبق – ضمن تحليل البيت السادس و الستين – عن حذف الهمز ونقل حركتها إلى ساكن ما قبلها، ولقد وقع نفس الكلام فى "سراج ن أبو الزكاء" و "على ن ارشد" يبرز شاعرنا موقفه من نقل حركة الهمزة إلى ما قبلها فى البيت الحادى و التسعين فيقول(١): "بدرج الهمزة، ونقل حركتها إلى الساكن قبلها و هو التنوين" وقد سبق أن أشار شاعرنا إلى حذف الهمزة ونقل حركتها إلى الساكن قبلها وأثبت أن هذا أسلوب عربى فصيح شائع فى النظم و النثر، وقد التزم به الورش فى قراءته. كما استدل بقول زهير بن جناب، وكعب بن زهير – رضى الله عنه – وقد أتى هذا الكلام فى تهميشته للبيت السادس و الستين.

وبعد هذا يشير شاعرنا إلى اسم مولانا السيد ظهور الحسنين الرامفورى ابن مولانا السيد محمد حسن بن مولانا السيد محمد أكبر أبو العلائى الدانافورى، وفى البيت الذى يليه يذكر اسم العالم الناشئ – فى تلك الفترة – مولانا محمد حامد رضا خان(٢) وشبهه بالغصن الجديد من غراس أجداده، ثم يذكر اسم مولانا أحمد على شاه المرزافورى بما له من المحامد و المعالى و الجدود، ثم يشير إلى اسم مولانا محمد رمضان الأكبر آبادى(٣) الذى يراه شاعرنا بعيدا عن طعم الهوى استئناسا بما فى اسمه من كلمة رمضان لذا شبهه بالصائم عن تذوق الهوى، وقد أشار إلى اسم مولانا السيد جمال إسماعيل المارهروى، وفى هذا يقول(٤):

ظهور الحسن للحسنين فينا ومحسننا لأكبرنا وليد

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٣٥.
(٢) المرجع السابق. ص ١٣١.
(٣) المرجع السابق. ص ١٣٢.
(٤) المرجع السابق. ص ١٣٢.

Marfat.com

وفى دوح العلى حامد رضا مـــن غراس جدوده الغصن الجديد
لمرزافور من أحمد علـــى الـــــ محامد والمعـــالى والجـــدود
وعن طعم الهوى رمضان صـائم وصبح جمال إسماعيل عيـــد

وبعد هذا يشير شاعرنا إلى اسم مولانا السيد أعظـــم شـــاه الشـــاهجهانفورى بصفه بكونه أعظم كاتب إسلامى فى مدينته، ثم يشير إلى اسم مولانا عبد الكـــافى إله آبادى داعيا له أن يكفيه ربه الودود من شرور الدنيا ومـــا فيـــها، وقـــد قـــام الترخيم فى اسمه فى الشعر نظرا للوزن الشعرى، ثم يشير إلى اسم مولانا عبيـــد الله الإله آبادى، فمولانا السيد محمد بشير الأجملى الإله آبادى، فمولانا بشير الديـــن الجبلفورى، فمولانا محمد عبد السلام الجبلفورى، وفى هذا يقول(١):

"وأعظم شاه تحرير بمصـره وعبد الكاف يكفيه الودود
عبيد الله عبد الله مـــن فـــى إله آباد طاب له الأبـــودو
ومنه لنـــا بشـــير أجملـــى وآخر فى جبلفور جـــدود
وسالم دينـــه عبـــد الســـلام له علم به عمـــل ســـديد"

يشير شاعرنا إلى اسم مولانا عبد الواحد البهارى وأنه موضع الفيوض النبوية - على صاحبها الصلاة والسلام - ولذا يفخر به إقليم بهار الهندى، ويشير كذلـــك إلى اسم مولانا كريم رضا القاطن بكنج مراد آباد، كما أشار إلى اسم مولانا بشارت كريم، ومولانا عبد اللطيف شقيق مولانا وصى أحمد المحدث السورتى، وفى هـــذا يقول(٢):

لعبد الواحد فيـــض الرســول بـــها ربـــه تميـــس ولا تميـــد
لصاحب كنج صاحب كنز حـق رضا الكرما كريم رضا السـعيد
بشارات الكريـــم لنـــا بلطفـــه وذو عبد اللطيـــف لنـــا وديـــد

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٢١.
(٢) المرجع السابق، ص ١٢٢.

Marfat.com

وبعد هذا ينتقل شاعرنا إلى ذكر مولانا الحكيم محمد خليل الرحمن البيلى بتى، الذى كان طبيبا بارعا فيرى شاعرنا أن ممدوحه هذا نظرا لبراعته الطبية - يزيل الأمراض المستعصية فيضرب لذلك مثلا بأنه عندما يأتيه الأعرج يزول عرجه فيستوى مشيه، والأعرج الذى لا يتغير فى عقيدته يخاطبه الشاعر قائلا: أيها الأعرج أنت لا تعتبر مثل الذى يمشى سويا، ولعله يقتبس هنا من الآية القرآنية: **أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم** (١).

وإذا كان شاعرنا قد أشار إلى براعة مولانا خليل الرحمن فى طب الجسد والروح فيشير كذلك إلى البراعة الطبية الفائقة لمولانا الحكيم سراج الحق العليكرهى، وفى هذا يقول(٢):

"بطب خليل رحمن التقى لسقم فقيد صحته فقود
على سنن الهدى يمشى سويا إذا أزرى بذى عرج حيود(٣)
أأعرج هل تسوى بالسوى أذو عذب(٤) كعذب يافسيد
وليس بجمع طب الجسم والرو ح للزاكى سراج الحق حيد(٥)"

وبعد هذا يأتى شاعرنا بأسماء علماء آخرين منهم مولانا حافظ بخش، ومولانا فضل المجيد، ومولانا الحكيم أمير الله، ومولانا الحكيم مؤمن سجاد الكانفورى الجشتى النظامى الفخرى، ومولانا عبد المجيد، ومولانا مسيح الدين الإله آبادى، ومولانا نبى بخش البهارى، ومولانا الحكيم عبد العزيز البوساهوى، ومولانا إمام الدين الأتالوى، ومولانا عبد الرحيم الهروى، ومولانا محمد سعيد، وفى هذا

(١) سورة الملك ٢٢/٦٧.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٢٢.
(٣) يقول شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان معلقا على بعض المفردات فى القصيدة: الحيود: الميل، وهو من لوازم العرج. المرجع السابق ، ص ١٣٣
(٤) عذب: ماء طيب. ماء ذو عذب: كثير القذى. المرجع السابق ، ص ١٣٣
(٥) حيد: الحيد بالفتح والكسر المثل، قال فى القاموس: الحيد: المثل والنظير. قاموس [٦٥١/١]. المرجع السابق ، ص ١٣٣

Marfat.com

يقول(١):

"وحافظ بخش مع فضل المجيد أمير الله ذا القـــارى المجيـد

حكيـم مؤمـن ســـجاد رب مجيـد عبـده مجـدا يفيـد

مسيح الدين فيهم مع نبى بخـــ ش وذو عبد العزيز فتى جليد

إمام الدين مع عبـــد الرحيـم ونجل جناب مولانـــا ســعيد"

وبعد هذا نجد شاعرنا يقول إنه أشار إلى أسماء كبار العلماء الذين حضـــروا الاجتماع الذى عقد بمدينة عظيم آباد ببتنه فى السابع من شهر رجـب فـى العـام الثامن عشر بعد الثلاثمائة والألف للهجرة الموافق للتسعمائة والألف للميلاد، وذلـك لمقاومة جمعية الندوة وبيان عقائدهم(٢)، فيقول شاعرنا: "إن سماء مدينة عظيم آبـاد كانت قد أصبحت مكوكبة، وهؤلاء العلماء قاوموا الفتنة بذكائهم، لأنهم رجال العلـم والأدب، وفى هذا يقول(٣):

ختمت كما بدأت به ليـــهنيك(٤) حسن البـــدء والرجعـــى وحيـد

أصول جلـــهم والفـــرع أكـــثر وإن جمعـــوا فأضعـــاف شـــهود

فلو أنى قصـــدت الكـــل ذكـــرا لزال القصد وامتـــد القصيـد(٥)

وضيق نطاق نطقى عذر نقصـى وعفوهـم كثـــير لا زهيـــد

عظيم آباد صـــار بـــهم ســماء مكوكبـــة(٦) كواكبـــها ســـعود

وفطنتـــهم لفطنـــة ســد فتنـــه فســـوق فســـوقها بـــهم كســـيد

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٢.

(٢) حيات أعلى حضرت، لمولانا محمد ظفر الدين البهارى، ج ١، ص ١٨٦.

(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٢٢.

(٤) يشرح شاعرنا بعض المفردات الواردة فى قصيدته قائلا:
تقول العرب: ليهنئك بالهمز، وليهنيك بالياء، واسقاطها لغة العامة، لكن ورد الحديـــث باســقاطها ايضا، كما فى الصحيح البخارى فى حديث توبة كعب - رضى الله عنه - فالصواب انها ثـــلاث لغات. المرجع السابق ، ص ١٣٤

(٥) القصيد: القصائد: المرجع السابق ، ص ١٣٤

(٦) مكوكبة: الكوكب من الحديد بريقه وتوقده وقد كوكب، قال الأعشى: "تقطع الأسعز الكوكب وخذا". المرجع السابق ، ص ١٣٥.

Marfat.com

فحـــول علمـــهم فحـــل ومـــالل إنـــاث مريـــة فلـــــها نـــــهود"

مما هو جدير بالذكر أن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان قام بتوضيح ما جـــاء به في الشطرة الثانية من البيت التاسع عشر بعد المائة فنجده يقول(١): "عفوا أيـــها السادة لم نكتب هذا الكلام من تلقاء نفسنا بل نقلنا إقرار أهل الجمعية حيـــث قـــال شاعرهم:

وكان العلم شوهاء عجـوزا فصار جميلة ولها نـهود"

وفي ضوء هذا التعليق عرفنا أن شاعرنا عارض قصيدة الشـــاعر المتحـــدث باسم جمعية ندوة العلماء، فنجد في القصيدتين بحرا واحدا ورويـــا واحـــدا، ولعـــل شاعرنا عند استخدامه صيغة التأنيث للجمعية كان قد أخذ فكرته من قصيدة الشـــاعر الناطق باسم الجمعية، كما نجد إشارة شاعرنا إلى بيت شاعر الجمعية، وهذا ممـــا يؤيد رأينا على أنه لم يكتف بهذا المدح وإنما ألحق الديوان أربعة أبيات أخرى فـــي هذه القصيدة، وهذه الأبيات مدح أيضا لبعض علماء الدين الذين لم يذكرهم شـــاعرنا بأسمائهم فيما سبق، وهذه الأبيات عبارة عن العودة على المدح مرة أخـــرى، إنـــه مدح لمولانا السيد محمد عمر كريم المقيم بمدينة بتته، ثم أشار إلـــى اســـم مولانـــا فضيلت حسين الفردوسي - المفتي بمدينة جنجي - فمولانا الشريف أجمـــل الإلـــه ابادي. فمولانا الشريف محمد فاخر الإله آبادي، وفي الختام يذكـــر اســـم مولانـــا الشريف سليمان أشرف الجشتي القادري البهاري، ولنسمع إلى صوت شاعرنا حيث يقول(٢):

"لفاروق الهدى عمـــر الكريـــم لدينـــا نـــائب أقـــوى شـــــديد

ومن نال الفضيلة من حســـين متى ما طاب أصل طاب عـــود

وأجمل فـــاخر وأبـــو البقـــاء لمفخرهـــم بقـــــاء لا يبيـــد

---

(١) امال الأبرار و الاء الأشرار. للشيخ أحمد رضا خان. ص ١٦.

(٢) بساتين الغفران. للشيخ احمد رضا خان . ص ١٢٦.

Marfat.com

سليمان الصلاح هناك أشـــرف وصاحب نـــــدوة الجهلافســـيد"

وبهذه الكلمات التى انهيت بها دراستى لأبيات المدح - سواء كانت الأبيـــات فى وسط القصيدة أو ملحقة بها - أكون قد انتهيت بالفصل الخاص بـــــالمديح فـــى ديوان الشيخ أحمد رضا خان. وما دمنا قد انتهينا من المدح فلنبدأ فى الحديث عـــن غرض آخر سائلين المولى التوفيق فنقول:

Marfat.com

Marfat.com

الفصل الثانى

الرثـــاء

يشتمل هذا الفصل على تمهيد ومبحثين

تمهـــــــيد: فى التعريف بفن الرثاء.

المبحث الأول: قصائد شاعرنا فى الرثاء والتاريخ.

المبحث الثانى: مقطوعات شـــاعرنا ورباعيتاه وبيتـــاه فـــى الرثـــاء والتاريخ.

Marfat.com

Marfat.com

تمهيد

التعريف بفن الرثـــاء

يعد الرثاء من الأغراض الشعرية التى اهتم الشعراء العرب بالنظم فيها و هـذا الاهتمام ليس وليد العصر الحاضر بل اهتم به الشعراء العرب منذ العصر الجـاهلى حتى اليوم. يقول الأستاذ نجيب عقيقى(١): "يلى المدح الرثاء، و هو مـــــدح الميـــت بالبكاء عليه، و العاطفة فيه أصدق منها فى المدح لإخلاص الشعراء لمن يرثونـــه، و صدور رثائهم عن الطبع وفاء لمن مدحوا لا طمعا فى نوالهم، فكثرت المدائـــح و قلت المراثى بالكم لا بالنوع".

ويقول ابن رشيق القيروانى فى هذا الصدد(٢): "ليس بين الرثاء و المدح فـــرق إلا أن يخلط بالرثاء شئ، ويدل على أن المقصود به ميت، مثل "كان" أو "عدمنا به" كيت وكيت، و ما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت".

يقول أستاذنا الدكتور رزق مرسى أبو العباس عن صدق العاطفة وقوتها فـــى الرثاء(٣): "إن أخلص العواطف هى عاطفة الرثاء، فالرثاء أمر لا ينتظر صاحبـــه أجرا و لا نوالا. قد يكون ثمن الرثاء هو ذلك التنفيس الذى ينفس به الشـــاعر عـــن

---

(١) من الأدب المقارن، للأستاذ نجيب عقيقى، ص ١٤٣.

(٢) العمدة لأبى الحسين بن رشيق القيروانى / تحقيق الأستاذ محمد محى الديـــن عبـــد الحميـــد (ط: المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٧٤هـــ)، ج ٢، ص ١٤٧.

(٣) نظر: بحوث فى الأدب، للدكتور رزق مرسى أبو العباس (ط: مؤسسة أبـــى المجـــد للطباعـــة والنشر بالقاهرة، سنة ١٤١٠هـــ - ١٩٩٠م)، ص ٢٩ : ٣٢.

Marfat.com

مكنون خاطره، ومدى مصابه، وحرقة الألم التى تعتصر فؤاده حتى لو كان ذلك التنفيس ثمنا للرثاء، فهو لا شك يدل على الإخلاص، ومع ذلك فإن أخلص أنواع الرثاء هى تلك العلاقات الثلاثة إذا أصيبت واحدة منهن بالفقد... وهى علاقة الزوجية، وعلاقة الأخوة، وعلاقة البنوة، أما الزوجية فعلاقة ملازمة بين اثنين، من المفروض أن تظل طوال اليوم، وبالتالى طوال الحياة المشتركة بين الاثنين فالشاعر عندما يرثى زوجته يبكى لذلك الفراق الذى وقع لعلاقة التلازم بينه وبين زوجته، ترى لو أن الزوجة شاعرة وفقدت زوجها كيف كانت ترثيه، لا شك سيكون رثاؤها لزوجها ألذع وأوقع لأن القلب أكثر ألما وأشد وجعا، فإلى جانب التلازم الذى تشعر به الزوج نجد أنه عائل لها، أو قائم على شأنها مما يجعلها تفتقده، وبالتالى سيكون رثاؤها زوجها أعظم ألما وأكثر بكاء، وأوجع فى الشكوى مع الملاحظة أن الملازمة هذه قد تكون متصلة أو غير متصلة فى حالة السفر أو النفى أو ما يشبه ذلك أيا كانت الأسباب.

أما علاقة الأخوة فهى علاقة ولا شك تفيد التساوى الموجود بين الأخوين منذ خلق الأخ الثانى، ولا يستطيع صديق مهما كان أن يحل محل ذلك الأخ لأن الصداقة ولدت بعد الأخوة بزمن، وقد تتقصم عراها وتنحل روابطها، أما الأخوة فلا سبيل إلى ذلك، فالأب واحد، والأم واحدة، والمشاعر واحدة مهما تعددت الإخوة، هذا إذا توفرت سلامة العلاقة، وما يقال فى الإخوة يقال فى الأخوات، ولا فرق فى علاقة الأخوة بين أخوين أو بين اختين أو أخ وأخت، بل ربما تشعر الأخت بحاجة إلى أخيها كان يقوم على أمرها، أو يتولى شأنها فى أمر من الأمور.

أما علاقة الصداقة فلا يمكن أن تحل محل علاقة الأخوة طالما توفرت السلامة وساد الوئام بين الإخوة، بل ربما لا تشتد علاقة الصداقة وتقوى إلا إذا كان ثمة نقص يعترى علاقة الأخوة، هذا بالنسبة للعلاقتين الزوجية والأخوة، أما علاقة البنوة فلا شك انها قوية لا تكاد تعادلها علاقة أخرى، فالابن جزء من أبيه، والأب أصل لابنه، وما يقال فى الابن يقال فى البنت، وما يقال فى الأب يقال فى الأم،

Marfat.com

ومن الممكن أن يتراءى لذهننا أن الإنسان إذا فقد ابنه يشعر بأنه فقد امتداده فى الحياة، وإذا فقد الإبن أباه يشعر أن أصله فى الحياة قد قطع، لذلك يصاب كل من الأب وابنه بحزن عظيم إزاء أحدهما الآخر، ومن الممكن أن يكون حزن الأب أكثر للتضحية التى يقدمها كل من الأبوين لولدهما، ولا يطعن ذلك فى حزن الابن إذا فقد أحد أبويه أو كليهما، وذلك لأنه يفقد أصل وجوده ومصدر الحنان الذى تدفق فأطعمه وسقاه، والكنف الذى أدفأه ورعاه، فلا شك سيشعر الموجود فى الحياة إن كان الأب أو الابن يفقد الثانى خسارة تكون قد ألمت به ومصيبة فادحة اكتنفته فملأت أفكار حياته، وما يقال فى الابن والأب يقال فى الأم والبنت، وعليه فقد أنهينا إلى أسمى العواطف عاطفة الرثاء، وأجل الرثاء، وما كان للعلاقات الثلاثة المذكورة آنفا".

يقول الدكتور شوقى ضيف مشيرا إلى ألوان الرثاء[1] لكل أمة مراثيها، والأمة العربية من الأمم التى تحتفظ بتراث ضخم من المراثى، وهى تأخذ عندها ألوانا ثلاثة، هى الندب والتأبين والعزاء، أما الندب فبكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت فيئن الشاعر ويتوجع، إذ يشعر بلطمة مروعة تصوب إلى قلبه، فقد أصابه القدر فى ابنه أو فى أبيه أو فى أخيه وهو يترنح من هول الإصابة ترنح الذبيح، فيبكى بالدموع الغزار وينظم الأشعار يبث فيها لوعة قلبه وحرقته... والشاعر لا يندب نفسه وأهله فحسب بل يندب أيضا من ينزلون منه منزلة النفس والأهل ممن يحبهم ويؤثرهم... وليس هذا التأبين نواحا ولا نشيجا، بل هو أدنى إلى الثناء منه إلى الحزن الخالص، إذ يخر نجم لامع من سماء المجتمع فيشيد به الشعراء منوهين بمنزلته السامية أو العلمية أو الأدبية، وكأنهم يريدون أن يصوروا خسارة الناس فيه، ومن هنا كان التأبين ضربا من التعاطف والتعاون الاجتماعى... والعزاء مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين، إذ نرى الشاعر ينفذ من حادثة الموت

---

(١) الرثاء، لمجموعة من العلماء (ط: دار المعارف بالقاهرة، سنة ١٩٩٥م)، مقدمه، ص ٦٠٥.

Marfat.com

الفردية التى هو بصددها إلى التفكير فى حقيقة الموت والحياة، وقد ينتهى به هـــذا التفكير إلى معان فلسفية عميقة، فإذا بنا نجوب معه فى فلســـفة الوجـــود والعـــدم والخلود، ومرد هذا كله أن الحياة ظل لا يدوم".

وبالنظر إلى أهمية هذا الفن عند الشعراء وجدنا شاعرنا الشيخ أحمـــد رضـــا خان يهتم به كذلك، ويجعله غرضا من أغراضه الشعرية، فعندما نطـــالع بســـاتين الغفران يتجلى لنا اهتمام شاعرنا بهذا الفن، ونجده يهتم كذلك بفن التاريخ بحســـاب الجمل فى أغلب مراثيه - ومناسبات أخرى - وعن براعته في فن التاريخ يحدثنـــا الأستاذ حازم محمد حيث يقول(١): " كان الشيخ أحمد رضا خان لا نظير له بيـــن معاصريه فى سرعة استخراج التاريخ للأحداث - بحساب الجمل - باللغة العربيـــة والفارسية والأردية . فكانت تجرى على لسانه عفو الخاطر دون تكلف أو تصنـــع، وسرعة مذهلة، فاشتهر بين معاصريه، فكانوا يقدمون إليه ليؤرخ لهم لأى حـــدث يرغبون فى التاريخ له.

وكان شاعرنا الموهوب قد برع فى استخراج التاريخ بحساب الجمل منـــذ أن كان فى الرابعة عشرة من عمره، ويحكى مولانا محمد ظفر الدين البـــهارى(٢) أن أحدا من الشيعة أقبل عليه فى العام السادس والثمانين من القـــرن الثـــالث عشـــر الهجرى، وطلب إليه أن يستخرج التاريخ للحسينية فقال شاعرنا دون تـــأمل كثـــير سموها "بدر رفض" [بدر الرفض] فقال الشيعى: تم تعمـــير الحســـينية فـــى العـــام الماضى وقد قصد تغيير لفظ الرفض فقال الشيخ أحمد رضـــا خـــان ســـموها "دار رفض" [دار الرفض] فغير الشيعى كلامه وقال: أنشأنا الحسينية فى العام الرابـــع

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢٣٣.
(٢) حياة أعلى حضرت. لمولانا محمد ظفر الدين البهارى، ج ١، ص ١٤١.

Marfat.com

من القرن الثالث عشر الهجرى، فقال الشيخ أحمد رضا خان سموها در رفـــض [باب الرفض].

هكذا استخرج الشيخ أحمد رضا خانَ تاريخا للحسينية ولثلاث مرات فى وقت وجيز دون عمليات الحساب وبأسلوبٍ لم يسعد الرجل الشيعى، وهذا مما يدل علـــى موهبته فى هذا الفن الذى له رواج عظيم بين أدباء شبه القارة الباكستانية الهنديـــة، وبالطبع تظهر كراهيته للمذهب الشيعى بمجرد النظر فى حساب الجمل.

يتناول أستاذنا الدكتور رزق مَرسى أبو العباس بالحديث عن فن التاريخ فـــى الديوان الشعرى لشاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فيقول(١): "لقد تناول [الشيخ أحمـد رضا خان] أمورا عدة فى ديوانه، فالتاريخ - بحساب الجمل - قد اعتنى به اعتناء بالغا، ولا تكاد تقرأ له قصيدة حتى تجد للتاريخ ذكرا، وأحيانا يكون ذكر التـــاريخ أكثر عددا من أبيات القصيدة، ولا يدفعه ذلك لأن يخوض فى معان غير مألوفة بـــل يحافظ على المعنى الذى يتحدث فيه مهما ركب الصعب، وإن كان لسانه طلقا رهن إشارته، يعينه ما حصله من الشعراء السابقين".

إن الرثاء معروف ولكن التاريخ يكون الاعتماد فيه على حساب الجمل، يحدثنا الشيخ أحمد الحملاوى عن حساب الجمل خلال حديثه عـــن المحســنات البديعيـــة فيقول(٢): "اخترعه المتأخرون ولهم فيه العجب العجاب وهو عبارة عن أن يـــأتى الشاعر بكلمة أو كلمات إذا حسبت حروفها - بحساب الجمل - بلغت عدد الســـنة التى قصدها المتكلم من تاريخ هجرة النبى - صلى الله عليه وســـلم - أو تـــاريخ الميلاد أو غيرها من بقية التواريخ المستعملة.... والأحسن فى التـــاريخ أن يتقـــدم

---

(١) الإمام الأكبر المجدد محمد أحمد رضا خان والعالم العربى، للأستاذ حازم محمد، ص ١٦١.
(٢) زهر الربيع فى المعانى والبيان والبديع، للشيخ أحمد الحملاوى، ص ٢٣١.

Marfat.com

على ألفاظه لفظ أرخ أو مؤرخا، أى مما يشتق من التاريخ بدون فاصل، وأن يكون التاريخ فى المصراع الأخير من القصيدة، وأن تكون ألفاظه ظاهرة المعنى سلسة خالية من التعسف والتعقيد، وألطفه ما اشتمل على اسم المؤرخ له، أو شيئ من متعلقاته".

ومن هنا استطعنا أن نعرف التاريخ بحساب الجمل بعض المعرفة، بأن كل حرف من حروف الأبجدية العربية يحمل عددا معينا فالشاعر يأتى بكلمة تجمع كل هذه الأرقام بحيث يكون التاريخ الذى يريد أن يذكره، وفى هذا يبسط أستاذنا الدكتور رزق مرسى أبو العباس الحديث المستفيض معرفا أغراض الشعر فى العصر المملوكى فيقول(١): "منها التاريخ الشعرى، وقد نظم منه الشعراء فى آخر هذا العصر يؤرخون به حادثة من الحوادث، أو خطبا من الخطوب، فيأتون فى آخر بيت من القصيدة بلفظة أو بجملة إذا حسبت - بحساب الجمل - يكون عددها موافقا للعام الذى وقعت فيه الحادثة، ويسبق "أرخت" أو "قلت مؤرخا" أو ما شابه ذلك، ومن مثل ذلك تاريخهم لفتح القسطنطينية عام سبعة وخمسين بعد الثمانمائة للهجرة بقولهم "بلدة طيبة" وقال شاعر يؤرخ رحلة ابن المؤيد المتوفى عام تسعمائة واثنين وعشرين بقوله:

قل للذى يبتغى تاريخ رحلة **نجل المؤيد مرحوم ومبروك"**

نلاحظ أن عناية شاعرنا بهذا اللون من الشعر كان أكثر من عناية المتقدمين والمعاصرين له، ولا نعيب على معاصريه نظرا لعدم اهتمامهم بهذا النوع من الشعر فإنهم ركزوا على الناحية الفنية، وإن تسجيل التاريخ فى الشعر كان ضمن الأنواع الشعرية التى أهملت، فإنها ناحية عقلية أكثر منها عاطفية، وقد استطاع شاعرنا أن يتغلب على الناحية العقلية وتلتهب العاطفة، فكأنه قام بالجمع بين الإثنين.

---

(١) ملامح الأدب والثقافة فى العصر المملوكى. للدكتور رزق مرسى أبو العباس، ص ١٠٨.

Marfat.com

ويقول الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصرى عما نظمه الشيخ أحمد رضا خان فى الرثاء[1]: ويلحظ على رثائه أنه لا يركب الشطط فى المبالغات التى نصادفها فى الرثاء كقول بعضهم: "إن السماء تمطر دما" ولا: "إن أركان الدنيا تهدمت" ولا: "إن البحار جرت دموعا" - مثلا - فهذه مبالغات مرزولة إذا وضعناها فى قسطاس الذوق".

وللعلم أن رثاء شاعرنا يتمثل فى ستة وعشرين ومائة بيت، وتفصيل ذلك نشير إليه فيما يأتى:

---

(١) المنظومة السلامية، ترجمها إلى العربية نثرا، الأستاذ حازم محمد، نظمها شعرا الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصرى (تحت الاصدار).

Marfat.com

Marfat.com

المبحث الأول

قصائد شاعرنا فى الرثاء والتاريخ

ويشمل هذا المبحث على أربعة مطالب:

المطلب الأول: فى رثاء وتاريخ عام رحيل مولانا محمد إسماعيل القادرى.

المطلب الثانى: فى رثاء وتاريخ عام رحيل مولانا محمد عبد الغنى.

المطلب الثالث: فى رثاء وتاريخ عام رحيل مولانا محمد عبيد الله.

المطلب الرابع: فى رثاء وتاريخ عام رحيل مولانا محمد عمر الحنبلى الحيدر آبادى.

Marfat.com

Marfat.com

المطلب الأول

فى رثاء وتاريخ عام رحيل مولانا محمد إسماعيل القادرى ، النقشبندى ، الشاذلى[١]

وقبل أن أخوض فى الحديث عن رثاء شاعرنا لمولانا محمد إسماعيل القادرى يحسن بى أن أسوق حديثا أرجو أن يكون موجزا، إنه حديث عن الرمزية عند الصوفية نظر لأن شاعرنا استهل قصيدته بالرمزية، ولأننا عرفنا عنه اتجاهاته الصوفية.

إن شاعرنا عند استخدامه الرموز لم يأت بشيئ غير مسبوق فى الأدب العربى ولم يخالف منهج الشعراء ممَن سبقوه، فقد جاء بها الشعراء والأدباء على مر العصور حتى عصرنا الراهن فنجد نماذج كثيرة من الرمزية فى الأدب العربى القديم، كما نلاحظها فى الأدب العربى الحديث أيضا مما جعل الدكتور دوريش الجندى يؤلف كتابا فى هذا الصدد تحت عنوان: "الرمزية فى الأدب العربى"[٢] وكان الصوفية - على مر العصور - أكثر شعراء العربية استخداما للرموز، والذى دفع الدكتور عاطف جوده إلى تأليف كتاب فى هذا الشأن تحت عنوان: "الرمز

---

(١) لم أعثر على ترجمة مولانا محمد إسماعيل القادرى عند الرجوع إلى كتب التراجم وكلما عرفناه فى ضوء البيت الأخير للتائية التى نحن بصددها أن المرثى توفى سنة ١٣١٧هـ يعنى قبل وفاة شاعرنا بثلاثة وعشرين سنة.

(٢) أصل هذا الكتاب رسالة أشرف عليها الدكتور عمر الدسوقى، ونوقشت فى كلية دار العلوم جامعة القاهرة فى ٢٦ من سبتمبر سنة ١٩٥٧م، فنال بها الباحث درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى، انظر: "الرمزية فى الأدب العربى للدكتور درويش الجندى (ط: النهضة المصرية بالقاهرة)، ص ٣.

Marfat.com

الشعرى عند الصوفية"[١] وأرى من المناسب أن أدرس الرمز دراسة موجزة قبل دراسة أبيات شاعرنا المتسمة بالرمزية، وإذا رجعنا إلى أول من تناول أسلوب الرمز فلن نجد من هو سابق على قدامة بن جعفر وهو من هو فى النقد سواء كان نقد النثر أو نقد الشعر، تكلم قدامة بن جعفر عن الرمز بالمعنى اللغوى والاصطلاحى، ونظرا لأهمية الرمز فى الأدب العربى عقد بابا للرمز فقال فى هذا الشأن[٢]: هو أخفى من الكلام وإنما يستعمل المتكلم الرمز فى كلامه فيما يريد طيه عن كافة الناس والإفضاء به إلى بعضهم، فيجعل للكلمة أو الحرف إسما من أسماء الطير أو الوحش أو سائر الأجناس، أو حرفا من حروف المعجم ويطلع على ذلك الموضع من يريد إفهامه فيكون ذلك قولا مفهوما بينهما مرموزا عن غيرهما، وقد أتى فى كتب المتقدمين من الحكماء والمتفلسفين من الرموز أشياء عظيمة القدر جليلة الخطر، وقد تضمنت علم ما يكون فى هذا الدين من الملوك والممالك والفتن والجماعات... ورمزت بحروف المعجم وبغيرها من الأقسام كالتين، والزيتون، والفجر، والعاديات، والعصر، والشمس، واطلع على علمها الأئمة المستودعون على علم القرآن".

لقد سار الصوفية طريق الرمز فى "الأدب الصوفى" وشأنهم فى ذلك شأن غيرهم من الأدباء والشعراء، فصدرت كتب فى المصطلحات الصوفية، وذلك

---

(١) وهذا الكتاب هو البحث الذى تقدم به المؤلف للحصول على درجة الدكتوراه فى الآداب من قسم اللغة العربية وادابها بجامعة عين شمس [بالقاهرة] فى مايو سنة ١٩٧٧م وقد قررت لجنة التحكيم منح المؤلف درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع البحث على نفقة الجامعة. انظر: الرمز الشعرى عند الصوفية، للدكتور عاطف جودة (ط: دار الأندلس، بيروت. سنة ١٩٨٣م). ص ٥.

(٢) نقد النثر. لقدامة بن جعفر، تحقيق الدكتور طه حسين والأستاذ عبد الحميد العبادى (ط: مطبعة مصر. ١٩٣٩م). ص ٦١، ٦٢.

Marfat.com

لأيضاح هذه الرموز الغامضة، ففى هذا يقول الدكتور درويش الجندى[١]: إن المتصوفة قد نزعوا نزعة ذاتية عميقة، وإنهم يضربون فى عالم ما وراء الحس ويحاولون أن يصلوا بقلوبهم ومشاعرهم إلى ما لا يتسنى للعقل والحواس الوصول إليه... وقد اتخذوا لهم لغة خاصة بهم ومسميات لا يعرفها إلا هم، ولكنهم فعلوا فى اللغة كما فعل العلماء فى اللغة العربية، فأخذوا الألفاظ العربية وأطلقوها على مدلولات خاصة، كما فعل النحاة بالفاعل والمفعول، والمبتدأ والخبر، والجار والمجرور، ونحو ذلك من ألفاظ كان يستعملها العرب فى مدلولات عامة فأخذها النحاة ووضعوها لمصطلحات خاصة، حتى أن العربى القح لم يكن يفهمها فى معانى النحاة وهكذا الشأن فى البلاغة، والعروض، والفلسفة".

ويشير الدكتور درويش الجندى إلى دواعى الرمزية الصوفية حيث يقول[٢]: "إذا كان الصوفية قد لجأوا إلى الرمزية فى تعبيرهم وكانت هذه الرمزية - كلها أو جلها - مفرطة فى الغموض فما الدوافع التى دفعت إلى هذه الرمزية؟ ولماذا لم يعبر الصوفية عن خواطرهم بوجه عام بالفاظ صريحة واضحة وعبارات بينة تفصح عما يريدون أن يقولوا بدلا من اللجوء إلى هذا الأسلوب الذى ينجم عنه كثير من الخلط والاضطراب فى الفهم والشرح؟

يقول القشيرى مبينا الدوافع إلى الرمزية الصوفية إن لكل طائفة من العلماء ألفاظا يستعملونها، انفردوا بها عن سواهم، وتواطئوا عليها لأغراض لهم فيها من تقريب الفهم على المخاطبين بها، أو تسهيل على أهل تلك الصنعة فى الوقف على

---

(١) الرمزية فى الأدب العربى، للدكتور درويش الجندى، ص ٣٤٠.
(٢) المرجع السابق. ص ٣٤٩.
وانظر: الرسالة القشيرية، للإمام أبى القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى (ط: مكتبة محمد على صبيح وأولاده، القاهرة، دون سنة الطبع)، ص ٣١.

Marfat.com

معانيهم بإطلاقها، و هذه الطائفة - يعنى الصوفية - يستعملون ألفاظا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم، و الإخفاء و الستر إلا على من بايعهم فى طريقتهم لتكون معانى ألفاظهم مبهمة على الأجانب غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع فى غير أهلها. إذ ليست بنوع تكلف، أو مجلوبة بضرب تصرف، بل هى معان أودعها الله تعالى فى قلوب قوم، و استخلص لحقائقها أسرار قوم".

يشير الدكتور زكى مبارك إلى مكانة الصوفية فى الأدب و الى ظاهرة الرمزية فى أعمالهم الأدبية وفى هذا يقول(١): لا مفر من الاعتراف بأن الصوفية كان لهم وجود أدبى ملحوظ، وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد عرفت عنهم ألفاظا وتعابير دونها المؤلفون، وتلك الألفاظ و التعابير هى ثروة لغوية يقام لها وزن حين تدرس المصطلحات وقد يقال إن لكل قوم ألفاظا وتعابير حتى النجارين و الحدادين، و لا يكون ذلك عنوانا على سلطنتهم الأدبية، نجيب بأن ألفاظ الصوفية جرت فى الأغلب حول معان وجدانية وروحية ونفسية و اجتماعية، فهى ألصق بالحياة الأدبية".

ونجد الدكتور زكى مبارك و هو يشير إلى أن ظاهرة الرمزية ليست قاصرة على الأدب الصوفى فى الماضى بل توجد هذه الظاهرة فى كل العصور الماضية وحتى فى عصرنا الراهن، وفى هذا يقول(٢): و الصوفية فى جميع العصور كانت لهم رموز و أشارات.... و الذى يتأمل ألفاظهم يراها تدل على لباقة وذكاء، فألفاظهم المعاشية و الاجتماعية وضعت فى الأصل لستر معانيهم عن عامة الناس، و الصوفية فى العصر الحاضر لهم تعابير خاصة بهم، وتنفرد كل طائفة بجملة من الاصطلاحات، و الشاذلية - الذين صحبتهم فأحمدت صحبتهم - لهم كلمات لا تزال

---

(١) التصوف الأسلامى. للدكتور زكى مبارك، جـ ١، ص ٦٩.
(٢) المرجع السابق. جـ ١. ص ٧٦.

Marfat.com

فى البال على قديم العهد: فالحلواء الذى توزع على الإخوان بعد الحضرة اسمها النفحة. والورد الأكبر اسمه الوظيفة".

يقول الدكتور نظمى عبد البديع محمد مشيرا إلى الرمزية الصوفية(١): إذا كان الصوفيون قد أطلقوا أنفسهم من قيود المادة فلا غرابة أن يتحرروا من المتواضع عليه من دلالات الألفاظ والعبارات، وهنا مدخل العناء لطالب منعهم الفنية لما حفل به الأدب الصوفى من الألفاظ والعبارات مما يدخل فى باب الرمز والإشارة والألغاز والتعمية مما لا يمكن إدراك مدلوله إلا لنظرائهم من مخاطبيهم لأن صلتهم بالله لم توضع لها مفردات خاصة بها".

ويوضح الدكتور عبد الفتاح السيد محمد أهمية الرمز فى الأدب الصوفى قائلا(٢): إنى أرى أن رمزية الصوفيين وإن اعتلى بعضها سحابة كثيفة قد تغطى إبراق البرق، وتحجب الطلائع والدرر المتناثرة التى تشف عن الجوانب الروحية، وقد استمرأت المشاهدات القدسية والحضرة الإلهية مما قد يظن أن بها تخلخلا فى التجربة الشعرية ومزجا واهيا من العناصر الأدبية وإن اعتلى بعضها ذلك، فهى مقبولة فى المشاعر حيث إنها صدرت من نفس تأججت بعواطف روحية واستنارت بقبس إلهى، فكان مشعلها تبديدا للأوهام الفاسدة وسحق النزوات الطائشة، والسمو بالإنسانية إلى أسمى الغايات وأعذبها، وفى ذلك ما يبدد قتام الضباب ويمحو الغموض الكثيف.

وفى هذا الكشف الذى هو وليد الدربة العقلية والتأملات الواسعة متعة النفس حيث الوصول بعد شيئ من العناء، مما كان لهذا المذهب الرمزى ذيوع وانتشار فى

---

(١) فى الأدب الصوفى، للدكتور نظمى عبد البديع محمد (الطبعة الأولى). ص ٧٣.
(٢) الأدب العربى بين الزهد والتصوف، للدكتور عبد الفتاح السيد محمد الدماصى (ط: المطبعة العربية بالقاهرة سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٧٧م)، ص ٢٠٣، ٢٠٤.

Marfat.com

الأدب الأوربى فى العصور الحديثة، حتى كان بعض الأدباء يعمل جاهدا على أن يكتنف شعره ما يبعده عن الإفصاح ويقربه من الغموض. وماذاك إلا لأن الأمر الذى يجيئ بعد جهد فكرى على ما فيه من إثارة النفس وتشويقها هو ألصق بها، وأقرب إلى معينها حتى يظل مائلا فى المخيلة ساريا فى الصورة الوجدانية".

وعن وضوح الفكرة وغموضها يدلى أستاذنا الدكتور رزق مرسى ابو العباس بدلوه فيقول(١): "وللنقاد فى ذلك أكثر من رأى فبعضهم يفضل الغموض بدون أن تخرج كتاباتهم عن الحديث العادى حتى تصل إلى درجة تحتاج إلى إعمال فكر وشحذ رؤية. وإن أوصل ذلك القارئ إلى التعب والكد، وبالطبع لا نميل إلى هذا، فالغموض وسيلة تحمل الكلام أكثر مما يجب له. وربما ذهب بكل قارئ إلى واد لا ندرى أيلتقى معه غيره أم لا؟.. ومن النقاد من يفضلون الوضوح وإنى لأرانى أميل إلى طريقتهم. ولكن بشرط ألا يكون ذلك الوضوح سبيلا إلى الابتذال فى الحديث حتى يصبح وكأنه شخص عادى يتحدث، ولكن العيب فى طريقة الجاحظ فى وضوحه قديما، والمنفلوطى والدكتور طه حسين حديثا، ولكل خياله وأسلوبه وطريقته. فى الكتابة وإن كانت الموهبة الأدبية تجمع بين جميع الأدباء، مع أن تعبير كل منهم يختلف عن الآخر".

تشير الدكتور ابتسام صالح الدين إلى وجود الرمزية فى الشعر الأردى فى الهند وقد تناولت هذه الدراسة خلال حديثها عن أحد رواد الأدب الأردى ألا وهو أسد الله خان غالب الذى طور الرمزية فى الأدب الأردى بشكل غير مسبوق وفى هذا تقول(٢): تعد طريقة استخدام الرمز والاشارة من أهم جوانب الفن فى شعر

---

(١) بحوث فى الأدب، للدكتور رزق مرسى أبو العباس، ص ٣٦، ٣٧.

(٢) الشعر الأردى منذ نشأته حتى القرن التاسع عشر الميلادى، للدكتور ابتسام صالح الدين، ص ١١٧.

Marfat.com

غالب، ولم يستحدث الرمزية بل هى أحد السمات العامة للغزل الأردى لكنها لم تكن قبله بمثل ذلك العمق والدقة التى أوجدها، فقد طور من الرموز الموجودة واستحدث أشارات ورموزا جديدة تستطيع أن تستوعب هذه المشاعر

وتوجد فى أشعار غالب بعض الأشارات والكنايات التى تصل فى عمقها وغرابتها إلى حد الإبهام، وقد شاع الإبهام فى العهد الحالى وأصبح أمرا عاديا فى شعر الغزل ولكنه حتى عصر غالب كان جديدا دخيلا على اللغة أى أن غالب قد سبق عصره أيضا فى هذا المجال".

ومن هنا نستطيع القول بأن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان - عند تناوله أسلوب الرمز فى شعره العربى - تأثر بالرمزية السائدة فى الأدب الأردى أيضا، وإن شئت فقل: كان تأثره أولا بالأردية لأنها لغته الأولى، والتى جاءت فى الشعر الأردى لسابقيه ومعاصريه، كما كان مندفعا إلى الرمزية لوجودها فى الأدب الصوفى باللغة العربية. وهذا ما أشرنا إليه آنفا، فكان تأثره بالرمز الصوفى الموجود فى الشعر العربى أكثر لحبه الشديد للغة العربية، لكونها لغة القرآن والحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - على كل فإنه عند تناوله الرمزية تأثر بالأدبين الأدب العربى والأدب الأردى.

سلك شاعرنا الصوفى المغرم باللغة العربية وآدابها فى شعره العربى مسلك سابقيه من شعراء اللغة العربية - كما سبق أن ذكرنا - وذلك عندما أفصح عن رموز غامضة فى اثنى عشر بيتا من تائيته التى صاغها فى رثاء مولانا محمد إسماعيل القادرى، فقد أتى برموز لم افهمها، لعله استخدمها هنا نتيجة لتعمقه فى الطرق الصوفية المختلفة، وهذا هو دأب الصوفية عند قيامهم بنظم الأبيات العربية

Marfat.com

، الفارسية و الأردية، و لا يستطيع أحد أن يفهم رموزهم إلا أن يكون المعبر واحـــدا منهم. و بالتالى تتضح رموزهم.

هذا وكأن شاعرنا من كثرة الحب لمرثيه مو لانا محمـــد إســـماعيل القـــادرى استخصره فى نفسه، فيتحدث إليه بالرموز التى لا يفهمها أحد إلا من كان من أهـــل الطريقة. ومما هو جدير بالذكر أن شاعرنا ومرثيه كانا من أهل الطريق، و الشـــيخ أحمد رضا خان يعلم أن مرثيته هذه يقرأها غير هذا المرثى ممن لا يكون من أهـــل الطريقة ولكنه فضل أن تكون هناك رموز بينه وبين المرثى، وكأنه يريد أن يقـــول انه يناجى مرثيه الغالى و لا يخاطب أحدا سواه، اللهم إلا من كان من أهل الطريقـــة فسوف يعلم مدلول هذه الرموز.

ويمكن أن يكون استخدام شاعرنا للرموز من باب استعراض الثروة الموجودة عنده من المعرفة و الطريقة، فكأنه يريد أن يقول بأنه يعـــرف الطريـــق ويتحـــدث برموزه. وقد يكون إتيان شاعرنا بالرموز تتمة لما عرفه عن أدبنا العربى وقـــرأه رموزا فى أشعار بعضهم فأراد أن يأتى بالرمز ليقول: أنا استطيع الإتيان بـــالكثير من فنون الشعر العربى و أغراضه، ولم يأت بالرمز فقط، بل أتى بالتـــاريخ أيضـــا وهو غرض شعرى لم يذع فى عصرنا هذا وأعنى به عصرنا الأدبى، ولم لا يكون شاعرنا قد أراد أن يعبر عن كل ذلك الذى قدمناه من تعلات لوجـــود الرمـــز فـــى شعره. على كل نجد شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان يفصح عن تلك الأحزان التـــى بثتها خواطره على من رحل عن دنيانا هذه، وسبقه إلى دار الآخرة، فتفتق لســـانه ليخرجها عبارات صحيحة التركيب قوية التعبير.

مما يدعو إلى التأمل أن نجد شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان يخـــص مو لانـــا محمد إسماعيل القادرى بمرثيتين تبلغان مجتمعتين اثنين وخمسين بيتا، و هذا مـــا لا

Marfat.com

نجده فى ديوانه بساتين الغفران لغير هذا العالم الدينى ممن أقدم على نظم المراثى والتواريخ لوفاتهم، وهذا منه يدل على أن علاقات الأخوة والصداقة العلمية التى جمعت بينهما كانت قوية، مما جعل شاعرنا يتأثر غاية التأثر بوفاة مولانا محمد إسماعيل القادرى فيقدم على نظم المرثيتين تقع الأولى منهما فى تسعة وثلاثين بيتا، والثانية فى ثلاثة عشر بيتا، أما المرثية الأولى فيتجلى لنا من مطالعتها أن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان يبدؤها ببيت يكتنفه الغموض، ويحتاج ممن يطلع على هذا البيت الرجوع إلى المعاجم وسيرة مولانا محمد إسماعيل القادرى، ويستمر هذا الغموض الناجم عن استخدام الرموز إلى البيت الثانى عشر من هذه المرثية، وهذا الأسلوب من شاعرنا يدل دليلا قاطعا على مدى إجادته اللغة العربية، وليس هذا فحسب بل شغفه بها، وتمكنه من أساليبها، وحذوه حذو الأقدمين فى اختيار الكلمات التى لم تكن كثيرة الاستعمال فى عصره، لم لا فقد اطلع شاعرنا على الكثير من دواوين الشعراء الذين سبقوه منذ العصر الجاهلى حتى العصر الذى كان يعيش فيه، وتدل على هذا قصائده الثلاث التى أشرنا إليها من قبل.

لقد استوقفنى اختيار الشيخ أحمد رضا خان لقافية التاء فى مرثيته التى نظمها لرثاء وتاريخ وفاة مولانا محمد إسماعيل القادرى، وهذه القافية أعنى بها التاء المكسورة المسبوقة باللام المشددة - وما أن قرأتها حتى استحضرت نفسى القافية بذاتها عند كثير عزة، ولم أشأ ساعتها أن يزورنى شعر لغير كثير عزة فيه هذه القافية، ولصعوبتها حاولت البحث فى عدة دواوين، وكان من الطبعى أن أنظر حولى فى نفس العصر الحديث، وزرت شعر كل من شوقى وحافظ إبراهيم والبارودى ولم أجد عندهم ما يماثل هذه القافية فقلت فى نفسى: لعلها لم تطف بخيال واحد من هؤلاء الأقطاب الثلاثة، لذا رأيت أن أرجع إلى ما سبق من العصور لعلى أجد نظيرها عند غير كثير عزة، فوجدت ذلك ولكنى رأيت نفس شاعرنا الشيخ

Marfat.com

أحمد رضا خان أطول مما رأيته عند غيره من الشعراء فى هذه القافية، فها أنـــذا أعترف له بتفوقه فى ذكر هذه القافية الصعبة على من لم يذكرها بـــل علـــى مـــن ذكرها ممن قرأت دواوينهم وكان فى هذه القافية نفسه أطول وذلك على النحو الذى سأعرض له.

هذه قافية أراها صعبة المنال وعند رجوعى إلى دواوين المتنبئ، وأبى تمـــام، وعمر بن أبى ربيعة، وجرير من الشعراء الأقدمين لم أجدهم نظمـــوا بـــها وقـــد توصلت إلى هذا بعد اطلاعى على دواوينهم، هذا وقد سبقه فى استخدام هذه القافيـــة كثير عزة[١] وبشار بن برد[٢] والبحترى[٣] والحطيئه[٤] وجميل بثينة[٥] وترتيبـــى لهم حسب نفسهم الشعرى فى هذه القافية، ومما يعد ظاهرة فى تائية شاعرنا ممـــا لا

---

(١) تشتمل هذه التائية على ثلاثة وثلاثين بيتا فى الغزل يستهل كثير هذه القصيدة قائلا:

خليلى هذا ربع عزة فـاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلـت

انظر: ديوان كثير قدم له وشرحه مجيد طراد (ط: دار الكتاب العربى، ١٤١٣هـــ)، ص ٥٤ : ٥١.

(٢) نظم بشار بن برد تائيته متغزلا ومفتخرا بأيام بنى عامر مواليه فى اليمامة بلاد بنى حنيفة، والتـــى تشتمل على تسعة وعشرين بيتا ومطلعها:

تخليت من صفراء لا بل تخلـت وكنا حليفى خلة فـاضمحلت

انظر: ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح الإمام محمد الطاهر بن عاشـــور (ط: الشـــركة التونسية بالجزائر. ١٩٧٦م)، جـــ ٢، ص ٨٠ : ١٢٠.

(٣) نظم البحترى هذه التائية فى هجاء ابراهيم بن الحسن بن سهل والتى تشتمل على عشـــرة أبيـــات استهلها الشاعر قائلا:

تخل من الأطماع اما تخلـــت وول صروف الدهر ما قد تولـــت

انظر: ديوان البحترى. حققه وشرحه وعلق عليه حسن كامل اليرمى (ط: دار المعارف بمصـــر ١٩٧٢م). جـــ ١. ص ٣٦٧.

(٤) نظم حطيئة تسعة أبيات فى منظومتين أولهما تشتمل على خمسة أبيات فى مـــدح بنـــى نهشـــل ومطلعها:

لعمرك ما ذمت لبونى ولا قلـت مساكنها من بنى نهشل إذ تولـت

Marfat.com

حسب نفسهم الشعرى فى هذه القافية، ومما يعد ظاهرة فى تائية شاعرنا مما لا تجده عند الشعراء المشار إليهم أننا نجده وقد نظم تسعة وثلاثين بيتـــا، أى أكـــثر منـــهم جميعا، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على مدى تمكن شاعرنا من اللغة العربيـــة واطلاعه على تاريخها على مر العصور.

ومما تجدر الأشارة إليه أن شاعرنا انفرد عن شعراء العرب عندمـــا تنـــاول قافية التاء فقد جاء بغرض غير مسبوق فى هذه القافية فى دواوين الشعراء الذيـــن أشرنا إليهم، فتأتيه شاعرنا فى الرثاء أما الشعراء الذين أشرنا إليهم فنجد كثير عزة، وبشار بن برد، وجميل بثينه، نظموا فى الغزل، كما نظم البحترى فـــى الـــهجاء، والحطيئة فى المدح.

نرى أن شاعرنا يستلفت نظر القراء إلى مقدرته على امتلاك ناصيـــة اللغـــة العربية وذلك باستخدامه كثيرا من الفنون البلاغية جنبا إلى جنب استخدامه لكثـــير من المفردات اللغوية بالإضافة إلى استخدام الكثير مـــن الاشـــتقاقات والمحســـنات البديعية التى لا تخل بالموضوع، كل هذا يبين لنا أن الشيخ أحمد رضا خان كـــان يستطيع أن ينظم فى أى قافية بسهولة، وهذا ما يجعله من الرواد القلائل لشـــعراء

اما الثانية فتحتوى على أربعة أبيات فى مدح أبى عقيل عمرو الثقيفى ومطلعها:

يعيش الندى ما عاش عمرو بن علمر وولى الندى إن نُفس عمرو تولـت

انظر: ديوان حطيئة، تحقيق الأستاذ نعمان أمين طه (ط: مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبـــى بمصر، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م)، ص ٦٨، ٢٦٦.

(٥) نظم جميل بثينة بيتا فى القافية التى نحن بصددها وهو:

ألم تر ان الماء غير بعدكـم وأن شعاب القلب بعدك حلـت

انظر: ديوان جميل بثينة، جمع وتحقيق وشرح الدكتور حسين نصار (ط: مكتبة مصر بالقـــاهرة. دون سنة الطبع)، ص ٤٠.

Marfat.com

العربية من أهل شبه القارة الهندية الذين تعلموها فى موطنهم المزدحم بالكثير من اللغات دون العربية.

يستهل الشيخ أحمد رضا خان تائيته - من بحر الطويل - بتوجيه السؤال إلى نفسه التى فجعت بوفاة مولانا محمد إسماعيل القادرى حيث يقول: هل تجاوزت الشوطب أم انها مازالت باقية فى مكان مستور عن أنظارنا، وقد وصلت الشمس إلى وقت غروبها حيث أقلت الظلال، وما لى أرى أن الليل طويل على؟ إن ليل المحزون لطويل، فكأنه قدر من الحجارة يملأ به البئر الواسعة، أكانت الصبح مشرقة؟ وكأنها مطللة بظلال تحول دون رؤيا، وقد تعبت النواظر فى انتظار رؤيتها. ففى هذا يقول شاعرنا(١):

"عدت شوطبها أم ظل وظلت ببطن بطين والظلال أقلت

فما لى أرى بالليل طولا كأنها براه تردم الجفر أم فيه حلت

انكسها أتباع عال مغرب لربتها فى السير أم هى ضلت

أمشرقة كانت مشرقة الكل مكللة فيها النواظر كلت"

ويسأل شاعرنا نفسه أهى تلك الدار وقد بقيت فى الصبهاء، نعم إن ليل المحزون طويل خاصة بعد تلك الهموم التى ألمت به وضربت أطنابها فى قلبه، ولا عجب فإنها ضلت الطريق الذى فى وجهها، ويقول مستخدما الرموز: يقاطر كل واحد من الصفر والألف نفسه، فما بين "بط" و "الجيم" يضل فيه الإنسان، ويعبر شاعرنا هذه الأحاسيس والمشاعر بقوله(٢):

"أرجعا ولا تدوير أم دار معهد بصهباء فبالصهباء إياك علت

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان . ص ١٧٥.

(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان . ص ١٧٥.

Marfat.com

بلى ليل كل ذى هم طويل وسيما هموم على أعلى مهائم جلت
ولا غرو أن ضلت فإن طريقة تلى كالتى فى وجهها بل هى التى
يقاطر صفر نفسه وكذا الألف فما بين بط والجيم ظلم اضلت"

وبعد هذا يقول شاعرنا مخاطبا نفسه، إن كل مصيبة فى دنيانا هذه تنتهى، والقمر بعد أن يكون مظلما فى المحاق سوف يبعث النور كالأهلة، ويرى أن بعد كل شدة فرجا، وإن الله تعالى يسوق سحابة وهذه السحابة تمطر الأرض. فكأنها حجاب يحيط بالأرض، وبعد أن تنقشع السحابة تظهر النجوم المشرقة اللامعة حيث تتمتع الأرض بضوئها وسطوعها، ثم بعد ذلك تأتى السحابة وتحجب النجوم ولكنها بعد ذلك تنقشع وتمضى لتظهر النجوم الزاهرة المشرقة مرة أخرى، وتتردد السحابة بين الظهور والانقشاع، فما تلبث أن تحجب عن ضوء النجوم ثم تتجلى، وهكذا المصائب التى تلم بالانسان، يمثل شاعرنا هذه المشاعر قائلا(١):

"ألا كل رزء في دنياك منته وكل مخاق مسفر عن أهلة
ألم تر أن الله يزجى سحابة فتسبل حجبا إذ حوت إذ تجلت
وتزهر أم الزاهرات إذا انثنت تدلت تولت إذ علت إذ تعلت"

هنا نلاحظ الاقتباس من الآية القرآنية: **ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله** (٢) وبعد هذا يقدم شاعرنا على الاشارة إلى حقيقة لابد لكل إنسان أن يتذوقها، وقال فى هذا الشأن: "إن كل من يموت يخلفه إنسان حى، ولكنه إذا فقد رجل عظيم فليس له من يخلفه، فبعد موته لا

---

(١) المرجع السابق، ص ١٧٥.
(٢) سورة النور ٢٤/٤٣.

Marfat.com

يكون أحد مثله، ثم يشير شاعرنا إلى شمائل مرثيه هذا ومرثى آخر هـــو مولانـــا محمد عبيد الله حيث يقول: إن شمائل مولانا محمد عبيد الله عظيمة فلا يوجد مثلـــه بعد أن رحل. ورحلة مولانا محمد إسماعيل أيضا أفقدت رجلا ذا صفات عظيمـــة كالمذكور انفا، ويبدو أن الدموع تستجلب الدموع والرثاء رثاء آخر، فنرى شـــاعرنا في البيت الثانى عشر يذكر مرثيا آخر وهو مولانا محمد عبيد الله، وما ذكـــره إلا استجلابا للدموع من كثرة ما أسالته عيناه على مرثيه هذا، يصور لنا شاعرنا هـــذه العواطف قائلا(١):

سوى الموت بل عن كل موت خليفـة ولاخلف عن فقد غر أجلـــة

شـــمائل عبيـــد الله جلـــت جليلـــة وشمليل إسماعيل بـــالتلوصلت

ألا أقل لك أيها القارئ الكريم إن الدموع تستجلب الدموع فلم يطب به المقـــام بل يذكر مولانا محمد إسماعيل وحده بل عرض في هذا البيت بذكر مولانا محمـــد عبيد الله كذلك، ولعله يفتقد أحياء مثلهم، وتلك نظريته التى قالها فى البيت الحـــادى عشر من هذه المرثية، وبعد هذا يشير شاعرنا إلى أمر أشعل صدره بشـــعلة مـــن الحزن لا تخبو ولا تهدأ، فأقبل على إفصاح ما يكنه فى قلبه من لوعة متقدة وما فى صدره من حرارة بالغة، فيقول: إنه مات مولانا محمد عبيد الله وبأثره مات أنـــاس من قوم كنا نحبهم وننتظر منهم الخير ونخشى أن يصيبنا بأس بعدهم لأنهم كـــانوا يحموننا عند الشدائد، لقد مضى هؤلاء الرجال ونحن الآن لا نرى منهم أحدا، وهـذا ما يثير فى قلوبنا الحزن والأسى وهنا نلحظ إقدام شاعرنا على الاقتباس من الآيـــة

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص ١٧٥.

Marfat.com

القرآنية: **فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر** [١] ، يجسد شاعرنا هذه العواطف قائلا[٢]:

"قضى نحبه قوم نحب وننتظر ترجى وتخشى من شرور أضلت

مضوا وبقينا خلف لم يك بيننا تراء ولا عين برؤيا تسلت"

وبعد هذا يشير شاعرنا إلى الأمر الذى أثار فى قلبه غريزة الحب الصادق والميول إلى بنى جنسه تلك الميول التى لم تلبث أن تحولت حبا صادقا لله وفى الله. فقال: إن حبه لم يكن إلا لخدمة دين الله دون أى غرض آخر، ثم قال: إن هذا الحب فى دين الله تعالى سوف يعلو بصاحبه إلى منابر من نور مما يدفع الأجلاء إلى إغباطه، وبالطبع نرى هنا الاقتباس واضحا من الحديث النبوى الشريف حيث قال حبيبنا المصطفى – صلى الله عليه وسلم –[٣]: "**إن لله عز وجل عبادا لهم منابر يوم القيامة من نور يغبطهم الشهداء، قال القوم: من هم؟ قال: المتحابون فى الله يغبطون من الأنبياء والشهداء**".

وقد قال حبيبنا المصطفى – صلى الله عليه وسلم – فى نفس المعنى[٤]: "**ياأيها الناس اسمعوا، واعقلوا، واعلموا أن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء**

---

(١) سورة الأحزاب ٢٣/٣٣.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٧٥-١٧٦.

(٣) كنز العمال، للعلامة علاء الدين على المتقى، ج ٩، ص ١٤.

(٤) المستدرك للإمام أبى عبد الله الحاكم النيسابورى (ط: مكتبة ومطابع النهضة الحديثة، رياض، دون سنة الطبع)، جـ ٤، ص ١٧٠.

Marfat.com

يغبطهم النبيون والشهداء على مجالسهم، وقربهم من الله عز وجل "وفى هذا يقول شاعرنا(١):

وذا خير ما نرجوه أن كان ودنا ... لخالص دين الله من دون علة

تحابيهم فى الله إن شاء موصل ... منابر من نور بمغبط جلة

وبعد هذا يقول شاعرنا: إن مولانا محمد إسماعيل القادرى إن فارقنا اليوم فسوف نلتقى يوم القيامة على حوضه - صلى الله عليه وسلم - حيث نرتوى بشربة من ماء من يد نبينا - صلى الله عليه وسلم - لا نظمأ بعدها أبدا، وإن الله - تبارك وتعالى - سيجمع شملنا فى الجنة، وإننا عباده المفتقرون إليه فهل ينقص بحر جوده شيئ لو أنه من علينا بقطرة من بحر جوده؟ ففى هذا يقول(٢):

وموعدنا ان من حوض نبينا ... ومكرمنا الآتى بأكرم ملة

هنا بالمحيا والحميا لقينا ... محيا حبيب فى حميا خضلة

قضى الله فى جناته جمع شملنا ... وبوأنا فى روضة مخضلة

فنحن، به، منه، اليه فإن ... يمن فهل بحر يغيض ببلة

دعاء من ألطف ما يمكن، وألفاظ من أحلى ما يمكن، ولا ندرى إن كان الشاعر يرثى أم يمدح؟ أم يرجو لنفسه؟ أم هو متضرع إلى الله - سبحانه وتعالى - ترى ما مصدر حلاوة هذا البيت؟ لأن فيه لفظ الجلالة أم لأن فيه لفظ الجنات؟ أم لأن فيه جمع الشمل؟ أم لأن الشطرة هذه احتوت جميع ما أشرنا إليه؟ لا يمنع ذلك، وإنى حين سمعتها أرى أن من الميسور أن أجعلها علما على قائلها فأقول: أنا أبحث فى

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٧٦.
(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٧٦.

Marfat.com

شعر "قضى الله فى جناته جمع شملنا" بدلا من أن أقول: أنا أبحث فى الشيخ أحمد رضا خان، دعاء طيب و أمنية غالية، أسأل الله ألا يحرم متضرعا إليه من تحقيقها.

ونلاحظ الجناس غير التام واضحا فى قوله: "محيا" و"حميا"، وأرى أن شاعرنا يحاول أن يستلفت نظر قارئه وسامع أبياته، فمرة يشتغل بعرض الناحية اللغوية، ومرة أخرى يأتى بحروف الجر الداخلة على ضمير الغائب ويترك للقارئ أن يقدر على أى شئ دخلت هذه الحروف، كما لو يستنشط همة السامع عند كل بيت من أبياته أو على الأقل بعد بيت أو بيتين.

وبعد هذا يتوجه شاعرنا بالتضرع والدعاء إلى خالق الأرض و السماء لمرثيه مولانا محمد إسماعيل القادرى الذى كان طول حياته خليلا للخلان، وشديدا على المخالفين للشريعة الإسلامية الغراء، وكان شغله الشاغل الدفاع عن دين الله تعالى، وإبانة الحق، كما كان يقاوم البدع والمبتدعين، وقد ساعد فى نشر الوعى الإسلامى أيضا حيث قام بتربية المسلمين تربية إسلامية فريدة، كما كان المرثى يتصدى لكل من زلت قدمه عن الصراط وعن الطريق القويم، ويناضل بكل شدة - كذلك - من كان يسعى فى الضلال، ومن كان يتخذ من الإضلال للناس وسيلة، فالنوال للمريد الراغب فى أن يتعلم والنكال للنفس المتمردة، والمراد من كلمة "المضلة" الضالة المحاولة لإضلال غيرها، وفى هذا يقول شاعرنا(١):

حبا الله إسماعيل فضلا ورحمة ... وأكرم مثواه بمنزل خلة

فلم يك فيما جاءنا يغتدى ولا ... يروح سوى خلة أى خلة

صيانة دين أو إهانه بدعة ... إبانه حق أو إعانة خلة

نوال مريد أو نكال مريدة ... نزال مزل أو نضال مضلة

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٧٦.

Marfat.com

يرد الردى بالردع عن هوة الـهوى يرى من كلامى جملة بمجلـة

نلاحظ الجناس بين كلمتى "نوال" و "نكال" وطبعا غير تـــام وكذلـك اتفـاق الحروف بين أربع كلمات واضح جدا "النزال" و "النضال" و "مزل" و "مضلة"، فكأن شاعرنا يحاول من البيت إلى البيت وإن لم يكن فى كل بيت أن يشحذ الهمـــة فـــى معنى ذلك البيت ولذلك يأتى بكلمات تكاد تكون متفقة فى التلبية لهذا الغرض.

وبعد هذا يقدم شاعرنا على الاشارة للبيت المشهور وأرى أن شـــاعرنا عنـد قوله: "فإن يك لم تنظر" أراد أن يقول: "كأن لم يك تنظر" لعلـــه أراد أن يبيـن أن العين لم تنظر عيبا فى المرثى، وهذا إن دل على شئ فيدل على أن المرثى بـــرئ عن العيوب، والشاعر يهدف إلى هدف أسمى من أن يقول: "وعين الرضا عن كـل عيب كليلة" وذلك لأنه لم يقرر أن لمرثيه عيبا، بدليل أنه ينفى عن مرثيـــه وجـود العيب. وينفى أنه قد أبصر فى مرثيه عيبا شأنه فى ذلك شأن عين الرضا، وكلمـــة رضا هذه فيها تورية لها معنيان أحدهما قريب وهو ضد السخط، وهذا قريب إلـــى النفس لأن بيت الشعر معروف، "وعين الرضا عن كل عيب كليلة"، وأمـــا معنـاه البعيد وهو ما أراده الشاعر وهو العلم على قائل الشعر، كأنه يريد أن يقول: "عينى" وهو بذلك يقرر أنه لم يجد فى مرثيه عيبا ليبصره، وإلا فلو كان يريد الجرى وراء المعنى للبيت لكان فى ذلك ذم للمرثى، وأنا أترفع بالشاعر أن يكون قد قصد بذلـك، وهذا من باب ذكر محاسن المرثى.

وأنا أعلل أن إشارته للبيت المشهور، "وعين الرضا عن كل عيب كليلة" بـــأن هذا لون من ألوان اجتذاب النظر والتفكير، وإعمال التفكير فيما يقول لســـامعه، أو يكتب لقارئه، وكذلك يستخدم التورية بطريقة بعيدة، وذلك عند إيراده كلمة "عيـــن" وهذا لون من ألوان استحسان التورية، لأنها بعيدة جدا عن أن تنتظرها، لأنـــها لـــو

Marfat.com

كانت لا تبصر العيوب فإن معناه أن هناك عيوب لا تبصرها عين الرضا، فالشاعر يريد أن يقول: إن عينه لم تنظر فى مرثيه العيوب، فقد جاء شاعرنا بالتورية و البيت المشهور ليلفت الأنظار إلى المعنى الذئ جاء به و إلى الصياغة التى أتى بـــها فـــى البيتين السابع و العشرين، و الثامن و العشرين من تائيته التى نحن بصددها، و هذا نو ع من أنو اع العناية بما يقوله الشاعر و اعتزازه بما يكتب، يعنى أنه يستجلب الانتبـــاه ويو قظ السامع و القارئ، يقول شاعرنا(١):

"وعين الرضا عن كل عيب كليلـة" فإن يك لم تنظر و إن ترغلـت

"ولكن عين السخط تبدى المسـاويا" كمن دخل البستان مجتل جلـة

وبعد هذا يشير شاعرنا إلى أن مرثيه مو لانا محمد إسماعيل القادرى و إن كان قد ذاق طعم الموت و ارتحل عن دنيانا هذه إلى جنات ربه، ولكن الله تبارك وتعـالى جعل ذكراه حية فى قلوب المسلمين كمكافئة فى الدنيا وذلك على جـــهوده العلميـــة و الدفاعية طول حياته، يصور شاعرنا هذه الأحاسيس بقوله(٢):

حياة مواتى حـــى طبعـا بســعيه فحياه حى لا يمـــوت بهلـــة

مضى وهو تواق إلى الأمن والعلـى فنال العلى والأمن فيم محلـة

وبعد هذا يعرض شاعرنا للباس مرثيه، وحلته، و العبير الفواح، كل ذلك بعـــد أن تجهز المرثى حين خروجه من الدنيا، فيرى شاعرنا أن الثوب الذى ســـتر بـــه مرثيه، و الكفن الذى حل فيه، وما أضيف إلى هذا الكفن من طيب الرائحة إنما تمثل ذلك فى ثواب أحاط به كله إحاطة الكفن بالمتوفى، و أن تصوفه و اتباعـــه الطريقـــة

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٧٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧٦.

Marfat.com

التى كان عليها مرثى شاعرنا إنما كان ذلك بمثابة العبير الفواح الذى تعطرت بـــه أكفانه، ودخل إلى ماء غسله، حتى تطيب به جسده، وما ذلك إلا لحب جمع بينـهما، وثقة من الشاعر وأمل فى وجه الله أن يمن على مرثيه بهذا كله.

ومن الممكن أن يكون شاعرنا قد أراد بفكرة التحنيط وما يترتب عليها مـــن بقاء للجسد دون أن يذهب ويضيع فى التراب، لعل شاعرنا عرف من أمر حضـارة مصر وما كان الفراعنة يقومون به تجاه أسرتهم من أمر التحنيط ليتسنى لهم بقـــاء الجسد، رأى شاعرنا أن اتباع مرثيه طريقة الشاذلية وتدينه بصفة عامة يؤدى إلـــى بقاء هذا الجسد وعدم ضياعه فى التراب، وقد أشار إلى ذلك فـــى البيـــت الثـــانى. والثلاثين وأشار كذلك إلى عام وفاة مرثيه - بحساب الجمل - فى الشطرة الثانيـــة من البيت الثالث والثلاثين، كما أشار إليه فى الشطرة الأولى والثانية مـــن البيـــت الرابع والثلاثين. وفى هذا يقول شاعرنا(١):

وفضله صوب الصواب بهلـــة ... وكفنه ثـــوب الثـــواب بحلـــة

وشذو شذ الشـــــاذلية حنطـــه ... ورفعة قدر القادريـــة صلـــت

ينمق فى تاريخ رحلته الرضـا ... سحائب ميح السفح مثواك بلـت

بأدنى نعال فتر وأفضل مـنزل ... وأشرف نزل حز وأوفق تلـــة

١٣١٧هـ ١٣١٧هـ

وبعد هذا ينتقل شاعرنا مرة ثانية إلى الدعاء للمرثى ويردف دعـــاءه صـــلاة وسلاما على الحبيب المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - وهذا خـــير ختـــام للرثاء، فنجد شاعرنا العالم الدينى يضع الأمور موضعها، على الرغم من ميوله فى

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٧٦-١٧٧.

Marfat.com

كثير من الأحيان إلى الأساليب الأدبية لشعراء العصر الجاهلى، ولكنه مع هـــذا لا ينسى الاقتباس من القرآن والحديث ضمن مراثيه، كيف ينسى ذلـــك والديـــن هـــو محور علاقته بالناس حبا وبغضا، رثاء وهجاء، وإنه لا ينسى الحبيب المصطفـــى – علية الصلاة والسلام – فى منظوماته كلها، لا تكاد تمضى قصيـــدة إلا ويعطرهـــا بذكر الحبيب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – مصحوبا بدعائه ربه عز وجل – وكأنما يتوج شاعرنا شعره بهذا التاج الذى لا ينساه فى قصيدة المدح أو الرثاء، وإذا قلنا إنه يجعل ذكر حبيبنا المصطفى – صلى الله عليه وسلم – بمثابة التاج للقصيـــدة فهو رجل لا يكتفى بتاج واحد بل تتعدد تيجانه بذكر الله تعـــالى ومناجـــاة حبيبنـــا المصطفى – عليه أجمل التحية والثناء – وذلك إن دل فيدل على ارتباط قائم بينـــه وبين الدين بصفة عامة، ومما هو جدير بالذكر أننا نجد غزارة علم شاعرنا منجليـــة فى شعره مع تمسكه بكل الفنون الأدبية والبلاغية فيما نظم من شـــعر، ولا نجـــده خارجا عن هذا المضمار، يقول شاعرنا رافعا أكف الضراعة إلى ربه– عز وجل– ومصليا على الحبيب المصطفى – صلى الله عليه وسلم –[1]:

"وقتك مراقى اللطف كل كريهـة سـقتك سـواقى الـرأف ارج تلـة
ومنهمرات السحب من صلواتـه على المصطفى والصحب هلت بهلـة
تديـم مدامـا شـاملا بعبيـده وأبعدهـم لونـد لـم يتفلـت"

وإن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان يتحدث عن عواطفه الجياشة وأحاسيســـه الرقيقة حين يشبه نفسه بالأرض، ويتضرع إلى الله تعالى سائلا إياه أن يجعل الندى من نصيبه إن لم يكن المطر الغزير، لأنه يعرف أن قطرة الندى من خـالق الأرض والسماء تغنيه، وتحقق جميع أمانيه، ثم يتوسل بالحبيب المصطفى – صلى الله عليه

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٧٧.

Marfat.com

وسلم – ويستغفر ربه متبعا أمر ربه حيث قال(١): **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما** وفى هذا يقول شاعرنا(٢):

"وأرض الرضا إن لم يصب وابل فطل ... ندى منك لى كالديمة المستهلة

إلهى إليك بالحبيب توسلى ... به فاغفر اللهم ذنبى وزلتى"

نلاحظ الاقتباس من الآية القرآنية وذلك عندما قال شاعرنا: "وأرض الرضا إن لم يصب وابل فطل" فإنه اقتبس من الآية القرآنية: **ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين، فإن لم يصبها وابل فطل، والله بما تعملون بصير** (٣) وأى خاتمة أحلى فى أذن السامع أو عين القارئ من خاتمة شاعرنا لهذه القصيدة، فالقارئ لا ينتظر شيئا بعد هذا البيت من هذه القصيدة، ولو حاولنا أن نقدم أو نؤخر من أبيات هذه القصيدة ما استطعنا.

وفى ضوء ما ذكرنا يتجلى لنا أن شاعرنا كان يحب مرثيه هذا حبا جما، ومن أجل هذا سعى لأن تكون مرثيته نموذجا للفصاحة والبلاغة، فأتى فيها بكل ما يجعل منها مرثية متكاملة، كما أننا نلحظ فيها إتيانه بكل غريب فى الألفاظ والتراكيب، وأعنى به قليلة الاستعمال يعنى أنه ليس بغريب بدرجة ممقوتة لأن الغريب فى الألفاظ يخرج الشعر عن الفصاحة والبلاغة، وأقصد من الغريب ما كان استعماله من الندرة بحيث إنه من ألفاظ الخاصة.

---

(١) سورة النساء ٤/٦٤.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٧٧.
(٣) سورة البقرة ٢/٢٦٥.

Marfat.com

ومما يدعو إلى التأمل أن نجد كل المراثى الواردة فى بساتين الغفران تؤرخ لعام وفاة أصحابها، وهذا ما لا نجده عند شعراء العربية إلا فى شبه القارة، ويرجع هذا إلى تأثير شعراء العربية من شبه القارة الهندية بالشعر الفارسى والأردى لأنهم من هذه البيئة التى ينتشر فيها التاريخ فى شعر الفارسية والأردية، فيقدم شعراء هاتين اللغتين على التاريخ فى كل مرثية، فبيئتهم تهتم بتسجيل الحوادث رثاء أو غير ذلك، وتذكر فى أثناء القصيدة، وقد يكون الذكر آخرها غالبا سنة وتاريخ هذه الواقعة. لذلك وجدنا إقدام شاعرنا متأثرا بما عليه بيئته، وهذا ما يعد ظاهرة فى شعره العربى والفارسى والأردى، وشعر غيره من شعراء العربية فى شبه القارة الهندية كذلك، ومع هذا نجد أغلب مراثى شاعرنا متسمة بظاهرة لا تكاد توجد عند غيره، ألا وهى ذكر تاريخ أكثر من مرة فى قصيدة واحدة، بل إننا نجد على سبيل المثال فى تاريخ عام رحيل مولانا محمد عبيد الله يقدم شاعرنا على استخراج عشرة تواريخ فى منظومة واحدة من تسعة أبيات الأمر الذى يعد ظاهرة فى منظوماته العربية، ويدل كذلك على أنه كان بارعا فى هذا الفن، والمتتبع لمنظوماته الفارسية والأردية يجد هذه الظاهرة متجلية بوضوح فيما نظم من شعر بهاتين اللغتين، والقليل من العرب من يذكر التاريخ فى شعره، فنجد عناية شاعرنا بهذا اللون من الشعر أكثر من عناية المتقدمين والمعاصرين به.

ومما يعد ظاهرة فى أسلوبه العربى فى منظوماته التى أشرنا إليها فى هذا الفصل أنه - فى بعض الأحيان - يقدم على استخدام كلمات عربية رصينة، إلا أنها لا تستخدم الآن فى لغة الحديث أو اللغة الأدبية المعاصرة لنا، وهذا لا يعد عيبا فى أسلوب شاعرنا بل كأنه يريد أن يبلغ رسالة معينة إلى طبقة معينة من الأدباء، كما نلاحظ أن هناك بعض أبيات يغلب على أسلوبها الغموض، والذى يحتاج ممن يطلع على هذه الأبيات الرجوع إلى سيرة أولئك الذين أقدم شاعرنا على النظم فى رثائهم كما يحتاج الرجوع إلى معاجم أعلام التصوف الإسلامى لمعرفة مدلول بعض المصطلحات الصوفية التى أتى بها شاعرنا ضمن أبياته، ومادمت قد انتهيت من الحديث عن القصيدة الأولى فى رثاء مولانا محمد إسماعيل القادرى فلأنتقل إلى الحديث عن القصيدة الثانية والتى تبلغ عدد أبياتها ثلث ما كان فى القصيدة الأولى، فإن كانت القصيدة الأولى تسعة وثلاثين بيتا فإن عدد أبيات القصيدة الثانية ثلاثة عشر بيتا، ولننظر فيها فنقول:

Marfat.com

ذكر آخر لرثاء وتاريخ رحيل مولانا محمد إسماعيل القادرى النقشبندى الشاذلى

إن أول ما يستوقفنا فى هذه القصيدة هو ذكره اسم مولانا محمد إسماعيل القـــادرى باعتباره أول كلمة فى القصيدة ولا يكفيه هذا بل يورد هذه الكلمة مرتين فنراه يبـــدأ الأبيات الثلاث الأولى من هذه القصيدة بذكر اسم المرثى مرتين حتى يبلغ مجمـــوع ما ذكره ست مرات.

نرى ما الذى قام به شاعرنا مرة أخرى مع مولانا محمد إسماعيل القـــادرى ليرثيه ويسجل تاريخ وفاته فنظم ثلاثة عشر بيتا وذلك بعدما رثاه فى الثانية - وقد سبق أن درسناها آنفا - وكان ذكره للتاريخ مرة واحدة على عكس ما كـــان عليـــه شاعرنا فى القصيدة الأولى، واستهل شاعرنا هذه المرثية بمخاطبة مولانـــا محمـــد إسماعيل القادرى، فبين ما كانت تتمتع به شخصيته من فضائل، كمـــا أقـــدم علـــى إدراج ماثره، ومنها تصديه للرد على أهل الزيغ والوقوف أمام الفتن التـــى كـــان يشيعها المخالفون لمذهب أهل السنة فى بيئته، وفى هذا يقول شاعرنا(١):

أإسماعيل إسماعيل ســـنه أحامى حاله من كل فتنـــه

أإسماعيل إسماعيل صـدق أرادع كل مين عين فطنه

أإسماعيل إسماعيل حـــق أتاك الحق نكب كل محنه

وفى تلك الأبيات نجد شاعرنا - كذلك - يبدأ الرثاء باسم مرثيه، ولم يكتـــف بذكره مرة واحدة بل كان يردده مرتين فى بداية كل بيت ثم يسير على هذا المنـوال

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢٠١.

Marfat.com

فى ثلاثة أبيات، ترى لماذا كرر هذا الاسم؟ ولماذا استهل باسم مرثيه رثاءه ولما ذا ذكره بهذه الطريقة؟ أهو رثاء؟ أم هو مديح؟ أم هو حب؟ أم هو تقدير؟ أم هو مزيج من هذه الأمور الأربعة؟ وفى هذا دليل على شدة محبة شاعرنا لـــهذه الشـــخصية، وإخلاصه لها. كما يدل على أن وفاة مولانا محمد إسماعيل القادرى تركت شيئا فى نفس شاعرنا عبر عنها فيما نظم من شعر عربى بلغ عدده اثنين وخمسين بيتـــا - كما ذكرنا من قبل - وبمطالعة الأشعار السابقة نجد شاعرنا يقدم على تبشير مولانا محمد إسماعيل بما من الله عليه من حسن ختام من دنيانا هذه التى هى بمثابة البليـــة للإنسان المؤمن، وبعد ذلك يقدم شاعرنا على أسلوب آخر فى حديثه ألا وهو أسلوب الغائب حيث يردد قوله بأن مولانا محمد إسماعيل سوف ينال الجزاء الأوفى من الله تعالى نظير خدماته الدينية الجليلة، وإن الله تعالى لا يخلف وعده، ثـــم بعـــد ذلـــك يخاطب العيون الباكية على وفاة مولانا محمد إسماعيل قائلا: إصبرى واطمئنى هذا ليس مقام البكاء جزعا، لأن مولانا محمد إسماعيل قدم خدمات لا تحصـــى وهـــى تشفع عند رب العرش العظيم لكى ينال المنازل العليا، وبعد ذلك ينتقل شاعرنا إلـــى استخدام التشبيه فى شعره فنجده يقدم على تشبيه خروج الروح مـــن جســـد هـــذا الإنسان المؤمن الموقن بظهور الهلال من بين طبقات السحب، والمقصود من هـــذا القول تشبيه المرثى بالهلال وذلك لبيان منزلته الكبيرة، وقد قصد شاعرنا أن يقـول: إن المرثى مرتفع القدر أراه عاليا كالهلال، وفى نفس الوقـــت أضـــاءت أعمالـــه وخدماته الدنيا جميعا، كما يظهر الهلال فيراه الناس جميعا، وفى نفس الوقت يـــرى شاعرنا أن مرثيه أجل ضوءا من الهلال على الرغم من وفاته، فالهلال يتجلى نوره أوقاتا محدودة ثم يختفى، أما مولانا محمد إسماعيل فنـــور إرشـــاداته وتوجيهاتـــه وخدماته الجليلة مازال نافعا ومتجليا - بفضل الله تعالى - ليلا ونهارا ولـــم يغـــب

Marfat.com

بوفاته، ونوره هذا يحث المسلمين على الطمع فى رحمة الله تعالى، ففى هذا يقول(١):

لإسماعيل عند الله إن شاء مواعده بمكرمة ومنه
ألا لا يبكين لفقد سعد أينقم رجع نفس مطمئنه
رواح الروح من كنف لسنى كمزنة انجلى منه ابن مزنه
سناه ونفعه باق بهيا فقطر دجنة وقمير دجنه

وبعد ذلك يطير شاعرنا بأجنحة خياله القوى فيذكر ما يتمناه لمرثيه من رحمة وعطاء من الله فى الجنات العلى، فيقدم على بيان ما رآه فى مخيلته من أن الملائكة تحف بأجنحتها مولانا محمد إسماعيل القادرى فتطير به إلى جنات عدن ذات نعيم كثير منها الأنوار والطيور المغردة بأنغام مطربة، وفى هذا يقول شاعرنا(٢):

"يزف إلى الجنان جنان عفو لأنوار وأطيار مزنه
يحف به ملائكة أعزه بأجنحة كسحب مرثعنه
وإن أسئل لإسماعيل منهم أجب ثقة بنول الله إله"

ويختتم شاعرنا مرثيته هذه بإيراد الفضائل والصفات التى كانت نفس مولانا محمد إسماعيل القادرى متحلية بها، منها الكرم والجود والخلو من كل عيب ينافى شرف الإنسانية، وإضافة إلى هذا يقدم شاعرنا كما هى عادته فى أغلب مراثيه وغيرها مما نظم، فنجده يرفع أكف الضراعة إلى الله الواحد داعيا إياه أن يجعل

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢٠١.
(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢٠١.

Marfat.com

الشاعر من أصحاب اليمين ببركة مولانا محمد إسماعيل القادرى، ثم يختتم منظومته هذه سائلا ربه أن يجعله ممن رضى عنهم ورضوا عنه، وفى هذا يقول شاعرنا(١):

لإسماعى لإسماعيل مدعى حلاه هجانة وخـــلاه هجنــه

فنحن بمنه وهبـــات يمنــه نكون من أهل يمنة أن يمنـــه

إلهى أعطنا حسن الرضـــاء وأول غداة وصف الأول يمنــه

بهذا الدعاء اختتم شاعرنا منظومته الثانية كما رأيناه يكمل قصيدتـــه الأولـــى أيضا بالتضرع إلى الله تعالى سائلا إياه المغفرة والرحمة للمرثى ولنفسه أيضا.

لعلك لاحظت معى أيها القارئ الكريم وجود حذف من آخر اسم المرثى كمـــا حذف آخر كلمة "الأول" وهو يقصد الأولياء، وذلك لضرورة الشعر، ولاحظنا وجود الجناس التام بين فعل الأمر وبين مرخم أولياء وهو "أول" أيضا، وقد دفعته إلى هذا الحذف الضرورة الشعرية، وما أحسنه لو تجنب مثل ما تفرضه عليـــه ضرورتـــه الشعرية، بل يطوع الشعر دون أن يضطره الشعر إلى شئ من التطويـــع وأرى أن ذلك أفضل.

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٠١.

Marfat.com

المطلب الثانى

فى تأبين وتاريخ رحيل
مولانا محمد عبد الغنى السهسرامى (١)

نظم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان عشرة أبيات من بحر الكامل فى تأبين وتاريخ رحيل مولانا محمد عبد الغنى، فقد توفى هذا الشيخ قبل وفاة شاعرنا بسنتين. وذلك فى الرابع عشر من شهر شوال عام ثمانية وثلاثين بعد المثلاثمائة والألف للهجرة الموافق عام تسعة عشر بعد التسعمائة والألف للميلاد وكان من كبار المعاصرين لشاعرنا الشيخ أحمد رضا خان(٢) ونلاحظ مدى وفاء شاعرنا فهو يرى أن رثاء العلماء الراحلين دين فى عنقه، وحق واجب لهم، وهو يعتبر الرثاء وفاء لهؤلاء العلماء الأتقياء الأجلاء، وقد أقدم على رثاء كثيرين من العلماء باللغات الثلاثة العربية والفارسية والأردية، ولما كانت دراستنا مقصورة على الديوان العربى لشاعرنا اكتفينا بإيراد ما نظمه شاعرنا باللغة العربية فى الرثاء، ومما تجدر الإشارة إليه أن شاعرنا بزّ أقرانه فى إقدامه - عفو الخاطر - على استخراج التواريخ فى المناسبات المختلفة وصوغها فى جمل شعرية وأبيات مستقيمة شعرا لمن أراد الشعر. وصحيحة حسابيا لمن أراد الحساب، وبالتالى جمع بين صحة العقل والعاطفة. فنجده يستخرج تاريخ الوفاة - بحساب الجمل - فى نهاية كل منظومة فى الرثاء، أما ما يتعلق برثاء الشيخ محمد عبد الغنى فقد رأيناه يبدأ منظومته بالتفكير فى مأساة الحياة، ثم يبين ضعف وعجز كل الناس أمام الموت،

---

(١) لم أهتد إلى ترجمته بالرجوع إلى المراجع المختصة بهذا الموضوع غير ما أشرت إليه أعلاه.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص ١٤١.

Marfat.com

كما أشار إلى أن الناس يتغافلون عن هذا المصير المحتوم نظرا لتأخير الآجال ونلاحظ أن لفظة الإنساء إما مصدر من الفعل أنسى أو إنساء بمعنى التأخير، ولا يتعارض ذلك مع المعنى العام. فمن الممكن أن يكون نسيانهم الآجال وأنها منتهية لا محالة يجعلها يرتبون أمورهم، على عدم مجيئها نظرا للنسيان، وإما أن يكون المراد من "الإنساء" التأخير. ولا يتعارض هذا بالنسبة لإرادة الله، فالتأخير ظاهر علمنا معشر البشر، أما بالنسبة لعلم الله - عز وجل - فالآجال قدر مقدور لوقته، معلوم له - سبحانه - وصدق عز من قال: **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** (١).

ويقدم شاعرنا على الاقتباس من الآية الكريمة(٢) **ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات** وفى هذا يقول شاعرنا(٣):

الموت حق يا له من جاء ... متيقن والناس فى إنساء

أنساهم الإنساء فى آجالهم ... مع ما يرون من آية بولاء

النقص فى أموالهم وثمارهم ... والأخذ بالبأساء والضراء

وبعد هذا يظهر شاعرنا تعجبه من الموت الذى يغدو سرا غامضا إلا إنه مع هذا كله فهو حقيقة لا مجال فيها للشك كما يشير إليه شاعرنا بقوله: "وبدت من الخضراء والغبراء" وبعد ذلك يظهر شاعرنا تعجبه من الطفل الذى يشب لاعبا لاهيا مع غفلته عن القضاء المحتوم، فكأنه يرمز بأسلوبه هذا إلى الشباب الذى يتقدم

---

(١) سورة الأعراف ٣٤/٧، وسورة النحل ٦١/١٦.
(٢) سورة البقرة ١٥٥/٢.
(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص ١٤١.

Marfat.com

نحو الكهولة وبالتالى إلى الموت فلا يكون موقفه من الموت والاستعداد للآخـرة إلا كموقف الطفل منها، ففى هذا يقول شاعرنا(١):

"عجبا لخافية غـــدت مخفيـــة وبدت من الخضراء والغـبراء

الطفل شبّ وشاب هو كما بدا يلهو ويلعب ناســـيا لقضـــاء

وبعد هذا انتقل شاعرنا إلى تمجيد مولانا عبد الغنى وبيان فضله فى الرد على الفتنة القاديانية حيث وصفه بالصاعقة على القاديانيين، ومما هو جدير بـــالذكر أن شاعرنا الفقيه المحدث ايضا كان من أشد المعارضين للحركة القاديانية، ففى هـــذا يقول(٢):

عبد الغنى مضيت حين قضيـت نحبك من نكاية فتنة الخبثـاء

قد كنت صاعقة على نجديـــهم ورزية المرزامع المرزائـــى

كفى أن يقول شاعرنا أن المرثى كان صاعقة على القاديانية، كفى بذلك مدحـا ورثاء فى آن واحد، وكفى بالمرثى أن يكون مصدر فخره ونصرته للدين، رحم الله المرثى ومن رثاه، وجزاهما الله خيرا دفاعا عن الدين.

ثم يقدم شاعرنا على توجيه المرثى إلى جود رسول الله - صلـــى الله عليـه وسلم - يوم القيامة حتى يفوز بشفاعته، وبعد ذلك يتوجه إلى رحاب رســول الله - صلى الله عليه وسلم - راجيا منه الشفاعة للمرثى يوم القيامة، فكأنه عند اسـتخدامه كلمة "مالك الناس" يقصد القول: مالك شفاعة الناس يوم يقول جميع الأنبياء "نفســى نفسى اذهبو إلى غيرى" فيكون الحبيب المطصفى لها فيتقدم دافعا البلاء الذى يفـزع

---

(١) المرجع السابق، ص ١٤١.
(٢) المرجع السابق، ص ١٤١.

Marfat.com

الناس غاية الفزع، وأنا أرى أن شاعرنا عندما أورد عبارة "اشفع لعبدك" لم يقصد بها العبودية بالمعنى الذى يختص به خالقنا عز وجل، بل قصد من هذه الكلمة معنى "الخادم المطيع لسيد الخلق أجمعين حبيب رب العرش العظيم، وفى الشطرة الثانية من البيت الأخير سجل شاعرنا لقبه الشعرى كما هو معروف لدى شعراء الأردية فى شبه القارة الباكستانية الهندية، أما فى الشطرة الثانية فأقدم على استخراج عام وفاة الشيخ عبد الغنى دون تكلف أو إحداث أى خلل فى النسيج الشعرى لفظا ومعنا فيقول(١):

بندا رسول الله فز بشفاعته ... وجزاء رب العرش خير جزاء

يامالك الناس النبى المصطفى ... اشفع لعبدك دافعا لبلاء

رقم الرضا تاريخه متفائلا ... عبد الغنى بجنة العلياء

هذه هى مشاعر وأحاسيس شاعرنا التى عبر عنها نظما لتأبين مولانا محمد عبد الغنى وتاريخ عام وفاته مما يدل على احترام شاعرنا لمعاصريه دون قرابة فى النسب بل أخوة فى الله، وشأنه فى ذلك شأن ما قدمنا عنه فى منهجه فى المدح.

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص ١٤١.

Marfat.com

المطلب الثالث

فى رثاء وتاريخ عام رحيل مولانا محمد عبيد الله [١]

توفى الشيخ "محمد عبيد الله" فى عام خمسة عشر بعد الثلاثمائة والألف للهجرة وذلك قبل وفاة شاعرنا بخمس عشرة سنة، فرثاه شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان باهتمام بالغ حيث إنه نظم منظومتين أو لاهما فى تسعة أبيات من بحر الهزج، أما أخراهما فتقع فى ثلاثة وعشرين بيتا أما الأبيات التسعة فنجد شاعرنا يُقدم فى الشطرة الثانية من كل بيت على ذكر عام الوفاة ما يسمى حساب الجمل، معنى ذلك أنه خلط بين العاطفة والعقل دون أن يقصر فى واحد منهما، وهذا بالنسبة لتذوق الباحث فاستهل شاعرنا منظومته بذكر وفاة مولانا محمد عبيد الله، وبتعبير رائع، ثم أتبعه بالدعاء له بأن يكرمه الله تعالى بلقائه كما أثنى عليه لتصديه للفتن فى عصر المحن حيث كان المسلمون فى الهند تحت وطأة الاحتلال الإنجليزى وكانوا يعانون من المشاكل والقلاقل المختلفة، يقول شاعرنا فى هذا الصدد[٢]:

عبيد الله قد سبقا ... بشرق مجده الفلقا

جزاه قديره بلقا ... كما رتج الهدى بلقا[٣]

حماد[٤] له بأيدٍ بدِ ... بها باب الهدى غلقا[١]

---

(١) لم نستطع الاطلاع على ترجمته رغم الرجوع إلى أكثر من مرجع.

(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان، ص ١٥٧.

(٣) بلقا: "فتح فتحا كليا" تعليق الشيخ أحمد رضا خان.

(٤) حماد: "أى أحمد وأثنى عليه" تعليق الشيخ أحمد رضا خان.
انظر هذين التعليقين فى: الإجازة فى ذكر الجهر مع الجنازة لمولانا محمد عمر الدين القادرى، ص ٦٠. وانظر: المرجع السابق ص ١٥٧.

Marfat.com

ثم انتقل شاعرنا إلى بيان فضائل مولانا محمد عبيد الله فنراه يستهل الأبيات من البيت الرابع إلى البيت السابع باسم المرثى وذلك بأسلوب لا يتعارض مع صباغة الانسجام البنائى للأبيات ودون أدنى إثارة أدنى ملل للقارئ، وأعتقد أن هذا التكرار ينبئ عن محبة لصاحب الإسم وإعلاء شأن وقدر لهذا المرثى، يقول شاعرنا(٢):

عبيد الله فى عمره به نهج الهدى شرقا

عبيد الله فى مصره به حنك الهوى شرقا(٣)

عبيد الله فى رى بحسن تقى وزين نقى

عبيد الله عند الله فى الفردوس فى الرفقا

وفى البيتين الأخيرين يرفع شاعرنا أكف الدعاء إلى خالق الأرض والسماء معبرا عن لوعته وحزنه بوفاة مولانا محمد عبيد الله فيقول(٤):

تضاء لنا وأوجب من أنار بدره أفقا

وطيبه بريع(٥) رضا كما مده(٦) الرضا عبقا(٧)

---

(١) يرى الباحث أن شاعرنا الفقيه قصد أنه غلق باب من أبواب الهداية ولم يقدم على المبالغة المقوتة التى كان يكرهها تماما، وقد أخذ على عاتقه أن ينظم الشعر فى قالب الشريعة مع الاحتفاظ بالمشاعر الفياضة، فلم يكن يغفل أحكام الشريعة بل كان يخضع لها عند المدح والرثاء والهجاء (الباحث).

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص ١٥٧.

(٣) شرقا: أى غص وشرق بريقة الميت عند نزع روحه تعليق شاعرنا الشيخ احمد رضا خان. المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٤) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٥٧.

(٥) ريع: "زيارة" تعليق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان.

(٦) مده: "المدح، وإن شئت قرأت على المصدر" تعليق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان.

(٧) عبقا: بكسر الباء، فعل ماض والألف للاشباع، وإضافة مده إلى الفاعل، أى كما مدح الرضا لهذا الممدوح، وأن يرد اليه بجعلها إلى المفعول، وإن شئت قرأت مده فعلا مبنيا للمفول، وعبقا مبنيا

Marfat.com

هذه هى عواطف شاعرنا نحو شخصية معاصرة له، أحبها شاعرنا لله وفى الله، ونلاحظ كيف تحركت عواطف شاعرنا الرقيقة من الخسارة التى لحقت بالمسلمين، وإن كنت قد عرضت لمعنى هذه الأبيات فإن نسيجها الشعرى لم يقع فيه خلل بل نجد شاعرنا بطبيعة الإخلاص فى الرثاء كما أخلص فى المدح والبكاء للمفارقة، شأنه فى ذلك ما كان يقع منه فى المدح من استبشار واستهلال عند مجيئ الممدوح، فشاعرنا قلب مفعم بالإخلاص والحب يعبر عنه فى المدح والرثاء تقديرا منه لأشخاصه الذين عرض لذكرهم، ولمقدرة شاعرنا استطاع أن يجعل من كل شطرة ثانية فى كل بيت من الأبيات التسعة تاريخا لوفاة هذا المرثى دون أن يقع منه خلل فى النسيج الشعرى، وكأنما يرد شاعرنا على من قد يقول إن حساب الجمل يقع لشاعرنا مصادفة، ولذلك فهو يذكره مرة واحدة وبالتالى رد على ذلك المتوقع حتى لا يجعل للقول سبيلا عليه فى شعره دون أن تختل معانيه أو تضعف ثروته اللغوية، وبالتالى هى مكنة عقلية لغوية عاطفية، مع أن العربية لم تكن لغته الأولى.

بفتح الباء على التمييز، والرضا مصدر مبنى للفاعل، أى كما يمدح منصب الرضا والتسليم بطيب النشر، وأن يشار إليه بجعل الرضا ههنا بمعنى ناظمه. تعليق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان، انظر هذه التعليقات الثلاثة فى: الإجازة فى ذكر الجهر مع الجنازة لمولانا محمد عمر الدين القادرى، ص ٦٠، والمرجع السابق، ص ١٥٨.

Marfat.com

رثاء ثان وتاريخ لرحيل مولانا محمد عبيد الله

هذه دمعة أخرى انهمرت من عينى الشيخ أحمد رضا خان وكأنما دمعت إحدى عينيه فغرست الرثاء الأول فى البساتين على حين أنه دمعت عينه الأخرى فاجتمعتا على إملائه رثاءه الثانى، وقد سبق أن درسنا منظومة صاغها شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فى تأبين وتاريخ عام رحيل مولانا محمد عبيد الله، والآن نحن بصدد قصيدة أخرى فى نفس الغرض، وهذه القصيدة النابعة من أعماق قلب شاعرنا المتفجع – بوفاة مولانا محمد عبيد الله – تحمل فيضانا من شعور قوى بالحزن وعاطفة مشبوبة بالألم مما يدل على مدى وقع هذه الصدمة فى نفس شاعرنا، فهذه القصيدة أكثر لوعة وحرارة من القصيدة آنفة الذكر، فالحزن يجرى فى أعطاف أبياته، والذى ينشئ فينا كثيرا من الانفعال النفسى المؤلم. ونرى هذه الحرارة والحرقة فى مستهل الرثاء حيث يقول شاعرنا أحزنتنى هذه السنة بما ابتدعته لنا، وجاءت به بغتة، ولم تكن هذه المصيبة قبل ذلك إنما أتتنى هذا العام، وهذا ما أتت به أعتقد أنه وفاة مولانا محمد عبيد الله، ففى هذا يقول[١]:

أترحت[٢] سنة غراء ضرتها[٣] أم فرحت بدعة ضراء غرتها[٤]

أم قامت الساعة الدهماء أم نفخت قبل القيامة فى الناقور نفختها

ماذا اعترى بنبئ ماذا ترى طرءا[٥] تبدلت بالحزن والأسى فرحتها

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٦٤-١٦٥.
(٢) ترحت: أحزنت، تعليق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان.
(٣) ضرة: وهى البدعة، تعليق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان.
(٤) غره: غفلة، تعليق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان.
(٥) الألف للإشباع، تعليق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان.
انظر : بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٦٧.

Marfat.com

عهدى بها فى ديـــار الـــهند غانيـــة تجلى وتجلى فتجلو العين جلوتـها ٨

لم أقرأ كلمة "ناقور" فى بيت من الشعر قط، فقد قرأتها فى القرآن الكريم ثـــم بعد ذلك فى شعر الشيخ أحمد رضا خان، فإنه يقتبس كثيرا مـــن معـــانى القـــرآن وألفاظه. فنراه يأخذ المعنى برمته عندما يقول:

أم قامت الساعة الدهماء أم نفخـــت قبل القيامة فى الناقور نفختـها

فإنه الاقتباس من الآية القرآنية(١): **فإذا نفخ فى الناقور فذلك يومئذ يـــوم عسير** وهو يفضل فى مدحه ورثائه وصياغته بالإتيان من معنى القرآن، ولقد أتى بالجناس غير التام فى الشطرة الثانية من البيت الرابع فيما بين "تجلى"، و "تجلـــى"، و"تجلو"، و "جلوتها" وهذا مما يدل على ثروته اللغوية بوضوح.

إن شاعرنا بعد بيان ظروفه الصعبة التى ألمت به انتقل إلى نظم تاريخ هـــذه الفجيعة التى يراها ألمت بالمسلمين بالهند بصفة عامة وبشاعرنا بصفة خاصـــة - حيث تتجلى من الأبيات المذكورة - مشاعر جياشة وكما سبق أن ذكرنا أن مولانـــا محمد عبيد الله توفى فى العام الخامس عشر من القرن الرابع عشر للهجرة يعنـــى قبل وفاة شاعرنا بخمس وعشرين سنة، ففى هذا يقول شاعرنا(٢):

لعاشر من جمادى خمسة(٣) جمـــدت عين لفيض وعين فاض عبرتـها

يوم الخميس خميس الدين قد خمســا(٤) سيقت لسان سياق الحين ســاقتها

يوم الكواكب(٥) والأرجـــاء(٦) قاتمـــة كأنما أغشت بـــالليل ضحوتـــها

---

(١) سورة المدثر ٧٤/٨، ٩.

(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٦٥.

(٣) يقال لجمادى الأولى لأنها الخامسة من شهور السنة. تعليق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان.

(٤) أى أخذ خمسة. تعليق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان.

(٥) يوم الكواكب: يوم مظلم تبدو به النجوم. تعليق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان.

(٦) الأرجاء: الآفاق. تعليق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان. المرجع السابق، ص ١٦٧.

Marfat.com

نلاحظ الجناس التام بين كلمة "عين" و "عين" كما نجده واضحا بين كلمات "سيقت" و"سياق" و"ساقتها" وهذا هو أسلوبه، وأكاد أشعر أن شاعرنا اهتم بهذا النوع من الصياغة ليقول - متحدثا بنعمة الله تعالى وشاكرا له - أنا على تمكن بديع من اللغة العربية، وهذا من باب تقليد شعراء العربية، وفى الوقت نفسه من باب استعراض الثروة اللغوية التى استطاع أن يتحصل عليها.

وبعد هذا ينتقل شاعرنا إلى بيان منزلة المرثى ويصرح مبالغا - على ما اعتاده الشعراء - بقوله ليت موت مولانا محمد عبيد الله استبدل بجمع غفير اخر، ثم قال: إنه كان من الهين علينا أن نفدى هذا العالم بسبعين أو أكثر، ولم يأت شاعرنا كلمة "سبعين" صدفة بل أتى بها على وعى حيث إن لفظ سبعين يراد به الكثرة كما جاء فى القرآن الكريم(١): **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** ؛ وكان شاعرنا يستطيع أن يأتى بكلمة ستين أو ثمانين أو تسعين فإن لهذه الكلمات نفس الوزن العروضى، ولكنه نظرا لإلمامه بعلوم القرآن اختار كلمة تدل على الكثرة، ولم يقصد من هذه الكلمة العدد المعين، وفى هذا يقول شاعرنا(٢):

ليت المنية(٣) إذ جاءت لركن الهدى ... استبدلت منه جمعا فيه منيتها

قد كان هينا علينا أن نفادى عا ... لما بسبعين أو ما فيه أوبتها(٤)

---

(١) سورة التوبة ٩/٨٠.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص ١٦٥.
(٣) المنية: الموت، تعليق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان.
(٤) أوبة: رجوع، تعليق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان. المرجع السابق، ص ١٦٧.

Marfat.com

وبعد هذا يعود شاعرنا من وقع هذه الفجيعة إلى بيان الحقيقة التى لا مفر منها وهى: **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** (١) ثم يوضح إنه لو وجد إنسان يستحق أن يفدى لكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أولى لهذا الفداء، فكل من الإنس والجن والملائكة فداء له، وهذا هو الحب الأسمى، الحب الذى أكاد أشعره من معايشتى لشعر الشيخ أحمد رضا خان، وقراءاتى لبعض فكره، فهو يتأثر كثيرا لمفارقة أحبابه لا سيما والحب بينهم هو طريق التقى والهدى والإقبال على العلوم الإسلامية، وفى هذا يقول شاعرنا(٢):

لكنها أمر حتم لا مرد له ... ولا تعقب(٣) إذ حانت قضيتها

الإنس والجن والأملاك كلهم ... كانوا فدا المصطفى(٤) لو ساغ فديتها

فالصبر مفزعنا والله مرجعنا ... ونعم عدلا العلى نعمت علاوتها(٥)

أرى أن هذه الأبيات الثلاثة من أحلى الأبيات التى قالها الشيخ أحمد رضا خان فى الرثاء، البيت الأول بينه وبين ربه - جل جلاله - والبيت الثانى بينه وبين حبيبنا - صلى الله عليه وسلم - والبيت الثالث يمثل لنا إيمان شاعرنا وتسليمه لقضاء الله تعالى وقدره، ولو لم يقل فى الرثاء سوى هذه الأبيات الثلاثة لكفاه ذلك القول، فالبيت الأول يبين لنا مدى سيطرة الإيمان والتسليم لقضاء الله تعالى وقدره،

---

(١) سورة الأعراف ٧/٣٤.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص ١٦٥.
(٣) تعقب: توخر. تعليق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان.
(٤) صلى الله عليه وسلم، تعليق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان. المرجع السابق، ص ١٦٧.
(٥) اقتباس من حديث أميرا المؤمنين الفاروق الأعظم - رضى الله عنه - نعم العدلان ونعمت العلاوة" وقال تعالى فى قوله **أولئك عليهم صلواة من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** [سورة البقرة ٢/١٥٧] تعليق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان. بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٦٥.

Marfat.com

إيمان وتسليم يدفعانه إلى الاطمئنان وتخفيف البلوى على قلبه الملتاع والحد من ثورته وتفجعه، إنه إيمان وتسليم من قلب شاعرنا، لذلك وجدنا هذا البيت مفعما بالحلاوة، مليئا بالاطمئنان إلى قضاء الله تعالى.

أما البيت الثانى فيتمثل فيه حب شاعرنا للحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وكيف أنه مهما رثا، ومهما تفجع، ومهما أصيب بفقد الأحبة، لا يبلغ أحد منه مبلغ فقداننا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونزول مصيبة الوفاة، لكنه الإيمان الذى يهدهد قلوب المسلمين جميعا، ومن بينها قلب شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان.

أما البيت الثالث فنلحظ جمالا عقليا وعاطفيا فى صياغة شطرته الأولى[1] وإنى لأرى أن هذه الشطرة جزء من عنوان شاعرنا، فما أحسن أن نعرف شاعرنا بقولنا أحمد رضا خان بين حبه للنبى - عليه الصلاة والسلام - وقوله الصبر، وأى قول أحلى من أن يعبر عن أن فزعه إنما هى إلى الصبر وليس إلى غير ذلك، وكيف يفزع إلى غير الصبر والله هو مرجعه؟ قضيتان مسلم بصحتهما، وصياغة شعرية يملأ الديوان عبيرها.

نجد شاعرنا فى هذه الأبيات الثلاثة أنه يبين إيمانه القوى وتسليمه لقضاء الله وقدره، وذلك فى البيت الأول، أما البيت الثانى فجاء فيه من عدم استطاعته أو

---

(١) أما الشطرة الثانية فهى مقتبسة من قول سيدنا عمر - رضى الله عنه -. واية قرانية، وفى ضوء قول سيدنا عمر - رضى الله عنه - ومن منظور الآية القرانية ارى أن العدل: نصف الحمل يكون على أحد جنبى البعير، والعلاوة: ما يوضع على البعير بعد تمام حمله من سقاء وغيره.
انظر المعجم الوسيط لصفوة من العلماء، ج ١، ص ٦٠٩، ٦٤٨. ومن هنا يرى شاعرنا أن "صلواة من ربهم" نصف الحمل، و"رحمة" النصف الآخر من الحمل، و"أولئك هم المهتدون" يساوى العلاوة، فكأنه يتعشم فى وجه الله - سبحانه وتعالى - أن يكون المرثى محظوظا بالحملين والعلاوة.

Marfat.com

استضاءة أى مخلوق أن يقدم فداء لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجنبه ما كتبه الله على خلقه من أمر الوفاة، وفى البيت الثالث يبين مفزعه وملجأه، ألم أذكر لك أيها القارئ الكريم ان هذه الأبيات الثلاثة من أجلى ما جرى به قلم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان، ومن ألطف ما قاله فى الرثاء ولو لم يقل سواها لكفاه، وذلك - كما سبق أن أسلفت -.

يقبل شاعرنا بعد هذا على تعديد فضائل المرثى مخاطبا إياه حيث نجده يقول: يا عبيد الله إنك تركت ثغرة فى الإسلام وسوف لا تنسد هذه الثغرة إلى يوم القيامة، فقد كنت واقفا فى وجه الطبيعيين الدهريين، كما قمت بنشر السنة المطهرة فى أرجاء الهند، فهدأت الفتنة الصماء، يقول شاعرنا فى هذا الصدد مقتبسا من حديث نبوى شريف[١]:

أما علمت عبيد الله أن ثلمت[٢]	وفاتك الشرع لا تنسد ثلمتها
قد كنت فى المصر[٣] نصر الدين فانتشرت	بك النياشر[٤] ثمة ثم ندوتها
غدت بك السنة الزهراء ناعمة	حظ وفوز وفيض منك تحفتها

(١) بساتين الغفران. للشيخ احمد رضا خان ، ص ١٦٥.

(٢) اشارة الى حديث: "ما قبض الله تعالى عالما من هذه الأمة الا كان ثغرة فى الإسلام لا تنسد ثلمتها الى يوم القيامة" رواه السنجرى فى الإبانة عن اصول الديانة. والموهبى فى كتاب العلم عن ابن عمر رضى الله عنهما - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - تعليق شاعرنا الشيخ احمد رضا خان. انظر: بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان . ص ١٦٥.
وانظر: الجامع الصغير فى احاديث البشير النذير. للامام جلال الدين السيوطى (ط: دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١٠هـ). ج ٢. ص ٣٨٦.

(٣) لم يقصد العلم انما قصد معناها لأن الرجل لم يسافر إلى مصر.

(٤) استخدم شاعرنا كلمة النياشر جمع النيشرى يحدثنا عنها مولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى قائلا: النيشرى (Naituri) طائفة فى شبه القارة الهندية يعتمدون أى اعتماد على النيشر (Naitur) (أى الطبيعة) ينكرون ويؤولون كثيرا من ظواهر القران والحديث بسبب أنها متعالية عن عقولهم. وكان رئيسهم السير سيد أحمد خان موسس كلية على كره. ومصنف التفسير الأحمدى. ينكرون وجود الجن والملائكة والجنة والنار ويؤولونها بتأويلات غير مرضية.
الدعوة الى الفكر لمولانا محمد منشا تابش القصورى / ترجمه الى العربية مولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى (ط: منظمة الدعوة الإسلامية بلاهور). ص ١٢٧.

Marfat.com

عـــادت بـــك الفتنـــة الصمـــــاء نائمـــــة غنظ و غيظ وفيظ من حصنـــها

ويقدم شاعرنا – بعد بيان فضائل المرثى – على الدعاء متضرعا إلى خالق الأرض والسماء كما أقدم على استخراج تاريخ وفاته أيضا، فيقول مخاطبا ممدوحه(١):

"جزاك ربك فى الفردوس أجزيـة تتمى(٢) وتتمى(٣) ولا تمنى(٤) جزالتـــها

ولن يضيق رسول الله جاهك بـــه فأنت مـــن جـــودك الدنيـــا وضرتـــها

قال الرضا فى التـــاريخ مبتـــهلا "أتاك من ربـــك الحســـنى وبهجتـــها"

ونلحظ الجناس التام بين كلمات "تتمى" و "تتمى" و "لا تمنـــــى" وهـــذا نســـق شاعرنا المعتاد مقلدا بعض من سبقه من شعراء العربية، كأنه يثبت رسوخ قدمه فى معرفة اللغة العربية، وفى نهاية هذه القصيدة أشار شاعرنا إلى بنية قصيدته متحدثا بنعمة الله التى منحه تلك الموهبة الشعرية فيقول فى هذا الصدد(٥):

بنيت نظمى على هاء الضمـــير كمـــا رأى جمـــاهيرهم والتـــــاء حليتـــــها

وفيـــه متســـع كالبـــاء تلـــزم فـــــى طالب وصاحب ومبنى القول لفظتـــها

هذا وما للرضا فى الشعر شرع رضـــا شرعى الشريعة شعراها وشـــرعتها(٦)

ولا أحسب شاعرنا هنا إلا أنه رجل يعتد بموهبته التى منحه الله – ســـبحانه وتعالى – إياه، وليس هذا بغريب على الشعراء بل كان ذلك دوما طبعـــا متـــأصلا فيهم جميعا إن لم يكن معظمهم، والشاعر واحد من أهل الفن، ومادام أهل الفن على

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٦٦.
(٢) تتمى: تزداد. تعليق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان. المرجع السابق، ص ١٧٠.
(٣) تتمى: ترفع، تعليق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان. المرجع السابق، ص ١٧٠.
(٤) لا تمنى: لا تقدر ، تعليق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان. المرجع السابق، ص ١٧٠.
(٥) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٦٦.
(٦) شرع: اشتغال، شرعى: حسبى، شعرى: علم، شرعة: طريق. المرجع السابق، ص ١٧٠.

Marfat.com

درجة من الإصالة فيه فهم يحكمون على أنفسهم، ولو بالغوا قبل أن يحكم عليهم قارؤهم وناظرو فنهم، ولا أراه مبالغا مثل ذلك الذى قال:

وإنى وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تأت به الأوائل

ولا ضير أن أسمع رأى الشاعر فى شعره كما أسمع رأى الناقد فى نفس الشعر.

فى نهاية المرثية نجد شاعرنا يقدم على اختتامها من أجمل ما نظم بالعربية، ففى هذا البيت نجده يشير إلى أنه بنى قصيدته على هاء الضمير، وهذه القصيدة نابعة من الموهبة الشعرية الفريدة التى حباه الله تعالى بها، وفى هذا البيت يتجلى لنا فلسفته فى نظم الشعر باللغات الثلاث، فهو قد يضع كل ما نظمه فى ضوء الشريعة الغراء علما وطريقا، ومما هو معلوم أن شاعرنا كان قد جمع بين كونه رجل دين وكونه أديبا من الطراز الأول، وقد اشتهر بكونه إماما لأهل السنة والجماعة، وإلى هذا الجانب أشار النقاد فى الأدب العربى والفارسى والأردى عن مدى ما كان يتمتع به شاعرنا من موهبة أدبية فى اللغات الثلاث، ولم يكن الدافع من وراء إقدامه على نظم الشعر إلا لكى يجلى ما يزينه من عقيدة صحيحة، وما له من رسالة سامية يسعى إلى نشرها، بين المجتمع المسلم فى شبه القارة الهندية إضافة إلى ما ذكرناه من موضوعات مختلفة، إن القصيدة التى قمنا بدراستها دراسة - وأحسبها وأرجوها علمية - هى خير دليل على مدى ما كان يتمتع به شاعرنا من موهبة شعرية كبيرة وقدرة فائقة على الإفصاح عن مكنون نفسه، ونلحظ فى هذه القصيدة وأختها التى أسلفت الكلام عنها (الأولى فى رثاء مولانا محمد عبيد الله) أن هذا المرثى حظى بقدر كبير من الأبيات فى رثائه وقد بلغ عددها تسعة وثلاثين بيتا، وهذا ما لا نجده لغيره فى الديوان العربى للشيخ أحمد رضا خان باستثناء مولانا محمد إسماعيل القادرى الذى بلغت الأشعار فى رثائه إثنين وخمسين بيتا.

Marfat.com

إن مولانا محمد عبيد الله لم يحظ بالدراسة من قبل المؤرخين إلا أن العلاقات كانت جيدة فيما بينه وبين شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان، وهذا يبين لنا أن شاعرنا كان يهتم بكل الناس كبيرهم وصغيرهم على حد سواء، ولم يكن ليفرق بينهم لأى سبب.

وإن ما أقدم عليه شاعرنا من نظمه لهاتين المرثيتين يعد كذلك من الأهمية بمكان حيث إن من يريد أن يرجع إلى سيرة مولانا محمد عبيد الله فسوف يجد فيهما قدرا كافيا عن حياته.

Marfat.com

المطلب الرابع

فى تأبين وتاريخ عام رحيل
مولانا محمد عمر الحنبلى الحيدر آبادى(١)

يعد مولانا محمد عمر الحنبلى الحيدر ابادى من معاصرى الشيخ أحمد رضا خلن، وقد جمعت بينه وبين شاعرنا علاقات التآلف والحب فى الله تعالى، كما كان هذا التآلف يرجع إلى أسباب أخرى أيضا لعل أهمها الفيض العلمى، والتقوى، والورع المتبادل بينهما، وقبل هذا كان شاعرنا محبا لمعاصريه - من أهل العلم والفضل - وعلى الأخص من كان يمتد نسبه إلى آل بيت الرسول - رضوان الله عليهم أجمعين - وكان منهم مولانا محمد عمر الحنبلى، وعندما قام مولانا محمد عمر

---

(١) هو السيد محمد عمر الحسينى نسبا والحنبلى مذهبا، والقادرى طريقة، والحيدر ابادى موطنا. ابن مولانا السيد شاه محمد بادشاه الحسينى (المتوفى عام ١٢٨٦هـ) ابن السيد حيدر على الحسينى (المتوفى سنة ١٢٥٨هـ) نزح جده الأعلى مولانا السيد محى الدين الحسينى من بغداد قاصدا ارض الهند. وذلك فى أواخر عهد السلطان العادل المنك اورنك زيب. واستقر بامارة حيدر اباد حيث توفى فى عام ١١٦١هـ ودفن بمدينة اورنك اباد. اخذ والده الطريقة القادرية من جده، وكان والده بارعا فى العلوم الإسلامية والعربية والفارسية. له اسلوبه المؤثر فى خطبه. وله عديد من المؤلفات العلمية كما كان له ديوان شعر أيضا.

تشرف مولانا السيد محمد عمر بزيارة الحرمين الشريفين مع أمه وهو - عندئذ - ابن ربع سنوات. وعند العودة منها التحق بالمدرسة المحبوبية بحيدر اباد حيث أخذ دروسه الابتدائية على يد مولانا امير احمد ثم أكمل لديه دراسة الصرف والنحو والأدب والمنطق والفقه والحديث. واخذ الطريقة من أخيه الاكبر مولانا السيد محمد صديق الحسينى، وكان مشغوفا بالوعظ والتدريس وتعليم تجويد القران، كما كان موهوبا فى نظم الشعر أيضا، وتشرف بزيارة الحرمين الشريفين للمرة الثانية فى عام ١٣١٨هـ، وفى عام ١٣٢١هـ سافر إلى بغداد لزيارة قبر الشيخ عبد القادر الجيلانى. ولبى نداء ربه بعد حياة حافلة بالخدمات الدينية فى عام ١٣٣٠هـ الموافق ١٩١١م. انظر تذكرة علماء أهل سنت، لمولانا محمود أحمد القادرى، ص ١٨٦-١٨٧.

Marfat.com

الحنبلى بزيارة مدينة بريلى فى العام السابع والعشرين من القرن الرابع عشر الهجرى. وذلك للمشاركة فى الحفل الذى عقد احتفالا بتخريج دفعة جديدة من الطلاب. وعندما التقى فيها مع شاعرنا تقدم شاعرنا وعانقه وصافحه ثم أقدم بوضع يد مولانا محمد عمر الحنبلى على قلبه وأنشد شطرة فارسية ما معناه(١): "أيها الورد إنى معجب بك لأنك تحمل رائحة حبيبى (صلىْ الله عليه وسلم)" وأعاد إنشاد هذه الشطرة، وعندما استمع الحضور لهذه الشطرة – التى أثارت هيام الشيخ أحمد رضا خان – أصبحوا فى هيام عقلى بسبب روعة وبلاغة وعذوبة هذه الشطرة الفارسية والموقف الذى أنشدت فيه، هذا وقد توفى مولانا محمد عمر الحنبلى قبل وفاة شاعرنا بعشر سنوات، فرثاه شاعرنا بقصيدة قوامها أحد عشر بيتا من بحر البسيط، واستهل شاعرنا رثاء هذا الشيخ بالدعاء له قائلا(٢):

"ألا سقى الله قبرا صوب غادية وجاد بالجود جودا وهو همار

قبرا ثوى بثواب الله فيه عمر معمور نور الهدى للدين عمار"

فى الشطرة الأولى استخدم شاعرنا "سقى" و "جاد" بالأسلوب الخبرى مع أنه يريد الإنشاء لأن الخبر يفيد تأكيد الحدوث وهذا إلحاح فى الطلب من الله وتأكيد لرغبة حدوث المخبر عنه – سبحانه وتعالى – وقد قال الله – تبارك وتعالى – **أتى أمر الله فلا تستعجلوه** (٣) جاء بالفعل الماضى وهو يريد الإخبار عما سوف يأتى بتمام التأكيد، وفى البيت الثانى يشتم منه الدعاء لله – عز وجل – أن ينزل مطرا ملائما لروضة مولانا محمد عمر الحنبلى، ثم اقدم على تحديد نوعية هذا المطر بقوله: "صوب غادية" كما دعا له بان يمن الله على قبره بجوده وكرمه

---

(١) ونص الشطرة الفارسية كمايلى: "أى كل زتوخرسندم كه تو بوئ كس دارى".

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص ١٨١.

(٣) سورة النحل ١/١٦.

Marfat.com

الهائل. ثم أقبل على وصف المرثى الذى قام بنشر نور الهدى وتعاليم الدين، ثم أخذ ينعته بأنه صار سيدا سندا ببركة الشيخ عبد القادر الجيلانى الملقب "بالغوث الأعظم" وبالطبع فى هذا البيت رثاء له ومدح للشيخ عبد القادر الجيلانى، حيث إن المرثى كان من المغترفين من بحر هذا "الغوث الأعظم" الذى غيثه مدرار ومتسم بالرأفة، ومتصف باللطف والخير، كما إتسم بالرائحة فأصبح معطارا، ولعل الله قد فاض عليه بالخيرات، وقد أخبره الله تعالى بالكثير من الأسرار، وكما وصفه بالبر وقد أبر له الأبرار ففى هذا يقول شاعرنا(١):

عبد بغوث البرايا سيد سند　　بالغوث مغترف بالغيث مدرار

باللطف معتصم بالرأف مبتسم　　بالعرف متسم بالغرف معطار

سر أسر له فى السر أسرار　　بر أبر له فى البر أبرار

نلاحظ الطباق بالأيجاب فى كلمتى "عبد" و "سيد" كما نجد الجناس غير التام بين كلمتى "السيد" و "السند" و "الغوث" و "الغيث" و "العرف" و "العرف" وبين كلمات تالية "السر، أسر، أسرار" كما نجد هذا الجناس بين "بر، أبر، البر، أبرار" وهنا يستعرض شاعرنا ثروته اللغوية، وكأنه يحاول أن يقول: إنه يعلم اللغة العربية علما لا بأس به.

ونرى هناك شيئا من البديع اسمه التقسيم وذلك عندما قال شاعرنا "باللطف معتصم" "بالرأف مبتسم" "بالعرف متسم" "بالعرف معطار" وكان شاعرنا عند إتيانه

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٨١.

Marfat.com

بهذه المحسنات متبعا أسلوب الشعراء الأقدمين كما جاء به أبو تمام فى بائيته حين قال(١):

تدبير معتصم، بالله منتقم لله مرتقب فى الله مرتغب

وللشوقى فى همزيته بيت فيه أيضا تقسيم وكل منهما عاش فى عصر الآخر قال أمير الشعراء أحمد شوقى وقد جاء بالتقسيم(٢):

الدين يسر والحلافة بيعة والأمر شورى والحقوق قضاء

وبعد هذا يقدم شاعرنا على بيان المزيد من الأوصاف والفضائل للمرثى فينعته بالرحمة على المسلمين والغلظة على غيرهم أسوة بما قيل فى صحابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - **محمد رسول الله والذين معه أشداآء على الكفار رحماء بينهم** (٣) كما ذكر علمه وحلمه ومدى تقواه وورعه، وأشار إلى ذلك قائلا(٤):

"ربح لآل هدى حرب لأهل ردى بحر لسيل ندى حبر بل أحبار

علم وحلم وسلم فى تقى ونقى سيادة سود وفضل وإيثار"

نلاحظ طباق الإيجاب فى الجمع بين "الهدى" و "الردى" كما نرى الجناس غير التام بين "الهدى والردى" وبين "علم وحلم وسلم" وبين "تقى ونقى"، وبعد هذا يشير شاعرنا إلى أن المرثى انخرط فى سلك أبناء الطريقة القادرية فزاده الانتساب إلى

---

(١) ديوان أبى تمام، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد (ط: محمد على صبيح بالقاهرة)، ص ٢٢.
(٢) شوقيات. (ط: دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٥ه) ج ١ ص ٣٦.
(٣) سورة الفتح ٢٩/٤٨.
(٤) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ،ص ١٨١.

Marfat.com

الطريقة القادرية قدرا ومرتبة، ومن هنا تتضح ميول شاعرنا الصوفى، وهذا إن دل فلا يدل إلا على التقوى الذى بلغ به التصوف، وحبه أهل الطريق، شأنه فى ذلك شأن الصوفية عامة، ويقول شاعرنا إن حب مولانا محمد عمر الحنبلى تمكن من قلبه كحب الحبيب فى قلب المحب، والأزهار فى جنة الخلد تشبيهان، أحدهما من دنيانا وهو لطيف والآخر من آخرتنا وفيه من الظرف ما فيه، وإلى الآخرة ولمثلها فليعمل العاملون. وفى هذا يقول شاعرنا[1]:

بحمد الله تمت قادريته ... فزاده القدر والمقدار أقدار

وعاد حبه حب المصطفى فى خلده ... كجنة الخلد أزهار وأنوار

فى هذا البيت يبين شاعرنا انتساب مرثيه إلى الطريقة القادرية، ومثل ذلك عند شاعرنا رفعة للمرثى وتقدير له حيث إن الشيخ عبد القادر الجيلانى إمام الطريقة يعتز بها شاعرنا وبصاحبها وبكل من يأخذ عنها وينتسب إليها، وهو يقدم حمد الله وفى ذلك ما يفيد إيمان شاعرنا بأنه رجل يقدم الحمد لله - عز وجل - على كل شئ ويعتز بكل من ينتسب إلى الطريقة القادرية، لدرجة لا تكاد يماثلها أمر إلا ذلك الذى يتفوق عليها ويسبقها وبالطبع هو حب الرسول - صلى الله عليه وسلم - كل ذلك بعد ذكر الله - تبارك وتعالى - هذا بعض ما لاحظناه عند شاعرنا دون أن يقع أدنى لبس فى عقيدته بحسب رؤيتنا له، وتذوقنا قدر الاستطاعة فى شعره.

إن شاعرنا كان قد بدأ الرثاء بالدعاء للمرثى - كما ذكرنا - وفى نهاية المطاف أكمل منظومته هذه بالدعاء أيضا، وقد أقدم على إدراج لقبه الشعرى فى الشطرة الأولى من البيت الأخير ثم قام باستخراج عام وفاة مولانا محمد عمر

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص ١٨١.

Marfat.com

الحنبلى - بحساب الجمل - فى الشطرة الثانية من البيت الأخير، ومع هذا نرى أن أسلوبه سلس جزل عذب بعيد من التكلف والتصنع، كما أنه مشتمل على كل الخواص التى لاحظناها فى أسلوبه بصفة عامة مستخدما المحسنات البديعية من جناس غالبا وتورية وغير ذلك من عرض لكثير من المشتقات متبعا منهجه المعتاد فيقول(١):

"حماه عن كل ضير من يقال لـه حامى الحقيقة نفاع وضرار
قال الرضا أسفا فى عام فرقتـه محمد عمر الفاروق شطار"

هكذا قام شاعرنا برثاء مولانا محمد عمر الحنبلى القادرى وفاء لحقه عليه فأجاد وصف الفقيد الراحل وتعديد خلاله ومآثره، وذلك فى عبارة رصينة جزلة تدل على تمكنه من ناصية اللغة العربية، كما يدل على ما ورد فى هذه المنظومة من تقدير شاعرنا لمعاصريه وحبه لهم، واعترافه بفضلهم على المسلمين فى شبه القارة الهندية وأسفه على فراقهم، وهل يكون الرثاء إلا دعاء فى أول القصيدة وآخرها وبينهما بيان للمكانة وإظهار لمحاسنه وموقفه ودفاعه عن الدين وغير ذلك مما يحسب للمرثى، لا يكون رثاء العلماء أو الأدباء إلا هكذا.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨١.

Marfat.com

Marfat.com

المبحث الثانى

مقطوعات شاعرنا ورباعيتاه وبيتاه فى الرثاء والتاريخ

ويشتمل هذا المبحث على أحد عشر مطلبا:

المطلب الأول: فى رثاء وتاريخ عام رحيل ابنة الشيخ الشريف آل رسول المارهروى.

المطلب الثانى: فى رثاء وتاريخ عام رحيل الشيخ آل رسول المارهروى.

المطلب الثالث: فى رثاء وتاريخ عام رحيل مولانا الحكيم حبيب على.

المطلب الرابع: فى رثاء وتاريخ عام رحيل السيدة سكينة زوجة مولانا عبد السلام الجبلفورى.

المطلب الخامس: فى تاريخ عام رحيل مولانا شفيع أحمد خان.

المطلب السادس: فى تاريخ عام رحيل الشريف ظهور حيدرمياں.

المطلب السابع: فى تاريخ عام رحيل مولانا القاضى عبد الوحيد.

المطلب الثامن: فى تاريخ عام رحيل مولانا الشريف مجتبى حسن.

المطلب التاسع: فى تاريخ عام رحيل مولانا محمد إسماعيل القادرى.

المطلب العاشر: فى رثاء وتاريخ عام رحيل مولانا محمد عبد الكريم الحيدر آبادى.

المطلب الحادى عشر: فى رثاء وتاريخ عام رحيل الحكيم محمود أحمد خان.

Marfat.com

Marfat.com

المطلب الأول

فى تاريخ عام رحيل
ابنة الشيخ الشريف آل رسول المارهروى

نظم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بيتا عربيا ضمن مقطوعة باللغة الأردية فى تاريخ عام رحيل ابنة شيخه ومرشده الشريف آل رسول المارهروى وذلك بحساب الجمل. وقد توفيت بمكة المكرمة فى العام العاشر من القرن الرابع عشر للهجرة النبوية - على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام - وهذا البيت يضم تاريخ رحيلها مرتين حيث إن كلا من الشطرتين يدل على تاريخ وفاتها - بحساب الجمل - إلى ربها، وفى هذا يقول شاعرنا(١):

فى الخلد تحنن إليها رضوان واسع عليها

١٣١٠هـ ١٣١٠هـ

في هذا البيت يتحدث شاعرنا عن مصير ابنة شيخه ومرشده، ويتمنى لها من الرحمة ما يتمنى، وإذا كان أفهمنا بأنها في الجنة قد رزقت بجنان الله - عز وجل عليها - فهذا بالنسبة لها ما كان شاعرنا يتمناه لها ويتوقع أن يرحمها الله - تعالى - لأنها ماتت وهى فى سبيل الله، و شاعرنا عندما قال: "تحنن إليها" كأنه قال: رزقها الله شيئا من حنانه - سبحانه وتعالى - وترفق بها، وعندما قال: "رضوان واسع

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان . ص ٢١٤.
وانظر: حدائق بخشش، للشيخ أحمد رضا خان / رتبه مولانا محبوب على خان، جـ ٣. ص

Marfat.com

عليها" فكأنه قال: رزقها الله تعالى رضوانا واسعا أحاط بها، وهذا ما كان شـــاعرنا يدعو الله – سبحانه وتعالى – به لابنة شيخه ومرشده، وفى الدعاء والتمنى للفقيـــدة لون من الصبر والتصبر لوالدها ومرشده ولشخصه نظرا لحبه لشخصه، وإن كنا لم نعرف لميلادها تاريخا ولم تفدنا في ذلك المراجع التى راجعنا إليها.

ومما هو جدير بالذكر أن شاعرنا كان يتمتع ببراعة هائلـــة فـــى اســـتخراج التاريخ حتى فى الأبيات، وكان يقوم باستخراج التاريخ باللغة العربيـــة فـــى أكـــثر الأحيان، حيث شاع بين شعراء الهند استخراج التاريخ باللغة العربية أو الفارسية أو الأردية.

Marfat.com

المطلب الثانى

فى رثاء وتاريخ عام رحيل
الشريف آل رسول المارهروى[١]

نظم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان أربعة أبيات من بحر الوافر فى رثـــاء شـــيخه ومرشده فى الطريقة القادرية الشريف آل رسول المارهروى - بحساب الجمـــل - الذى توفى إلى رحمة الله تعالى عام ستة وتسعين بعد المائتين والألـــف للـــهجرة الموافق للعام الثامن والسبعين من القرن التاسع عشر الميلادى، وكان شاعرنا فـــى ذلك الوقت فى الرابع والعشرين من عمره، وقد قام بذكر كتابـــة جمـــل بحســـاب التاريخ الذى توفى فيه مرثيه، وذلك فى كل شطرة من البيت الثـــانى إلـــى البيـــت الرابع، فيقول شاعرنا[٢]:

خذ التاريخ فى التوشيح نظمـا ... يلوح كأنه البدر المنـــير
وخذ من كل قطر مثل ســطر ... تكن ستا وليس له نظـير
ولـــى طـــاهر بـــر إمـــــام ... وصول طيب بدر أمـــير
وحيـــد طـــائع بحـــر إمـــام ... ودود طائب بدل أجـــير

---

(١) سبق أن ذكرنا ترجمته ضمن شيوخ شاعرنا فى الفصل الثالث من الباب الأول.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٩٤.

Marfat.com

ونرى شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان أنه إلى جانب قيامه باستخراج عام رحيل أستاذه ومرشده فى النظم أقدم كذلك على استخراج هذا التاريخ فى جملتين عربيتين مما يدل على براعته فى اللغة العربية وتمكنه من استخراج التاريخ فيها، فنجده يقول فى هذا الشأن نثرا(١):

تواريخ الأولياء ١٢٩٦ للهجرة

رضى الله عنه والمحبوب ١٢٩٦ للهجرة

ونلاحظ موهبة شاعرنا هذه فى قمتها وذلك عندما قام باستخراج تاريخ عام رحيل مرشده فى مربع يشتمل على ستة عشر مربعا صغيرا، وكل مربع يحمل مادة تاريخية(٢) وعندما نقوم بجمع هذه الأعداد أفقيا أو رأسيا نجد تاريخ عام رحيل الشريف أى رسول المارهروى. وفيما يلى هذا المربع(٣):

١٢٩٦هـ	١٢٩٦هـ	١٢٩٦هـ	١٢٩٦هـ
طارم محلّ ٣٢٨	واصل بربّ ٣٣١	أصفىٰ عمل ٣٢١	أجود قرب ٣١٦
١٢٩٦هـ	١٢٩٦هـ	١٢٩٦هـ	١٢٩٦هـ
بحر سمىّ ٣٢٠	أشبه بجد ٣١٧	آل رسول ٣٢٧	أنقىٰ صفا ٣٣٢
١٢٩٦هـ	١٢٩٦هـ	١٢٩٦هـ	١٢٩٦هـ
فرد أجلّ ٣١٨	أصفى السّنا ٣٢٣	آل روح دين ٣٢٩	جان عرب ٣٢٦
١٢٩٦هـ	١٢٩٦هـ	١٢٩٦هـ	١٢٩٦هـ
كنف صفىّ ٣٣٠	شاه هدىٰ ٣٢٥	نور نجىّ ٣١٩	أفق العلىٰ ٣٢٢
١٢٩٦هـ	١٢٩٦هـ	١٢٩٦هـ	١٢٩٦هـ

(١) المرجع السابق. ص ٢٣٩.
وانظر: حدائق بخشش. للشيخ أحمد رضا خان، جـ ٣. ص ٩٧.
(٢) يطلق هذا الاسم على كلمة أو جملة يستخرج منها أدباء الهند التاريخ المطلوب.
(٣) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان. ص ٢٤١.

Marfat.com

وعن هذا المربع يقول مرتب بساتين الغفران ومحققه الأستاذ حازم محمد[١]: هذا المربع من مبتكرات الشيخ أحمد رضا خان نظمه ليخرج منه ستة عشر تاريخا - بحساب الجمل - مسجلا تاريخ رحيل الشيخ الشريف آل رسول المارهروى - شيخه فى الطريقة وأستاذه فى الحديث - وقد ذكر هذا المربع تحت عنوان: "هذا المربع يقع فى ستة عشر تاريخا وقد علق عليه الدكتور غلام يحيى أنجم قائلا[٢]: هذا المربع الذى يعد من مبتكرات الشيخ أحمد رضا خان لا نجد له نظيرا [فى الأدب الهندى] من قبل وإلى اليوم".

هذه براعة شاعرنا التى جاءت فى اللغتين وكنت أرى أن يستخرج التواريخ بالعربية وبحسب الجمل كما يشاء، ولكنى أرى الشيخ أحمد رضا خان أنه استعان ببعض الكلمات الأردية، من الممكن أن يكون قد أتى بها ليقول: أنا أعرف الأردية كما أعرف العربية، ومعرفتى بالعربية تحتاج إلى دليل لذلك الكلام كله بالعربية فلم يستعن بالأردية إلا فى القليل وذلك فى مربعين من ستة عشر مربعا، كنت أرى أن شاعرنا طالما عرض للعربية كان لا داعى إلى أن يدخل إليها الأردية، لأن العربية فيها الغنى مما يتيح له الفرصة، ولكنه هنا إلى العربية أقرب لأن ما عبر عنه بالأردية أقل بالنسبة لما عبر عنه بالعربية، وما أحسنه لو جعل العبارة كلها عربية وهو على ذلك أقدر وبالعربية أمكن، على أننى من الممكن أن أعتبر استعانته بالأردية على سبيل المزج بين اللغتين والجمع بين العربية والأردية فى إطار فنى واحد، ليس من عدم تمكنه من أى اللغتين، لا أكثر ولا اقل.

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٤٢.

(٢) معارف رضا لصفوة من العلماء (ط: إدارة تحقيقات إمام أحمد رضا كراتشى سنة ١٤٠٨هـ). جـ ٧، ص ١٠٤، ١٠٥.

Marfat.com

وأرى أن المربع لا يضم أكثر من ذكر التاريخ لعام رحيل أستاذ شاعرنا وسرد بعض صفاته، وكنا نود ألا يتعب ذهنه فى ذكر هذا الكم الهائل من التاريخ، وهو بذلك سابق وليس بمسبوق - كما أشار إليه الدكتور غلام يحيى أنجم - ولذا أتيت بهذا المربع مما يدل على براعته فى اللغة العربية واحتوائه بحساب الجمل، وكان الأفضل أن يجعل جهده لرثاء أستاذه ومرشده رثاء أدبيا، لا سيما وتربطه به روابط وطيدة وعلاقات وشيجة على نحو ما ذكرت عن علاقة شاعرنا به فى الفصل الثانى من الباب الأول، وإن شاعرنا قام برثاء أستاذه ومرشده باللغة الأردية والفارسية أيضا نظرا لعلاقته الوثيقة الطيبة بالمرثى، وبالطبع لم أشأ أن أتحدث عن رثائه لشيخه هذا بغير العربية، فالمجال لا يتحمل.

Marfat.com

المطلب الثالث

فى رثاء وتاريخ عام رحيل
مولانا الحكيم حبيب على العلوى الكاكوروى(١)

نظم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان أربعة أبيات من بحر الطويل فى رثـــاء وتاريخ عام رحيل الحكيم حبيب على العلوى، وقد تحركت عاطفتـــه لنظـــم هـــذه الأبيات – كما أراه وكما يتجلى من البيت الثانى – بسبب أن المرثـــى كـــان مـــن المدافعين عن السنة النبوية الشريفة، كما كان مقاوما للبدع حيث إنـــه كـــان ملمـــا بالعلوم الدينية، وفى هذا يقول شاعرنا(٢):

محب حبيب الله يعلو فمن هنـــا حبيب على بـــالحبيب علـــى
حبيب على كـــان خـــادم ســـنة وهادم بدعـــات وذاك جلـــى
حبيـــب لبيـــب بالذكـــاء ذكـــى سمى منـــى بالســـناء بـــهى
يقول أسى فى عام رحلته الرضـا حبيب على فى الولاء رضـــى

١٣٣٠ هـ

---

(١) هو مولانا الحكيم حبيب على العلوى [حبا لسيدنا على – رضى الله عنه – لا تشيعا] بن مشـــتاق على. ولد فى الخامس من جمادى الآخرة سنة ١٢٦٤ للهجرة، تلقى تعليمه علـــى يـــد الشـــيوخ الأعلام. هم مولانا المفتى عنايت أحمد الكاكوروى، ومولانا على أكـــبر الكـــاكوروى، ومولانـــا المفتى لطف الله على كرهى، وقد تعلم الطب على يد والده، أكمل دراسته وهو ابن سبع عشـــرة سنة. وأخذ الطريقة والخلافة من مولانا حيدر على الكاكوروى، وكان يشتغل طبيبا ومحاميا فـــى "أتاوه"، توفى إلى رحمة الله تعالى فى الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة مـــن عـــام ١٣٣٠ للهجرة الموافق للعام ١٩١٢ للميلاد.
انظر: تذكرة علماء أهل سنت، لمولانا محمود أحمد القادرى، ص ٧٩ ، ٨٠.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢٠٥.

Marfat.com

فى مستهل هذه الأبيات نلاحظ الجناس التام بين كلمة "على" و "علـــى" كمـا نلاحظ الجناس غير تام بين كلمتى "خادم" و "هادم"، هذا ويؤخذ على شـاعرنا أنـه جاء بجمع البدعه على جمع المؤنث السالم مثل المتنبئ حيث قال(١):

إذا كان بعض الناس سيفا لدولـــة ففى الناس بوقات لها وطبـــول

فقد جاء المتنبئ بجمع البوق على جمع المؤنث السالم فكان يستطيع أن يـأتى بكلمة "أبواق" بدلا من كلمة "بوقات" لأن الشعر ينضبط تماما كما هو عليه الآن، أما شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فلعله أعوزه الوزن الشعرى، لأنه لو قال: "بدع" لما استقام الوزن الشعرى، فهو لا يجهل اللغة العربية إنما الوزن الشعرى دفعـه إلـى استخدام هذه الكلمة، والباحث يرى أن جمع البدعة بصيغة المؤنث السالم جريا على ما عليه أهل الأردية، ففى الأردية يقال: "بدعات"، وإن كنت أرى أن يترفع شاعرنا عن مثل هذا الأسلوب.

ومن خلال ما نظمه شاعرنا فى رثاء وتاريخ عام رحيل مولانا الحكيم حبيـب على العلوى يتجلى لنا مدى معرفة شاعرنا واطلاعه على الأعمال الخيرية التى قام بها المرثى، كما يتجلى لنا وفاؤه وحبه لمعاصريه من العلماء، وتدل هذه الأبيـات كذلك على أن من نظمها لابد أن يكون عالم دين لما يتجلى من أسلوبها، لا يكتفـى بالعلم بل يشفع ذلك بالحب للدين ولعلمائه والمسهمين فى نشره، المدافعين عنه.

---

(١) ديوان المتنبئ مع شرح العكبرى، ج ٣، ص ١٠٨.

Marfat.com

المطلب الرابع

فى رثاء وتاريخ عام رحيل السيده سكينة زوجة مولانا محمد عبد السلام الجبلفورى[١]

تشرف مولانا محمد عبد السلام الجبلفورى ابن مولانا محمد عبد الكريم الجبلفورى بتلقى العلم وأخذ الطريقة من شاعرنا الفقيه المحدث الشيخ أحمد رضا خان، وعند العودة إلى مدينة جبلفور حرض التلميذ الوفى على دوام العلاقة بينه وبين أستاذه ومرشده، وذلك عن طريق المراسلة، وقد اتسمت مراسلاته هذه بكونها مراسلات علمية ودينية حيث كان هذا التلميذ يستنير برأى شاعرنا فى الشئون الدينية، كما كان يحرص على طلب الدعاء له بل إن العلاقات بينهم كانت أبعد من ذلك، فكان مولانا محمد عبد السلام يحرص على استشارته فى أحوال أسرته، وكان شاعرنا يشاركه بكل اهتمام فى أفراحه وأحزانه، وعندما توفيت زوجة هذا التلميذ البار فى العام التاسع والعشرين من القرن الرابع عشر الهجرى الموافق للعام الحادى عشر من القرن العشرين الميلادى، تأثر هذا التلميذ البار بهذه الكارثة غاية الأثر، واقدم على مراسلة أستاذه الشيخ أحمد رضا خان لكى يخبره بهذا الخبر المؤلم، فهو يعرب مدى وفاء وإخلاص أستاذه الذى قام من فوره بإرساله رسالة باللغة العربية دعاه فيها إلى التمسك بالصبر، وفى رسالته هذه أقدم شاعرنا على نظم ثلاثة أبيات باللغة العربية من الكامل التام وذلك لرثاء وتاريخ عام رحيل السيدة

---

(١) قد سبق ان ذكرنا ترجمته فى الفصل الثالث من الباب الأول.

Marfat.com

سكينة، فنجده يقول فى هذا الشأن(١):

حلت لمن عبـــد الســـلام حليلـــة ... فى العدن وهى حصينة ورزينـه

هى للعفاف مدى الحيـــاة لزينـــة ... وبعفو ربى فى الممات مزينـــه

سأل الرضا عام الوفاة مع الدعـاء ... قلت ارحم التابوت فيه ســـكينه

١٣٢٩هـ

كان مرتب الديوان ومحققه الأستاذ حازم محمد قد نقل هذه الأبيات الثلاثة من مرجع وأشار إليه(٢) ولكنه فى نفس الوقت وجد هذه الأبيات نفسها فى مرجع آخر أشـــار إليه كذلك(٣) وعند مقابلتهما وجد شيئا من التغيير فى بعض الكلمات فأشـــار إليـــه قائلا(٤):

فالشطرة الأولى من البيت الأول ذكرت [فى المرجع الثانى] هكذا:

حلت لمن عبد السلام حبيبه

والشطرة الثانية من البيت الثانى ذكرت هكذا:

"وبعفو ربى فى الممات ضرينة"

نلاحظ أن شاعرنا استخرج تاريخ رحيل السيدة سكينة فى الشطرة الثانية مـن البيت الثالث، وفيها نجده يقوم بإستخراج هذا التاريخ اقتباسا من جـــزء مـــن آيـــة قرآنية(٥) – على ما سنجده كثيرا فيما بعد – كما ذكر فى التـــاريخ اســـم الســـيدة سكينة، وقد أشار إلى إسمها على سبيل التورية.

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢٠٢.

(٢) إكرام إمام أحمد رضا، لمولانا محمد برهان الحق الجبلفـــورى، (ط: مركـــزى مجلـــس رضـــا، لاهور)، ص ٣٨.

(٣) مكتوبات إمام أحمد رضا، لمولانا محمود أحمد القادرى، (ط: مكتبة نبويـــة بلاهـــور ١٩٨٦م)، ص ٣٢.

(٤) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢٠٣.

(٥) وتمام الآية: } **وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية ممـــا ترك آل موسى وآل هـــرون تحمله الملائكة** { سورة البقرة ٢، ٢٤٨.

Marfat.com

المطلب الخامس

فى تاريخ رحيل مولانا شفيع أحمد خان القادرى

نظم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بيتا عربيا ضمن منظومة باللغة الأردية أرخ فيه لوفاة مولانا شفيع أحمد خان القادرى، الأمين العام بدار الإفتاء الرضوى، والمدرس بمنظر الإسلام بمدنية بريلى، وقد توفى فى العام الثامن والثلاثين من القرن الرابع عشر للهجرة النبوية - على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام - الموافق للعام العاشر من القرن العشرين للميلاد، وهذا البيت يشتمل على الجانبين الإسلاميين لشخصية مولانا شفيع أحمد خان القادرى حيث أن شاعرنا أشار إلى تقوى المرثى وقيامه بالإفتاء فيقول(١):

"أهل الفتوى شفيع أحمد أهل التقوى شفيع أحمد"

نلاحظ السجع بين كلمتى "الفتوى" و "التقوى" تكاد تكون الحروف واحدة، فالقاف قريبة من الفاء ولا يفصل بينهما إلا النقطة، فى الكلمة الأولى قدم الفاء واتبعها بالتاء، أما فى الثانية فقد ذكر التاء أولا ثم ثنى بعد ذلك بالقاف والتى هى قريبة من الفاء كما أسلفت، ثم ذكر الواو والألف باعتبارهما الحرفين الثالث والرابع من الكلمتين، هذا جناس غير تام إذا اعتبرنا قرب الفاء من القاف أما إذا اعتبرنا بعدهما على أساس النطق فإن بين الكلمتين سجعا، وليس فى الشطرة الثانية أى تغيير غير كلمة "التقوى" وذلك جريا على نهج شعراء الهند، ولا سيما أن شاعرنا كان يتمتع بالثقافة الفارسية والأردية والهندية.

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢٢٢.

Marfat.com

المطلب السادس

تاريخ عام رحيل الشريف ظهور حيدر ميان(١)

نظم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان أربعة أبيات من مجزوء الرجز لتاريخ عام رحيل الشريف ظهور حيدر ميان الذى كان قد توفى إلى رحمة ربه فى العام الثانى والثلاثين من القرن الرابع عشر الهجرى، وقد أرخ لعام وفاته مرتين وذلك فى الشطرة الأولى والثانية فى البيت الرابع، ومما يستلفت نظرنا أن الشيخ أحمد رضا ذكر اسم المرثى أربع مرات على التوالى، وذلك فى الشطرة الثانية من كل بيت، ومع هذا لا يشعر القارئ بأى ملل، كما لا يوجد أى خلل فى اللفظ أو المعنى أو الأسلوب. وهذا بالنسبة لتذوق الباحث الأدبى، ولنسمع صوت الشاعر حيث يقول(٢):

نحو لقاء جده ... ام ظهور حيدر
حن إلى الجنان إذ ... تم ظهور حيدر
قيل متى هذا السفر ... هم ظهور حيدر
قلت لان بقى السنه ... تم ظهور حيدر

١٣٢٢هـ ... ١٣٢٢هـ

يتجلى لنا فى الشطرة الأولى من البيت الأول أن شاعرنا قصد الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقوله: "نحو لقاء جده" فإن المرثى كان من سلالة الرسول -

---

(١) لم نتمكن من العثور على معلومات أخرى عن سيرة السيد ظهور حيدر ميان غير ما ذكرناه، وهو ما ورد فى بساتين الغفران، ص ١٨٢.

(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٨٢.

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم - وسار شاعرنا فى هذه الأبيات سبيل الشعراء الذين ذكروا أحبابهم فى غزلهم، وكان منهم من يذكرهم فى بداية كل بيت كما هو الحال مع جميل بثينة، ولكن شاعرنا كان يختم البيت بذكر المرثى، لعله يريد أن يجعل اسم المرثى آخر ما ينطق، على أننى أعتقد أن المراد بقوله: "تم ظهور حيدر" أنها مأخوذة من التمام وبالتالى هو تمام العمر وكأنما حين يرددها "تم ظهور حيدر" أكثر من مرة كأنما يقول: "تم عمر المرثى فرحل"، ولا مانع من أن يكون ترداده للاسم تفجعاً عليه وإظهارا للألم النفسى الذى يملأ فؤاده، وبين البيت الثالث والرابع ما يسمى بالمراجعة.

Marfat.com

المطلب السابع

فى رثاء وتاريخ رحيل مولانا القاضى عبد الوحيد(١)

نظم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بيتين يسجل فيهما رثاء وتاريخ عام رحيل مولانا القاضى عبد الوحيد، وكان هذا الشيخ من المحبين له، وقد أقدم شاعرنا على نظم هذين البيتين وفاء للقاضى عبد الوحيد، فقد كانت المحبة بينهما خالصة لوجه الله الكريم، ومما تجدر الإشارة إليه أن شاعرنا كان قد ذهب إلى مدينة بتنه لعيادة مولانا القاضى عبد الوحيد فى مرضه الأخير، وعندما تنبه لخطورة مرضه قام بالإشراف على معالجته الطبية، إلا أن حالة مولانا القاضى عبد الوحيد الصحية لم تتحسن حيث إن المرض كان قد تمكن مما أدى إلى وفاته، وحينئذ أم الشيخ أحمد رضا خان صلاة الجنازة على حبيبه هذا، وأمضى أربعة أيام بمدينة بتنه وفاء وإخلاصا وحبا للقاضى عبد الوحيد، وفى تلك الفترة أقدم على نظم هذين البيتين فى تاريخ عام رحيل مولانا القاضى عبد الوحيد، وهما من بحر رجز، يبدأ شاعرنا هذا الرثاء بندائه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله: "يا أكرم الخلق" وطلبه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم الإكرام، إنما هو على سبيل طلبه الشفاعة العظمى، وما منا إلا ويسال ربه أن يكون ممن يحظى بشفاعة الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فهو يطلبها للقاضى عبد الوحيد دعاء له ورجاء فى أن

---

(١) هو القاضى عبد الوحيد ابن القاضى عبد الحميد [والمراد بقولنا القاضى اسم أسرته وليس بمعنى القضاء بالمحكمة] حصل على الشهادة الثانوية من الكلية الحكومية بمدينة بتنه، ورغبت أسرته فى إرساله إلى إنكلترا، وذلك لمواصلة الدراسات العليا هناك، ولكنه رفض رغبتهم هذه حيث كان كارها للاستعمار البريطانى وبلده، وكان هذا نتيجة لتأثيره من مجالس الشيخ أحمد رضا خان ومولانا عبد القادر البدايونى، وقد لبى نداء ربه فى شهر ربيع الأول من عام ١٣٢٦هـ.
انظر: تذكرة علماء أهلسنت، لمولانا محمود أحمد القادرى، ص ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥.

Marfat.com

ينالها، ومن الممكن أن يكون المنادى محذوفا منويا استحضاره، وهو على نيـــة أن يقول يا من أكرم الخلق، وإذا ذكر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقوله: "يـــا أكرم الخلق" إنما هو توسل إلى الله – سبحانه وتعالى – فيما سيطلب بعد ذلك، وهو إكرام المرثى، ومن الممكن أن يكون ثمة خطأ مطبعى والهمزة هنا بدلا من حـــرف الميم، والكلمة من غير الخطأ هى "يامكرم الخلق" وبالتالى فهى نداء لرب الخلـــق – تبارك اسمه – وضراعة إليه أن يمن بالإكرام على المرثى، يقول شاعرنا(١):

"ياأكرم الخلـــق أنـــت الكريـــم أكرم القاضى عبد الوحيـــد
قال الرضا فى الدعاء حيـن أرخ إرحم القاضى عبد الوحيد"

نلاحظ أن الشيخ أحمد رضا خان قام بتسجيل رثائه للقاضى عبد الوحيد كمـــا دعا لمرثيه بالرحمة وطلب الرضى من الله تعالى .

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢٤٤.

Marfat.com

المطلب الثامن

تاريخ عام رحيل الشريف مجتبى حسن(١)

نظم شاعرنا أحمد رضا خان رباعية فى تاريخ عام رحيل السيد مجتبى حسن ميان الذى كان قد توفى إلى رحمة الله فى مدينة بومبائى عقب عودته مـــن أرض الحرمين الشريفين بعد أداء فريضة الحج وزيارة الحرمين الشريفين وذلك فى العـلم الحادى عشر من القرن الرابع عشر الهجرى، وقد استخرج شـــاعرنا عـــام وفـــاة المرثى فى الشطرة الرابعة من هذه الرباعية يقول شاعرنا(٢):

أكرم بحج سيدنا المجتبـــى حســـن إن الكريم وافـــده مجتبـــى حســـن
أرخ رضا لموت غريب عن وطـــن نال المراد من كرم المجتبى حســـن

أرى أن هذه الرباعية تخلو من البهجة الشعرية الممتازة لشاعرنا فلم تكـــن إلا تسجيلا لتاريخ وفاته، وذكرا لهذا المرثى، ولا شك أن مرثيه هذا لم يحظ بمثل مـــا حظى به من سبق فى الذكر، وكأنما يدعو شاعرنا للمرثى حين قـــال: "إن الكريـــم وافده مجتبى حسن"، ومعناه لقد وفد مجتبى حسن جل وعلا والوفود علـــى الكريـــم يقتضى منه وعطاءه، فهذا هو المنتظر من رب العالمين.

---

(١) لم أهتد إلى معلومات أخرى عن سيرة السيد مجتبى حسن ميان غير ما ذكرته وهو ما ورد فـــى بساتين الغفران على صفحة ٢٠٠.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢٠٠.

Marfat.com

المطلب التاسع

فى تاريخ عام رحيل مولانا محمد إسماعيل القادرى

لقد حاولنا دراسة ما نظمه شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فى رثـــاء مولانـــا محمد إسماعيل القادرى من قصيدتين فكانت قوام أولاهما تسعة وثلاثين بيتا، بينمـــا كان قوام الثانية ثلاثة عشر بيتا، ولم نجد هذا القدر من أبيات شاعرنا لغـــير هـــذا المرثى، هذا ولم يكتف شاعرنا بهذا القدر من دموع فى الرثاء بل نظم رباعية فـــى رثاء وتاريخ عام وفاة مولانا محمد إسماعيل القادرى وذلك لكثرة حبـــه للمرثـــى، وشدة انفعاله وحزنه لوفاة المرثى ومازالت هذه الرباعيـــة مكتوبـــة علـــى البـــاب الجنوبى لمشهد مولانا محمد إسماعيل القادرى فى حى بريل بمدينة بومبائى، ويبـدو من مطالعة هذه الرباعية كأن الشيخ أحمد رضا خان كان قد نظمها للكتابـــة علـــى باب المشهد للمرثى، فقال: إن هذا القبر لرجل حظى بالعز والكرامة لتمسكه بالسـنة النبوية، وغمره فضل الرسول بجنة، وأعتقد أنه قال هذا الكلام باعتبار مـــا يتمنـــاه ويتوقع أن يكون يوم القيامة فإن شاعرنا ينتظر شفاعة الرسول - صلى الله عليـــه وسلم - يوم القيامة لمرثيه، وهذا التوقع ليس من فراغ بل من منطلق إقدام المرثـــى على التمسك بسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثم يقبل شاعرنا على استخراج عام البناء للمشهد فيقول: "حل إسماعيل روضة جنة" وهنا جـــاء شـــاعرنا بـــالفعل الماضى للأمر الذى لم يتحقق بعد، وذلك لأن الشاعر على يقين من رحمـــة الله - سبحانه وتعالى - بأنها سوف تدرك المرثى وذلك نظرا لمواقفـــه الدينيـــة دفاعـــا وتمسكا بالحنيفية السمحاء، والتى أشار إليها شاعرنا ضمن قصيدتيه فى رثاء مولانا محمد إسماعيل القادرى، ولنستمع إليه حيث يقول[1]:

---

(١) تفضل مولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى بإرسال هذه الرباعية ضمن خطاب بعثه من مدينـة بومبائى الهندية خلال زيارته إلى الهند وذلك فى ١٩٩٨/١١/٥م.

Marfat.com

"ذا القبر من اعز بســـنة حازه فضل الرسول بجنـة

١٣١٨هـ

أى رضا صله بعام بنائـه حل إسماعيل روضة جنـة

١٣١٨هـ

وهكذا يتجلى لنا حب شاعرنا واحترامه لأهل العلم بعد وفاتـهم، فإنـه نظـم اربعة وخمسين بيتا عربيا لرجل لم ينل من الشهرة مثلما نالها الكثيرون، على أننـا لم نتمكن من العثور على ترجمته ضمن كتب التراجم.

Marfat.com

المطلب العاشر

فى رثاء وتاريخ عام رحيل
مولانا محمد عبد الكريم الحيدرآبادى[١]

كان مولانا محمد عبد الكريم الحيدر آبادى من علماء الدين المعاصرين لشاعرنا الشيخ أحمد رضا خان، وقد جمعت بينهما علاقة محبة ومودة خالصة لله وفى الله على الرغم من أن المصادر لم تذكر أى لقاء جمع بينهما وجها لوجه، إلا أن المراسلات بينهما كانت السبب فى توطيد علاقتهما، ومما تجدر الإشارة إليه أن شاعرنا كان فى تلك الفترة فى مرحلة الشباب، أما مولانا محمد عبد الكريم فقد كان شيخاً مسنا، وعلى الرغم من ذلك وجدنا هذا الشيخ المسن يقدم على إرسال ابنه مولانا محمد عبد السلام فى العام الثالث عشر من القرن الرابع عشر للهجرة إلى شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان مع رسالة جاء فيها: "أبعث إليكم ابنى هذا، وأرجو من فضيلتكم التكرم بتعليمه العلوم الدينية وتربيته الروحية وذلك تحت إشرافكم، فاستقبل الشيخ أحمد رضا خان ابن صديقه هذا بحفاوة بالغة، وأقام مولانا محمد عبد السلام عنده مدة عشرة شهور وخلال هذه الفترة تلقى مولانا محمد عبد السلام العلوم الإسلامية على يد شاعرنا مع أخذ الطريقة القادرية، وفى شهر ذى القعدة من العام الثالث عشر من القرن الرابع عشر للهجرة الموافق للعام السادس والتسعين من القرن التاسع عشر للميلاد، حصل على شهادة الفراغ من أستاذه ومرشده الشيخ أحمد رضا خان ورجع إلى والده مولانا محمد عبد الكريم الذى توفى بعد رجوع

---

(١) لم أعثر على ترجمته وخدماته الدينية غير ما ذكرت بالمتن.

Marfat.com

ابنه إليه بحوالى أربع سنوات، وذلك فى شهر رمضان من العام السابع عشر من القرن الرابع عشر للهجرة الموافق للعام الثامن والتسعين من القرن الثامن عشر للميلاد. فأرسلت برقية إلى الشيخ أحمد رضا خان، فرد عليها شاعرنا برسالة إلى أبناء مولانا محمد عبد الكريم[١] تضمنت دعوتهم إلى الصبر والرضى بالقضاء، وقد جاء فى رسالته هذه الأبيات الخمسة التى أرخ فيها لوفاة والدهم مولانا محمد عبد الكريم كعادته فى الشطرة الأخيرة كما أتى فى البيت الأول ما يسمى فى علم البديع بفن المراجعة، وهذه الأبيات من بحر الحفيف وهى كالآتى[٢]:

قيل مات الزكى عبد الكريم — قلت كلا بل احتظى بالدوام

حى عن بينه فكيف يموت — إنما الميت هالك الأوهام

أيموت الذى خلف؟ — سلم الله مثل عبد السلام

جبل الدين راسخ بقيامه — فى جبلفور شامخ الأعلام

قلت تاريخ عيشه الأبدى — دام عبد الكريم خلد كرام

هذه أبيات خمسة نراه فيها أيها القارئ الكريم، يعرض لنا مكانة المرثى فى نفسه وحبه له حتى أنه ليعزى نفسه فيه، فهو لا يرى أن يعده من الأموات بل يرى أن الميت هو من خرج من الدنيا دون أن يترك فيها شيئا، وشاعرنا يرى أن أولاد مرثيه ذكر له وامتداد لوجوده[٣] لا سيما وبينهم من درس على يديه وهو مولانا محمد عبد السلام الجبلفورى، فهو بذكره هذا الابن مدح ورثى فى وقت واحد،

---

(١) للاطلاع على هذه التفاصيل راجع إكرام إمام أحمد رضا، لمولانا برهان الحق الجبلفورى، ص ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٣١.

(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٩٨.

(٣) خلف مولانا محمد عبد الكريم خمسة أولاد وأسمائهم كالتالى: مولانا محمد عبد السلام، القارئ بشير الدين، الحافظ أحمد سعيد، الحافظ غوث أحمد - انظر إكرام امام أحمد رضا لمولانا برهان الحق الجبلفورى. ص ٢٥.

Marfat.com

ولعله لا ينسى جهد المرثى العلمى وعلمه بالدين ومساهمته فى نشره تلك المساهمة التى ستبقى، وحينئذ يكون وجود هذا المتوفى لا ينقطع ولم لا وقد قـــال النبـــى - صلى الله عليه وسلم -[١]: «**إذا مات الإنسان ينقطع عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**».

ولعلك تلحظ أيها القارئ الكريم الحكمة المبثوثة فى الشطرة الثانية من البيـــت الثانى، وقد أتى بها ليدلل على صدق ما ذهب إليه من أن المتوفى لم يمت بل حظى بالبقاء، وبالطبع البقاء البشرى، لأنه يرى أن الموت هلاك لصاحب الأوهام فقط.

ولما اطلع مؤلف الديوان "بساتين الغفران" ومحققه الأستاذ حازم محمد علـــى تغيير فى الشطرة الأولى فى البيت الرابع أشار إليها قائلا[٢]: ذكر الأستاذ الدكتـــور محمد مسعود أحمد الشطرة الأولى من البيت الرابع هكذا: "جبل الدين راسخ بقلمـــه" ونجد المعنى فى كلتا الشطرتين متلائما مع المنظومة.

هكذا قام شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان برثاء مولانا محمد عبد الكريم الحيدر آبادى الذى جمعت بينهما الصداقة والمحبة فى الله، دون أن يجمعهما لقـــاء وجـــها لوجه ولو مرة، ولعل السبب وراء عدم اللقاء كثرة مشاغلهما وبعد الشقة بين إقامـــة كل منهما، وقد وجدنا أن هذا الحب والوئام قد امتد إلى زمن بعيد حيث تتلمذ مولانا محمد عبد السلام الجبلفورى ابن مولانا محمد عبد الكريم وحفيده مولانـــا برهـــان الحق الجبلفورى على يد شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان وهذه المنظومة التى أقـــدم شاعرنا على نظمها تدل على حرصه على أداء الواجب وفاء لذكرى مولانا محمـــد عبد الكريم الحيدر آبادى.

---

(١) صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى، القسم الأول من الجزء الثانى، ص ٦٧.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٩٨.

Marfat.com

المطلب الحادى عشر

فى تأبين وتاريخ رحيل الحكيم محمود أحمد خان(١)

مما تجدر الإشارة إليه أن شاعرنا كانت تربطه علاقة قوية مع الحكيم محمود أحمد خان الدهلوى، وعندما توفى هذا الحكيم نظم شاعرنا ثلاثة أبيات فى تأبين وتاريخ رحيل الحكيم محمود أحمد خان الدهلوى، الطبيب الشهير فى شبه القارة الباكستانية الهندية وفى الأبيات الثلاثة يتجلى لنا الرثاء بالمعنى الإنسانى الواضح حيث صدر عن نفس بسيطة تحس لذع الحزن ولا تستطيع أن تخفيه، فنجده فى الشطرة الأولى يشير إلى بكاء العيون التى لا تجف دموعها، ونراه فى الشطرة الثانية أتى باسم والد المرثى وجده بأسلوب التورية التى تدل على مدى براعته فى النظم باللغة العربية بأسلوب سلس فصيح بسيط دون أدنى خلل فى النظم لفظا أو معنى، وقد أشار إلى اسم الحكيم محمد شريف خان عند قوله "شريفا"، كما أشار إلى اسم الحكيم محمد صادق على خان عند قوله: "صادقا" وكما اشار إلى اسم المرثى قائلا: "محمودا" مصورا لنا جسامة الخطب الذى أصاب الطب والمسلمين فى سويداء قلوبهم، وفى الشطرة الثانية من البيت الثالث استخرج شاعرنا عام وفاة الحكيم محمود أحمد خان الدهلوى، ونقشت هذه الأبيات على لوح مشهده، يقول شاعرنا(٢):

---

(١) هو الحكيم محمود بن صادق على خان: كان من أشهر مشاهير العصر، رزق من حسن القبول ما لم يرزق غيره من الأطباء. انظر الثقافة الإسلامية الهندية، للسيد عبد الحى الحسنى (ط: مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ص ٣١٢.

(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان . ص ١٥٣.

Marfat.com

بكت العيون أما تريد جمـــودا أبكت شريفا صادقـــا محمـــودا

أسفت لفقد الطب عصر قوامـه فأست و هل بأسا تحـــس فقيـــدا

أملت على مثواه يوم معـــاده قبر "الذى مات فى الطب حميـدا"

أحسبك أيها القارئ الكريم لم تأخذ على اهتمامى بأبيات ثلاثة فقد سبق منـــى بذلك فى المدح، وبالتالى كان على أن أعرض لهذه الأبيات الثلاثة فى الرثاء وذلـك لأننى أحاول ألا أغفل بيتا واحدا من بساتين الغفران كما ســـبق أن أخـذت علـــى عاتقى. وعلى كل فهذه الأبيات الثلاثة تدل على العاطفة المشبوبة و المشاعر الرقيقة الصادقة عند شاعرنا، فنراه وفيا غاية الوفاء، محبا ومبجلا لمعاصريه من العلمـــاء والأدباء وغيرهم، وأرى أن شاعرنا لم يكن وحده الذى أحس لذع الحزن بل كـــان هناك عدد كبير من الذين تفجعوا بموت هذا الطبيب المتصف بالإنســـانية الســـامية وحسن الخلق وبراعته فى علم الطب، فشاعرنا الشيخ أحمد رضا خان أقدم علـــى الإفصاح عما لحق الناس من خسارة فادحة بموت هذا الحكيم، وذلك فى مقطوعـــة من ثلاثة أبيات بأسلوب سلس ولغة سهلة فى متناول فهم الجميع.

وانظر: أعلى حضرت كى شاعرى يرايك نظر (نظرة على شعر الحضرة العالية) للشريف نـــور محمد القادرى، (ط: مركزى مجلس رضا لاهور سنة ١٤٠١هـــ)، ص ٤٦

Marfat.com

Marfat.com

الفصل الثالث

الهجاء

يشتمل هذا الفصل على تمهيد وخمس وقفات

نستوعب كل ما قاله في فن الهجاء

تمهيد: في التعريف بفن الهجاء.

الوقفة الأول: في هجاء مولانا عبد الباري الفرنجي محلى.

الوقف الثانية: في هجاء القائلين بإمكان كذب الله تعالى الله علوا كبيرا عما يقولون.

الوقفة الثالثة: في هجاء أشخاص لم يذكرهم باسم.

الوقفة الرابعة: مقطوعته وشعره في الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة.

الوقفة الخامسة: قصيدته في الخارجين على إجماع أهل السنة والجماعة.

Marfat.com

Marfat.com

تمهيد

التعريف بفن الهجاء

إذا كنا درسنا غرضين شعريين نابعين من عاطفة الحب نتطرق الآن لغـوض ثالث ناتج عن عاطفة الغضب والسخط ألا وهو الهجاء فإن عيوب النـــاس تحـــرك عاطفة الشاعر غاضبا فتُفجِّر عاطفته حمما وبراكين تهدر على رأس من غضـــب عليه وإذن بالشاعر يشق الأرض إلى أبعد ما يمكن ليضع داخلها مهجوه، أو يدغدغ الجبال حصاة حصاة ليضرب بها هذا المهجو، وقد يحمله على عاتقه ليصعد به إلى أعلى قمة ليس رغبة فى الارتفاع به بل ليقذف به حيث القضاء عليه، كـــل ذلـك بواسطة الكلمات التى يرسلها فى فكرة رائعة تختلف من شاعر إلى شاعر، وخيـــال حُلْو بديع مهما كان الغرض هو الهجاء، فلابد للشاعر من عاطفة متّقِـــدة وخيـــال واسع مدرك لما حوله، وأسلوب جيد بليغ التركيب قوى العبارة ليتحقق بذلك كلـــه الغرض من الهجاء، وإن كان الدافع بطبيعة الحال مختلفا من شاعر إلـــى شـــاعر، فكما أن المدح ينتج عن عاطفة متوقدة وفكرة جيدة وخيال رائع الحسن، وأســـلوب واضح التركيب، قويا فى عبارته، كذلك يكون الهجاء وتختلف الدوافع من شـــاعر لشاعر كما اختلف دافع المدح.

يقول الأستاذ قحطان رشيد التميمى[1]: "إن الهجاء فن قديم قِدم عاطفة البغض والغضب والميل الفطرى إلى نقد النقائض والمعايب، فهو من الفنون الأدبية التـــى

---

(١) اتجاهات الهجاء فى القرن الثالث الهجرى للأستاذ قحطان رشيد التميمى (ط: دار المسيرة بيروت. دون الأشارة إلى عام الطبع)، ص ١١-١٥.

Marfat.com

عرفتها الآداب العالمية، ووجد فى الأدب العربى منذ العصر الجاهلى، وهذا أمـــر طبعى مرتبط بوجود أناس يستحقون الهجاء... ويحتل الهجاء مكانا واسعا فى ديوان الشعر العربى الكبير، فمن النادر أن نجد شاعرا لم يتناول هذا الغرض فى شـــعره من قريب أو بعيد، ولا نكاد نجد باحثا قديما فى فنون الشعر إلا جعل الـــهجاء فـــى أبرز مكان فيها".

ولما كان الهجاء غرضا يتجاوب مع العلاقة الإنسانية وبالطبع مبعثه الســـخط وعدم الرضا، والشاعر الذى يخوض غمار الهجاء يجد أمامه مهجوه بشـــخصه، أو ينظر إلى ضيق ذات اليد، أو ركونه فى الدرجة الدنيا أو ينظر إلى ثقافته الضحلـــة، أو عقيدته، أو ميوله السياسية، أو مسلكه المذهبى، أو ينظر إلى أسرته ويحـــاول أن يوجه سهام قوله إلى أى شئ من هذا إن لم يكن إلى ذلك كله، وبالتالى فإن الـــهجاء أنواع: "قد استعرضنا الشعر العربى [على حد تعبير الكتاب محل النقل] فى هـــذا الباب فرأينا أنه على أنواع، منها الهجاء الشخصى، يتناول المهجو فـــى عرضـــه ونسبه وخلقه وخلقته، والهجاء السياسى وهو ينال من القبيلة والسلطان والسياســـة، والهجاء الدينى وهو يعرض للعقيدة والمذهب والدين، والهجاء الاجتمـــاعى، وهـــو يصف الأخلاق العامة، وطبقات الأمة ويرسم أغلالها، ولعل هذا التقسيم والتبويـــب قصير الحدود، وطبقات الشمول لا يضم كل ما قيل فى الهجاء، ولكنـــه قريـــب أن يصور حال الأدب العربى على اختلاف العصور منذ الجاهلية إلى اليوم فى قوالـــب محدودة طرقها الشعراء منذ القديم، وعادوا إليـــها يعبـــون منـــها ويـــردون مـــن وردها"(١).

---

(١) الهجاء لمجموعة من العلماء (ط: دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م)، ص ١٠-١١.

Marfat.com

ويشير الدكتور شوقى ضيف إلى الجانب الإيجابى للهجاء فيقول(١): "الـــهجاء يسهم فى كشف العيوب التى يذم الأفراد لسببها، وهو بذلك ينبه هؤلاء الأفراد بشكل غير مباشر إلى تجنب هذه العيوب ليكونوا فى مأمن من رمى الهجائين وطعنـــهم، ففى فن الهجاء إحصاء للعيوب والمثالب، وهى فى الحقيقة مثالب المجتمع وعيوبـه، فهو فى الظاهر هجاء وفى الحقيقة إصلاح وتهذيب وتقويـــم لكـــل اعوجـــاج فـــى المجتمع سواء ما اتصل بالفرد أو ما اتصل بالجماعة".

وأنا بالطبع أميل إلى ما قاله الدكتور شوقى ضيف إذا كان الشاعر يريد إصلاحا، وقد يكون الشاعر يهدف إلى شئ آخر وهو مجرد الطعن على المهجو فى شئ مما ذكر، وقد يكون الشاعر محقا هذا الذى أشار إليه الدكتور شوقى ضيف وقد يكون غير محق، إذا حاول أن يتخذ – من أشياء ليست صحيحة – مجالا لأن يطعن المهجو فيما يريد من عرض أو أخلاق أو خلقة أو غير ذلك مما يكون هذا الفن له، حتى أن بعض الشعراء يميلون إلى الهجاء لطبعهم فإن فقدوا من يهجونـــه هجـــوا أنفسهم (الحطيئة) وإلى مثل هذا لا يرى الدكتور شوقى ضيف أن فى شعره رغبـــة فى الإصلاح.

وإلى نفس الهدف ونفس الفلسفة لشعر الهجاء التى ذكرها الدكتـــور شـــوقى ضيف مال الدكتور محمد محمد حسين حيث يقول(٢): "إن الهجاء قوة بنائيـــة إلى جانب هذا المظهر الهدام الذى ما يطالع المتصفح له، فالشاعر حينما يهاجم شـــخصا من الأشخاص أو نظاما من النظم، أو نزعة من النزعات، يتصور فى حقيقة الأمـــر

---

(١) فصول فى الشعر ونقده، للدكتور شوقى ضيف (ط: دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م)، ص ٢.
(٢) الهجاء والهجاؤن فى الجاهلية، للدكتور محمد محمد حسين (ط: مطبعة أحمد مخيمـــر ١٩٤٧م)، ص ١٩.

Marfat.com

حياة أخرى بأشخاصها ونظامها وأسلوبها، فى مثله الأعلى الذى يطمح إليه ويدعوا له، فالهجاء له فلسفة فى الحياة يريد أن يؤديها إلينا".

وفى ضوء ما مضى نستطيع أن نقول: إن فن الهجاء بشكل مطلق ليس بتعبير عن وجوه القبح واليأس كما إنه ليس بتجسيد للشعور بالنقص أو الاحتقار والاستهزاء فحسب، بل يتسم فن الهجاء بالسمة الإصلاحية عندما يصدر شعر الهجاء عن نفوس تحمل عواطف نبيلة، أما النفوس الحاقدة اللئيمة فلا تصدر عنها إلا هجاء متسما بالأنانية والسخرية، وهذا هو النوع الذى استثنيت بعد ذكرى لرأى الدكتور شوقى ضيف، وفى هذا يقول الدكتور إبراهيم سلامه(١): "إن الهجاء إذا صدر عن عاطفة صادقة وعبر عما يحسه الشاعر من صراع نَفْسى وألم ذاتى لا يمكن عده قبيحا أو رديئا أو عملا شريرا، فما وجه القبح فى الهجاء إذا كان المهجوون يتصفون حقا بما يهجون به... فإذا جمع إلى هذا الموضوع الجميل أداء جميلا مؤثرا فقد اكتملت للهجاء سمات الفن المتكامل ويكون الهجاء عندئذ مؤديا لوظيفته".

ويقول الدكتور محمد النويهى مشيرا إلى هذين الجانبين للهجاء(٢): "فالهجاء يؤدى وظيفته حين يصدر عن حس صادق، فحين يغضب الشاعر على رجل فينفس عن هذا الغضب فى قصيدة ينظمها يكون قد أنتج إنتاجا أدبيا، لأنه يهدف من وراء هذا الإنتاج التنفيس عن انفعاله، وإزاحته عن صدره من خلال صورة تحمل سخطه وانفعاله إلى متلقيها بحيث تثير فيه كلما اطلع عليها نظير ما ثار بصدر الشاعر".

فالهجاء فن شعرى يجرى بين البشر جريان الماء فى العود وذلك لأنه رد فعل لإحساس الإنسان، فالإنسان بطبيعته إذا رضى قال أحسن ما علم وإذا غضب قال أسوأ ما علم، والشاعر أوفق الناس تعبيرا عما فى نفسه من إحساس ونقلا لمشاعره لمخاطبيه، وتختلف أسباب الرضا ودوافع السخط باختلاف البشر فمن

---

(١) تيارات أدبية، للدكتور إبراهيم سلامه (ط: مطبعة أحمد مخيمر، ١٩٥٢م)، ص ١٢.

(٢) وظيفة الأدب، للدكتور محمد النويهى (ط: الرسالة، القاهرة، ١٩٦٧م)، ص ٧٣.

Marfat.com

الناس من يكون رضاه متعلقا لطلب الدنيا من مال أو درجة أو أى نوال يناله من ممدوحه فإن استطاع أن يحصل منه على ما يريد كال له ألفاظ المديح كيلا، وإن لم يجد عنده بغيته وفقد الأمل أن ينال خيره وبَرّه سكت عن المديح وربما هجاه، وما يقال فى أسباب الرضا واختلافها يقال فى أسباب الغضب واختلافها أيضا من شخص إلى شخص، وشاعرنا لا يتعلق بأغراض الدنيا ولا يتطلع للنوال منها، لذلك كان مدحه لأهل الصفوة الذين عرفتهم وهم أولئك العلماء الأفذاذ وأهل التقى والخير الذين عرض لهم بمديح، وذكر علاقة بينه وبينهم، وربط كل ذلك بمدح المصطفى - صلى الله عليه وسلم - سيد العلماء، وسيد أهل التقوى والخوف من الله تعالى، إلى غير ذلك مما يقال فى هذا المجال.

وكما كان عقله المستنير ودينه الحنيف هو الفيصل فى المدح كان أيضا الفيصل فى الهجاء، فمن خرج عن الدين وزاغ وضل وأضل فهو الأولى بأن يعرض له هاجيا محذرا عقاب الله وعذابه إذن فهو متدين متعقل فى هجائه، ولم يكن إقدامه على نظم الهجاء إلا دفاعا عن الشريعة الإسلامية الغراء، وبالتالى مقاومة الفرق المخالفة لإجماع أهل السنة والجماعة، وبيان ما ابتدعوه والقيام بالرد عليهم فى ضوء القرآن والسنة والإجماع والقياس، وعندما نطالع ما نظمه شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فى الهجاء نجد أن هذه الظاهرة ليست بالأمر المستبعد حيث إن شاعرنا كان من رجالات ديننا الحنيف، ومن المدافعين عن العقيدة الإسلامية الصحيحة، فكما ذكرنا من قبل - فى الفصل الأول من الباب الأول - أنه كان لانهيار الدولة الإسلامية والقوة العسكرية لمسلمى شبه القارة الهندية وبسط الاستعمار البريطانى سلطانه عظيم الأثر فى تردى أحوال مسلمى شبه القارة الهندية، وقد ترتب على هذا - بدسائس من المستعمر - وقوع الخلاف بين المسلمين أنفسهم، ووصل هذا الخلاف إلى المسائل العقائدية، فكان شاعرنا الفقيه والداعية الإسلامى الشيخ أحمد رضا خان من بين المتقدمين - من زعماء الصوفية - لكل من شكك فى العقائد الصحيحة لأهل السنة والجماعة، وقد رأينا هذا فى كثير من مؤلفاته النثرية، وامتد هذا أيضا إلى ما نظمه من شعر باللغات العربية

Marfat.com

و الفارسية و الأردية، وبالنظر إلى هذا الجهد الكبير الذى قام بـــه شـــاعرنا خدمـــة للإسلام و المسلمين فى موطنه – شبه القارة الهندية – رأينا ثلاثة من أكابر العلمـــاء و المعاصرين فى باكستان و الهند يتصدون لدراسة الدور المهم الذى لعبه شاعرنا فى هذا المضمار، وكان للأبحاث العلمية القيمة التى كتبوها فى هـــذا المجـــال الأثـــر العظيم فى علماء العرب، ونسوق لذلك مثلا، الشيخ الجليل السيد يوسف السيد هاشم الرفاعى أحد أكابر العلماء و الوزراء السابقين بدولة الكويت، فقد تأثر بفكر شـــاعرنا وبالأبحاث العلمية القيمة التى كتبها هؤلاء العلماء، فوجدنـــاه يكتـــب حـــول بيـــان إسهامات شاعرنا فى الرد على الفرق المخالفة لإجمـــاع أهـــل الســـنة و الجماعـــة يقول[1]: "اطلعت على هذه الرسالة الجيدة التى كتبها الدكتور محمد مسعود أحمـــد المجددى الخاصة ببيان موقف العلامة المرحوم الشيخ أحمد رضا خان البريلوى من البدع و الانحرافات التى كانت سائدة فى عصره وكيف أنه كان معارضا لها، و أفتـــى بمخالفتها و عدم جوازها استنادا إلى ما توصل إليه من أدلة شرعية من جهة رأيـــه و اجتهاده فى تلك المسائل التى عرضت عليه و استفتى فيها، إن المطلع علـــى هـــذه الرسالة يتبين له أن الشيخ أحمد رضا خان كان غيـــورا علـــى الديـــن و الشـــريعة الإسلامية الغراء، ولم يكن مجاملا للناس فى تقاليدهم و أهوائهم".

ومما تجدر الأشارة إليه أن الشيخ أحمد رضا خان كان صوفيا تقيـــا وشـــيخا مرشدا فلابد أن يكون شديد الوقوف فى وجه البدع التى تسللت و انتشرت فى عامـــة المسلمين باسم التصوف وذلك بسبب من المنتسبين إلى التصوف بالاسم فقط، ومـــن هذا المنطلق وجدناه فى بداية الأمر ناصحا إياهم بالعدول عن مسلكهم وترك ما هـــم عليه من بدع تشوه صورة التصوف، وبعدها وقف فى وجه هؤلاء.

وكان له موقف كذلك ممن فرقوا بين الشريعة و الطريقة، وفضلوا الطريقـــة

---

(١) دور الشيخ أحمد رضا خان فى مقاومة البدع و الرد عليها، للدكتور محمد مسعود أحمد المجـــددى (ط: أكاديمية رضا بلاهور، ١٤١٦هـــ – ١٩٩٥م)، ص ٣، تقريـــظ فضيلتـــه علـــى الرســـالة المذكورة.

Marfat.com

على الشريعة فوجدناه يسدى النصح لهؤلاء جميعا ويبين لهم الخطأ الجسيم الذى وقعوا فيه يقول(١): "إن الأصل هو الشريعة، أما الطريقة فهو فرع لها، إن الشريعة هى المنبع الأم وقد تفجر منها بحر الطريقة، ومن المحال أن تنفصل الشريعة عن الطريقة، إن الشريعة الغراء هى أساس الطريقة، ولا يتجلى امام المريد طريق الوصول إلى الله إلا بالسير وفق منهج الشريعة، ومن سلك غيره هلك وضل عن جادة الصواب، وإن الطريقة هى فرع بل الفرع الأساس لهذه الشريعة، وكل ما يتجلى لدى المريد من انكشافات فى طريقه ليس إلا فيضا من الشريعة الغراء، وثمرة اتباع الشريعة هذه، وإن الطريقة دون الشريعة ليست إلا زندقة وردة".

ومما هو جدير بالذكر أن أحد المنتسبين إلى الصوفية - فى زمن شاعرنا - أقدم على تجويز سجدة التحية للصالحين، وعندما سئل شاعرنا الفقيه عن رأى الإسلام فى هذا الموضوع وجدناه يقدم على الرد على هذا السؤال بكتابة كتيب(٢) تحت عنوان: "الزبدة الزكية فى تحريم سجود التحية" أوضح فيه بالأدلة القاطعة التى لا تحتمل الشك رأى الإسلام فى هذه المسألة.

وفى ضوء ما ذكرنا نقول إن الشيخ أحمد رضا خان كان طبيبا ماهرا استطاع تشخيص أمراض الشعب المسلم فى شبه القارة الهندية - تلك الأمراض التى قام بنشرها بينهم المستعمر الغاشم بدافع من تفريق جماعتهم مستعينا بأولى الميول والهوى ذوى النفوس الضعيفة - وبعدها قدم الدواء الشافى من تلك الأمراض، وقد تبلور هذا الدواء فيما كتبه ونظمه باللغات الثلاثة، ولما كان موقف كثير من

---

(١) مقال العرفاء بإعزاز شرع وعلماء، للشيخ أحمد رضا خان (ط: نورى كتب خانه لا هور، ١٣٢٨هـ)، ص ٨.

(٢) هذا الكتيب فى فصول ثلاثة، اختص الأول منها بإيراد الأدلة من القران الكريم الخاصة ببيان تحريم سجود التحية للصالحين وقبورهم، والفصل الثانى أورد فيه أربعين حديثا لتأكيد الحكم الشرعى حول هذه المسألة، والثالث يشتمل على مائة وعشرة نصا فقهيا لأكابر السلف الصالح والخاصة بهذه المسألة.
انظر: الزبدة الزكية لتحريم سجود التحية، للشيخ أحمد رضا خان (ط: نورى كتب خانه لاهور سنه ١٣٣٠هـ)، ص ٣٦ : ٥٦.

Marfat.com

المخالفين لإجماع أهل السنة لم يتغير فيعودوا إلى الطريق الصحيح وجدنا شاعرنا يستخدم أسلوبا آخر وهو أسلوب الهجاء - فكأنه يقوم بعملية جراحية - فأقدم على هجاء هؤلاء، ومما يلفت نظرنا ويعد ظاهرة فيما كتبه من نثر وشعر أننا لا نجد عنده هجاء حقيرا ولا أسلوبا نابيا، فلسانه برئ من كل ما يوصل إلى الفحش والبذاءة وذلك لأنه لسان عالم شاعر فى الوقت نفسه، فهو قبل كل شئ رجل دين يرعى حرمة لسانه ويقدم الموعظة الحسنة، وما كان هجاؤه لهؤلاء إلا من أجل رغبته فى أوبتهم إلى الطريق الحق وعودتهم إلى صوابهم، وإلى العقيدة الإسلامية الصحيحة لكى يقفوا مع إخوانهم فى وجه عدوهم المشترك.

لقد حاولنا دراسة فن الهجاء بما له وما عليه، وبالتالى عرفنا عن إقدام شاعرنا على توظيف هذا الفن الذى يظهر المثالب ويفصح عن العيوب وذلك للأغراض الإصلاحية، فإنه لم يهج أحدا للدوافع الشخصية وإنما كان هجاؤه لتقويم الفكر والأخذ بيده إلى السير تبعا لمنهج الشريعة الغراء - كما أسلفت - فرأيناه يهجو الأشخاص تارة والفرق الزائعة تارة أخرى، وسوف تكون لنا عدة وقفات متتبعين كل ما قاله شاعرنا فى فن الهجاء، وعدد أبياته ست وأربعون بعد المائة من الأبيات، الوقفة الأولى: فى هجاء مولانا عبد البارى الفرنجى محلى، والوقفة الثانية: فى هجاء القائلين بإمكان كذب الله - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا -، الوقفة الثالثة: فى هجاء أشخاص لم يذكرهم بإسم، الوقفة الرابعة: مقطوعته وشعره الفرد فى الفرق الزائغة، الوقفة الخامسة: قصيدته فى الخارجين على إجماع أهل السنة، فأقول وبالله التوفيق:

Marfat.com

الوقفة الأولى

فى هجاء
مولانا عبد البارى الفرنجى محلى اللكنوى(١)

مما هو معلوم فى شأن مولانا عبد البارى الفرنجى محلى أنه كان من أكابر رجالات أهل السنة والجماعة، ليس فى مدينة لكنو وحدها بل فى سائر شبه القارة الهندية، وقد حاز منزلة كبيرة بين العامة والخاصة، إلا أن السياسة قد استطاعت أن تجذبه إليها، والذى يخوض فى بحر السياسة من الممكن أن يتعرض لأهوال هذا التيار أو ذاك، فما أكثر تيارات هذا البحر، وعندئذ قد تغيره السياسة تغيرا ما كان أحسن لو أنه تجنب السياسة حتى لا تؤثر فى أهم ما كان يزينه وهى عقيدته، فقد سلك طريقا مغايرا للسواد الأعظم من المسلمين فى شبه القارة الهندية حيث إنه والى زعيم الهندوس وأيد أقواله فى ضرورة التضامن بين المسلمين والهندوس تحت فكرة القومية الواحدة، على أننى عرضت هذه الفكرة وبينت مساوءها والنوايا

---

(١) هو مولانا محمد عبد البارى بن مولانا عبد الوهاب بن مولانا محمد عبد الرازق الفرنجى محلى اللكنوى، ولد فى الخامس والتسعين من القرن الثالث عشر للهجرة وذلك بمدينة فرنجى محل الواقعة فى لكنو، ودرس أكثر العلوم الإسلامية على يد مولانا عبد الباقى الفرنجى محلى، كما درس بعض المواد العلمية على يد مولانا عين القضاة الحيدر ابادى، سافر مولانا عبد البارى للحج فى الثانى والعشرين من القرن الرابع عشر للهجرة، فقصد المدينة المنورة بعد أداء فريضة الحج حيث تتلمذ على يد العلامة على بن ظاهر الوترى، والعلامة أمين الدين ابن رضوان، والعلامة أحمد البرزنجى المدنى، كما حصل على الإجازة فى الحديث والطرق الصوفية من شيخ المشائخ عبد الرحمن البغدادى، وعند العودة من الحرمين الشريفين أخذ يدرس العلوم الإسلامية والعربية، وكانت له اليد الطولى فى علوم كثيرة، توفى إلى رحمة الله فى الرابع من شهر رجب من الرابع والأربعين من القرن الرابع عشر الهجرى.
انظر: تذكرة علماء أهل سنت، لمولانا محمود أحمد القادرى، ص ١٧٣، ١٧٤.

Marfat.com

السيئة التى دست فيها، وذلك فى الفصل الأول من البـــاب الأول، وكـــانت فكـــرة التضامن بين الهندوس و المسلمين أثيرت من أجل إقامة دولة واحدة لهم فـــى شـــبه القارة الهندية، وقد كانوا يتطلعون إلى ذلك بعد طرد الاستعمار البريطـــانى منـــها، وفى تلك الفترة جاء بأقوال تمس العقيدة الإسلامية، فانبرى له إمـــام أهـــل الســـنة والجماعة شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان ناصحا إياه بالعدول والرجوع عـــن تلـــك الأقوال، وعن هذه القصة يحدثنا الأستاذ حازم محمد محقق ديوان بساتين الغفـــران قائلا(١): "إن مولانا عبد البارى الفرنجى محلى كان عالما متبحرا بل رئيسا لعلمـــاء مدينته فرنجى محلى فى عصره، وكان ينتمى إلى أسرة علمية عظيمة، وقـــد لقبـــه الشيخ أحمد رضا خان بلقب "الفاضل الأكمل" كما كانت بينـــهما روابـــط المحبـــة والمؤانسة، وكان القائد السياسى الشهير - لعموم الهند - محمـــد علـــى جوهـــر، وشوكت على من مريديه، ولما بدأ رئيس الهندوس غاندى حركة تـــرك المـــوالاة بعنوان استخلاص الوطن عن الاستعمار البريطانى شارك معه الشيخ عبد البـــارى الفرنجى محلى وأيده فى شأن التضامن بين المسلمين والهندوس، وفى أثنـــاء هـــذا صدرت منه عبارات بلغ عددها واحدا بعد المائة(٢) انتقدها الشيخ أحمد رضا خـــان وراسله قائلا: "إن هذه عبارات كفر وأقوال ضالة، ولابد من التوبة والرجوع عنها، ولكن أخذت العزة الشيخ عبد البارى فحاول ألا يسمع لما أبداه الشيخ أحمد رضـــا خان وقام بتأويل بعض آيات من القرآن الكريم، وبعض الأحاديث النبوية الشـــريفة لتتماشى وتتوافق مع ما تفوه به من عبارات، عندئذ قام الشيخ أحمد رضـــا خـــان بإرسال ثلاثة خطابات فى فترة وجيزة إلى مولانا عبد البارى وأدرج فيها الأبيـــات

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٨٦، ١٨٧.

(٢) انظر هذه العبارات ضمن خطابات أرسلها الشيخ أحمد رضا خان إلى مولانا عبد البارى الفرنجـــى محلى فى كتاب: مكتوبات إمام أحمد رضا خان بريلوى مع تنقيدات وتعاقبـــات رتبـــه الأســـتاذ الدكتور محمد مسعود أحمد (ط: مكتبة نبوية لاهور ١٤٠٨هـــ).

Marfat.com

المذكورة بمتن الديوان بساتين الغفران، وعددها ستة عشر بيتا باللغة العربية، وبالإضافة إلى أبيات كثيرة باللغة الفارسية، ومن حسن إخلاص مولانا عبد البارى أنه رجع أخيرا عن تلك الأقوال - التى نبه عليها الشيخ أحمد رضا خان - عند مقدم مولانا محمد حامد رضا خان إلى مدينة لكنو حيث أعلن مولانا عبد البارى أثناء اللقاء رجوعه عما صدر منه من أقوال مخالفة للشرع الحنيف، كما اعترف وصرح بصحة كل ما أبداه الشيخ أحمد رضا خان، وكان هذا فى العام الخامس والعشرين بعد التسعمائة والألف للميلاد، وبالطبع بعد وفاة شاعرنا".

وهذه القصة تبين إلى أى مدى كانت غيرة شاعرنا وسرعته فى التصدى لكل ما يخالف الشرع الحنيف، لذا وجدناه يقدم على إبداء النصح لمولانا عبد البارى، وبعد ما علم وتأكد من عدم رجوعه عما قاله من أقوال مغايرة للشرع الحنيف نظم شاعرنا هذه الأبيات فى منظومات ثلاثة، وبمطالعتها يتجلى لنا أن ناظمها لم يقدم على هذا العمل لغرض دنيوى أو خلاف شخصى، إنما كان دفاعا عن شريعة الإسلام، وحثا للعلماء ورجالات السياسة من المسلمين على عدم موالاة أهل الكفر، ففى بداية منظومته الأولى التى نظمها من مجزوء الرجز يحرص شاعرنا على سرعة إقدام مولانا عبد البارى ومن سار على منواله من ساسة المسلمين كى يعلنوا توبتهم لأن شاعرنا يخشى العقاب فى الآخرة الذى أعد لمن خرج عن إجماع الأمة بشأن موالاة الكفار، بل يبين كذلك أن هذا العقاب سوف يصيبه جزء منه أيضا فى الدنيا إن لم يعدل عن أقواله ففى هذا يقول الشيخ أحمد رضا خان[1]:

"اعصبة النوافر لا تكفرى بالغافر
اخشى جزاء من كفر الله مخزى الكافر
أتائب وخائب أم خائف كالظافر"

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٨٥.

Marfat.com

ثم بعد هذه الأبيات نجده ينتقل إلى غرض آخر ألا وهو الحديث عما من الله عليه من نعم فإن شاعرنا لا يتحدث عنها فخرا ولا كبرا بل يتحدث عنها من باب **وأما بنعمة ربك فحدث** (١)، فيقول شاعرنا إنه بفضل الله - تبارك وتعالى - كالعقاب السريع فى حركته وخطفه، والذى لا يترك طائرا فى البستان يثير الصفير فيه، ويقصد شاعرنا بالصفير الإزعاج ويعنى به تلك البلبلة التى تصيب بعض العقول لذلك فهو يتصدى لهم تصدى البازى لأى طائر يثير الصفير، ويرى الشاعر أنه يتمتع بالقوة كالأسد ويراعى الحمر النافرة، وكأنه رمز بالحمر النافرة إلى العقول المتمردة، والحمار من السهل جدا القضاء عليه، كما أن من السهل نفوره ويرى الباحث كأن الشاعر اقتبس من قول الله - عز وجل -(٢): **كأنهم حمر مستنفره، فرت من قسورة** ، ثم يقول شاعرنا إن الحمر ظنت أنه ليس ثمة من يقفز عليها فتمردت واستعدت للمصارعة ولكنى ذبحتها بكل سهولة وحرية وتمكن الأسد، فلنسمع إليه حيث يقول(٣):

"بازى سطا فلا ترى فى أيكة من صافر
راع يراعى كالأسد كل حمار نافر
فاستثفرت(٤) واستنفرت ولا ترى من طافر(٥)

نلاحظ أن فى الشطرة الثانية من البيت السابع خطأ مطبعيا فإنه كان من الأنسب أن تكتب "لأخم كالغضافر" حتى تؤدى المعنى، وإلا فإنها لا تؤدى معناها كما يتراءى للباحث.

ثم بعد أن تحدث عن قوة جسده مستخدما أسلوب التشبيه ينتقل إلى الحديث عن قوة حصانه وذلك على غرار الشعر العربى كما كان عليه الحال فى العصر الجاهلى، فتخيل شاعرنا أنه يمتلك حصانا ينفرد عن بنى جنسه وذلك نظرا لقدرته

---

(١) سورة الضحى ٩٣/١١.
(٢) سورة المدثر ٧٤/٥٠، ٥١.
(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٨٥.
(٤) استثفر ثوبه وبه: لم أطرافه.وأخذها من بين فخذيه فربطها فى وسطه، وذلك حين الاستعداد للمصارعة ونحوها، المعجم الوسيط، لصفوة من العلماء، ج ١، ص ١٠١.
(٥) طفر اللبن طفرا : صارت له طفرة. وفلان طفرا: قفز المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٧٩.

Marfat.com

على رد كل باغ خارج عن إجماع الأمة بما لهذا الحصان من حافز قوى وسرعة خارقة، كناية عما من الله به عليه من قوة يستطيع أن يواجه بها أهل الضلالة والزيغ، وكأنه يشبه قلمه السيال بهذا الحصان القوى السريع، وفى هذا يقول(١):

ولى حصان راكض لحفظ نور سافر
إذا علا رأس بغى يرضه بحافر
جاء معفرا لكل غادر وخافر

لطافة فى الأسلوب ودقة فى التركيب واستعارة مستملحة صرح بها ورشحها وقواها، فقد جاء أسلوبه على سبيل الاستعارة التشبيهية المرشحة وذلك لأنه شبه قلمه بالحصان واستمر يعدد صفات المشبه به بعد أن حذف المشبه، وبالتالى فقد وقعت له هذه الاستعارة التصريحية المرشحة بأكثر من صفة من صفات المشبه به، لذلك رأيتها فى نظرى استعارة حسنة.

هذا ما أراده شاعرنا من المنظومة الأولى التى هجا فيها مولانا عبد البارئ وكان هدف شاعرنا طلب الرجوع عما بدا من مولانا عبد البارى من أقوال.

ننتقل إلى المنظومة الثانية وهى عبارة عن ثلاثة أبيات من البحر الوافر فى نفس الغرض، وإن كنا نلحظ أن شاعرنا قد يئس من توبة عبد البارى وتشاور فى أمره مع رجالات الدين من أهل السنة والجماعة، فأعلنوا أن من يتفوه بما قاله عبد البارى يعد خارجا عن الإسلام، لذا وجدنا شاعرنا يعبر عن هذا الإجماع مع حرصه على عودة مولانا عبد البارى إلى حظيرة الإيمان فيقول(٢):

كفرت وقد نفرت فبالهدى صن فؤادك من لظى أو فى‌لظى كن
وأن الله موهن كيد كافر ألا فارجع إلى الإسلام أوهن
فلست الآن إلا كيد غاندى يكيد بك المريد والذى جن

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٨٥.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢٠٠.

Marfat.com

ففى هذه الأبيات نجد شاعرنا يخبر مولانا عبد البارى بفتوى العلماء، وكأنه يقول ليس هذا رأيى وحدى وإنما هو فتوى العلماء، كما يبين له العاقبة فى الدنيا والآخرة إذا أصر على أقواله الخارجة عن إجماع الأمة، وفى نفس الوقت نجده يتوجه له بالنصح كى يصون قلبه ونفسه وكى يعود إلى الإسلام، ويترك موالاة غاندى وأتباعه من الهندوس، ونلاحظ هنا الاقتباس من الآية القرآنية(١): **وأن الله موهن كيد الكافرين** .

وعندما ننتقل إلى المنظومة الثالثة والتى تشتمل على بيتين من مجزوء الرجز نجد أن شاعرنا يتوجه بالنصح إلى مولانا عبد البارى بأسلوب غير مباشر وذلك بهجاء بعض الناس من رجالات الدين الذين جانبوا الدقة والصواب حيث إنهم اتخذوا زعيم الهندوس غاندى قائدا لهم متناسين قول الله عز وجل(٢): **ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا، ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون** وقال تعالى( ): **ياأيها الذين آمنو لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا** وللأسف أن بعض رجالات الدين ظلوا تحت لواء غاندى حتى آخر حياتهم، وللعلم أن مولانا عبد البارى كان قد تاب ورجع عن سلوكه هذا، وإن كانت توبته بعد رحيل الشيخ أحمد رضا خان فهى نتيجة لنصحه المخلص ولو كانت فى حياته لاغتنمها شاعرنا، وأعتقد أنه لم يكن ليترك هذه الفرصة إلا أزال بمدحه ما كان قد تركه من هجائه، ونلحظ أن شاعرنا فى هذين البيتين كأنه يذكر مولانا عبد البارى علمه الكبير وذكاءه الفائق، إذا كان ذكاؤه فائقا فأين ذهب عند اتباعه لغاندى، لا شك أنه عطل واحتجب هذا العقل عن أن يحكم فى الأشياء حكمه المعتاد، المفعم بالذكاء والإدراك، ولكن ضلالته نابعة

---

(١) سورة الأنفعال ١٨/٨.
(٢) سورة ال عمران ١١٨/٣.
( ) سورة النساء ١٤٤/٤.

Marfat.com

من ذلك الشيطان الذى استأثر بفكره، وسيطر على ظاهر عقلـــه، ذلكـــم الشـــيطان المسمى "غاندى"، قال شاعرنا عجبا من الرجل المضروب بالعصى من شجرة الدوم ضربا قويا ولكنه مع هذا لم يتعظ فليس هناك غباء أكثر مما وجده شاعرنا فى البليد الغوى المشار إليه، وهنا شاعرنا لم يقصد الضرب الحقيقى بـــل قصـــد الضـــرب السياسى الذى أصاب المسلمين من مكر وكيد زعيم الهندوس غاندى، ولكنهم مـــع هذا لم يتنبهوا إليه، وفى هذا يقول(١):

"بالدوم ضرب قـوى ينسى ولا يرعـوى

ما ثم عجمـــا كـــذا إلا البليد الغـــوى"

وهذا منه يدل على ما كان له من حرص شديد على جميـــع علمـــاء الديـــن الإسلامى من معاصريه ونصحه إياهم، وخوفه عليهم من مكر الهندوس - كما هـو معلوم وذكرناه من قبل - وإن مولانا عبد البارى كان مـــن علمـــاء أهـــل الســـنة والجماعة، وقد وقع فى مكر الهندوس كما وقع غيره من الأدباء والساســـة أمثـــال القائد الأعظم محمد على جناح وشاعر الإسلام محمد إقبال، إلا أنه بعد فترة يسـيرة تبين للجميع مدى مكر وخداع هؤلاء الهندوس مما دفـــع هـــؤلاء المســـلمين إلـــى استقالتهم من حزب المؤتمر الهندى والتنصل من كل ما كانوا يدعون إليـــه، ولـــم الشعث، وجبر الكسر، واحتواء المسلمين جميعا فى جمهورية واحدة تضمـــهم، ألا وهى جمهورية باكستان الإسلامية حتى لا يضيع المسلمون أمام سيل الهندوس الذين يعملون لصالح عقيدتهم ويرون كل ما عداها باطلا يجب دحضه، جزى الله السياسة ما جزاها بقدر ما جعلت بعض المسلمين يسيرون هذا السير وهـــم يظنـــون أنـــهم يسعون لخير بلادهم، بعضهم تناسى عقيدتهم مثلما كان الحال فى هـــذا المـــهجو - مولانا عبد البارى الفرنجى محلى - وإن كان قد تاب بعد ذلك وأقلع عن خطئـــه، وأناب إلى رشده، وهذا من فضل الله تعالى على الإسلام والمسلمين أنه مـــن زاغ عن الصواب وانحرف عن جادة السبيل فإنه لا يلبث أن يعود إلـــى رشـــده مـــرة

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢٠٩.

Marfat.com

أخرى، إن شئت فقل: لنور الإسلام الذى غذى هذا القلب"، أو هو فضل الله تعالى وعطاؤه لأهل الإسلام، أو هما معا ولم لا والله يفعل ما يريد. وبفضل الله تعالى ورحمته على المسلمين سعى الجميع بعد هذا إلى تشكيل ما عرف فيما بعد بالرابطة الإسلامية التى كانت السبب الأكبر فى إنشاء جمهورية باكستان الإسلامية فيما بعد، وكان هذا بفضل توجيهات شاعرنا وأمثاله من العلماء والمشايخ العاملين بالكتاب والسنة.

Marfat.com

الوقفة الثانية

فى هجاء القائلين بإمكان كذب الله تعالى الله علوا كبيرا عما يقولون

إن أول ما يصادفنا فى هذا القسم هو قيام شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فى وجه القائلين بإمكان كذب الله تعالى، ومن المعلوم أن شبه القارة الهندية شاهدت فى عصر شاعرنا نشأة أكثر من طائفة انحرفت عن الجادة، ومن بين أولئك القاديانية وطائفة أدعت كذبا بإمكان كذب الله - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - وكان من الطبعى أن يتصدى شاعرنا الفقيه لهؤلاء المبتدعين لهذه الفكرة فألف كتابا فى الرد عليهم تحت عنوان: "سبحان السبوح عن عيب كذب مقبوح" وقد أوضح شاعرنا أن هؤلاء -- مع ادعائهم بتوحيد الله تعالى - يعتقدون خطأ بهذه المسألة، أعتقد أن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان كان يرى أن هذه الطائفة بنى فكرها متشبعا بشئ مما مال إليه المعتزلة، وشاعرنا لا يميل إلى آراء المعتزلة بل ينتحى بفكره إلى رأى أهل السنة والجماعة، وبالتالى فهو يرى أن البعد من رأى أهل السنة هو خسران مبين(١)، علي أن المجال ليس إلا بحثا أدبيا، وقد عبر شاعرنا عن أسفه وموقفه من هذه الطائفة فى ثلاثة أبيات من مجزوء الكامل، ولنسمع إليه حيث يقول:

"خسر الذين بالاعتزا ل وبالتوهب جاؤا

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٤٧، ١٤٨.
وانظر: سبحان السبوح، للشيخ أحمد رضا خان (نورى كتب خانه لاهور سنة ١٣٧٧هـ)، ص ٤٧.

Marfat.com

ذا أهـــل توحيـــد ذا ك موحد غـــــواء

نعم القلوب تشـــابهت فتناسب الأســـماء"

وعن هذه الأبيات الثلاثة التى أوردها شاعرنا ضمن كتابه المشار إليه ما وقع فيه من اختلاف فى الجزء الثالث من ديوانه الأردى يقول الأســـتاذ حـــازم محمـــد محقق بساتين الغفران (الديوان العربى للشيخ أحمد رضا خان)[١]: قد درجت هـــذه الأبيات ضمن الجزء الثالث من ديوان حدائق بخشش [حدائق العطـــاء]... وعنـــد مراجعتى إياه وجدت هناك اختلافا فى بعض ألفاظ الشطرة الأولى من البيـــت الأول وكذلك الشطرة الأولى من البيت الثالث، وهما كالآتى:

" تعسا لمن بـالاعتزا ل وبالتوهب جـاؤا

تشـــابهت قلوبـــــهم فتناسب الأســـماء"

وفى ضوء هذا يتجلى لنا الدافع الحقيقى من وراء إقدام شاعرنا على تنـــاول الهجاء غرضا فى منظوماته العربية، فهو يقدم علي هجاء من جاءوا بمـــا ينـــافى الشرع الحنيف.

وعندما لم يجد شاعرنا استجابة من هؤلاء الناس للرجـــوع إلـــى الصـــواب وأعلنوا تمسكهم بأقوالهم المنافية للإسلام - وجدناه فى هجائه يتخذ لونا آخر، وهـــو ما اتفقت عليه آراء علماء أهل السنة والجماعة من إعلان فتواهم بضلال هـــؤلاء، وقد عبر شاعرنا عن هذا الإجماع فى رباعية من بحر الوافر يقول فيها[٢]:

"فكفر فوق كفر فوق كفر كأن الكفر من كثر ووفـــر

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٩٢.
وانظر سبحان السبوح، للشيخ أحمد رضا خان، ص ١٠٣.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٩٢.

Marfat.com

كماء آسن فى نتن وفـــر تتابع قطرة من ثقب كفـر"

وقد فسر ما نظمه شاعرنا باللغة العربية قـــائلا: "إلا أن الأئمـــة المحققيـــن، والعلماء المتورعين لا يكفرونهم بل يكتفون بالتضليل، وهذا هو الصـــواب، وهـــو الجواب وبه يفتى، وعليه الفتوى، وهو المذهب، وعليه الاعتماد، وفيـــه الســـلامة، وفيه السداد".

وفى ضوء هذا نرى ما كان لشاعرنا من اقتداء بما سبقه من علماء الأســـلاف مع اجتهاده، فهو فى هذه المسألة يأخذ بقولهم ويعدهم من الضـــالين دون أن يـــأخذ برأى القائلين بكفرهم، وهذا يبين لنا الوسطية التى كانت تميز شخصية شاعرنا.

ومما يؤكد قولنا أننا نجده يشير إلى معتقدات معاصريه الذين سلكوا طريـــق المعتزلة فنجده يقول باللغة العربية كذلك(١): "إن الإمام فخر الدين الرازى ذكر فـــى تفسيره عند تفسير قوله تعالى: **إن الله لا يظلم مثال ذرة** (٢). إن المعتزلة قـــالت: الآية تدل على أنه تعالى قادر على الظلم لأنه تمدح بتركه، ومن تمدح بترك فعـــل قبيح لم يصح منه التمدح إلا إذا كان هو قادرا عليه، ألا ترى أن الزمن لا يصـــح منه أن يمتدح بأنه لا يذهب الليالى إلى السرقة، والجواب أنه تعالى تمدح بأنـــه **لا تأخذه سنة ولا نوم** (٣) ولا يلزم أن يصح ذلك عليه، وتمـــدح بأنـــه ؛ **لا تدركـــه الأبصار** (٤).

---

(١) سبحان السبوح، للشيخ أحمد رضا خان، ص ٥٧.
(٢) سورة النساء ٤/٤٠.
(٣) سورة البقرة ٢/٢٥٥.
(٤) سورة الأنعام ٦/١٠٣.

Marfat.com

وفى ضوء قوله هذا نرى أن هؤلاء اعتمدوا على ما نقله الإمام فخر الدين الرازى من أقوال وقد أشار شاعرنا إلى هذا حيث يقول(١):

"هم آمنو بظلم مليكهم ذا قائل بكذب إلهه

لاغرو فيه إذا القلوب تشابهت فالشبه نزاع إلى أشباهه"

هكذا تجلى لنا أن شاعرنا الفقيه قد وهب نفسه للوقوف ضد الخارجين عن إجماع أهل السنة، واتبع منهجا مستنيرا فى ضوء إجماع علماء الأمة من السلف الصالح وآراء اجتهادات معاصريه، وما كان يبتغى من وراء عمله هذا إلا وجه الله تعالى وإصلاح المجتمع المسلم، والذود عن العقيدة الصحيحة لأهل السنة والجماعة.

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢٠٤.

Marfat.com

الوقفة الثالثة

فى هجاء أشخاص لم يذكرهم باسم

نظم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان سبعة وعشرين بيتا على مرحلتين فى هجاء أناس لم يذكرهم باسم كعادته وكل ما عرفناه عنهم أنهم من المعارضين لمولانا فضل الرسول البدايونى، وقد وردت هذه الأبيات ضمن القصيدة الثانية المسماة بالاسم التاريخى - بحساب الجمل - "مدائح فضل رسول" والتى نظمها فى مدح مولانا فضل الرسول البدايونى(١) وتبدأ هذه الأبيات فى الهجاء بالبيت الحادى والثمانين حتى البيت التسعين، ثم من البيت السادس والأربعين بعد المائة إلى البيت التاسع والخمسين بعد المائة، ويبدأ شاعرنا هذه الأبيات ببيان تعجبه ممن يعارضون ممدوحه مولانا فضل الرسول البدايونى، هذا العالم الجليل الذى أجمع أكابر العلماء على أنه كان إماما لأهل السنة لايدانيه أحد فى عصره، ثم يشير إلى أن هؤلاء المعارضين ما هم إلا أناس من العامة وهم يحسدونه على مكانته التى حباه الله بها، ونجده وكأنه يشير إلى حديث أشراط الساعة وفيه يقول النبى - صلى الله عليه وسلم -(٢) ردا على سؤال جبريل - عليه السلام - عن أمارات الساعة: **"وإذا رأيت الحفاة العراة العالة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها وإذا رأيت**

---

(١) أشرنا إلى بيانات هذه القصيدة واسم بحرها فى الفصل الأول من الباب الثانى.

(٢) صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى، ج ١، ص ٢٠.

Marfat.com

رعاء البهم يتطاولون فى البنيان فذاك من أشراطها" وفى هذا يقول شاعرنا(١) مستهلا أبياته فى الهجاء ضمن القصيدة التى أشرنا إليها آنفا:

"ياللحيا وأرى عراة عالة يتطاولون عليه فى البنيان
خبطوا فليس عرى السدادتهى بتجاذب فى الفأر والغربان"

ونلحظ فى الشطرة الثانية من البيت الثانى أن شاعرنا يهجو هؤلاء المخالفين ويشبههم فى أعمالهم بالفأر والغراب، ومن المعلوم للجميع مدى الفساد الذى يقع من هذا الحيوان، وعندما نطالع ما أورده شاعرنا فى حاشية هذا البيت نجده يفسر الفأر والغربان بقوله(٢): "الفأر من فسقة سكان البيوت، والغربان من فسقة الأطيار فالمراد بالأول أهل التفريط وبالآخر أهل الإفراط، وهم على طرفين من العروة الوثقى يجذبها كل إلى جانبه ليوهنها ولكنها أوثقها الله تعالى" وهى وجهة نظر الشاعر وبعد هذا يصف لنا الشاعر حالة المهجوين بأن اتباعهم لآراء غير سليمة يعد عارا عليهم، وضع الشاعر هذه الأفكار كأنها حبال ربطت بأنوفهم تجرهم إلى فناء وذل، لأن هذه الأرسان من الفناء والذل، ولا ننسى أن هذه القيود قد وضعت فى أنفهم، ومن شأن من وضعت القيود فى أنفه أن يسحب بها على وجهه، ولعله كان يستحضر الآية الكريمة(٣) **ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين** ولا تبدو صورتهم مختلفة عن صورة الذى قيد بأشطان تمنعه عن سلوك طريق الإيمان، ولا شك أن كفره وعناده سبب فى ذلك، وإرادة الله – سبحانه وتعالى – فوق كل شئ، وفى استخدام الرسن والأرسان، والشيطان والأشطان من الناحية اللغوية والمقدرة على الصياغة ما فيه، مما يستلفت أنظار قراء الديوان إلى مقدرة شاعرنا الشيخ

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٧.
(٢) المرجع السابق، ص ٩٤.
(٣) سورة الأنفال ١٨/٨.

Marfat.com

أحمد رضا خان، تلكم المقدرة اللغوية والتى ما نلبث أن نشير إليـــها كلمـــا دفعنـــا التعبير إلى ذلك، ولنسمع إلى صوت شاعرنا حيث يقول(١):

"فتراهم رسنوا بأرسان البـلا والهون كالشيطان فى أشـطان

فأميرهم وبشيرهم ونذيرهـــم كـــل برمتـــه ربيـــط هـــوان

وكذاك سنة ربنا فيما مضـــى والحق أبلج عند أهل عيـــان"

ثم يشير شاعرنا إلى مروق المهجوين عن الدين حيث يقول: إنـــهم يـــرددون الشهادتين ولكن قلوبهم بعيدة عن الإيمان بهما والعمل وفق المنهج الحنيـــف فـــإن شغلهم الشاغل هو ذكرهم لكبيرهم، ومن الممكن أن يكون مـــراد شـــاعرنا بكلمـــة "كبيرهم" زعيمهم إن كان لهم زعيم، ولماذا لا يكون كبيرهم من ذكر فـــى البيـــت السابق، ولا عجب أن يكون الشيطان زعيما لمن نادى بأفكار تحيد عن الدين وعـــن جادة الصواب، ومن الممكن أن يكون زعيمهم هذا ما هو إلا شخصية وهمية، وكـــل ما فى الأمر أنه كان هناك من انحراف فكرة، وخروج عن الدين وأصبح كأنه حجر لا يضر ولا ينفع ولا يميز الخطأ من الصواب، شأنه فى ذلك شأن الأصنـــام التـــى كسرها خليل الرحمن سيدنا إبراهيم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فقد كسـر الأصنام جميعا إلا أكبر هذه الأصنام، لعل القوم ينتبهون ويرجعـــون إلـــى جـــادة الصواب حين يتبين لهم أن الصنم الذى لم يكسر لا يرد على من يسأله ولا تتـــأتى منه الشهادة على ما وقع بجانبه، بل كان من الممكن أن يكون التحطيم من نصيبـــه، ومع ذلك لا يدفع عن نفسه أدنى ضرر(٢). هذه نظرة الباحث إلـــى قـــول الشـــاعر

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٧.

(٢) أشارة إلى الآيتين الكريمتين:

(أ) **فراغ إلى ءالهتهم فقال ألا تأكلون، ما لكم لا تنطقون، فـــراغ عليـــهم ضربـــا بـــاليمين فاقبلوا إليه يزفون** سورة الصافات ٣٧/٩١ : ٩٤.

Marfat.com

"كبيرهم" حيث لا يوجد أى تعليق من الشاعر حول هذه الكلمة، وفـــى هـــذا يقـــول شاعرنا(١):

"يتلجلجون بقول أشهد أن كـذا والقلب بين الكفر والكفـران
ظلوا وباتوا يذكرون كبـــيرهم مطرين لعابين بالإيمـــــان"

وفى هذا يحضرنا حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو خير مثال لهذا النوع من الإنسان، فكأن شاعرنا اقتبس من هذا الحديث النبوى الشريف، يقـول حبيبنا المصطفى - صلى الله عليه وسـلم(٢): « **يـأتى فـى آخـر الزمان قـوم أحداث الأسنـان، سفهاء الأحلام، يقرؤون القرآن والقرآن لا يتجاوز تراقيـهم، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية** » قال أبـــو عيسى: "وفى الباب عن على وأبى سعيد وأبى ذر، وهذا حديث حسن صحيح، وقـد روى فى غير هذا الحديث عن النبى - صلى الله عليه وسلم - حيث وصف هـؤلاء القوم الذين يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم مـن الرمية، إنما هم الخوارج والحرورية وغيرهم من الخوارج".

وبعد هذا يشير إلى أمر مثير للأسف أنه وصل بالمهجوين الأمر إلـــى أنـــهم عندما يسمعون ذكر النبى - صلى الله عليه وسلم - يجعلون أصابعهم فى آذانهم.

(ب) وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين، **فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلـــهم إليـــه يرجعون** سورة الأنبياء ٢١/٥٧، ٥٨.

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٧.

(٢) سنن الترمذى للإمام أبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى (ط: شركة ومطبعة مصطفـــى البـــابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٨٢هـــ - ١٩٦٢م)، جـــ ٤، ص ٤٨١.

Marfat.com

إذا كان شاعرنا تحدث عن هؤلاء فشبههم بقوم سيدنا ابراهيم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فأرى أنه شبههم مرة أخرى بقوم آخرين مكذبين، معاندين، مستكبرين عرفوا بمدى تكذيبهم وإعراضهم عن نبيهم - على نبينا وعلى سائر الأنبياء والمرسلين أزكى الصلاة والتسليم - إنهم قوم نوح - عليه السلام - وقد وصفهم شاعرنا بصفة ملازمة لهؤلاء المعاندين، وهى وضع الأصابع فى الآذان وهذه الصفة سواء كانت حقيقية أو كناية عن البعد التام عن الهدى، فلا شك أن شاعرنا يعيب على هؤلاء الذين ينصح لهم، ويدعوهم إلى الجادة، ولكنهم فى إعراضهم وتمسكهم بآرائهم التى تخالف أهل السنة، إنما هم معاندون معارضون يستوى فى ذلك أن يصفهم بأنهم قوم سيدنا إبراهيم أو قوم نوح - على نبينا وعلى سائر الأنبياء والمرسلين الصلاة والتسليم - فالمهجوون على كل حال معاندون معارضون بعيدون كل البعد عن الهداية والطريق المستقيم - كما يتراءى للشاعر - وفى هذا يقول(١):

"وإذا ذكرت نبينا فإذا هم جعلوا أصابعهم فى الآذان
ما عندهم شوب ولا روب ولا خير ولا أثر من الإيمان"

وبعد هذا يكف شاعرنا نفسه عن الخوض فى هجاء المذكورين، حيث إن الهجاء ليس غرضا محببا إليه وهنا نجده ينصح نفسه بالالتفات إلى إصلاح عيوبه، ومما يلفت النظر أن أسلوبه فى هذه الأبيات التى نحن بصددها متسم بالتواضع الجم، فهو يبدو عند نظمه الهجاء رجلا متواضعا خاشعا ربه شأنه فى ذلك شأن الشعراء الذين تسلحوا بالعلوم الدينية واتصفوا بالخشية الإلهية، وهذا ما يميزه عن

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٧.

Marfat.com

الشعراء الهجائين الذين وهبوا حياتهم لهذا الغرض ولم يقفوا عند حدود الدين الحنيف فيما نظموا، وفى هذا يقول شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان[١]:

"قم يا رضا لا تغش أهل غشاوة ذرهم وما هم فيه من خذلان

اشغل بنفسك أنت أجنى من جنى كم من معاب هن ونصح فلان

تب يا أثيم فقد أظل زمانة يمحى بها جم من العصيان"

نلاحظ أن كلامه "تب يا أثيم" متوجه إلى نفسه أولا باعتبار أنه كان يتحدث إلى نفسه وإلى المؤمنين عامة بأن كل مؤمن مطالب بالتوبة إلى الله - سبحانه وتعالى - على حد التعبير الأسمى الذى ورد فى القرآن الكريم[٢] **وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ومن الممكن أن يكون قوله "تب يا أثيم" متوجها إلى الجماعة التى سبق أن تحدث عن فكرها وانحرافها.

إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بعد هذا التواضع وتوجيه النصيحة إلى نفسه بالإصلاح والتوبة إلى الله تعالى انتقل إلى غرض آخر - غير الهجاء - إلى أن وصل شاعرنا إلى البيت السادس والأربعين بعد المائة، وفيه عاود هجاء هؤلاء مرة أخرى فيقدم على هجاء الحساد والمعارضين لممدوحه مولانا فضل الرسول البدايونى وذلك بعد الإشارة إلى مزايا ممدوحه ومراتبه الرفيعة فيقول[٣]:

تلك العلى تلك المكارم حقة لاما ادعته عشيرة الإدهان

غروا وغروا غيرهم بلسانهم هذا اللسان وأين من برهان

هذا المقام فهل قيام ثابت هذا المكان فهل من استكمان

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٦، ٨٧.
(٢) سورة النور ٣١/٢٤.
(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٨١.

Marfat.com

ففى هذه الأبيات يشير شاعرنا إلى ما كانت تتمتع به شخصية ممدوحه من العلى والمكارم، تلك المكارم التى حسده عليها معارضوه من أهل النفاق - حسب تعبير شاعرنا - الذين يعيشون حياتهم فى خداع لغيرهم، فهم يقولون ما لا يفعلون، وقد نهى الله تبارك عن ذلك، وإلى هذا النهى يشير بقوله تعالى(١): **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون** بل إنهم يقولون دون الاستعانة بالحجة والبرهان، ثم يشير شاعرنا متأسفا على حالة هؤلاء الحساد قائلا: إن هؤلاء الناس يعرفون بالنتن الذى أثاره الحقد وزيغ العقيدة فى نفوسهم، وفى هذا يقول(٢):

"أعمالهم أقوالهم أشغالهم كل على بعد من القرآن
هم يعرفون بنتن مافيهم كما بالعرف يعرف عارف حقانى
الرفض فى جلواتهم والشرك فى خلواتهم والكفر فى الإجنان"

ومن هنا نستطيع أن نعرف مدى كراهية شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان لأهل النفاق حيث يشعر بالنتن الناشئ منهم، ثم يقول عن هؤلاء الناس: إنهم يدعون أن عبادتهم لله تعالى إلا أنه تعالى غاضب عليهم، ومن العجب أنهم مع هذا يدعون لأنفسهم سيادة الإنسانية، ويزعمون أنهم هداة ورواد، وأن تنفيذ أوامر الله - سبحانه وتعالى - لا تكون إلا بمساعيهم ووجودهم، ويقول: إن ظنهم هذا - على عكس أعمالهم وحسدهم المكنون فى أسرارهم - أداهم إلى التهلكة، وفى هذا يقول(٣):

"دانوا المقيت بمقته ومقالهم مع ذاك إنا سادة الإنسان

---

(١) سورة صف ٢/٦١، ٣.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٨٢.
(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٨٢.

Marfat.com

خذلو الشريعة ثم هم سبل الهدى وبهم قيام الدين فى الأزمـان

هــذاك ظنـــهم الـــذى أرداهـــم والظن لا يغنى من الإيقــان"

وفى الشعر الأخير اقتباس واضح من الآية القرآنية: **وذلكم ظنكـــم الـــذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين** (١) وبعد هذا يشير شاعرنا إلـــى أن من ينصر الدين الحنيف ليس بفاجر، ولا غنى عن الشريعة الإسلامية والتى عـــبر عنها الشاعر بقوله: "نظام دين الله" ثم يحذر المسلمين عاقبة الإنصات إلى المهجوين فيقول: إن من يستعذب أفكارهم ومشربهم لا يجد يوم القيامة غير الحميم، ولا ينجـو باتباعهم سنبلى أو سنانى، لأن شريعة الله لم تأت لمكان معين بل أتـــت للمعمـــورة كلها، وإلى سائر العباد، ونلاحظ أن قول شاعرنا: "نصير دين الله" و "نظام دين الله" فيه من البديع ما يعرف بالتورية، لأن هاتين الكلمتين لكل منـــهما معنيـــان، الأول كلتاهما علم على عالم من علماء المسلمين، وهما من كبار الأولياء الصالحين - كما يعرفهما المسلمون فى الهند - ومن أولئك الذين تولوا نشر الدين ومناصرتـــه فـــى شبه القارة الهندية، وبالطبع هذا المعنى غير مراد، لأن كل العالمين كان فى ضمـن المعنى، وأما المعنى الثانى وهو المراد فهو مناصرة الدين والمحافظة على نظمـــه وتقاليده، وفى هذا يقول(٢):

"فنصير دين الحق ليس بفـاجر ونظام ديـــن الله غـــير ددان

ما مذنب يجلو لديـــه مذاقـــهم إلا أذيق من الحميـــم الآنـــى

---

(١) سورة فصلت ٢٣/٤١.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٨٢.

Marfat.com

مـــا يقتفيـــهم ســـنبلى أوشـــنا نى فينج بسنبل وشـــــنانى[١]

إذ أن حكم الله ليس بقـــــاصر والشرع جاء لسائر العمـران"

وبعد هذا يعود شاعرنا مرة أخرى إلى نصح نفسه والتواضع لله – ســـــبحانه وتعالى – فإنه لم ينظم الهجاء لهواه وإنما نظمه ليكسب رضا مولاه – جل جلاله – بإسداء النصح للمهجوين وتحذير المسلمين من هؤلاء المارقين عن الإسلام – كمـــا يراهم شاعرنا – فينصح نفسه قائلا: اسكت يا رضـــــا ولا تحـــزن علـــى هـــؤلاء المعاندين مركزا عليهم حتى لا تطير بك رياح الأحزان، بل استمر فى النصح وفى أعمالك العلمية الدينية، ولنسمع إليه حيث يقول[٢]:

"صه يارضا لا تكترث لحثالـة ستطير فى نسم ونسـمان"

ومن هنا نستطيع أن نعرف مدى كراهية شاعرنا للبـــدع والمبتدعيـــن، كمـــا لاحظنا تواضعه لله – سبحانه وتعالى – وسخطه على أهل النفاق، وهذا ما تجلى لنا من أسلوبه فى أشعاره التى أوردناها هنا، ومع هذا لم نستطع أن نعرف المـــهجوين بالضبط، ولكننا استطعنا أن نعرف حب شاعرنا للشريعة وبغضه للخروج عليـــها، كما تجلى لنا من خلال هذا الهجاء حب شاعرنا للسالكين سبيل الهدى والمتمســـكين لطريق السلف الصالح من العلماء والمشايخ، ومن هنا تتضح دوافع المدح والـــهجاء لدى شاعرنا العالم الدينى، والشاعر العربى السائر على الشـــريعة، وبـــهذا ينتـــهى نصيب الهجاء فى هذه القصيدة وإن كانت القصيدة لم تنته بعد حيث ينتقل بعد ذلـــك إلى غرض آخر غير الهجاء.

---

(١) يقول شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان: سنبلى، نسبة إلى سنبل – بالفتح – اسم موضع فى مملكـــة الروم، وشنانى – بالكسر – اسم واد بملك الشام، المرجع السابق، ص ٩٩ (حاشية).

(٢) المرجع السابق، ص ٨٢.

Marfat.com

الوقفة الرابعة

مقطوعته وبيته المفرد فى الفرق الزائعة

لم يكن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان يغفل عن مسئولية إصلاح الناس سواء كان الإصلاح فى أمور السياسة - كما سبق أن ذكرنا - أو فى أمور شابت العقل واختلطت بالركن الخاص بالعقيدة فأساءت إلى فكر صاحبها وأظهرته وقد اختلطت عليه الأمور مما أصابه بالانحراف فى عقيدته، فكان شاعرنا دائما يستحضر فى ذهنه قول الحق عز وجل[1]: **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** فلم يكن يقبل على نظم الهجاء أول وهلة بل كان يسلك مسلك النصح وإجلاء الحقائق وتوضيح ما عمى على ذلك الذى حاولت الرياح أن تلقى به بعيدا عن طريق الهدى والرشاد، فإذا وجد مخاطبه متشبثا بزيغه ومصرا على اعوجاجه قام بالرد عليه نثرا فى حين ونظما فى حين آخر، رغبة فى إصلاحه بعد إذاقته بعض مرارة الهجاء، كما كان يرغب فى إنقاذ الآخرين من فكر المهجو، وقد نظم شاعرنا بيتين عربيين ضمن منظومة باللغة الأردية تحت عنوان: "فى الرد على المذاهب الزائغة" وفيها قام شاعرنا بتحذير المسلمين من المهجوين المصابين بالفساد فى عقيدتهم ولعله اختار أسلوب التشبيه فشبههم "بالغرابيب السود" ومن هنا نرى اقتباس شاعرنا من الآية الكريمة ؛ **ومن الجبال جدد بيض وحمر**

---

(١) سورة النحل ١٦/١٢٥.

Marfat.com

مختلف ألوانها وغرابيب سود [١] وبالتالى راح يمثل أحدا منهم بأنه مصر على الشر ويائس. عن الخير، وراغب فى الزيغ، ومبتعد عن الحق، وفى هذا يقول[٢]:

"غرابيب سود فيافى ظلمت أفاعى بهم شعايب عناهب
على الشر ناكس من الخير آئس إلى الزيغ راغب عن الحق ناكب"

نلاحظ فى هذين البيتين نوعا من البلاغة ما يعرف بفن التقسيم، ولنا وقفة مع كلمة "فيافى ظلمت" كان من الممكن أن تكتب بالتاء المربوطة وليس بالتاء المفتوحة، ولعل شاعرنا كتب بالتاء المفتوحة ايثارا للسكون الذى تحضنه ويحضنها، وتبقى تحت ظله دائما، ولكنه نسى أنه من الممكن أن تكون أيضا بالتاء المربوطة ويوقف عليها، ولكننى مع كل هذه الاحتمالات أعتقد أن هذا ربما يكون خطأ مطبعيا فإن الخطاطين يكتبون هذه الكلمة بالتاء المفتوحة فى الخط الأردى، وأغلب الخطاطين لا يعرفون اللغة العربية ودقائقها.

هذا ونظرا لاشتمال البيتين على مفردات تحتاج إلى نظرة إلى معانيها لذلك يحسن بنا أن نعرض لها من الناحية اللغوية، وفيما يلى هذه المفردات بمعانيها.

غرابيب: جمع غربيب يقول الزبيدى[٣]: (والغربيب بالكسر) ضرب من العنب بالطائف، شديد اللون، وهو (من أجود العنب) وأرقه وأشده سوادا (و) فى الحديث إن الله يبغض (الشيخ) الغربيب، وهو شديد السواد، وجمعه غرابيب، أراد الذى لا يشيب، وقيل أراد الذى (يسود شيبه بالخضاب و) يقال (أسود غربيب) أى (حالك) شديد السواد، (وأما) إذا قلت (غرابيب سود فا) ن (السود بل) من غرابيب (لأن توكيد الألوان لا ينعدم).

---

(١) سورة فاطر ٢٧/٣٥.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢١٥.
(٣) تاج العروس للزبيدى، جـ ١، ص ٤١٠.

Marfat.com

أما كلمة "شعايب" فأراها خطأ مطبيعا وأعتقد أن شاعرنا جاء بكلمة "شعانب" جمع شعنب وفى معنى هذه الكلمة يقول ابن منظور والزبيدى[١] يقال للتيس "إنه لمعنكب القرن" وهو الملتوى القرن حتى يصير كأنه حلقه، والشعنب المستقيم، وقال النصر: الشعنبة أن يستقيم قرن الكبش ثم يلتوى على رأسه قبل أذنه".

أما كلمة (عناهب) فأراها أيضا خطأ مطبعيا، وأحسبها عياهب جمع عيهب، يقول ابن منظور والزبيدى[٢] (العيهب) من الرجال (الضعيف عن طلب وتره) بكسر الواو"

ناكس: يقول فى معناها ابن منظور[٣]: النكس قلب الشئ على رأسه ... ونكس رأسه: أماله ... والنكس: المطأطئ رأسه" وبقيت كلمة نكب فيقول ابن منظور مبينا معناها[٤]: نكب فلان عن الصواب ينكب نكوبا: إذا عدل عنه".

ومن هنا نستطيع القول: إن شاعرنا وصف حالة المهجوين المجهولين جماعة فى البيت الأول فوصفهم بشدة سواد الضلالة وفيافى الظلمة، وبالأفاعى الأقوياء الضارين للإنسان والتيس المعنكب، كأن فى أعناقهم طوق الضلالة، وفى البيت الثانى أقدم على تصوير حالة أحدهم بأنه مصر على الشر، ويائس عن الخير، وراغب فى الزيغ، ومبتعد عن الحق، وكل هذا أثار القلق والحزن فى قلب شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان، فاندفع ينظم هذين البيتين للتنفيس عن قلقه، ومحاولة إصلاح أولئكم المصابين بالضلالة، عسى أن يتنازلوا عن أفكارهم الزائغة.

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، جـ ٢، ص ٥٠٤. وانظر تاج العروس، للزبيدى، جـ ١، ص ٣٣٢.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، جـ ٢، ص ٦٣٢، وانظر: تاج العروس، للزبيدى، ج ١، ص ٣٣٢.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، جـ ٩، ص ٣٤١.

(٤) المرجع السابق، جـ ٢، ص ٧٧٠.

Marfat.com

هذا وقد نظم شاعرنا بيتا فى تحذير الناس من إسماعيل الدهلوى الذى بـــدرت منه بعض عبارات معارضة لشريعة الإسلام، مما دفع الكثيرين من علمـــاء أهـــل السنة للقيام بالرد عليه، ومن بينهم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان، ولما لـــم تكـــن عباراته ذات الصلة بالأدب العربى وموضوع الكلام، وإنما هى مناقشات فى علـــم التوحيد رأيت أن أكتفى ببيت الشعر الذى سأعرض له، ومن هذا البيت نســتطيع أن نعرف مدى شدة الرغبة لدى شاعرنا فى عودة المصابين بالفساد – على يد المهجو – إلى جادة الصواب، الأمر الذى يبرهن على صدق نية شاعرنا فـــى الإصـــلاح أيضا، وفى هذا يقول(١):

"أنى لكم إلى الهدى تحويـل قد أشرب فى القلوب إسـماعيل"

فكان الشاعر مترقب الهداية لمخاطبيه الذين أشـــربوا حـــب المـــهجو، وإن شاعرنا لم يمتنع عن تذكيرهم إعوجاجهم، والقيام بمحاولة إصلاح هؤلاء الساذجين، ولم يزل شاعرنا طول حياته يدعو الناس إلى ســـبيل ربـــه بكـــل قلبـــه بالحكمـــة والموعظة الحسنة، كما كان يحذر المسلمين من الوقوع فى مهاوى زيـــغ العقيـــدة، والفساد فى السلوك.

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢١١.

Marfat.com

الوقفة الخامسة

قصيدته فى الخارجين على إجماع أهل السنة والجماعة

نظم شاعرنا قصيدته التى نحن بصددها فى العام الثامن عشر من القرن الرابع عشر الهجرى، وقد سجل شاعرنا عام نظم هذه القصيدة - بحساب الجمل - وهو: "آمال الأبرار وآلام الأشرار" وكان دأب شاعرنا - فيما سبق من أكثر المنظومات - أن يأتى بالشطرة الدالة على التاريخ فى آخر المنظومة ولكنه عند اختياره العنوان لهذه القصيدة جاء بالاسم الذى يضم التاريخ للعام الذى قيلت فيه، فلا أدرى هل هو مجرد التغيير أو إعلان الشاعر منذ البداية عما فى نفسه بجعل التاريخ فى عنوان القصيدة، وهذه ليست جديدة فإن شاعرنا قد سبق أن انتهج بهذا المنهج فى القصيدتين نظمهما فى مدح مولانا فضل الرسول البدايونى، وفى هذا العنوان لون من البديع، فالإسم يحتوى على أربع كلمات، فنجد بين الكلمة الأولى والثالثة جناساً ناقصا، وبين الكلمة الثانية والرابعة كذلك جناسا ناقصا، ومن ناحية أخرى توجد فى اسم القصيدة المقابلة حين قابل شاعرنا بين معنيين بين "آمال الأبرار وآلام الأشرار".

نظم شاعرنا هذه القصيدة من البحر الوافر فى هجاء بعض الفرق المخالفة لإجماع أهل السنة والجماعة في رأيه، وكانت هذه الفرق الثلاثة المعاصرة لشاعرنا الشيخ أحمد رضا خان موضع نقده وهجائه، الدهرية، والشيعة والطائفة الثالثة أسموها بالخوارج لخروجها عن مذهب أهل السنة والجماعة، ونظرا لأن المقام مقام أدبى يميل إلى الحديث عن جمال العبارة ولطافة التركيب، وظرف التعبير، وإصالة الجملة لذلك لا نرى أن نتناول عقائد هذه الفرق لا سيما وإن شاعرنا لم يشر إلى ذلك، إذ لا داعى لتعرضنا لما لا يجب التعرض له، ونحن مع شاعرنا نعرض لما بدر وبدا من كلامه ونقلع مبتعدين تمام البعد عما تجاوزه وابتعد عنه، وعليه فنبدأ قولنا عن هذه القصيدة، تشتمل هذه القصيدة على سبعين ومائة بيت وقد تردد شاعرنا فى هذه الأبيات، وخاض بها ميادين من القول عدة، ولكنها تفضى إلى

Marfat.com

غرض واحد، نراه وقد ذم الدنيا فى أبياته العشرة الأولْ، وقد اتخذ شاعرنا هذه الأبيات العشرة مدخلا من خلال إقدامه على نظم الهجاء، وذلك إن دل على شئ فيدل على أن إقبال شاعرنا على نظم الهجاء لم يكن لأغراضٍ شخصية بل كان بسبب إقدام المهجوين على الدنيا وبالتالى بسبب عدم تمسكهم بالدين، وبعد هذه الأبيات العشرة مال شاعرنا إلى جمعية الندوة وأهلها محل هجائه مستغرقا ذلك ثلاثة وتسعين بيتا، ثم التفت بشعره إلى اؤلئك الذين ساروا سيره واتبعوا منهج الدفاع الذى يدافع به مادحا هؤلاء اللفيف الطيب من أهل الخير والبركة إشارة منه إلى وصف المهجوين بما هو يضاد أوصاف الممدوحين على نحو ما ذكرنا فيما سبق، وقد قطع فى ذلك شوطا ليس بقليل، لقد بلغت أبيات المدح هذه ثمانية وستين بيتا وذلك من البيت السابع والخمسين إلى البيت التاسع عشر بعد المائة.

نجد شاعرنا يستهل قصيدته هذه بذم الدنيا ومن يقبلون عليها من الدهريين الذين سعوا لنشر مذهبهم بين سكان شبه القارة فى عصر شاعرنا، ونجده يذكرهم بأن هذه الدنيا التى يقبلون عليها لا تنفعهم فى شئ فإنها ليست إلا دار انتقال كما نجده يأسف أشد الأسف على هؤلاء، ويشبه واحدا منهم بالكبش الذى يسوقه الجزار بكل قوة إلى حيث يذبح ويسلخ، ولا مجال دون هذا، والمقصود من الجزار هنا تلك الدنيا التى تغرى من يقبلون عليها، وأرى أن الدنيا تتمثل فى الشيطان الذى أوعز لهم بهذه الأفكار التى توردهم موارد ما سوف يلقاه الكبش، ثم يقدم شاعرنا على بيان حالة أخرى لمن يتمسك بهذه الدنيا ولا يطلب سواها ويقول: إذا كنا رأينا طالب الدنيا يجر إلى التهلكة جرا وهو فى غبطة وسرور. زاعما أنه يخطو نحو تحقيق أحلامه، فهناك نوع آخر من طالب الدنيا الذى يجرى بأرجله واختياره وإرادته إلى حتفه الذى يسرع إليه حيث لا شعور ولا إدراك، ويعادى من ينبهه على مصيره ويرشده إلى الطريق الصحيح، وفى كل هذا نجد شاعرنا واعظا وناصحا وهاديا لطريق الرشاد ومذكرا به، وفى هذا يقول شاعرنا(١):

هى الدنيا تبيد ولا تفيد
فأف لمن يريد ومن يرود

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١١٦.

Marfat.com

نفـــــوس الجـــــهل تائقـــــة إليـــــها
فملتمـــــس وآخـــــر مســـــتزيد
حنيـــــن بنيـــــن للمصبـــــى فـــــهذا
يمـــــص وذا ئيـــــن وذا كميـــــد
ولـــــم أر مثـــــل طالبـــــها غبيـــــا
و لا كبشـــــا لمذبحـــــه أقـــــود
يبـــــاري جـــــهده إن اســـــتطاعا
تفلـــــت وهـــــو عـــــن كلـــــئ شـــــرود
وذا المســـــكين يعـــــدو نحـــــو موتـــــه
بأرجلـــــه ويحقـــــد مـــــن يحيـــــد

إننى أستلطف أربعة أبيات وأراها أكثر جاذبية عن بقية الأبيات التى نظمها شاعرنا فى ذم الدنيا، وأتخيل أننى لو حاولت أن أكتب رقعة عن ذم الدنيا لاختصر بعض تصرفاتـــها فلا أجد خيرا من رقعة أكتب عليها الأبيات الأربعة المتتالية وهى كالآتى:

هـــــي الدنيـــــا تبيـــــد ولا تفيـــــد
فـــــأف لمـــــن يريـــــد ومـــــن يـــــرود
ولـــــم أر مثـــــل طالبـــــها غبيـــــا
و لا كبشـــــا لمذبحـــــه أقـــــود
وذا لمســـــكين يعـــــدو نحـــــو موتـــــه
بأرجلـــــه و يحقـــــد مـــــن يحيـــــد
نفـــــوس الجـــــهل تائقـــــة إليـــــها
فملتمـــــس و آخـــــر مســـــتزيد

Marfat.com

نلحظ أن شاعرنا يقرر الحقيقة بأسلوب ألطف، وهذا من أجود ما كتب عن الدنيا، تحدث فيها عن الدنيا حديث المطمئن لسوء العاقبة للذى يجرى وراء الدنيا، وتشعر أيها القارئ الكريم أن الشاعر يتفلسف ويبحث عن الحكمة ويقررها فى أبيات أربعة بأسلوب من أحلى ما يمكن، ويجوز لى بعد أن أقرأ هذه الأبيات أن أصف كاتبها بأنه "شاعر حكيم".

نرى كيف قام شاعرنا ببيان حالة نوعين من طالبى الدنيا يجر أحدهما إلى التهلكة جرا والآخر يجرى بنفسه حيث يكون حتفه، والآن يبين لنا الشاعر معاملة الدنيا مع هذا الرجل البليد حيث إن الدنيا تذبحه ولكن هذا الغبى لم يدرك ما أصابه وذلك رغم التنبيهات أيضا، يصور شاعرنا حالة هذا المصاب بالدنيا قائلا(١):

تذبحه البغى وذا الغبى
برقص مسرة أن جد جيد
وهذا إن يجد برد العذاب
يصح كلا أما فى الناس جيد
وإن تخبره أن الجيد جيدك
يفه أتت العذاب لها برود
وإن يسمع سأرهقه صعودا
يقل بخ بخ أتيح لى الصعود

نرى كيف قام شاعرنا بذم الدنيا وهجائها، الدنيا التى تراود أهل الغفلة من البلهاء والأغبياء وتدعوهم إلى التهلكة تحت ستار الملذات، وفى البيت العاشر نجد شاعرنا يقتبس من الآية القرآنية حيث قال الله تبارك وتعالى متوعدا منكر آياته(٢): **سأرهقه صعودا** ومهجو شاعرنا اغتر بظاهر الآية ووجهها توجيها غير ما قيلت

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١١٦.
(٢) سورة المدثر ١٧/٧٤.

Marfat.com

فيه، فأخرج القرآن عن معناه وقال فرحا: "بخ بخ" على ما زعمه من أن التجـــارة رابحة، فأخذ المهجو معنى العلو من كلمة الصعود ولكنه تغافل عن كونه جبلا فـــى النار كما أشار إليه شاعرنا فى الهامش قائلا(١): "سأرهقه صعـــودا" روى الثعلبـــى والبغوى عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله تعالى عنه - عن النبى - صلـــى الله عليه وسلم - فى قوله تعالى **سأرهقه صعودا** قال: **"الصعود جبل من نار يتصعد فيه [الكافر] سبعين خريفا ويهوى به كذلك منه أبداً"**(٢).

انتقل شاعرنا بعد هذا التمهيد البسيط إلى الغرض الأساسى الذى نظم لأجلـه هذه القصيدة، ألا وهو هجاء الفرق المجتمعة فى جمعية الندوة تلك الفرق التي لـــم يكن شاعرنا كغيره من علماء الدين الحنيف مطمئنا لأفكارها المعينة، ويرى الباحث أن الشاعر كان يهدف إلى إصلاح ما يراه خطأ، لم لا فقد كان شاعرنا واحدا مـــن علماء العقيدة بالإضافة إلى كونه شاعرا، لقد عرف الباحث من خـــلال المراجـع المتعلقة بالشاعر موضوع البحث أن الخلافات بينه و بين المهتمين بجمعية النـــدوة كانت شديدة، ومن هناك كان النقد شديدا من الناحيتين، ولا يريد الباحث أن ينشـــغل عن الحديث الأدبي بالخوض في هذه الخلافـــات والنقـــد المتبـــادل بيـــن شـــاعرنا والمهتمين بجمعية الندوة، لذا قرر الباحث أن لا يتناول الأبيات التي تبـــدو شـــديدة اللهجة ويأتي بنموذج بسيط من قصيدته في هجاء الخارجين على إجماع أهل السنة، لقد هجاهم هجاء مرا إلا أن شاعرنا حريص كل الحرص على عودة هـــؤلاء إلـــى الصراط المستقيم، وقد استخدم معهم أسلوب الهجاء من أجل هذا الهدف، ثم نجـــده ينتقل إلى أسلوب آخر حيث يبين لهم نتيجة هذا الطريق الذى يسلكونه فيقول: تركتم دينكم أيها المشغوفون بالدنيا من أجل متاع الدنيا الزائل إلا أن النتيجة هـــى ذهـــاب الدين عنكم، ولم تتمكنوا من تحقيق ما تمنيتم بل إن الدنيا لم تقبل بخيراتـــها عليكـــم

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٢٦.

(٢) مصابيح السنة، للإمام أبى محمد الحسين بن مسعود البغوى، تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمـــن المرعشلى، محمد سليم إبراهيم سماره وجـــال حمـــدى الذهبـــى، (ط: دار المعرفـــة، بـــيروت، ١٤٠٧هـــ).

Marfat.com

و هذا بابها القديم فإنها تطرد من يبتغيها وتموت شوقا لمن يطردهـــا، ولكنكـــم لـــم تدركوا حقيقتها، أليس فيكم رجل رشيد؟[١] وفى هذا يقول شاعرنا[٢]:

"تركتـــــــم دينكـــــــم لحصـــــــول دنيـــــــا
فـــــــراح ولـــــــم يجـــــــئ فبـــــــدا البيـــــــود
وذا شـــــــأن البغـــــــى تمـــــــوت شـــــــوقا
لطاردهـــــــا وتطـــــــرد مـــــــن يريـــــــد
ألا فعلـــــــــى عقولكـــــــــم العفـــــــــاء
ألـــــــم يـــــــك منكـــــــم رجـــــــل رشـــــــيد"

وامتدادا فى تذكير المهجوين بالنتائج التى حلت بهم يقول شاعرنا: لعمـــر الله إنكم أيها اللاهثون وراء الدنيا خسرتم حظكم دينا ودنيا، فلم يضء القلب بالرشد ولـم يعمر بالهداية، كما أن الدنيا قد ضاعت من بين يديكم، ولم تحصلوا منها مـــا كنتـــم تبتغون، ثم يخاطب أحدهم وكأنه يتوجه إلى الجميع قائلا: افترض أنك حصّلت مـــالا كثيرا وأصبحت قارون عصرنا، فهل تحسب الخلود لنفسك أو لمالك؟ وفـــــى هـــذا يقول[٣]:

"خســـــــرتم حظكـــــــم دينـــــــا ودنيـــــــا
لعمـــــــــر الله ذالخســـــــــر الجريـــــــــد[٤]

---

(١) هنا اقتبس شاعرنا من الأية القرانية: **وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبـــل كـــانوا يعملـــون السيئات قال يقوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجـل رشيد** [سورة هود ١١/٧٨].

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١١٨.

(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١١٨.

(٤) يقول شاعرنا شارحا معنى كلمة "الجريد": أى الخالص المتجرد من غيره أو التام المجـــرد عـــن النفس كعام جريد أى تام"، المرجع السابق، ص ١٢٨.

Marfat.com

فـــــلا قلـــــب لـــــــه حـــــــال رشـــــــيد
ولا جلـــــــب بـــــــه مـــــــال رشـــــــيد
وهـــــــب إنـــــــك قـــــــارون قـــــــرن
فـــــــهل للمـــــــال أم لكـــــــم خلـــــــود"

ثم وبعد هذا يستخدم شاعرنا أسلوبا آخر فى خطاب أصحاب جمعية النـــدوة حيث يجلى أمامهم العاقبة الوخيمة التى تلحقهم لإقبالهم على الدنيا، وقد اقتبس هـــذا المعنى من الآية القرآنية: **فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين** [١] وعند اقتباسه هذا من الآية الكريمـــة عـــرض بـــهم شـــاعرنا مستحضرا لهم ما كان من نهاية لأهل سبأ، وهنا اقتبس شاعرنا من القرآن الكريـــم حيث قال سبحانه وتعالى[٢]: **لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عـــن يميـــن وشمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له، بلدة طيبـــة ورب غفـــور، فـــأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشـــىء من سدر قليل، ذلك جزيناهم بما كفروا، وهل نجزى إلا الكفور** ونجده فى البيـــت الخمسين يوضح للمهجوين عاقبتهم مقتبسا من الآية القرآنية حيـــث قـــال ســـبحانه وتعالى[٣]: **كذبت ثمود بالنذر، فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه، إنا إذا لفى ضـــلال وسعر، أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر، سيعلمون غدا من الكـــذاب الأشر** يعنى تبارك وتعالى يقول: أهلكنا القرية لظلمها، والقرآن يقول فى أكثر من موضع[٤]: **وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ويرى شاعرنا أن جمعيـــة الندوة ستصاب بنفس العاقبة بل تكون أشد من هذا المصير، فلا تبقى لها ســـدر، ولا أثل، ولا جريد، ولا تبقى لبئرها المعطة آثار، كما لا يبقى قصرها المشـــيد، وهنـــا

---

(١) سورة النمل ٢٢/٢٧.
(٢) سورة سبأ ١٥/٣٤:١٧.
(٣) سورة القمر ٢٣/٥٤:٢٦.
(٤) سورة البقرة ٥٧/٢، وسورة الأعراف ١٦٠/٧.

Marfat.com

يتجلى اقتباس شاعرنا من القرآن الكريم **فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد** [١] وفى هذا يقول شاعرنا[٢]:

"ألا طرتم وبالدنيا بطرتم
وليس لذلكم عقب حميد
ومن سباء أتى نبأ يقين
عفت وعفالها العيش الرغيد
وبدلها الإلهة بجنتيها
ذواتى أكل خمط[٣] لا يميد
فندوة أشِركم عما قليل
تصر كمثل ذلك بل تزيد
فلا يبقى بها سدر قليل
ولا أثل ولا نخل جريد
وليس يرى لها آثار بئر
معطلة ولا قصر مشيد"

وبعد هذا يقول شاعرنا ولست أنا القائل لهذا الكلام من تلقاء نفسى بل قولى بحول الله تعالى وقدرته، وهذا أشد فى الوعيد لأن الوعيد حينئذ وعيد الله - سبحانه وتعالى - وبعد ذلك يقول: إننا سمعنا أن أصحاب الندوة يأتون فى مدينتنا بريلى لنشر دعوتهم وفكرتهم، ولسنا غافلين عن هذا الأمر، وهنا يهدد شاعرنا المهجوين ويتوعدهم ويزيد لهم فى التهديد حينما يقول: "بحول الله قولى لا بحولى" وكأنه يقول

---

(١) سورة الحج ٢٢/٤٥.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١١٨، ١١٩.
(٣) يشرح شاعرنا معنى الكلمتين "أكل خمط" حيث يقول: أكل خمط: كل ما كان على فعل بضمتين فإن إسكان الثانى منه قياس مطرد، وقرئ فى القران بالتوصيف "أكل خمط" وبالاضافة "اكل خمط" كلاهما فى المتواتر" انظر المرجع السابق، ص ١٢٨.

Marfat.com

لمهجويه: أنا على يقين من أن سيقع بكم ما ذكر فى الآيات الكريمات، وفى هذا يقول شاعرنا(١):

"بحول الله قولى لا بحولى
بحول الله يقترْب العريد(٢)
سمعنا أن ستأتينا وجاءت
وفودهم لشعلتها وقود
وأية عاهة لا تخشيها
إذا فى بلدة بلد البليد"

وبعد هذا انتقل شاعرنا إلى مدح علماء أهل السنة المتصدين للرد على الفرق الزائغة المتمثلة فى جميعة الندوة، وذلك بدأ من البيت السادس والخمسين إلى البيت التاسع عشر بعد المائة، ولقد حاولنا دراستها فى الفصل الثانى من الباب السابق تحت عنوان: مدح خلال الهجاء.

لقد انتقل شاعرنا من البيت العشرين بعد المائة إلى هجاء الفرق الثلاث مرة أخرى ونظم في هذا المعنى أبياتا كثيرة والتي يغفلها الباحث للتركيز على الجانب الأدبي وعدم الخوض في موضوعات لا تمت بصلة إلى الأدب العربي و جمالياته.

هذا ونلحظ مدى أمل شاعرنا فى إصلاح مهجويه بأى أسلوب، بالنصح تارة وبالتقريع تارة أخرى، كما نلحظ مدى أسف شاعرنا، وذلك فى البيت السابع والخمسين بعد المائة، فإن الهجاء لم يكن هدفا مقصودا عنده، بل كان الإصلاح مطلبه الوحيد ودافعه إلى نظم هذه القصيدة التى أسماها بالاسم المؤلف من كلمات تفيد بحساب الجمل عام تأليف القصيدة، "آمال الأبرار وآلام الأشرار" مما يرمز إلى رغبة علماء أهل السنة فى إصلاح المعارضين لهم، كما يفصح هذا الإسم عن الآلام

---

(١) المرجع السابق، ص ١١٩.
(٢) يقول شاعرنا شارحا كلمة "العريد": العريد: البعيد لغة يمانية. انظر المرجع السابق، ص ١٢٨.

Marfat.com

التى وصلت قلوب علماء أهل السنة من إصرار معارضيهم على أفكارهم الزائغة وخططهم المدبرة.

هذه القصيدة تعتبر واحدة الموضوع ألا وهو الهجاء، وإن كانت تتضمن

موضوعات أخرى أيضا، ولو قسمناها لوجدناها مقسمة فى الموضوعات التالية: نجد ذم الدنيا فى الأبيات العشرة الأولى من هذه القصيدة، وقد اتخذها الشاعر مدخلا فى الموضوع الأساسى الذى صاغ من أجله قصيدته هذه، وأرى أن هذه الأبيات العشرة جزء من الهجاء فى نفس الوقت، وهذا تلميح إلى أن المهجوين أقبلوا على الدنيا لمتاعها، لمال ينالونه أو لمكانة اجتماعية، أو لحظوة عند الإنجليز، الأمر الذى أثار موجة الغضب والسخط فى قلب شاعرنا فحرك عاطفة الهجاء، ويبلغ عدد الأبيات فى هجاء الفرق المعارضة لإجماع أهل السنة والجماعة ثلاثة وتسعين بيتا، حيث تبدأ هذه الأبيات من البيت الحادى عشر وتستمر إلى البيت الخامس والخمسين، ثم تبدأ من البيت العشرين بعد المائة إلى الثامن والخمسين بعد المائة، وتبلغ عدد هذه الأبيات المنظومة فى ذم الدنيا وهجاء الفرق ثلاثة وتسعين بيتا، والذى اعتبرناه هجاء صريحا.

أما المديح النبوى الشريف فيتمثل فى اثنى عشر بيتا، بدأ من البيت التاسع والخمسين بعد المائة ويستمر لغاية السبعين بعد المائة ونلحظ أن ختامه بالمديح النبوى تقليد يلزمه تقريبا فى سائر شعره لعله يرى أن القصيدة بمثابة دعاء نظرا لأنها حديث النفس، وتفريج عن كربته التى يشعر بها لخروج هؤلاء من أهل السنة والجماعة، ومفارقتهم لأفكار أهل السنة واستبدالها بفكر يوافق هوى المستعمر من ناحية، ويحقق لصاحبه مكانة اجتماعية يطمع فيها ويتطلع إليها من ناحية أخرى، وإن كان البون شاسعا بين الدعاء وبين الشعر إلا أن شاعرنا كان يحب أن يتحدث إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى كل ما ينظم من قصيدة فى هذا الديوان، فضلا عن غير ذلك مما نظمه بلغة غير عربية، على أننا قد سبق أن ذكرنا المديح النبوى الموجود فى هذه الأبيات الإثنى عشر وحاولنا تبسط إحساسنا به حين كنا نتحدث عن الفصل الخاص بالمديح النبوى الشريف، هذا وقد ألحقت بهذه القصيدة أربعة أبيات ذكرها الديوان، وهذه الأبيات تتضمن أسماء وصفات بعض

Marfat.com

العلماء الذين تناولهم شاعرنا بالمدح والذين ألحقهم بأولئك الممدوحين الموجودين ذكرهم أثناء هذا الهجاء، على أننى قد عرضت لهذه الأبيات الأربعة أيضا فى موطنها حين كنت أكتب تحت عنوان "المديح خلال الهجاء".

ويجدر بالذكر أن إقدام شاعرنا على الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف خلال الهجاء يبين لنا بوضوح أن هجاءه البناء ونقده الإصلاحى لم يكن للتنافس بين الشعراء، أو للشهرة، ولا للتكسب ولا للقدح، بل كان كل همه مقاومة الأفكار الزائغة وجمع كلمة المسلمين، فى عصر تشتت جمعهم بمكر الإنجليز والهنادكة، ومما يحسب له أنه لم يتعد حدود الشريعة عند إقدامه على نظم الهجاء كما كان عليه الحال عند تصديه لنظم المدح والرثاء أيضا، وأبياته لم تخرج فى الوقت نفسه عن نطاق الهجاء أيضا مع احتوائها على ظاهرة النصح، فقد وجه شاعرنا نقده وهجاءه إلى كل من كان يستحق ذلك، ولم تكن النصيحة منه وحده بل كان هناك عدد كبير من علماء أهل السنة والجماعة الذين توجهوا بالنصيحة والنقد إلى المهجوين لشاعرنا، وبهذا يكون الباحث منهيا حديثه عن الهجاء بصفة عامة حيث ينتقل بعد ذلك إلى الفصل الرابع من هذا الباب.

Marfat.com

الفصل الرابع

في غير ذلك من الأغراض

ويشتمل هذا الفصل على تمهيد وثلاثة مباحث

المبحث الأول : المناجاة.

المبحث الثاني: الغزل

المبحث الثالث: مشاعر دينية فياضة وشيء من السيرة.

Marfat.com

Marfat.com

تمهيد

إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان أقدم على تناول الأغراض الشعرية من المديح والرثاء والهجاء، وكان نفسه الشعرى طويلا فيها كما سبق أن أفردناها فى فصول ثلاثة، وفى هذا الفصل الذى نحن بصدده رأيت أن أعرض لما بقى من الأغراض الشعرية عند شاعرنا وهى تتمثل فى ثلاثة أغراض بعد إحصاء ما فى الديوان، هى بين بيت يناجى فيه ربه، وبين بيت يتغزل فيه، وبين بيت يظهر فيه مشاعره الدينية، لذا رأيت أن أجمع الأبيات من الصنف الأول هى التى ناجى فيها الشاعر ربّه فوجدتها ثمانين بيتا، ونظرت إلى الصنف الثانى حيث وجدته أقل عددا من الصنف الأول فوجدته تسعة وثلاثين بيتا، أما الصنف الثالث وهو حديث يبين فيه الشاعر شعوره الذينى رأيت أن أجعله تحت عنوان: مشاعر دينية فياضة وشئ من السيرة، وقوامه واحد وثلاثون بيتا، ولما كانت المناجاة أطول هذه الأغراض رأيت أن أبتدئ بها حتى أؤدى حقها، وكيف يجب علىّ أن أنظر هذا الغرض عند شاعرنا، فبدأت بالمناجاة ثم ثنيت بما هو أقل نفسا وهو الغزل ورأيى فى هذه الأبيات أنها تشكل غزلا صوفيا، ثم أنخت راحلتى عند الغرض الثالث من هذه الأغراض المتناثرة وهو بيان شعوره الدينى والذى وضعته تحت عنوان: مشاعر دينية فياضة وشئ من السيرة، وقد اقتبست هذا العنوان من تلكم المعانى التى فاضت بها أبيات عديدة، أما الفصل كله الذى نحن بصدده فيتمثل فى خمسين ومائة

Marfat.com

بيت، وهى جملة الأبيات التى سوف أقوم بمحاولة دراستها فى هذا الفصل، منها ما ورد فى ثنايا القصائد، ومنها ما ورد مستقلا بشكل قطعة أو رباعية أو بيت، وردت فى هذا الفصل ثلاثة أغراض ومع ذلك أرى هذا الفصل ذا موضوع واحد حيث نلاحظ أن ظاهرة النجوى تجمع بين هذه الأغراض الثلاثة.

Marfat.com

المبحث الأول

المنـــاجـــــاة

كل إنسان مؤمن بالله تبارك وتعالى يذكر ربه صابرا شـــاكرا فـــى السـراء والضراء وحين البأس[1] ولكنه يتقرب إلى خالقه وبارئه الحنان المنان فى بعـــض الأحيان فيدعوه ويناجيه والدموع تنهمر على وجنتيه، قد تكون تلك الدمـــوع حزنـــا على ما فرط وقد تكون رغبة فى التقرب من مولاه سبحانه وتعالى، أيا كان بـــاعث الدموع فهو دليل على مدى انسجام العلاقة بينه وبين ربه، هذه العلاقة التى تجـــرى كلمات عذابا على ألسنة الشعراء لأن الكلمة وسيلتهم، والعبارة سفينتهم، والـــتركيب صنعتهم، وحديثهم النفسى يملى على أقلامهم فتخرج لنا مشاعرهم فياضة بإحساسهم وعواطفهم بينهم وبين ربنا جل فى علاه.

هذا وقد يندفع الإنسان المؤمن إلى المناجاة بدافع الحب الإلهى فقط وأراه أرفع وأدفع دوافع المناجاة، فإنه يسمو بالإنسان عن القلق والاضطراب عنـــد الكـــروب فيتحلى الإنسان بالصبر والرضى والاستسلام للخلاق العليم - سبحانه وتعالى - كما يبتعد الإنسان المتصف بالحب الإلهى عن الطرق المؤديـــة إلـــى وديـــان الذنـــوب والمعاصى، فإن قلبه لا يتفرغ لشئ غير الحب المتمكن من سويداء قلبه، فـــهؤلاء أصحاب قلوب نابضة بذكر الله تعالى، وبالتالى فقد اطمئنت قلوبهم، كما ورد فـــى

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة: **والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقـوا وأولئك هم المتقون** سورة البقرة ٢/١٧٧.

Marfat.com

القرآن الكريم[١]: **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** فهؤلاء الشعراء عندما يقبلون على المناجاة تسكب عيونهم سيلا من الدموع وقريحتهم النافذة توحى إليهم أساليب رائعة فى المناجاة، فإذا بألسنتهم تخرج صيغا ترقق القلوب وتهيم الأرواح وتثير الوجد، فينظمون الدرر المنهمرة من عيونهم لتتكون المناجاة.

إن المناجات ليست محدودة فى أنواع وألوان، فالقلوب الهائمة تشق أمامها الطريق فى أفاويق المناجاة، وازدادت فيها حرارة الشعور باضطرام نار الجوى فى قلب المحب، ها هو الدكتور على الخطيب الذى يسلط الضوء على المناجاة معرفا إياها فيقول[٢]: هو الأدب الذى افترعه الصوفية فى مناجاة الله تبارك وتعالى وخطابه والتحدث إليه، وهو أدب يجذب العقول بجماله، وبلاغته، وسحره، وروعته، ... وألوان المناجاة تدل دلالة واضحة على عمق الإيمان لدى هؤلاء المتصوفة، وفرط التعلق بالذات العلية بغية الكشف والطمع فى التقاط النورانية والتشرف بها، وهم فى هذه المناجاة يعترفون بفضل الله - جلا جلاله - وبضعفهم، وعجزهم، وحاجتهم إلى خالقهم، فهو الغنى الرزاق ذو القوة المتين، وهو الذى يعطى كل سائل سؤله ولا تنفد خزائنه، لكل هذا يجأرون إليه بالدعاء والمناجاة طلبا للمغفرة واعترافا بالعجز والحاجة إلى فيض رحمته وعظيم ثوابه، ومن الدعاء الذى جاء على ألسنة المتصوفة مما يعد أدبا رفيعا فى متانة أسلوبه، وقوة ألفاظه، ورصانة معانيه، وهى الدعوات التى يدعو بها العبد ربه طالبا رضاه وقربه، ومن هذه الأدعية ما أثر عن النبى - صلى الله عليه وسلم - والصحابة، والصوفيين،

---

(١) سورة الرعد ٢٨/١٣.

(٢) اتجاهات الأدب الصوفى بين الحلاج وابن العربى، للدكتور على الخطيب مدرس الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف (ط: دار المعارف بالقاهرة، سنة ١٤٠٤هـ)، ص ٥٩:٦١.

Marfat.com

ومن أدعيته – صلى الله عليه وسلم –: «**اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى بصرى نورا، وفى سمعى نورا، وفى لسانى نورا اللهم اشرح لى صدرى، ويسر لى أمرى**»(١).

ويحدثنا الدكتور نظمى عبد البديع محمد عن المناجاة فى نبرة من الحب حيث يقول[٢]: تشيع النجوى بين الأحبة، وما أجمل أحاديثها الهامسة بين المحبين على خلوة!! إنها أحاديث السحر وترانيم الوفاق. وقد أفلح الصوفيون فى التقاط مضمونها وضمها إلى أدبهم لأن التناجى أخصّ خصائص الحب عند الوفاق و الرضا، غير أن الصوفية قد أسخنوا المناجاة بنفسهم فى ضروبها، مناجاة، وتسبيحا وأدعية، وأحزابا، وأورادا، وقد أغنوها بما أمدّوها به من فيض نفحاتهم التى تدور حول الحب و المحبة لله، وصيَّروها فنا مستقلا هم أصحاب السبق إلى ابتكاره، ومن غير الصوفية يبدع النجوى؟!"

وإذا كان كل من الدكتور على الخطيب، والدكتور نظمى عبد البديع محمد عرف المناجاة بإحساسه الأدبى وأسلوبه الرقيق فنجد الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى يتصدى للتعريف بالمناجاة بأسلوبه الأدبى حيث يقول(٣): والمناجاة من الأبواب التى انفرد الصوفية بها، فلم يطرقها غيرهم، ولم ينهج سبيلها سواهم، فهم فرسان حلْبتِها، وآباء عقدتها، وأبناء بحْدتها، لأنها تعبر عن إحساساتهم الرقيقة، ومشاعرهم السامية، وعواطفهم الراقية، وأرواحهم الصافية، وقلوبهم المتصلة بنور

---

(١) السنن الكبرى، للإمام أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى، (ط: دار الفكر بيروت، دون تاريخ الطبع)، ج ٥، ص ١١٧. وانظر. مصابيح السنة، للامام محمد بن مسعود البغوي، ج ١ ص ٤٢٣

(٢) فى الأدب الصوفى، للدكتور نظمى عبد البديع محمد، ص ١٠٧.

(٣) بين التصوف والأدب، للدكتور محمد إبراهيم الجيوشى، (ط: مكتبة الإنجلو المصرية بالقاهرة دون الإشارة إلى سنة الطبع)، ص ٦٢.

Marfat.com

الله، ترى عظمته فى كل موجود، وتحس قدرته فى كل ما يقع بين أيديهم وتحت أبصارهم.

والأدب وليد الإحساس، وصدى الانفعالات النفسية، وبقدر ما تتسم به هذه المشاعر والأحاسيس من صدق وتجاوب ما تحس بقدر رقى الأثر الأدبى الذى يعبر عنها، وما يمتاز به من سمو، وما يحفل به من روى شعرية عالية، ونماذج تكون قدوة تحتذى، وأمثلة تراعى.

ومن أبدع ما أثر عن الصوفية من هذه الألوان مناجاتهم لخالقهم، وتوسلاتهم ببارئهم، فهى غنية بالقوى الجبارة، والذخائر الحية، وإن قوبلت بالإهمال [فى بعض الأحيان] ولم تحظ ما تستحق من قيمة، وما تتمتع به من أثر فعال فى ترقية الإحساس، ودفع النفوس إلى السمو والصفاء فى الخُلق والروح".

وحين نتوجه إلى ما نظمه شاعرنا من المناجاة نجده متمسكا بأساليب من سبقه من الصوفية، فيناجى ربه على سننهم حيث إنه يسبح ويحمد ربه فى حين ذارفا دموع الشوق إلى ربه، كما يستغفره ويستعيذ به والدموع تترقرق فى جفنيه، ونلحظ أن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان لم يفرد قصيدة فى المناجاة وإنما جعلها ضمن بعض قصائده لعله يرى أن المناجاة تكون حين يحاول أن يتناول قلمه لكتابة بعض الأبيات فنراه آنذاك يرى أن يناجى ربه فيبدأ قصيدته بالمناجاة أحيانا وينتهى بها فى حين آخر، وإن كان قد كتب بعض الرباعيات متفردة بهذا الغرض ولكنى لم أجد المناجاة غرضا قائما بذاته فى قصيدة واحدة الغرض.

Marfat.com

إن أول ما يطالعنا من شعره فى المناجاة فى ديوانه العربى "بساتين الغفران" هو ما نظمه ضمن قصيدته التى نظمها فى مدح مولانا فضل الرسول البدايونى[١] وتتألف هذه المناجاة من عشرين بيتا من جملة اثنين وسبعين بيتا، فقد استهل بها شاعرنا قصيدته هذه من الكامل المجزوء والتى تشتمل على المدح والهجاء[٢] وانتهت بالصلاة والسلام على خير الأنام.

يبدأ شاعرنا هذه المجموعة من الأبيات فى المناجاة بما تعلمناه فى أدب الدعاء بالحمد لله المتوحد بجلاله المتفرد، وبالتالى جاء بالصلاة والسلام على الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله الطيبين أمطار الهدى وصحابته الأبرار الذين شبههم شاعرنا بالسحب العوائد، مبديا حبه لآل بيت الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه - رضى الله عنهم أجمعين - وفى هذا يقول[٣]:

"الحمد للمتوحد بجلاله المتفرد
وصلاة مولانا على خير الأنام محمد
والآل أمطار الندى والصحب سحب عوائد"

ومن هنا نرى أن شاعرنا يستمطر فضل الله تعالى على العباد، والحمد ينال قائله عظيم الرضى من الله سبحانه وتعالى، ثم يتبع ذلك الحمد بالصلاة والسلام على سيدنا الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - منتهجا بذلك أدب الدعاء، اختار شاعرنا حرف الدال رويا للقصيدة، واختار القافية "متوحد" مرة و"محمد" -

---

(١) درسنا هذه الأبيات فى الفصل الأول من الباب الثانى.
(٢) درسنا هذين الغرضين الشعريين فى الفصل الأول والفصل الثانى من الباب الثانى.
(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٥٨.

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم – مرة أخرى، وإننى بعد قراءتى للقافية الثانيـــة لاحظـــت أن هناك أنسا فى التعبير ولطافة فى التركيب وروعة شعرية تولـــدت مـــن القـــافيتين "متوحد" والمراد به معبودنا – جل وعلا – و"محمد" والمراد به حبيبنا المصطفى – صلى الله عليه وسلم – والجمع بين هاتين القافيتين يشكل جمـــالا شـــعريا وقـــد لا يستطيعه الكثير مع أنه يعتبر من السهل الممتنع، وعند قرائتنا لكلمتـــى الصحـــب والسحب نجد أن بينهما جناسا غير تام.

وبعد هذا يلجأ شاعرنا إلى ربه الكريم شاكيا إليه آلامه وهجوم العدو الظـــالم المعتدى الذى يرغب فى زلزلة الثابتين على مبادئ الإسلام المتمسكين برأى أهـــل السنة والجماعة، إلا أن شاعرنا لا يفزع من قوة العدو ورجاله واثقا فى ربه القدير، على أن شاعرنا أراد بخيل العدو قوته، بالطبع جرى شاعرنا مجرى شعراء العصر القديم الذين يرون القوة فى الخيل والاستطاعة فى الرجال ويرون كل ذلك ســـبيلا لكسب أى معركة، فقد انتهج شاعرنا هذا المنهج وسار على هذا المنوال تمسكا بمـــا كانت عليه تقاليد شعراء العصر الجاهلى، وإن شاعرنا لعلى يقين أن يد ربه وهـــو ناصره أكثر قوة مهما كان أعداؤه وفى هذا يقول(١):

"لاهم(٢) قد هجم العدى من كل شأو أبعـد
فى خيلـــهم ورجالـــهم مع كل عاد معتـد
هـــاوين زلـــة مثبـــت باغين ذله مـــهتد"

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ،ص ٥٨.
(٢) قال شاعرنا موضحا كلمة لاهم: لغة شائعة فى اللهم، المرجع السابق، ص ٥٨.

Marfat.com

يرى شاعرنا قوة العدو فى خيله ورجاله إلا أن ثقتة فى الله أعظـــم فـــهو - سبحانه وتعالى - المتصرف فى الأمور كلها، وتمســكنا بنصــرة الله يرفــع مــن درجاتنا، وأملنا فى أمنه هو خير ما يعتصم به، وعن هذا يقول شاعرنا الواثق فـــى ربه مناجيا أياه(١):

"لكــن عبــدك آمــن إذ من دعـــاك يؤيــد

لا أختشى من بأســهم يد ناصرى أقوى يــد"

وبعد هذا يتقدم شاعرنا ملتجئا إلى ربه الذى يدفع به كيد الكائدين المهددين فى نحورهم، ثم يطلب من ربه القوة والغلبة على الأعداء ولم يصرح باســمهم، وأرى أنه يرمز إلى الاستعمار البريطانى الغاشم ولم يذكر اسمه لينزه لسانه عن النطـــق باسمه، ويرمز كذلك إلى الذين ينخدعون به ويتقبلون أوامره منتهجين مـــا يرســمه لهم، وكانت صدور المسلمين ملتهبة بنار الغضب من الإنجليز، وكان شاعرنا أحــد هؤلاء المسلمين الغيورين، فنجده يناجى ربه فى كرب شديد قائلا(٢):

"يارب يارب ـــاه يـــا كنز الفقير الفـــاقد

بك التجى بك ادفــع فى نحر كل مـهدد

انت القوى فقونـــى انت القدير فـــايد"

نلحظ فى البيت الأخير بلاغة من شاعرنا فى طلبه القوة من القوى، وطلبـــه التأييد من القادر، وهذه دقة فى الطلب لأن الشاعر يطلب القوة ممن يوصف بـــها، ويطلب التأييد ممن وصف بالقدرة الشاملة، لا شك أن هذا الطلب رائـــع ليمـــن الله

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٩.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ،ص ٥٨-٥٩.

Marfat.com

تبارك وتعالى بفضله على من رغب فى فضله الشامل. ونلحظ جمال المناجاة فـــى الشطرة الأولى من البيت التاسع حيث إن شاعرنا أتى بياء النداء ثلاث مـــرات دون أن يشعر القارئ شيئا من الملل، وبعد هذا يتوسل شاعرنا إلى الله تعـــالى بـــالقرآن الكريم، والرسول - صلى الله عليه وسلم -.

وبكل ما ينتسب إليه - صلى الله عليه وسلم - بمدينته المنـــورة وأصحابـــه الطيبين، والمسجد النبوى الشريف، ومنبره، وبكل من هو مرضى عنه عنـــد الله - تبارك وتعالى - كما وجدناه يتوسل بسيدنا جـــبريل - عليـــه الســـلام - والأمـــة الإسلامية كلها، هذا منه إن دل على شئ فإنما يدل على شدة كربه من ناحية وحزنه على ما وصل إليه المسلمون فى الهند من معاناة وســـوء معاملـــة مـــن حكامـــهم البريطانيين ومن أولئك الذين يسيرون فى ركب الحكام من ناحية أخرى، كما يـــدل على عظيم ثقته بربه من أنه سينصر المسلمين كافة - إن شاء الله تعـــالى - مـــا داموا على طريق الهدى سائرين، فلنستمع إليه حيث يقول[١]:

"فإلى العظيـــم توســـلى بكتابـــــــه وبـــــــاحمد
وبمن اتـــى بكلامـــه[٢] وبمن هدى[٣] وبمـــن هـــدى

وبطيبة وبمـــن حـــوت وبمنـــــبر وبمســـــــجد
وبكل من وجد الرضـــى مـــن عنـــد رب واحـــد"

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٩.
(٢) يقول شاعرنا شارحا أبياته: وبمن أتى بكلامه: جبريل الأمين - عليه السلام - و"بمن هدى": النى - صلى الله تعالى عليه وسلم - المرجع السابق، ص ٥٩.
(٣) و"بمن هدى": هو جبريل - عليه السلام - ونبينا - صلى الله تعالى عليه وسلم - وحملة القـــران من اله وصحبه. المرجع السابق، ص ٥٩.
(٤) أمته - صلى الله تعالى عليه وعليهم وسلم-.المرجع السابق، ص ٥٩.

Marfat.com

فى الأبيات الثلاثة الأولى أقدم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بالجمع بين المناجاة والمديح النبوى الشريف حيث إنه يتوسل إلى الله تعالى بكتابه ونبيه الأحمد اسما ووصفا، والذى أتى بكلام ربنا فتلقيناه منه، ولم يكن بوسعنا أن نتلقى من جبريل - عليه السلام - مباشرة، وإن كان شاعرنا قد قصد جبريل من قوله: "وبمن أتى بكلامه" وذلك باعتباره حامل الوحى إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - وهنا يطرح سؤال نفسه. ما المانع من أن يكون الرسول - صلى الله عليه وسلم - مقصودا من قول شاعرنا "وبمن أتى بكلامه" ونرى أن شاعرنا يمدح النبى - صلى الله عليه وسلم - عند توسله بالمنبر والمسجد، فإنه لم يتوسل بهما إلا للشرف الذى حصل لهما بانتسابهما إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - ومن هنا نستطيع أن نعد هذه الأبيات مدحا لسيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أيضا لكن هذا المديح لا يتعارض مع المناجاة فقد اتخذ شاعرنا من المديح وسيلة لمناجاته ربه، لأنه يناجى ربه بالحديث عمن يحبه وهو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذلك تقربا إلى الله تعالى بأجل وسيلة إليه، فإن من الحديث اللطيف مع الله- عز وجل - أن نتحدث معه متشفعين برسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

وبعد هذا يناجى شاعرنا ربه سائلا إياه أن يكشف السوء ويفرج الكرب، وأن يدفع شر الأعداء، عن المسلمين وأن يحميه والمسلمين من الوقوع فى مكيدة المتآمرين على زعزعة أهل السنة والجماعة، ثم يقول: يارب إن سترك مسبل وإنى لا أحتمى إلا بسترك الجميل وفى هذا يقول(١):

"لاهم فادفع شرهم وقنى مكيد كائد

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ،ص ٦٠.

Marfat.com

لاهم ستترك مســـبل فبذيل حفظك أرتـدى"

وبعد هذا يطمئن شاعرنا نفوس المسلمين ونفسه وهو واحد منهم وكأنه طمـأن شخصه مرتين حين تحدث إلى نفوس المسلمين فطمأنهم ومرة أخرى حين تحـــدث إلى نفسه، بأن فضل الرسول - صلى الله عليه وسلم - من عصـــره - صلـــى الله عليه وسلم - إلى يوم القيامة، وذلك بقيامه بإخراجهم من ظلمات الكفر والضلالـــة إلى نور الهداية، والمسلمون مدينون له حتى يوم القيامة، وكل من يعبد المجيـــد - جل جلاله - يتشرف بالكرامة والمجد، والله تعالى مولى المسلمين وليس بنـــاصر للمفسدين وهنا نلحظ إقدام شاعرنا على الاقتباس من الآية القرآنية: **ذلك بـــأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم** (١) ثم يقول شـــاعرنا إن القـــرآن يقربنا من ربنا، والله تعالى أقرب شاهد على أمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفى هذا يقول شاعرنا(٢):

فضل الرسول لنا ومـــن عبد المجيد يمجـــد

الله مولانـــــــا ولا مولا لعات مفســـد

قرآننـــا قربانـــــا والله أقرب شـــاهد"

ومن الجدير بالذكر أن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان أشار إلى اسم مولانـــا فضل الرسول البدايونى فى الشطرة الأولى من البيت الثـــامن عشـــر، وللعلـــم أن شاعرنا نظم هذه القصيدة - التى نحن بصدد أبياتها الأولى - فى مدح مولانا فضل

---

(١) سورة محمد ٤٧/١١.

(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ،ص ٦٠.

Marfat.com

الرسول البدايونى[١] واستهلها بالمناجاة وأنهاها بالصلاة والسلام على خير الأنـــام سيدنا ومولانا محمد - صلى الله عليه وسلم - ولم لا يكون ذلك أيضا من المناجـاة، كما نلاحظ أن الشاعر يتحدث عن فضل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علـى المسلمين كلهم ولعله أخذ هذا المعنى مما قاله الإمام البوصيرى فى ميميته[٢]:

فإن فضل رسول الله ليس لـــه حد فيعرب عنه ناطق بفـم

وبنهاية الأبيات العشرين يكون شاعرنا قد انتهى مـــن هـــذه المناجـــاة التـــى تصدرت داليته هذه، لكنه كان دائم المناجاة، إذ به يناجى ربه مرة أخرى فى قصيدة أخرى.

مناجاة أخرى

إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان أقبل على نظم المناجاة مرة أخرى ضمـــن نونيته التى صاغها فى مدح مولانا فضل الرسول البدايونى[٣] من الكامل التام غير أن نفسه هنا أطول من نفسه فى المناجاة السابقة، فقد كانت المناجاة السابقة عشـرين بيتا، أما المناجاة التى نحن بصدد الحديث عنها فقوامها خمسة وأربعون بيتا، هـــذه الأبيات لم تقع فى أول القصيدة وإنما بدايتها البيت الثالث والتسعون بعـــد المائـــة، ويستمر نفسه ينساب فى هذا الغرض من الأغراض الشعرية، وكأن المناجاة بالنسبة له باب يفتح لا يكاد يستطيع أن يغلقه - لأن الحديث مع الله - سبحانه وتعـــالى - من أحلى الأحاديث ولا يستطيع أحد أن يغلق باب الحديث مع الله - عز وجل -.

---

(١) سبق أن درسنا مدح مولانا فضل الرسول فى الفصل الأول من الباب الثانى.
(٢) بردة المديح المباركة، للإمام البوصيرى، ص ٢٤.
(٣) درسنا هذه الأبيات فى الفصل الأول من الباب الثانى.

Marfat.com

فنجده فى أعقاب مدح الشيخ عبد القادر الجيلانى(١)،يوجه اللوم إلى المخاطب ولعله يقصد شخصا معينا ولكنه لم يذكره باسمه، ومن طبيعة الشعراء أنهم يأتون بالضمير للمخاطب، فجرى شاعرنا على هذه العادة وتصور مخاطبا ورمز إليه بضمير المخاطب مذكرا إياه فناء الدنيا حيث يقول: إن الدنيا ظل زائل، ولا مفر من الموت، فمتى تتوجه إلى ربك ذارفا دموع الندم والتوبة، معترفا بالذنوب، طالبا رحمته ومغفرته، وعرفنا من البيت الثامن والتسعين بعد المائة، أن شاعرنا نفسه هو موضع خطابه المباشر وإن كان يقصد من ورائه أن يذكر الآخرين أيضا حيث إنه كان داعية إسلاميا ومن رجال الدعوة والإرشاد، فلا يتوقع منه أن ينصح نفسه وينسى الآخرين وبالعكس، فنجده يقول(٢):

"لهفى عليك لهوت أم لم تدر أن غشى البلاء وأنت فى غشيان
أظلوم إن العمر ظل زائل والموت مأتى وكل فان
فمتى تلوذ بجاهه وتقول يا الله يا رباه ياحنانى
ياحق ياسبوح ياقدوس يا من لا يسوغ لغيره سبحانى
العبد معترف بمقترفاته ويظن أنك راحم الندمان"

يقول الشيخ أحمد رضا خان موضحا كلمة "الظن" التى استخدمها فى الشطرة الثانية من البيت السابع والتسعين بعد المائة(٣): يظن أى يستيقن، والظن بمعنى اليقين فى القرآن كثير"، ويبدأ تعديد نعم الله تعالى من البيت الثامن والتسعين بعد

---

(١) درسنا مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني في الفصل الاول من الباب الثاني
(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ،ص ٨٥.
(٣) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ،ص ١٠١.

Marfat.com

المائة فيشكر ربه على نعمه الجليلة معترفا بعدم تمكنه من إحصائها فذكر على سبيل المثال لا الحصر الأذن، والقلب، والعين، واللسان، والرجل، واليد، كما يرى شاعرنا أن أجل نعم الله تعالى هى نعمة الإيمان بدين الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - والتوفيق إلى الاعتصام بحبل الله المتين، فشاعرنا يفخر بعقيدته الإسلامية، وهذا لا يصدر إلا عن قلب مؤمن، وبالتالى إنه أراد أن يقول: إن بعثة النبى - صلى الله عليه وسلم - من أسمى نعم الله تعالى التى تفضل بها ربنا على البشرية جمعاء، وإن العاقل هو من عرف كيف يتمتع بهذه النعمة، فإن من آمن فقد استمسك بأسمى نعم الله تعالى، وهذه الفكرة لا تنبع إلا من قلب عاقل يقيس الأمور بمقياسها المنضبط، وفى هذا يقول شاعرنا مناجيا ربه(١):

كم نعمة أوليت ما أنا أهلها ومنحت مجانا بلا إثمان

سمعا فؤادا ناظرا متكلما رجلا يدا والعد قد أعيانى

"وأجلها دين النبى المصطفى والاعتصام بحبل سبع مثانى"

ومن هنا نلحظ الاقتباس من القرآن الكريم، فى شطرة واحدة ذكر شاعرنا اقتباسين من القرآن الكريم، الاقتباس الأول عند ذكره لفظة الحبل حيث إن الله - عز وجل - وصف القرآن بهذا الوصف قائلا(٢): **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** والاقتباس الثانى قول شاعرنا "سبع مثانى" فهذا اقتباس من قول الله - عز وجل -(٣): **ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم**

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٥.
(٢) سورة ال عمران ١٠٣/٣.
(٣) سورة الحجر ٨٧/١٥.

Marfat.com

واستمرارا فى تعديد نعم الله – عز وجل – وأداء الشكر له على أفضاله الكثيرة يناجى شاعرنا ربه الكريم قائلا: إنك مننت على فى حياتى وجعلت حديقة أمنياتى وحياتى خضراء بالمطر الغزير من فضلك الشامل ويذكر النعم الإلهية الأخرى حيث نلمس المناجاة القلبية العقلية، فنجد القلب والعقل معا يناجيان الله – عز وجل – فالقلب بالحب والشعور بالنعمة، والعقل فى تعداد هذه النعم، وكأنما يقول شاعرنا للقارئ أو لسامع شعره: "أنا أقول هذا لمجرد الحب فقط وإنما حب مدلول عليه بدليل القدرة الفائقة"، إنه يذكر النوم واليقظة ولكنه يريد ما ينعم به من النوم واليقظة، وهذه نعمة من أبسط النعم التى من الله – عز وجل – بها علينا وكأنه يستحضر قول الله – سبحانه وتعالى – وتذكيره الناس بنعمته عليهم(١): { **قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**}، فلنسمع إليه حيث يقول(٢):

"أخضلت خضل خضلتى لخضلتى بالجود منك لم تذر لدهان
أيقظتنى وأنمتنى وعصمتنى مما يسيئ بأعين ترعانى
ما كان صبح فى الدهور ولا مسا إلا تجدد شربتى وخوانى"

---

(١) سورة القصص ٢٨/٧١:٧٣.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ،ص ٨٥.

Marfat.com

وبعد هذا يبدى شاعرنا عواطف امتنانه لله – عز وجل – فى غاية الخضـــوع حيث يقول: اللهم إنى ما رأيت منك إلا ترحما وأنت ترانى حيث ترانـــى، فأنســـاك فترة من الدهر ولكنك لا تنسانى فى حين من الأحيان، وقد تكرمت بالأفضال علـــى قبل ميلادى كما تفضلت بإحاطتى بالمنن بعد ميلادى، أنعمت على بـــأنواع نعمـــك ومازالت نعمك متوالية على فإنك أهل الفضل والإحسان، وفى هذا يقول(١):

"والله لم أر منك غير ترحـــم وترانى اللـــهم حيـــث ترانـــى

أنساك دهرا لا أفيق ولم تكن ناسى فى حين مـــن الأحيـــان

فذكرتنى بالجود والإيجـــاد إذ ما كنت فى روح ولا جثمـــانى

هذا فعلت ومثل ذلك تفعـــل إذ أنت أهل الفضل والإحسان"

أى مناجاة أحلى من هذه المناجاة أن يقسم المناجى بمن يدعوه، وهى شـــهادة من الشاعر بعظمة الله – عز وجل – بأنه الخالق وأعظم من خلقه، فالشاعر يقســـم بمن يخاطبه، والتى تعتبر من أحلى ما قاله الصوفية، وفى هذه الأبيات الثلاثة تبـــدو شخصية شاعرنا الصوفى، إلا إنه لم يسلك مسلك الصوفية فى التحـــدث بإشـــارات وكنايات ورموز صوفية قد لا يتحدث بها الكثيرون، فهو هنا صوفى فى شـــاعريته، وشاعر فى عبارته، وفيلسوف فى فكره، أى محبة وأى مناجاة أعظـــم مـــن هـــذه الأبيات الأربعة بأن يقسم الشاعر بمخاطبه بذاته – جل وعلا – ويختار لفظ الجلالة المستوجب لجميع صفات الكمال، المستحيل عليه جميع صفات النقص التى لا تليـــق بذاته سبحانه وتعالى، ثم يقول: إنه ما رأى منه غير الرحمة، وصياغة الترحم تـــدل على الرحمة الدائمة التى لم يرها لحظة ثم غابت عنه بل هو يراها فى كـــل حيـــن

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ،ص ٨٦.

Marfat.com

وآن ويقول شاعرنا مخاطبا ربه: أنت مطلع على فى كل وقت، كما أن رحمتك تنزل على فى كل حين فعلمك بى لا ينقطع، ولا تنسانى بينما أنا بشر قد أنسى فقد لا أذكرك، وقد أعصاك، والمعصية نسيان، ولكنك مع كل هذا لا تنسانى، أما عدم نسيانك إياى فهو ذكرك لى، ألم تذكرنى قبل أن أولد؟ فقد ذكرتنى بعنايتك بى حيث إنك خلقتنى وأوجدت مكانا استقر فيه، وأوجدت لى الرزق والعمل، وبعثت بالملك الذى يكتب أربع كلمات وعن هذا فقد ورد فى الحديث النبوى الشريف(١): عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق: "**أنه يجمع خلق أحدكم فى بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك [الموكل بالأرحام] فيؤمر بأربع كلمات [عمن يبقى فى الأرحام] فيقول أكتب عمله وأجله ورزقه، وشقى أم سعيد، فو الله الذى نفسى بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**".

ينتقل شاعرنا بعد تعديد النعم الإلهية إلى الاعتراف بالعصيان والأسف على ما بدر منه وقد أتى بهذا الحديث فى غاية التواضع لله تعالى حيث يقول: اللهم إنى أجبت داعى نفسى فعصيتك رغم النعم الكثيرة على، وأطعت نفسى بينة العدواة، ثم يقول متعجبا: إن الخالق الكريم لا يتوقف عن عطائه، أما العبد المستعجل فيسأم

---

(١) سنن ابن ماجه، للإمام أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجه (ط: عيسى البابى الحلبى وشركاه، دون سنة الطبع)، ج ١، ص ٢٩.

Marfat.com

على التأجيل فى الحصول على مطلبه، وقد أكرمته بالقوة ولكنه نظرا لسفاهته يبذلها فى معصيتك بدلا من بذلها فى طاعتك، وإن كف هذا العبد عن الذنب فعجزا، كما تقصر يد الشبعان من تناول الحلاوة على الرغم من الرغبة الشديدة فيها، وفى هذا يقول(١):

"ثم اللئيم أجاب داعى نفسه ... واسوأتاه وإن غفرت لجان

سبحانك اللهم تعطى منعما ... ويطاع كلب بين الشنان

ياهى ليس الملك يسأم من ندى ... والعبد عند الحفد فى ارثعنان

قويته ليطيع والسمج الردى ... مازال يصرفها إلى عصيان

إن فاته ذنب فعجزا أو كما ... قصرت عن الحلواء يد الشبعان

إن تاب ثاب وقصده الرجعى فمن ... يدريه فرق الثوب والثوبان"

ثم نجد شاعرنا ينقل مناجاة من قلبه والتى تجرى على لسانه إذ بتلك النفس تستعطف الرحمان الرحيم وتستمطر فضله الجسيم إذا به ينظر إلى رحمة الله وعدله فيجد نفسه أمام العدل لا شئ، وقد عصى وسبق منه التقصير لكنه سرعان ما يطرق باب الرحمة فيجد الميدان فسيحا لعله يستحضر فى نفسه قول الله عز وجل: **ورحمتى وسعت كل شئ** (٢) ولذلك تطرق هذا الباب يقينا منه أن باب العدل يضعف عن أن ينال منه شيئا حين توضع معصيته ويوزن تقصيره وذلك بفضل الله تعالى وعطائه، وإذن فنعم الله تعالى كثيرة لا تقبل المساواة بأى عمل مهما عظم من أى عبد من عباد الله - عز وجل -، وإذن فالرحمة بنا أولى يا

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ،ص ٨٦.

(٢) سورة الأعراف ١٥٦/٧.

Marfat.com

معشر العباد أن نطرق بابها لننهل من جودها وكرم ربنا الذى لا تحده حـــدود وإذا بشاعرنا يقول بمزيد من التواضع لربه: والله إن تعذب هـــذا الرجـــل العـــاصى – ويقصد نفسه – فعدل منك وتشهد كل من كفتى الميزان بذلك ولكن فضلـــك أوســـع لى، كما بشرتنى ألطافك ورحمتك بالخير وما وعدتنى بالعذاب وفى هذا يقول(١):

والله عـــدل منـــك إن عذبتـــه ... وبذاك تشهد كفتـــا المـــيزان

لكن عفوك رب أوسع لى ومـــا ... وعدتنى الألطاف بالحســـبان

إن لم تـــــرد إلا مليـــا واجـــدا ... أوه فمـــن للمثقـــل المـــدان"

وبعد هذا التمهيد الموجز للطلب يتقدم شاعرنا بالسؤال إلى رحاب ربه فيقول: حاشاك أن تخص المرْتوى بجودك، بل مطر عطائك أحنى علـــى العطشـــان، ولا أرجو ملجأ لطفك الحنان إلا لحيائك من الحزين الأنان، ولا أجـــد مـــن الأعمـــال الصالحة وسيلة إليك غير الرجاء فى فضلك وكرمك وشفاعة الحبيب المصطفـــى – صلى الله عليه وسلم – ولعله نسى أن يذكر أداء الفرائض وذلك تطبيقـــا للحديـــث القدسى الشريف(٢): «**ما تقرب إلى عبد أحب الى مما افترضته عليه**»، أعتقد أنـــه لم يدعها لأنها غابت عنه وإنما لم يذكرها غناء بما بينه وبين ربه من علاقة، ومـــا بينه وبين الحبيب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – من تأس، وحب، واقتداء به، ولا أتصور أن الفرائض غابت عنه، وذلك لهذا الحب النابض الناضج فـــى قلبـــه برسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يوجد أحد يحب رســـول الله – صلـــى الله عليه وسلم – بهذه الطريقة ثم ينسى الفرائض، غابت الفرائض عن شعره فى الذكر

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ،ص ٨٦.
(٢) رياض الصالحين، للإمام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى، (ط: مكتبـــة الإيمـــان، القـــاهرة، ١٤٠٩هـــ)، ص ١٥٧.

Marfat.com

ولكنها لم تغب عن عقله فى التنفيذ، وأعتقد أنها لم تغب عنه فى نفسه بدليل دفاعه عن الإسلام ومبادئه، ويعبر شاعرنا عن هذه المشاعر قائلا: اللهم إنى أسألك بعزتك العلياء وقدرتك الوسعى، أن تحسن إلى بجمال الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وفى هذا يقول(١):

"حاشاك جودك لا يخص بمرتو ... وندى الندى أحنى على العطشان

فبلطفك الحنان مالى ملجأ ... إلا حياؤك من شج أنان

مالى إليك وسيلة إلا الرجا ... والمصطفى المبعوث بالفرقان

فبعزك الأعلى وقدرتك التى ... لا تنتهى بزمانة ومكان

أحسن إلى بحسن أحسن محسن ... حسن حسين حاسن حسان"

نلاحظ أن البيت التاسع عشر بعد المائتين من الأبيات التى تشار إليها بالبنان وهو قوله: "مالى إليك وسيلة" الخ، هذا البيت ينفى عن الشاعر أى شبهة من الشبه التى يحاول البعض أن يلصقها به فى موضوع التوسل أو غير ذلك فالرجل برىء كل البراءة مما يقال عنه، يحصر هذه الوسيلة فى أمرين اثنين أولهما الرجاء، والرجاء فى وجه الله وعطائه ورحمته باب مفتوح لكل من رغب، وثانيهما التوسل بالحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - إن الأمة أجمعها سوف تستشفع به - صلوات الله وسلامه عليه - يوم القيامة على ملأ من الخلق، فشاعرنا لم يصنع شيئا يلام عليه، والآخر تجده يعذب ويلطف أكثر من بعض أبياته، وهو قوله: "فبعزك الأعلى" الخ، وهنا نلاحظ قمة الذل من العبد لقمة العز اللائق بذاته سبحانه، وبعد هذا يتقدم شاعرنا إلى رحاب ربه بسؤال الحسنة فى الدارين كما يعوذ به من عذاب

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ،ص ٨٩.

Marfat.com

القبر، ثم يسأله رضاه والتوفيق إلى الأعمال المؤدية إلى مرضاته، كأنه قال لربه سائلا إياه رضاه: اجعلنى ممن ترضى عنه ويرضى عنك، وفكرته هذه مأخوذة من وصف الله عز وجل للمؤمنين بقوله: **رضى الله عنهم ورضوا عنه** (١) وفى هذا يقول(٢):

"أجزل بكلتا الضرتين تتعمى وبجارة جفت بها هاتان
بك أرتضى ربا كريما فارض بى عبدا وأصلحنى لأن ترضانى"

وبعد هذا يقدم شاعرنا على الاستعاذة بالله تعالى من لظى جهنم ببركة من نبع الماء الزلال من بين أصابعه المباركة - صلى الله عليه وسلم - ومن هنا يشير شاعرنا إلى ما حدث من نبع المياه العذبة من أصابع النبى - صلى الله عليه وسلم - وفى هذا البيت نلمس اللطافة فى موضعين، أولا فى قوله "حر وجهى" حيث إن الشاعر قدم الصفة على الموصوف إشارة منه إلى أن الصفة المستكملة استكمالا تاما فى الموصوف، فبدلا من أن يقول: "أنزل الوقاية على وجهى الحر" قال: "حر وجهى" إمعانا فى أن الحرية صفة تامة فى الوجه، وجه اللطافة فى هذا البيت ذكره للحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - متوسلا به ونستطيع أن نقول: مستشفعا به، ولم يذكر النبى - صلى الله عليه وسلم - باسمه، فإن فى ذكر اسم المحبوب لذة وفى ذكر صفة من الصفات المعروفة عنه لذة أخرى، فذكر شاعرنا معجزة من معجزاته - صلى الله عليه وسلم - كأنما يقول: "اللهم إنى أتوسل إليك بالحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - الذى بلغ مقامه عندك أن أنبعت الماء من بين أصابعه، ولم لا يكون شاعرنا يقصد بالماء الذى نبع أن يستتبع رحمة الله -

---

(١) سورة المائدة ١١٩/٥.
(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ،ص ٨٧.

Marfat.com

عز وجل – لتتنزل إلى قلبه فيرزقه المن والفضل، كما يشير إلى الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا دعانى**»[١] ولنسمع صوت شاعرنا حيث يقول[٢]:

"ثقل موازينى وأبلح حجتى بمن ارتضاه نبيان الثقلان

وق حر وجهى من لظاها بالذى نبع الزلال بكفه[٣] المزدان

قد قلت إنى عند ظن عبدى بى ظنى بك الإحسان يامنانى"

نلحظ أن كلا من ثقل الميزان وخفته مأخوذ من التوجيه القرآنى حيث يقول ربنا تبارك وتعالى[٤]: **فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية، وما أدراك ماهيه، نار حاميه** ووصف الميزان فى أكثر من موطن فى القرآن العظيم، والملحوظ أن أبيات القصيد تعددت عند شاعرنا، وأرى لو لم يكن فى القصيدة سواهما لكفاها، وناهيك بشاعر له فى قصيدة واحدة بل فى غرض واحد من أغراض القصيدة أبيات توصف بأنها بيت القصيد.

---

(١) صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى، ج ٢، ص ٢٠٧.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ،ص ٨٧.

(٣) يقول شاعرنا عن كلمة "كف": اكتسبت التذكير من المضافة إليه، كالسور اكتسبت التأنيث من المدينة فى بيت قاله صاحب غاية التحقيق:

لما اتى حب الزبير تواضعت سور المدينة والجبال خشع

المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٤) سورة القارعة ١٠١/٦:١١.

Marfat.com

ثم يسأل شاعرنا ربه أن يمتعه برؤية جمال الحبيب المصطفى - صلـــى الله عليه وسلم - حين تخضع كل من الشمس والقمر لجماله - صلى الله عليه وسـلم - ويتقدم شاعرنا برجائه هذا إلى رحاب ربه قائلا(١):

وإذا تجلى نور حسن المصطفـى يوم الجزا فأرح به أعيـــانى

أرنى إذن قمرا تضـــائل دونـــه كل الكواكب واختفى القمـران

ولم يكن شاعرنا يكتفى بالعطاء لنفسه فهو يسأل ربا كريما معطاء يسع جـوده الخلق أجمعين، لذلك رأى يسأل ربه العطاء فى زاوية أخرى إنـــها زاويـــة والـــده وجده، فهو يرجو لهما من الخير ما يرجوه لنفسه وهو لون من ألوان الطمـــع فـــى عطاء الكريم، ومن أكرم من رب العزة تبارك وتعالى؟ ومن هذا المنطلق يتوجـــه شاعرنا إلى رحاب ربه سائلا إياه رحمته الواسعة لأبيه مولانا محمد نقى على خان وجده مولانا محمد رضا على خان، كما يسأله أن يجعل قبريهما روضة من رياض الجنة، مستمدا فكرته من الحديث النبوى الشـــريف: "**إن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**"(٢) ويسأل الله تعالى الأنس لهما فى قبريهما بـالحور والغلمان والرضوان، وخير الجيران، إن ما دعا به شاعرنا لوالديه وجده ليذكرنـــا بآيـــة كريمـــة وحديـــث شـــريف، أمـــا الآيـــة فـــهى قولـــه جـــل ثنـــاؤه:

وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا (٣) وأما الحديث الشريف فبمجرد دعـــاء شاعرنا لوالده وجده وأمثاله الذين يدعون لآبائهم يذكرنا ذلك بصدق رســـول الله -

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ،ص ٨٧.

(٢) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، للإمام عبد العظيم بن عبد القـــوى المنـــدرى، ضبـــط أحاديثه وعلق عليه الأستاذ مصطفى محمد عمارة (ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفـــى البـــابى الحلبى، ١٣٧٣هـــ)، ج ٤، ص ٢٣٨.

(٣) سورة الإسراء ١٧/٢٤.

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم - فيما أخبرنا، لقد أخبرنا منذ قرون "**إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث**" وكانت ثالثة هذه الثلاث "**ولد صالح يدعو له**"(١) لا أدرى أقول هذه شهادة من شاعرنا بصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن يصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو مؤمن، وكيف بنا إذا قلنا: إن مجرد الدعاء من شاعرنا لوالده وجده شهادة من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لشاعرنا بأنه من الصالحين، ومن يشهد له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأنه صالح فذاك مفخرة له أمام العباد جميعا، نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يمتعنا بأن يجعلنا من الصالحين. ولنسمع إلي شاعرنا حيث يقول(٤)

"وارحم أبى وأباه رحما دائما ... واجعل قبورهما رياض جنان

آنسهما اللهم فى جدثيهما ... بالحور والغلمان والرضوان

أبدلهما دارا وجارا خيرا(٥) ... من هؤلاء الدور والجيران

حتى يقول الناظرون إليهما ... بتعجب وتباشر وتهان

عبدان مرحومان رب غافر ... نزل كريم منزل روحانى"

ولا يكتفى شاعرنا بطلب العطاء لوالده وجده بل هو مؤمل الخير فى رحمة ربه، ومنه، وإحسانه، فاللسان الذى طلب العطاء لنفسه ثم رفع الرغبة هذه لوالده

---

(١) كنز العمال، للعلامة علاء الدين على المتقى، ج ١٥، ص ٩٥٢..

(٤) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٨

(٥) أى خيرية الدار والجار متلازمان فى الدار الآخرة فوصف أحدهما أغنى عن وصف الآخر. أولاء: ربما يشار بها إلى غير ذوى العقول، قال الله تعالى: **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** [سورة الإسراء ٣٦/١٧] قاله إسماعيل الجوهرى، وفى الشعر أمر اخر يعرفه اللبيب، المرجع السابق ص ١٠٣-١٠٤.

Marfat.com

وجده، يعرف أنه يدعو ربا كريما، لذلك لا يكتفى بثلاثتهم بل يتسع فكره، ويعظم طمعه، وتحسن رغبته حين يطلب الفضل لأمة الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - إننا نراه فى نهاية المطاف يدعو للأمة المسلمة جمعاء بالرضى الأوفر، والعطاء الأكثر، قائلا: اللهم انك شرفتنا بالحق فانصرنا على بدع العنود، وفتنة المتجرئين على الدين، واجعلنا من المدافعين عن الدين الحنيف والمبطلين شر أهل الزيغ، فلك يا ربنا كل الثناء أولا وآخرا، ومن هنا نستطيع القول: إن شاعرنا لم يكن يكتفى بسؤال العطاء لنفسه حيث إن صيغة الجمع التى استخدمها فى قوله "شرفتنا بالحق" الخ والذى يدل على أنه يطلب العطاء الإلهى للأمة المسلمة كلها، ألم أقل لك أيها القارئ المفضال: إن شاعرنا يتاسى بالقرآن والحديث فى لغته وصياغته فاقتفى بسنة الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بالدعاء للأمة المسلمة جمعاء، وفى هذا يقول(١):

"وأدم شآبيب الرضا وندى العطا ... لجميع أهل الدين والإذعان

شرفتنا بالحق فانصرنا على ... بدع العنود ونزعة المجان

حتى نكون حماة دين قيم ... ومحاة شر الزيغ والبطلان

فلك الثناء ببدنه وثنائه ... ولك المديح بأول وبشان"

ولا يخفى على القارئ مواطن الجناس فى قوله "حماة" و"محاة" أولا وثناء "وثنا" ثانيا وبعد هذا ينتقل شاعرنا إلى الصلاة والسلام على خير الأنام(٢) بدءا من البيت الثامن والثلاثين بعد المائتين لغاية الثالث والأربعين بعد المائتين، وماذا نقول فى شاعر وجدنا له سبعة أبيات من جملة أربعة وأربعين فى المناجاة، ورأينا أن

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ،ص ٨٧.
(٢) درسنا هذه الأبيات فى الفصل الأول من الباب الثانى ضمن المديح النبوى الشريف.

Marfat.com

هذه الأبيات السبعة ممن ينطبق عليها قول القائل: "هذه أبيات القصيد" وماذا نقول عنه غير أنه شاعر مجيد استطاع أن يستوقف القارئ عند سبعة أبيات فى غرض واحد من أغراض القصيدة، ويشار بالبنان إلى هذه الأبيات، ومادمنا قد فرغنا مما لم نكن قد ذكرناه قبل ذلك، فلا أرى أن مناجاة شاعرنا قاصرة على ما ذكرت فى هذا المبحث، بل إن مناجاته كانت تتردد فى أنحاء قصيدته وذلك لما قلت فى أول المبحث إن شاعرنا كان يناجى ربه حين يتناول القلم لكتابة بعض الأبيات، ولذا فكان يأتى بالمناجاة الخفيفة ضمن القصيدة وأرى أن المناجاة عبارة عن علاقة بين العبد وربه، يرددها فى ثنايا كلامه، قد يبدأ بها وقد يأتى بها فى منتصف القصيدة، كما يأتى بها أحيانا فى آخر القصيدة، ولم يفرد الشيخ أحمد رضا خان المناجاة باعتبارها غرضا شعريا قائما بذاته إلا أنه أفرد رباعية وبعض الأبيات الفرادى لهذا الغرض.

إذا كنا درسنا المقطوعتين[1] فى المناجاة من القصيدتين نظمها شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فى المدح فقد بقيت لنا ثلاث مقطوعات مستقلة، الأولى فى ثلاثة أبيات، أما الثانية والثالثة فتشتمل كل منهما على بيتين، وإلى جانبها ثلاث رباعيات وثلاثة أبيات متفرقة، وأعتقد أن هذا امتداد للنجوى بين شاعرنا وبين ربه عز وجل، وأرى أن هذا استمرار فى حديثه مع الله يعبر عن مدى ما يؤمله من فضل الله - عز وجل - ومدى حبه لله - عز وجل - وبالجملة يعبر عن مدى العلاقة

---

(١) تقول الدكتور إسعاد وهى تعرف فن المقطوعة (او القطعة): أما القطعة فمن الأنماط والضروب التى نظمت فيها الأشعار الفارسية منذ بداية الشعر الفارسى بعد الإسلام، النمط المعروف بالقطعة. والقطعة كما يدل على اسمها قد تكون قطعة من قصيدة كاملة انفصلت عنها لسبب من الأسباب. وقد تكون جزءا من قصيدة لم يقدر لها أن تكتمل، كما أنها قد تكون وحدة قائمة بذاتها أنشأها الشاعر ليصوغ فيها غرضا من الأغراض، فلما سجله فيها تركها على حالها فلم يفكر فى أن يضيف إليها أبياتا أخرى. انظر: فنون الشعر الفارسى، للدكتور إسعاد عبد الهادى قنديل، ص ٢٢٨.

Marfat.com

القائمة بين العبد وربه كأحسن ما تكون هذه العلاقة التى بلغت درجة لا يكاد يصل إليها العبد حتى يقر فى داخله ويشعر بالقرب فيعمر قلبه بالأنس يجعله مفتخرا بما بينه وبين الله - تبارك وتعالى - وأى فخر يتحلى به العبد أكثر من أن يكون على درجة من الأنس والقرب من الله - عز وجل - قربا لا يدركه إلا من حاول أن يطرق الأبواب فوصل أو كاد فتمتع بالأنس أو تمنى ذلك، والله - جل علاه - عند ظن العبد به[1] هذا المدى الواسع الذى لا يحده حدود، فيطرق الباب متوسلا مرة بالاستغفار ومرة بحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وثالثة بما أراد من ذكر الله - تعالى - إنه يسأل الله - تعالى - الفضل والإحسان تارة ويسأله المسامحة تارة أخرى، أى طريق للمناجاة استطاع أن يسلكها شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فلم يسلكها، والدين والعقيدة، والرسول - صلى الله عليه وسلم - والقرآن يعلمنا ذلك، وكل ما يدور فى فلك الدين يحبه شاعرنا، ويتمسك به، ثم يتوسل به إلى الله - تعالى - أعاذنا الله تعالى وإياكم وشاعرنا من غضبه وعقابه، وأكرمنا جميعا بفضله وثوابه.

يتضرع شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فى المقطوعة الأولى إلى الله - تبارك وتعالى - متواضعا تواضع العبد مع مولاه، تواضعا يليق بالمعبود - جل وعلا - وكان لا يغيب عنه قول الله عز وجل: **إنما يخشى الله من عباده العلماء**[2]، سائلا إياه الجود، والتقى، والنقى، وحسن العاقبة، متفائلا من أسماء أجداده، فقد قال من باب العشم فى وجه الله - تعالى - والأمل فى عطفه ورضاه، وذلك كأنما قد وقع له ما يريد، وهذا من باب التفاؤل كما جرى الأسلوب القرآنى: **أتى**

---

(١) إشارة إلى الحديث القدسى: "**أنا عند ظن عبدى بى**"، صحيح مسلم المسمى الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى، ج ٢، ص ٢٢٧.

(٢) سورة فاطر ٢٨/٣٥.

Marfat.com

أمر الله فلا تستعجلوه [١] يريد الحق - سبحانه وتعالى - أنه يأتى ولكن الإتيان من باب التحقيق، لذلك عبر بالماضى، والفعل لما يأت، أو من باب الانتظار بإن الشرطية، وكأنما الكلام: "اللهم إن تجاوزت عن سيئاتى" و"إن أمنت" فالتعبير بالماضى يدل على عظيم التفاؤل وعليه فالانتظار لفضل الله تعالى أمر محقق من باب التفاؤل، كأنه ينتظر هذا من فضل الله - تعالى - ومن الممكن أن يكون التعبير بالماضى من باب الاستعطاف واستدرار عفو الله - عز وجل - فكأنه يقول: "اللهم إننى عبيد فقير ذليل وأنت بفضلك وكرمك تجاوزت عن سيئاتى، وأمنتنى عند الكبر لأنك كريم ومواهبك جليلة، أسألك أن ترزقنى نصيبا من أسماء آبائى فتجعلنى نقيا، رضيا، سعيد الخاتمة، فشاعرنا يشير إلى اسم والده مولانا محمد نقى على خان القادرى، والى اسم جده مولانا محمد رضا على خان النقشبندى، ومولانا سعيد الله خان القندهارى[٢] على سبيل التورية، وفى هذا يقول[٣]:

"إلهى تجاوزت عن سيئاتى وأمنتنى إذ تشيب الذوائب
فإنى عبيد فقير ذليل وأنت الكريم الجلى المواهب
فجدلى بجعلى كأسماء أصلى نقيا رضيا سعيد العواقب"

وأرى أن هذه المقطوعة تمثل أحلى وأعذب ما نظمه شاعرنا فى المناجاة، حيث إن المناجاة اشتملت على الاستغفار والتواضع لله - عز وجل - غاية التواضع، والتضرع إليه أن يرزقه الله تعالى نصيبا من أسماء آبائه، معترفا بفضله - جل جلاله - ونلاحظ أن شاعرنا أتى بكلمة "عبيد" قاصدا بها نفسه زيادة فى

---

(١) سورة النحل ١٦/١.
(٢) هو الجد الخامس للشيخ أحمد رضا خان، كما سبق أن ذكرت فى الفصل الثانى من الباب الأول.
(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ،ص ١٧٤.

Marfat.com

التواضع، فكأنه يطمع فى أن يكون عبدا لله - سبحانه وتعالى - ويخشى أن تشوب عبوديته شائبة لا تليق بالوقوف فى رحاب المعبود - جل وعلا -. فكأنه يطمع فى العبودية الخالصة لله - سبحانه وتعالى -.

أما المقطوعة الثانية فتحتوى على شكوى جور الأعداء وعدوانهم ورجاء الشاعر فى فضل ربه، كما يشتمل على بيان ثقة الشاعر فى نصرة الله تعالى ثقة لا تحدها حدود، ثقة تليق بقدرته - سبحانه وتعالى - ولعل الصوفية يعبرون عن هذه الثقة بالتوكل على الله - سبحانه وتعالى - كما جاء فى الحديث الشريف: "**لو توكلت على الله حق توكله لرزقت كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتعود بطانا**"(١) وبالطبع قصد شاعرنا عند إتيانه بكلمة الأعداء الاستعمار البريطانى ومن ناصرهم، وأرى أن من ناصرهم فريقين، فريق يناصرهم طمعا فيما عندهم وما كانوا يؤملونه منهم، وفريق يناصرونهم جهلا، أعتقد أننى قد بينت هؤلاء وهؤلاء أثناء كلامى فى الباب الأول، فقد ترك الاستعمار سجلا أسود يحتفظ بمظالمهم الوحشية التى تقشعر الجلود بالاطلاع عليها، وكان يمارسها لتمديد حكمه الظالم على الهند مستهدفا بمظالمه الشعب الهندى بصفة عامة والمسلمين لاسيما علماءهم بصفة خاصة، فقد خصهم بأبشع العقوبات من الحبس والتعذيب والذى يصل أحيانا إلى عقوبة الإعدام، وذلك خوفا منهم لأن الإنجليز كانوا قد سلبوا الحكم من المسلمين، وكان خوفهم من المسلمين أكثر من الهندوس أو ذوى الديانات الأخرى، وكأن شاعرنا يقول: ظلم الأعداء ما ظلموا ولكننى جعلت رجائى فى نصرة الله تعالى أعظم وأكثر، فهو المجير الأقوى يحمى من ظلم كل ظالم، وطالما ربنا تبارك وتعالى مجيرنا فيكفينا وليا، ويكفينا نصيرا، وهذا هو اعتقاد المؤمن

---

(١) كنز العمال، للعلامة علاء الدين على المتقى، ج ٣، ص ١٠٣.

Marfat.com

قوى الإيمان فى رحمة الله – سبحانه وتعـــالى – ونصرتـــه، وفـــى هـــذا يقـــول شاعرنا(١):

"عدى العادون وجاروا ورجوت الله مجـيرا
وكفـــى بـــالله وليـــا وكفى بالله نصـــيرا"

نلاحظ أن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان جاء فى البيت الثانى بالتعبير متخـذا من القرآن، فقد اقتبس من قول الله – عز وجل – **والله أعلم بـــأعدائكم، وكفـــى بالله وليا وكفى بالله نصيرا** (٢) ما أقوى الإيمان بالله تعالى فى ظـــروف قاســـية، وما أحسن الاقتباس؟!

أما ثالث المقطوعات فتتكون من بيتين مـــن بحـــر المتقـــارب علـــى نـــهج المثنوى(٣) حيث يبدأ شاعرنا حديثه مع ربه بالحمد لله – سبحانه وتعالى – وبالتـــالى يناجيه، وقد جاء بالفعل الماضى فى مناجاته والتعبير بالماضى يدل علـــى عظيـــم التفاؤل والاستعطاف، والمعنى: "يا من انتظر غفرانه وكفايته لى بنعمته" البيتيـــن.

---

(١) الزلال الأنقى من بحر سبقة الأتقى، للشيخ أحمد رضا خان، ص ٦.
(٢) سورة النساء ٤/٤٥.
(٣) تعرف الدكتور إسعاد فن المثنوى وهى تقول: المثنوى شعر يبنى علـــى أبيـــات مســـتقلة المصراعين، يشتمل كل بيت منها على مصراعين متفقين فى القافية والروى، مستقلين فى ذلـــك عن غيرها، ويسمى شعراء العجم هذا الضرب من الشعر بـــالمثنوى، ويعـــرف فـــى العربيـــة بالمزدوج، ويشترط فى المثنوى أن تجرى أبياتها جميعا – مهما كثر عددها – على وزن واحد... وقد ذهب البعض إلى القول بأن هذا الضرب من النظم الفارسى الأصل ... والواقع أن العـــرب عرفوا بالمزدوج مع أبان بن عبد الحميد اللاحقى الرقاضى (م ٢٠٠هـــ) ونظموا فيه القصـــص: ككتب "كليلة ودمنه" و"الصاوح والباغم"، والتاريخ كأرجوزة ابن عبد ربه فى غزوات عبد الرحمن الناصر، وكتب العلوم: "كألفية ابن مالك" فى النحو، إلا أنهم أهملوه إهمالا كبيرا وربما كان السبب فى ذلك أن الطبع العربى يستحسن النظم موحد القافية ويميل إليه .
انظر: فنون الشعر الفارسى، للدكتور إسعاد عبد الهادى قنديل، ص ١١٩.

Marfat.com

كلاهما تقرب إلى الله – عز وجل – ودعوى له ولنبيه – عليه الصلاة والسلام – يعنى أنه التقرب إلى الله – تعالى – أكثر من طريق، أمل فى المغفرة، وطلب كفاية الله – عز وجل – وبالتالى يطلب شاعرنا من الله – عز وجل – أن يصلى على النبى – صلى الله عليه وسلم – وهذا منه بطبيعة الحال قربى إلى الله – تعالى – وإظهار لحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى قلبه، وقد أملى على شاعرنا هذين البيتين أمله فى وجه الله – سبحانه وتعالى – الذى لا ينتهى ولا ينقطع، وحب النبى – صلى الله عليه وسلم – الكامل المتمكن من سويداء قلبه، السائد فى سائر تصرفاته، فكأن الشاعر يريد أن يقول: اللهم إنى انتظر مغفرة الذنوب بفضلك وكرمك، وكفايتك بنعمك ورحمتك، وأسألك أن تصلى على الحبيب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وأصحابه وأتباعه والشيخ عبد القادر الجيلانى الذى عرف بلقب "غوث الورى" وأرى أن شاعرنا لم ينس السلام إلى جانب الصلاة بل إنه اضطر إلى ذلك للضرورة الشعرية فقط، ورأيى هذا نظرا للثقافة الدينية التى كان شاعرنا يتمتع بها، وحين أقف إلى هذين البيتين أفترض أنهما قصيدة قائمة بذاتها، وأن الأول منهما يعتبر بيت القصيد وذلك لما فيه من حلاوة شعرية وعاطفة فياضة، ويزينه الأسلوب السهل الممتنع، يقول كلاما كأنه كلام عادى ولكنه شعر، يقول شاعرنا(١):

"لك الحمد يا من عفى وكفى صلاتك دوما على المصطفى
وال وصحب وأتباعهم وغوث الورى وأشياعهم"

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان .ص ٢٢٦.

Marfat.com

ولم يكتف شاعرنا بتلك المقطوعات التى سبق أن ذكرتها إنما رأى أن يناجى ربه برباعيات(١) ثلاث غير تلك المقطوعات التى سبق أن عرضت لها وهذه الرباعيات الثلاث، جاء بها شاعرنا ليقول - بلسان الحال - أنا متمكن من اللغة العربية وأستطيع أن أزيد عليها ما تقبله، مع أن هذا وزن جديد أو هو تطوير فى الوزن الشعرى كما هو فى الموشحات والموال على كل يتوجه شاعرنا بالمناجاة إلى ربه - سبحانه وتعالى - متوسلا بالشيخ عبد القادر الجيلانى، فيقول: جاء الشيخ عبد القادر الجيلانى بالنور والهداية ورجع بهما إلى الدار الآخرة، عطاء من الله - سبحانه وتعالى - متبعا للنبى - صلى الله عليه وسلم - ومرشدا للناس ومحبيه إلى الطريقة المثلى فى اتباع سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - اللهم إن كنت جعلت الشيخ عبد القادر كما شئت وتفضلت فاجعلنى كما شاء الشيخ عبد القادر" والمشيئة المراد هنا هى المشيئة البشرية وهى الرغبة والتمنى، وهى غير المشيئة الإلهية، يعنى شاعرنا بذلك أن الأستاذ يريد لتلميذه التقدم العلمى، والمرشد يرغب فى تنمية التقوى فى قلوب مريديه وتحصينهم من كيد الشياطين بالإرشاد إلى الأدعية أسوة بالحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - والأدعية النبوية التى انتقلت إلينا جيلا بعد جيل، لقد وردت هذه الرباعية ضمن منظومة أردية تحت عنوان: "نظم معطر" ومعناه فى العربية النظم العاطر، ونجده يتصدى لنظم الرباعية حيث يقول(٢):

"يامن بسناه جاء عبد القادر يامن بشناه باء عبد القادر
إذ أنت جعلته كما كنت تشاء فاجعلنى كما شاء عبد القادر"

---

(١) لقد سبق أن عرضت للتعريف بفن الرباعى فى الفصل الأول من الباب الثانى.
(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ،ص ٢٠٧.

Marfat.com

أرى فى هذه الرباعية كأن الشيخ أحمد رضا خان يدعو لنفسه متأدبا بأدب الدعاء الوارد فى القرآن حيث قال الله – تبارك وتعالى – **ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، أولئك لهم نصيب مما كسبوا. والله سريع الحساب** (١) ومن هنا نلحظ الثقافة الدينية و العاطفة المشبوبة اللتين جمعهما شاعرنا فى هذه الرباعية.

ومما هو جدير بالذكر أننى بحثت معنى كلمة شنا فى لسان العرب(٢)، و القاموس المحيط(٣)، وتاج العروس(٤) فوجدت كالآتى: "شنا: شنوة لغة فى شنوة من قولهم: "أزد شنوه" بدل لا قياس، لأنه لو كان تخفيفا قياسيا لم يثبت فى النسب واوا، فإن جعلت تخفيف شنوة قياسا قلت فى النسب إليه شنوى على مثال شنعى، لأنك كأنك إنما نسبت إلى شنوءة، فتفطن إن يسر لك ذلك، قال: لولا اعتقادنا أنه بدل لما أفردنا له بابا، ولو سعته ترجمة شنأ فى حرف الهمزة، وحكى اللحيانى: رجل مشنى ومشنو : أى مبغض" ومن هنا أعتقد أن الشاعر لم يأت بكلمة شنا فى الشطرة الثانية من البيت الأول وذلك لكونها غير مناسبة فى المعنى، لأنه من المعلوم أن شاعرنا كان يحب الشيخ عبد القادر الجيلانى حبا جما فكيف يتصور منه أن يأتى بهذه الكلمة فى هذه الشطرة، فأنا أرى أنه من الممكن أن تكون هذه الكلمة خطأ مطبعيا و هى أساسا "سنا" بمعنى ضوء القمر والضوء الساطع وضوء البرق(٥)

---

(١) سورة البقرة ٢/٢٠١، ٢٠٢.
(٢) لسان العرب. للإمام جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، ج ١٤، ص ٤٤٤.
(٣) ترتيب القاموس المحيط للفيروز ابادى / للأستاذ طاهر أحمد الطرابلسى، ج ٢، ص ٧٠٤.
(٤) تاج العروس. للزبيدى. ج ١، ص ٣٠٣.
(٥) المعجم الوسيط لصفوة من العلماء (ط: مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط ٢)، ج ١، ص ٤٧٤.

Marfat.com

وأعتقد أن شاعرنا قصد إحدى هذه المعانى الثلاثـــة مســـتخدما كلمـــة "ســـنا" دون استعمال كلمة "شنا".

أما الرباعية الثانية فيلجأ فيها شاعرنا إلى اللياذة بربه – ســـبحانه وتعـــالى – متوسلا بالشيخ عبد القادر الجيلانى، راجيا فضله العميم ومنه الشامل، راغبـــا فـــى مغفرته مناجيا إياه قائلا: يارب إن لى أملا ورجاء فى مغفرتك وعطائك، وقد أملنى فى كرمك أحد عبادك الصالحين الشيخ عبد القادر الجيلانى، وقد عودنا هذا الرجـــل المعطاء بالجود والعطاء، وإذا كان عبدك هذا كريما معطاء فكيف عطـــاء المليـــك وكرمه؟! وإن الدار الآخرة – وبالطبع المراد هنا الجنة – وسيعة ومالكها كريـــم، والكريم لا يرد السائل إلا بعد إشباع رغبته فيما رغب فيه، ولا غرو فأنت أكرم من أن ترد يدى خاويتى الوفاض، اللهم أنزلنا حيث نزل الشيخ عبد القـــادر الجيلانـــى، ويتضح من هنا أن الشاعر يسأل ربه الجنة، كما يرى أن الشيخ عبد القادر الجيلانى سيدخل الجنة، والتعبير بالماضى من باب العشم والأمل فى رضى الله – تعـــالى – وما ينتظر من كرمه البالغ وعطائه الواسع، كأنما قد وقع له ما يريده الشاعر، وهذا ما ننتظره بفضل الله – سبحانه وتعالى – نظرا للخدمات الدينية التى قام بها الشـــيخ عبد القادر الجيلانى طوال حياته فى مجال الدعوة والإرشاد، ويعبر شـــاعرنا عـــن هذه الخواطر قائلا(١):

"رب أربى الرجاء عبد القـادر إذ عودنا العطاء عبد القـادر
الدار وسيعة وذو الدار كريـــم بوءنا حيث باء عبد القـــادر"

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ،ص ٢٠٨.

Marfat.com

أما ثالث الرباعيات - حسب ترتيبى - فتختلف عن سابقتيها، فإنـــها تعـــرف بالرباعى المستزاد[١] و هذا استمرار شاعرنا فى مناجاة ربه، فالمناجـــاة و السـؤال سبيل التقرب بين العبد وربه، و المحب الصادق يهوى أن يكون فى التقرب الدائـــم مع حبيبه، ويحثه السؤال على النجوى مع الحبيب، ويحظى المحب بتوجه و اهتمـــام خاص من حبيبه، فإن الله - تبارك وتعالى - عندما أكرم سيدنا موســـى - عليـــه السلام - فخاطب إياه قائلا[٢]: "وما تلك بيمينك ياموسى؟" عندئذ لم يكتـــف سـيدنا موسى - عليه السلام - بكلمتين عند الإجابة بل انتهز الفرصة و أطال الجواب وزاد فى الكلام حتى يحظى بطول المناجاة بين المحب كليم الله - عليه السلام - وحبيبـه رب العباد - جل و علا - وكان من الممكن أن يجيب حيث يســـأله ربـــه بكلمـــة "عصاى" و هذا الجواب بالكلمتين نحو بيتين و إن كانتا كلمة واحدة إملائيا، ولكنه زاد فى الكلام و **قال هى عصاى أتوكؤا عليها، وأهش بها على غنمى، ولـــى فيـــها مآرب أخرى** [٣] فقد عرف كليم الله سيدنا موسى - على نبينا و عليه و على ســـائر الأنبياء و المرسلين أفضل الصلاة و التسليم - أنه موضع خطـــاب ربـــه فـــأراد أن يتشرف بهذا التكريم أكثر و أكثر فأطال الجواب، فلم يكن شاعرنا الشيخ أحمد رضـــا

---

(١) عن هذا اللون من الرباعى تحدثنا الدكتور ابتسام صالح الدين قائلة: يطلق المستزاد على المنظومة التى يضاف فيها فقرة نثرية إلى كل شطرة أو بيت فيها، [والمراد إضافة هذه الفقرة النثرية بعـــد كل شطرة. ويفهم من ذلك أن الرباعى يركب من أربع شطرات تضاف إليها بعد كل شطرة فقـرة نثرية. يكون مضمونها متفقا مع الشطرة التى سبقتها، وبالتالى يكون الرباعى المستزاد مكونا مـن اربع شطرات و أربع فقرات نثرية على نحو ما حاولنا تفصيله] بشرط أن ترتبط بمعنى لما يسبقها على أن يكون ذلك الارتباط فى كونها متضمنة نفس المعنى التى أشير إليها فى الشطرة أو البيت، ويمكن أن يستقيم المعنى بدونها، وبمثل ذلك يأتى الغزل المستزاد وبنفس التركيبة. وليس للمستزاد نظير فى العربية ولكنه يشبه بعض الموشحات و المقامات فى العربية".
انظر: نشأة الشعر الأردى، للدكتور ابتسام صالح الدين، ص ١٩٤.
و انظر: كلستان سخن لميرزا قادر بخش صابر (ط: مجلس ترقى ادب لاهـــور ١٩٩٦م)، ج ١، ص ١٩٣.

(٢) سورة طه ١٧/٢٠.

(٣) سورة طه ١٨/٢٠.

Marfat.com

خان مندفعا إلى تكرار السؤال والمناجاة إلا من منطلق الحب الإلهى، فيحمد ربه ذا الأفضال وبالتالى يناجيه ويسأله الجود والمنة وتحقيق الآمال، وهو يعتقد اعتقادا جازما أن المعطى هو الله - تبارك وتعالى - وهو المتعال ومحقق الآمال، فاتخذ شاعرنا بآداب الدعاء حيث إنه يبدأ نجواه مع ربه بالحمد لله - تعالى - فكأنه يقول: "اللهم أنت المتعال وأنت ذو الأفضال أكرمت الشيخ عبد القادر الجيلانى بالفضيلة ونعمة الإيمان، كما أنعمت عليه بنعمة الإيقان والعرفان، وزينته بجمال الخلق الطيب والرحمة للمؤمنين كما طبعته على الشدة على الكفر والشرك والبدع، مولاى إنك مننت على الشيخ عبد القادرَ الجيلانى بفضلك وكرمك أنواع النعم، وإننى أحد المحبين لعبدك هذا الذى أحبك بكل قلبه، اللهم ليس لدى الكثير من الأعمال الصالحة حتى أتوسل بها إليك ولكن حبى للشيخ عبد القادر الجيلانى دفعنى لأتوسل به إليك، اللهم أسألك أن تمن على وتستجيب دعائى وتحقق آمالى التى اختمرت فى ذهنى وقلبى، ويعرب شاعرنا عن هذه المشاعر قائلا(١):

حمدا يا مفضل عبد القادر ... ياذ الأفضال

يا منعم يا مجمل عبد القادر ... أنت المتعال

مولاى بما مننت بالجود عليه ... من دون سؤال

أمنن وأجب سائل عبد القادر ... جد بالآمال

جاء شاعرنا بالرباعى المستزاد ولا أعتقد أن غيره من الشعراء جاء به، ومن الممكن أنهم لم يأتوا به لأنه لم يكن له نظير فى العربية، وهو لون مبتكر أو منقول من غيرها من الفارسية، وقد تفرد شاعرنا فى نظم الرباعى المستزاد باللغة

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ،ص ٢٠٩.

Marfat.com

العربية، وكأنه يريد أن يقول: إننى متمكن من الزيادة على اللغة العربية بما تقبلـــه، وأستطيع أن أنظم فى هذا اللون الجديد على العربية له وزنه وقيوده، أو هو تطويـر فى الوزن كما هو حال بالنسبة للموشحات وغيرها.

وإذا كنا حاولنا أن ندرس فيما سبق من الرباعيات فالنعرض الآن لثلاثة أبيات عربية متفرقات نظمها شاعرنا مناجيا ربه متعطشا إلى فضله وكرمه، أما أول هـذه الأبيات - حسب ترتيبى - فقد أورده شاعرنا ضمن منظومة أردية توجها بعنـــوان "الدعاء" ومن عادته أن يأتى بيتا عربيا ضمن منظومات أردية ليقول: أنا متمكن من اللغة العربية أيما تمكن حيث إن اللغة العربية تسكن داخلى، لا يستطيع أن يفارقـــها لسانى حتى إن كنت أتحدث بالأردية، - لغة الأم لشاعرنا - فنراه فى هـــذا البيـــت العربى يناجى ربه فى شدة وكرب، وكأنه فكر فى قوله تعالى(١): **أمـــن يجيـــب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء** فدفعه التفكير فى هذه الآية إلى التضرع إلـــى الله تعالى فتوجه إلى ربه ليكشف الكروب، وكأنه قال: اللهم أنت الإله الحق فقـــط وغيرك من الآلهة التى اتخذها المشركون فى أى عصر من العصور باطل، وأنـــت الأكبر فقط والكل منقاد لك وأنت الذى تستجيب دعائى فأجب قولى، وقد عبر عـــن هذه الأفكار قائلا(٢):

"ياإله الحق أجب قولى أجـــب استجب الله أكبر اســتجب"

نرى فى هذا البيت خشوع شاعرنا وخضوعه إلى ربه حينا كما نـــرى ثقتـــه القوية فى ربه حينا آخر، إنه واثق فى ربه أعظم الثـــقة بأنه لا يرد الســـــائل دون

---

(١) سورة النمل ٦٢/٢٧.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ،ص ٢١٤.

Marfat.com

عطاء، ولعل الصوفية يسمون هذه الثـــقة بالتوكل على الله – ســـبحانه وتعـــالى – وبالتالى شاعرنا متأكد فى العطاء الإلهى حيث إنه قدم الدليل على قدرة الله – عـــز وجل – على الإجابة وذلك حين قوله "الله أكبر" ومعناه أنه سبحانه وتعالى أكبر مـن كل شيئ فإذن هو قادر على الإجابة.

أما ثانى أبيات شاعرنا – حسب ترتيبى – فى المناجاة فنجده فيه يشكو إلـــى الله – سبحانه وتعالى – الوقع النفسى الذى أصابه مما تفوه به بعض معاصريه بأنه ليست هناك معرفة مسبقة لله تعالى بشأن أفعال الإنسان، وكان شاعرنا ينزعج ممـــا يتفوه به بعض الناس من أفكار معارضة للإسلام، وبالتالى كان يقوم بـــالرد علـــى هؤلاء الناس، وأقبل شاعرنا على التعبير عن قلقه ورفع شكواه إلى الله –عز وجل– مناجيا إياه فقال(١):

"ما شئت كان وما تشاء يكون لا ما يشاء الدهر والأفـلاك"

ففى هذا البيت نفس شاعرنا عن كربه كما قام بـــالرد علـــى القـــائلين بعـــدم المعرفة المسبقة لله تعالى بشأن أفعال العباد، وقد أعرب كذلك عن ثقافتـــه العقديـــة بموهبته الشعرية، وذلك بإقدامه على الاقتباس من الآية القرآنية { **وما تشـــاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين** }(٢).

أما ثالث الأبيات فى المناجات – حسب ترتيبى – فنجد شاعرنا يســـأل ربـــه الرحمة والمزيد من النعمة، كما يسأل ربه – جل جلاله – العافية من ثوران الفتن، ولقد أورد هذا البيت ضمن المنظومة الأردية الأخرى تحت عنوان بالأردية "أشـــعار

---

(١) المرجع السابق، ص ٢١١.
(٢) سورة التكوير ٨١/٢٩.

Marfat.com

عرض" وهذا هو معنى العنوان بالعربية "أبيات تمثل الطلب" ونجده يقدم الطلب الرائع إلى رحاب ربه تعالى سائلا إياه العافية من تعدى الفتن، ومن المعلوم أن عصر شاعرنا كان من العصور العصيبة للمسلمين فى الهند حيث إنهم نكبوا على يد الاستعمار الإنجليزى بأبشع النكبات الحسية والمعنوية، كما أنهم أصيبوا بأنواع الفتن التى أثارتها يد الاستعمار المعادية للإسلام والمسلمين بصفة خاصة ولغيرهم من الهنود بصفة عامة، ونجد شاعرنا فى الشطرة الأولى يرفع أكف الضراعة إلى خالقه ومالكه - جل جلاله - فكأنه يقول: اللهم رحمتك الكافية تكفينى، ونعمتك الوافية تغطينى، ولسانى عاجز عن القيام بالشكر، وإن شكر الله - سبحانه وتعالى- على نعمه يستجلب المزيد من النعم والرحمة، وقد سلك شاعرنا طريقا غير مباشر فى سؤاله هذا واكتفى بالشكر لله - سبحانه وتعالى - على نعمه طمعا ورغبة فى المزيد، وبالطبع هذا أحب الأساليب إلى ربنا - تبارك وتعالى - حيث إنه وعد الشاكرين بالمزيد من النعم، وكأن شاعرنا فى الشطرة الأولى من بيته هذا يشير إلى قول الله - عز وجل - ﴿**ورحمتى وسعت كل شئ**﴾ (١) كما نراه يشير إلى قوله تعالى: ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ (٢) ويتلو هذه الإشارة طلب العافية، والإنسان بطبيعة الحال دائم السؤال فيسأل ربه العافية من الأمراض حتى يتمكن من القيام بأوامر الله تعالى بشكل أكمل، كما يسأله العافية من الذنوب والفتن حتى تظل عقيدته وحياته صافيتين بعيدتين عن الفتن، وإن كانت العافية الثانية أولى وأحق، لأن العافية الأولى لو قدر لها أن تكون محدودة لتمكننا أيضا من القيام بأوامر الله تعالى قدر استطاعتنا و {**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**}(٣) وبالتالى كلما كان

---

(١) سورة الاعراف ١٥٦/٧.
(٢) سورة إبراهيم ٣٤/١٤.
(٣) سورة البقرة ٢٨٦/٢.

Marfat.com

المقدور من عافية البدن أكثر وأوسع كان على الإنسان أن يؤدى لله تعالى شكر ذلك، وتختلف السبل فى هذا الأداء من فرائض ونوافل وغير ذلك مما يرضى ربنا - تبارك وتعالى - على كل فالإنسان المحب أكثر طلبا ممن يحبه وذلك لحلاوة تقديم الطلب إلى الحبيب والتنعم بالعطاء من قدرة الحبيب، فكلما زاد الحب زاد الطلب زيادة تنبئ عن الإيمان بقدرة المحبوب - جل وعلا - وكل هذا يطرب قلب المحب ويحلو له، وبهذا السلوك يشعر المحب كأن ارتباطه بحبيبه يتجدد وينمو.

أما الشطرة الثانية فإنها تحتمل المعنيين، أولهما مباشر وثانيهما غير مباشر، فمن الممكن أن نأخذ الشطرة هذه على ظاهرها حيث يستعيذ شاعرنا من تعدى الفتن السائدة فى الهند آنذاك، ويمكن أن تتصرف هذه الشطرة إلى معنى آخر فقد يكون المراد لدى شاعرنا من الفتن "الغضب الإلهى" فإن الفتن تستوجب غضب الله - عز وجل - فالشاعر يستعيذ بربه من غضبه، فلا غرابة أن نطلق كلمة "الفتن" ونريد منها الغضب الإلهى لأنها مسببة له، ويعبر شاعرنا عن هذه الخواطر قائلا(١):

"رحمتك الكافية نعمتك الوافية أسألك العافية من ثوارن الفتن"

نلاحظ أن الشطرة الأولى تمثل شكر شاعرنا لله - عز وجل - على رحمته الكافية ونعمته الوافية، وهذا الشكر يتضمن الرغبة فى المزيد من الرحمة والنعمة، كما أن الشطرة الثانية تعبر عن طلب شاعرنا من ربه العافية من تعدى الفتن المؤدية إلى الغضب الإلهى.

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ،ص ٢٢٣.

Marfat.com

وبهذا أعتقد أننى أكملت متعتى بأبيات الشيخ أحمد رضا خان فـــى المناجـــاة وحاولت أن أتناول غذاء الروح من مائدة شعره ما شاء الله لى من تناول، وقضيـت هذه الجولة فى وجدو هيام روحى، وأرجو أن يكون القارئ الكريم أيضا تذوق مـن أبيات شاعرنا فى المناجاة، فلننتقل الآن إلى بستان غرس فيه شـــاعرنا أبياتـــا ذات ألوان وروائح جذابة، إليكم أبياته فى الغزل الصوفى، فأقول مستعينا بالله عز وجل:

Marfat.com

المبحث الثانى

الغـــزل

احتل فن الغزل مكانة مرموقة فى الشعر العربى على مر العصور حيث تنتج العاطفة المتقدة أروع التعابير باللغة العربية فتأخذ بيد الشاعر إلـــى فكـــرة خلابـــة ترتدى خيالا بارعا فتتكون صورة تنزل من القلوب منزلتها، وتتنسم الأرواح حديثها الرائع فإذا به السحر نفسه، وفى هذا يقول الدكتور حسان أبو رحـــاب(١): شـــغف العرب بالغزل وفاض به الشعر وآزره الملوك والأمراء والحكام، وأثـــابوا عليـــه، ورأوا فيه صقلا وتهذيبا للوجدان فأشاروا للمؤدبين أن يرووه لأولادهم حتى تعـــذب ألسنتهم، ثم لم يرفيه الدين بإساءة إن كان عفا برئيا، فقد سمعه النبى - صلـــى الله عليه وسلم - [ولم ينكره، وأعنى به ما جاء فى مستهل قصيدة كعب بن زهـــير] وقد أنشدوه فى بيوت الله، وقد أصغى إليه جمهرة من رجال الفقه والدين ورأينـــا أن جاشت صدور بعضهم بقليل منه... ونقرأ شعر الغزل لجماعة من رجـــال الفقـــه والعلم، والقضاء، أمثال شريح القاضى، وعبد الله بن المبارك، وعروة بـــن أذينـــة، وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

---

(١) الغزل عند العرب، للدكتور حسان أبـــو رحـــاب (ط: مكتبـــة مصـــر بالقـــاهرة، ١٣٦٦هـــ)، ص ٧٦،٧٧.

Marfat.com

كان هذا حديثا موجزا عن اهتمام العرب بالغزل بما فيهم علماء الدين، وذلك نظرا لعائده من رقة الإحساس ورهافته الذى يرجع على قراء الغزل وسامعيه، كما يقوم شعراء الغزل بانشاء المشاعر اللطيفة التى تهذب شخصية الإنسان، وانظر إلى الغزل كيف تكون دوافعه وكيف يسكن النفس وإلى أى مدى يُعتبر ترْدادا لما يدور فى خواطر الشاعر، وعن هذا يحدثنا الدكتور رزق مرسى أبو العباس قائلا:(١) "الغزل حديث عن المرأة أو هولها، وصفا كان أو بيانا لمشاعر، أو بسطا لإحساس أو أمنية تجول فى خاطره، أو ماض يؤرق من هجر تذكره، أو وصال كان يعيشه، ولعله الشكوى من تلك المرأة التى لاتوافيه، وقد يكون حديثا صريحا كما كان الشأن فى شعر عمر بن أبى ربيعة، وقد يكون الشاعر على نحو ما كان عليه امرؤ القيس وما وصفه به النقاد، بأنه كان يتعهر ولا يتستر، وقد يكون حديثا يزينه العفاف ويحكمه العقل كما عرف عن الشعراء العذريين، وقد يكون الغزل هذا كله وما يمكن أن يتفرع عنه إلا أن المرأة محوره، والشاعر ينجذب لهذا المحور بأى صورة ممكنة".

فكانت المرأة - وما زالت - بجمالها الخلاب موضوع شعر الغزل حيث تغزل الشعراء فيها فكرا وعاطفة، وكانت هناك طائفة من شعراء الغزل ذوى الأذواق السامية أقبلوا على نظم الغزل بنزاهة فكر، وصفاء قلب، وقد عرفت هذه الطائفة بالشعراء العذريين، وعن هذه الطائفة من الشعراء يحدثنا الدكتور محمد غنيمى هلال حيث يقول(٢): "الغزل العذرى هو الشعر الذى يصف الحب العذرى، والحب العذرى عاطفة قوية مشبوبة، يهيم فيها المحب بحبيبته، ويرجو الحظوة بوصالها، ولكن تتضائل لديه النظرة إلى المتع الحسية إذ يطغى عليها حرص المحب على استدامة عاطفته فى ذاتها، وعلى اعتزازه بها مع التضحية فى سبيل

---

(١) الأدب السعودى فكرة ونص، للدكتور رزق مرسى أبو العباس على (ط: مطبعة رفاعى بالقاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ص ٧٦، ٧٧.

(٢) انظر: الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، للدكتور محمد غنيمى هلال، (ط: مكتبة الإنجلو المصرية، بالقاهرة، ١٩٦٠م)، ص ١٣.

Marfat.com

الإبقاء عليها بما يبذله من جهد وآلام، فليس الحب العذرى رهين الظفر بمتع الحس، يبقى ببقاء الأمل فيها، ويفنى بتعذر منالها، ولكنه يسمو على هذه المتع التى تهون لدى المحب بقدر ما يعظم شأن العاطفة فى ذاتها.

ويحدثنا الدكتور نظمى عبد البديع محمد عن الشعراء العذريين وحبهم العذرى منتقلا إلى شعراء الصوفية وحبهم الإلهى سالكين مسلك شعراء بنى عذرة فى طهارة القلب، ونقاء السريرة، والترفع بالنفس عن أن يبلغها الدنس من أى جهة من الجهات فيقول(١): الحب العذرى لون من العشق يحب فيه العشاق حبا حالما أفردوا فيه محبوبهم بالحب، والتزموا العفة والطهارة طابعا فى حبهم وأفنوا العمر مقتصرين على محبوبة واحدة، واستعذبوا كل مشقة وصعب، وتحملوا صنوف العذاب فى سبيل هذا العشق حيث تحول قيود تقليدية قبلية متوارثة دون إتمام الزواج بمن يحب، فيهب زهرة شبابه، ونضارة عمره، وبقية حياته لليأس والعذاب والضياع.

والمحب الصوفى حبه إلهى، يتم فيه استحضار الله فى القلب على الدوام توسلا لمعرفته معرفة مباشرة، بالشريعة يعبد، وبالحقيقة يعرف، الجنة وصله، والنار هجره، والعلاقة به عشق بالانجذاب إلى الحضرة الإلهية، وإدراك للوجدان بطريقة ذوقية شعورية أرقى من الإدراك العادى. والحب الإلهى أخص خصائص التصوف الإسلامى، ولا يصله المريد إلا بعد تمام نضجه، وفيه يستعير الصوفية لغة العذريين، فينشدون شعرهم ويتمثلونه وينشدون على منواله، فما أشد القرب بين اللونين، وما أدق الفوارق بينهما".

---

(١) فى الأدب الصوفى، للدكتور نظمى عبد البديع محمد، ص ٧٤.

Marfat.com

إن الصوفية يعبرون عن أشواقهم إلى الله تعالى بلغة شعراء المجون، وبصفاء الشعراء العذريين مع الفارق الواضح عنهما، حيث إن شعراء الصوفية لا يقصدون المرأة لا من الدافع البشرى ولا من دافع الحب العذرى، وإنما يرمون من وراء عبارتهم مسلك الرمز إلى الحب الإلهى المتمكن من سويداء قلوبهم، وفى هذا يقول الدكتور عاطف جودة(١): "والحق أن الصوفية لم يجدوا عوضا أو بديلا يغنى عن التركيب الرمزى فى أشعارهم الغنائية التى تصف لواعج العشق الإلهى ... ولسنا بحاجة إلى أن نؤكد على أن التركيب الشعرى لرمزية الغزل الصوفى إنما هو تركيب للحقيقة فى منظورها الإلهى ومنظورها الإنسانى بحسبانه مظهرا إلهيا ومنكشفا لعيان التجلى، وتتحل فيه الأنثى إلى شفرة يقرأ فيها الشعور لغة من لغات العلو مفعمة بالرموز".

وثمة قلم آخر يفلسف ما بين الرمز والإيحاء - الذى ينتج عنه - وبين أولئك الذين عرفوا باللهو والمجون، وهو يباعد بين أن يكون رمز الصوفية وإيحاؤهم لهوا أو مجونا، ها هو الدكتور عبد الفتاح السيد محمد يقول(٢): "وإذا كان الأدب الصوفى من أهم جوانبه المسلك الرمزى والتعبير الإيحائى ... فمعنى ذلك أنه متأثر برحيق شعراء المجون والغزل، لا لأنه صورة صادقة لهذه الحياة، وإنما لأنه ينقل هذا التيار المادى إلى تيار روحى أصيل، ويتضح هذا فى كثير من قوالبهم الخيالية، والأسلوبية واللفظية".

ولكن ما الذى دفع الصوفية - وهذا حالهم - إلى استخدام الرمز؟ وما سبب ذلك؟ لعل الدافع من وراء ذلك هو تلكم اللغة التى تجمع بين صوفى وآخر

---

(١) الرمز الشعرى عند الصوفية، للدكتور عاطف جودة، ص ١٧٠.

(٢) الأدب العربى بين الزهد والتصوف، للدكتور عبد الفتاح السيد محمد، (ط: المطبعة العربية بالقاهرة. ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)، ص ٢٧٧.

Marfat.com

باعتبارها أسلوب تعبير وتفاهم بين الصوفية جميعا، ولم نجد صوفيا ينكـــر علـــى صاحبه استخدامه لهذه التعبيرات، إذ ذلك أسلوب للتفاهم يربط بين الصوفية جميعا، وعن هذا السبب يحدثنا الدكتور عبد الحكيم حسان حيث يقـــول(١): "ومنـــذ القـــرن الثالث أخذ الصوفية يتكلمون فى الحب الإلهى مستعينين فى شرح ماهيتـــه وبيـــان أحواله بالحب الإنسانى الذى عرفه الناس وجربوه وشـــاهدوا آثـــاره، والاســـتعانة بالمحسوس فى توضيح المعقول طريقة طبيعية فى تقريب المعلومات إلى الأذهـــان، ولم يكن للصوفية بد من هذا الصنيع، فقد جرب القوم أحوالا نفسية دقيقة لم تضعـــها اللغة فى حسبانها أثناء تناولها المعانى المجردة، فلم يجدوا لمعانيهم هذه ألفاظا دالـــة تيسر لهم الفهم والإفهام، لذلك لجأوا إلى أقرب موارد اللغة إليهم وأدناها استســـاغة فى أذواقهم، فاستعاروا منه هذه الألفاظ لتدل على هذه المعانى الروحية".

هذه ثلاثة ألوان من الغزل فى نظرى التى وصلت إليها، ولا يمنع ذلك من أن يكون هناك قلم من الأقلام قد ذكر نوعا آخر لم أقف عليه، وإن كان الغـــزل فـــى الأدب الصوفى العربى مفعما بالرموز الصوفية فلم يكن الغزل فى الأدب الأردى - بشبه القارة الهندية - بمعزل عن هذا اللون الأدبى، فقد كان شعراء اللغة الأرديـــة يرمزون بالمرأة إلى المفاهيم السامية والعواطف النبيلة، الجياشة فـــى صدورهـــم، وعلى رأس هؤلاء الشعراء أمير خسرو، وفى هذا تقول الدكتـــور إبتســـام صـــالح الدين(٢): "ومن الجدير بالذكر أن أمير خسرو - الذى يعتبره البعـــض رائـــد أول

---

(١) التصوف فى الشعر العربى نشأته حتى أواخر القرن الثالث الهجرى، للدكتور عبد الحكيم حســـان، (ط: مكتبة الإنجلو المصرية بالقاهرة سنة ١٩٥٤م)، ص ٢٩٨، ٢٩٩.

(٢) إن الطرق الصوفية المعروفة فى شبه القارة الهندية - بما فيها باكستان، وبنجلاديش، والـــهند - أربعة، الجشتية والقادرية، والنقشبندية، والسهروردية، ومن الجدير بـــالذكر أن أتبـــاع الطريقـــة الجشتية هم الذين يولون الاهتمام إلى استماع شعر الغزل فى مجالســـهم، يقـــول الشـــيخ محمـــد مصطفى جميعة معرفا الطريقة الجشتية: "تعتبر الطريقة - التى أسسها الشيخ معين الدين الجشتى الأجميرى - أقدم الطرق الصوفية وأكثرها انتشارا فى أرجاء الهند، مع أن مؤسسها مهاجر مـــن

Marfat.com

حركة أدبية فى الأردو - قدم العواطف والأحاسيس نحو المرأة دون مؤاربة فى قالب التصوف، فصار بناء شعر العشق للمرأة خاصية هامة من خصائص النظم فى الهند خاصة فى الغزل".

إننى وجدت الصوفية فى شبه القارة الهندية يستمعون إلى الغزل الأردى والفارسى العفيف مهما كان الشاعر صوفيا أو غير صوفى، وذلك فى احتفالاتهم بمرور الحول على وفاة الأولياء الصالحين(١) وقتها تهتز قلوبهم المفعمة بالحب الإلهى، وبالتالى تقفز نفوسهم الصافية من قوالب الشعر الإنسانى إلى حوالم الروحانية السامية، وإنهم يسمون هذا النوع من الإنشاد بـ"فن القوالى"(٢).

وإذا كنا قد عرضنا للغزل بألوانه الثلاثة التى استطعت أن أقف عليها وآراء الكثير من ذوى الأقلام الفاحصة فلننظر الآن إلى لسان شاعرنا وكيف كانت إسهاماته فى شعر الغزل، فمن المعلوم أن شاعرنا كان من شعراء الغزل الصوفى

افغانستان الى الهند مع نهاية القرن الثانى عشر الميلادى فاتخذ من مدينة أجمير - فى ولاية راجستان - مركزا لنشر دعوته، ولا تزال تلك المدينة مركزا رئيسيا للطريقة الجشتية، وانبثقت عنها مراكز كثيرة - انظر رحلة الإمام الأكبر إلى الهند، (ملحق مجلة الأزهر لشهر رجب من عام ١٤١٧هـ) للشيخ محمد مصطفى جميعة (ط: إدارة الأزهر بالقاهرة، ١٤١٧هـ)، ص ٤٧.٤١.

(١) ان الشعب المسلم فى شبه القارة الهندية يحتفل بمرور السنة على وفاة الكثير من الأولياء الصالحين. منهم الشيخ عبد القادر الجيلانى، والسيدعلى الهجويرى. والشيخ معين الدين الجشتى الاجميرى. والشيخ نظام الدين الجشتى والشيخ فريد الدين الجشتى، والشيخ بهاء الدين زكريا السهرورى الملتانى. والشيخ أحمد النقشبندى السرهندى، ومن هولاء الصالحين شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان لذلك يكون احتفالا لذكرى وفاته سنويا بمدينة بريلى، بالإضافة إلى مدن هندية وبلاد أخرى. وهذه الاحتفالات الهندية الشعبية تشبه فى مضمونها ما يجرى من احتفالات بالذكرى السنوية للعديد من الأولياء فى مصر المحروسة وإن كان فى مصر يحتفل بذكرى الميلاد لتلكم الصالحين، وهذا يختلف مع مجتمعنا فى شبه القارة الهندية، وبالطبع لسنا بصدد الكلام حول هذا الموضوع لما فيه من تغيير للاتجاه الرئيسى فى البحث (الباحث).

(٢) كلمة "القوالى" مأخوذة من لفظة القول، وأضاف الهنود إليها ألفا بعد الواو إشارة إلى كثرة من يقول، فاعتقد أن المراد بالقوالى الكثير من القائلين وهذه الطريقة عرفت بفن القوالى. (الباحث).

Marfat.com

فله أبيات غزلية رائعة فى الفارسية والأردية، وهذا غير العربية على أننى سأقتصر هنا الكلام على شعره العربى فى فن الغزل فقط ، وقد أقبل شاعرنا على النظم فى الغزل الصوفى نظرا لكونه من شيوخ الطريقة القادرية، وإن كان حبل الصلة موصولا بينه وبين الطرق الصوفية أيضا، ولم يثبت عند الرجوع إلى المصادر التى تتحدث عن حياة شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان أنه وقع فريسة لحب فتاة من فتيات عصره، وإن كل ما عرفنا عنه هو شبابه العفيف، ومن قبل طفولته البريئة، ثم بعد هذا وذاك كهولة متزنة، وعقل راسخ، وفكر متأن يبلغ به هذا كله الإبداع فى خمسة وخمسين علما وفنا على النحو الذى سبق أن اشرنا اليه.

إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان مهد بالغزل الصوفى للقصيدة التى نظمها فى مدح مولانا فضل الرسول البدايونى[1] وإنه يغزو ميدان الغزل اقتداء بمن سبقه من شعراء الصوفية من العرب والهند، حيث إن هذا اللون من الغزل كان - وما زال - ذائعا فى الهند، كما كان شاعرنا يبرز تمكنه من نظم الغزل كأنه يقول لشعراء العربية - متحدثا بنعمة الله تعالى - "أنا واحد منكم، وأنا أستطيع أن أجاريكم، وها أنذا أتغزل كما تتغزلون، ولا أحرم شعرى من مثل هذا الفن الرقيق"، وقد حاولت إحصاء ما فى الديوان بساتين الغفران - موضوع الكلام - من شعر الغزل فلم أجد إلا فى قصيدة واحدة وليس الغزل غرضها الحقيقى وإنما كان مدح مولانا فضل الرسول البدايونى غرضها الأساسى، وقد تعددت الأغراض فى هذه القصيدة فتناول الشاعر المناجاة والمديح النبوى الشريف، والغزل، والمدح، والهجاء، ووجدت الغزل فى هذه القصيدة عبارة عن التمهيد للقصيدة نفسها، يبلغ عدده تسعة وثلاثين بيتا من البحر الكامل من جملة ثلاثة وأربعين بعد المائتين من الأبيات، ومن الجدير بالذكر أن التمهيد فى فن غير الفن الذى تنتمى إليه القصيدة،

---

(١) اننى سبق أن تحدثت عن هذه القصيدة وبياناتها الكاملة فى فصل المدح.

Marfat.com

ولو قارننا بين تسعة وثلاثين بيتا وبين أربعة ومائتى بيت، لوجدنا التمهيد يساوى بنسبة عشرين فى المائة من بقية القصيدة، وأعتقد أن هذا التمهيد ليس بسيىء ولا ممل، خصوصا إذا كان الشاعر يتكلم فى فن قائم بذاته لم يطرقه قبلا ولا بعدا، وهذا إن دل على شيىء فانما يدل على أن غزل شاعرنا كان صنعة لإثبات تمكنه من مختلف ألوان الشعر العربى، ومجاراة شعراء العربية، وهناك علاقة بين الغزل والمدح فإن كلا منهما مدح، لأن الغزل لون من ألوان المدح على رأى أستاذنا الدكتور رزق مرسى أبو العباس - كما سبق أن ذكرنا - فيمدح شاعرنا المرأة بما يناسبها ويتكلم عن محاسنها سواء كانت جسدية أو معنوية، كما يتحدث خلال نظم المدح عن محاسن الممدوح من ناحيتى الخلق والخلق.

سلك شاعرنا مسلك شعراء الجاهلية وقد قرر أن يستهل قصيدته بأبيات من الغزل، ولم يبدأها بالوقوف على الأطلال، كما أنه انتهج منهج الصوفية فى تعبيره عما يجيش فى نفسه واستخدامه بعض الرموز.خلال غزله الصوفى، وقد تحركت مشاعره بالاستماع إلى حمامة على شجرة البان، وهى تذرف الدموع حينا وتنثر نغماتها الحزينة فى حين آخر، كما أنها كانت تظهر إعجابها وتعجبها من جمال البنات ذوات البشرة البيضاء اللاتى أثرنها بجمالهن، وهذه الحمامة أوقعت نفسها فى الشباك عن عمدها ورضاها، وكانت الحمامة تدعو للجميلات اللاتى شغفت بهن وأغرمت بجمالهن بالسعادة والسرور كرد فعل لتصرفهن القاسى، وهذا المنظر أثار الأشواق المكنونة فى صدر شاعرنا وحرك عاطفته لنظم الغزل، يمثل شاعرنا هذا المنظر الخلاب قائلا(١):

"رن الحمام على شجون البان ... ياما أميلح ذكر بيض البان

تبكى دما وتقول فى أسجاعها ... الله يضحك سن من أبكانى"

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٢.

Marfat.com

فى هذين البيتين أرى حديثا حلوا وفاكهة كلام، يستطيع من يحفظها أن يقول إننى أحفظ شيئا من الغزل، فما أحلى غناء الحمام، وإن كان هذا الطير معروفا بالغناء والنواح، وينتقى الشاعر لنفسه من الحمام ما يحلو له، وما يتجاوب مع نفسيته، ومع الغرض الرئيسى للقصيدة، فليس من المعقول أن يستهل المدح بنواح الحمام وإنما الأبلغ أن يستمع إلى صوت الحمام فيجده مغنيا خير غناء، والتفاؤل لم يكن خاصا بشاعرنا وإنما غمر ذلك التفاؤل حمامه الذى استمع إليه، وإذا بالحمام يدعو لمن أحبه ولمن أثر بجماله، ووقع فى شباك غرامه، يدعو له بأن يضحك الله سنه كناية عن مدى رضاه عن المحبوب، مهما فعل به وترك فى نفسه من أثر ولا أرى إلا أن شاعرنا قد دخل على الغزل بقدم راسخة، ولولا أنى تصفحت الديوان لقلت فى نفسى إن شاعرنا قد تغزل فأكثر الغزل، ولما فاض وادى الغزل عنده إذا به يقول: "رن الحمام" - البيتين - ولكنه هو الغزل الذى ينطق به كأنما قد عاش ردحا من الزمان متغزلا، لعل غزله باللغتين الأخريين قد سبق غزله بالعربية، وإن لم يؤرخ لذلك، وقد دفعنا هذا القول حسن الخبرة، وطلاقة اللسان فيما نحن بصدده.

ولقد قرأت هذين البيتين مرة أخرى، وإذا بى أتصور أن شاعرنا قد جرد من نفسه شخصا أراد أن يخاطبه، فرمز إليه بقوله: "رن الحمام" ثم رأيته على سبيل الالتفات يعود إلى نفسه وتحكى عنها الشطرة الأخيرة من البيت الأول وهو قوله: "ياما أميلح ذكر بيض البان" ثم يرسل بيته الثانى والشطرات الثلاثة ترجمة على لسانه وهو ليس من كلام الحمام، وتؤيد رأيى هذا قراءتى لما بعد ذلك، وسوف نقف عنده إن شاء الله تعالى.

إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان لم يرمز بأى حمامة إلى التشبيب وإنما يرمز بحمامة كانت تقوم بإبلاغ الخطابات إلى الأحبة، والتى كانت تبلغ الأشواق

Marfat.com

إلى الشخصيات المراد إبلاغها، وفى هذا يقول مولانا شمشاد حسين الرضـــوى[١]: "إن ذكر الحمام كوسيط بين المحب وحبيبته موجود منذ قديم فى الأدب العربى، وقد تناول الشعراء هذا المعنى فى أبياتهم ففى هذا يقول ابن بابك:

حمامة جرعا حومة الجندل اسـجعى فأنت بمرأى من سعاد ومسـمع[٢]

أما ذكرها عند شاعرنا فقد يتفق منع بيت ابن بابك فى ذكر الحمامة كوســيط لإبلاغ خطابات الغرام، أو كمن يحتفظ بأسرار العشاق بعد الاستماع إليـــها، هــذا وتختلف حمامة شاعرنا عن حمامة ابن بابك فى أمور عدة وهى كالتالى: إن حمامة ابن بابك صامتة وهادءة على أنها فى البيداء بين الرمال، يطلب منها ابن بابك فـــى حب وشوق أن تسجع حتى تحظى بنظرات حبيبته "سعاد" التى كانت قريبـــة مــن الحمام فقد كانت نظرات ابن بابك مركزة عليها لكونها فى موضع يمكن وقوع نظر "سعاد" عليها، فهذه الحمامة لا تعرف موقفها من المنظر، ومن هنا لا يتكون جـــو حركى وعاطفى، أما حمامة شاعرنا فليست فى البيـــداء، إنمـــا هـــى فـــى الأرض الخضراء، ولم تنزل على أى شجرة إنما حلت بشجرة البان التى يرمز بها الشعراء إلى جمال واستقامة قامة الحبيبة وقدها، ثم إنها ليست حمامة عادية بل إنها علـــى علم بتقاليد الحب والعشق، ومتذوقة لجمال الحسناوات وتهيم بحسنهن وتتعجب مــن ملاحقهن، وتذرف الدموع لفراقهن، وليست بغافلة عن الموقع كما كان عليه الحـــال لحمامة ابن بابك، مما دفعه إلى أن يطلب منها أن تسجع، لذا نستطيع أن نقـــول: إن

---

(١) الاستعراض التحليلى لقصائد الإمام أحمد رضا العربية بقلم مولانا شمشاد حسين الرضوى بحـــث مستخرج من مجلة سنى دنيا الصادرة فى شهر يناير ١٩٩٠، ص ٧٠، ٧١.

(٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للشيخ عبد الرحيم أحمد العباسى حققه وعلـــق حواشـــيه ووضع فهارسه الاستاذ محمد محى الدين عبد الحميد (ط: عالم الكتب ببيروت، ١٣٦٧هـــ) ج ١، ص ٥٩.

Marfat.com

شاعرنا مثل جوا حركيا متطورا فى مستهل قصيدته، وذلك بالجمع بين أحاسيس اليأس و التحسر، و الألم، وبين مشاعر السعادة و السرور فى مطلع القصيدة".

ومما نلحظ أن شاعرنا استخدم كلمة "ما أميلح" للتعجب بمعنى ما أجمل. يبين ابن منظور معنى كلمة أميلح قائلا(١): "و الملح: الحسن من الملاحة، وقالوا: ما أميلحه فصغر و الفعل و هم يريدون الصفة، حتى كأنهم قالوا: مليح ولم يصغروا من الفعل غيره ... و الملحمة الكلمة المليحة، و أملح جاء بكلمة مليحة".

وبعد هذا التمهيد الموجز فى بيان المنظر الجميل الذى شد انتباه شاعرنا وجعله يغوص فى أعماق هذا المنظر، فقد أثار هذا المنظر سيلا من المشاعر و العواطف في قلب شاعرنا فاندفع هائما ومتأثرا من سجع الحمامة إلى عالم الذكريات حيث يتذكر شاعرنا جمال حبيبته التى فارقته فتدفقت موجات الكرب و الحزن و الاضطراب فى قلبه فقال: إن الحمامة كانت تشكو من قسوة الجميلات بمفارقتهن إياها، فكانت تبكى بكاء حارا، وبهذا هيجت فى قلبى البكاء، و إن أجفان المصابين بالحب و العشق سائلة دائما وكلمة "سائل" فى البيت الثالث – الذى نحن بصدده – تحتمل المعنيين، إما أن تكون من السيولة فيكون المعنى أن عيون العشاق تذرف سيلا من الدموع على مفارقة الأحبة، و إما أن تكون من السؤال فيكون المعنى أن عيون العشاق دائمة السؤال عن الحبيب طامعة فى رؤياه، وكأنه يقول فى البيت الرابع: إن التمتع و التأثير من أمثال هذا المنظر لا يتحققان إلا لرجل ذاق حلاوة الحب و العشق، و إن اللحون تثير العواطف المكنونة فى قلوب المحبين وفى هذا يقول(٢):

بكت الغزير فهيجت منى البكا إن الحزين لسائل الأجفان

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، ج ٣، ص ٤٣٩، ٤٤٠.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٢.

Marfat.com

ولقد درى من ذاق ذوق صبابــة إن اللحون مثيرة الأكنــان

يشير محقق بساتين الغفران إلى أحد الجوانب النادرة فى البيت الثــالث مــن القصيدة التى نحن بصددها، ويقول(١): "مما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ أحمد رضا خان لم يذكر لفظ البكاء فى أبياته العربية الواردة بديوانه بساتين الغفــران إلا فــى البيت الثالث من نونيته، وفى البيت الأول من المقطوعة التى رثى بها حكيم محمود أحمد خان الدهلوى والذى قال فيه:

بكت العيون أما تريد جمـودا أبكت شريفا صادقا محمـودا

فأسلوبه فى منظوماته التى نظمها لتأبين بعض أقاربه وشيوخه ومعاصريــــه أسلوب معتدل ليس فيه غلو ودعوة للحزن بل أسلوب حكيم واعظ".

إن شاعرنا يتوجه بالسؤال إلى هلال العيد عن حبيبته التى فارقته وذلك بعدما عزفت الحمامة على أوتار قلب شاعرنا بنغمات سجعها حزين، وقد اختار شــاعرنا هلال العيد للسؤال عن حبيبته فكأنه يراه أسعد هلال، وكأنه ينادى هــلال الســعادة راجيا فى عودة بهجته الضائعة فيقول: كيف حبيبتى شميسة؟ وأيــن هــى؟ وأيــان تعود؟ وإلى متى أظل أسأل عن حبيبتى أيان تأتى؟ أيان تأتى؟ إنها فــارقتنى ولــم تعطنى اللين، ولم يرق قلبها، ولما فارقتنى وقتها ظهرت لوعتى المكنونة الخافيــة عن الجميع، وكنت قبل هذا متماسكا بينى وبين نفسى، ونلحظ أن شــاعرنا أحســن استخدام الفاء فى كلمة "بانت"، وإن شاعرنا المتزن، التقى، الــورع ينــدب حظــه وينادى على حبيبته على سبيل الندبة، وذلك عند قوله: "يــا خيبتــى فــى الصــبر والكتمان" وكأنه يعترف بعدم تمكنه من نفسه عندما أصيبت بفراق الحبيبة فيقــول:

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٩.

Marfat.com

"فلت منى الصبر و الكتمان، ولم أستطع أن أسيطر عليهما، ولم أملك فـــى الصـــبر أمرا، ولم أستطع أن أحصل لنفسى على شئ من الكتمان" ومن المعلوم أن الشرقيين يحبون فى الحبيبة عدم الإنجاز فى الوعد، وأن تهجر و لا تلين، وتختفى وتعصـــى على محبها، وتستعصى رؤيتها ويصعب قربها على محبوبها، يا للعجب مـــن أثـــر شاعرنا، عواطف فياضة ونفس جياشة بما تحمله لهذا الحبيب، يا لها من روعـــة؟!! إن شاعرنا حين أصيب بألم الفراق لمن كان يقدرهم، وأراد أن يرسل رثاءه لـــهذا الفراق ساعتها وجد فى الصبر ملجأ، وفزع إلى ربه من الموت الذى حـــال بينـــه وبين أحبته، أما هنا فيا لها من عواطف حكمت على الشاعر بأنه يقول: إن صـــبره قد تفلت منه ولم يجد إلى الكتمان سبيلا، إنها الصنعة المتقنة التى تلوح لنـــا كأنـــها طبع نشأ عليه الشاعر وأكل منه الحب، وتناثرت دموعه، فمـــلأت بحـــر الغـــرام، و استعصم الهيام بقلبه، وكأنه فلان أو فلان من الشعراء الذين ذابـــو فـــى العشـــق و الغرام، و أذاب الهيام و السهاد قلوبهم، فما كنا نعرف أن الصبر سوف يتفلت منـــه إلا أنها صنعة الشاعر الذى يبدو وكأنما يحكى لنا عن تجربة صادقة مرت به، ومن بين آثار الغرام التى ألمت بشاعرنا أو قل: التى اصطنعها و أقنع القارئ لديو انه بأن الغرام قد ألم به واكتنفه من جميع جهاته، ذكره لاسم محبوبته وفـــى هـــذا الذكـــر نستطيع أن نقول: إن اختيار شاعرنا كلمة "شميسة" علمـــا علـــى حبيبتـــه يحتمـــل الأمرين، يمكن أن تكون هذه الكلمة وصفا للحبيبة، وذلك لأن البنـــات يحببـــن أن تكون صغيرة، كما يرغب الناظرون إليها من الشعراء وغيرهم أن تكون صغـــيرة السن، وبالتالى لا يريد الشاعر أيضا أن يكبرها لا لأنه يعز عليها بل إنه يـــرى أن الشمس الكبيرة تحرق وتضئ حيث لا يتمكن أحد من رؤيتها المحدقة و القرب منها، فوصف شاعرنا حبيبته بشمس صغيرة تطفئ وقت الدفء وتنير وقت الإنارة، ومن الممكن رؤية وجهها رؤية محدقة، كما يمكـــن الاقـــتراب منـــها دون أن يصـــاب المقترب منها بالأذى، وقد قرر الشاعر من ضمن أوصافها أن فى بدرها قمريـــن،

Marfat.com

وهنا أبدع شاعرنا فى الوصف حين عبر عن الوجه بالبدر يحيط به القمران، والمراد بالبدر الوجه المكتمل الجمال، كاكتمال البدر المحاط بالقمرين، ولا أرى "القمرين" إلا أنهما حاجباها، وأبدع شاعرنا كذلك عندما قال: "فى بدرها" فقد أثبت ملكية البدر المحاط بالقمرين للحبيبة، يعنى أنها تملك البدر وهو بالطبع وجهها، وهذه الملكية تبين مدى جمالها الذى لا يوصف وهذا أروع من أن تقول: "إن لها وجهاً كالبدر" أو "وجها بدرا" فلم يشبه شاعرنا وجه الحبيبة بالبدر بل قرر أنه البدر فى ملك الحبيبة، فقد يطلع البدر ليلة واحدة فى الشهر لكن بدرها المحاط بالقمرين لا تغرب فى ليلة من الليالى، وأعتقد أن هذا المعنى لم يسبق اليه، ومن الممكن أن تكون كلمة شميسة اسما للحبيبة فصرفه الشاعر لضرورة الشعر، وذلك للتلذذ بذكر اسم الحبيبة، كما ذهب إليه الشعراء قديما، فذكرو بثينة، ولبنى، وسعاد، وعنيزة، وغير ذلك الكثير، ولكننى أرى أن هذه الكلمة أقرب أن تكون وصفا منه أن تكون علما، ويعبر شاعرنا عن هذه المشاعر الجياشة قائلا(١):

"هل يا هلال العيد عند خبرة ... بشميسة فى بدرها قمران

أيا تنادم أين تنزل كيف هى؟ ... أيان تأتى كم مدى أيان

بانت وما لانت فبانت لوعتى ... يا خيبتى فى الصبر والكتمان"

نلحظ جناسا غير تام بين كلمتى بانت ولانت، كما نلحظ الجناس التام بين مدلول "بانت" الأولى ومعنى "بانت" الثانية، فمع الأول معناها الفراق والثانية معناها الظهور، وهذا البيت مثال رائع فى السهل الممتنع، وبعد هذا يبين شاعرنا أحاسيسه بعد ما رحلت الحبيبة مفارقة إياه فيقول: إن شميسة لم ترحل وحدها بل ذهبت وأخذت معها راحتى التى كنت اتمتع بها، واستطاعت أن تسلب راحتى من كفى

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٢.

Marfat.com

وكنت أقبض عليها، وفيه كناية عن مدى تمكن شاعرنا من نفسه قبل أن تفارقه الحبيبة، وأيضا فيه كناية أخرى عن أن الحبيبة تمكنت من نفسه تمكنا تاما بحيث إنها استطاعت أن تسلب راحته التى كانت فى قبضة كفه، ويقول شاعرنا: إن عينه لم تنعم بالنوم منذ تلك اللحظة المثيرة للقلق الهائل، وكنت قبل أن تفارقنى "شميسة" متزنا، وكنت قابضا على أزمة راحتى فى كفى، ولكننى أصبت بالانهيار لفراقها ورحلتها، وكل من يودع أحبته يعانى من نفس الأحاسيس والمشاعر، فليست حالتى غريبة، إنما هذه حالة كل التائهين فى دروب الحب والعشق وهنا نلحظ الجناس الناقص بين كلمتى "راحتى" و"راحت" كما نلمس جناسا تاما بين كلمتى راحتى، وفى هذا يقول(١):

"راحت أزمة راحتى من راحتى وكذاك كل مودع الأخدان
ما مضمضت عينى بنوم منذ مضت وكذاك كل مفارق الخلان"

وبعد هذا التنفيس أقدم شاعرنا على بيان فجيعة أخرى وهى أن شميسة كانت قد ساومت على قلب الشاعر ولكنها لم تدفع الثمن، ولم تأخذ القلب ولو بدون مقابل، فاندفع شاعرنا إلى اليأس الشديد بعد الرجاء فى الحصول على بغيته وهذا أشد وقعا فى النفس، وكم تمنى شاعرنا بأنها لو أخذت قلبه بدون مقابل، ولكن الشاعر ماذا يقصد من أخذ الحبيبة قلبه؟ أى قلب هذا؟ وما مدلول هذه الكلمة؟ لعله يريد من الحبيبة أن تأخذ قلبه المفعم بحبها لتحقيق ما فيه من أمنيات وأشواق، وفى هذا يقول(٢):

"سامت فؤادى ولم تعط الثمن يا ليتها طرت بلا أثمان"

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٢.
(٢) المرجع السابق، ص ٧٣.

Marfat.com

وبعد هذا يقول شاعرنا إن شميسة لا تنجز وعدها ومع ذلك لا يليق بى أن أوجه إليها اللوم على عدم قيامها بإنجاز الوعد، ثم يبرر موقفها ويلتمس لها العذر، إنها حيرة المحبين، مرة يلوم ويكيل اللوم وأخرى يعفيها من اللوم، على كل يبرر موقفها من النسيان قائلا: إنها رقيقة وناعمة الطبع فأراها تنسى المواعيد دون عمد، والإنسان للنسيان. وفى كل هذا ينفى شاعرنا التعمد عن حبيبته شميسة فى عدم إنجازها الوعد، لا يرى أنها تنسى المواعيد متعمدة بل إن من طبيعة الإنسان النسيان، ومن المعلوم أن الشعراء العرب يحبون من حبيباتهم عدم إنجاز الوعد، فكان شاعرنا مقتفيا آثار من سبقه من شعراء العربية وكان سائرا على دروبهم الأدبية، فلم يوجه اللوم إلى حبيبته شميسة، بل يبرر موقفها من عدم إنجازها الوعد، وفى هذا يقول[1]:

لا تنجز الميعاد لكن لم أكن لأعيبها كلا وما هو شانى
لين العريكة وصفها فأظنها تنساه والإنسان للنسيان

وبعد هذا يقدم شاعرنا على بيان سر قيامه بتبرير موقف حبيبته قائلا: "إنها تمكنت من قلبى تمكنا لا أستطيع بعد ذلك إساءة الظن بها، فإن جفاء الحبيب حبيب عند أصحاب الحب الخالص المخلص، وشبه شاعرنا حبها بالشهد المسموم القاتل الذى لم يستطع شاعرنا مقاومته ولا الابتعاد عنه فوقع شهيدا لشهدها، ومن الجدير بالذكر أن شاعرنا لم يقصد المعنى المصطلح للشهيد بل قصد اللازم بأنه فقد حياته، واستخدم كلمة شهيد ليقول: إننى حاولت أن أدافع عن نفسى ما يحيط بها، لكنها بجمالها تغلبت على مشاعرى وإرادتى فوقعت شهيدا لجمالها المليح، وقوتها كامنة فى شهدها، فكأنه عبر عن ضياع راحته بفقدان الحياة ووقوعه شهيدا لجمالها، وكان

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٣.

Marfat.com

من المفروض أن يكون جمالها وحلاوتها مصدر حياة ولكن الشاعر وقـــع شـــهيدا لهما، والشهيد من شأنه أن يدافع عن نفسه، ولكنه لما اشتدت عليه الصنـــوف مـــن الصعاب وقع فريسة لها وفقد حياته، والمراد من فقدان الحياة أن الحبيبة استلبت لب الشاعر فاعتبر شاعرنا نفسه شهيدا لها - كما أسلفت - ويقول شاعرنا: إن الحبيبـــة لا تعاملنى بالقسوة دائما بل إنها تذيقنى الشهد حينا وتفلق كبدى حينا آخر، كما أنـــها تبكى عينى حتى تكاد تنفلق، ولكن الشاعر مع هذا وذاك لا يلجأ إلى الشكوى، بـــل يكيل مرها بحلوها، وجفاءها بجميلها، والشاعر يبدأ استسلامه لجفاء حبيبتـــه بكـــل رضى، فإن الحب والشكوى لا يسيران معا فى نظـــر شـــاعرنا، يمثـــل شـــاعرنا أحاسيسه قائلا(١):

"فى شهدها سم ثمال فاشـهدوا أنى شهيد الشهد يا إخوانـــى
تسقى فتشفى ثم تشقى بالعنـــا وتفلق الأكبـــاد والعينـــان"

نلاحظ الجناس الناقص بين كلمتى "تسقى" و "تشفى" ولولا النقاط لصار جناسا تاما، وكذلك بين "تشفى" و"تشقى"، لولا النقاط وضبط الحروف لكان جناسا تاما.

وبعد هذا يعترف شاعرنا بعجزه أمام سحر حبيبته فيقدم على وصف مشـــيتها بالغصن الطرى المستقيم الذى يهتز عند هبوب ريح الصبا ثم يميزهـــا مـــن بقيـــة الأغصان قائلا: إن الصبا تغشى حبيبتى عند مشيتها فتميلها لأنها دقيقـــة الخصـــر، وإنها تملأ قلبى فرحا وسرورا حين تقرب منى، وحين تفـــارقنى إذا بقلبـــى يتـــأوه متوجعا من شدة ما أصابه، ما أحسن غصنا يحمل أنواع الفواكه وفوقه راحة قلبـــى واطمئنانه، ثم أقبل على تشبيه مظاهر جمالها ببعض ما جرت عليه عادة الشـــعراء قديما وحديثا، فرمز بالعنب والعناب إلى بنانها، وباللوز إلـــى مقلتيـــها الجميلتيـــن

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٣.

Marfat.com

الساحرتين، وبالتفاح إلى خديها وحمرتهما، وبالرطب إلى شفتيها، وبالرمان إلى نهديها، لقد اتبع شاعرنا مقتفيا آثار من سبقه من الشعراء فى تشبيه المقلتين الواسعيتن باللوز، والخدين بالتفاح، والبنان بالعنب والعناب، والنهدين بالرمان، أما تشبيه الشفتين بالرطب، والعين باللوز فهذا ما أعتقده من ابتكار شاعرنا، والشعراء اهتموا أكثر ما اهتموا بوجه المحبوبة، وأكثر شيئ فى الوجه إنه الفم حيث تخرج الكلمات من بين الشفتين، يقيس شاعرنا طول وطراوة الرطب بطول الشفة وطراوتها، ولعل شاعرنا شبه شفتيها بالرطب كأن بينهما الحياة كلها، فإن الرطب من أطيب الفواكه، ويتضمن الفوائد العديدة والحيوية، وكما أن الرطب أكثر زمنا حيوية، ولوجف لبقيت فيه حلاوته ولوجدنا الطراوة فى بعض أنواعه مهما مر عليه الزمن، ومما نلحظ أن شاعرنا وصف مظاهر جمال حبيبته بأروع أساليب التشبيب، لأنها كانت نابعة من عاطفة مشبوبة لا تنقصها القوة، وفى هذا يقول(١):

"تمشى وتغشاها الصبا فكأنها ... غصن طرى مائد متهان

واها إذا أدنت ودانت للقا ... آها إذا أذنت لهجران

يا حسن غصن فيه من كل الجنى ... عنب وعناب وبه سلوانى

واللوز فيه الفوز والتفاح وال ... رطب ولا تسأل عن الرمان"

وبعد هذا يقدم شاعرنا على موازنة جمال حبيبته بجمال امرأة عربية معروفة بجمالها(٢) فيقول: "إن أزمان فاقت بجمالها على الجميلات فى عصرها ولكن حبيبتى لو قيست بأزمان هذه لفاقتها جمالا وقدا" وبعد هذا نلحظ أن شاعرنا ليستأذن الحارس الواقف على باب الحبيب أن يسمح ولو بفرصة بسيطة ليطبع قبلة على

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٣.

(٢) على حد تعبير الشاعر نفسه.

Marfat.com

الأستار المسبلة على باب الحبيبة، وهذا أدب من شاعرنا أن يطلب إلى حارسها أن يسمح له بهنيهة ليقبل فيها الأستار المسدلة على باب الحبيب هذا دافعه أحد الأمرين إن لم يكونا معا، أولهما أدب شاعرنا فى الغزل حتى أنه لرجل قنوع يطلب تقبيل الأستار ويكتفى بذلك، وإما أن يكون دافعه شدة جمالها التى تتضح حتى لكأنها تخرج من بابها ثم تطبع على أستارها، فيكفيه من هذا الجمال الشديد أن يقبل الأستار دون أن يقبل المحبوب، وليس هذا عن قلة شوق بل أعتقد أن مصدره الأدب العذرى الذى تحلى به شاعرنا فى غزله وإن كان صنعة، ثم يسأل نفسه: من يستطيع أن يرقينى من الإصابة التى حدثت لى بعد أن سحرتنى صاحبة العينين الجميلتين بنظرات من طرفيها، وأعتقد أن الشاعر لو وجد من يرقيه لما رضى بالخروج عن أثر السحر الذى أصابه من صاحبة العينين الجميلتين الساحرتين، ما أشد اشتياق شاعرنا إلى حبيبته؟! وما أكثر ترجيح حبيبته على الجميلات الأخريات؟! وما أجمل التعبير عن وقوعه فى حبها حيث لا يريد الصيد الفرار من الشباك التى صادته، وفى هذا يقول(١):

"أزمان فاقت بيد أن عشيقتى بزمانها فاقت على أزمان
يا سادنى أعتابها لا تعتبوا ما رمت إلا لثمتى الأسدان
سحرتنى العيناء بلحظة طرفها من لى برقية ساحر فتان"

نلحظ أن شاعرنا لا يريد أن يلتفت إلى أى جميلة أخرى غير حبيبته وإنه لا يرى شيئا من الجمال فى غيرها مهما كان جمال غيرها وبعد هذا يعبر عن مشاعره وشدة الوطأة عندما رجعت الحبيبة دون أن تبادل شاعرنا مشاعره، الأمر الذى أجرى الدموع من عين شاعرنا، ثم ينتقل إلى بيئة عربية قديمة، فيخاطب أهل

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٣.

Marfat.com

البادية شاكيا من المحبة التى هو مصاب بها فيقـــول: إن حبيبتـــى تولـــت دون أن تعطف على قلبى فلا حاجة لى إليكم، فاقتلعوا خيامكم واحزموا أمتعتكـــم وانزلـــوا حيثما شئتم، أما أنا فاتركونى لأعيش مع أحزانى إما أن أموت حزنـــا أو أحظـــى بلقائها. إنه يشتكى لوعة الإعراض عنه، وكيف أنها لم تنظر إليه نظرة ود يشـــرب من خلالها ماء حياته ولكن عواطفه لهؤلاء الذين استمعوا لشكواه عليكم بـــالرحيل فلا حاجة لى إليكم ودعونى فإن الهموم كثيرة، وهى قاتلة نفسى لا محالة. فإن ذلـك الحزن لن يدعنى حتى تزورنى غمامة لقياها، حينئذ تبل صدى نفسى ويجرى فـــى ماء الحياة. أين كان أهل السهل هؤلاء؟ لا أراهم إلا أنهم أشـــخاص اســـتحضرهم الشاعر ليستمعوا إلى شكواه، وليطيعوه فى أن يتركوه وحيدا. فعل هذا على عكـــس ما يفعله الشعراء، والذى دفعه لأن يفعل على عكس ما يفعله الشعراء هو أنه فـــى منتصف أبياته الغزلية، ولو كان فى مستهل قصيدتـــه لوقـــف واســـتوقف، وبكـــى واستبكى أسوة بمن يوقفون الأحباب، ويجردون من أنفسهم من يوقفوهم. ولكنه هنـــا تصور حضورهم فطلب إليهم أن يتركوه وحيدا مع ما يعانى، ما يهيم به الأمر الذى كان بينه وبين الحبيبة ولنسمع إلى صوت شاعرنا حيث يقول(١):

"ولت وما والت فوالت عـــبرتى ... لم لا أهيم إذ الحبيـــب جفـــانى

يا أهل سهل أسهلوا بخيـــامكم ... وذروا أخا الأحزان للأحـــزان

فومحنتى أحد الثلاثـــة كـــائن ... أمضى كذا أو مت أو تلقـــانى"

نلاحظ أن شاعرنا بعد أن جارت عواطفه وما اصطنعت من صنعة الغـــزل أراد عقله أن يهذب تلك الصنعة فقال لها كفاك، وقد استعرض شـــاعرنا موهبتـــه الشعرية وأراد أن يختبر نفسه هل يستطيع أن يقول الغـــزل أم لا؟ فقـــد وصـــف

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان . ص ٧٣.

Marfat.com

شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان جمال حبيبته وبالتالى أشواقه تجاهها كما أنه وصف حاله الذى كان بعد ترحل حبيبته دون أن تهتم بعواطفه نحوها، وهنا وصف شاعرنا شدة حزنه من المصاب، ولكنه رجع إلى شخصه بعد تنبيه صاحبه الذى استحضره خياله على غرار شعراء العربية، والذى قال لشاعرنا: توقف عن نظم الغزل يابن العلماء الأتقياء، وتنبه إلى المسئوليات الجسام التى مازالت على عاتقك من تحمل كل صعاب فى طريق التقوى، والهدى، والدعوة إلى حب الله - سبحانه وتعالى - وحب رسوله - صلى الله عليه وسلم - وإلى اتباع الشريعة الإسلامية الغراء، فإنك لست من أهل البطالة والانكباب على نظم الغزل، وهذا لا يتناسب مع شخصك، هذا الكلام يؤثر فى شاعرنا فيتوقف عن نظم شعر الغزل ويتوجه إلى ناصحه بالدعاء له قائلا: لله درك يا ناصحى ومخرجى من سبات الغفلة، أحسنت بتوجيه النصيحة إلى فأسألك أن تحسن إلى مرة أخرى بستر زلتى وأدعو الله تعالى أن يسترك بستر الأمان، ولعله فى نهاية المطاف كان يخشى أن يظن الغير أن غزله هذا غزلا حقيقا بالمرأة وليس غزلا صوفيا لذلك أراد أن يتبرأ من الظن، فغزله زلة فى نظره إذا كان غزلا حقيقيا بالمرأة أو المحبوبة، أما إن كان غزلا صوفيا فلن يكون زلة، وقد فهمت ذلك دون أن يعرض له هو من واقع حياة الشيخ أحمد رضا خان، وكأنما يدعوه عقله إلى ترك مثل هذا الغزل ولكن غزله كان صوفيا على ما أعتقد، وإنه أجاد صنعة الغزل لولا أبياته الأخيرة لتأكدنا أنه غزل حقيقى.

ونلاحظ أن شاعرنا من الشعراء حين يقول: "مه يارضا" الخ لا يستطيع أن يفارق هذه الخاصية بمعنى أنه سائر على درب الشعراء تعرض لهم ساعات ينوهون أثناءها بأنفسهم، هذا ما فعله الشيخ أحمد رضا خان، ليس من باب أن يمدح نفسه وإنما من باب أنه شاعر، وما من شاعر إلا تعرض له مثل هذه، وهذا الفخر مهذب عنده يعنى أنه اتخذ من الفخر معبرا لا مصدرا للفخر، وإنما استخدم الفخر

Marfat.com

ليعبر من خلاله إلى قصد يريده ونحن لا نلومه على هذا، وحتى لو كان يفخر بذلك فمن حقه أن يفخر، فكل ما ذكره هو العلم والكرم، والتقى، وهذا أمر لا يترك الفخر به إلا غير عاقل، وفى هذا يقول(١):

"مه يارضا يابن الكرام الأتقيا ... ياغرس دوح العلم والإتقان

دع عنك هذا لست أهل بطالة ... وانهض إلى ما كنت فيه تضانى

لله درك يانصيح نديمه ... أيقظتنى من غفلة الوسنان

أحسنت فيما قلت فاستر زلتى ... يسبل عليك الله ستر أمان"

نحن نقدر فى شاعرنا هذا النصيح وهذا الصديق الذى استوقفه قائلا: "مه يارضا" البيت، وذلك أسوة بما عليه شعراء العربية من نحو الاستيقاف لشخص أو لأكثر، ونلحظ كأن شاعرنا ذهب ليطرق باب الفخر عندما عبر عن نفسه بـ "يابن الكرام الأتقياء" و"ياغرس دوح العلم والإتقان" وإن كان على لسان الصديق النصيح من قبل نفسه، فأرى أن شاعرنا لم يأت بالفخر الذى يذم صاحبه بل إنه أقدم على الفخر بكرم آبائه العلماء وتقواهم وعلمهم، وكان شاعرنا محقا حين أقبل على الفخر بآبائه حيث إنه كان خير خلف لخير سلف وذلك بفضل التربية الإسلامية التى حظى بها على يد جده مولانا محمد رضا على خان النقشبندى، ومولانا محمد نقى على خان القادرى، ولا أرى هذا الفخر إلا الاعتزاز بالدين، وبالتالى كأن هذا الفخر نوعا من تذكير النفس بالمسئوليات الدينية التى ألقيت على عاتقه، على كل كان شاعرنا ناجحا فى نظم الفخر كما كان عليه الحال فى الأغراض الشعرية الأخرى لديه، وقام شاعرنا بالحفاظ على شخصيته الدينية عند إقدامه على النظم فى الفخر، مبتعدا عن الإفراط والتفريط، مقتفيا آثار من سبقه من شعراء العربية، متحدثا بنعمة الله

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان . ص ٧٣، ٧٤.

Marfat.com

تعالى، وكأنه يريد أن يقول: أنا أستطيع أن أنظم شعر الفخر أيضا، والفخر باب من أبواب الشعر الذى جذب الشعراء على مر العصور، وفى هذا يقول أستاذنا الدكتور رزق مرسى أبو العباس(١): ما من شاعر إلا وقد واتته اللحظة وحلت عليه ساعة يفخر فيها بنفسه، ويعتز بأصله ومحتده، لا يكاد يغفل واحدا من ارومته إلا فخر به، ونوه بفضله، وأشاد بذكره، وبلغ بأسرته إلى السماء، فقديما قال فى الجاهلية عمرو بن كلثوم(٢):

"ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

إذا بلغ الرضيع لنا فطاما تخر له الجبابر ساجدينا"

وقول الفرزدق(٣):

"إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول"

وقال المتنبئ(٤):

"لا بقومى فخرت بل شرفوا بى وبنفسى فخرت لا بجدودى

وبهم فخر كل من نطق الضاد وعوز الجانى وغوث الطريد"

هكذا حلت على شاعرنا ساعة حيث يقف ويفخر فيها بنفسه فخرا محمودا. وبعد هذا التوقف يقدم شاعرنا على التشبيب مرة أخرى، حيث تبدو عفة فكره، وطهارة نفسه فى الغزل، فشبه نفسه بقيس بنى عامر الذى طبقت شهرته الآفاق،

---

(١) نصوص أدبية تذوق وإحساس، للدكتور رزق مرسى أبو العباس على (ط: مطبعة الرفاعى بالقاهرة. ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، ص ١١٢.

(٢) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبى بكر محمد بن القاسم الانبارى، تحقيق وتعليق دكتور عبد السلام هارون، (ط: دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٠هـ)، ص ٤٢٦، قوام هذه القصيدة إثنان وتسعون بيتا والبيت المستشهد به رقمه واحد وتسعون.

(٣) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسى، ج ١، ص ١٠٣.

(٤) ديوان المتنبئ بشرح أبى البقاء العكبرى، ج ١، ص ٣٢٢، ٣٢٣.
البيت الثانى والثلاثين ثم الثالث والثلاثين موضع استشهاد من قصيدة قوامه ستة وثلاثون بيتا، تستهل القصيدة بقول المتنبئ:

كم قتيل كما قتلت شهيد ببياض الطلى وورد الخدود

وتنتهى القصيدة بقوله:

انا فى امة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود

Marfat.com

ء الذى يعد رمزا من رموز الحب العفيف - الحب العذرى - والذى خلد اسم نجد حيث عاش فى حب ليلى ومات على حبها ومن هذا المنظور يقول شاعرنا: أنا قيس نجد، ولكننى أقطن نجدا يتصف بالنزاهة، وإن كلا من العفة والطهارة جنة لى من الجنون. يوضح شاعرنا حبيبته المرموز لها والتى لم يفصح عنها قائلا: إذا كنت قيس نجد فحبيبتى بالطبع "ليلى" ولكنها تتمثل فى ليل تحل فيها عرائس الفكر والإمعان فى قلبى، وهن يرحن قلبى بنزولهن واستقرارهن فى نفسى وأنا أتمتع بهن كما يتمتع المحبون بحبيباتهن فأقضى الليلة فى نعيم وارتشاف لما ورف لسان، فلما أصبحت سعيدا فى نهاية هذه الليلة قيل لى "أحيت الليلة" فقلت: "بل أحيانى الليل"، ومن هنا تتضح وتتجلى نزاهة شاعر وعفته وتصوفه وإن لم يدع شاعرنا تصوفه - والصوفية عادة يركزون على العمل أكثر من الإدعاء بالتصوف - ولكنه أى حب يعمل عمل الجنة؟ ويحمى القلب عن الجنون؟ وما الذى جعل قيس نجده متصفا بالنزاهة الفائقة؟ وأى حب لا يلام فيه المحب بعد أن يبيت مع حبيبته؟ وأى حب يبارك فيه المحب بعد قضاء ليلة مع الحبيبة؟ إنه الحب الصوفى، ومن المعلوم أن إحياء الليلة عند الصوفية المحبين لرب العالمين لا يتحقق إلا بالعبادة والذكر والمناجاة طوال ساعات الليل ، وأحسن أوقات المناجاة هو جوف الليل، أو الثلث الأخير منه فتتجافى جنوب هؤلاء المشتاقين إلى الله تعالى عن مضاجعهم، ومن هنا اتخذ الصوفية أصحاب القلوب المفعمة بالحب الإلهى أسوة حسنة لهم، فقاموا بإحياء لياليهم حتى أنهم تمتعوا بحياة القلوب وأصبحت قلوبهم منورة بنور الحب الإلهى، وتوافقت نبضات قلوبهم مع ذكر الله تعالى، وكان شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان واحدا من الصوفية المتمسكين بأسوة سيد المحبين - صلى الله عليه وسلم - لرب العالمين - جل جلاله - فى الحب الإلهى، فكان يقضى نهاره مفتيا ومعلما كما كان يحيى لياليه بالعبادة، والمناجاة، والتضرع إلى الله - تبارك وتعالى -، هذا وقد سلك خطوات الشعراء المتصوفين فى نظم الغزل الصوفى، فقد استخدم أساليب العذريين ولكنه رمز بالمرأة إلى الأفكار التى كانت تتجلى عليه فى سهراته، والعلوم التى

Marfat.com

كانت تضيئ باطنه وتنير فكرته، ومن هنا سار شاعرنا على دروب الصوفية فـــى الرمز، فلنسمع إليه حيث يقول(١):

"أنا قيس نجد فيه نزهـــة جنـــة هى جنة من جنـــــة لجنـــان
ليلاى ليل كنت فيـــــه منادمـــا لعرائس عرب حللن جنـــانى
أسكن قلبى إذ سكن وبت فـــــى نعم ارتشاف لما ورف لسـان
حتى إذا أصبحت سعدا قيل لـــى أحييت ليلك قلت بل أحيـانى"

وبعد هذا يقدم شاعرنا على بيان تلك الرموز التى استخدمها فى البيت التاســع والعشرين والبيت الثلاثين، فيسأل مخاطبه المستحضر فى ذهنه: أعلمت مـــا هـــو النجد؟ ثم يجيب بنفسه قائلا: إنه نجد تعلم وتفكر، أما الليل فليل التفكير والإمعـــان، وإن هذا الليل يكشف النقاب عن نجوم المعانى عند إرخائه ستار الظلام على الناس، يقول شاعرنا مبينا هذه الرموز(٢):

"أعلمت ماذا النجد نجد تعلـم والليل ليل الفكـــر والإمعـــان
ليل إذا أرخى ستار ظلامـــه رفع الستارة عن نجوم معـان".

إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان قام ببيان نزاهة غزله وعفة حبه خير قيـــام وذلك من البيت التاسع والعشرين إلى الرابع والثلاثين - كما ســـبق أن درســنا - وبالتالى أخذ يعرب عن تبرئته من الغزل الحقيقى، وذلـــك مـــن البيـــت الخـــامس والثلاثين لغاية التاسع والثلاثين، ومع ذلك يصور فيحسن التصوير ويشـــبه فتـــأتى تشبيهاته رائعة جيدة، ها هو يقوم بتشبيه الجميلات بالدمى المرصعة بالدرر كأنـــهن متكئات على السرر، وكأنهن التماثيل ويغمز بها الهندوس الذين يتعبدونها فى شـــبه القارة الهندية، ومن هذا الإطار يقول شاعرنا: "لست بعابد الأوثان، وليس لـــــى أى احتكاك مع تلكم الدمى وإن كن على السرر ومرصعة بالدرر" وشاعرنا يعنى بذلـك

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، ص ٧٤.
(٢) المرجع السابق، ص ٧٤.

Marfat.com

أنه لا يلتفت إلى الجميلات مهما كان جمالهن، فكأنه يقول: "إننى لست مهتما بـــهذا الجمال الأنثوى وليس بينى وبين الغزل المثير للكامن أى علاقة، فلم أتغزل فى هـذا المعنى ولم أر مرتع الغزلان، فالغزل الذى أتغزل به والهوى الـــذى أهـــواه ليـــس حقيقيا، بل غزلى أرفع من التغزل بالمرأة"، وقد أفهم من هـــذا النـــص أنـــه أراد بالجميلات ما فى دنياه من مفاتن وأفكار وطرق يدعوه الاستعمار إلى سلوكها، وقـد يقع فى تلك الحبال بعض من المستضعفين ولكن شاعرنا أقـــوى مـــن ذلـــك، فـــلا تستطيع الدنيا أن تفتنه ولا يمكن للمباهج أن تجره إليها، فهو ثابت على مبادئه حيث إنها مبادئ راسخة تضرب جذورها إلى تلكم التربية الإسلامية التى تربـــى عليـــها ونشأ فى حجرها، وقد قال معتزا بهذه التربية الإسلامية التى حظى بها على يـــدى جده ووالده: "كيف يمكن لى أن أطمع فى غناء المطربات، وإن قلت سابقا فى غزل النساء فليس غزلى تلبية للرغبة فى لهو الشباب ولعبهم إلا اقتفاء بآثـــار الشـــعراء السابقين".

فى تصورى أن شاعرنا شعر بأنه يمكن أن يسأل سؤالا مؤداه لماذا تغزلـــت ولماذا قلت ما قلت؟ ولماذا بلغ بك الغزل بيت القصيد؟ حين وقع لك من المعانى ما لم تسبق إليه، كما سبق أن أشرت إلى ذلك فى قوله "فى بدرها قمران"، حين تصور هذا شاعرنا وأراد أن يرد على هذا التساؤل فقال: "إن هذا اللهو واللعب لا يتفق مع طبيعتى ولا يوافق هواى وفكرى" وكأنما يقول شاعرنا: إنما أردت بالغزل لأقـــف وأقول: "أنا أستطيع أن أجارى شعراء العربية، وها هى قدمى راسخة فـــى الغـــزل وإن كنت غير عابئ به كمبدأ أو كملعب للشباب ولهوهم، وشاعريتى تســـتطيع أن تضارع غيرها من الشعراء من أصحاب الفن وتسلك مسلكهم.

لم يكن تشبيب شاعرنا إلا تمهيدا للمدح، وشأنه فى ذلك شـــأن الكثـــير ممـــن تقدمه من الشعراء الذين كانوا يبتدؤن بالغزل ثم ينتقلون إلى الغرض الحقيقى ليلفت الأنظار، ويستدعى الانتباه، من هؤلاء الشعراء نضرب المثال بكعب بن زهير فقـــد بدأ لاميته بالغزل ثم انتقل إلى راحلته التى سوف يتخذها وسيلة تصل به إلى غايته، فركب الناقة ووصف تلك الناقة، ثم انتقل إلى الغرض الأساسى وهو مـــدح ســـيدنا

Marfat.com

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والاعتذار إليه، أعتقد أن شاعرنا قبل أن يقول الأبيات الأخيرة من غزله تصور أن شخصا سوف يسأله: إذا كنت تبرأت من الإلتفات إلى الجميلات والاهتمام بالجمال الأنثوى فلما ذا قلت ما قلت؟ فأراد شاعرنا أن ينفى عن نفسه التغزل الحقيقي فقال: ما هذا ديدنى أن أقول فى وصف الجميلات ولا يستهوينى جمالهن حتى لو كان ذلك الجمال عبارة عن أنهن دمى محلات بالدرر وقد أجلسن على السرر، وإنما إقدامى على نظم الغزل ليس إلا تشبيب شعر، واختبارا لقوتى، وإثباتا بأن شاعريتى تستطيع أن تجارى غيرها من أصحاب هذا الفن، وأقول مثلهم دونما أن أتأثر من ذلك وأن أميل إليه، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه أن شاعرنا لم يقل غزلا للغزل، وإنما كان غزلا صوفيا لإظهار براعته فى نظم الغزل، وإنما خشى بعده أن يظن القارئ أنه رجل غزل فأراد أن ينفى عن نفسه هذا الظن بما قاله فى نهاية المطاف، وكان غزله عبارة عن تمهيد لينتقل بعد ذلك إلى الغرض الأساسى وهو مدح مولانا فضل الرسول البدايونى(١) فلم يكن الغزل إلا معبرا، ومع ذلك كان شاعرنا رائعا فى غزله، وقد وقع له أكثر من معنى لم يسبق إليه – على نحو ما سبق أن ذكرت – لولا تبرئته من الغزل لتأكدنا أنه أتى بالغزل الحقيقى، أما كلمة الرحلة فأعرب شاعرنا عن معناها قائلا(٢): "الرحلة – بضم الراء – من العلماء هو العلم المقتدا الذى يرتحل إليه من كل حدب للاستفادة والاستفاضة" وكأنه عبر عن انتقاله من الغزل إلى المدح بالرحلة فقال: أقبلت الآن على مدح عالم دينى ارتحل إليه بمشاعرى وعواطفى، وأعده قدوة لى من العلماء المعاصرين لى، وكأن الشاعر يستبرىء أن ما قاله فى الغزل هو مجرد تشبيب وتمهيد للإقدام على الغرض الأساسى لنظم هذه القصيدة جريا على عادة من سبقه من شعراء العربية الكثيرين، وفى هذا يقول شاعرنا(٣):

"مالى وللدميات من درر على سرر ولست بعابد الأوثان

---

(١) لقد سبق أن حاولنا دراسة هذا الغرض فى الفصل الأول من الباب الثانى.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٩٢.
(٣) المرجع السابق، ص ٧٤.

Marfat.com

مالى وللغزل المهيج فـــلا أكـــن غزلا ولم أر مرتع الغـزلان

مالى وللإهواء إلى مهوى الـهوى أفلى غناء فى غناء غـــوان

مـــا كـــان هـــذا ديدنـــى لكنـــه تشبيب شعر لا دد الشـــبان

إذا ما دد منى ولا أتـــا مـــن دد إذ جئت أمدح رحلة لأوانى"

من هذا المنطلق يمكن لنا أن نقول: إن شـــاعرنا الصوفـــى تغـــزل بـــالغزل الصوفى وذلك نظرا لمكانته المرموقة بين مشايخ الطريقة القادرية، وعدم اطلاعنـــا على نص أو إشارة - ضمن كتب سيرته - إلى أنه أغرم بفتـــاة طـــوال حياتـــه، فاستعار شاعرنا طريقة العذريين، واستخدم التركيب الرمزى فى أبياته، ولقد قـــام شاعرنا بإنشاء نصيح داخل نفسه على أسلوب شعراء العربية، وسمع هذا النصيـــح يخاطبه قائلا: "مه يارضا" البيت، وبالتالى توقف عن التغزل وبدأ يبين حبه العفيـف وذلك من البيت السادس والعشرين إلى البيت الرابع والثلاثين، ثـــم يختتـــم الغـــزل بغلاف لطيف من الختام وكان هذا الالتفات من ابتكار الشـــعراء المحدثيـــن فـــإن الشعراء القدامى كانوا ينتقلون إلى الغرض الأساسى مباشـــرة دون أن يعـــد لذلـــك مقدمات، هذا وقد تبرأ شاعرنا من الغزل الحقيقى فى نهاية المطـــاف وذلـــك فـــى الأبيات الأخيرة من مقدمته الغزلية، واحتوت هذه الخاتمة على خمسة أبيـــات مـــن البيت الخامس والثلاثين إلى البيت التاسع والثلاثين، فقد برر شاعرنا موقفه من هذا الغزل حيث إنه اعتبر هذا الغزل مقدمة للغرض الأساسى ألا وهـــو مـــدح العـــالم الدينى الكبير مولانا فضل الرسول البدايونى، لقد انتقل شاعرنا فى نونيته التى بدأها بالغزل من غرض لآخر ولكن موهبته الشعرية انصبت فـــى المناجـــاة والصـــلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وأرى أن ظـــاهرة النجوى بين بداية القصيدة ونهايتها تشكل وحدة بين هذين الطرفين، فكان قد استهل قصيدته بالنجوى مقتفيا آثار من سبقه من الصوفية الذين سلكوا مســـلك الرمزيـــة، ليس من الهند فقط بل من العرب أيضا كما سبق أن أشرنا إلى نشأة هذا الفن فـــى القرن الثالث الهجرى، وأعتقد أن هذا كل ما كان وراء اقدامه على نظم الغزل.

Marfat.com

المبحث الثالث

مشاعر دينية فياضة وشيئ من السيرة

إذا كنا درسنا المناجاة وما نظم فيها شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فهناك بعض أبياته فى غير المناجاة ولكنها وثيقة الصلة بالمناجاة، وقد انبثقت هذه الأبيات من المشاعر الدينية الفياضة لدى شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فلم نذكرها ضمن أبيات المناجاة بل أفردناها بالذكر لأنها وإن كانت فيها الروح الدينية إلا أنها تختلف عن المناجاة، فالمناجاة حديث بينه وبين ربه وخطاب موجه إليه سبحانه وتعالى، وأما هذه المشاعر فهى وإن كانت قالبا مفعما بالعاطفة الدينية إلا أنها حديث بينه وبين نفسه، وعليه رأيت أن أفردها بمبحث خاص، وهذه ثلاث منظومات والتى سوف نحاول أن ندرسها فيما يلى:

إن أول هذه المنظومات تشتمل على ثلاثة أبيات من بحر الطويل أوردها محقق الديوان تحت عنوان: "وقال بعد الفراغ من تصنيف إحدى رسائله" وقد أدلى بالتفصيل قائلا(١): ذكر الشيخ أحمد رضا خان أنه صنف رسالة فى الرد على طائفة الطبيعين الدهريين التى تزعم أنه لا وجود لجبريل ولا ملك ولاجن ولا شياطين ولا سماء ولا إسراء، ولا جنة ولا نار، ولا حشر للمخلوقات على المعانى التى يعرفها المسلمون، وتؤول كل ذلك على طريق الباطنية، وتتفوه أن ربنا لا يقدر على خرق العوائد، ومن أجل ذلك تنكر المعجزات بأسرها وتؤلها بما يردها إلى وفق العادة، وتقول إن استرقاق المشركين فى الجهاد حرام ... وطلب [الشيخ

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٧٨، ١٧٩.

Marfat.com

4A

أحمد رضا خان] من علماء الحرمين المعظمين و البلدين المقدسين مكة المكرمة و المدينة المنورة كتابة التقاريظ على رسالته هذه وذكر فى بداية رسالته هذه أنه أخذ يصنفها بعد صلاة الفجر يوم الأربعاء السادس عشر من شهر شوال واختتمها تسويدا وتبييضا قبل أن يبزغ الفجر من سابع عشر يوم الخميس إلا أنه لم يذكر فيها السنة، ثم ذكر بعد ذلك هذه الأشعار التى أنشدها لتدل على المدة التى مكثها لتصنيف هذه الرسالة" اهـ إذا كان المحقق الفاضل لم يذكر السنة أيضا فقد اطلعت على هذه السنة من خلال اسم الرسالة التى صنفها الشيخ أحمد رضا خان فى الرد على الدهرين وبعض الفرق الأخرى، فقد سمى شاعرنا رسالته هذه باسم تدل حروفه - بحساب الجمل - على عام التأليف و هو "فتاوى الحرمين برجف ندوة المين" و الذى يدل على العام الثالث عشر من القرن الثانى عشر للهجرة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن شاعرنا كان ذا ثقافة عريضة حيث إنه كان يتمتع بالثقافة الدينية بمختلف علومها و الثقافة الأدبية بشتى فنونها، فنجده يوظف ثقافته الدينية و الأدبية معا فإنه بعد الفراغ من تصنيفه هذا فى الرد على الطبيعين الدهريين أقدم على نظم هذه الأبيات الثلاثة التى تمثل مشاعره تجاه الدين، فكأن تمكنه من هذا الإنجاز فى أبسط وقت هيج مشاعره الجياشة وأخرج منها ما يليق بهذا التأليف من غبطة وسرور و استحسان، و لا سيما وكان التصنيف فى أرض مكة المكرمة، وشاعرنا فى كل هذا يحمد الله تعالى ويشكر له الفضل و العطاء ثم يذكر فضل النبى - صلى الله عليه وسلم - على المسلمين جميعا بوصفه هاديا ومرشدا وحاملا راية دين الحق فكأنه يشكر الله تبارك وتعالى على توفيق الدفاع عن الإسلام بالرد على طائفة الدهريين، كما يرد إلى الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فضله الجم بأنه كشف بإرشاداته غمة الجهل و الضلال، وجلى ظلمة الكفر و الشرك بإبلاغ

Marfat.com

رسالة الله تعالى إلى الإنسانية جمعاء، نسأل الله أن يقبل من شاعرنا هذه المشـــاعر ويأجرنا على الاستماع إليها، والاستمتاع بها، فلنستمع إلى الشاعر حيث يقول(١):

"فما هو إلا شغل عشرين ســـاعة ... وعنها أنى السجد والأكل يفرد

فمـــا كـــان إلا بتوفيـــق ربنـــــا ... له الحمد حمـــدا دائمـــا يتـــأبد

وصلى إله الحق دوما على الـذى ... أتانا بدين الحق يهدى ويرشـــد"

فلا نجد فى هذه الأبيات الثلاثة إلا تحدثا لنعمة الله تعالى التى من الله تعـــالى بها على شاعرنا بتوفيقه إياه للتصدى بالوقوف فى وجه الدهريين والقيـــام بإنجـــاز رسالة قيمة فى الرد عليهم فى وقت غير طويل، وقد رأيناه قسم الأبيات بين أمـــور ثلاث. قصد إلى كل أمر ببيت واحد، أما البيت الأول فيذكر فيه تلك المـــدة التـــى قضاها فى تأليف هذه الرسالة، وقد حددها بعشرين ساعة شغلتْهُ أفكارها، واجتذبتـــه ورودها، ولم لا وللمكان الذى يجلس فيه قدسية تدعو إلى ذلك واهتمامـــات نفـــس الشاعر أيضا تدعو لما شغل نفسه به، وكان من الطبعى أن يعرض فى البيت الثانى لحمد الله تعالى وتوفيقه إياه على إتمام هذه الرسالة، وشاعرنا بين حمد الله ودعائـــه والضراعة لوجهه الأعلى وبين صلاته وسلامه على الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - كالنحلة التى تنتقل لتجد غذاءها فوق كل زهـــرة ممـــا تمـــر عليـــه، وشاعرنا كذلك ينتقل من ضراعته إلى الله تعالى ورجائه إلى الحبيب المصطفـــى - صلى الله عليه وسلم - فى كل أمر يبتدؤه ويُنْهِيْهِ، ولما كانت هذه الأبيـــات بمثابـــة الشكر لله تعالى على توفيقه إياه لتأليف رسالة فى الرد على الدهريين، لذلك كـــانت صلاته وسلامه على الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فُسْحته فى البيـــت الثالث، وهكذا يكون الشاعر قد جعل من هذه الأبيات الثلاث سجلا لما أنجز وشكرا

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٧٨.

Marfat.com

لله على ما وفق إليه، أما الصلاة والسلام على النبى - صلى الله عليه وسلم - فهما الجوهرتان اللتان يزدان بهما كل نسيج شعرى عند الشيخ أحمد رضا خان، قد تكونان مرة واحدة كما هو الحال فى هذه المنظومة، وقد تتكرران بتكرار المشاعر النفسية عند شاعرنا.

أما المقطوعة الثانية التى نظمها شاعرنا من بحر البسيط فمكونة من عشرة أبيات ولكن المناسبة لم تكن معروفة، فما هى إلا عواطف جاشت ومشاعر تحركت، وقلم شرع فى تسجيل ذلك كله، يذكر محقق الديوان عن هذه الأبيات(١): هذه المنظومة افتتح بها الجزء الثالث من ديوان حدائق بخشش [ديوانه الشعرى بالأردية] ومعلوم أن الجزء الثالث هذا طبع بعد انتقال الشيخ أحمد رضا خان إلى رحاب ربه، وقد جمعه ورتبه مولانا محمد محبوب على خان القادرى".

وهذه الأبيات تبدأ بالحمد لله تعالى، وبالتالى يصلى شاعرنا على الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - منجى الناس من سقر، ثم يعوذ بربه تعالى من الاحتكام إلى غير الله - تبارك وتعالى -، فإن شاعرنا متيقن يقينا لا يزعزعه شئ أنه ليس هناك من هو أكثر عدلا وفضلا من الله تعالى، فلا يلجأ إلا إلى الله تبارك وتعالى فيقول(٢):

"الحمد لله رب الكون والبشر ... حمدا يدوم دواما غير منحصر

وأفضل الصلاة الزاكيات على ... خير البرية منجى الناس من سقر

بك العياذ إلهى إن أشأ حكما ... سواكِ يا ربنا يا منزل النذر"

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٨٣.

(٢) المرجع السابق. ص ١٨٢.

Marfat.com

نراه فى هذه الأبيات يحمد ربه تبارك وتعالى ويتضرع إليه أن يمن بـــأفضل الصلوات وأزكى السلامات على الحبيب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – ولـــم لا فبهداه – عليه الصلاة والسلام – يمن علينا ربنا – جل اسمه – بالنجاة من سقر، والقرآن حافل بذكر ما تفعله سقر، وها هو شاعرنا وهو يقدم على تذكيرنا بنعمـــة العقل ومن ألهمنا إياها، ومنحت المتعة به، والهداية بنوره فالمراد بالنّذر الوارد فـــى البيت الثالث العلم والحذر أو الإنذار والتخويف كما أخذ من تاج العروس[١] (نـــذر بالشئ) وكذلك بالعدو (كفرح) نذرا (علمه فحذره) ومنه الحديث: "أنذر القـــوم" أرى إحذر منهم وكن على علم وحذر، ونقل شيخنا أنهم صرحوا بأنـــه ليـــس لـــه مصدر صريح ولذلك قالوا: إنه مثل عسى من الأفعال التى لا مصادر لها ... قلـــت وقد ذكر ابن القطاع له ثلاثة مصادر حيث قال: نذرت بالشئ نَذارة ونِذارة ونـــذرا: علمتُهُ (وأنذره بالأمر إنذاراً ونَذرا) بالفتح عن كراع واللحيانى ... أى (أعلمه و) قيل: (حذره وخوفه فى إبلاغه) وبه فسر قوله تعالى[٢]: **وأنذرهم يوم الآزفة**

ومن هنا نستطيع القول: إن الشاعر قصد من كلمة "النـــذر" الإعـــلام بالســـقر – الوارد ذكرها فى البيت الثانى – والتحذير منها، وكان مـــن الممكـــن أن يســـتبدل الشاعر حرف الذال من النذر ويجعله ظاء ولا يختل المعنى المراد للشاعر، حيـــث إن النظر المراد به العقل وما يترتب عليه ، وحينئذ يمكننا أن نقول: "بنور العقـــل وبلسان الرسل وهداهم يمكن أن يستقيم العقل" فيذكرنا الشيخ أحمد رضا خان بنعمـــة العقل، ويخوفنا من أن نحكم فى أمورنا غير الله تعالى وذلـــك بحـــذف المضـــاف، والمراد أنه يحذرنا من أن نحكم غير شرع الله تعالى.

---

(١) تاج العروس، للزبيدى، ج ٣، ص ٥٦١.
(٢) سورة غافر ١٨/٤٠.

Marfat.com

وفى البيت الرابع من القصيدة هذه يتوجه شاعرنا إلـــى مخاطبـــة المصـــاب بالزيع و الفساد فى العقيدة، ولم يكن المخاطب معروفا بشـــخصه و إنمـــا أرى أنـــه يخاطب كل من انحرف عن الصراط السوى ويقول له: ألا نحتكم جميعا إلى النبـــى - صلى الله عليه وسلم - الذى لا ينطق عن هواه إنما نطقه وكلامه بوحـــى مـــن مولاه حيث قال تبارك وتعالى(١): **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحـــى**

كما يسأل مخاطبه: أن يستأنس بما جاء من رجاحة عقل كل مـــن ســـيدنا عمـــر وسيدنا على - رضى الله عنهما - صاحبى رسول الله - صلى الله عليه وســـلم - ولعله جمع بين هذين الصاحبين الجليلين ليجمع بين الحسم الذى عرف بـــه ســـيدنا الفاروق، والتوسط الذى عرف به سيدنا على - رضى الله عنهما - ولو اســـتطاع شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان أن يحكم فى مخاطبه سيدنا الفاروق لفعـــل وذلـــك لبغضه كل البغض من ينحرف عن الجادة ويخرج عن رأى أهل السنة والجماعـــة، وكم يتمنى له شاعرنا أن يرجع عن إعوجاجه أو يقوم بسيف سيدنا عمر - رضوان الله عليه - وينصح مخاطبه بالتخلى عن اتباع رغبته وهواه فى أمـــر مـــن أمـــور الدين، وفى هذا يقول(٢):

ألا تعال إلى المختار مـــن مضـــر ... صلى الإله على المختار من مضـــر

إن شئت فانهض إلى الفاروق نســـأله ... فالحق يظهر من ألفاظـــه الغـــرر

هلم اســـرع نســـأل عـــن حيـــدرة ... إلا تقـــول تحاكمنـــا إلـــى عمـــر

وفى البيت السابع يطلب شاعرنا الشيخ أحمد رضا خـــان - مـــن مخاطبـــه الإنصات إلى كلام العلماء التابعين لسيد المرسلين - عليـــه الصـــلاة والســـلام -

---

(١) سورة النجم ٥٣/٤.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٨٢، ١٨٣.

Marfat.com

وأصحابه المقتفين بآثاره نجوم الهداية أجمعين، ويرى شاعرنا أن هؤلاء العلماء نظرا لاتباعهم وصلاتهم القوية برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه - رضوان الله عليهم أجمعين - أصبحوا قدوة وأسوة حسنة لمن له رغبة فى الاقتداء فى الثبات على الهداية، ويطلب كذلك من المخاطب إما البرهان على موقفه إن وجد، وإلا فالتنازل عن الموقف السائد، ثم يسأله سبب عدم احترامه للعلماء قائلا: إن هذا السلوك يعتبر من الكبر، ومن المعلوم أن الله - تبارك وتعالى - لا يحب كل متكبر جبار، وبعد الإشارة إلى عواقب الكبر ينتقل الشاعر بالتواضع لله - تبارك وتعالى - قائلا: إن هذا العبد - يقصد الشاعر نفسه - يتوجه بالثناء والحمد لله المحبوبين إليه من متاع الدنيا، وفى هذا يقول(١):

"اسمع كلام أولى العرفان والعلما ... ففيهم الأسوة الحسنى لمعتبر

إن كان عندك برهان فأبد لنا ... أم لا إمام سوى الإصرار والبطر

مالى أراك سليطا تشتم العلما ... إن الشتيمة ياهذا من الكبر

العبد يثنى على المولى بمحمده ... أشهى من الدر بل أبهى من الدرر"

فى هذه المنظومة أربعة من الأبيات ما يمكن أن نقول: إنها أبيات القصيد منها الأبيات الثلاثة الأولى، وهذه قصيدة أديب حيث لا تقديم ولا تأخير، والرابع فى محل الخاتم بالنسبة للقصيدة، والبيت يقول بلسان الحال أنا خاتمة المطاف.

أما المقطوعة الثالثة التى تحمل المشاعر الدينية الفياضة بما فى ذلك الأبيات الخمسة التى يراها محقق الديوان عربية، فقد وردت هذه الأبيات ضمن منظومة فارسية نظمها شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان تحت عنوان فارسى "مثنوى رد

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨٣.

Marfat.com

أمثالية" معناه بالعربية المثنوى فى الرد على القائلين بالمثلية" والمراد بالمثلية قول القائلين بمثلية الرسول - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين البشر فهم يرونه لا يفترق عنهم شيئا، وهذه المنظومة لشاعرنا ردت عليهم هذا الاعتقاد لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يتفق معنا إلا فى البشرية فقط، ولكنه يفوق البشر فيما يفوق، فإن حكمة الله شاءت أن اختارته على نمط معين **•الله أعلم حيث يجعل رسالته** (١) فالمفروض أن تكون لديه القدرة على تحمل الوحى ما يعينه على أداء مهمته التى وكلها الله تعالى إليه ، فليست المثلية بينه - صلى الله عليه وسلم - وبين هؤلاء إلا البشرية، والمثلية فى البشرية نصت عليها الآية: **قل إنما أنا بشر مثلكم** (٢) ولكن الجزء الثانى يميز النبى - صلى الله عليه وسلم - عن هؤلاء: **يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد** (٣) فيختلف معنا فى الوحى، فنحن لا يوحى إلينا وإنما نبلغ ببشرية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولو كنا مثله لتلقينا الوحى، وهذا الذى لم يفهمه أولئكم الناس المتناسون شرف النبى - صلى الله عليه وسلم - وأفضليته للبشرية جمعاء، ولله در البوصيرى حيث يقول(٤):

فاق النبيين فى خلق وفى خلق ولم يدانوه فى علم ولا كرم

على كل فقد قام شاعرنا ضمن قصيدته هذه بالرد على القائلين بالمثلية بينه - صلى الله عليه وسلم - وبينهم، ولسنا بصدد الكلام عن القصيدة ككل، لأن القصيدة الفارسية ليست بموضوع حديثنا، لكننى بينت العنوان، وداخل هذا العنوان جعل المحقق أبياتا خمسة وعدها عربية وهى الأبيات رقم الثانى والثلاثون، والثانى

---

(١) سورة الأنعام ١٢٤/٦.
(٢) سورة الكهف ١١٠/١٨.
(٣) سورة الكهف ١١٠/١٨.
(٤) بردة المديح المباركة، للإمام البوصيرى، ص ٢٣.

Marfat.com

والتسعون، فالسادس والتسعون، فالسابع والتسعون، فالرابع عشر بعد المائة، هذه هى الأبيات العربية المختارة من القصيدة الفارسية للشيخ أحمد رضا خان، التى تتألف من تسعين ومائة بيت، عدّها محقق الديوان خمسا ولكننى لا أراها إلا أربعا، وذلك لأننى أستثنى أول هذه الأبيات، لأننى أراه فارسيا فى نسجه، وإن كان البيت مفعما بالألفاظ العربية، فقد نظر محقق ديوان الشيخ أحمد رضا خان إلى تدفق الألفاظ العربية فى هذا البيت فعدها خمسا، أما أنا فأعدها أربعا لأننى نظرت إلى أسلوبه، فطريقة نسجه فى نظرى فارسية وليست بعربية، وإن كان البيت حافلا بالمصطلحات العربية، فكانت هذه الأبيات الأربعة المتفرقة فى قصيدة فارسية جمعها محقق الديوان، على كل نجد ثمة ترابط بين الأبيات الأربعة، فإن الشاعر يضرب المثال بهؤلاء المغضوب عليهم، ففى هذا يقول(١):

"معدن أسرار علام الغيوب برزخ بحرين إمكان ووجوب"

أما البيت الثانى حسب ترتيب محقق "بساتين الغفران" فنلاحظ أن شاعرنا يشير فيه إلى قصة نبى الله هود - على نبينا وسائر الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأزكى التسليم - مع قومه، فإنه عندما أنذر قومه بالعذاب العظيم ونهاهم عن عبادة غير الله - سبحانه وتعالى - طلبوا منه تنفيذ الوعيد اختبارا لصدقه، فبين لهم نبى الله أنه قد أبلغهم رسالة ربهم، فأرسل الله تعالى عذابه إلى هؤلاء المتمردين، وقد حفلت بذكر ذلك سورة الأحقاف مبينة كيف استقبلوا العذاب وكيف كانوا يؤملون من ورائه الخير، وأنى لهم ذلك وقد كفروا بمن بعثه الله إليهم؟ يقول مولانا عز وجل(٢): **فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض**

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢١٦.
(٢) سورة الأحقاف ٤٦/٢٤، ٢٥.

Marfat.com

ممطرنا. بل هو ما استعجلتم به، ريح فيها عذاب أليم، تدمر كل شئ بأمر ربـــها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم، كذلك نجزى القوم المجرمين .

أما البيت الثالث والرابع فيشير فيهما الشاعر إلى الآيتين اللتين نزلتا فى حق نبينه - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه - رضى الله عنهم أجمعين - حيث قـــال الله عز وجل(١): **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الديـن كله، وكفى بالله شهيدا، محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحمـــاء بينهم، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم فى وجوهـــهم من أثر السجود. ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخـــرج شـطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفـــار، وعـد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما**

نلحظ تمرد قوم عاد وعاقبتهم الوخيمة فى استشـــهاد شـاعرنا مـن سـورة الأحقاف، وبالتالى نلاحظ ما وعد به الله تبارك وتعالى رسوله ونبيه - صلـــى الله عليه وسلم - من إعطاء غلبة على الكفار، والمغفرة، والأجر العظيم للذين آمنـــوا بالله ورسوله، فكأن شاعرنا الداعية الإسلامى ببيان هذين الموقفين يريـــد أن ينبـه المنحرفين عن أحكام الشريعة الإسلامية السمحة والمتناسين شرف النبى المبعـوث من البشر والمتوج بسيادة البشر - صلى الله عليه وسلم - على العواقب الوخيمـــة لتمردهم وانحرافهم، كما أنه يشوق المتتبعين للدين الحنيـــف، والمحبيـن للحبيـب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - إلى المزيد من طاعة الله - سبحانه وتعـالى - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وفى هذا يقول(٢):

---

(١) سورة الفتح ٤٨/٢٨. ٢٩.

(٢) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢١٦.

Marfat.com

بل هو ما استعجلوا خزى عظيم أرسلت ريح بتعذيب أليم
قل كزرع أخرج الشطأ إلى آزر فاستغلظ ثم استوى
يعجب الزراع كالماء المعين كى يغيظ الكافرين الظالمين

أما البيت الخامس فيشتمل على المناجاة وتواضع شاعرنا لله - تبارك وتعالى - المقتبس من الآية القرآنية التى تبين لنا تواضع الملائكة لله - تبارك وتعالى - واعترافهم بقلة العلم وذلك عندما طلب منهم ربنا - تبارك وتعالى - أن ينبؤا بالأسماء التى يعلمها نبى الله آدم - عليه السلام - إذا كانوا صادقين فى موقفهم من اتخاذ ربنا خليفة فى الأرض، وقد نقل القرآن الكريم اعترافهم كما يأتى: **قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم** (١)، ومن هنا اقتبس شاعرنا أسلوبا يمثل تواضعه لله تبارك وتعالى، وشاعرنا يناجى ربه بالتسبيح، والاعتراف بفضل الله تعالى وكرمه حيث إنه - جل شأنه - خلق الإنسان علمه البيان، وفى هذا يقول شاعرنا(٢):

ربنا سبحانك ليس لنا علم شيئ غير ما علمتنا

هذه هى نهاية المطاف لأبيات أربعة نظمها شاعرنا ضمن منظومته الفارسية، حيث إن الأول(٣) يشتمل على الترهيب والتخويف عن التمرد ومعصية الخالق - جل وعلا - كما أن الثانى والثالث(٤) يشتملان على الترغيب فى المزيد من طاعة

---

(١) سورة البقرة ٣٢/٢.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢١٦.
(٣) وهو الثانى حسب ترتيب محقق بساتين الغفران.
(٤) الثالث والرابع حسب ترتيب محقق بساتين الغفران، وقد سبق أن أشرنا إلى السبب لعدم اعتبار البيت الأول من الأبيات العربية (الباحث).

Marfat.com

الله – سبحانه وتعالى – ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وكان كل من المناجاة، والتسبيح – والاعتراف بفضل الله تعالى على بنى الإنسان ومنه وكرمه بإعطائهم نور العلم نهاية المطاف.

أما المقطوعة الرابعة فتشتمل على ستة أبيات من بحر الرجز المجزوء يحاول فيها شاعرنا أن يقص علينا شيئا من السيرة النبوية العطرة، وهو وصف لبعض أحوال أتى بها جبريل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهذه الأبيات لم تكن مقيدة فى الديوان فقد تفضل بإرسالها إلى أستاذى و والدي مولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى من الهند خلال زيارته لبعض مدنها، فرأيت أن ألقى ظلال بحثى على كل جهد شعرى عربى دبجه يراع شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان، وذلك لأن تراثه فى الشعر العربى موضوع بحثى، فقبل أن نحاول دراسة مقطوعته نرى أن نذكر ذلك النثر اللطيف الذى أورده شاعرنا قبل هذه المقطوعة وإن كنت لا أعلق عليه نظرا لأمرين ، الأمر الأول حلاوة نثره ولطفه فصوت الكاتب أحلى من صوتى أيا كان تعليقى، والأمر الثانى: أنه لم يكن موضوع بحثنا وإنما ذكرت ذلك من باب تتمة الفائدة، فلنسمع إلى شاعرنا حيث يقول(١): وهذا سيدنا جبريل – عليه الصلاة بالتبجيل – رآه عدو الله أبو جهل فى صورة فحل، وقد صال عليه، وله ناب وهامة لم ير مثلها حتى نكص عدو الله على عقبيه، فهل يسوغ لأحد أن يزعم أنه لم يكن جبريل، وإنما كان شئ آخر يدل على جبريل؟ حاش لله بل كان جبريل يقينا، وفى نفس الحديث عنه - صلى الله عليه وسلم - قال: **ذاك جبريل لودنا منى لأخذه**، رواه ابن اسحاق، وابو نعيم، والبيهقى عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - وإن كنا نعلم أيضا باليقين أن صورة جبريل الجميلة ليست الصورة الجملية

---

(١) الكشف شافيا فى حكم فونوجرافيا، للشيخ أحمد رضا خان، (ط: رضا أكاديمى، ممبائى، الهند ١٤١٨هـ) ص ٣٨، ٣٩.

Marfat.com

بل له ستمائة جناح قد سدت الأفق، ورأى الصحابة رضى الله عنهم فى مسيرهم إلى بنى قريظة دحية بن خليفة متوجها إليهم على بغلة بيضاء، فاخبروا به النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال - كما فى الحديث: **ذاك جبريل بعث إلى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب فى قلوبهم**، وحديث أعرابى أتى النبى - صلى الله عليه وسلم - يسأله عن الإسلام، والإحسان، والساعة وأشراطها، لم يعرفه أحذ، ولا يرى عليه أثر سفر، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، وقوله - صلى الله عليه وسلم - **إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**، معروف ومشهور، وقد ثبت غير مرة إتيانه إليه - صلى الله عليه وسلم - فى صورة دحية الكلبى - رضى الله عنه - وعلى جبريل الصلاة والسلام، وللنسائى بسند صحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما: كان جبريل يأتى النبى - صلى الله عليه وسلم - فى صورة دحية الكلبى ... ولا يسوغ لمسلم أن يشك فى كونه جبريل. مع القطع بأن جبريل ليس أعرابيا، ولا كلبيا، فما هو إلا أنها تجليات جبريل بتلك الصور المختلفة، ولم يتعدد بتعددها جبريل، ولا يمكن أن يقال إن هذه كانت أشياء أخرى غير جبريل تدل عليه، وفى ذلك أقول:

أجبريل من السدره ... وآخر جاء من قريه

وثالثهم عدا جملا ... ورابعهم غدا دحيه

فمنهم من له ذنب ... ومنهم من له لحيه

وهذا باطل قطعا ... فلا يرضاه ذو نهيه

ومع ذا وحدة الكل ... يقين ما به مريه

هو العادى على الغاوى ... هو الموحى بلا فريه

Marfat.com

إذا كنا درسنا أربع مقطوعات تحت عنوان "مشاعر دينية فياضـــة" فنلاحـظ رباعيتين لشاعرنا تنتميان بهذا العنوان حيث يقوم شاعرنا بالنجوى مع نفسه حينـــا ويتناجى مع جده مولانا محمد رضا على خان النقشبندى حينا آخر، فـــالبيت الأول من هذه الرباعية التى نظمها من بحر الطويل يحتوى على حديث شاعرنا مع نفسه فكأنه ينصح نفسه بالسير على نهج آبائه وهم الصالحون، وعدم التفـــاخر المحـــض بهم. فإن التفاخر بالنسب لا ينفع إلا إذا كان الإنسان متحليا بمحاسن الآباء، كمـــا أن الخبث لا ينفع وإن كان من الذهب، أما البيت الثانى من هـــذه الرباعيـــة فينـــاجى شاعرنا جده حيث إنه استحضره فى ذهنه وبالتالى أخذ يحادثه ويطلب منه الرضى، وهل يرضى العلماء الصالحون إلا بطاعة الله ورسوله، واتباع الدين الحنيف، فكـأن شاعرنا يطمئن جده المستحضر فى ذهنه قائلا: إننى مازلت على طريـــق الســـلف الصالح، والطريق الذى تعلمته منكم، ومازلت متسما بما تربيت به على يديكم، وفى هذا يقول[1]:

"إذا لم يكن فضل فما النفع بالنســب ... وهل يصطفى خبث وإن كان من ذهـب

ولكننى أرجو الرضا منك يارضـــا ... وأنت على فاز ولـــى عـــالى الرتـــب"

فكأن شاعرنا يوصى نفسه أن تتصف بصفات والده وجـــده وتركـــز علـــى اتباعهما، فإن الشاعر يراهما من الذين أنعم الله عليهم وذلك لتقواهمـــا وورعـــهما واتباعهما لشريعة الإسلام.

أما الرباعية الثانية فيتناجى شاعرنا مع نفسه حيث إنه يطمئن نفسه قـــائلا: إن الله - تبارك وتعالى - قدر كل خير للإنسان المقبل عليه، فلا تتعجل الوصول إلـــى بغيتك، فالله - تبارك وتعالى - قادر على أن يلحق الإنسان العاجز بالقـــادر علـــى

---

(١) لآلى الانقى من بحر سبقة الأتقى، للشيخ أحمد رضا خان، ص ٥.

Marfat.com

طاعته ليل نهار، والقائم على نشر الدعوة الإسلامية بكل ما مـــن الله عليـــه مـــن استطاعة، ثم يقول: قد فاز بأفضال ربنا - سبحانه وتعالى - كل الناس فما ظنـــك بالمنتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى فإنه موضع الأفضال والأنوار الإلهية، كما شهد به الأولياء المعاصرون له، والذين جاؤا من بعده، فكأن شاعرنا يطمئن نفســـه بأفضال الله - تبارك وتعالى - من ناحية الطريقة، فـــالذى يكـــرم جميـــع النـــاس بأفضاله كيف يحرم المنتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى، ويرى أن الله - تبارك وتعالى - قادر على أن يلحق العبد العاجز بالقادر على عبادة الله تعـــالى وخدمـــة دينه، فيرى شاعرنا أن الله - تبارك وتعالى - سوف يمده بالمزيد من العون للقيـــام بالطاعة ونشر الدعوة الإسلامية ففى هذا يقول(١):

قد قـــدر الله فـــلا تتكـــر ... إن لحق العاجز بالقـادر

كيف وقد فاز بأفضاله الـــ ... كل فما ظنك بالقـــادرى

إذا كان شاعرنا نظم هذه المقطوعات والرباعيتين فقد نظم بيتا يحمل طـــابع المشاعر الدينية الفياضة النابعة من أعماق قلبه، يبدو فيه شاعرنا خاضعا متواضعـا لله تبارك وتعالى، فالمراد "بالعاجز" هو الشاعر نفسه، أما كلمة "القـــادر" فتحتمـــل معانى عدة، إما المراد "بالقادر" هو الإنسان السوى صاحب القدرة الفائقـــة يتمكـــن بواسطتها من القيام بأداء الفرائض والواجبات التى كلفه الله تعالى بها وأراد الفتـــوى والدفاع عن الدين الحنيف، فالشاعر يستعين ربه فى كل أموره فكأنه يرى أن قيامـــه بالفرائض والواجبات يحتاج إلى المزيد من التوفيق الإلهى ليكون على أحسن وجـــه، وأن قيامه بالإفتاء يحتاج إلى المزيد من فضل الله تعالى ليكون أدق، وأن دفاعه عن الدين الحنيف بحاجة إلى المزيد من العون الإلهى ليكون أقوى، فكأنه يقول: يـــارب

---

(١) الزلال الأنقى من بحر سبقه الأتقى، للشيخ أحمد رضا خان، ص ٩٠.

Marfat.com

إننى مهما دافعت فلازلت عاجزا فأعنى بقوتك حتى أكون من كبار المدافعين عن الإسلام والمسلمين، وقد يكون المراد "بالقادر" هو أحسن سوى وأحسن إنسان متصف بالقدرة ألا وهو الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذى قام بالدفاع عن الدين الحنيف خير قيام، وعبد ربه عبادة تفوق الوصف، ومن الممكن أن يكون المراد "بالقادر" هو الله - عز وجل -، فكأن الشاعر يسأل ربه أن يلحقه به، ويثبته على طريقته ومنهاجه ودينه، تثبيت من يلحق فيكون متصلا بالله اتصال المرضى عنه الذى لا يغيب عن التفكير فى الله لحظة، ويمكن أن تكون هذه المعانى الثلاثة مقصودة من كلمة "القادر"، وروعة من شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان أن يقول: "ليس على الله بمستنكر" أن يطلب من الله عز وجل أن يلحق عجزه بقدرته حتى تكتمل القدرة لديه، القدرة البشرية بالطبع، واقفا على طريقه - عز وجل -، يعبر شاعرنا عن آماله قائلا(١):

"ليس على الله بمستنكر أن يلحق العاجز بالقادر

ونلاحظ أن الشيخ أحمد رضا خان ضمن شعره قول أبى نواس(٢):

"ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد"

هذه المشاعر الدينية الفياضة فى قلب شاعرنا، ورغبته الشديدة فى طاعة الله - سبحانه وتعالى - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ونشر الدعوة الإسلامية

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٣٢٥.

(٢) ديوان أبى نواس (ط: دار صادر بيروت، دون سنة الطبع)، ص ٢١٨.
ان البيت اخر بيت من مقطوعة قالها أبو نواس قوامها ستة أبيات وهذه المقطوعة نسبت إلى الشطرة الثانية من البيت السادس تحت عنوان: "ان يجمع العالم فى واحد".

Marfat.com

والدفاع عنها أملت عليه هذا البيت فالإنسان العاقل يسأل ربه التوفيق والسداد دائما، ولعل هذا كله كان قصد شاعرنا من وراء هذا البيت.

أما ثانى هذه الأبيات - حسب ترتيبى - فقد نظمه شاعرنا مترجما من الفارسية إلى العربية، وكان شاعرنا الفقيه يتحدث عن الحكم الشرعى لما يعرف اليوم بالمسجل والمذياع فيقول[١]: إنه لم يوضع لصوت مخصوص، ولا له صوت فى نفسه يطرب ويلهى، حتى يعد من الملاهى، وإنما هو آلة لأداء كل نوع من الأصوات، فيكون فى الحسن والقبح، والمنع والإباحة تبعا لصوت يؤدى به ما لم يعتريه مغير من الخارج، فإن من سمع منه صوت المزامير فهو فى حكم المزامير، وإن من سمع منه الوعظ والتذكير بنية التذكير كان فى حكم الوعظ والتذكير، ولا يشترط كون الواعظ المذكر ذا روح، وقلت مترجما بيتا للشيخ السعدى - رحمه الله تعالى -:

ذو اللب مذكر من الأذكار ولو أنها مكتوبة بجدار

أما البيت الثالث فيتحدث فيه شاعرنا عن القرآن أنه قديم وأزلى ويبين أن القرآن موجود بأنحائه الأربعة كما قال العلماء، والكتابة واحدة من هذه الأربعة، ويشير الشاعر فى هذا البيت إلى وجوده وعدم تأثيره مثل تجدد الملابس فيقول على سبيل الاستفهام الإنكاري[٢]:

أتجدد الملابس مغير للابس

---

(١) . الكشف شافيا فى حكم فونوجرافيا، للشيخ أحمد رضا خان، ص ٩٦.
(٢) الكشف شافيا حكم فونوجرافيا، للشيخ أحمد رضا خان، ص ٣٧.

Marfat.com

أما البيت الرابع – حسب ترتيبى – فيمت بالصلة إلى البيت الثالث حيث إن الشاعر يتوجه بالزجر إلى من يشككون فى وجود القرآن منذ قديم، ويبين لهم مشاعره الدينية، وطبعا كان هذا البيت متصلا بالحديث الطويل بين علماء العقيدة عن خلق القرآن وهذا ليس بموضوع حديثنا، وإنما كتبته من باب إتمام الفائدة ومن باب إحصاء شعر الشيخ أحمد رضا خان العربى وإلقاء الظلال عليه، فبين شاعرنا مشاعره قائلا(١):

"شمس وراء مدارك الوطواط فعليك بالإيمان لا الإبعاط"

إن كلمة "الإبعاط" مؤدية للمعنى الذى تأخذ بيدنا إليه ، إن شاعرنا نفسه يبين لنا هذا المعنى فى الهامش فيقول(٢): "الإبعاط: الغلو فى الجهل وفى الأمر القبيح، والقول على غير وجه، وتجاوز المقدار كما فى ق" وبهذا أكون قد أنتهيت من محاولتى لدراسة المشاعر الدينية الفياضة عند شاعرنا وأرجو أن أكون موفقا فى دراستى هذه.

---

(١) المرجع السابق ص ٣٧.
(٢) المرجع السابق ص ٣٧.

Marfat.com

الباب الثالث

دراسة تحليلية نقدية لديوان الشيخ أحمد رضا خان

ويشتمل هذا الباب على فصلين:

الفصل الأول: الخصائص الأسلوبية واللغوية فى ديوانه العربى.

الفصل الثانى: شاعرنا بين شعراء العربية فى الهند.

Marfat.com

Marfat.com

الفصل الأول

الخصائص الأسلوبية واللغوية فى ديوانه العربى

وهذا الفصل يشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الخصائص اللغوية فى ديوان شاعرنا.

المبحث الثانى: الخصائص الأسلوبية فى ديوان شاعرنا.

المبحث الثالث: بيت القصيد عند شاعرنا.

Marfat.com

Marfat.com

المبحث الأول

الخصائص اللغوية فى ديوانه العربى

إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان المغرم بالعربية هنـــدى المولـــد والنشـــأة والمدفن، والمنحدر من سلالة أفغانية نزحت من مدينة قندهار - الواقعة اليوم فـــى أفغانستان - واستوطنت بمدينة بريلى - الواقعة حاليا ولاية أوتار برديش الهندية - وقد تربى فى بيئة تسودها اللغة الأردية، والتى هى لغته الأم، ولم تكن اللغة العربية فى يوم من الأيام لغة رسمية فى الهند ولا لغة التخاطب، ولكن شغف شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان باللغة العربية مكنه من شق الطريق إلى مبتغاه، فبلغ تمكنـــه مـــن ناصية اللغة العربية مبلغا شد انتباه علماء الحرمين الشريفين عند أدائـــه فريضـــة الحج[1] كما أن أدبه وشعره العربى وضع فى الميزان أمام أقلام نقاد الأدب العربى بشبه القارة الهندية فى عصرنا الحديث ليدلوا بآرائهم حول نتاجه الأدبى وموهبتـــه الشعرية فيما جرى لسانه بذلك متخذا اللغة العربية وسيلة لأدائه، وسوف أعـــرض لذلك فى الفصل الثانى من هذا الباب، فإذا كان شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان نشـــأ وتربى فى الهند فمن أين اكتسب براعته فى الكتابة بالعربية نظما ونثرا؟! وعلـــى من درس هذه اللغة التى شغف بها تمام الشغف؟! وعن هذا يحدثنا الأســـتاذ حـــازم محمد أحمد قائلا[2]: "سكت مؤرخو سيرة الشيخ أحمد رضا خان عن ذكر أســـماء

---

(١) وسوف أعرض لآراء علماء الحرمين الشريفين فى براعة الشيخ أحمد رضا خان فى اللغة العربية تأليفا وتصنيفا فى الفصل الثانى من هذا الباب.

(٢) الإمام الأكبر المجدد محمد أحمد رضا خان والعالم العربـــى، للأســـتاذ حـــازم محمـــد أحمـــد، ص ٣٠، ٦٣.

Marfat.com

أساتذته فى اللغة العربية وآدابها، إلا أننا نرى أنه تعلم اللغة العربية فـــى موطنـــه بريلى وعلى يد والده مولانا محمد نقى على خان القادرى، الذى كان مجيـــدا للغـــة العربية ومطلعا على آدابها، ومن هذا المنطلق وجدناه يُحرص كل الحرص على أن يكون ابنه هذا مثله، لذا اهتم اهتماما بالغا بتعليمه اللغة العربية التى لا غنى عنـــها لعالم أو أديب مسلم، وذلك فى مدرسته العربية التى شيدها وكانت تسمى "مصبـــاح التهذيب" وقد اقبل ابنه هذا الذى اتسم بحدة الذكاء ورجاحة العقل على تعلـــم اللغـــة العربية والاطلاع على آدابها فى مختلف العصور بشغف شـــديد ... وهكـــذا نشـــأ الشيخ أحمد رضا خان فى أسرة لها مع اللغة العربية وادابها باع وتـــاريخ طويـــل حافل، فكان والده وجده – على سبيل المثال – ممن يجيدون العربية إجادة تامـــة، وقد ألفوا بها ... وإن قيام مولانا محمد نقى على خان القـــادرى بإنشـــاء مدرســـة لدراسة العلوم العربية ومعرفته بأنها المطلب الأول لكل داعية إلى الله تعالى علـــى بصيرة وهدى، هذا هو النهج الأمثل الذى سار عليه مولانا محمد نقى علـــى خـــان القادرى، وقد وفق فى تحقيق ما سعى من أجله، وكانت رغبته هذه من أجل العامـــة من المسلمين، فإذا نظرنا إلى اهتمامه الخاص لوجدناه قد وفق فيه توفيقا حيث إنـــه حرص كل الحرص على تنشئة وتعليم ابنه أحمد رضا خان فى بيئة دينية قوامـــها اللغة العربية وآدابها، ولقد لاقى مولانا محمد نقى على خان القادرى استجابة كبيرة من ابنه هذا – الذى ورث عن ابيه وجده حب اللغة العربية والإقبال على الاغتراف من علومها الكثيرة الغزيرة، وقد أدت هذه البيئة إلى تخريج شاعر وأديب عربـــى كبير وهو الشيخ أحمد رضا خان، ويكفيه فخرا أنه بدأ التأليف باللغة العربية وكـــان عمره إذ ذاك ثلاثة عشر عاما، [ترى ماذا نقول فى رجل بدأ يؤلف بلغته الثالثـــة وهو فى هذه السن المبكرة وقد استطاعت هذه اللغة أن تشده إليها ، وتجذبـــه إلـــى التأليف بها مع أنها لم تكن لغته الأم، تُرى لو كانت لغته الأم فماذا كـــانت قيمتـــه وإقباله عليها؟! لكنها على كل حال كانت ميراثا طيبا أتت إليه عن طريـــق والـــده،

Marfat.com

والذى بدوره أوصلها إلى ولده بعد أن ورثها من أبيه أيضا، وبالتالي كانت العربيـــة ذات جذور فى هذه الأسرة، وقد أثمرت ثمرات طيبة اهتم بها الباحثون فى الكثـــير من الفنون التى عرض لذكرها شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان، وقال كـــل بـــاحث رأيه فى كل ما عرض لذكره، وها نحن نتتلمذ على شعر الشيخ أحمد رضا خـــان لننظر ما الذى نستطيع أن نقف عليه أيضا أن نلمسه فى لغته حين جرى على لسانه ذالكم الروض الفواح حين كتب، مما دفع جامع ديوانه العربـــى ومرتـــب قصـــائده الاستاذ حازم محمد أحمد يسمى هذا النهر العربى الذى فاض من خـــــلال يراعـــه بساتين الغفران، وأعود إلى نشأة شاعرنا فأقول:] هذه اللبنة الأولى التى كان لـــــها عظيم الأثر فى حياته كلها وقد استمر تأثير هذه النشأة والتربيـــة والتعليـــم - فـــى مدرسة والده - طيلة حياته الحافلة، ويبدو لنا هذا التأثير فى مؤلفاته كلها حتى النـــى كتبها بغير العربية، فلا يستطيع أى ناقد يطلع على مؤلفاته-الأردية والفارسية - إلا وأن يصرح بأن مؤلفها لابد وأن يكون عالما وأديبا فى اللغة العربية نظـــرا للأثـــر الكبير الذى انطبعت به هذه المؤلفات".

هكذا تثـــقف شاعرنا بالثقافة العربية على يد والده مولانا محمد نقى على خان القادرى بصفة خاصة وأساتذة آخرين بصفة عامة، وإنـــــه بعـــد إكمالـــه دراســـة المقررات الإسلامية والعربية آنذاك أقدم على مطالعة كل ما وصلت إليه يده مـــــن دواوين شعراء العربية على مر العصور بدأ من العصر الجاهلى وانتهاء بـــالعصر الحديث الذى عاش فيه، وعايش شعراء العربية فى بيئته أثناء سفره مرتيـــن إلـــى الحجاز، الأمر الذى جعله ضليعا فى العربية وآدابها.

Marfat.com

ولقد جاء شاعرنا بنثر عربى رائع حين أقدم على كتابة مقدمة كتابه العطايا النبوية فى الفتاوى الرضوية[١] فأجاد وأبدع، واستطاع أن يشير إلى ثمانية وسبعين مرجعا فقهيا لتأليفه المذكور آنفا، كما تمكن من الإشارة إلى ثلاث عشرة شخصية ذات صلة بالفقه، ولكنه مع هذا وذاك استطاع أن يحتفظ بسلاسة العبارة، ودقة التركيب، ولطافة الأسلوب، وظرف الجملة بصفة عامة، وعن هذه العربية الرائعة يقول الاستاذ الدكتور حسين مجيب المصرى[٢]: بالنظر فى هذا النثر الفنى يستبين لنا أنه يتسم بسلاسة الكلام، فيه ينحدر ماء واحد آخذا بعضه برقاب بعض دونما تكلف أو إقحام، إن جمله قصار على غير ما نصادف فى النصوص العربية المنسوبة إلى بعض العرب، وسجعه يأتى عفوا، والمعنى فى ظاهر اللفظ يدرك من غير كد للذهن وعنت للرؤية، إنه يخلو من البديع المتكلف المفرط فى استجلابه مما يجعله مستكره الصنعة، تلك الصناعة التى قد تطمس المعنى وتصرفه عن وجهه، وتجعل الكلام تلاعبا بالألفاظ وتهمل فيه العلاقة بين اللفظ والمعنى، فاللفظ على قدر المعنى، لا يكلف الكاتب اللفظ ما لا يحتمل من المعنى ولا يضيع المعنى أن يستكره لفظة معينة يألف منها موطنها، ولو عقدنا الموازنة بين هذا النص ونص فارسى من مناجاة عبد الله الأنصارى، وتضرعات سنان باشا التركية أدركنا أنه يقتصد فى المجاز على حين يصرف عبد الله الأنصارى سنان باشا فيهما، وهو أكثر ميلا منهما فى رغبته فى الإفادة، إنه لا يحاول فيه الفصاحة إلا بمقدار، ولا يكره اللفظ على أداء المعنى بل يجعل اللفظ على قدر المعنى، إنه يركن إلى اللفظ والإزدواج، والسجع عنده سجعة أخرى، ولكن عفوا مما يقوم دليلا على أنه بطبعه شاعر له القدرة على إحكام القوافى.

---

(١) أوردنا هذا النص فى الفصل الثانى من الباب الأول ضمن الحديث عن "موهبة الشاعر الشعرية".

(٢) المنظومة السلامية فى مدح خير البرية ترجمها إلى العربية نثرا الاستاذ حازم محمد أحمد ونقلها فى الشعر العربى وشرحها الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصرى

Marfat.com

كان الشيخ أحمد رضا خان فقيها ويكثر فى كلام الفقهاء طول الجملة، ولكنه كان على خلاف ذلك، لم تطل الجملة عنده إلى حد طول البيت فيما كتب من نثر، فكانت جملُه قصيرة، ولعل دافعه لذلك هو ما توجت به نفسه من موهبة أدبية، فلم يكن أسلوبه النثرى متصفا بطول الجملة إلى حد طول البيت لأنه كان يفرق بين النثر و الشعر، فلم تسيطر عليه موهبته الشعرية حتى تتسم جمله النثرية بالطول، كما لم يطغ على فنه النثرى أثر لما شغل به من علوم بحيث يضعف من قيمة النثر الأدبى الذى ينبع من قلمه، لذلك كانت موهبته هى التى تملى عليه قصر الجملة فى نثره الفنى".

وعندما نتناول لغته العربية بالبحث نرى أن نقسمها إلى قسمين، أولهما اللغة العربية السهلة مع فصاحتها و التى يمكن أن توصف بأن أسلوبها سهل ممتنع، وتتضح لنا هذه اللغة من خلال قصيدته التى وردت تحت عنوان: "حمائد فضل رسول" ومن خلال بعض قصائده القصيرة التى نظمها شاعرنا فى مدح بعض علماء الدين تارة، وفى رثاء بعضهم تارة أخرى، وسوف نتحدث عنها بالتفصيل فيما بعد.

و القسم الثانى: اللغة العربية التى ربما لم تكن متاحة لبعض الأدباء فى الهند و التى ظهرت من خلال نونيته التى وردت تحت عنوان: "مدائح فضل رسول" و الأخرى تحت عنوان: "آمال الأبرار وآلام الأشرار" فقد نظمهما شاعرنا بلغة أشبه بلغة الشعر الجاهلى، وسوف نتعرف على هذا اللون من اللغة بعد حديثنا عن قيام شاعرنا باستخدام اللغة السهلة، و هذه القصائد التى أشرت إليها ليست إلا نماذج للغته العربية وسماتها المختلفة، سواء كانت من القسم الأول أو الثانى، وبقية الديوان إما أن يميل إلى هذا أو ذاك وقد يجمع بين الأمرين.

Marfat.com

أما أول القسمين من اللغة أعنى بها اللغة السهلة فلقد وجدتـــها تغلـــب علـــى الكثير من مراثيه، سواء كانت هذه المراثى مقطوعات أو قصائد، كما عليه الحـــال فيما كتب من نثر عربى، فقد استخدم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان اللغة العربيـــة التى تجرى على ألسنة الأدباء فى عصرنا الحديث، فمن يطالع داليته يرى وكأنـــه شاعر من أبناء العربية ارتضع أفاويقها ونشأ فى حجرها، وهو فى عصرنا هـــذا، فقد اختار شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان الكلمات السهلة والجمل القصيرة المتسـمة بالفصاحة، فيستطيع القارئ العادى فهم لغته هذه، ونضرب لهذا مثلاً مـــن بعـض الأبيات الواردة فى داليته، فلنستمع إليه حيث يقول(١):

الحمـــد للمتوحـــــد بجلالـــه المتفـــــرد
وصـــلاة مولانـــا علـــى خـــير الأنـــام محمـــد
والآل أقطـــار الـــهدى والصحب سحب عوائـــد
يـــارب ياربـــاه يـــا كـــنز الفقـــير الفـــاقد
أنـــت القـــوى فقونـــى أنـــت القديـــر فـــأيد
فضل الرسول لنا ومـــن عبـــد المجيـــد يمجـــد
فضل الرسول هو الـــذى والاه كـــل مســـدد
هـــذا وصلـــى ربنـــا بتكـــرر وتجـــدد
دوما على من يوصـــف بمحمـــد وبـــأحمد
واجعل بها أحمد رضـــا عبـــدا بحـــرز الســـيد

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٩، وترتيب هـــذه الأبيـــات حسب ورودها فى القصيدة كالتالى ١، ٢، ٣، ٩، ١١، ١٨، ٢٩، ٦٢، ٦٨، ٧٢.

Marfat.com

فبمطالعة هذا النموذج تتجلى لنا مقدرته على استخدام اللغة التـــى يمكـــن أن نصفها بالسهل الممتنع، ومع هذا فإن له طريقة فى الصياغة خاصة بـــه لا تخـــرج عن قواعد العربية قد تفرد بها عن شعراء العربية المعاصرين له فى شـــبه القـــارة الهندية، ومما لا شك فيه أن لسفره إلى الحجاز واطلاعه عن قرب علـــى دواويـــن شعراء العرب المعاصرين له أثر كبير فى إقدامه على استخدام هذه اللغة الســـهلة، وقد تحدث محقق بساتين الغفران عن تثـــقيف الشيخ أحمد رضا خان على يد والـــده مرة والأساتذة الآخرين مرة أخرى، وعن قيامه بتثـــقيف نفسه مرة ثالثـــة - كمـــا سبق أن ذكرنا - وتحدث كذلك عن تأثر الشيخ أحمد رضا خان بعلماء العرب مـــن الحرمين الشريفين عند أدائه فريضة الحج، فقد نظم بعض المقطوعات فـــى مـــدح بعض علماء الحرمين الشريفين ضمن رسالته إليهم أو ضمن الإجازة العلمية التـــى منحها إياهم، ولم يكن هذا فحسب بل فيما قرأناه لمحقق الديوان فى كتاب آخر ذكـــر أن الشيخ أحمد رضا خان حين ألف "حسام الحرمين على منحـــر الكفـــر والميـــن" و"الدولة المكية فى المادة الغيبية" أثناء وجوده فى الحجاز تقدم بهذين الكتابين إلـــى علماء الحرمين الشريفين، فما كان منهم إلا أن استحسنوا منه تلك الصنعة، وذكـــروا له هذا الفضل، ذكر بعضهم بالنثر واستحسن الاثنان منهم هذا العمل بالشعر، فقـــد نظم الشيخ محمد على بن حسين المالكى مستحسنا تأليف شاعرنا "حسام الحرميـــن على منحر الكفر والمين" ونظم ستة وخمسين بيتا فى هذا الصدد، كما أقدم الشـــيخ موسى على الشامى الأزهرى على نظم أربعة وعشرين بيتا ضمن تقريظـــه علـــى تأليف شاعرنا "الدولة المكية فى المادة الغيبية"(١) على أنه مما يذكر لشاعرنا أنـــه كان شغوفا باللغة العربية محبا لها، دفعه هذا الحب والشغف إلى أن يقرأ كـــل مـــا تصل إليه يده بالعربية، شهد له بذلك القريب والبعيد، ودفع ذلك بعض معاصريـــه

---

(١) الإمام الأكبر المجدد محمد أحمد رضا خان والعالم العربى، للأستاذ حازم محمد أحمد، ص ١٠١. ١٢٤.

Marfat.com

للجلوس إليه تلاميذ يطلبون فائدة، وطلابا يرغبون فى العلم، وبعضهم كان ينظم الشعر إلا أنه يستشعر فى نفسه أنه فى حاجة إلى إصلاح عربيته، وقد وجد ذلك كله عند أستاذه الشيخ أحمد رضا خان، وأضرب لذلك مثلا بما كان من الشيخ أحمد بخش حيث اقدم على نظم قصيدة طويلة(١) وراح يقدمها إلى الشيخ أحمد رضا خان ودليلنا على ذلك ما جاء بملحق بساتين الغفران من نموذج من هذه القصيدة التى مازالت مخطوطة حتى الآن، وقد إستطعت الحصول على صورة شمسية منها عن طريق الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادرى، وللإفادة أورد نموذجا من توجيهات شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بشأن إصلاح لغة القصيدة وأسلوبها.

نلاحظ قيام شاعرنا بتصويب لغوى فى تعليق له حين قال الشيخ أحمد بخش:

---

(١) أرسل مولانا أحمد بخش لاميته هذه إلى نينى تال - إحدى المناطق الصحية - حيث حل شاعرنا ليستريح بها بعض الأيام، ويتمتع بجمال الطبيعة، ويجدد نشاطه للتأليف، وإن لم يكف عن التصنيف والتأليف هناك. وقد قام بإصلاح القصيدة المعروضة عليه وردها إلى ناظمها، وهذه القصيدة تقع فى ستة عشر ومائة بيت، إلا أننى لم استطع الإطلاع على الشهر والعام الذى نزل فيه شاعرنا بنينى تال، وهاكم مطلع القصيدة:

جل العنا وقل خل يسال ولا اخاف حيث لنك المونل

يا من على كل علا واعتلى يا من من الكل هو الافضل

استهل مولانا أحمد بخش قصيدته هذه بالمناجاة، ثم انتقل إلى مدح النبى - صلى الله عليه وسلم - وبالتالى إلى الاستغفار، ثم أقدم على شكوى سوء معاملة الناس له ولكنه بعد قليل يستعيد صبره وحلمه فيلتمس لهم العذر ويعود مرة أخرى إلى التوسل والاستغاثة بسيد الخلق - صلى الله عليه وسلم - إلى خالق الخلق - جل جلاله - ثم يمضى فى توسله واستغاثته، وفى نهاية المطاف يصلى ويسلم على الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وعلى اله وأصحابه وبالتالى على المشايخ الذين انتسب إليهم الشاعر مولانا أحمد بخش، وفى هذا يقول:

"ثم على ساداتنا والمشا يخ الذين هم هدى كمل

لا سيما للذين يحصل الاما ن والمنى إذا بهم توسل"

ولم أستطع قراءة البيت الأخير وذلك لعدم وضوحه فى الصورة الشمسية، القصيدة اللامية لمولانا أحمد بخش، ص ١ الى ٢ (والمخطوط بحوزة أولاد مولانا أحمد بخش بقرية تونسه المبجلة).

Marfat.com

"فإننى مع ما لهم من خـــلا ف بى بلطفكم فلم أزيــل"

علق عليه الشيخ أحمد رضا خان قائلا: لا يقول العرب: "خلاف بى"، و الفـــاء فى غير محلها، و أعتقد أن كلمة "التزيل" ايضا لم ترد فى موردها المقصود، فـــإننى أرى أنها تأتى فى معنى التمييز و التفريق، و أنا فى هذا المكان (نينى تال) لا أملـــك معجما حتى أراجع هذه الكلمة". وبعد الادلاء بهذا التعليق قـــام الشـــيخ بـــإصلاح الشطرة الثانية فقال:

"فإننى مع ما لهم من خـــلا ف ما جزيتهم ما يُنكـــل"(١)

ومن هنا يتجلى لنا قيام شاعرنا بإصلاح لغة القصيدة و اسلوبها، و هـــذا منـــه دليل على أنه كان محل استشارة لغيره مع ما لغيره من قدم فى الشـــعر العربـــى، وبالتالى كان شاعرنا جديرا بأن يعرف بين معاصريـــه بسلاســـة لغتـــه وســـهولة الصياغة.

أما القسم الثانى من لغته فهو الذى أقدم فيه على استخدام اللغة العربية صعبـــة المنال، و هى – فى الأغلب – استخدمها شعراء العربية فى شبه القارة، ولم يقـــف شاعرنا عند هذا الحد فقط بل إننا نراه يستخدم لغة الشعر الجاهلى، و بالتالى أسلوبهم وموضوعات أشعارهم، ونضرب على هذا مثلا بقصيدته "رن الحمام على شـــجون البان" شعره فى هذه القصيدة يبدو لنا كأنه شعر نظمه شاعر عربى عايش العصـــر الجاهلى بكل ما تتسع له الكلمة من معان أدبية، فقد بدأ القصيدة بالنسيب على غرار شعراء العصر الجاهلى غالبا، فنراه ينهج نهج الشاعر الشهير زهير بن أبى ســـلمى

---

(١) القصيدة اللامية المخطوط للشيخ أحمد بخش، ص ١٠.

Marfat.com

وغيره من شعراء الجاهلية فيستخدم لغتهم وأسلوبهم وطريقة غزلهم، ونضرب لهذا مثلا بمطلع القصيدة التى يقول فيها شاعرنا(١):

"رن الحمام على شجون البان ياما أميلح ذكر بيض البان

تبكى دما وتقول فى أسجاعها الله يضحك سن من أبكانى

بكت الغزير فهيجت منى البكا إن الحزين لسائل الأجفان

ولقد درى من ذاق ذوق صبابة إن اللحون مثيرة الأكنان"

يتجلى لنا من هذا النموذج أن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان قلد هؤلاء الشعراء فى لغتهم وأسلوبهم، وموضوعات شعرهم، فقد تغزل فى حبيبته التى صنعها لنفسه من وحى الخيال، فوصفها وذكر مالها من جمال وما تتصف به من جفاء، وما ناله من ألم الفراق(٢) ثم بعد ذلك يبين لنا شاعرنا استسلامه لحبيبته وأنه لا يشتكى منها ولا من خلف مواعيدها، وكأنه فى هذا يشير إلى ما جاء فى قصيدة بانت سعاد الشهيرة لكعب بن زهير التى تتصف بلغة العصر الجاهلى يقول فيها(٣):

"كانت مواعيد "عرقوب" لها مثلا وما مواعيدها إلا الأباطيل"

ثم بعد ذلك يواصل شاعرنا فى قصيدته هذه استخدام لغة شعراء العصر الجاهلى، فيأتى بالكلمات الجزلة والتراكيب التي قد يصعب فهمها، ونستأنس لذلك بقول شاعرنا فى نونيته(٤):

"هل يا هلال العيد عندك خبرة بشميسة فى بدرها قمران

أيا تنادم أين تنزل كيف هى أيان تأتى كم مدى أيان

فى شهدها سم ثمال فاشهدوا إنى شهيد الشهد يا إخوانى

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٢.

(٢) عرضت لهذه الأبيات الغزلية فى المبحث الثانى من الفصل الثالث من الباب السابق.

(٣) شرح قصيدة كعب بن زهير فى مدح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لجمال الدين بن هشام الأنصارى / ضبط وتحقيق ومراجعة الدكتور محمود حسن أبو ناجى (ط: مؤسسة علوم القران، دمشق، ١٩٨٤م)، ص ٢٤.

(٤) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٢، ٧٣.

Marfat.com

تسقى فتشفى ثم تشقى بالعنـــا وتفلق الأكبـــاد والعينـــان"

نرى أن شاعرنا أقدم على استخدام هذه اللغة فى كثير من أبيات قصيدته "رن الحمام" الخ ليبين مقدرته على النظم بلغة تشبه لما كـــان عليـــه شـــعراء العصـــر الجاهلى، كما استطاع أن ينظم باللغة العربية السهلة المتداولة فى عصرنـــا هـــذا، أضف إليها أيها القارئ الكريم قيام شاعرنا فى قصيدته هذه بالرد على المخـــالفين لمولانا "فضل رسول البدايونى" الذين اشار إليهم فى قصيدته هذه ايضا مدافعا عـــن ممدوحه، ويبين لهؤلاء المخالفين مدى مقدرة المتصدى للدفاع عن ممدوحه، ومـــدى ما يتمتع به من مكنة لغوية لا تتوفر لديهم، وقد تركت لغته هذه أثرا واضحا علـــى هؤلاء المخالفين.

ومما تجدر الإشارة إليه أن شاعرنا أحس بصعوبة لغته فى أغلب أبيات نونيته هذه، وما فعله فى قصيدته هذه فعله فى قصيدته "آمال الأبرار وآلام الأشرار" لـــذا رأيناه فى قصيدثيه يقدم على إيراد معانى الكلمات الصعبة، وإنه لم يكتف بهذا بـــل قام بشرح بعض هذه الكلمات بالرجوع إلى بعض المعاجم كتاج العروس للزبيـــدى، والقاموس للفيروز آبادى، والمحكم لابن سيده، وغريب مفردات القرآن للأصفهانى، على أنه كان يغلب عليه محبته لما سهل من اللغة ولان من ألفاظها، ولذلـــك كـــان شاعرنا إذا استشعر انغلاق بعض الألفاظ على بعض قرائه رأى أن يشـــفع شـــعره بمعان لبعض الكلمات التى توحى له بانغلاقها عن بعض القراء، وهذا أراه ميلا منه لأسلوب العصر الحديث فيما خف ولان من الفاظ لا يحتاج القـــارئ معـــها إلـــى استخدام المعجم ليفهم ماكتبه الشاعر، ومن هنا أرى أنه كان ينظم بلغة جزلة صعبة المنال ليثبت مقدرته اللغوية وقدرته على التصرف فى كل مجالات الشـــعر التـــى عرض لها وعلى مختلف العصور سواء كان النسيج على منوال القدماء أو علـــى غرار شعراء العصر الحديث.

ومما تجدر الإشارة إليه أن شاعرنا أقدم كذلـــك علـــى اســـتخدام كلمـــات لا يستخدمها إلا شعراء العصر الجاهلى، وقلما وجدناها عند شعراء العصر الحديث بل لا نجدها عند الكثير من الشعراء المعاصرين له من شبه القارة الهندية، وهذا منـــه

Marfat.com

يبين لنا مقدرته على اللغة العربية وإطلاعه على معاجمها - كما سبق أن أشرنا A إليه، وقد يكون ذلك بدافع نفسى وهو يشعر بأن له رغبة فى أن يقول شعرا يتسم بهذه الصفة، ولا يقصد فى نفسه اثبات المقدرة بل يشبع رغبة نفسية حول شعره تدور حول هذا المقام، لأن الشاعر له أحوال فيخرج من نفسه شيئا يجعله أمامنا لنقول فيه رأينا بكامل الحرية، وأخرجه من نفسه قد يكون يخرجه لأنه يشعر بان لديه رغبة لمجرد إخراج هذا الشئ بهذا النسق ولا يحسب للمقدرة أى حساب، المهم إنه أخرج لنا الشعر يتمثل فى لغة العصر الجاهلى أحيانا وفى لغة عصرنا الراهن أحيانا أخرى، وعلى الناقد أن يقول رأيه الذى يراه، ونستشهد على ما ذهبنا إليه ببعض الأبيات من نونيته حيث يقول(١):

خضعت له الأعناق من أعناقهم　　خذءت له الأعيان من أعيان

الغى يغلو فهو فى حجر الصبا　　والعى يعلو فهو فى ادلهنان

فتراهم رسنوا بأرسان البلا　　والهون كالشيطان فى أشطان

إن العرض اللفظى الذى يسود كل بيت دليل واضح على مقدرته فى الصياغة، وعلمه المتمكن بالعربية، لا أرى إلا أنه كذلك دفعته الرغبة النفسية فى أن يقول بهذا المنوال بصرف النظر عن اثبات مقدرته.

والحديث الآن عن لغة قصيدته "آمال الأبرار وآلام الأشرار" فقد استخدم فيها نفس اللغة التى كانت له فى قصيدته "رن الحمام" الخ، وعندما نطالع الغرض والمناسبة التى من أجلها أقدم شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان على نظمها وقتها يتجلى لنا هدف استخدامه لهذه اللغة التى قد تصعب على بعض القراء، فقد روى بعض الكتاب أن أحدا من شعراء "جمعية الندوة" كان قد أقدم على الثناء على "جمعية الندوة" وذكر انجازاتها المزعومة، فما كان من شاعرنا إلا أن أراد أن يبين كذب وبهتان هذا الشاعر ويهدم بناء لغته الشعرى بلغة أفصح مما بناه به، مع أنه التزم بنفس القافية والوزن الذى استخدمه الشاعر المذكور، وقد أراد الشيخ أحمد

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٤، هاكم أرقام هذه الأبيات حسب ورودها فى النونية ٤٩، ٧٠، ٨٤،.

Marfat.com

رضا خان أن يظهر الحق بلغة عربية فصيحة يفهمها أكابر علمـــاء العربيـــة دون غيرهم وهذا هو السبب الذى من أجله اختار شاعرنا هذه اللغة الجزلة، ومما هـــو جدير بالذكر أن شاعرنا وفق غاية التوفيق فيما أتى بقصيدة عربية تعد فى طليعـــة القصائد العربية التى نظمها الشعراء غير العرب من الناحية اللغوية، وفى ضوء ما قرأنا يمكننا أن نقول: إن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان استخدم لغة لا يأتى بها إلا رجل متمكن من العربية، وقد أراد أن يبرهن لمن أنشد أمامهم هذه القصيدة مقدرتـه على الإتيان بمشتقات صعبة الفهم من مادة واحدة فى بيت واحد ولا أرى إلا أنـــه كذلك دفعته الرغبة النفسية فى أن يقول على هذا المنـــوال بغـض النظـر عـن استعراض مكنته اللغوية، وهذا ما يعد ظاهرة فى لغته، وذلك على غرار لغته فـــى القصيدة النونية، ونورد لهذا مثلا من القصيدة الدالية أولا فنسمعه يقول(١):

"تكون كثابت ثبت ثبيـت تثبت حيث ثبّته العهـود

وجودهم وجودهم كجـود يجود فلا جواد ولا مجود

جواد جيد جـود مجـاد مجيد ماجد مجد مجيـد"

ويستخدم شاعرنا مختلف المشتقات فى نونيته كذلك فيقول(٢):

"جودا مجيدا مجديا جوا دا ماجدا مجدا مجيـد الشـان

علما عليما عالما علامـة فضل الرسول الفاضل الربـانى

قلب شج شجيج شـاجن أوه من الإشـجاء والإشـجان

إن هذا الاستعراض اللغوى الذى يتمثل فى كل بيت خير دليل علـى مقـدرة الشاعر فى الصياغة وتمكنه من اللغة العربية، ولم يكتف شاعرنا بهذا الاسـتعراض اللغوى، والذى مثلنا له بأكثر من مثال بل ذهب يمعن وإن شئت فقل فـى اظـهار

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١١٧، ١١٩، ١٢٠ إن أرقام هذه الأبيـات حسـب ورودها فى الدالية كالتالى: ٢٦، ٥٩، ٧٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٤، ٧٥، ٨٤، وردت هذه الأبيات فى النونية كالتالى رقم ٤٣، ٤٥، ١٩٠.

Marfat.com

المقدرة، أو يمعن فى بيان علمه، بأشياء أخرى قد تفوت الكثيرين لا سيما إن كان هؤلاء الكثيرون لا ينتمون إلى ما سوف يستعين به فى لغته الشعرية، إما لإثبات المقدرة بانه يستطيع أن يدخل الرموز فى أبياتها و إما تلبية لحالته النفسية، و إما لقيامه بدراسة الصوفية و إمعانه فيها، فإن كل من يتقدم فى ثقافة من الثقافات قد يتأثر بها فمن الممكن جدا أن ينعكس ذلك على مزاجه فيقول الشعر على نسق هؤلاء. و هذا ترداد لثقافته، وكان من ضمن ثقافته الناحية الصوفية، أرى أنه لو كان برع فى الكيمياء أو الطب لتاقت نفسه فى أن يقول شعرا عربيا فيه الفاظ الكيميائيين ومصطلحاتهم، فهو من الأشخاص الذين حين يتفقون مع أمر من الأمور من الممكن أن ينعكس ذلك على موهبتهم الشعرية فتروح المصطلحات وتغدوا فيما يعبر به من شعر وما ينظمه لسانه من أبيات، ساعتها تصدر تلكم المصلطحات الفنية فى أبياته، وقد ظهر ذلك بوضوح فى أبياته الأردية، ولكنه لما كان بحثى موضوعه الشعر العربى رأيت ألا أمثل من أبياته الأردية ولكنى ذكرت لما اطلعت عليه، على كل يعتبر من الظواهر اللغوية عند شاعرنا استخدامه للرموز الصوفية و إن لم يكثر منها، و هذا ليس بمستبعد عنده، فهو شيخ صوفى، وقد أراد أن يكون لشخصيته الصوفية أثر فيما ينظم من شعر عربى كما يتجلى فيما نظم من شعر باللغتين الأردية و الفارسية، إنه فى هذا يسير على منوال من سبقه من شعراء الصوفية، فهو يستخدم المصطلحات و الرموز الصوفية على غرار شعراء التصوف الإسلامى على رأسهم شاعر الحب الإلهى ابن الفارض، ونستشهد لذلك مثلا من شعر الشيخ أحمد رضا خان القادرى، حيث يقول فى رثاء مولانا محمد إسماعيل القادرى الشاذلى(١):

"عدت،شوطبها أم ظل وظلت ببطن بطين والظلال أقلت

فما لى أرى بالليل طولا كأنها برام تردم الجفر أو فيه حلت

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٧٥، إن أرقام هذه الأبيات حسب ورودها فى القصيدة كالتالى: ١، ٢، ٨، ١١.

Marfat.com

يقاطر صفر نفسه وكذا الألـف فما بين بط والجيم ظلم أضلـت

وتزهر أم الزاهرات إذ انثنـت تدلت تولت إذ علت إذ تعلـت"

إذا كنا قد استمعنا إلى شعر الشيخ أحمد رضا خان مستشهدين به على وجـود الرموز الصوفية فلنسمع الآن شاعر الحب الإلهى ابن الفارض مستشهدين به علـى استخدام بعض هذه الرموز فنجده يقول(١):

سبقتنى حميا الحب راحـة مقلتـى وكأسى محيا من عن الحسن جلـت

فأوهمت صحبى أن شرب شـرابهم به سر سرى فى انتشائى بنظـرة

وبالحدق استغنيت عن قدحى ومـن شمائلها، لامن شـمولى نشـوتى

على أننى لم أشأ أن أطيل مع ابن الفارض فليس هذا بمجال للإطالة ونكتفـى بالاستشهاد فقط.

ومما يدعو إلى التعجب والتأمل أننا نرى لغة الشيخ أحمد رضا خان كأنه نشأ فى بيئة عربية ولا نجد أثرا لعجميته فيما نظم من شعر عربى، فمن يطالع ديوانـه العربى يتجلى أمامه أن ناظم هذه الأبيات لابد وأن يكون عربيا، "بيد أننـا عندمـا نطالع أغراضه وموضوعاته التى تصور المجتمع الهندى فى عصـره نقـول: إن ناظمه من تلك البيئة، ونتسائل أين وكيف ومتى تعلم وأجاد واطلـع علـى اللغـة العربية وآدابها فى عصورها المختلفة ابتداء من العصر الجاهلى وحتى عصره"(٢).

وعلى الرغم من إقدام شاعرنا على كل ما ذكرناه إلا أنـه راعـى الـوزن الشعرى والجمال الموسيقى، فلغته مع هذا تتسم بانسجام وتناسق ألفاظها، وقد برهن بهذا النسيج الشعرى على مقدرته التامة فى النظم باللغة العربية السهلة التى يستطيع أن يفهمها الجميع واللغة التى يختص بها أكابر الشعراء والأدباء.

وفى ضوء هذا نقول: إن لغة شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان التى اسـتخدمها فى ديوانه العربى قد برهنت على مقدرته على النظم باللغة السهلة تـارة واللغـة

---

(١) ديوان ابن الفارض، شرحه وقدم له مهدى مجمد ناصر الدين (ط: دار الكتب العلميـة، بـيروت، ١٤١٠هـ)، ص ٢٦.

(٢) الإمام الأكبر المجدد محمد أحمد رضا خان، للأستاذ حازم محمد، ص ٤٢.

Marfat.com

الجزلة التى قد يحتاج قارؤها إلى المعجم تارة أخرى، وكأنه يريد أن يقـــول: إنـــه بمقدرته النظم بما أراد وما يملكه من ذخيرة لغوية لا نجدها عند الكثير من غـــيره من شعراء العرب وأدباء العربية، فى شبه القارة الهندية وربما على مر العصـــور، وهذا جعل منافسيه ايضا يعترفون بفضله فى اللغة العربيـــة ودوره الريـــادى فـــى تاريخ الأدب بشبه القارة الهندية.

وبهذا العرض الذى قدمته والحديث عن براعة شاعرنا فى صياغـــة الشـــعر باللغة العربية أكملت حديثى عن الخصائص الأسلوبية العربية فى شعره وأرجـو أن أكون موفقا فى محاولتى لدراسة هذا الجانب من شعر الشيخ أحمـــد رضـــا خـــان، وبالتالى فى تقسيمى هذه الصياغة إلى قسمين واستشهادى فى كل مجال حـــاولت أن أتحدث عنه وألم به قدر استطاعتى، لكنه قد بقيت خصائص أخرى لا ترجـــع إلـــى الألفاظ بقدر ما ترجع إلى المعنى، وإن كان ثمة ارتباط بين اللفظ والمعنى ليخـــرج ذلك شعرا رائعا تمثل فى ديوان شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان، إلا أن الخصـــائص التى سأتحدث عنها هى إلى المعنى أقرب مع تأكيدنا على الارتبـــاط بيـــن اللفـــظ والمعنى، ولا نستطيع أن نتجنب عن هذا أو نبتعد عن ذاك، وإنما لابد من الارتبـــاط بينهما ليخرج العمل الأدبى والنص الشعرى بحسب ما يكون قد وجـــد فـــى فكـــر الشاعر والأديب، وما يكون قد مالت إليه نفسه وأنست إليه موهبته، وعدم إطـــالتى فى موضوع الارتباط فذلك راجح إلى أنه لم يكن مما يخوض فيه بحثى، وقد تركت ذلك لمن يبحث فى قضية اللفظ والمعنى فى شعر الشيخ أحمد رضا خـــان، وأمـــا القضية التى بين أيدينا فهى الشيخ أحمد رضا خان الشاعر ذو الموهبة التى حـــاولت أن تحفل بالعديد من الأغراض الشعرية متوجا بثقافة عربية أصيلة، كأن العربيـــة لغته الأم وعلى حين أنها لم تكن كذلك.

Marfat.com

المبحث الثانى

الخصائص الأسلوبية فى ديوانه العربى

شُغف شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان باللغة العربية أيما شعف منذ طفولتـــه وقد غرس كل من جده مولانا محمد رضا على خان النقشبندى، ووالده مولانا محمد نقى على خان القادرى، هذا الحب فى قلب الشيخ أحمد رضا خان منذ أن بلغ حـــد التذوق فأقدم هذا الابن المتأدب المطيع لوالده وجده على تعلم اللغة العربيـــة بكـــل شوق وشغف، وأحبها حبا شديدا بوصفها لغة الدين الحنيف، ولغة الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فانكب على مطالعة اللغة العربية شعرا ونثرا، وتنـــاول دراسة الأدب العربى فى عصوره الأدبية المختلفة قدر المستطاع، فانتقت موهبتـــه الشعرية أعذب أساليب العرب لتنتظم بها، وقد ورد كذلك ينابيع البلاغة واصطفـــى منها الأساليب التى أضافت رونقا وبهاء إلى موهبته الشعرية فتفتق لسانه مفصحـــا عن موهبة شعرية، فتجلت هذه الأساليب فى شعره حين إقدامه على نظـــم الشـــعر بلغات ثلاثة من بينها العربية، هذا إلى جانب العلوم الإسلامية والعربية التى بـــرع فيها، أضف إلى ذلك رهافة الحس، وسعة الخيال، وهكذا شق شاعرنا لنفسه الطريق فأتى بالأسلوب والطابع الخاص الذى تفرد به، والذى يعبر بـــه عمـــا تفيـــض بـــه شاعريته، إنه فى المقام الأول كان عالما دينيا ولم يكن متفرغا لنظم الشعر بل كـــان ينفس عن موهبته من وقت لآخر، فينظم قصيدة أو منظومة عربية، ولكنه مع ذلـــك عند إقدامه على نظم الشعر كان يهتم بألوان البديع، وكان أدبه نابعا مـــن فطرتـــه،

Marfat.com

لأنه شاعر وأديب بالفطرة مما جعل شعره العربى أعلى قدرا من شعر الكثيرين من معاصريه فى شبه القارة الهندية حسبما أرى.

ومما يميز أسلوبه فى الشعر هو كثرة إقدامه على الاقتباس من النصين الشريفين وأقوال الأئمة والحكم العربية، وهذا ليس بشئ مستغرب عنده لأنه عالم دينى نشأ فى بيت العلم والفضل وبالتالى أمضى حياته فى خدمة الإسلام والمسلمين، وناهيك عن رجل جاء حبه للعربية عن طريق دينه فكان لابد أن يكون لذلك أثره، أضف إلى ذلك تذوقه الأدبى، فبكل تأكيد رأى شاعرنا أن النصين الشريفين هما أسمى النصوص العربية وأحلاها، لذلك استحسن أن يتوج أدبه بالاقتباس الشائع فى أدبه باللغة العربية بما جاء فى النصين الشريفين، لهذا وجدنا أسلوبه تأثر بحياته وحبه وميوله الدينية، ونسوق لذلك مثلا مما نظمه شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان ونسمعه يقول(١):

"قل كزرع أخرج الشطأ إلى آزر فاستغلظ ثم استوى
يعجب الزراع كالماء المعين كى يغيظ الكافرين الظالمين"

نجده فى هذين البيتين مقتبسا من الآيتين نزلتا من جملة ما نزل فى الحديث عن النبى - صلى الله عليه وسلم - ومكانته ومكانة أصحابه - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - حيث قال الله تبارك وتعالى(٢): **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا، محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم فى التوراة، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا منهم مغفرة وأجرا عظيما** .

ونجده واردا على نبع الحديث الشريف حيث يروى ظمأه ويتعلم الأدب مع الله تعالى فيناجى ربه فى أدب المؤمن الحقيقى وخضوعه، فيقول مقتبسا من حديث

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢١٦.
(٢) سورة الفتح ٤٨/٢٨-٢٩.

Marfat.com

الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم -(١)

"أنساك دهرا لا أفيق ولم تكن ناسى فى حين من الأحيان

فذكرتنى بالجود والإيجاد إذ ما كنت فى روح ولا جثمان"

ومن هنا يتجلى لنا إقدام شاعرنا على الاقتباس من الحديث والذى نصه كالآتى: عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق: "**إن أحدكم ليجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك [الموكل بالأرحام]، ويؤمر بأربع كلمات [عمن يبقى فى الأرحام] فيقول اكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أم سعيد، فوالله الذى نفسى بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**"(٢):

أحضرت مثالين على اقتباس شاعرنا من القرآن الكريم تارة ومن الحديث النبوى الشريف تارة أخرى، ولقد حافظ شاعرنا على هذا الاقتباس فى مواضع كثيرة لدرجة أنه أصبح سمة من سماته الأسلوبية والفنية، ومتصفح الديوان يجد أننى لم أبالغ حين جعلت الاقتباس سمة من سمات شاعرنا الأسلوبية، بل يجد أثر النصين الشريفين واضحا جليا فى كل ما قاله شاعرنا على اختلاف الأغراض، ومن الممكن أن نقول أن هذه السمة مسيطرة على شعره الأردى ايضا فضلا عن شعره العربى وذلك لما للدين فى نفسه من أثر فتغذى وارتوى منهما نفسه الشعرى وطابعه اللغوى فأصبحا يظهران واضحين فى كل ما قاله من شعر عربى، ولم أشأ أن أزيد فى أمثلتى واكتيفت بمثال واحد من قيام شاعرنا بالاقتباس من القرآن الكريم

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٨٥.

(٢) سنن ابن ماجه، للإمام أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجة، ج ١، ص ٢٩.

Marfat.com

مرة ومن الحديث النبوى الشريف مرة أخرى، وهذا ليس بنادر فى شعره العربى وإنما الاقتباس سمة عامة لشاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فى كل ديوانه.

إذا كان شاعرنا ورد منهل النصين الشريفين وتوج بهما شعره العربى فلم ينس الشعر العربى، حيث إنه أقدم على ما يسميه أهل البديع بالتضمين، فإنه ضمن كلامه بعض أبيات الشعراء من فحول العرب مما يدل على شغفه وغرامه بالشعر العربى، فإنه جاء ضمن هائيته شطرة للبوصيرى وإن كان ببعض التصرف(١) كما قام بتضمين بيتين للصرصرى فيما نظمه شاعرنا فى مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم -(٢)، وإنه ضمن كذلك شطرة لعبد الله بن معاوية فى رباعيته مرة(٣) وجعل شعره فى بيتيه مرة أخرى(٤) فأبدع وأجاد التضمين، كما ضمن شعره شطرة لأبى نواس(٥) وإن شاعرنا جاء ببعض أبيات أمية بن أبى الصلت ضمن مقطوعته فى مدح الرسول بدون التصرف حينا وببعض تصرف حينا آخر(٦) كما ضمن كلامه شعرا لزهير بن أبى سلمى(٧) ومما يثير دهشة القارئ، أن شاعرنا ضمن قصيدته الدالية بيتا فارسيا من أبيات شاعر الفارسية الجليل سعدى الشيرازى دون أى ملل للقارئ الذواقة والملم بالثقافتين العربية والفارسية، وهذا إن دل على شئ فلا يدل إلا على مدى تشبعه بما قالت العرب، وارتوائه من هذا الشعر ريا مشبعا لدرجة أنه أصبح ظاهرة وسمة من سماته الأسلوبية والفنية، ولقد قرأ شاعرنا لجل شعراء العرب إن لم يتناول شعر كلهم فضلا عن أنه أخذ من الشعر العربى الكثير وشرب منه حتى تشبع مشربه وبالتالى خرج شعرا لطيفا ولم نضرب لكل ما قلنا فى التضمين مثلا تفاديا الإطالة على القارىء الكريم، ونود أن نضرب مثلا لما قلنا

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٦٦.
(٢) المرجع السابق، ص ١٧١.
(٣) المرجع السابق، ص ١٧٦.
(٤) المرجع السابق، ص ١٩٧.
(٥) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢١١.
(٦) المرجع السابق، ص ١٤٨.
(٧) المرجع السابق، ص ١٤٢.

Marfat.com

بشأن تضمين أبيات أمية بن أبى الصلت ونذكر ثلاثة أبيات من كلا الشاعرين، قال أمية بن أبى الصلت فى مدح عمرو بن عبيد الله بن معمر التميمى(١):

"أأذكر حاجتى أم قد كفانى حياؤك إن شيمتك الحياء

خليل لا يغيره صباح عن الخلق الجميل و لا مساء

إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء"

وقال شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فى مدح الرسول-صلى الله عليه وسلم- وقد حول أبيات أمية بن ابى الصلت إلى مدح النبى - صلى الله عليه وسلم - ببعض التصرف حينا وبدون التصرف حينا آخر، فلنستمع إليه حيث يقول( ):

"أأذكر حاجتى أم قد كفانى حياؤك إن شيمتك الحياء

إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه عن توضئك الثناء

كريما لا يغيره صباح عن الخق الكريم و لا مساء

هذا و الأمثال العربية من المنابع التى وردها شاعرنا المغرم بلغة الضاد - وبالتالى ضمن شعره العربى بعض الأمثال العربية ومنها بيت عربى جرى مجرى المثل و الذى جعله شاعرنا فى الشطرتين الأوليين من البيتين، ضمن قصيدة نظمها فى رثاء مولانا محمد إسماعيل القادرى بكل براعة دون أن يشعر القارئ، بأى غرابة أو كلل فلنسمع إليه حيث يقول(٣):

"وعين الرضا عن كل عيب كليلة" فإن لم يك لم تنظروإن ترغلت

"ولكن عين السخط تبدى المساويا" كمن دخل البستان مجتل جلة

ومن الظواهر فى شعره أن نفسه الشعرى طويل حيث إنه أطال من نظم القصيدة، فقد وصلت إحداها مائتين وثلاثة وأربعين بيتا تلك هى نونيته التى نظمها فى مدح مولانا فضل الرسول البدايونى، وقد عرضت لذكرها فى الفصل الأول من

(١) المرجع السابق، ص ١٤٨.
(٢) المرجع السابق، ص ١٤٨.
(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٧٦.

Marfat.com

الباب الثانى، والتى مطلعها كالآتى(١):

"رن الحمام على شجون البان ياما أميلح ذكر بيض البان"

ومن السمات الأسلوبية والفنية فى أدب شاعرنا هو ما يسمى فى المحسنات اللفظية بالتشطير "بأن يجعل كل شطرى البيت سجعة مخالفة للسجعة التى فى الشطرة الأخرى"(٢) وبهذا اللون من السجع ينشئ شاعرنا رنة ونغمة فى الأذن المتذوقة، يقول فى مدح الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم -(٣)

"رفيع المدارج، منيع المعارج سمى المراتب سنى المناقب"

ومما تفرد به شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان من أسلوب فى نظم الشعر هو إقدامه على التاريخ بحساب الجمل الأمر الذى عده الشيخ أحمد الحملاوى من المحسنات البديعية(٤)، وكان شاعرنا الموهوب بارعا فى هذا اللون البديعى، فقد جاء به ضمن المدائح والمراثى والمقطوعات، ولقد جرت العادة بين شعراء الهند أن يأتوا بحساب الجمل فى الشطرة الثانية من البيت الأخير مسجلين تاريخا لحدث معين، أو عام قول هذه القصيدة مما يمكن أن يؤرخ له الشاعر وشاعرنا مشى على هذه الوطيرة مرة ولكنه اختلف فيها مرة أخرى وجاء بحساب الجمل مرتين فى البيت الأخير من المقطوعة مع الاحتفاظ بسلاسة الشعر دون التعقيد فى الأسلوب، وهذا اللون من الشعر وإن كان ذا جذور فى الأدب العربى إلا أننا لم نلحظ اهتمام شعراء العربية بهذا اللون من البديع بقدر ما نجده عند شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فى العصر الحديث، فقد أكرمه الله تعالى بموهبة فى هذا الفن حيث كان يستخرج التواريخ - بحساب الجمل - نظما ونثرا، دون كد عقل وعنت نظر، وعناء حساب بل كان يستخرج الكثير من التواريخ عفو الخاطر، وهاكم مقطوعة

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٢.

(٢) زهر الربيع فى المعانى والبيان والبديع، للشيخ أحمد الحملاوى، ص ٢١٨.

(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢١٥.

(٤) زهر الربيع فى المعانى والبيان والبديع، للشيخ أحمد الحملاوى، ص ٢٣١.

Marfat.com

نظمها شاعرنا فى تاريخ عام وفاة الشريف ظهور حيدر، نجده يقول(١):

"نحو لقـــاء جـــده أم ظهور حيـــدر

حن إلى الجنـــان إذ تم ظهور حيـــدر

قيل متى هذا الســفر هم ظهور حيـــدر

قلت لأن بقى الســنة تم ظهور حيـــدر"

١٣٣٢هـ

نلاحظ أن قيام شاعرنا باستخدام الناحية الرياضية والحساب حتى يصل إلـــى جملة يريدها هى أقرب إلى المنطق، والمنطق ألصـــق بـــالعقل، ولكـــن شـــاعرنا الموهوب يستطيع أن يقنع القارئ بأنه لا يقصد إلى حساب الجمـــل، ولا يســـتخدم العقل بل يستخدم عاطفته الشعرية، لكن القارئ يفاجأ بأن هذه الكلمات أو العبـــارات العاطفية لو عددت حروفها لوجدتها تحقق المراد وتطبق فكرة حساب الجمل، مـــع أن حساب الجمل من الأمور المنطقية إلا أن شاعرنا كـــان يضفـــى عليـــه طـــابع الشاعرية والموهبة التى منحه الله تعالى إياها، فكان يأتى شعره حلوا لطيفا، لأنـــه يقول الشعر ولا يرغب من ورائه إلا إشباع العاطفة الشعرية، إذن فلم تتحكم فـــى شعره منطقية حساب الجمل، وإنما اندفع شاعرنا بعاطفته الشعرية فحقق ما يريـــد دون أن يحمل الألفاظ فوق ما تحتوى.

ومن أساليب شعراء العربية التى اتبعها شاعرنا هـــو "لـــزوم مـــا لا يلـــزم" ولشاعرنا فى هذا باع طويل وذلك مع مراعاة العلاقة الوطيدة بين اللفظ والمعنـــى، ونضرب لذلك مثلا بالتزام شاعرنا بحرف التاء المضمومة قبل الهاء المفتوحة، وقد سلك هذا المسلك فى أربعة وعشرين بيتا من قصيدته فى رثاء وتاريخ عام رحيـــل مولانا محمد عبيد الله والتى مطلعها:

"أترحت سنة غراء ضرتـــها أم فرحت بدعة ضراء غرتـــها"(٢)

وقد التزم شاعرنا بالتاء المسبوقة باللام المشددة فى قصيدته فى رثاء وتـــاريخ عام رحيل مولانا محمد إسماعيل القادرى واستمر على هذا النهج حتى نظم تســـعة وثلاثين بيتا، ولقد سبقه الكثيرون فى تناول التاء قافية لقصائدهم ولكن قلمـــا الـــتزم

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٨٢.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٦٤.

Marfat.com

أحد باللام المشددة بهذا القدر من الأبيات( ) حتى أبو العلاء المعرى - رائد فن لزوم ما لا يلزم - لم تقع له هذه القافية إلا فى خمسة أبيات تحت عنوان "نوائب الدنيا"(٢) ولكن شاعرنا الموهوب استطاع أن يلزم نفسه هذا النهج ، و جاء شاعرنا فى مطلع تائيته هذه بالتالي:

"عدت شوطبها أم ظل وظلت ببطن بطين والظلال أقلت"(٣)

ولشاعرنا مقطوعات وقصائد أخرى سلك فيها مسلك "لزوم ما لا يلزم" ترى هل أغرم شاعرنا بهذا الفن أو أغرم برائده وأعنى أبا العلاء المعرى، أم أنها قوة العاطفة الشعرية وتمكنها من قلب شاعرنا مع تمكنه من ناصية اللغة العربية، وقد تكون الأمور جميعا.

ومن الأساليب التى تميز وتفرد بها شاعرنا هو إقدامه على نظم الشعر على نسق الرباعى، الصنف الشعرى المعروف لدى الشعر الفارسى والأردى، ولم يعرف الشعر العربى هذا النوع من الشعر إلا نادرا، ولكن شاعرنا أجاد وأبدع فى نظم الرباعى بالعربية، فقد يجد الشاعر نفسه مضطرا إلى إبراز المعنى فى حيز ضيق فى بيتين فقط، وقد لا يطاوعه ضيق المجال على ذلك ولكن شاعرنا استطاع أن يكسب جمالا لما نظمه من الرباعيات العربية فى التوسل بالشيخ عبد القادر الجيلانى إلى الله - تبارك وتعالى - وتمكن كذلك من جعلها خالية من التعقيد، يستشف معناها من ظاهر لفظها ويدرك بسهولة ودونما عناء وكد فكر، وأكثر من هذا أن شاعرنا جاء بالرباعى المستزاد، النوع الجديد على اللغة العربية، وقد حاولنا دراسة فن الرباعى المستزاد بإيجاز فيما سبق فى الفصل الأول من الباب الثانى وهاكم الرباعى المستزاد:

"حمدا يا مفضل عبد القادر ياذ الأفضال

يامنعم يامجمل عبد القادر أنت المتعال

---

(١) نقد سبق أن حاولت دراسة هذا الموضوع فى الفصل الثانى من الباب الثانى موازنا بين قصيدة الشيخ أحمد رضا خان وشعراء العربية من المتقدمين الذين عالجوا هذه القافية.

(٢) لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) لأبى العلاء المعرى (ط: دار صادر بيروت، دون سنة الطبع) ج ١. ص ٢٢١.

(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢٠٩.

Marfat.com

مولاى بما مننت بالجود عليه من دون سؤال

امنن وأجب سائل عبد القادر جد بالآمال"(١)

ومن السمات الأسلوبية والفنية إقدام شاعرنا على التخميس وعندما كنت أرصد السمات الأسلوبية والفنية فى أدب شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان رأيت أن أذكر بين ذلك قيام شاعرنا بتخميس لبيتى الصرصرى فى مدح النبى - صلى الله عليه وسلم - ولننظر كيف يكسب شاعرنا جمالا إلى ما نظمه الصرصرى فنجده يقول(٢):

سواد عيون العين سنا ذهب ولوح نحور الحور لاح كما يجب

فإن يمل جبريل لقال أولو الأدب "قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب
على فضة من خط أحسن من كتب"

يقوم بحق المدح قوم فلاته توله وقم بالوجد قومة واله

فحق خضوع الوجه رغما لكاره "وأن ينهض الأشراف عند سماعه
قياما صفوفا أو جثيا على الركب"

ومما برز فى أدب شاعرنا من السمات الأسلوبية والفنية هو "عتاب المرء نفسه" وقد تكلم الشيخ أحمد الحملاوى عن هذا اللون من ألوان البديع قائلا(٣): "هو أن يوجه الإنسان الخطاب لنفسه ويعاتبها على أمر من الأمور" وقد يغيب هذا اللون على بعض الناس، ولكن شاعرنا جاء بهذا اللون فى أكثر من موضع، ونذكر ما نظمه شاعرنا معاتبا نفسه بعد قيامه بهجاء المتطاولين على مولانا فضل رسول البدايونى فنجده يقول(٤):

ما عندهم شوب ولا روب ولا خير ولا أثر من الإيمان

قم يارضا لا تغش أهل غشاوة ذرهم وما هم فيه من خذلان

اشغل بنفسك أنت أجنى من جنى كم من معاب هن ونصح فلان

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢٠٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧١.

(٣) زهر الربيع فى المعانى والبيان والبديع، للشيخ أحمد الحملاوى، ص ١٨٤.

(٤) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٧-٧٨، وردت هذه الأبيات فى النونية بدء من البيت الحادى والتسعين حتى البيت الرابع والتسعين.

Marfat.com

تب يـــاأثيم فقـــد أظـــل زمانـــة يمحى بهاجم مـــن العصيـــان

ومن سمات شاعرنا الأسلوبية "التشبيه" ويحمل عليه ما يتفرع عنه، وبه يزداد تأثير الكلام ويقرب معناه إلى الفهم، وشاعرنا لم يغفل من هذا اللون البيـــانى، فقـــد أجاد وأتقن استخدام التشبيه إتقانا ملموسا، شأنه فى ذلك شأن العرب، فإنـــــه يـــأتى بالتشبيه حسب سياق الكلام، فتصيغه موهبته صياغة تتوق إليه النفوس، نلاحـــظ أن شاعرنا نظر إلى حمامة تدمع، وإذا بالدموع تنهل غزارا، فما كان من هذه الدمـــوع إلا أن ملكت عليه عاطفته الشعرية، ولعلك لاحظت أيها القارئ الكريم أن شـــاعرنا الشيخ أحمد رضا خان شبه دموع الحمامة بالمطر الغزير ليبين مدى بكائها وتفجعها بفراق الحسناوات، وهذا أبلغ أسلوب لتوصيل الصورة إلى المخـــاطب أو القـــارئ، شأنه فى ذلك شأن العرب، وهذا أيضا مما أخذه شاعرنا من الثقافة العربية، ويعـــبر شاعرنا عن حزن الحمامة فيقول(١):

"بكت الغزير فهيجت منى البكـــا إن الحزين لسائل الأجفـان"

ومما تجدر الإشارة إليه أن ظاهرة التشبيه كثيرة جدا فى شعر الشيخ أحمـــــد رضا خان ومن حلاوة التشبيه عنده أنى تحيرت ما المثال الذى استشهد به فـــالعدد هائل والحلاوة تكسو كل شاهد من شواهده، لذلك رأيت أن أكتفى بمثال واحد حتـــى لا أطيل، وأنا لا أرجو أن أكون قد حرمت القارئ مما أفاض بحر كرمه الشـــعرى، وإنما أحيل القارئ على بعض المواطن التى يمكن أن يجد فيها هذا اللون الرائع فى نسيج الشيخ أحمد رضا خان الشعرى.

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٢

Marfat.com

ومن ضمن السمات الأسلوبية إقدام شاعرنا على الابتكار فى التشبيه فى بعض الأحيان على نحو يقع فى النفس موقع الإعجاب، وقد ابتكر شاعرنا فى التشبيه حين عبر عن وجه الحبيبة - التى اصطنعها من وحى خياله - بالبدر المحاط بالقمرين، فتشبيه الوجه بالقمر معروف فى الأوساط الأدبية، ولكننى أعتقد أن تشبيه الحاجبين بالقمرين غير مسبوق إليه مما جادت به قريحة شاعرنا، وهذا ما يسمى فى علم البديع "بسلامة الاختراع" "وهو أن يخترع الشاعر معنى لم يسبق إليه، ولم يتبع فيه أحدا، ولا يتأتى ذلك إلا لمن أحاط بجميع أطراف المعانى المتداولة واستعمالاتها"(١) فلنستمع إليه حيث يقول(٢):

"هل ياهلال العيدعندك خبرة بشميسة فى بدرها قمزان"

لعل فى تصغير الشمس أن شاعرنا أراد منها النور والضياء ولم يرد أن يذكرها دون التصغير حتى يحرمها الإحراق والحرارة المضنية.

ومما ابتكره شاعرنا - فيما أعتقد - هو إقدامه على تشبيه شفتى حبيبته بأطيب الفواكه وأكثرها فائدة وحيوية، ألا وهو الرطب، كما أقدم على تشبيه المقلتين باللوز، لعل شاعرنا يشبه طراوة الشفتين وطولهما بطرواة الرطب وطوله، وكأنه شبه شفتيها بالرطب لأنهما مصدر الحياة نظرا لما تصدر منهما الكلمات الحلوة، وشبه مقلتيه باللوز لوجود شبه فى بنية اللوز الطويل والمقلة الطويلة، وأعتقده غير مسبوق فى هذين التشبيهين، ونراه يقول(٣):

"ياحسن غصن فيه من كل الجنى عنب وعناب وبه سلوانى"

---

(١) زهر الربيع فى المعانى والبيان والبديع، للشيخ أحمد الحملاوى، ص ٢٠١.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٢.
(٣) المرجع السابق ، ص ٧٣.

Marfat.com

"واللوز فيه الفوز والتفاح والـــــر طب ولا تسأل عن الرمـان"

وحين ندخل بساتين الغفران ونتنسم عبيرها ويكسونا عطرها نجد أن شـــاعرنا الشيخ أحمد رضا خان دقيق فى صياغة الشعر ولا يأتى باللفظ الزائـــد للمحافظـــة على النظم الشعرى، وإنه عندما يتطرق إلى رسم الصورة البيانية نجده يقوم علـــى إيراد الصورة التى يريد إبرازها بأسلوب واضح لا غموض فيه مع بيان ما تتسم به هذه الصورة من تركيب، مثال ذلك حديثه عن بعض معاصريه من العلماء الذيـــن توفوا، يذكر مالهم من حميد الصفات وما قدموه من خدمات للإسلام، وما كان لديهم من مؤلفات كان لها عظيم الأثر فى الحلقات الدراسية فى عصره، ونضرب لذلـــك مثلا بالأشعار التى نظمها شاعرنا تقريظا لكتاب "سراج العـــوارف فـــى الوصايـــا والمعارف" ولنسمع إليه حيث يقول(١):

"أنا سيدى يابن عز غطـــارف ويأحمد النور نـــور الأعـــارف
كلامك نور بـــهاء السلاســـل وشهد مصفى عن الزيغ صـارف
وتحقيق ترويح كشف القلـوب دليل اليقيـــن ســـراج العـــوارف
ولا غرو أن جاء منك سـراج فإنك نـــورى نـــادى المعـــارف
أرانا سراج بـــــالليل شمســـا وشمس بليل عجيـــب وطـــارف
فهل مثله فى تليد وطـــــارف وأين فـــأين تـــراه الطـــوارف"

ومن الظواهر الفنية عند شاعرنا إتيانه بالمجاز حيث إنه أقدم على بيان علـــو منزلة الممدوح وإنى لأراه صادقا فيما قال، فإنه مـــدح مولانـــا فضـــل الرســـول البدايونى نظرا لعلمه وتقواه وورعه دون الرغبة فى المال والنـــوال، ولـــو كـــان

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٩٥.

Marfat.com

شاعرنا راغبا فى جمع الأموال بالمدائح لمدح الإنجليز ونال منهم ما كان ييسر لـــه أمور دنياه مثلما نال غيره وربما يزيد، وقد كان نوال الإنجليز مالا ومكانة وريـــادة يمنحونها لمن يرضون عنه وكثيرا ما كان رضاهم فى التزلف والنفاق إلـــى غـــير ذلك مما تأباه الفطر السليمة، ولم يكن شاعرنا إلا صاحب فطرة سليمة منعته من أن يطمع فى عطاء الناس لا سيما الأعداء (الإنجليز) بل كان يطمع فيما هـــو أفضـــل وأبقى، إنه عطاء الله – سبحانه وتعالى – وما أسعد النفس المسلمة إذا نالت من الله – عز وجل – رضاه وهكذا لم يقدم على مدح أحد من أغنياء المسلمين تكون وراءه غاية دنيوية بل سخر نفسه للدفاع عن الدين ومدح كل السالكين لهذا الطريـــق مـــن الأولياء الصالحين وعلماء الدين بعد مدح النبى – صلى الله عليه وسلم – لنســـتمع إليه لنراه كيف استخدم المجاز فنجده يقول(١):

"جبلا رفيعا فائقا شما علـى بطلا شجيعا سيد الشـجعان"

نلاحظ أن شاعرنا استخدم كلمة "جبل" وبعد ذلك جاء بثلاثة صفات للجبـــل، وهذه الكلمة تعطى معنيين أحدهما الحقيقى المعروف وثانيهما غير حقيقـــى وهـــو إنسان رفيع القدر، وإذا تأملنا فى معنى الكلمة نجد الصلة بيـــن المعنـــى الحقيقـــى للجبل، والمعنى الذى استعملت فيه كلمة الجبل، وهذه العلاقة هـــى المشـــابهة لأن الشاعر انتقل إلى مدح مولانا فضل الرسول البدايونى فى البيت التاســـع والثلاثيـــن وبدأ يمدح ممدوحه من البيت الأربعين، وهذه القرينة تمنعنـــا عـــن إرادة المعنـــى الحقيقى، إذ نفهم المعنى المجازى فقط من كلمة "جبل".

ومما يعد ظاهرة أسلوبية عند شاعرنا إتيانه بداليته الطويلة دون تكرار القافيـة الأمر الذى يعد عيبا فى القافية ويعرف بالإيطاء، وهكذا رأيناه يتجنب الإيطاء وكفى

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٤.

Marfat.com

به حكما على نفسه حيث يقول(١): "هذه القصيدة تتكون من سبعين ومائة بيت و الحمد لله لم تتكرر فيها القافية، وما يبدو تكرارا فى ظاهر الأمر فى بعض القوافى فإنه ليس من التكرار فى شئ بل هو من باب الجناس حيث يتحد اللفظ ويختلف المعنى".

أعتقد أنك أيها القارئ الكريم قد فهمت ما أريد، أى تمكن أعظم من أن يأتى الشاعر سبعين ومائة بيت تخلو من تكرار القافية، وقد ذكر شاعرنا أنه إذا كرر القافية لم يقصد التكرار وإنما قصد الجناس وبالتالي لا تكرار، وهذا منه إن دل على شئ فيدل على سعة اطلاعه على علم العروض والقافية، ولا غرابة لعل العروض واحد من فنونه الخمسة والخمسين، ومن هنا يتجلى مدى تمكنه من ألفاظ العربية لغته الثالثة وهذه المقدرة اللغوية نفتقدها عند الكثيرين، والتساؤل الذى يدور فى أذهاننا هو إذا كان هذا حاله وهو يكتب الشعر بلغته الثالثة فكيف به إذا كان عربى الأصل يكتبه بلغته الأولى؟ وماذا كنا ننتظر منه؟ كم كنا نطمع فى أن نرى الشيخ أحمد رضا خان من أبناء العربية الأصلاء وكنا ننتظر منه أكثر من هذا.

ومن أبرز الظواهر الفنية عند شاعرنا احتفاؤه بالطباق، فإنه عند مدحه لعلماء أهل السنة أتى بالضدين على سبيل الطباق فى شطرتى بيت، فإنه يرى أن الصحارى تتحول إلى المدن عند حلول علماء أهل السنة بها، وأن المدن تفقد رونقها وبهجتها عند مغادرتهم اياها، ولا نجد الاختلاف فيما بين الضدين إيجابا أو سلبا فيمكننا أن نسمى هذا اللون البديعى بطباق الإيجاب، لنسمتع إلى شاعرنا حيث يقول(٢):

"إذا حلوا تمصرت الفيافى وحين ترحلوا الأمصار بيد"

---

(١) امال الأبرار والام الأشرار، للشيخ أحمد رضا خان، ص ٢٢.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١١٩.

Marfat.com

ومن هنا نلاحظ قيام شاعرنا بالجمع بين الحلول والترحل مرة، وبين المدن العامرة والصحارى القفراء مرة أخرى، كما قام بالجمع بين ذكر علماء أهل السنة المتمسكين بما جاء به الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - والمبتدعين المعارضين لهم مرة أخرى مما يبرز لنا براعة شاعرنا فى هذا اللون البديعى.

ومما نجده متمثلا فى أدب شاعرنا من المحسنات البديعية هو التورية، فإن شاعرنا أتى بمفردات ثلاثة لكل منها معنيان أحدهما قريب والآخر بعيد ولكن شاعرنا قصد المعنى البعيد يقول(١):

"بكت العيون أما تريد جمودا أبكت شريفا صادقا محمودا"

نلاحظ أن كلمة شريف لها معنيان قريبان أحدهما رجل ذو شرف فى قومه والآخر أحد المنحدرين من سلالة أهل البيت، ويتبادر الذهن إلى هذين المعنيين القريبين، وكذلك كلمة صادق ومحمود لهما معنى قريب وهو الرجل المتصف بالصدق والذى يحمد عليه، فيكون المعنى أن العيون ذرفت دموعا لموت الحكيم محمود أحمد خان الدهلوى، وهذه العيون المنهمرة أبكت من رآها من الرجال المتسمين بالصفات الثلاثة فى الشطرة الثانية من البيت، ولكن شاعرنا - كما أراه - تجاوز عن هذا المعنى القريب وكأنه قصد أن يقول: إذا كانت هذه الفجيعة أثرت فى الأحياء فأثرت كذلك فى الأموات، فإنه وزى بكلمة الشريف والصادق والمحمود ورمز بها إلى أسماء ثلاثة، جد المرثى الحكيم محمد شريف خان، ووالد المرثى الحكيم صادق على خان، واسم المرثى الحكيم محمود أحمد خان، وبهذا يعرب شاعرنا عن مدى وقع الفجيعة في النفوس، وإنه تعبير للحزن البالغ الشامل، فإن

---

(١) المرجع السابق، ص ١٥٣.

Marfat.com

الحكيم محمود أحمد خان كان خير خلف لخير سلف، وكان امتدادا لحياة أبيه وجده كما تبين المراجع فى هذا الصدد فكأن شاعرنا أراد أن يقول: إذا كان الأحياء تفجعوا بهذا الحادث لما تفجع النفوس بموت رجال الخير فالأموات أيضا تفجعوا لموت الخلف الصالح لخير السلف، وذلك لتوقف الصدقة الجارية، وأراه أنه اتخذ هذه الفكرة من قول الحبيب المصطفى – صلى الله عليه وسلم –(١): "**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**" وبهذا جمع شاعرنا بين عاطفته المتقده والثقافة الدينية، وأنشأ هذا التعبير الرائع، ومن روعة الأسلوب أن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان جاء بثلاث كلمات فى شطرة بيت واحد دون أى تكلف فى الأسلوب والغرابة فى الكلمات، إذا كنا نحمد للرجل أن يأتى بالتوريه وهى عبارة عن كلمة لها مغنيان فكيف بشاعرنا وقد أتى بكلمة لها أكثر من معنيين محققا فى ذلك القرب والبعد بين المعانى الموجودة، إذا فهى تورية لا محالة، وقد ضربنا للتورية مثلا بالكلمات الثلاث التى وردت فى البيت الشرف والصدق والمحمودية، وبيننا ما بعد من معانيها وما قرب، والشاعر إذا وقع له تورية حمدنا له فكيف إذا تعددت الكلمات التى تحمل التورية فى بيت واحد، ماذا نقول عنه؟ أعتقد أن ذلك دليل واضح على مدى تمكنه من لغته الثالثة – ألا وهى العربية – تمكنا بالغا لا يكتفى بإدراك الصور البيانية والإتيان بها ومراعاة ما يتطلبه علم المعانى، وإنما يعرج على المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية، والبيت عنده لا يكتفى بأن يذكر المحسن مرة واحدة بل تتعدد الأبيات عنده التى تمتلئ بالمحسن البديعى المتكرر، فضلا عن وجود أكثر من محسن فى بيت واحد، إنه الإلمام بالعربية إلماما يجعله يقف فى مصاف أبنائها لتفخر لغتنا العربية بابن من أبنائها نشأ وترعرع فى شبه القارة الهندية.

---

(١) صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى، القسم الأول من الجزء الثانى، ص ٦٧.

Marfat.com

ما زال شاعرنا يغترف من نهر المحسنات البديعية التى اغترف منه الكثير من شعراء العربية، ها هو غرامه بلون آخر من ألوان المحسنات البديعية إنه المقابلة وسوف نجده لونا شائعا فى شعره شأنه فى ذلك شأن الكثير مما اهتم به من تلكم المحسنات، وعلى سبيل المثال نقف إلى بيت جاء فيه بالمعنيين فى الشطرة الأولى وقابلهما بالمعنيين المضادين فى الشطرة الثانية، فقد ذكر المعارضين لعلماء أهل السنة مع ذكر صفتهم المتلائمة لهم فى صدر البيت، ويشمل عجز البيت على ذكر علماء أهل السنة مقرونا بصفة تتناسب معهم، وهذا منه كثير فى شتى الأماكن، وشاعرنا يأتى بهذا اللون عفويا دون تكلف، وإنه يراعى الاحتفاظ بجمال التعبير وسلاسة الأسلوب، وسهولة اللغة، ومهما قلنا فى لطافة التركيب عنده فخير من أن نقول وهو أن نسمع صوت الشاعر نفسه حين يقول(١):

"هم يُعرفون بنتن ما فيهم كما يعرف بالعرْف عارف ربانى"

نلاحظ أن شاعرنا يقابل المبتدعين ونتن أفكارهم بالصالحين وشذى عقيدتهم الطيبة، فإن العقيدة الزائغة لا ينشئ إلا رائحة كريهة فى صاحبها كما أن عقيدة الرجل السالك على درب السلف الصالح، العارف لأحكام ربه، المتبع لشريعة الإسلام لاتثير فى صاحبها إلا رائحة تحببه إلى الناس، والمقابلة فى الجملة كثيرة فى شعره ولكننا إكتفينا بمثال واحد حتى لا يطول بنا الكلام، والديوان خير شاهد على ما ذهبنا إليه.

وكذلك من المحسنات البديعية التى توج بها شاعرنا أبياته ووقعت له كثيرا محسِّنٌ يقال له الجناس، ولعل هذا اللون من المحسنات كان ينسجم جريانا على لسان شاعرنا وبينه وبين الشاعر مجانسة، أعتقد أننى أشرت بذلك إلى الجناس الذى

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٨١.

Marfat.com

أقدم شاعرنا على استخدامه، وهذا منه ليس بقليل، وإنما نجد نماذج كثيرة خلال النتاج الشعرى الذى انبثق من قريحة شاعرنا، إنه جاء بالجناس فى صدر بيت نظمه ضمن غزله العذرى فنجده يقول(١):

"راحت أزمة راحتى من راحتى وكذاك كل مودع الخلان"

نلاحظ أن شاعرنا جاء بكلمة راحتى مرتين وهما تتشابهان فى نوع الحروف وشكلها وعدد حروفها وترتيبها، إلا أنهما تختلفان فى المعنى فإن كلمة الراحة تؤدى معنى الارتياح مرة والكف أخرى، وهذا ما يسمى فى علم البديع بالجناس التام، ومن حلاوة الأسلوب وبراعة الشاعر أنه أتى بالجناس غير التام أيضا فى الشطرة نفسها حيث إن كلمة "راحت" تجانس كلمة "راحتى" وتشبهها فى اللفظ مع الاختلاف فى المعنى، إلا أن الأولى تخالف الأخرى فى الشكل أحد أركان الوفاق الأربعة التى ذكرناها آنفا، ومع ذلك لا نجد فى البيت شيئا من التصنع والتكلف، لأن شاعرنا جاء به عفو الخاطر بينما كانت العاطفة مسيطرة عليه، وسمح به الطبع من غير تكلف، وهذا البيت لا يقل روعة ونغمة مما تقدم أو تأخر عنه من الأبيات فى الغزل، وعليه فشاعرنا مهما اصطحب معه من ألوان المحسنات البديعية ليزين بها شعره لا يعرف الملل طريقا لهذا الشعر، وأبياته فى نظرى تبرأ تماما من التكلف والصنعة الممجوجة بل على العكس، فمحسناته تؤدى زينتها لشعره كما أراد لها تماما بتمام.

ومما كلل به شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان قصائده العربية هو ما عرف فى علم البديع ببراعة الاستهلال أو حسن المطلع، سواء كانت هذه القصائد فى المدح أو الرثاء أو الهجاء، فلا نجده يأتى بالتنافر أو التعقيد بل يحتفظ بعذوبة

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٢.

Marfat.com

اللفظ، وحسن السبْك، وكان هذا دأبه فى قصائده اللهم إلا فى تائيته التى نظمها فى رثاء مولانا محمد إسماعيل القادرى، فإن النزعة الصوفية سيطرت على أبياته الأولى من هذه المرثية حيث جاء شاعرنا بالرموز على غرار شعراء الصوفية ولا يفهمها إلا ذو إلمام بمصطلحاتهم، وبالتالى تحتاج هذه الرموز إلى الملم بها المعالج لفكرها الفاهم لما تعنيه، ولكنه مع ذلك لم يأت فى مطالع القصائد بما يتطير به القارئ، إنها رموز صوفية تسربت إلى أبيات شاعرنا الصوفى فى رثاء فقيد الصوفية(١) وكذلك أقدم شاعرنا على نظم نونيته الطويلة فى مدح مولانا فضل الرسول البدايونى واستهلها بغزل الصنعة على غرار الكثير ممن سبقه من شعراء العربية منذ العصر الجاهلى فالإسلامى حيث إنهم كانوا يستهلون المدائح بالتشبيب، وأرى هذه البداية من خير البدايات – عند شاعرنا – لعذوبة المأخذ فى كلا الغرضين أولهما الغرض التمهيدى للقصيدة وهو الغزل، وثانيهما الغرض الأساسى الذى صيغت القصيدة من أجله وهو المديح، فبين الغزل والمديح رقة متبادلة ولطافة مستأنفة يعمل على إيجادهما كرم الاتصال بين الغرضين، يقول شاعرنا فى مستهل قصيدته(٢):

"رن الحمام على شجون البان ياما أميلح ذكر بيض البان

تبكى دما وتقول فى أسجاعها الله يضحك سن من أبكانى

بكت الغزير وهيجت منى البكا إن الحزين لسائل الأجفان"

استغرقت هذه البداية أربعة وعشرين بيتا برزت فيها براعة شاعرنا فى نظم الغزل وبالتالى أعربت عن براعة الاستهلال وحسن المطلع عنده ليتوائم ذلك مع

---

(١) حاولت دراسة هذه الأبيات فى الفصل الثانى من الباب الثانى.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٢.

Marfat.com

الغزل، كما برزت ميوله الصوفية التى جرت على لسانه خلال انتقاله من الغـــزل إلى المدح.

إذا كان شاعرنا أتقن وأجاد براعة الاستهلال أو حسن المطلع فقـــد أبـــدى براعته فى لون بديعى آخر ألا وهو حسن الانتقال أو حسن التخلص مـــن غـــرض لآخر للوصول إلى المراد، وقد يصعب الانتقال على بعض الشعراء فاعتدنا منـــهم ألا يحسنوا التخلص ولكن لم نعهد من شاعرنا - فى أغلب الأحيان - غير حســـن الانتقال، وكان شاعرنا فى هذا الأمر عربيا قحا، شأنه فى الانتقال من غرض إلـــى غرض آخر شأن النصوص العربية وعلى رأسها القرآن والحديث، ولقـــد حـــاول شاعرنا أن يرتوى من جل منابع العربية، والأبيات التى نحن بصددها تمثل حســـن الانتقال من الغزل إلى المدح فنجد شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان يوجه اللوم إلـــى نفسه ويعاتبها على لسان ناصح جاء به من وحى الخيال على غرار من سبقه مـــن شعراء العربية منذ العصر الجاهلى، وجاء بذلك العتاب بعدما نظم أربعة وعشـــرين بيتا فى الغزل، وكان إقدامه على الغزل هو الدافع لعتاب الشاعر نفســـه وإن كـــان الغزل عذريا وتمهيدا لمدح مولانا فضل الرسول البدايونى، ولكنه كان قد أقدم علـــى التشبيب مسايرة لعادة شعراء العربية المتقدمين حيث إنه سار على دربـــهم فنظـــم غزل الصنعة، وبالتالى جاء بالنقلة المكونة من أربعة عشر بيتا يعاتب فيـــها نفســـه مذكرا إياها كرامة الآباء، وأنها ليست من أهل البطالة كما يشكر لصاحبه أيضـــا، ونسمعه يقول(١):

"مه يارضا يابن الكرام الأتقيـا ... يا غرس دوح العلـــم والاتقـــان

دع عنك هذا لست أهل بطالـة ... وانهض إلى ما كنت فيه تضـانى

لله درك يـــانصيح نديمـــــه ... أيقظتنى مـــن غفلـــة الوســـنان

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٣، ٧٤.

Marfat.com

أحسنت فيما قلت فاسترزلتى يسبل عليك الله ستر أمان"

فى هذه الأبيات الأربعة استطاع شاعرنا أن يجمع بين الاثنين من ألوان البديع أولهما حسن الانتقال وثانيهما "عتاب المرء نفسه" وهذا ما عهدناه من شاعرنا فى مواطن كثيرة، وينتقل شاعرنا بعد عتابه نفسه على نحو ما ذكرنا آنفا إلى تبرئته نفسه من الغزل وترفعها عنه، فإبراز البعض من خواطره الصوفية، واستمر فى هذه المعانى من البيت التاسع والعشرين إلى الرابع والثلاثين، ثم يعود إلى ترفعه عن الإقدام على الغزل، ومن خلال هذا الحديث ينتقل دون أن يشعر السامع بالانتقال إلى الغرض الذى صيغت لأجله القصيدة وكأن السامع لم يزل فى الاستماع إلى المعنى السابق، ولنسمع إليه حتى نتمتع بجمال حسن الانتقال فنجده يقول(١):

"مالى وللدميات من درر على سرر ولست بعابد الأوثان
مالى وللغزل المهيج فلا أكن غزلا ولم أر مرتع الغزلان
مالى وللإهواء إلى مهوى الهوى أفلى غناء فى غناء غوان
ماكان هذا ديدنى لكنه تشبيب شعر لادد الشبان
إذ ما دد منى ولا أنا من دد إذ جئت أمدح رحلة لأوانى"

هكذا، انتقل شاعرنا إلى مدح مولانا فضل الرسول البدايونى، وبعد ذلك ايضا ينتقل من لون لآخر فى مدح واحد من علماء الدين لقبه شاعرنا بالرحلة - أى من يرتحل إليه للإفادة منه.

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٤.

Marfat.com

إذا كان شاعرنا أجاد حسن الابتداء ولطافته وبالتالى أحسن الانتقـــال مـن غرض لآخر فلم ينس ما يسمى فى علم البديع بحسن الختام أو براعة المقطع، فكان يأتى بكلمات تشعر بنهاية المطاف ومسك الختام، وقد تعلم شـــاعرنا هـذا اللـون البديعى من خواتيم السور القرآنية حيث إنها تتربع على قمة الفصاحـــة والبلاغـة، ومن المعلوم أن شاعرنا كان ذا ثقافة دينية هائلة حيث كان علم التفسير علـى رأس خمسة وخمسين علما وفنا أتقنها شاعرنا، وقد برع شاعرنا فى هذا اللون البديعـــى بفضل الموهبة الشعرية التى حباه الله تعالى بها، وله فى هذا المجال نماذج رائعـــة بمختلف الأساليب فى شتى الأغراض نختار منها مقطعا لما نظمه فى رثاء وتـاريخ عام رحيل مولانا محمد إسماعيل القادرى حيث جاء فيه(١):

وارض الرضا إن لم يصب وابل فطـــل ندى منك لى كالديمة المســتهلة

إلـــهى إليـــك بـــالحبيب توســـلى به فاغفر اللهم ذنبـــى وزلتـــى

ومن قراءة هذا المقطع يشعر القارئ بنهاية المطاف، فقد كان شاعرنا يرثى فقيد الصوفية بكل حزن ولوعة، ويسأل الله للمرثى الفضل والرحمة، وفـــى نهايـــة المطاف أقدم شاعرنا على الصلاة والسلام على خير الأنام- صلى الله عليه وسلم - وبالتالى تضرع إلى الله - تبارك وتعالى - سائلا إياه المغفرة بكل خشوع وضراعة وإلحاح، متوسلا بالحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - رحمـــه الله تعـالى وإيانا وحشرنا فى زمرة الفائزين المتمتعين بشفاعته - عليه الصلاة السلام -.

ومما تذوقنا فى أدب شاعرنا من المحسنات البديعية هو مراعاة النظير، فقـد جاء شاعرنا بثلاثة كلمات متناسبة فى الشطرة الثانية من البيت الثلاثين بعـد المائتين، وقد راعى التناظر بين الحور والغلمان والرضوان، ثم بعد ذلـــك

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٧٧.

Marfat.com

أقدم شاعرنا على مراعاة النظير بين كلمتى "دار" و"جار" على أننا لا ننسى ما بينهما من جناس فإنه لما طلب لأبيه وجده دارا طيبا فى الجنة سأل ربه جارا طيبا أيضا، وذلك عند إقدامه على الدعاء لوالده وجده، وصوت شاعرنا أحلى وقعا فى الآذان مما نعرض له، ها هو يقول(١):

وارحم أبى وأباه رحما دائما واجعل قبورهما رياض جنان
آنسهما اللهم فى جدثيهما بالحور والغلمان والرضوان
أبدلهما دارا وجارا خيرا من هؤلاء الدور والجيران

ومما برع فيه شاعرنا من ألوان البديع ونعده ظاهرة فى أدب شاعرنا هو ما يسميه أهل البديع "بالافتنان" "وهو أن يجمع المتكلم فى كلامه بين فنين من فنون الشعر مثل الغزل والحماسة، والمدح والهجاء، والتهنئة والتعزية"(٢) ونجد على سبيل المثال المدح والهجاء فى بيت شعر للشيخ أحمد رضا خان حيث إنه جاء فيه بفنين، يمدح علماء أهل السنة فى الشطرة الأولى، ويهجو مخالفيهم فى الشطرة الثانية فيقول(٣):

"أولاء الحزب حزب الله حقا وسيد جزب الاعداء المريد"

ومما يعد ظاهرة فى أدب شاعرنا هو إقدامه على استخدام القوافى المقيدة غير المسبوقة بالمد، وهذا اللون من القوافى يعد من الصعوبة بمكان وفى هذا يقول

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٧.
(٢) زهر الربيع فى البيان والمعانى والبديع، للشيخ أحمد الحملاوى، ص ١٤٥.
(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٢٠.

Marfat.com

الدكتور عبد الله الطيب(١): "استعمال القافية المقيدة بعد المد كثير جدا نحو: "غـادر" و"ناصح" و"عليم" و"مغربان" ولكن استعمالها من غير أن يسبقها مد غير كثير وفيـه عسر شديد فى البحور الطوال إلا فى بحر الرمل والمتقارب لخفتهما" ولكن شاعرنا المثقف بالعربية جعلته ثقافته كأنه من شعراء العربية الذين شدت بها ألسنتهم شـدو فطرة وليس اكتسابا، أقول ولكن هذا الشاعر المطبوع استطاع أن يـأتى بالقافيـة المقيدة(٢) بكل سهولة مما يدل على براعته وطول باعه فى النظم بلغتـه الثالثـة، ونضرب لذلك مثلا بما نظمه فى رثاء مولانا محمد إسماعيل القادرى ولننصت إليه حيث يقول(٣):

أإسماعيل إسماعيل سـنه أحامى حاله من كل فتنـه

أإسماعيل إسماعيل صـدق أرادع كل مين عين فطنـه

أإسماعيل إسماعيل حـق أتاك الحق نكب كل محنـه

هذه المرثية قوامها ثلاثة عشر بيتا، وقد نظم شاعرنا تسعة وثلاثين بيتا مـن تائيته فى رثاء وتاريخ عام رحيل مولانا محمد إسماعيل القادرى(٤)، كمـا أن لـه تسعة أبيات فى تاريخ عام ولادة وتعليم ورحيل مولانا محمد رضـا علـى خـان النقشبندى(٥) ورباعية فى تاريخ عام رحيل الشريف مجتبى حسن(٦) وثلاثة أبيـات

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، للدكتور عبـد الله الطيـب (ط: دار الفكـر بـيروت، ١٩٧٠م)، ص ٤٣.

(٢) وهى ما يكون حرف الروى فيه ساكنا، المرجع السابق، ص ٤٣.

(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢٠١، ٢٠٢.

(٤) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٧٥:١٧٧.

(٥) المرجع السابق، ص ١٨٣، ١٨٤.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٠٠.

Marfat.com

فى هجاء مولانا عبد البارى الفرنجى محلى[١] وثلاثة أبيات فى رثاء السيدة سكينة زوجة مولانا عبد السلام القادرى الجبلفورى[٢] جاء فيها شاعرنا بالقافية المقيدة غير المسبوقة بالمد معربا عن موهبته الشعرية وشغفه باللغة العربية وتمكنه منها.

ومما زين به شاعرنا شعره العربى هو ما يسمى فى علم البديع "برد العجز على الصدر" فقد أتى شاعرنا بلفظ "أزمان" مرتين حيث إن أولهما فى مستهل صدر البيت وآخرهما فى نهاية عجز البيت، وهو اسم لامرأة عربية اشتهرت بجمالها - على حد تعبير الشاعر - بدأ الشاعر بيته باسمها وانتهى باسمها متمسكا بحلاوة الغزل وسلاسة الكلام، ونسمعه يقول[٣]:

"أزمان فاقت بيد أن عشيقتى بزمانها فاقت على أزمان"

ومما توج به شاعرنا أدبه هو ما يسمى فى علم البديع بالمراجعة "وهى حكاية ما جرى من محاورة بين متخاطبين بقال وقيل وقلت مثلا، بشرط تمام المحاورة، وأحسنها ما كان حسن السياق وسلس المعنى"[٤] وعندما ننظر فى أبيات شاعرنا المتصفة بهذا اللون البديعى نجد أنه استهل القصيدة بذكر جده مولانا محمد رضا على خان النقشبندى قائلا[٥]:

"جدى كان عالما لم ير مثله النظر"

---

(١) المرجع السابق. ص ٢٠٠.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٢.
(٣) المرجع السابق. ص ٧٣.
(٤) زهر الربيع فى المعانى والبيان والبديع، للأستاذ أحمد الحملاوى، ص ١٧٩.
(٥) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٨٣.

Marfat.com

ثم يستمر فى سرد أوصافه بالإيجاز ولا يطيل الحديث، ومن البيت الرابع يبدأ المراجعة والحوار، ومما هو جدير بالذكر أن شاعرنا استطاع أن يجمع بين الاثنين من ألوان البديع فى الأبيات السابع، والثامن، والتاسع فإنه جمع بين المراجعة والتاريخ - بحساب الجمل - فقد سرد تاريخ عام ولادة وتعليم ورحيل مولانا محمد رضا على خان النقشبندى، وفى هذا يقول(١):

قلت لطائف سرى طيف جماله السحر
تعلم عام إذ ولد سيدنا الرضا الأبر
قال رايت أنجما قلت نذرت قال ذر
قلت فكيف نهتدى قال أضاءنا القمر ١٢٢٤هـ
قلت ختام درسه قال أخار الدرر ١٢٤٧هـ
قلت فعام نقله قال محجل أغر ١٢٨٢هـ

ومن ألوان البديع التى صبغ بها شاعرنا نتاجه الأدبى هو ما يسمى فى علم البديع "بايهام التوكيد" وهو تكرار لفظ لتأسيس المعانى فيوهم التوكيد(٢) ونلاحظ أن شاعرنا أتى بكلمة "حول" ثلاث مرات حيث إنه ينفى حوله ويثبت حول الله - سبحانه وتعالى - وقوة ربنا الفائقة، كل هذا دون تكلف فأسلوب غير ممل ونسيج غير مخل، تضاف روعة النسيج إلى جمال الاسلوب فنسمعه يقول(٣):

"بحول الله قولى لا بحولى بحول الله يقترب العريد"

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٨٤.
(٢) زهر الربيع فى المعانى والبيان والبديع، للأستاذ أحمد الحملاوى، ص ١٩٩.
(٣) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١١٩.

Marfat.com

ومما جاء به شاعرنا من المحسنات البديعية فى شعره العربى هو التعطف، وهو أن يأتى المتكلم بلفظ فى صدر البيت ثم فى عجز البيت به أو بشئ من مشتقاته[١] ونجد شاعرنا وقد أقدم على استخدام هذا اللون البديعى حيث يقول[٢]:

فلا قلب له حال رشيد ولا جلب به مال رشيد

من السمات الفنية عند شاعرنا أنه كثيرا ما يقع له لكثرة غرامه بالبلاغة العربية أكثر من لون بديعى فى بيت واحد وربما كان فى موطن واحد من الكلام، وهذه إن دلت فلا تدل إلا على مدى اهتمامه بالبلاغة العربية وحذقه لها، وتمكنه من ناصية اللغة الثالثة بالنسبة له تمكنا شأنه فى ذلك شأن من ارتضع أفاويق العربية ونشأ فى حجرها وإنه كان يأتى بهذه الألوان دونما تكلف وأضرب لكم مثلا من بين النماذج العديدة فقد قام شاعرنا بالجمع بين "حسن الانتقال" وما يسمى فى علم البديع "بعتاب المرء نفسه":

مه يارضا يابن الكرام الأتقيا ياغرس دوح العلم والإتقان

هكذا كان شاعرنا يأتى بالمحسنات البديعية دون تكلف - فى نظرى - وإذا كان هذا اهتمامه بعلم البديع فإن علم البديع يأتى الاهتمام به بعد أن يستكمل الإنسان صورة العبارة وجمال سبكها ودقة تركيبها عن طريق تطبيق ما جاء فى العلمين السابقين، على علم البديع، وهما علم المعانى وعلم البيان، وأنا أراه أنه قد برع فى علم البديع بعد أن استكمل الشكل الذى يليق بعلم البيان من ناحية الدلالة، وكل ما أتيت به من اهتمامه بالبلاغة يدل دلالة واضحة على

---

(١) زهر الربيع فى المعانى والبيان والبديع، للشيخ أحمد الحملاوى، ص ١٩٨.
(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١١٨.

Marfat.com

مدى تشبعه باللغة العربية، ومدى تمكنه منها تمكنا ما كان من المنتظر أن يقع بالنسبة لرجل نشأ وترعرع فى بيئة غير عربية، وهذا يدل على تمكنه من ناصية اللغة العربية، وبراعته فى نسج أسلوبها وسبك عبارتها إلى حد يجعل القارئ مبهورا بما يرى من أمر هذا الفن عنده، وقد كان من المنتظر ألا يبرع فى اللغة العربية هذه البراعة كلها، وذلك لأنه غير عربى، ولم يأخذها كاللغة الأولى بل بالعكس أخذها بعد أن برع فى أكثر من لغة، وبهذا أعتقد أننى إستطعت أن أدرس بعض المحسنات البديعية - على سبيل المثال لا الحصر - فى أدب شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان، وأرجو أن أكون موفقا فى محاولتى المتواضعة، ولا نرى شاعرنا والسمات وضحت فى اتخاذ الألوان البديعية الكثيرة، ومع كثرتها لم تكن بتكلف، ولم تكن قلقلة فى موضعها بل كأن المعاني قد أعدت لهذه الكلمات إعدادا، وكأنها الألوان البديعية أعدت لهذه الكلمات، وكأنها ثوب قد على قد لابسه، وهذا يؤكد الفكرة التى استقرت فى ذهن الباحث وهو أن الرجل تمكن من العربية تمكن أهلها منها وليس كأى واحد من أهلها بل تمكن أهلها الذين منحهم الله تعالى موهبة الشعر والجيد من التصوير، وسوف نستدل على مدى غزارة الجيد من الشعر عنده حين نعرض المبحث القادم الذى لم يكن من تخطيط البحث.

Marfat.com

المبحث الثالث

بيت القصيد عند شاعرنا

هذا مبحث جديد لم يكن فى الخطة وإنما جئت به نظرا لحبى للشاعر - موضوع البحث - ومحاولة تعمقى لدراسة شعره وصوته الذى استحسنه فى أذنى وأمام عينى، وبالطبع أعنى بصوته شعره الذى جاءت به قريحته وأرجو ألا يفوتنى من ذكر هذا الكثير، وإذا كان هذا المبحث يسمى ببيت القصيد فأرجو من القارئ أن يغفر لى ذكرى لبعض أبيات مقطوعة من المقطوعات، وهى ليست قصيدة، ولكنى ذكرت هذه الأبيات لأنها من الاستحسان منى بمكان وبالتالى سواء كانت الأبيات التى استحسنتها كائنة بقصيدة من القصائد أو بمقطوعة من المقطوعات، فالأمر واحد، وما ذكرى لها إلا لاستحسانها فى نفسى فما أنا إلا مردد صوت الشاعر ذا الوقع المؤثر فى نفسى.

لقد أقدم الكثير من أصحاب موهبة الشعر على نظم الشعر العربى بين الغابر والحاضر، من العرب والعجم، وكان نفسهم الشعرى يختلف من واحد لآخر، ولكن لا تحظى القصيدة كلها بإعجاب متماثل، ولكن نجد بعض الرونق فى بيت دون آخر، وليس هذا بالنسبة للأشخاص جميعا بل يختلف هذا من مستمع أو قارئ لآخر، فبعض الاستحسان يكون بالبيت رقم كذا بينما لا يجمع الحاضرون أو القارؤون على هذا الاستحسان، وبالتالى يقع التفاوت من بيت إلى بيت، ومن شخص إلى شخص، كثرة وقلة فى عدد الأبيات وعدد المستحسنين لها، وقدر هذا

Marfat.com

الاستحسان كذلك، وهذا الاستحسان والإعجاب يختلف من قارئ لآخر، وذلك لأن الشعر يقاس من ناحية استحسانه بمقياس الذوق والإحساس من الناحية الشعورية، ولا أتحدث عن مقاييس نقدية، وإنما أقتصر على معيار الذوق وإعجاب الحس، وإدراك الشعور بالبيت قراءة أو استماعا، ولذلك يختلف الاستحسان باختلاف الاشخاص كما سبق أن بينت، ولكل منا ذوقه وحسه، فإن كلنا يسمع قصيدة واحدة فيستعيد بعضنا البيت الأول كما يستعيد بعضنا البيت الثانى، فكل واحد منا يتذوق بيتا يوافق هواه، ويرى أنه هذا بيت القصيد، وأجود ما قاله الشاعر، وأحلى الأبيات وقعا على سمعه، وألطفها استئناسا من نفسه، وأرى أن هذا الجمال لا ينبع من المحسنات البديعية فقط بل يعود فضله إلى عناصر الأدب الأربعة من العاطفة الصادقة، والفكرة، والخيال، والصورة، وإلا فالألوان البديعية البحتة لا تستلفت الأنظار ولا تشد انتباه القلوب الرقيقة الذواقة إذا كان الباعث عليها التكلف، والشعراء يعتزون ببيت يدعى بيت القصيد، أو بيت عين، أو جيد الشعر، فنجد بشار بن برد - على سبيل المثال لا الحصر - مفتخرا بوجود هذه الظاهرة فى شعره حيث يقول(١): "لى اثنتا عشرة ألف قصيدة لعنها الله ولعن قائلها إن لم يكن لى فى كل واحدة منها بيت عين".

ولكننا وجدنا أن شاعرنا الموهوب الشيخ أحمد رضا خان كان موفقا غاية التوفيق فى الاتيان ببيت القصيد فى قصيدة واحدة حينا وفى إحدى أغراض القصيدة حينا آخر، وذلك برغم ميلاده ونشأته فى بيئة هندية غير عربية، إلا أنه شغف بالعربية أيما شغف، فارتضع أفاويقها كأحد أبنائها وتمكن منها تمكن أهلها، ومما تجدر الإشارة إليه أن شاعرنا لم يتفرغ للشعر فقط إنما قام بنشر التعاليم الإسلامية،

---

(١) الأغانى، للإمام أبى الفرج راغب الأصفهانى، (ط: مطبعة التقدم بشارع محمد على بمصر)، ج ٣، ص ٢٤.

Marfat.com

وإصلاح المجتمع الهندى، ومقاومة الأفكار الزائغة التى تسربت إلى المسلمين فى عصر الانحطاط والانهيار، ومن خلال إقدامه على الوعظ والتأليف والإفتاء إلى جانب عاطفته الشعرية الفياضة، كان لكل ذلك أثره على شعره مما ساعد على تعدد الأغراض وولوجه أكثر من ميدان، وظهر ذلك واضحا فى ديوانه حتى أن قصيدته التى تتعدد فنون القول فيها تتعدد بالتالى أبيات القصيد عنده، ولعل القارئ يجد عنده من الاستحسان ما استحسنه الباحث، فما من بيت أشير إليه إلا وهو موافق لحسى وشعورى به واستحسانى لنسيجه الشعرى، إذ قد يتفق القارئ معى، وهذا من حسن الطالع، وقد يختلف فلا يستحسن، وآمل أن يكون ذلك الاختلاف قليلا.

ولقد كان شاعرنا مدفوعا إلى نظم الشعر فى شتى أغراضه من منطلق العاطفة القوية، وذلك بفضل حبه الشديد للدين الحنيف والذى جاء به - صلوات الله وسلامه عليه - ولم لا وقد حباه الله الموهبة الشعرية فارتوى من عيون الأدب العربى - على اختلاف العصور - فتذوق حلاوة الأدب العربى، ونعم بلطائف نصوصه، وتثقف بجميل تعبيره، وعلى رأس ذلك كله النصان الشريفان، وكانت نفس شاعرنا تتفعل بما يحدث حولها فى المجتمع، الأمر الذى كان يدفع شاعرنا إلى التعبير عما فى نفسه من الانفعال حبا أو بعضا، حزنا أو طربا، وكان مع ذلك للدين والأوضاع الثقافية والاجتماعية والسياسية التى عايشها شاعرنا تأثير ذوبال فى نتاجه الشعرى انسابت فى الأشعار المفعمة بالعاطفة القوية، والمتسمة بالمعانى العقلية والتخيلية، والمتصفة بجمال الأسلوب، فتميزت عن غيرها واكتسبت عنوان "بيت القصيد" وإننى سوف أحاول أن أشير إلى الأبيات من هذا النوع بإيجاز أرجو أن يكون غير مخل، ولا أطيل الحديث فيها مع أننى أعتبرها كفاكهة القول ومسك الختام، وأيضا ليكون صوت الشاعر أكثر تعبيرا من صوتى، وآمل أن يحوز حسى عند القارئ درجة يجعله يغتفر لى الكثير من تقصيرى، وسوف أختار هذه الأبيات

Marfat.com

اعتبارا بأنواعها وأغراضها التى صيغت من أجلها، ويكون ترتيبى فى هذا الصـــدد على غرار ما سلكت فى الباب الثانى بدأ من المديح، فالرثاء، فالهجاء، فالمناجـــاة، فالغزل.

أولا: بيت القصيد عند شاعرنا فى المدح

لقد سبق أن حاولت تقسيم قصائد شاعرنا - موضـــوع البحـــث - حســـب الأغراض الشعرية(١) فإن قصائده تضمنت أغراضا مختلفة، وكان فن المديح وقتئـذ فى مُقدمة الأغراض، وعند إقدامى على انتخاب بيت القصيد رأيت أن أسلك المسلك نفسه، فإن شاعرنا الموهوب يأتى بأكثر من بيت جيد فى قصيدته يمكننا أن نســـميه "بيت القصيد" حتى أنه تمكن - بفضل موهبته الشعرية الفياضة - من الإتيان بأكثر من بيت القصيد فى غرض ضمن أغراض القصيدة، لذا وجـــدت المديـــح النبـــوي الشريف على رأس المديح عند شاعرنا، وذلك لأنه - صلى الله عليه وسلم - ســـيد الممدوحين جميعهم، فإن شاعرنا لم يمدح أحدا غير الأولياء الصـــالحين والعلمـــاء العاملين بشريعة الإسلام، وذلك بعد المديح النبوى الشريف، ولقد وقع اختيارى على ثلاثة أبيات من نونية شاعرنا وكانت هذه الأبيات مسك الختام لأطول قصيدة تظمها شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان، وكانت بداية القصيدة متسمة ببراعـــة الاســـتهلال، وحسن المطلع حيث استهل شاعرنا قصيدته بالغزل الصوفى وانتقل مـــن غـــرض لآخر فأحسن الانتقال متقنا ومجيدا للون البديعى حسن التخلص، وفى نهاية المطاف أبدع شاعرنا وأجاد فى الختام، وكان حسن الختام - أحد المحسنات البديعية - حليفه فى مسعاه حيث إنه جاء بالصلاة والسلام على خير الأنام فى ختام القصيدة، وإنـــه

---

(١) وذلك فى الباب الثانى عند الحديث عن الأغراض الشعرية فى ديوان الشيخ أحمد رضا خان.

Marfat.com

استعرض براعته فى نظمه للصلاة و السلام على الحبيب المصطفى - صلـــــى الله عليه وسلم - فإنه جمع بين المعانى الروحية و الغزلية، ضمن الصلاة على الرسـول - صلى الله عليه وسلم - وكان شاعرنا قد بدأ قصيدته بالغزل وجـــاء فـــى نهايـــة القصيدة بما يشبه الغزل إن لم نسمه غزلا، حيث إنه جعل صدر البيت الأول مـــن نونيته عجز البيت الأخير منها، وإنه فى الشطرات الثلاثة الأولـــى مـــن الأبيـــات الثلاث الأخيرة ألمح إلى علو المكانة التى أكرم الله - سبحانه وتعالى - بها نبينـــا وحبيبنا المصطفى - صلى الله عليه وسلم - حيث إنه - صلوات الله وسلامه عليـــه - تربع على قمة الأخلاق و المجد، وتفرد بعلوه، وارتفع حيث لا يعلـــى عليـــه - بفضل الله سبحانه وتعالى - تلكم المعانى التى تحرك عاطفة الحب النبوى الشريف، كما نجده يشير فى الشطرات الثانية من هذه الأبيات الثلاث الأخيرة إلـــى تغريـــد القمرى فى الأفنان، وألحان الورقاء، ورنين الحمام على شجون البان، المعانى التـــى تثير الرقة واللطافة الغزلية، والجمع بين هذا وذاك ضمن الصلاة علـــى الحبيـــب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - إن دل على شئ فيـــدل أولا علـــى العاطفـــة المشبوبة لدى شاعرنا، ثم على براعته فى عرض الفكرة الخيالية بالمعانى التخيليـــة بأسلوب دفع كل بيت من هذه الأبيات الثلاث إلى أن يقول: "أنا بيت القصيـــد"، مـــا أجمل الصلاة على الرسول - صلى الله عليه وسلم - وما أحلى التغزل المصحـوب بالأدب و الإجلال بمقام الرسول الكريم - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - فلنتذوق حلاوة هذه الأبيات الثلاثة بصوت شاعرنا حيث يقول(١):

"صلى عليك الله ياملك الـــورى ما غرد القمرى فـــى الأفنـــان
صلى عليك الله يـــافرد العلـــى ما أطرب الورقـــاء بالألحـــان
صلى عليك الله يـــامولاى مـــا رن الحمام على شجون البـــان"

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٨٨.

Marfat.com

كان هذا أول نموذج - حسب ترتيبى - لبيت القصيد فى فـــن المـــدح أمـــا النموذج الثانى فى فن المدح فقد شد انتباهى كل من البيت الخامس والســـادس مـــن المقطوعة التى نظمها شاعرنا فى مدح مولانا الشريف أبى الحسين أحمد النورى(١) والتعريف بتأليفه "سراج العوارف فى الوصايا والمعارف" ويمكن أن نسمى هذيـــن البيتين بيت القصيد أحلى ما فى الموضوع أو قلادة هذه المقطوعة، فقد كان الشاعر يريد أن يقول إن هذا الكتاب أنار لنا الصراط المستقيم ولكن عاطفة حبه للمؤلـــف جعلته يشبه الكتاب بالسراج المنير الذى ملأ الكون نورا، شأنه فى ذلك شأن الشمس التى برزت فى الليل البهيم، وهكذا أكسب شاعرنا المعانى الخيالية للفكرة العاديـــة منطلقا من العاطفة المتقدة ومتخذا أسلوب التشبيه للتعبير عما بنفســـه، فـــإذا كـــان شاعرنا شبه الكتاب بالسراج فقد شبه الوضع السائد - آنذاك - فى الـــهند بـــالليل، يعنى لم تكن ثمة كتب تفتح للمسلمين أبواب الثقافة بينما كانت أوضـــاع المســـلمين تحتاج إلى من يذود عن عقيدتهم، فكأنه الليل المظلم، والكتاب "ســـراج العـــوارف" شمس فى هذا الليل الدامس، هذا هو النموذج الثانى لبيت القصيد عند شاعرنا مـــن فن المدح، نبع من العاطفة المشبوبة وبراعة شاعرنا فى تصوير المعـــانى العاديـــة بالمعانى السامية بأسلوب رقيق جذاب للقلوب والعقول، ولنتذوق حلاوة هذين البيتين بصوت الشاعر كأفضل ما يكون التذوق(٢):

أرانا سراج بـــالليل شمســـا وشمس بليل عجيب وطـــارف

فهل مثله فى تليد وطـــارف؟ وأين فأين تراه الطـــوارف؟

---

(١) هذه المقطوعة تتكون من ستة أبيات.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٩٥.

Marfat.com

أما ثالث النماذج فى هذا الشأن فهو البيت الرابع من مقطوعة فـــى ثلاثـــة أبيات والذى يطلع على هذا البيت ولا يعرف عن المناسبة التى أنشد هذا البيت مـــن أجلها فأول ما يبادر إلى ذهنه – نظرا لرقة الأسلوب وظرف الحديث – أنـــه فـــى الغزل، ولكن الشاعر لم يرم إلى ذلك فى نظرى، إنما أشار إلى المجالس العلميـــة التى جمعت بين شاعرنا والممدوح – فى مكة المكرمة – وحصل خلالها الأنس فى قلب شاعرنا، والشوق فى نفسه تجاه الممدوح، ونلاحظ أن العاطفة المتقدة حولـــت الفكرة إلى خيال رائع بأسلوب رقيق خلاب مما رفع البيت إلى درجة بيت القصيـد، ومن هنا تتجلى موهبة شاعرنا الشعرية فى رفع الحقائق إلى المعانى العالية، كمـــا يبدو تمكنه من التغزل أيضا برغم كونه من علماء الدين، ولنتذوق الشعر بصـــوت شاعرنا ما سبق أن أشرت إليه كأفضل ما يكون التذوق حيث يقول(١):

"فياليتها طالت ولكن مضى قضـا بأن مدى وصل الحبيب قصير"

أما رابع هذه النماذج فبيتان من مقطوعة فى ثلاثة أبيات فى مـــدح مولانـــا صالح كمال المكى، ولقد كان شاعرنا نظم هذه الأبيات الثلاث حين انقطع مولانـــا صالح كمال المكي عن زيارته ليومين بمكة المكرمة وبعث بهما إليه، ونلاحظ مـــن خلال البيتين مدى الوقع وقت انقطاع الممدوح عن زيارة شاعرنا لمدة يومين فقـط، مما أدى إلى يقظة العاطفة الشعرية عنده، وكان شاعرنا ينتظر استمرار الزيارة من ممدوحه ولكنه عبر عن هذه الفكرة بخيال رائع وأسلوب لطيف، فيســـأل ممدوحـــه الزيارة التى حرم منها، ويرى أن فيها الشفاء وبالتالى يستعطف ممدوحه بأســـلوب الاستفهام قائلا: "ألا تحبون أن تبرو لنا سقما" ما أحلى هذا الحـــب المتبـــادل بيـــن عالمين جليلين، وما أعذب التعبير حين شبه شاعرنا ممدوحـــه وزيارتـــه بطلـــوع

---

(١) المرجع السابق، ص ١٩٣.

Marfat.com

الشمس كل ضحى، و استدر شاعرنا عاطفة ممدوحه مرة أخرى حين أظهر أن قيام الممدو ح بزيارة شاعرنا كرم منه و المنتظر من الكريم ألا يقطع كرمه، ونلمس فى هذين البيتين العاطفة الجياشة فى النفس الملتاعة لشاعرنا بسبب حرمانها من زيارة هذا العالم الجليل، كما نلمس جمال الفكرة التخيلية وظرف الأسلوب، الأمر الذى يجعلنا أن ننعت البيتين ببيت القصيد وإن لم يردا فى القصيدة بل وقعا فى مقطوعة صغيرة، ولكننا نشعر كأن هذه المقطوعة الصغيرة فى الحجم كبيرة معنى ومفهوما، أما وقد حاولت أن أبرز فكرة الشاعر وبعض جماليات البيتين فلنختتم ذلك بصوت الشاعر حيث يقول(١):

"قالوا لقاء الخليل للعليل شفاء ألا تحبون أن تبرو لنا سقما

عود تمونا طلو ع الشمس كل ضحى و هل سمعتم كريما يقطع الكرما"

أما النموذج الخامس من بيت القصيد فى فن المدح فما ورد فى مدح الشيخ عبد القادر الجيلانى ضمن نونية شاعرنا و التى تحدثنا فيما سبق عن أبياتها الثلاثة الأخيرة، ومن المعلوم أن شاعرنا كان قد انخرط فى سلك الطريقة القادرية ومن هذا المنطلق كان الشيخ عبد القادر الجيلانى - مؤسس الطريقة القادرية - أحب الأولياء إلى نفس شاعرنا و إن كانت ثمة أسباب أخرى لشغفه بالشيخ عبد القادر الجيلانى، فكان شاعرنا يتوجه بالمدح إلى ممدوحه هذا من حين لآخر بالعربية و الفارسية و الأردية معربا عن شوقه وحنينه إليه وكان شاعرنا موفقا فى مدحه لهذا الممدو ح غاية التوفيق، فقد نظم تسعة و عشرين بيتا فى مدحه ضمن النونية التى نظمها شاعرنا فى مدح مو لانا فضل الرسول البدايونى، وأحسب البيتين من هذه التسعة و العشرين أنهما بيت القصيد، نرى فيهما حرارة الحب المتمكن من قلب

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٥٩.

Marfat.com

شاعرنا، كما نرى شدة انفعاله من الفراق، الأمر الذى صبغ المديح بحلاوة الغـــزل فاستخدم شاعرنا كلمة "ياروح المنى" و"راحتى" و"سلوة الأحزان" فى مـــدح الشـــيخ عبد القادر الجيلانى خلال نجواه مع الممدوح، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على براعة شاعرنا فى توظيف الكلمات وتمكنه من رفع المعانى العقلية إلـــى الصـــور الخيالية بأسلوب بارع، فإن من يقرأ هذين البيتين ولا يعرف ســـياقهما يســـتعذبهما كشعر الغزل، ولكنه مدح رقيق للشيخ عبد القادر الجيلانى، نستطيع أن نصف هذين البيتين ببيت القصيد وذلك لما فى البيتين من روعة الفكرة ولطافة الخيال وظـــرف التعبير إلى جانب صدق العاطفة ولنسمع إلى الشاعر حيث يقول(١):

"نال الفراق مـــن الفـــؤاد مرامـــه هيهات للإسلاء والإســـكان

كيف الوصول إليك ياروح المنـــى يا راحتى يا سلوة الأحـــزان"

ولننظر إلى نموذج آخر من بيت القصيد عند شاعرنا فى المدح - حســـب ترتيبى ورؤيتى - هو البيت الحادى والستون من النونية التى نظمها شاعرنا فـــى مدح مولانا فضل الرسول البدايونى، وكان قد بدأ مدحه من البيت الأربعين واستمر حتى الرابع والسبعين، ثم أقدم على مدحه مرة أخرى بدأ من البيت الثامن والسبعين إلى البيت الحادى والثمانين، وبهذا يبلغ عدد الأبيات فى مدح مولانا فضل الرســـول البدايونى فى النونية ثمانية وثلاثين بيتا، وأعتقد أن البيت الحادى والستين يمكننـــا أن نطلق عليه بيت القصيد حيث يجمع شاعرنا بين عاطفة الحب وعاطفة السخط، فإذا كان شاعرنا يمدح مولانا فضل الرسول البدايونى فإنه يبدى سخطه على الحـــاقدين عليه، وهناك تشبيه لطيف وعرض صورة جميلة، يريد شاعرنا أن يقول مـــن وراء هذا العرض أن مولانا فضل الرسول البدايونى حين يدافع عن الإسلام ويبين مبادءه

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٨٤.

Marfat.com

ويتحدث عن غاياته عندئذ يعمى كل الحاقدين، والمراد بعميهم أنه يعميهم عن طريق الطعن فى الإسلام فلا يتمكنون من الطعن أبدا - بفضل وضوح ما يقوله الممدوح فى الإسلام، وحين استخدم شاعرنا كلمة نزع النور لتدل على عمى البصيرة وقد عبرت الآية ؛ **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور** ؛[1] وشاعرنا فى الوقت نفسه يأخذ اللازم ويفيد منه المعنى الحقيقى، وهذا اللازم يتمثل فى أن الأعمى أعمى البصر يضل عن الطريق لأنه لا يراها شأنه فى ذلك شأن من سمع مقالة مولانا فضل الرسول البدايونى ولم يفد منها وبالتالى لم يتمكن من الطعن فى الإسلام كأنه أعمى ضل عن السير فى الطريق.

ثانيا: بيت القصيد عند شاعرنا فى الرثاء

مع أن المديح يبعث على الاستجادة من مختلف الدوافع، وإشباع الغاية المكنونة فى نفس شاعرنا تجاه ممدوحيه إلا أن الرثاء أيضا لم يكن شاعرنا بأقل مما كان فى المديح إن لم يكن قد فاق، ونجد عاطفة الشاعر فياضة فى الرثاء حيث إنه كان يتبادل الحب مع معاصريه، وكان بقدر حبه الشديد يتفجع بوفاة أحبابه، وتتفعل نفسه انفعالا شديدا مما قد يدفعه إلى فكرة فناء الدنيا بكل ما فيها تبعا لما يحسه من ألم الفراق، والأبيات التى انتخبها الباحث يأتى بها حسب ترتيب أسماء المرثيين.

لقد نظم شاعرنا مرثيتين ومقطوعة مكونة من بيتين إثر وفاة مولانا محمد إسماعيل القادرى فأصيب شاعرنا بلوعة لاتدانيها لوعة وحزن عظيم لا يماثله

---

(١) سورة الحج ٢٢/٤٦.

Marfat.com

حزن، فجرت عواطفه على لسانه، لم لا وشاعرنا مرهف الحس ومتوقد المشـــاعر، فنراه فى تائيته – التى نحن بصددها – يبكى على مولانا محمد عبيد الله مرة وعلى مولانا محمد إسماعيل مرة أخرى فيقول: مات أناس نحبـــــهم ولا تحظـــى العيـــن برؤيتهم حتى تنال شيئا من التسلية، إنما بقينا فى انتظار الموت، فكأن الشاعر يـرى نفسه هيكل عظم يمشى على الأرض فاقدا لذة العيش بعد صديقيه، وأرى أن هذيـــن البيتين من أجود شعره فى رثاء مولانا محمد إسماعيل من حيـــث تدفـــق العاطفـــة الحزينة، والفكرة، والخيال، وروعة الأسلوب، ولنستمع إلى صوت شاعرنا المتفجـع بوفاة صديقه حيث يقول(١):

"قضى نحبه قوم نحب وننتظـــر ترجى وتخشى من شرور أضلـــت

مضوا وبقينا خلف لم يك بيننـــا تراء ولا عيـــــن برؤيـــا تســـلت"

ولما أصيب شاعرنا ببالغ الحزن والأسى وذلك بفقد حبيبه الآخـــــر مولانـــا محمد عبد الغنى بلغ قلبه الملتاع قمة البكاء، وكانت أبيات شاعرنا تنفيسا نفس بـــها الشاعر عن مكنون خاطره، ومضت حرقة الفراق تعتصره اعتصـــــارا، فـــأخلص شاعرنا قوله حين قال: إن الموت مصير كل حى، ولكن الناس فـــــى غفلـــة عـــن مصيرهم المحتوم، وذلك للتأخير فى آجالهم، مع أنهم يتلون آية الابتلاء حيث يقـــول الله – سبحانه وتعالى –(٢): ؛ **ولنبلونكم بشئ من الخوف والجـــوع ونقـــص مـــن الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين** ؛ ونجد فى الأبيات الأربعة التى نحـــن

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٧٥-١٧٦.

(٢) سورة البقرة ٢/١٥٥.

Marfat.com

بصددها أن شدة الحزن حركت العاطفة، فنشأت الفكرة التى عبر عنـــها شـــاعرنا بالأسلوب الجذاب، فلنستمع إليه حيث يقول(١):

"الموت حق ياله من جـــاء متيقن والنـــاس فـــى إنســـاء
أنساهم الإنساء فى آجالـــهم مع مايرون من آيـــة بـــو لاء
النقص فى أموالهم وثمارهم والأخذ بالبأســـاء والضـــراء
عجبا لخافية غدت مخفيـــة وبدت من الخضراء والغبراء"

وأرى أن هذه الأبيات الأربعة تشكل وحدة متكاملة، وكل بيـــت مـــن هـــذه الأبيات الأربعة يمكن أن يكون بيت القصيد، وهذا بالنسبة لنظر الباحث وتذوقه.

تكررت الفجيعة لدى شاعرنا حين أصيب بفقد مولانا محمد عبيد الله، ولـــم يكن حب شاعرنا لمرثيه إلا لوجه الله – عز اسمه – ومن المعلوم أن الحـــب لله – سبحانه وتعالى – أقوى أنواع الحب وأسماها، وبالطبع كان لفقد المرثى أثرا عظيما فى قلب شاعرنا فصدرت أروع الأبيات فى رثاء الفقيد المشار إليه آنفا، وكانت هذه الأبيات نابعة من القلب المحزون المكلوم، والنفس الملتاعة المصابة بالحزن والأسى الشديدين، حيث إن شاعرنا نفس عما يكنه صدره، فجاء بأخلص الرثاء وأوجع مـــا عبر به عن البكاء، على أن هذه الأبيات بلغت منا مبلغ السحر لذلك استهوتنا حيـــن تحدثنا عن هذه القصيدة فى الباب الثانى، ولقد تمنى شاعرنا: "لو كان الموت استبدل جمعا بدل المرثى" ومن جمال الأسلوب أن شاعرنا أتى بكلمة "ليت" التى تدل علـــى الاستحالة وبالتالى يلقن شاعرنا نفسه بالصبر قائلا: إذا كان رد الموت بالفدية ممكنا لراح الجن والإنس والملائكة فدية للحبيب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – ولما

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٤١.

Marfat.com

ذاق طعم الموت، ولكن الموت أمر محتوم لا مـــرد لـــه، فـــالصبر مفزعنـــا والله مرجعنا، وأعرب شاعرنا عن هذه المشاعر قائلا(١):

"ليت المنية إذ جاءت لركن الـهدى استبدلت منـــه جمعـــا فيـــه منيتـــها
قد كان هينا علينا أن نفـــادى عـــا لمـــا بســـبعين أو مـــا فيـــه أوبتـــها
لكنها أمـــــر حتـــم لا مـــرد لـــه ولا تعقـــب إذ هـــــانت قضيتـــــها
الإنس والجـــن والأمـــلاك كلـــهم كانوا فدى المصطفى لو صاغ فديتـها
فالصبر مفزعنـــــا والله مرجعنـــا ونعم عدلا العلى نعمـــــت علاوتـــها"

أرى أن البيت التاسع فالثانى عشر ثم الثالث عشر مـــن أحلـــى وأروع مـــا نظمه شاعرنا فى الرثاء وكل واحد منها يقول: أنا بيت القصيد، وبهذا أعتقد أننـــــى وفيت بعض الحق لدراسة بيت القصيد عند شاعرنا فـــــى فـــن الرثـــاء، علـــى أن استيعابى لهذه الأبيات لم يقتصر على ما كتبته الآن بل عرضت لذلك فـــى حديثـــى عن الرثاء فيما سبق، وأعتقد أن حديثى السابق أكثر وفاءً بحقها علينا.

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١٦٥.

Marfat.com

ثالثا: بيت القصيد عند شاعرنا فى فن الهجاء

إذا كان شاعرنا مدح النبى - صلى الله عليه وسلم - وأولياء أمته، وعلماء ملته، وقام برثاء الأولياء والعلماء وكل ذلك خالص لوجه الله الكريم، فقد أقدم على هجاء المبتدعين أصحاب الأفكار الزائغة، المنحرفين من الشريعة التى جاء بها الحبيب المصطفى - صلى اله عليه وسلم - وكان ذلك بهدف إصلاح المجتمع بمقاومة الأفكار الزائغة والبدع، ومحاولة رد المصابين فى العقيدة إلى المنهل الصافى العذب، وشاعرنا لم يتخذ من كثرة المحسنات البديعية سبيلا إلى ذلك إنما نبه على البدع والمنكرات وحذر من مغبة الانحراف العقدى، وركز على الإصلاح الدينى مقتبسا من النصين الشريفين بأسلوب سهل وسلس، وإن كانت عاطفة السخط قوية لديه، وكانت نفسه تتفعل مما يحدث من مخالفة الشريعة الإسلامية، فتتصدى للدفاع عن الشريعة الغراء.

ومن أجود ما نظمه شاعرنا فى الهجاء أبياته الأول، والثانى، والرابع والسابع من داليته التى نظمها فى هجاء الفرق المخالفة لاجماع أهل السنة والجماعة، فقد بدأ شاعرنا هجاءهم بذم الدنيا، لأن الدنيا تدعو بمفاتنها وزخارفها إلى هاوية الانحراف الخلقى والعقدى، وبهذا يمهد شاعرنا لداليته، وقوام هذا التمهيد سبعة عشر بيتا، والأبيات الأربعة التى استلفتت نظرى نبعت من عاطفة السخط على هؤلاء المهجوين وتبين شقاوة الدنيا وخسارة المشغوف بها، فقد عبر شاعرنا عن فكرة المغرم بالدنيا بالفكرة المبنية على الأسلوب المنفر عن الدنيا، فيرى أن الملهوف إلى الدنيا كأنه المسكين الجهول الذى يعدو بنفسه إلى حتفه، ويغضب على

Marfat.com

من يسعى لتحويله من هذا المصير المأساوى، والنفوس الجاهلة لاتزال تائقة إلـــى الدنيا برغم هذا المصير المهلك، وهاكم الأبيات الأربعة ، وإن كنت غيرت ترتيبـها بعض التغير، وأرى أن البيت السادس والثانى بيت القصيد، فلنستمع إلـــى صـــوت شاعرنا الساخط على مكر الدنيا وخداعها حيث يقول(١):

"هى الدنيـــا تبيـــد ولا تفيـــد فأف لمن يريد ومن يـــرود

ولم أر مثـــل طالبـــها غبيـــا ولا كبشا لمذبحـــــه أقـــود

وذا المسكين يعدو نحو موتـــه بأرجله ويحقد مـــن يحيـــد

نفوس الجـــهل تأئقـــة إليـــها فملتمس وآخـــر مســـتزيد"

ومن جيد قوله فى ذم الدنيا البيت الثالث عشر حيث يقول شاعرنا: إن الدنيـا تدعو أصحاب النفوس الضعيفة - بلسان حالها - إلى الهلاك، فأولئك البلهاء يلبـون دعوتها ولا يتعقلون، فالدنيا لا تدعو إلى الهلاك بصراحة وإنما تبرز مفاتنها، والذى تحلو له هذه المفاتن ويقدم نفسه قربانا لها ولخداعها و يقع فريسة لها ولا ينجو مـن الهلاك المحتوم، فكأنه يستملح الهلاك دون شعور، ومن خلال هـذا البيـت نـرى العاطفة المتقدة لدى شاعرنا ومدى وقع الحزن فى قلبه على مصير أناس من أمـــة سيدنا ومولانا محمد - صلى الله عليه وسلم - كما نلحظ براعة شاعرنا فى التعبـير عن فكرة واقعية بالفكرة الخيالية، وإجادته فى أسلوبه، فلنستمع إليه حيث يقول(٢):

"دعت جهرا هلموا للـــهلاك فلبى الهالكون ولم يحيـدوا"

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١١٧.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١١٧.

Marfat.com

وأرى أن هذا البيت من أحلى وأعذب أبيات شاعرنا فى ذم الدنيـــا وانقيـــاد المخدوعين لها. والذى يمكننا أن نعده بيت قصيد.

كانت هذه الأبيات من أجود ما نظمه شاعرنا فى ذم الدنيا ومـــا يمكـــن أن يطلق عليها الباحث بيت القصيد فى إحدى أغراض القصيدة - وكانت الأبيات هـــذه تمهيدا للانتقال إلى صلب الموضوع حيث يتوجه شاعرنا إلـــى توبيـــخ المـــهجوين وإسداء النصح لهم فيقول: إذا كانت الهداية جمع الحطام ففاقكم الطبيعيون الدهريون حيث إنهم نالوا من الحكام الإنجليز الغـــاصبين المغتصبيـــن مطالبـــهم، وحققـــوا مصالحهم على حساب الدين، ولكنكم لم تتمكنوا من تحقيق أهدافكم الماديـــة برغـــم خسارتكم الدينية". وانظر أيها القارئ الكريم قوة العاطفة لدى شاعرنا ولاحظ الفكرة وبعد الخيال. وأسلوب التوبيخ حيث يقول شاعرنا(١):

وإن يكن الهدى جمع الحطـــام ففـــاقكم النياشـــــرة العنـــــود

أما صارت لهم صيد صيـــودا وخاوى البطن كلبكـــم رصيـــد

أما صدرت لـــــهم أتـــن رواء ورهن صدى حمارتكم رصـــود

وأعتقد أن البيتين الأخيرين يستحقان بأن نعدهما بيت القصيد ومـــن أحلـــى الأبيات التى نظمها شاعرنا فى الهجاء منطلقا من الاخلاص فى إصلاح المجتمـــع ومقاومة المصابين بالدنيا فى عقيدتهم وأفكارهم، وبعد هذا يتوجـــه شـــاعرنا إلـــى مهجويه بعاطفته الساخطة فيهز كيانهم ويرجهم رجا حيث يقول: "أيـــها النـــاس - ويقصد المهجوين - هل على عقولكم أستار حيث إنكم انحرفتم عن دينكـــم لأجـــل الدنيا فضاع حبل الدين من أيديكم، ولم تنالوا شيئا من الدنيا، وهكذا حال الدنيا بأنـــها تموت شوقا لمن يطردها، وتقضى على من يقصدها، إقدامكم هذا على الدنيا ليـــس

---

(١) المرجع السابق. ص ١١٨.

Marfat.com

إلا خسارة محضة"، وفى هذه الأبيات الثلاثة تتجلى لنا العاطفة الساخطة عند شاعرنا حيث إنه يعبر عن فكرة خداع الدنيا لمن يقدم عليها بأنها تموت شوقا لمن يطردها وتعرض عمن يطلبها، وعندما نتأمل الأبيات الثلاثة من منظور صدر البيت الأول بأن الدنيا تبيد ولا تفيد تتضح أمام أعيننا حقيقة مرة والتى قد تتساها النفوس الضعيفة فتتلهف إلى مفاتنها وتلهث وراء زخارفها فتسقط فى هاوية الانحراف الخلقى والعقدى الذى يحذر منه شاعرنا فى داليته التى نظمها فى هجاء الفرق المخالفة لإجماع أهل السنة والجماعة، فلنستمع إلى صوت شاعرنا المصلح الدينى حيث يقول(١):

"تركتم دينكم لحصول دنيا فراح ولم تجء فبدا البيود
وذا شأن البغى تموت شوقا لطاردها وتطرد من يريد
ألا فعلى عقولكم العفاء لعمر الله ذا الخسر الجريد"

وأرى أن البيت الثانى يمكننا أن نسميه بيت القصيد وذلك نظرا لجمال التعبير وقوة العاطفة الساخطة النابعة من حب الدين الحنيف، هذا ما رأيته باحساسى وشعورى بأنه عذب الأسلوب وبعيد الخيال وحلو التركيب مما نظمه شاعرنا فى فن الهجاء، ولا أدعى أننى تناولت مواطن الجمال كلها فيما نظمه شاعرنا فى فن الهجاء، إنما هى محاولة وأرجو أن أكون موفقا ولو بعض التوفيق.

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ١١٨.

Marfat.com

رابعا: فى الغزل والمناجاة

إن الهمسة تجمع بين الغزل والمناجاة فشاعرنا الصوفى يدلى بهمساته فى كلا اللونين فيتحدث إلى قلبه مرة وإلى مولاه - جل سبحانه - مرة أخرى، وإنه عند نجواه إلى نفسه بأسلوب الغزل لا يخرج عن حدود العفة والنزاهة، مع أنه يستخدم لغة شعراء اللهو والمجون، وذلك لأنه يعرب عن أحواله الروحية على غرار شعراء الصوفية من العرب وغيرهم، ولم يكثر شاعرنا من قول الغزل إنما جاء به فى مستهل نونيته التى نظمها فى مدح مولانا فضل الرسول البدايونى، وقوام غزله هذا تسعة وثلاثون بيتا لاحظنا من خلالها العاطفة الفياضة، كما وجدنا كلا من الفكرة والخيال وجمال الأسلوب متمكنا من هذه الأبيات، وإننى أصبت بالدهشة حين أقدمت على اختيار أجود بيت من غزله، وذلك لأن كل بيت شد انتباهى واستلفت نظرى، بلغت كلها بشاعرنا القمة فى الغزل، ولكن وقع اختيارى على تسعة أبيات بعد أن تنسمت عبير هذه الزهور مرارا وتكرارا، حيث إن بعض أساليبه فى الغزل حاول أن يصعد بأشعاره إلى أحلى وأعذب أسلوب من أساليب الشعر، ولا أدرى أيهما أرفع، وإن سألتنى أيها القارئ الكريم عن رأيى فأقول لك: إن الأبيات التسعة على القمة، وإن شئت فقل تسعة ملوك تربعوا على عرش هذه القصيدة وكل بيت منها يعتبر مالكا للقصيدة، ولنترك للقارئ الكريم أن يحدد بيت القصيد من هذه الأبيات التسعة التى يعرب فيها شاعرنا عن لواعج قلبه، وعواطفه

Marfat.com

الفياضة، وأحواله الروحية، قد يروقه غير هذه الأبيات التسعة، فلنستمع إليه حيث يقول(١):

"رن الحمام على شجون البان ... ياما أميلح ذكر بيض البان

تبكى دما وتقول فى أسجاعها ... الله يضحك سن من أبكانى

بكت الغزير فهيجت منى البكا ... إن الحزين لسائل الأجفان

ولقد درى من ذاق ذوق صبابة ... إن اللحون مثيرة الأكنان

بانت ومالانت فبانت لوعتى ... ياخيبتى فى الصبر والكتمان

راحت أزمة راحتى من راحتى ... وكذاك كل مودع الأخدان

واها إذا أدنت ودانت للقا ... آها إذا أذنت لهجر آن

ولت وما والت فوالت عبرتى ... لم لا أهيم إذا الحبيب جفانى

فومحنتى أحد الثلاثة كائن ... أمضى كذا أومت أو تلقانى"

كانت هذه نجوى شاعرنا مع نفسه، أما مناجاته مع ربه فنجدها كذلك مفعمة بالعاطفة القوية، كما نجد نفس شاعرنا مفتعلة غاية التفاعل مع التواضع والخشوع، ولا أدرى هل الانسجام الذى وقع فى هذه الأبيات منبعه نفس الشاعر أم تراكيبه، إنه النسيج الشعرى، وهو نتيجة لتفاعل عناصر الأدب الأربعة عند شاعرنا، وقد اخترت ثلاثة نماذج من أجمل ما نظمه شاعرنا فى المناجاة، وأول هذه النماذج – حسب ترتيبى – بيتان اختتم بهما القصيدة التى رثى بها مولانا محمد عبيد الله، فقد كان شاعرنا أقدم على الدعوات للمرثى من البيت الواحد والثلاثين حتى البيت السابع والثلاثين، وهنا تذكر الشاعر نفسه فأخذ يناجى ربه فى خشوع وخضوع

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٧٢، ٧٣. وردت هذه الأبيات حسب الأرقام الآتية فى القصيدة ١، ٢، ٣، ٤، ٧، ٨، ١٦، ٢٢، ٢٣.

Marfat.com

سائلا إياه الرحمة والغفران، ولننظر حسن الطلب فى نجوى شاعرنا مع ربه، فلنستمع إليه حيث يقول(١):

وأرض الرضا إن لم يصب وابل فطل ... ندى منك لى كالديمة المستهلة

إلهى إليك بالحبيب توسلى ... به فاغفر اللهم ذنبى وزلتى"

وكذلك من أجود ما نظمه شاعرنا فى المناجاة بيتان من داليته التى مدح بها مولانا فضل الرسول البدايونى حيث يتضرع شاعرنا إلى ربه سائلا إياه القوة، ويعرب عن فقره إلى الله سبحانه وتعالى، كانه يقول ليس لى حيلة إلا أن أدعو الله - عز اسمه - ومع ذلك يعترف أن الله - سبحانه وتعالى - كنز الفقير الفاقد، والفقر المراد هنا هو فقر الحيلة وليس فقر المال، فإن فقر المال محل مقدور عليه يعنى محل الاستطاعة فى التغلب عليه بأى وسيلة، حتى ولو بالصبر، وشاعرنا فى هذه المناجاة يتضرع إلى ربه يسأله القوة، وإنى أرى أنه لم يكن يطلب القوة لنفسه فقط، إنما كان يقصد الأمة الإسلامية المنكوبة التى أصيبت بالطعن على يد الكفرة فى تركيا والهند بشكل خاص، ولنستمع إلى صوته حيث يقول(٢):

"يارب يارباه يا ... كنز الفقير الفاقد

أنت القوى فقونى ... أنت القدير فأيد"

وأرى أن هذين البيتين من بيت القصيد ليس فى القصيدة كلها، إنما فى واحد من أغراض القصيدة ألا وهو الحمد لله - سبحانه وتعالى - حيث استهل به شاعرنا قصيدته الدالية.

---

(١) بساتين الغفران. للشيخ أحمد رضا خان . ص ١٧٧.

(٢) المرجع السابق. ص ٥٩.

Marfat.com

وثالث النماذج من مناجاة شاعرنا - حسب ترتيبى - هو ما نظمه ضمن نونيته الطويلة التى تضمنت عدة أغراض ومن ضمنها المناجاة، وانتقيت ثلاثة أبيات مما نظمه شاعرنا فى المناجاة يسأل فيها ربه رؤية الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - يوم القيامة، وليس مراد شاعرنا هنا مجرد الرؤية بالعين الباصرة، إنما المراد من الرؤية هناك والراحة التى تترتب عليها لازم الرؤية وهو الانضواء تحت لواء شفاعته - عليه الصلاة والسلام - والوقوف فى صفه تحققا لمعيتنا، تلكم المعية التى بفضله - سبحانه وتعالى - والمفهوم من الآية الكريمة: **يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه** (١) وأعتقد أن هذا ما كان ينتظره شاعرنا وكلنا فى هذا اليوم حتى يشملنا من جراء هذه المعية عدم الخزى يوم القيامة، ونرى فى الأبيات الثلاث التى نحن بصددها أنها تؤلف وحدة جمالية مكتملة، ونرى فيها شاعرنا متوجها إلى الله - سبحانه وتعالى - خاشعا وخاضعا له، سائلا إياه الرحمة والمغفرة ومعية الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - يوم القيامة، وهنا نلحظ الإخلاص والتفانى وحسن الطلب وقمة فى التسليم والدعاء، ولنستمع إلى شاعرنا حيث يقول(٢):

والله لم أر منك غير ترحم ... وترانى اللهم حيث ترانى

هذا فعلت ومثل ذلك تفعل ... إذ أنت أهل الفضل والإحسان

وإذا تجلى نور حسن المصطفى ... يوم الجزاء فأرح به أعيانى

أرى أن كلا من هذه الأبيات الثلاثة بيت القصيد بمعنى الروح والكلمة، وذلك لشدة افتعال عاطفة الشاعر وروعة أسلوبه لإبراز الفكرة والتعبير عن الخيال،

---

(١) سورة التحريم ٦٦/٨.

(٢) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ؛ ص ٨٥.

Marfat.com

ولنقف أيها القارئ الكريم عند آخر كلمة من هذه الأبيات، إنـــها قولـــه: "الأعيـــان" أليست جمعا للفظ العين؟ ولم أتى شاعرنا بالجمع وللإنسان عينان إثنتان؟ وأعتقد أنه جمع ليبين أن الإنسان يوم القيامة يرى الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بجميع مشاعره حيث تتحول أحاسيسه ومشاعره وكل شئ في جسده إلى عين ترى، ومن هذا المنطلق جمع شاعرنا كلمة العين ولم يثنها كما كان المنتظر، وبهذا أعتقد اننى حاولت ان ازيح الستار عن بعض مواطن الجمال المتمثلة فى مصطلح "بيـــت القصيد" وأرجو أن تحظى محاولتى المتواضعة ببعض إعجاب القارئ الكريم، فمـــا كانت النصوص الأدبية فى نظري إلا أزهارا لطيفة الذوق رائعة التركيب يحســـن ممن يعرض لها أن يتنسم عبيرها ولا يضغط عليها أكثر من ذلك لأن شأن الأزهار تمس ولا تفرك، والله أسأل الصواب والسداد وهو ولى التوفيق.

Marfat.com

الفصل الثانى

شاعرنا بين شعراء العربية فى الهند

وفى هذا الفصل تمهيد ومجموعة التراجم للشعراء مصحوبة ببعض النماذج من شعرهم وأسمائهم كالتالى:

(١) الشيخ أحمد بن عبد القادر الكوكنى.
(٢) مولانا أصغر على الروحى.
(٣) الشريف إعجاز أحمد السهسوانى.
(٤) الشيخ حامد حسين الفيض آبادى.
(٥) الشريف حيدر على الرضوى.
(٦) الشيخ رفيع الدين الدهلوى.
(٧) سراج الهند الشيخ عبد العزيز الدهلوى.
(٨) الشيخ عبد الله الجيتكر الكوكنى.
(٩) مولانا عبد المنعم الشيتاغونغى.
(١٠) القاضى طلاء محمد البيشاورى.
(١١) مولانا فضل حق الخير آبادى.
(١٢) مولانا فيض أحمد البدايونى.
(١٣) مولانا فيض الحسن الجهلمى.
(١٤) مولانا فيض الحسن السهارنفورى.
(١٥) مولانا محمد سليم الجونفورى.
(١٦) مولانا محمد حسن الفيضى الجهلمى.
(١٧) الشريف ناصر حسين الكنوى.

Marfat.com

Marfat.com

تمهيد

لم يكن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان نبتة نادرة فى مجال الشعر العربى فى شبه القارة الهندية بل سبقه شعراء للعربية كما قد عاصره عدد منهم لا بأس به، وذلك لأن الهنود عرفوا العرب والعربية منذ قديم الزمان - كما سبق أن ذكرنا - ولكن هذه المعرفة لم تكن على المسرح الثقافى والعربى، إنما كانت على الصعيد التجارى فقط، ولم تتمكن اللغة العربية بجمالها الخلاب من قلوب شعراء الهند وذلك من قبل حملة محمد بن القاسم على السند، فلم يقدم شعراء الهند على النظم باللغة العربية، ومن المعلوم أن الهند كانت مهد العديد من الحضارات منذ أمد بعيد ولكن أرضها لم تتفتح للعربية وآدابها إلا بعد إقبال القائد الإسلامى محمد بن القاسم الثقفى على ساحل السند، وفى هذا يقول الدكتور محمد إسحاق القريشى[1]: يبدو من تقاليد شبه القارة الهندية أن سكانها شغفوا بالشعر منذ قديم العصور وذلك بحكم طبائعهم الذواقة، ومن المعلوم أن العرب أيضا ورثوا حب الشعر عن أسلافهم، وأن الشعر العربى سجل أحداثا تمت إلى حياتهم بصلة، لذلك تلتقى الطبيعة العربية والهندية فى أمر وهو حب الشعبين للشعر وانسجامهما مع نسجه وصياغته، وإن محمد بن القاسم الثقفى - أول حكام العرب على السند - كان شاعرا عربيا موهوبا، فترعرع الشعر العربى فى عصر الحكم الإسلامى العربى ونما تنمية ملموسة إلى جانب انتشار اللغة العربية، وواكب الشعر العربى اللغة العربية فى غزوهما لإحساس وقلوب الهنود لذلك أقبل أهل الهند على تذوق الشعر العربى والتحدث باللغة العربية

---

(١) بحث مستخرج من "أوج" (حولية الكلية الحكومية بشاهدرة لاهور) تحت عنوان شعر المديح النبوى الشريف فى شبه القارة الهندية، للدكتور محمد إسحاق القريشى، ج ٢، ص ٢٤٩، ٢٥٠.

Marfat.com

و إتقانها، مما غرس فى نفوسهم حب الشعر العربى، ذلك الحب الذى ساقهم فيما بعد إلى أن يقولوا شعرا باللغة العربية كقول أهل العربية أنفسهم وقد نجحوا فى صياغة الشعر العربى و إن كان شعرهم العربى صادرا عن لسان غير عربـــى، ويعـرف علماء اللغة أن التمكن من لغة غير لغة الأم حلم لا يتحقق إلا فى ظروف استثنائية، ولكننا مع ذلك نلحظ مجموعة لا بأس بها من شعراء العربية، فكـــان فيـهم مـن ارتضعوا الشعر العربى منهم المهاجرون إلى السند ومنهم القادمون مـــع الجيـش الإسلامى العربى، ولكن الشعراء السنديين أيضا قاموا بإنجازات تذكر".

هكذا بذر الفاتحون العرب بذور الشعر العربى على أرض السند وظل الحكـم الإسلامى العربى مهيمنا على الأراضى السندية لمدة خمسين ومائتى عام بدء مـن العام الثالث و التسعين الهجرى، حتى طرق محمود الغزنوى أبواب الهند فاستسـلمت الهند لهذا القائد الإنسان المتصف بالعدل و العلم و العطاء، وفى هذه الفـــترة كـانت الفارسية لغة بلاط الحكم، ولكن العربية استطاعت أن تشق طريقها، فلـــم تتوقـف مسيرة اللغة العربية و آدابها، فظلت تنمو وتزدهر فى المدارس الدينية حيـث كـان علماء الدين يقومون بتدريسها كلغة الدين الحنيف، حتى بلغت الهند ذروة الاقتصـاد فى القرن السابع الهجرى، فجذب كل من الاستقرار و الأمن المسلمين إليها من البلاد الإسلامية التى اضطربت أوضاعها أيما اضطراب زمانا للكارثة العظمى على يـد التتار، ونعنى بذلك السنة السادسة و الخمسين من هذا القرن، وكان من حسن طـالع الهند أن كان ضمن أولئكم المهاجرين بعض أبرز العلمـــاء المحققيـن فـى الأدب العربى و العلوم الإسلامية، الأمر الذى أدى إلى ازدهار العلوم الإســـلامية و الأدب العربى فى ربوع شبه القارة الهندية.

و هكذا نشأ وترعرع الشعر العربى فى شبه القارة الهندية حيث كان ومـــازال أهل الهند يحيونها ويقدسونها نظرا لصلتها القوية مع الدين، ومازال الشعر العربـى

Marfat.com

ينمو ويزدهر مع مرور الزمان حتى جاء الإنجليز وتمكنوا من شبه القارة الهندية فحاولوا إحباط ثقافة المسلمين ما استطاعوا ولكنهم لم يتمكنوا من القضاء على ثقافة المسلمين حسب رغباتهم حيث كان هناك عدد من علماء المسلمين الذين مازالوا متمسكين بدينهم وسط العواصف الإنجليزية، كما أنهم استطاعوا الحفاظ على اللغة العربية وآدابها خلال الفترة القاسية على المسلمين فكان هناك شعراء العربية فى الهند الذين نظموا بالعربية خلال فترة الاحتلال البريطانى، ولما كانت عنايتنا بدراسة شاعرنا وعصره الأدبى وجدنا أنه عاش فى عصر سمى فى الأدب العربى بالعصر الحديث، لذا رأيت أن ألقى بظلال المعرفة حول الشعراء الذين أظلهم هذا العصر وألا أكتفى بدراسة الشعراء المعاصرين للشيخ أحمد رضا خان فقط، عندئذ وجدنا أن الدراسة تحتاج من الرجوع إلى الوراء قليلا من الناحية الزمنية.

ولقد بدأ عصر الأدب العربى الحديث بالحملة الفرنسية التى شنتها فرنسا على مصر الحبيبة بقيادة نابليون فى العام الثامن والتسعين من القرن الثامن عشر الميلادى، وإذا كان الاستاذ أحمد حسن الزيات يرى(١): "أن العصر الأدبى الحديث بدأ بتولية محمد على باشا على مصر" فهو نتيجة الحملة الفرنسية وحصيلة ما جرى فى السنوات السبع الماضيات منذ العام الثامن والتسعين بعد السبعمائة والألف للميلاد إلى العام الخامس بعد الثمانمائة والألف للميلاد، وكل هذه الفترة أوجدت النزعة الوطنية فى مصر المحروسة، وقتها كانت اليقظة المصرية قد بلغت ذروتها حيث إن المصريين صمموا على تولية محمد على باشا على مصر وخلع خورشيد باشا وفرضوا إراداتهم على الباب العالى (الحكم العثمانى).

---

(١) تاريخ الأدب العربى، للأستاذ أحمد حسن زيات، (ط: مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة، دون سنة الطبع، الطبعة العشرون)، ص ٥.

Marfat.com

وفى هذه الفترة كان الإنجليز قد كشروا عن أنيابهم فى شبه القارة الهندية مع أنهم لم يكونوا وقتئذ أكثر من ضيوف وتجار، ولكنهم كانوا يعدون عدتهم للسيطرة على شبه القارة الهندية، وانقلبت الأوضاع رأسا على عقب فالأرض الهندية التى كانت قد أصبحت مهدا للغة العربية وآدابها حاول الإنجليز أن يجعلوها نافرة للعربية وادابها. ولكنهم لم يستطيعوا أن ينالوا ذلك إذ حال دون محاولتهم بعض الشعراء الهنديين حيث إنهم ظلوا متحمسين للعربية وآدابها رغم أنف الإنجليز، وكان من بين هؤلاء المحبين للعربية والمتمسكين بها شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان، فلننتقل الآن إلى ذكر بعض أولئكم الشعراء الهنديين أصحاب الدواوين الشعرية بالعربية والبارزين منهم الذين أسكنوا اللغة العربية وآدابها عقولهم وصدورهم حتى فى أيام حالكة وأوضاع متوترة وظروف قلقة جدا فى عصر الاحتلال الإنجليزى على شبه القارة الهندية وبهذا دفعوا مسيرة الشعر العربى فى الساحة الهندية إلى الأمام، وقد حاولت أن أتناول جهود هؤلاء الشعراء بدءا من العصر الأدبى الحديث، والذى يبدأ من العام التاسع والتسعين من القرن الثامن عشر الميلادى، وإننى لم أتجاوز العام الحادى والعشرين من القرن العشرين الميلادى رغم استمرار العصر الحديث حتى يومنا هذا وذلك لأنه عام وفاة شاعرنا - موضوع البحث - وإن كنت رجعت إلى الوراء قليلا فأنا أعد نفسى فى العصر الحديث أيضا. وذلك لأن العام الثامن والتسعين من القرن الثامن عشر الميلادى وهو بداية العصر الحديث، والعصر الأدبى لا يقاس بمقياس ميلاد البشر وإنما لابد لوجود عصر أدبى جديد من مقدمات تستغرق ردحا من الزمان، واستعداد فى الفكر حتى تتغير سمة العصر ويظهر العصر الأدبى إلى حيز الوجود وله سمات معينة، وإننى لم أرجع إلى العصر قبل العصر الحديث الذى هو العصر المملوكى ولازلت فى العصر الحديث وإنما رجعت إلى الوراء من الناحية الزمنية فقط محاولا تغطية العصر الحديث منذ بدايته ولكى أرى الأرض التى ولد عليها شاعرنا كيف كانت

Marfat.com

ترتبط باللغة العربية ارتباط الأم بابنها، وارتباط الإبن بأمه، ارتباط العقل بفكـــره، وارتباط المشاعر بالقلب الذى ينبض بها، إنها اللغة العربية وشعرنا العربى، وكيف كان موقفها من الشعراء الهنديين الذين كانوا يلهجون بالعربية، وأمكننى أن اصـــل إلى الكتاب عنهم واختيارهم من بين الكثيرين الذين نظموا بالعربية دون أن يـــتركوا لنا ديوانا كاملا من الشعر وإنما تركوا لنا قصائد قليلة وربما أبياتا، ولكننا اكتفينـــا بذكر أصحاب الدواوين الشعرية من شعراء العربية فى شبه القارة الهنديـــة لعـــل لبعضهم ديوانا أو أكثر، وسيكون ذكرى لهم بحسب الترتيب الأبجـــدى لأســـمائهم، وذلك لأننى وجدت أحد تاريخي الميلاد أو الوفاة، مع ضياع الآخر إلا أن لهم قدمـــا ثابتة فى الشعر العربى، ونظرا لضياع أحد التاريخين لم أستطع أن اذكـــر هـــؤلاء الشعراء بالترتيب الزمنى حسب تاريخ ميلادهم، أو نظرا لتاريخ رحيلهم إلـــى دار البقاء. وفى نهاية المطاف حاولت إبراز مكانة الشاعر - موضوع البحث - الشـــيخ أحمد رضا خان من بين أولئكم الشعراء فأقول وبالله التوفيق:

Marfat.com

الشيخ أحمد بن عبد القادر الكوكنى

الشيخ الفاضل العلامة أحمد بن عبد القادر الشافعى الكوكنى، نسبة إلى كوكن على ما قيل طائفة من قريش خرجت من أرض الحجاز خوفا من مظالم حجاج بن يوسف الثقفى فوصلت إلى ساحل بحر الهند [وبعد النظر فى الأطلس اتضح لى أن أسرة الشاعر الشيخ أحمد عبد القادر عندما انتقلت إلى الهند كان أمامها طريقان الطريق البرى وهو طويل، والطريق البحرى وهو سهل فاختارت أسرته أن تجتاز المحيط الهندى للوصول إلى الأرض الهندية البعيدة عن مظالم حجاج بن يوسف] وسكن بعض أفرادها فى مدارس وتوطن بعضهم فى كوكن وانتسبوا إليها، سماه باسمه أحد الأشراف الحضرمية الذى كان نازلا عند أبيه فى مدينة بومبائى، ولد هذا الشاعر عشية النصف من شهر شعبان من السنة الثانية والسبعين من القرن الثالث عشر الهجرى، وكان ميلاد هذا الشاعر فى نفس السنة التى ولد بها شاعرنا - موضوع البحث - الشيخ أحمد رضا خان، إلا أن الشاعر أحمد بن عبد القادر سبق شاعرنا بثلاثة أشهر وصولا إلى ظهر هذه البسيطة، فلم يكد يمضى العام الثانى والسبعون حتى شهد ميلاد الأحمدين - الشيخ أحمد رضا خان والشيخ أحمد بن عبد القادر - على وجه الدنيا.

نشأ الشيخ أحمد عبد القادر فى عفاف وطهارة، وكان من صغر سنه مشهورا بالفطنة والذكاء، مجبولا على الكرم والسخاء، قرأ القرآن الكريم والعلوم الإسلامية على علماء عصره الأجلاء، ولم يزل مشمرا عن ساعد الجد حتى فاق أقرانه - على حد قول المترجم - وبرع فى كثير من العلوم لا سيما الفنون الأدبية، وقد

Marfat.com

أصابه الدهر ورماه الزمان بوجع فى ظهره حتى صعب عليه الجلـــوس والمشـــى، ولكنه كان مع شدة مرضه هذا يلقى الناس بكل بشاشة ويراعى معهم الخلق الحسن، ويحافظ على الأوقات، وكان يقضى أكثر أوقاته فى المطالعة والتدريس والمـــداواة والنصيحة، وشهد بفضله جماعة من الأفاضل منهم السيد محمد علوى بـــن أحمـــد السقاف شيخ الأشراف بالحرم الشريف المكى وقد قال فيه: "إنه ممن يشد الرحـــال اليه، ولو لم يكن لنا قصد فى دخول الهند والخروج من مكة المكرمة سوى زيارتـــه لكفى".

وله شعر رائق، غاية فى حسن السبك وجودة الـــتركيب وطـــلاوة الألفـــاظ وجزالة المعنى، وإننى أعددته ضمن الشعراء المختارين أصحاب الدواوين الشعرية رغم عدم إشارة المترجم إلى وجود ديوان شعر له، فإننى أعتقد أن هذا الشاعر لـــم يكتف بنظم قصيدة واحدة بل إن قصيدته هذه تنبئ عن موهبة عظيمة لدى ناظمـــها ونبوغه فى صياغة الشعر العربى، الأمر الذى يؤكد وجود ديوان شعر للشيخ أحمـــد بن عبد القادر.

لقد كان الشاعر المترجم له سبق شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فى الميـــلاد إلا أن العمر لم يمتد به امتداده بشاعرنا فقد سبقه إلى الوفاة كما سبقه إلى الميـــلاد ولكن السبق هذه المرة كان عشرين عاما فقد رحل إلى رحمة ربه ليلة العشرين من شهر محرم من السنة العشرين بعد الثلاثمائة والألف للهجرة بمدينة بومبائى.

Marfat.com

ومن قصيدة نبوية له

ذكر المترجم قصيدة له قوامها سبعة عشر بيتا فى مدح سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو غرضها الأساسى، وهى ميمية من بحر البسيط مستحضرا فيها نغمة البوصيرى فى بردته، بل ذكر الشيخ أحمد بن عبد القادر الرموز التى استخدمها الإمام البوصيرى، حيث أتى بـ "ذى سلم" و"إضم" و"البان والعلم" قضاها فى الغزل اللهم إلا الأبيات الثلاث الأخيرة قالها فى الغرض الأساسى من القصيدة، وهاك بعض أبياتها:

ياشوق بلغ إلى جيران ذى سلم ... سلام صب سليم الهم والألم

من لى به وسهادى ظل يمنعه ... أو بالكرى وهو مدفوع ببينهم

لولا اضطراب القلب أو هاج البكا وصبا ... إن هب ريح جرت من رقمتى إضم

يالائمى وشراب الحب اسكرنى ... لو ذقت لذة كأس الحب لم تلم

هوى سرى فى دمى قدما فلا عجب ... إن ضن عينى بدمع وهو عين دمى

ياليت شعرى لم الخلائق أنشأنى ... أللتحسر والآلام والندم؟!

منى ذنوبى قد جمت أليس لها ... من الرسول شفيع رحمة الأمم

محمد بهجة الدارين نورهما ... سر الوجود وعن الجود والكرم[1]

---

(١) انظر: نزهة الخواطر، للسيد عبد الحى اللكنوى، ج ٨، ص ٢٢:٢٩ (ملخصا) وأرقام هذه الأبيات ١، ٤، ٧، ٨، ١١، ١٥، ١٦، ١٧.

Marfat.com

مولانا أصغر على الروحي

ولد مولانا أصغر على الروحى فى الرابع والثمانين من القرن الثالث عشر الهجرى، أى بعد ميلاد شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان باثنتى عشرة سنة، حصل التعليم الابتدائى فى موطنه غجرات، ثم وفد على مدينة لاهور حيث تلقى العلم عن كبار الأساتذة بجامعة بنجاب، وبعد التخرج فى جامعة بنجاب عين مدرسا بالكلية الشرقية التابعة للجامعة نفسها، ولم نستطع الاطلاع على عام تعيينه مدرسا بالكلية الشرقية، وإنه نصب رئيسا بقسم اللغة العربية بكلية لاهور الإسلامية اعتبارا من العام الثانى والتسعين من القرن التاسع عشر الميلادى حتى العام الواحد والعشرين من القرن العشرين الميلادى، كانت له اليد الطولى باللغتين العربية والفارسية، وكان يقرض الشعر فيهما بكل سهولة، وكان الدكتور محمد إقبال يفيد منه فى بعض الأحيان إفادة علمية .

ولما نظم المتنبئ القاديانى قصيدة عربية تحت عنوان: "القصيدة الإعجازية" متحديا بها علماء العربية تصدى مولانا أصغر على الروحى للرد عليه فنظم قصيدة عربية طبعت وقتها فى جريدة "بيسه أخبار".

ولقد ألف عدة مؤلفات قيمة منها ديوانه الفارسى المشتمل على ستة آلاف بيت، كما أن له ديوان عربى يحتوى على ثلاثة وتسعين وستمائة بيت، توفى مولانا أصغر على الروحى فى العام الثالث والسبعين من القرن الرابع عشر الهجرى

Marfat.com

الموافق للعام الرابع والخمسين من القرن العشرين الميلادى[١] اى بعد وفاة شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بثلاثة وثلاثين عاما.

شغف مولانا أصغر على الروحى بدينه وعربيته أيما شغف، تعددت أغراضه الشعرية فى ديوانه العربى واستطاعت مشاعره أن تملى عليه من الشعر ما أجاد فيه، فاقدم على نظم الغزل والمديح والرثاء والهجاء والشكوى والموعظة، كما أن له أبياتا رائعة فى شتى المناسبات، وقد قام بنظم شعر الإصلاح فنظم عشرين بيتا فى الرد على منكرى الحديث النبوى الشريف[٢] كما قام بنظم ستة وعشرين بيتا فى الرد على مبشرى النصارى[٣] ولم يفته أن يستقبل وفد الأزهر الشريف حين زار الوفد مدينة لاهور وذلك حين بعث الدكتور محمد اقبال رسالة إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ جامع الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغى شارحا فيها الوضع السائد فى الهند، وراجيا منه أن يوفد من رجال الأزهر الأفضال المؤهلين لمواجهة المبشرين المسيحيين، فأرسل فضيلته وفدا أزهريا إلى شبه القارة الهندية وزار الوفد بعض المدن الهندية الكبرى آنذاك فتشرفت أرض الهند برجال الأزهر المعمور الذين زاروا بعض البقاع وألموا بما عليه سكان الهند وما يعانونه من الاستعمار الجاسم فوق أرضهم، المكمم لأفواههم، وحاولوا الوقوف بجانبهم والتعرف على مشاكلهم وكان من بين مازاروه مدينة لاهور حيث التقى الوفد بالدكتور محمد إقبال وناقش معه الأوضاع الهندية الراهنة كما التقى مع غيره من زعماء المسلمين ومن بينهم شاعرنا مولانا أصغر على الروحى، فسره رؤيتهم ولقاؤهم مما أثار طبعه

---

(١) تذكرة أكابراهل سنت (تراجم علماء أهل السنة) لمولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى (ط: مكتبة قادرية بلاهور ١٤٠٩هـ)، ص ٦٠ : ٦٢.

(٢) ديوان الشيخ أصغر على الروحى، تحقيق الدكتور رانا ذوالفقار على، ص ٩٩، ١١٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٣ .

Marfat.com

الفياض المتدفق شعرا، وعواطفه الجياشة فراح ينظم قصيدة تلو القصيدة يرحب فيها بالوفد الأزهرى المصرى(١).

والقصيدة التى سوف أشير إليها دالية قوامها ثلاثون بيتا يستقبل فيها الشاعر وفد الأزهر الشريف، وجاء القصيدة تحت عنوان: "وقال حين ورد وفد المصريين ببلدة لاهور صانها الله عن الحور بعد الكور".

يخاطب مولانا أصغر على الروحى بقصيدته هذه أهل مدينة لاهور ويبشرهم بقدوم وفد الأزهر الشريف من مطلع بالقصيدة إلى البيت الرابع وفى البيت الرابع ينتقل إلى تاريخ مصر المجيد وفضل أهلها فى السبق إلى اعتناق الإسلام والقيام بخدمة دين الله عز وجل الممثلة فى هؤلاء المصابيح الذين يخرجهم الأزهر المعمور، وأولئك العلماء الأفذاذ الذين يتفرقون بعد ذلك فى مختلف الأقطار الإسلامية، ويبلغون رسالة ربهم على النحو الذى يرضيه سبحانه، وهو النحو الذى خرجهم الأزهر لأدائه وإبلاغه إلى سائر المسلمين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا وللأزهر الشريف أفضال قد تخلدت على وجه الزمان، وأيادى بيضاء فى خدمة أمة الإسلام التى لا يمكن تجاهلها عند الصديق والعدو على حد سواء، ثم نرى الشاعر يذكر جود الأزهر وكرمه وإقباله على أداء واجبه، ها هو يرى أنه فى وجود الوفد المصرى الأزهرى قد جاء البحر يمشى إلى العطاش رغم أن العطشان هو الذى يشق طريقه نحو المياه أو البحار، ومن البيت السابع يشرح الشاعر للوفد قضية التنصير فى شبه القارة الهندية ومارع المسلمين ودهاهم فى فلسطين من اقتحام اليهود الغاصبين تمهيدا لإقامة دولتهم التى كانوا يتطلعون إلى إقامتها آنذاك وإنها

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢، مقدمة.

Marfat.com

للأسف أقيمت، ويذكر كذلك ما يعانيه المسلمون على يد الزمان وظروفه القاسية(١).

والقصيدة التى نود أن نختار منها أبياتا كنموذج لشعر مولانا أصغر على الروحى تتكون من ثلاثين بيتا إلا أننا إختْرنا منها أحد عشر بيتا التى تشكل وحدة متكاملة كما سبق أن ذكرنا تحليلها، وهاكم الأبيات المختارة من بداية الدالية حيث يقول الشاعر(٢):

ألا ياقوم عاد اليوم عيد ... فهل لكم طريف أو تليد

نعم ونفوسنا علق نفيس ... إلا يامسلمى لاهور جودوا

لسادتنا الكرام فيالبشرى ... برؤيتهم تهللت الجدود

هم سبقو الورى حسبا ودينا ... فحسبك أن خالقنا شهيد

وكانوا عروة وثقى هداها ... مهيمننا فأعجبنا الورود

فإن البحر لا يأتى عطاشا ... فروانا وللعطشى جمود

صروف الدهر قد بلغت مداها ... فلا والله ليس لها مزيد

وقد وردت مياه القوم قدما ... غرائب نام عنها من يزود

وكنا قبل نسقى كل ظأم ... فلا غيص يخاف ولا نفود

يخوفنا مغاربة النصارى ... ثعالب فى روائهم أسود

وكنا أمس نحمى كل روع ... فعدنا اليوم راعتنا اليهود

---

(١) ديوان الشيخ أصغر على الروحى، تحقيق الدكتور رانا ذوالفقار على، ص ١٢، ١٣، بتصرف.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٠.

Marfat.com

الشريف إعجاز أحمد السهسوانى

الشيخ الفاضل الشريف إعجاز أحمد بن عبد البارى الحسينى النقوى السهسوانى، أحد العلماء الكبار، ولد فى السنة الرابعة والتسعين من القرن الثالث عشر للهجرة، وذلك بعد ميلاد شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بحوالى اثنين وعشرين عاما، قرأه الشيخ الشريف أعجاز حسين السهسوانى العلم على أبرز علماء عصره فى مختلف الفنون العلمية التى تمت إلى الإسلام بصلة، وبعد إكماله دراسة الفنون العلمية أقام بسهسوان زمانا ثم انتقل إلى قرية بسولى حيث بدأ يدرس ويمارس الطب، ثم ولى رئاسة تدريس اللغة العربية والفارسية فى مدرسة بيدايون، ثم عين نائب العميد فى كلية بفيض آباد واشتغل هناك ستا وعشرين سنة إلى أن أحيل إلى المعاش فى السنة الرابعة والستين من القرن الرابع عشر الهجرى، فانعزل بوطنه سهسوان منقطعا إلى المطالعة والتصنيف والشعر والأدب.

وكان الشيخ الشريف إعجاز حسين متضلعا فى الفنون الأدبية، بصيرا بأصنافه ومذاهبه، شاعرا مكثرا مجيدا فى اللغة الأردية على نهج الشعراء المتأخرين، وكان يقول الشعر العربى الرصين، وله مؤلفات كثيرة منها: "تسلية الفواد بترجمة بانت سعاد" وديوان شعر له بالعربية، توفى إلى رحمة ربه فى العام الثانى والثمانين من القرن الرابع عشر الهجرى فقد سبق شاعرنا فى الوفاة كما كان قد سبقه فى الميلاد.

ومما نظمه فى الحكمة قوله:

يهوى الفتى لذة الدنيا ويأملها ولا نصيب له منها سوى الألم

Marfat.com

تبا لـــــدار الفنـــاء لا بقـــاء لـــها ولا مصير لأهليها سوى العـدم

فهب من رقدة الغفلات نل فرصـــل فليس ينفع بعد الفوت من نـــدم

نلاحظ أن الشاعر يبين حقيقة الدنيا وفناءها ويستنهض المسلمين من ســـباتهم ويحثهم على العمل لتحقيق التقدم واسترداد الكرامة.

ويقول فى الغزل:

ولا أنسى سليمى يوم سـارت بها الأجمال طائعة الزمـــام

أتنسى كى تودعنى فقـــامت تعض بنانها والطرف دامـــى

وغير وجهها وشك التنـــائى وأوجع قلبها روع انصـــرام

فأومت باللحاظ حـــذار واش وفى زفراتها حق الغـرام[١]

نرى فى هذه الأبيات لونا من الغزل العذرى وبراعة الشاعر فى نظم الغـــزل حيث إنه عاش حياة علماء الدين بكل معانى العفة والطهارة، ولكنـــه بنـــاء علـــى الموهبة الشعرية التى حباها الله تعالى ومطالعته العميقة للشعر العربى والفارســـى والهندى استطاع أن ينظم شعرا عربيا فى الغزل مفعما بالعواطف، فقد رأيناه يـــذم الدنيا ويستنهض المسلمين تارة وينظم الغزل العذرى لاظهار تمكنه من ناصية اللغة العربية تارة أخرى.

---

(١) نزهة الخواطر، للسيد عبد الحى اللكنوى، ج ٨، ص ٦٠:٦٢ (ملخصا).
علماء العرب فى شبه القارة الهندية، للشيخ يونس الشيخ ابراهيم السامرائى، ص ٧٢٢، ٧٢٣.

Marfat.com

الشيخ حامد حسين الفيض آبادى

الشيخ الفاضل حامد حسين بن الحسين الحسنى الفيض آبادى، أحد علماء الشيعة الإمامية، عاصر شاعرنا - موضوع البحث - الشيخ أحمد رضا خان، فلم تكد الدنيا تعرف شاعرنا حتى عرفت المترجم له، ولكن معرفتها هذه كانت بعد ميلاد شاعرنا بخمسة عشر عاما حيث ولد الشيخ حامد حسين فى السنة السابعة والثمانين من القرن الثالث عشر الهجرى، قرأ الشاعر المترجم له على محمد قلى الشيعى اللكنتورى ولازمه منذ حداثة سنه، وهو يحبه ويلاطفه ويملى عليه مصنفاته، كما قرأ العلم على الشريف ناصر حسين أيضا، وبرع فى الأدب والتاريخ والسير، وله شعر جيد فى المديح والحماسة والنسيب(١) ذكر عنه المترجم أنه بلغ ديوان شعره خمسة عشر حرفا حتى كتابة المترجم للشاعر، ويذكر المترجم أن لحامد حسين الفيض آبادى، تخميسا طويلا على قصيدة أستاذه الشريف ناصر حسين المسماة بالبرد الملفوف.

وحامد حسين هذا من الشعراء الذين فقد تاريخ وفاتهم، فلم يذكر المترجم تاريخ وفاته، والذى يعنينا هو تلك المعاصرة التى جمعت بين الشيخ حامد حسين وشاعرنا - موضوع البحث - الشيخ أحمد رضا خان.

نلاحظ أن المترجم ذكر للشاعر أربعة وعشرين بيتا فى مدح سيدنا ومولانا على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - وبعد ذكر هذه الأبيات قال: إلى غير ذلك من الأبيات، مما يدل على أن هذه القصيدة ليست كاملة، والأبيات الثلاثة التى اختتم

---

(١) اعتقد أن المترجم كان يقصد الشعر العربى لأنه لم يذكر للشاعر شعرا فى غير اللغة العربية.

Marfat.com

بها المترجم ذكر القصيدة توضح أن الحبل لازال موصولا، والشعر لازال ينـــهمر، أذكر فيما يلى بعض الأبيات.

"ما للملاح ارى سعدى وســـلماها ردينـــها وســـعادا ثـــم ليلاهـــــا
يمشين فى حلل من سندس خضـــر زانت حليا لها فى السعر اغلاهـــا
سود الفروع كان الليـــل خمرهـــا بيض الوجوه كان الشمس غذاهـــا
شـــفاهها كيو اقيـــت يشعشـــــعها عند التبسم ضـــــوء مـــن ثناياهـــا
فليلة القدر تحكى عـــن غدائرهـــا ومطلع الفجر يبدو عن محياهـــا"(١)

---

(١) نزهة الخواطر، للشيخ عبد الحى اللكنوى، ج ٨، ص ٩٧، ٩٨.

Marfat.com

الشريف حيدر على الرضوى

لم نستطع الوقوف على تاريخ ميلاد الشريف حيدر على الرضوى، وكل ما عرفنا عنه أنه كان عالما مجتهدا من علماء الشيعة، قرأ العلم على والده وعلى المولوى تراب على السنى، ثم قرأ على علماء عصره العلوم الإسلامية والعربية، وكان المفتى محمد عباس التسترى من بين من قرأ عليهم، فقد قرأ عليه الأدب العربى، وكان الشاعر حيدر على الرضوى من أخص تلاميذه، يقول عنه المترجم: كان عاليا الكعب فى المعقول والمنقول، كما كانت له اليد الطولى فى الشعر والأدب، ومن مصنفاته ديوان شعره بالعربية [ولم يشر المترجم إلى عدد أبياته التى حواها الديوان، ولا الأغراض التى تضمها القصائد، والمدة التى استغرقت فى إعداد هذا الديوان]، وكتاب فى الإنشاء العربى، مات لعشر بقين من المحرم من السنة الثانية بعد الثلاثمائة والألف للهجرة، إذن فهو معاصر لشاعرنا الشيخ أحمد رضا خان.

ومن شعره ما كتبه إلى أستاذه المفتى محمد عباس التسترى:

اسرت بسجن البعد فى دار غربة ... به رق لى إنسان عين باكيا

اقلب جنبى فى المضاجع كربة ... بدمع سكيب احمر اللون قانيا

احس بصدرى نار وجد تاججت ... نوائرها قد كاد تحرق باليا

ولكن جرى العين كالعين فى النوى ... لاطفى ضراما او قدت بفؤاديا

وكلت إلى الله امورى جميعها ... رضيت به فليقض ما كان قاضيا

كفانى دنوى من مراحمه وإن ... ابت بقلى دهرى عن الاهل نائيا

Marfat.com

وثوق بمـــن عـــم البرايـــا نوالـــه ... ويدنو الى من قد نای عنه عاصيـا
فربی كفيلی فی رجـــائی وشـــدتی ... يجيب دعائی لا يخيـــب راجيـا
الا دمـــت للديـــن المبيـــن مؤيـــدا ... مدی يبتغی اهل الـــوداد التلاقيـا
بمن جبهم فرض علی كـــل عـــاقل ... وذكرهم الاسنی يزيـــن النواديـا
عليهم سلام الله مـــا طـــار طـــائر ... فلاذ باغصان الحدائق شـــاديا[1]

نلاحظ أن القافية لطيفة لينة وخصوصا إن آخرها الياء المتبوعة بالألف والتی تشبه ياء النداء، وهی ألطف ما يمكن أن يجری على اللسان، ومن أحلى ما نطقـــت به العرب، ويا حبذا أن تجتمع الحلاوة واللطافة فی قصيدة شعرية تبنـــــی عليـــها، ولذلك يمكننا أن نقول: إن القصيدة مبنية على الحلاوة والظـــــرف واللطافـــة فـــی النطق، ونلمس فی قصيدة الشاعر ثقة المتوكل على الله حق التوكل الطـــــامع فـــی وجهه سبحانه وعطائه طمعا غير محدود، إلى غير هذا من الأغراض.

---

(١) نزهة الخواطر، للشيخ عبد الحی اللكنوی، ج ٨، ص ١٢٩، ١٣٠.

Marfat.com

الشيخ رفيع الدين الدهلوى

"هو الشيخ الإمام، العالم الكبير رفيع الدين عبد الوهاب بن ولى الله بن عبد الرحيم العمرى الدهلوى، المحدث المتكلم، الأصولى الحجة الرحلة، فريد عصره، ونادرة دهره [كذا عبر عنه اللكنوى]، ولد بمدينة دهلى ونشأ بها، واشتغل بالعلم على صنوه عبد العزيز وقرأ عليه ولازمه مدة، وأخذ الطريقة عن الشيخ محمد عاشق بن عبيد الله، وبرع فى العلم، وأفتى ودرس وله نحو العشرين، وصنف التصانيف، وصار من أكابر العلماء فى حياة أخيه المذكور، وقام مقامه بالتدريس عندما أصيبت عيناه، فازدحم عليه الناس، وتلقى كل واحد من تلك اللطائف على قدر الاستعداد، واعترف بفضله علماء الآفاق، وسارت بمصنفاته الرفاق، وله تخميس على بعض القصائد لوالده.

توفى - رحمه الله تعالى - فى حياة صنوه الكبير عبد العزيز الدهلوى لست ليال خلون من شوال من السنة الثالثة والثلاثين بعد المائتين والألف للهجرة، بمدينة دهلى فدفن بها خارج البلدة عند أبيه وجده"، إنه أدرك من العصر الحديث إحدى وعشرين سنة تقريبا، وعليه فإن كان العمر قد امتد به أكثر من إحدى وعشرين سنة فيكون ميلاده فيما قبل بداية العصر الحديث، وغالبا يكون العمر قد امتد به، وذلك لأن هذه السن لا تسمح له غالبا بذيوع الصيت ولا بلوغ المكانة التى تجعله ذا قدم راسخة بحيث يترجم له.

Marfat.com

ومن شعره قوله:

يـــاأحمد المختـــار يـــازين الـــورى	ياخاتما للرســـل مـــا أعلاكـــا
ياكاشـــف الضـــراء مـــن مســـتنجد	يامنجيا فى الحشر من والاكـــا
هل كان غيرك فى الأنام من استوى	فوق البراق وجـــاوز الأفلاكـــا
واستمسك الـــروح الأميـــن ركابـــه	فى سيره واســـتخدم الأملاكـــا
حتـــى إذا تـــم الدنـــو تســـترت	منك الهوية فى ســـنا مو لاكـــا
فرأيتـــه جـــهرا بعينـــى نـــوره	ما كـــان إلا الله فـــى مجلاكـــا
فكســـا نـــورا مـــن أشـــعة ذاتـــه	أفنـــاك عنـــك إذا بـــه ألقاكـــا
فلك المنـــاصب والســـيادة للـــورى	وخلافة الرحمن يـــا بشـــراكا
فلقـــد أتيتـــك ســـيدى مســـتجديا	من سيلك المدرار حسن ولاكـــا
يـــاليتنى فـــزت منـــك بنظـــرة	فى بدر وجـــه نـــور الأفلاكـــا
صلـــى عليـــك الله خـــير صلاتـــه	والمالئون صدورهـــم بـــهواكا
وعلى صحابتك الكرام وآلـــك الـــ	لأطهار ما طاف السماء بحماكـا

ويقول عنه المترجم: "وله قصيدة بليغة أخرى تدل على علو كعبه فى العلـــوم الفلسفية واقتداره على العربية، عارض بها الشيخ أبى على ابن سيناء "العينية" التـــى تعرف بقصيدة الروح ومطلعها:

هبطت إليك من المحل الأرفـــع ورقاء ذات تعزز وتمنـــع

فعارضها الشيخ رفيع الدين الدهلوى بعينية مطلعها كالتالى:

Marfat.com

عجبا لشيخ فيلسوف ألمعـى خفيت بعينيه منارة مشـرع[1]

وأبياته التى قرأناها تفيض رقة وعذوبة، فهو يتحدث عن سيدنا رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعض ما بلغه عن ربه - تبارك اسمه - ويجعل هذا كلـه سبيلا لأن يطلب شفاعة رسول الله - صلى الله عليه وسـلم - والتنعـم برؤيـاه، والأبيات أراها قد خرجت من قلب يفيض بحب المصطفى - صلى الله عليه وسـلم - ومهما علقت فإن صوت الشاعر الذى سبق أن ذكرت أحلى من صوتى، والرجل فى معارضته للشيخ الرئيس دخلِ مباشرة دون أن يشير إلى تلـك الورقـاء التـى اتخذها ابن سيناء بداية لعينيته، بل دخل الشاعر متعجبـا معترفـا بألمعيـة هـذا الفيلسوف منذ أول بيت فى المعارضة.

---

(١) انظر: نزهة الخواطر، للشيخ عبد الحى اللكنوى، ج ٧، ص ١٨٦:١٨٩ ملخصا.
وانظر: علماء العرب في شبه القارة الهندية، للشيخ يونس الشيخ ابراهيم السـامرائى، ص ٥٩٥، ٥٩٦.
وانظر: الآداب العربية فى شبه القارة الهندية، للدكتور زبيد احمد، ص ٤٤٨.

Marfat.com

سراج الهند الشيخ عبد العزير الدهلوى

الشيخ الإمام، العالم الكبير العلامة المحدث عبد العزيز بن الشيخ ولى الله بن الشيخ عبد الرحيم الدهلوي، سيد علماء الهند فى زمانه وابن سيدهم، لقبه بعضهم بـ "سراج الهند" وبعضهم بـ "حجة الله".

ولد ليلة الخميس لخمس ليال بقين من رمضان فى السنة التاسعة والخمسين من القرن الثانى عشر الهجرى، حفظ القرآن وأخذ العلم عن والده حتى حصلت له ملكة راسخة فى العلوم العربية والإسلامية، ولما توفى والده إلى رحمة ربه طلب العلم على الشيخ نور الله البرهانوى، والشيخ محمد أمين الكشميرى، وأجازه الشيخ محمد عاشق بن عبيد الله، وقرأ العلم على غيرهم من العلماء الأجلاء أيضا وبالتالى أجازه العديد من علماء الدين.

وكان رحمه الله تعالى أحد نوادر الدنيا بفضله وآدابه وعلمه، وذكائه، وفهمه وسرعة حفظه، فتصدر للتدريس وعمره خمس عشرة سنة، وتخرج عليه جمع غفير من الأفاضل حتى صار علما فى الهند، وقصدته الطلبة من أغلب الأرجاء، وتهافتوا عليه تهافت الظمآن إلى الماء، إنه يعد من شيوخ شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان فى الحديث وذلك لأن شاعرنا أخذ إجازة الحديث عن مولانا آل رسول المارهروى، والذى أجازه الإمام عبد العزيز الدهلوى، ونلاحظ أن شاعرنا اتخذ شيخه هذا أستاذا فى المديح النبوى أيضا وذلك عند الاستنجاد بالحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - والتوسل به - عليه الصلاة والسلام - إلى الله - سبحانه وتعالى -.

Marfat.com

هذا وللشيخ عبد العزيز الدهلوى مؤلفات قيمة مقبولة عند العلماء محببة إليهم يتنافسون فى الانتفاع بها، ويحتجون بترجيحاته، وهو حقيق بذلك، وفى عبارته قوة وفصاحة وسلاسة تعشقها الأسماع وتلتذ بها القلوب، ولكلامه وقع فى الأذهان.

أما قدمه فى الفن الأدبى باللغة العربية فله شرح على أرجوزه الأصمعي، والذى يبدو لنا أن والده كان شاعرا عربيا وقد عرفنا ذلك من خلال ما ذكره المترجم عمن نتحدث عنه وهو الإمام عبد العزيز الدهلوى، فقد ذكر أن له تخميس على قصيدتى والده، البائية، والهمزية، وله رسائل عربية إلى العلماء والمشايخ والأدباء، وتخميس نفيس على قصيدتى والده البائية والهمزية وكنا ننتظر من المترجم أن يفصح عن عدد القصائد لهذا الشاعر وأغراضه الشعرية، فإننا نرى – فى ضوء ترجمة الشاعر وقصيدته العربية التى بين أيدينا – أن الشاعر ألف ديوان شعر عربى بالتأكيد، وذلك نظرا لعاطفته الفياضة وموهبته الشعرية.

توفى بعد صلاة الفجر يوم الأحد لسبع خلون من شوال فى السنة التاسعة والثلاثين من القرن الثالث عشر الهجرى وله ثمانون سنة [منها ما يقرب سبعة وعشرين سنة فى العصر الحديث]، وقبره بدهلى عند قبر والده خارج البلدة.

ومن شعره قوله فى مدح النبى – صلى الله عليه وسلم –:

ألا ياعاذلى دم فى ملامى ... فإنى لا أحول عن الغرام
فجفنى ساهر مادمت حيا ... وقلبى هائم والدمع هامى
فياريح الصبا عطفا ورفقا ... إلى ذاك الحمى بلغ سلامى
وقل يا أهل ودى فى هواكم ... مضى شهرى وأيامى وعامى
ومرت ببعدكم كالعود جسمى ... على نار ودمعى فى انسجام
إلام تظاهرون على كئيب ... كسير القلب صب مستهام

Marfat.com

إلام الهجر والإعـــراض عنـــى ... وحتام التمادى فـــى الخصـــام
غرامى ثـــابت غصـــن طـــرى ... وحبكم علـــى طـــرف التمـــام
نسيتم عـــــهدكم يـــا أهـــل ودى ... كأنـــا ماالتقينـــا فـــى مقـــــام
فـــإن عدتـــم لوصـــل والتئـــــام ... فـــأهلا بالعنـــــاق وباللثـــــام
وإن جرتم علـــى فلـــى غيـــاث ... بباب المصطفى خـــير الأنـــام
إليـــه توجـــهى ولـــه اســـتنادى ... وفيه مطامعى وبه اعتصـــامى
أجرنى سيدى من ضيـــم ســـقم ... أشد على مـــن وقـــع الحســـام
صبرت عليه حتى عيل صـــبرى ... وكاد يذيقنـــى طعـــم الحمـــام
فمدحك رقيتـــى وشـــفاء دائـــى ... إذا ما خضت فى لجج الســـقام
وذكرك سيدى حرزى وحصنـــى ... أتيه به على الجيـــش اللـــهام
مواهبك التـــى لا نقـــص فيـــها ... بها ربيت مـــن قبـــل الفطـــام
فمن لى بعد ما وهنت عظـــامى ... إذا اشتد البلاء سواك حـــامى
وإن أك ظالما عظمـــت ذنوبـــى ... فحبك سيدى مـــاحى الظـــلام
فقد اعطيت ما لـــم يعـــط خلـــق ... عليك صلاة ربك بالســـلام[1]

بعد قراءة هذه القصيدة لا يفوتنى أن أقف أمامها اعترافا منى بقدرها الأدبـــى ومكانتها من نفس القارئ الذى يحاول أن يتذوق بعض المعنى، القصيدة هذه عبـــارة عن عشرين بيتا ولقد احتل الغزل أحد عشر بيتا من القصيدة، وبالطبع فى أولـــــها، ومن الأدب الذى يتناسب مع الغرض الرئيسى وهو المديح النبوى الشريف أن يكون

---

(١) نزهة الخواطر، للشريف عبد الحى اللكنوى، ج ٧، ص ٢٧٤ : ٢٨٣.
وانظر: علماء العرب فى شبه القارة الهندية، للشيخ يونس الشيخ ابراهيم الســـامرائى، ص ٦١٩، ٦٢٠.

Marfat.com

الغزل الذى بدأت به القصيدة غزلا عذريا وقد سلك الشاعر الشيخ عبد العزيز الدهلوى هذا المسلك، بلغ الغزل أحد عشر بيتا ولكنه ليس معنى هذا أن وقفته الغزلية كانت فضلا عن البيت الحادى عشر الذى كان بيت انتقال من الغزل إلى الغرض الرئيسى، فضلا عن أننى أشتم من قوله فى الشطرة الثانية من البيت الثالث أنه يتمسك بباب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ويقف أمامه وهو يتحدث عن أحبابه وما كان من هجرهم وإعراضهم إلا أنه يقول: أنا أقف على الحمى الذى أبلغ سلامى، ولا يبعث السلام هكذا إلا إذا كان للنبى - صلى الله عليه وسلم - ولو استطاعت الضرورة الشعرية أن تلهيه عن أحبابه قليلا لكان قد بلغ الصلاة مع السلام، وعليه فوقفته مع المديح أطول وأغزر وأعطر فيما يفوح منها من ريح طيبة لا يتنسهما إلا من وقف أمام باب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - يمدح ويرسل شعره معبرا عما يدور فى نفسه ومكنون خاطره تجاه المقام الأسمى - صلى الله عليه وسلم -، إن الغزل أكثر من المديح فى عدد الأبيات ولكن المديح أكثر من الغزل فى المعانى التى تدفقت بها، وفى وزن هذه المعانى فى ميزان النقد والتذوق بهذه القصيدة، ولا نبعد كثيرا فأمامنا قصيدة مشهورة وهى قصيدة سيدنا كعب بن زهير نعرف غرضها وهو مدح سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته إعلانا لتوبة الشاعر على النحو الذى يعرفه كل من قرأ هذه القصيدة، وهذا الغرض لم يسلك إليه إلا فى البيت الرابع والثلاثين بينما القصيدة ثمانية وخمسون بيتا، ومع ذلك نقول: إن قصيدة كعب بن زهير تتمثل فى الغرض الرئيسى لها وهو مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابته، ولذلك لم يؤثر فيه الحب شيئا، فإن هذا القدر من الغزل لم يبلغ من نفسه وفكره وعاطفته قدر ما بلغ المديح لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن البيت الثانى عشر انتقل الشاعر دفعة واحدة من الغزل إلى الغرض الأساسى للقصيدة وذلك بعد ما كان الشاعر غارقا فى الحب والهيام والشوق والغرام فأقدم على الاستغاثة بباب الحبيب

Marfat.com

المصطفى – صلى الله عليه وسلم – وإذا كانت الاستغاثة بالباب فكيف به مع صاحب الباب – صلى الله عليه وسلم – وإذا كان هذا الانتقال بشكل مفاجئ فإنه مع ذلك ليس بمثير للملل، بل جعل الشاعر انتقاله هذا مستصاغا لأنه تحدث عن حبه ثم انتقل إلى سيدنا النبى – صلى الله عليه وسلم – لكى يشكو له ما يعانيه المسلمون فى الهند، وحينئذ يكون هذا المديح صريحا من ناحية ومن ناحية أخرى يكون لونا من ألوان الاستنجاد برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد تحدثنا عن هذا اللون فى المبحث الأول من الفصل الأول للباب الثانى، وبهذا أقدم الشاعر على الغرض الرئيسى وهو مدح سيدنا وحبيبنا المصطفى – صلى الله عليه وسلم –.

Marfat.com

الشيخ عبد الله الجيتكر الكوكنى

الشيخ الفاضل عبد الله بن المفتى عبد القادر الجيتكر الشافعى الكوكنى، نسبة إلى كوكن، يقال فيه ما قلت فى الشيخ أحمد بن عبد القادر الكوكنى، والشاعر المترجم له ولد ونشأ بمعمورة بومبائى وقرأ العلم على صنوه الكبير الشيخ أحمد وعلى غيره من العلماء، وأسس دارَ الطباعة ببلدته لنشر الكتب العربية، وكان من أجواد الناس مشهورا فى الذكاء له قصائد غراء بالعربية، مات ببلدة بومبائى فى العام الخامس والعشرين من القرن الرابع عشر الهجرى وقتها كان شاعرنا فى الخامسة والخمسين من عمره تقريبا، ولم نستطع أن نعرف مدى معاصرتهما وذلك نظرا لعدم استطاعتى على الاطلاع على عام ولادة الشيخ عبد الله(١).

لم يصرح كاتب ترجمة الشيخ عبد الله بالديوان الشعرى له ولكنه قال بعد إيراد أربعة نماذج من قصائده: "وله غير ذلك من القصائد" كما قال فيما سبق: "له قصائد غراء بالعربية، الأمر الذى يدل على وجود ديوان شعر للشيخ عبد الله مطبوعا أو مخطوطا وبعد مطالعتى أبيات هذا الشاعر رأيت مرة أخرى لعله صاحب ديوان شعر عربى له، لذا رأيت من المناسب ذكره من بين الشعراء أصحاب دواوين الشعر العربى فى الهند فى العصر الحديث، ومما أحب أن أذكره قصيدة الشيخ عبد الله اللامية وهى كالآتى.

---

(١) نزهة الخواطر، للشيخ عبد الحى اللكنوى، ج ٧، ص ٢٩١.

Marfat.com

قوله فى استنهاض قومه

دع ذكر ربـــات الكليـــل وذر الصبابة والغـــزل
القلـــب مشـــغول فمـــا للعشق فيه مـــن محـــل
ياللرجـــال ألـــم تـــروا مـــاذا بقومكـــم نـــزل
هـــل عـــدة مـــع عـــدة نرجو بها دفـــع الحلـــل
قد عمنـــا الـــداء العضـــا ل من البطالة والكســـل
داء أخـــل بعقلنـــا والجسم منه قد اضمحـل

داء بـــه فســـد المـــزاج وفى الطباع بدا الخلـــل
داء لقـــد ســـلب القـــوى عنا وعـــوض بالشـــلل
داء تعطـــل منـــه إحســـا ساتنا والخطـــب جـــل
خطـــب أبـــاد جموعنـــا حتى وصفنـــا بالفشـــل
خطب لهول وقوعه الوالـــ دان والســـهم اشـــتغل
خطـــب تزلزلـــت الأرا ضى منه واندك القلـــل
خطـــب أقـــام قيامـــة قبل القيامة منـــذ حـــل
وارحمتـــاه لحالنـــا إذ نجـــم عزتنـــا أفـــل
واخيبتـــاه لقـــد أحـــا ط من الـــذل والظلـــل
ياللحميـــة. اســـعدى فتسددى فينـــا الوصـــل
هـــل تســـتقيم شـــؤوننا والحبل منـــا منفصـــل
قد زال شـــمس نـــهارنا فى غفلة وبـــدا الطفـــل
فـــالآن إن لـــم ننتبـــه هل بعد فينا مـــن أمـــل

Marfat.com

لله يـــا قـــوم اتركـــــوا كل التشـــاجر والجـــدل
مـــاذا التجـــاهل والتغـــا فل والتساهل والمطـــل
بتعصـــب منكـــم لقـــد ضـــاقت جـــل الحيـــل
أدى تأخركم عـــن الـــ أقران فى شـــر الغيـــل
ما عندكـــم غـــير اللســـا ن وليس يتبعـــه عمـــل
إن الكـــلام بغـــير شـــغل كالبكاء على الطلـــل[١]

هذه قصيدة تفوح اجتماعيات، معانيها سلسة وطعمها لطيف فى ســـمع مـــن يقرأها، ولكنها فى الحقيقة وطنية ترتدى عباءة اجتماعية، ولعل الشاعر يتقن هـــذا الكلام ويريد أن يقدم بهدوء كل ما يريد، ونلاحظ أن القصيدة تخلو من التصريـــع وهو مزاج عربى يغلب على الشعر فى مختلف العصور على أن. الناظر فـــى أول القصيدة ربما يأخذ برأى بأن القصيدة لم يحذف منها شئ، والشاعر يستنهض قومـــه من نومهم كما حاول البارودى فى بعض شعره استنهاض أهل مصر وقيامهم للدفاع عن أنفسهم، وصد وإبعاد الآراء التى تدعوا إلـــى الجنـــوع والهزيمـــة، وإن كـــان البارودى يتسم فى استنهاضه هذا بالوطنية غير المستترة.

---

(١) نزهة الخواطر، للسيد عبد الحى اللكنوى، ج ٧، ص ٢٩٢، ٢٩٣.

Marfat.com

مولانا عبد المنعم الشيتاغونغى

الشيخ الفاضل مولانا عبد المنعم الشيتاغونغى أحد العلماء المبرزين فى الفنون الأدبية، قرأ العلم على أساتذة المدرسة العالية بمدينة كلكته وبعد التخرج فيها قام بالتدريس فى مدرسة داكه [عاصمة بنجلاديش حاليا] وبالتالى فى شيتاغونغ، ثم عين ناظر المدرسة المحسنية بداكة، مات فى السنة الثالثة والثلاثين من القرن الرابع عشر الهجرى، أى قبل وفاة شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بحوالى سبعة أعوام، كان المترجم له فاضلا كبيرا ذا براعة فائقة فى النحو واللغة والمعانى والبيان والعروض والشعر، له "تصويب البيان فى شرح الديوان" وهو شرح لديوان المتنبئ، وله ديوان الشعر العربى وبعض رسائل فى الأخلاق بالفارسية، وقد ذكر له المترجم بثلاثة عشر بيتا فى مدح عبيد الله وإن كان لم يبين من هو هذا الممدوح، أما فى المديح النبوى الشريف فقد ذكر له أبياتا ستا وهى كالتالى.

فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

إليك رسول الله أهدى ثنائيا ... وأبغى به قربا وإن كنت نائيا

أقرب نفسى من جنابك سيدى ... عسى أن أرى روحا على البعد دانيا

عسى تكشف البلوى كم بك فرجت ... غوائل إذ نوديت أدرك غياثيا

أؤمل منك العطف عطف عواطف ... وإن كنت عما يجلب العطف قاصيا

فإنك شمس يستضاء بنورها ... وما كل شئ يقيس الضوء صافيا

Marfat.com

أتيتك أرجو مـــن نوالــك رشـــحة وما خاب مستسق أتى البحر صاديـا[1]

نلاحظ الحكمة اللطيفة فى البيت الأخير، كما نلاحظ أنه ضمن بيته الخـــامس كلام كعب بن زهير - رضى الله عنه - فى قصيدته بانت سعاد، وهو قوله مخاطبا الرسول - صلى الله عليه وسلم - "إن الرسول لنور يستضاء به" ومن هذه الأبيـات يبدو أمل الشاعر فى أن ينال فضل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعتقد مـن نحو الشفاعة يوم القيامة، وغير ذلك أو الانتفاع بما جاء به النبى - صلى الله عليـه وسلم - فى الدنيا، وما أكثر فضل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لو حاولنـــا أن ننهل من معينه.

---

(١) نزهة الخواطر، للسيد عبد الحى اللكنوى، ج ٨، ص ٣١٢، ٣١٣.

Marfat.com

القاضى طلاء محمد البيشاورى

الشيخ العالم الكبير القاضى طلاء محمد بن القاضى محمد حسن الأفغانى البيشاورى، أحد العلماء المشهورين وصفه المترجم بأنه: لم يكن مثله فى زمانه فى معرفة الفنون الأدبية، نشأ وترعرع فى بيت العلم والمشيخة، تأدب فى دروبه وتفقه، ثم أخذ الحديث عن الشريف نذير حسين الدهلوى، المحدث المشهور، ولازم الشيخ صالح عبد الله بن محمد أعظم الغزنوى، وأفاد منه، له "نشر الطرب فى أشواق العرب" مجموع لطيف وواضح أنها مجموعة شعرية لطيفة، وله قصائد غراء فى نصر السنة ومدح أهلها، توفى إلى رحمة الله تعالى بمكة المكرمة فى السنة العاشرة بعد الثلاثمائة والألف للهجرة فدفن بالمعلاة، إذن هو معاصر لشاعرنا الشيخ أحمد رضا خان، فقد كان شاعرنا - موضوع البحث - ابن ثمانية وعشرين سنة تقريبا عند وفاة الشاعر الذى نحن بصدد الحديث عنه.

ومما نظمه فى المناجاة قوله

يارب ياسيدى يامنتهى أملى ... مالى سواك لكشف الضر والضرر

ياربنا ارحم على فقرى ومسكنى ... هب لى ذنوبى وباعدنى عن السقر

يارب أكرم على عبد سهى وأسى ... فى الذنب منغمس فى الإثم منغمر

فكم سهى فى مشيب العمر واجبه ... وكم أسى فى شباب غير معتكر

أنت الغنى فلا يخشى احتياجك فى ... شئ وأنت الغنى عنى وعن وزرى

لا تتكرن بنا الدنيا بعونك يا ... منجى الغريق عن الدمار ذى الخطر

Marfat.com

ياخالق الخلق مالى من ألـــوذ بـــه	بغير فضلك عنـــد الحـــادث الغـــبر
ياسيدى ياإلـــه العـــرش يـــاأملى	ياغيـــاثى وياكـــــهفى ومدخـــــرى
سبحان ربك رب العز عز وجـــل	عما يقول أولو الأهـــواء والنكـــر[1]

نلاحظ أن الشاعر عدى الفعل "ارحم" و"أكرم" بحـــرف الجـــر وكلاهمـــا لا يحتاجان إلى حرف الجر للتعدى إلى نصب المفعول به، وعليه فهنا حـــرف الجـــر زائد ولا داعى له وهذا عيب لا مبرر له، ونلاحظ كذلك عيبا فى كلمـــة "منغمـــر" بكسر الواء فإن موقعها فى الجملة يحتمْ عليها الرفع، ولما كانت بالكسر كان ذلـــك خروجا عما يلزمها الإعراب، وقد يعزى كسرها إلى ضرورة الشعر تجنبا الإقـــواء ولكننى لا أستصيغ تلك الضرورة التى تدخل الكسرة على المبتدأ والتى يتعدى منـــها الفعل بحرف الجر بينما لا يحتاج إليه، والأولى أن يبرأ شعر ذو الضـــرورة مـــن ضروراتهم شأنهم فى ذلك شأن العرب الذين لم يحتاجوا إلى الضرورة، وإن كنـــت أرى أن حرف الجر (على) الذى أتى به فى البيتين الثانى والثالث للتعدى إنما قـــد أتى به على سبيل الخطأ الذى يقع فيه بعض غير العرب حيـــن يريـــدون الكتابـــة النثرية أو الصياغة الشعرية.

على كل شاعرنا هذا من الشعراء الذين أضافوا إلى المكتبة العربيـــة ديـــوان شعر عربى والذى استطعت أن أشم وأتذوق عبير أزهاره وهاكم بعض البيانات عن ديوانه العربى، يبلغ مجموع ديوان الشاعر القاضى طلاء محمد البيشاورى العربـــى تسعة بعد السبعمائة والألف بيت ينتقل فيها الشاعر من غرض لآخر، وإنه تتـــاول الأغراض الشعرية المختلفة فأجاد وأبدع.

---

(١) نزهة الخواطر، للسيد عبد الحى اللكنوى، ج ٨، ص ١٩٩ : ٢٠٢.

Marfat.com

ويحدثنا الأستاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر عن الأغراض الشعرية التى نظم بها مولانا طلاء محمد البيشاورى قائلا[١]: أما الموضوعات الشعرية التى تناولها البيشاورى وافتتن بها فعلى رأسها وصف النساء والتشبيب بهن والمديح والرثاء والحكمة والوعظ والزهد والتصوف وشعر المناسبات المختلفة وتقاريظ بعض الكتب المؤلفة فى عصره ولاسيما إذا كانت عن الحديث والمحدثين، وتفسير القرآن، والسيرة العطرة، والأخلاق النبوية الشريفة وما إلى ذلك من الموضوعات، ولن نكون من المبالغين إذا قلنا بأن أبرز الموضوعات الشعرية وألذها وأحلاها عند القاضى البيشاورى هو الغزل والتشبيب ووصف المرأة، وقد كثر ذلك فى شعره القليل حتى أنه لا يكاد يضيع فرصة متاحة لذلك، حتى تراه يدعى التفقه فى باب العشق والبراعة فى فنون الصبابة والغرام، وحتى أنه لا يريد شيئا من دنيانا الفانية هذه غير الحب العفيف والعشق البرئ والأعين السود، والثغور الضواحك للنسوة الحسان الفاتنات".

---

(١) مجلة المجمع العربى الباكستانى، العدد الخامس من المجلد الثانى، ص ٢١, ٢٢.

Marfat.com

مولانا فضل الحق الخير آبادى

هو العلامة الكبير مولانا فضل الحق بن مولانا فضل الإمام العمرى الفاروقى القريشى الحنفى الجشتى الخير آبادى، ولد فى العام الثانى عشر من القرن الثالث عشر الهجرى، [يعنى بداية العصر الحديث] تلقى تعليمه الابتدائى من والده، ثم وجهه والده إلى الشيخ عبد العزيز الدهلوى، والشيخ عبد القادر الدهلوى، أكمل مولانا فضل الحق الخير آبادى دراسته وهو لم يتجاوز الثالثة عشر من عمره، ثم أخذ الطريقة الجشتية من الشيخ دهومن الدهلوى، وبعد إكماله دراسة العلوم السائدة آنذاك تصدى للتدريس والافتاء(١).

وإنه قام بدور ملموس وفعال فى الثورة الهندية فى دهلى وفى هذا يقول الدكتور عبد المنعم النمر(٢): "وهو الذى خاض غمار الثورة الهندية فى دهلى وتزعم العلماء وأصدر الفتاوى، وخطب وحض على الثورة فى كل مكان، ولما انتصر الإنجليز على الثوار اعتقلوه ونفوه إلى جزائر إندومان فى خليج البنغال حيث توفى هناك". وكان ذلك فى العام الثامن والخمسين من القرن الثالث عشر الهجرى، الموافق للعام الحادى والستين من القرن التاسع عشر الميلادى"(٣).

---

(١) الأداب العربية فى شبه القارة الهندية، للدكتور زبيد أحمد، ص ٤٤٩.
وانظر: العلامة فضل حق الخير آبادى مع تحقيق كتابه الثورة الهندية، للدكتور قمر النساء (ط: المكتبة القادرية بلاهور ١٤٠٦هـ)، ص ٣١، ٤٩.
وانظر: تذكرة علماء أهل سنت (ذكر علماء أهل السنة) لمولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى. (ط: مكتبة قادرية لاهور ١٤٠٩هـ)، ص ٢١٠، ٢١١.

(٢) تاريخ الإسلام فى الهند، للدكتور عبد المنعم النمر، ص ٤٠٢.

(٣) نزهة الخواطر، للشيخ عبد الحى الحسينى اللكنوى، ج ٧، ص ٣٨٦.

Marfat.com

ويحدثنا الشيخ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى عن المكانة العلمية التى كان يتمتع بها مولانا فضل الحق الخير آبادى فيقول(١): "إنه كان آية فى الفهم والذكاء حتى صار حجة فى جميع العلوم والفنون، حاويا لنوادر الآداب العربية، فصيحا بليغا بين علماء الهند فى اللغة العربية، وصنف عدة مؤلفات ... وقد نظم أكثر من أربعة آلاف بيت من الشعر العربى معظمها فى مدح النبى- صلى الله عليه وسلم-".

كان مولانا فضل الحق الخير آبادى من أتباع الطريقة الجشتية - كما سبق أن ذكرنا - لذا كان إقدامه وتركيزه على المديح النبوى الشريف أكثر، ولكنه مع هذا تطرق للأغراض الشعرية الأخرى من الغزل، والخمريات، والوصف، والعتاب(٢)، وإن موهبة مولانا فضل الحق الخير آبادى لم تتجمد خلال النفى على الرغم من كل ما كان يعانيه من التعذيب النفسى والتنكيل خلال أيام النفى، فإنه تحدث عن الثورة الهندية حديثا صادقا مفعما بالحيوية ورقة العبارة، ولطافة الأسلوب، وكان كل ذلك باللغة العربية نظما ونثرا ثم ما أصابه فى منفاه، وقد امتاز أسلوبه بالسجع والتركيز(٣) لذا تصدت الدكتور قمر النساء لدراسة هذا الكتاب تحت عنوان: العلامة فضل حق الخير آبادى حياته ومآثره مع تحقيق كتابه الثورة الهندية وذلك لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة العثمانية بحيدر آباد الدكن.

لقد ذكر الأستاذ عبد الشاهد الشروانى(٤): "أن العلامة فضل الحق الخير آبادى كان يعرض أبياته العربية على الإمام عبد العزيز الدهلوى، بغرض الإصلاح".

---

(١) علماء العربية فى شبه القارة الهندية، للشيخ يونس الشيخ ابراهيم السامرائى، ص ٦٦٠.
(٢) انظر: العلامة فضل حق الخيرآبادى، للدكتور قمر النساء، ص ١٩١ : ٢٤٧.
(٣) تاريخ الإسلام فى الهند، للدكتور عبد المنعم النمر، ص ٤٠٢.
(٤) باغى هندوستان (الثورة الهندية) تأليف العلامة فضل حق الخيرآبادى، ترجمه إلى الأردية وقدم له وعلق عليه الأستاذ عبد الشاهد الشروانى (ط: الممتاز ببلى كيشنز، لاهور ١٤١٨هـ)، ص ٩٥.

Marfat.com

لم يجمع شعر هذا المجاهد فى ديوان حتى اليوم وقد أحصيت شعره المتفـرق فوجدته يتمثل فى سبعة وثلاثين وثمانمائة بيت، ومن جيد قوله الذى أعجبت به مـا ذكره الشريف عبد الحى اللكنوى(١):

"فؤادى هائم والجمـع هـامى ... وسهدى دائم والجفـن دامـى
وقلب ما فتى يجـوى ولـوع ... ولوع فى اضطراب واضطـرام
وجمع بل دم صرف جرى مـن ... نيـاطى سـاجما اى انسـجام
وطرف ارمـد يؤذيـه غمـد ... وليل سـرمد سـاجى الظـلام
طويـل لا يقـاس بـه ظـلام ... فسـاعته كشـهر بـل كعـام
حمامى حاضر والوجـد بـاد ... وجسمى ذابل والشوق نـامى"

وإننى أرى أن شعره العربى مفعم بالعاطفة القوية، ومتصف بظرف التركيب وروعة الخيال لعله يستلفت نظرة أى باحث.

---

(١) نزهة الخواطر، للشريف عبد الحى اللكنوى، ج ٧، ص ٣٨٦.

Marfat.com

مولانا فيض أحمد البدايونى

هو الشيخ الفاضل فيض أحمد بن الحافظ غـــلام أحمـــد العثمـــانى الأمـــوى البدايونى، أحد الفضلاء المشهورين فى عصره، ولد فى الثالث والعشرين من القرن الثالث عشر الهجرى الموافق للعام الثامن من القرن التاسع عشر الميلادى بمدينـــة بدايون، أكمل تعليمه على يد خاله مولانا فضل الرسول البدايونى، كما أخذ الطريقة من جده لأمه مولانا عبد المجيد البدايونى، وكان يتمتع بالذوق اللطيف فى الشـــعر، فقد تصدى للنظم بالعربية والفارسية والأردية، يتسم شعره باللغات الثلاث بجمـــال الفصاحة، وطابع البلاغة، وكان له ديوان شعر بالعربية، توفى إلى رحمة الله تعالى فى العام الرابع والسبعين من القرن الثالث عشر الهجرى أى بعد ميـــلاد شـــاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بحوالى سنتين، ولم يذكر له الدكتور زبيد أحمد شعرا إنمـــا وجدت قصيدته المكونة من خمسة وعشرين بيتا فى نزهة الخواطر وكنـــا نـــود أن نطلع على بقية الديوان، ولم يعرض أحد لديوانه العربى ولا لعدد قصائده ولا لعـــدد أبياته رغم إطلاعى على أكثر من مرجع، وهاك بعض الأبيات انتقيتها بمشاعرى.

قال فى مدح الشيخ عبد القادر الجيلانى(١)

لا يفزعنـــك انـــــواء وســـــاعات ولا يـــــهمك ايـــــام وليـــــلات

ولا تظـــن لنجـــم ســـعدا او نحســـا فإنـــها لوجـــود الحـــق ايـــــات

---

(١) انظر: الآداب العربية فى شبه القارة الهندية، للدكتور زبيد احمد، ص
وانظر: علماء العرب فى شبه القارة الهندية، للشيخ يونس الشيخ ابراهيم السامرائى، ص ٦٦٥
وانظر: نزهة الخواطر، للشيخ عبد الحى اللكنوى، ج ٧، ص ٣٨٩ : ٣٩١.
وانظر: تذكره علماء أهل سنت، لمولانا محمود أحمد القادرى، ص ٢١١، ٢١٢.

Marfat.com

ولا تعلق بـــهجو الدهـــر والشـــهر فإنمـــا هـــى اوقـــات وانـــــات
تبـــارك الله لا ســـكر ولا صحـــــو فياله من كئوس الوصل نشـــوات
راى الإله بعيـــن الحـــق موجـــودا وليس طورا ولا شرط ولا ميقـات
ملـــك الســـماوات اجـــرام منـــورة يحملن انواره فـــهى الزجاجـــات
وليس غـــيرك موجـــودا ومشـــهودا فكيف انفى ونفسى الغير إثبـــات
متى ولـــدت بـــارض الله يـــاغوثى تريد ان تلثم الارض الســـماوات
ومن راك راى المختار من مضـــر ولا هنـــاك مـــراى ولا مـــرات
وكان فى مجلس التذكير شمس هـدى وحولـــه اوليـــاء الله هـــالات
كلامـــه ام شـــذى مســـك وكـــافور انفساه ام مـــن الاعجـــان نفثـــات
عليه مـــن ربـــه لطـــف ومغفـــرة إليـــه منـــى تحيـــات زكيـــات

Marfat.com

مولانا فيض الحسن الجهلمى

ولد هذا الشاعر فى السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى من القرن الثالث عشر الهجرى، الموافق للعام الثالث والثمانين من القرن التاسع عشر الميلادى بمحافظة جهلم الواقعة فى باكستان حاليا، وكان ذلك قبل ميلاد الشيخ أحمد رضا خان - موضوع البحث - بما يقارب ثمانية وعشرين سنة.

تلقى مولانا فيض الحسن الجهلمى العلوم الإسلامية والعربية عن والده الفاضل مولانا أبو الفيض محمد حسن الفيضى الجهلمى، فقد نشأ وتربى على حب اللغة العربية وآدابها، وفى العام الخامس والعشرين اجتاز امتحان المولوى فاضل وخرج ناجحا منه بجامعة بنجاب [وأعتقد أن هذه المرحلة تعادل السنتين الأخيرتين من المرحلة الثانوية بالأزهر الشريف، وهذه الأيام أصبح ليس عليه الطلب] وبعد التخرج فى جامعة بنجاب أخذ الشاعر المترجم له يدرس العلوم الإسلامية والعربية بالجامعة النعمانية (الأهلية) بمدينة لاهور لفترة لا بأس بها.

كان مولانا فيض الحسن الجهلمى مثل والده مولانا محمد حسن الفيضى الجهلمى أديبا فريدا ذا براعة فائقة فى الأدب العربى وشاعرا متمكنا من نظم الشعر باللغة العربية، وكان قد اتخذ كلمة "الفيض" لقبا شعريا له واستخدمه فى الشطرة الأولى من البيت الأخير لكل قصيدة من قصائده كما اعتاد بذلك شعراء شبه القارة الهندية حتى يومنا هذا، ويمكننا أن نستنتج أنه ألف ديوان شعر بالعربية وإن لم يصرح به كاتب الترجمة ويرجع ذلك عند مطالعتى للقصيدتين اللتين إستطعت

Marfat.com

دراستهما، أولهما فى مدح الشيخ الشريف مهر على شاه الكولروى فى عشرين بيتا، وثانيهما فى مدح الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمـــان، وقـــد إكتفيـــت بذكـــر ثـــانى القصيدتين تجنبا الإطناب وهاكم مدح الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان.

كيف أثنيه جل مـــن ثنـــاء ... مل فى وصفه حجـــى العلمـــاء

جل عما نقول فيه كما جـــل ... بأوصافـــه عـــــن النظـــــراء

إمامنا بل إمام كـــــل إمـــام ... وركن قصر الشـــريعة الغـــراء

حياة دين أبو حنيفة حـــــيز ... المكرمـــات وســـند الأصفيـــاء

كان والله روضة الدين فـــى ... الغبراء أغصانه على الحضـــراء

قمر الفلك آفل كـــــل يـــوم ... ولذاك الســـكون وســـط ســـماء

له به آفة إطحـــــاق وإن لا ... يبصر الفضـــــل مقلـــة عميـــاء

تمم النظم أيها الفيض واســـتغفر

لما قـــد جنيـــت مـــن أخطـــاء

توفى الشاعر المترجم له إلى رحمة الله تعالى فى السابع والأربعين من القرن الرابع عشر الهجرى الموافق الثامن والعشرين من القرن العشرين الميلادى، ويعنى ذلك أنه مات بعد وفاة شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان بسبع سنوات(١).

---

(١) انظر: تذكره أكابر اهل سنت، لمولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى، ص ٣٩٣ : ٣٩٧.

Marfat.com

مولانا فيض الحسن السهارنفورى

ولد مولانا فيض الحسن بن مولانا على بخـــش القرشـــى الحنفـــى بمدينـــة سهارنفور فى العام الثانى والثلاثين من القرن الثانى عشر الهجرى الموافق للعـــام السادس عشر من القرن التاسع عشر الميلادى، وكان ميلاده فى أســـرة متحمســـة للدين الحنيف متوسطة الحال من أسر الفلاحين الممتلكين للأراضى الخصبة فى تلك المنطقة، وقد نشأ مولانا فيض الحسن كأبناء بلده من المسلمين فى جو دينى وفـــى بيئة صالحة بسيطة من القرويين، فقد كان أبوه مولانا الحافظ على بخش من كبـــار العلماء الأفاضل فى بلده فى ذلك الوقت، وكان من المتخصصين فى العلوم الدينيـة، كما أنه كان يجيد اللغتين الفارسية والعربية إلى جانب اللغة المحلية الأردية، فبـــدأ شاعرنا مولانا فيض الحسن يقرأ العلوم الابتدائية المتداولة على يد والده فأدب الوالد ابنه وأحسن تأديبه، ورباه فغرس فى قلبه حب الدراسة والاستطلاع والرغبة الشديدة الملحة فى اللغة العربية وآدابها مما مهد له السبيل ليحتل مكانة ممتازة بين أعـــلام الآداب العربية فى شبه القارة الهندية(١).

وكان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما، لم يكن فى عصره أعلم منـــه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها(٢).

---

(١) ديوان الفيض، لمولانا فيض الحسن السهارنفورى / شرحه وحقق غوامضه وقـدم لـــه الدكتـــور ظهور أحمد أظهر (ط: المجمع العربى الباكستانى بلاهور ١٤١٦هـــ)، ص ٣١.

(٢) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للسيد عبد الحى الحسنى اللكنوى، ج ٧، ص ١٠٣.

Marfat.com

وفى بداية العام السبعين بعد الثمانمائة والألف كانت الكلية الشرقية بلاهور قد أنشأت على يد عميدها المؤسس الدكتور لايتنر المستشرق المجرى، وكان هذا المستشرق مولعا باللغات الشرقية وآدابها، كما أنه كان يكرم أهلها ويقدر علماءها، وكانت أنظاره تتجه دائما إلى المراكز الثقافية وتبحث عن العلماء الأعلام فى أقصى نواحى البلاد فلفت نظره الشيخ فيض الحسن فوجه الدعوة إليه ليقوم بتنظيم القسم العربى للكلية ويرأس أعماله الإدارية إلى جانب الإشراف على البحث والتحقيق فى اللغات الشرقية وخاصة بالعربية منها ... ولم يلبث الشيخ فيض الحسن أن يتسلم عمله بالكلية الشرقية بلاهور ويبدأ التدريس بها حتى أسرع طلاب اللغة العربية يأتون إليه من كل ناحية وصوب ويقبلون عليه إقبالا كبيرا ويستفيدون من معارفه الجمة، وكان يدرس فى نفس الوقت بالكليتين بلاهور أى الكلية الشرقية والكلية الحكومية التى يقع مبناها بجوار مبنى الكلية الشرقية والتى هى أقدم الكليات وأكبرها واشهرها فى مدينة لاهور(١).

إن له مصنفات جليلة ممتعة، منها حاشية على التفسير البيضاوى، وحاشية على ديوان الحماسة، وشرح بسيط على المعلقات السبع، ومصنف جليل فى الأنساب وأيام العرب، والتحفة الصديقية رسالة فى شرح حديث أم زرع، وديوان شعر يشتمل على قصائد عربية غراء، توفى شاعرنا هذا فى الرابع من القرن الرابع عشر الهجرى، الموافق للسابع والثمانين من القرن التاسع عشر الميلادى(٢).

إن ديوان مولانا فيض الحسن السهارنفورى مفعم بشتى الأغراض الشعرية من الغزل والمدح، والرثاء، والهجاء، والفخر، والحمد لله تعالى، والمناجاة فقد افتتح

---

(١) ديوان الفيض، لمولانا فيض الحسن السهارنفورى، ص ٣٦، ٣٧، ٣٨.
(٢) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للسيد عبد الحى الحسنى اللكنوى، ج ٧، ص ١٠٤.
وانظر: ديوان الفيض، لمولانا فيض الحسن السهارنفورى، ص ٣٨.

Marfat.com

الشيخ ديوانه حامدا لله تبارك وتعالى بقصيدة تقع فى تسعة عشر بيتا وأردف ذلك بالمديح النبوى الشريف وتشتمل هذه القصيدة على خمسة وثلاثين بيتا، "أما الديوان فيضم ستا وستين قصيدة ومقطوعة بين طويلها وقصيرها منها الأراجيز وغير الأراجيز، وإن أطول قصيدة من قصائد الديوان هى ميمية الفيض التى تشتمل على واحد وخمسين بيتا، وقد رثى بها شيخه وأستاذه العالم العلامة والشاعر المناضل الشيخ فضل الحق الخير آبادى[١] ومجموع هذا الديوان يتمثل فى أربعة وثلاثين بعد الستمائة والألف بيت، ونلاحظ أنه تأثر جدا بالشعر الجاهلى فى اصطفاء الألفاظ والتعابير والمعانى والأفكار، ونجده من وقت لاخر يعارض شعراء العربية على مر العصور بكل براعة وإتقان، وأما عن أروع ما نظمه مولانا فيض الحسن السهارنفورى فيحدثنا عنه أستاذنا الدكتور ظهور أحمد أظهر قائلا[٢]: "ومن أجود شعر الشيخ فيض الحسن السهارنفورى قصيدته الدالية التى عارض بها معلقة طرفة بن العبد البكرى، وهذه المعارضة الشعرية الفيضية فى الوقت نفسه لطيفة ورائعة جدا، فهى من ناحية تذكرنا بالتقاليد الشعرية التى يمتاز بها الشعر العربى عبر العصور ... ومن ناحية أخرى تبرز لنا أروع المعارضات الشعرية، وذلك إن دل على شئ فإنما يدل على براعة الفيض وعبقريته النادرة، وموهبته الشعرية الفائقة، وقدرته العجيبة على معرفة لغة الضاد، كما يدل على عنايته واهتمامه بنماذج الشعر العربى القديم، وخاصة بما ضمته المجاميع الشعرية المعروفة، وما احتفظت به مصادر الشعر الجاهلى كالمعلقات والمفضليات [والأصمعيات] وحماسة أبى تمام وغيرها من المراجع والمجموعات الشعرية".

---

(١) ديوان الفيض، لمولانا فيض الحسن السهارنفورى، ص ٤.
(٢) المرجع السابق، ص ٧، ٨.

Marfat.com

وعند إقدامنا على تقديم النموذج من شعر مولانا فيض الحسن السهارنفورى رأينا أن نتقدم بقصيدته الدالية التى نظمها فى مدح النبى - صلى الله عليه وسلم - إن القصيدة عبارة عن خمسة وثلاثين بيتا وكنت أود أن أذكرها كلها لأن كل بيت من أبياتها يستلفت الانتباه ويرتبط بعضه ببعض، وكان فيه شئ من التسلسل اللطيف، ولكنى إصطفيت منها عشرة أبيات حتى لا يكون كثيرا على القارئ الكريم، كانت الأبيات العشرة الأولى فى الغزل استهل به الشاعر قصيدته على غرار شعراء الجاهلية، وضع من الخمسة الآخرين معبرا ينتقل خلاله من الغزل إلى الغرض الرئيسى وهو المديح النبوى الشريف، ثم يتحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأحسن ما يكون الحديث، قد رأيت أن انتخب من هذه الأبيات بيتا فى جوده - صلى الله عليه وسلم - وبيتا فى أنه الغيث الذى يطمع فيه الشاعر ككل مسلم، فلا غيث مثل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا جود مثل جوده - صلوات الله وسلامه عليه - وبعد ذلك ينتقل إلى الهدف من وراء هذه القصيدة ويظهر مطمعه وأمله، وهو شفاعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم القيامة، ويمضى فى ذلك أربعة أبيات وسوف أختار منها أبياتا رأيت أنها أكثر فيضا بالعاطفة، تفوح الشاعرية - فى نظرى - من خلالها وهذه هى الأبيات المنتخبة.

أبيت وبى كرب السليم المسهد ... وارق فى صحب ينام كهمد

وليت به مما عرانى وليتهم ... "يقولون لا تهلك أسى وتجلد"

أراعى نجوما راكدات كأنها ... صخور تراها فى جوانب فرقد

على طول هم مقلق وتململ ... وكرب على كرب مقيم ومقعد

بلغت من الكرب المبرح غاية ... أرى دونها إن قام عنى عودى

فدائى عياء لا أرى شافيا له ... سوى أن أصلى الدهر وهو قدى

Marfat.com

على آل ختم المرسلين فإنه ... شفاء على ما قال شيخى ومرشدى

فها أنا والتوفيق هاد ومنهجى ... قويم ورأيى مستقيم ومهتد

أصلى على خير الأنام وسيد ... الكرام وختم المرسلين محمد

هو الجود كل الجود لا جود دونه ... فطوبى لمن يرجوه من هالك رد

هو الغيث كل الغيث لا غيث مثله ... يروى لمن يدعوه من ظمى صد

أصدق فيك الظن أنك ناصر ... لمثلى ومثلى معتدى معتد

فخذ بيد منى وجد شفاعة ... على وأيدنى وأنت مؤيد

أتيتك فى قوم عصاة مقدما ... فلا تخزنى فيهم برد ومطرد(١)

---

(١) ديوان الفيض، للشيخ فيض الحسن السهارنفورى، ص ٥٨، ٥٩، وموضع هذه الأبيات المنتخبة من القصيدة كالتالى: ١، ٢، ٣، ٤، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ٣٠، ٣٤، ٣٥.

Marfat.com

مولانا محمد سليم الجونفورى

هو الشيخ الفاضل محمد سليم بن محمد عطاء الجونفـــورى، أحـــد العلمـــاء المبرزين فى العلوم الأدبية، ولد فى السنة الثانية والعشرين من القرن الثالث عشـــر الهجرى ببلدة "مجهلى شهر" ونشأ بها، وقرأ العربية على المفتى على كبير بن على محمد، ثم لازم القاضى محمد شكور بن أمانت على، وقـــرأ عليـــه أكـــثر الكتـــب الدراسية، كما قرأ بعضها على مولانا رحمت الله الكابلى، ثم ولى القضاء وتـــدرج إلى الصدارة، وكان ذلك منتهى آمال أهل الهند فى عصره فى عصـــر الاحتـــلال الإنجليزى.

توفى إلى رحمة الله تعالى فى أول ليلة من جمادى الأولى من السنة السادســـة والستين من القرن الثالث عشر الهجرى، الموافق للعام التاسع والأربعين من القـــرن التاسع عشر الميلادى.

وله مؤلفات عدة فى شتى العلوم، أما فى الأدب العربى فله رسالة تحمل أســـم "ميزان الوافى فى العروض والقوافى" أما عن شعره العربى فقد نظم قصائد عربيـــة وأبياتا كثيرة بالعربية[1] وكم كنت أود أن أجد له بعض الشعر ولكننى لم أجد مـــع أننى إطلعت على أكثر من مرجع.

---

(١) انظر: نزهة الخواطر، للشيخ عبد الحى الحسنى اللكنوى، ج ٧، ص ٤٥٣.
وانظر: الآداب العربية فى شبه القارة الهندية، للدكتور زبيد أحمد ، ص ٤٤٨.

Marfat.com

مولانا محمد حسن الفيضى الجهلمى

هؤ ابو الفيض مولانا محمد حسن الفيضى الجهلمى بن نور حسين الجهلمى، لم أستطع الاطلاع على عام ولادته رغم نطرتى فى أكثر من مرجع، وكل ما عرفنا عنه أنه تلقى تعليمه على يد أكابر علماء عصره وبرع فى العلوم الإسلامية والعربية، وكانت له اليد الطولى فى الأدب العربى وبراعة فائقة فى نظم الشعر العربى حيث كان يعد فى مرتبة الشعراء المتقدمين - على حد قول المترجم - فقد نظم فى علم الميراث كتابه المسمى "القرائض الفيضية فى الفرائض والولاء والوصية" وله غير ذلك من القصائد العربية ما بين المطبوعة والمخطوطة، التى تدل على محبته للغة العربية وايثارها بالتأليف عن غيرها، كما تنبئ عن تمكنه من أن يصوغ بها مختلف العلوم، وإن كان ذلك أقل من الجهد الذى بذله فى علم الميراث، وحديثه عن علم الفرائض يدل على براعته الشعرية وحسن الصياغة عنده.

ومما يدل على براعته فى الأدب العربى أنه صمد فى وجه المتنبئ القادياني الميرزا غلام أحمد القادياني، وذلك حينما قام المتنبئ القادياني بتحدى علماء الدين الحنيف، وادعى بالبراعة المعجزة فى تفسير القرآن الكريم وكتابة اللغة العربية نظما ونثرا، فكان مولانا محمد حسن الفيضى من بين من تصدوا لادعاءات المتنبئ القادياني وذلك فى العام التاسع والتسعين من القرن التاسع عشر الميلادى، بقصيدة معجمة، واجتمع مع غلام أحمد القادياني وطلب منه شرح القصيدة للمستمعين قائلا: إذا كنت نبيا يوحى اليك فيكفينى تصديقا لك أن تشرح قصيدتى للحضور، ولكن

Marfat.com

المتنبئ القاديانى لم يفهم شيئا من القصيدة حتى بعد إطالة النظر فيها أيضا، وقدمها إلى أحد أصحابه الملمين بالعربية ليبين المعنى ولكنه أيضا لم يتمكن من أن يفهم شيئا من القصيدة، فردها المتنبئ القاديانى إلى ناظمها قائلا: لم نفهم منها شيئا وترجم لنا هذه القصدة إلى الأردية، وهاكم بعض أبيات هذه القصيدة، ولم يذكر المترجم إلا ثلاثة أبيات فقط من هذه القصيدة.

لمالك حمده حمد سلام على مرسوله علم الكمال

حمود أحمد ومحمد و طهور مع أولاء وآل

أما مملوك أحمد أهل علم وإلهام وحلال السؤال

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشاعر أشار إلى إسم المتنبئ القاديانى المبرزا غلام أحمد القاديانى، بكلمتى "مملوك أحمد" دون أى نقطة على حروفهما، ومع ذلك لم يستطع مدعى النبوة ونزول الوحى عليه أن يتبين شيئا من القصيدة حتى موطن اسمه.

وفى شهر مايو من العام التاسع والتسعين من القرن التاسع عشر الميلادى قام مولانا محمد حسن الفيضى بتحدى المتنبئ القاديانى قائلا: إذا كنت صادقا فى عقائدك فتعال إلى مدينة جهلم حيث نناقش فى أمرك شفهيا شئت أو. تحريريا، باللغة العربية استطبت أو باللغة الفارسية، نظما أو نثرا، تفضل أسمعنى أدلتك واسمع أدلتى ولكن المتنبئ القاديانى لم يتمكن من الحضور لمواجهة هذا التحدى ولاذ بالصمت رغم ادعائه بنزول الوحى عليه.

Marfat.com

توفى مولانا محمد حسن الفيضى إلى رحمة ربه فى شهر رجب من العام التاسع عشر من القرن الرابع عشر الهجرى الموافق للعام الأول من القرن العشرين الميلادى وذلك قبل وفاة شاعرنا بحوالى واحد وعشرين عاما.

ومن شعره قوله فى مدح الشيخ الشريف مهر على شاه الكولروى[١]:

سقى الله ديمات التحيات دائما ... ديار كريم طيب الشيمة المهدى

عليه سلام الله ربى ورحمته ... إلى أن يدور النيرات على الرئد

وأنت طبيب القلب لازلت مرشدا ... وتسقى عطاشا من حليب ومن شهد

وبعد فقد ابنا إليك محبة ... أمرنا بها وهى الوسيلة للعبد

وناظم هذا الحرف خادم بابكم ... رجاء له منك الجميل من الرفد

وكم غائب أصفى وأحلى مودة ... من الحاضرين الآخذين من السفد[٢]

---

(١) هو الشريف الحسيب الشيخ مهر على شاه الكولروى الكيلانى، يمتد نسبه من جهة أبيه إلى سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى وبالتالى إلى سيدنا حسن بن سيدنا على، ومن جهة أمه إلى سيدنا الحسين بن سيدنا على رضى الله عنهم، ولد المترجم له فى العام الرابع والأربعين من القرن الثالث عشر الهجرى الموافق للعام السادس والخمسين من القرن التاسع عشر الميلادى، ولما شب قرأ العلوم الابتدائية على والده الشيخ الشريف نذر دين وعلى خاله الشيخ الشريف فضل دين، ثم أخذ ينتقل من قرية إلى أخرى يروى ظمأه العلمي واستمرت رحلاته العلمية حتي أكمل دراسة العلوم الاسلامية والعربية المعهودة انذاك فى العام الثالث والتسعين من القرن الثالث عشر الهجرى. الموافق للعام الخامس والسبعين من القرن التاسع عشر الميلادى، أخذ الطريقة الجشتية النظامية من الشيخ شمس العارفين السيالوى كما أجازه فى الطريقة الجشتية الصابرية الشيخ إمداد الله المهاجر المكى. توفى بعد حياة حافل بالتدريس والارشاد ومحاربة البدع وذلك فى السادس والخمسين من القرن الرابع عشر الهجرى، الموافق للسابع والثلاثين من القرن العشرين الميلادى. انظر: علماء العرب فى شبه القارة الهندية، للشيخ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى، ص ٨٦٧، ٨٦١.

(٢) تذكره أكابر أهل سنت، لمولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى، ص ٤٥٤:٤٥٨ (ملخصا).

Marfat.com

الشريف ناصر حسين اللكـنوى

الشيخ الفاضل الشريف ناصر حسين الكـنوى بن السيد حامد حسين اللكـــنوى أحد علماء الشيعة وكبارهم، ولد ببلدة لكـنوء يوم الخميس لتسع عشرة خلون مـــن جمادى الآخرة من العام الرابع والثمانين بعد المائتين والألف للهجرة، نشأ فى مـــهد العلم وقرأ نهج البلاغة على والده سبع مرات مما أهله لأن يحفظ أكثر الكتاب. وفى أثناء ذلك كان يختلف إلى المفتى عباس بن على الحسينى التســـترى ويـــأخذ عنـــه الفنون الأدبية والمعارف الحكمية حتى برع فيها وفاق أقرانه، ورث الشريف ناصر حسين عن أبيه مكتبته الحافلة بنوادر الكتب ومخطوطات المؤلفين، وحافظ عليـــها وزاد فيها الكتب حتى عرفت بإسمه "بالمكتبة الناصرية" وأمها العلماء والباحثون من بلاد بعيدة، وله عدة مصنفات منها ديوان شعره، ولم يوضح كاتب ترجمته مـــا إذا كان ديوان الشعر هذا بالعربية أو بلغة أخرى، وأرى كأنه قصـــد ديـــوان الشـــعر بالعربية وذلك نظرا لتتلمذ السيد ناصر حسين الكـنوى على يد المفتى عبـــاس بـــن على الحسينى التسترى، فقد عرف عنه شغفه باللغة العربية وآدابها، وقد نص السيد عبد الحى اللكنوى أن الشاعر أخذ عن أستاذه ضمن ما أخذ من الفنون الأدبيـــة(١) ذكر المترجم له عشرين بيتا فى مدح سيدنا على - رضى الله عنه - علـــى أننـــى أرى أنه اكتفى بذكر المقدمة الغزلية فقط ولم يذكر أبيات المديح، وانتقيت من هـــذه المقدمة الغزلية ستة أبيات كنموذج، وهاكم هذه الأبيات المختارة.

---

(١) نزهة الخواطر، للسيد عبد الحى اللكنوى، ج ٧، ص ٤٨٨.

Marfat.com

ومن قوله فى مدح سيدنا على "رضى الله عنه"

رجف الفؤاد بلذع حب معنـــف ... من ناحل صـــب كئيـب مدنـــف

كلف بخالســـة القلـــوب خريـدة ... ترنو بلحظ كـــالصوارم مرهـف

اصمت له قلبا معنـــى بـــالجوى ... إذ ارسلت طيفا بليـــل مغضـــف

قد بات فيه يمص ريقا سلســـلا ... اهنى واشهى كاحتساء القرقـــف

من بعد جفوتها وطول صدورهـا ... سمحت بذلك فصارت كالمترسف

حتى إذا صاحت الديوك وخفقـت ... زهر النجوم درى بان لم تســعف

Marfat.com

مكانــة شــاعـــــرنا
بين معاصريه من شعراء العربية فى الهند

بعد محاولتى دراسة تراجم شعراء العربية المعاصرين لشاعرنا الشيخ أحمـــد رضا خان فى الهند وذكرى بعض النماذج من شعرهم العربى، أرى من المناســـب إلقاء بعض الضوء على مكانة الشاعر بين هؤلاء الصفوة المختارة مـــن شـــعراء العربية على الساحة الهندية، فقد لاحظنا أن شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان كـــان - ومازال - فى طليعة شعراء العربية فى الهند من حيث اهتمام البـــاحثين بدراســـة جوانب شخصيته.

لقد سبق أن قلت: إن الهنود أقبلوا على دراسة اللغة العربية حتى بلغ بدراســـة بعضهم أن انسجمت دراسته وإلماماته بهذه اللغة ومعرفته لها مبلغا لا بأس به، وقـد كان لدى بعضهم الموهبة الشعرية فتفاعلت موهبته مع معرفته فقال بـــها شـــعرا، ويأتى الشيخ أحمد رضا خان على قمة هؤلاء فهو قلادة العقد حيث إنه أخـــذ هـــذه الصفوة كلها، واستطاعت موهبته أن تتبوأ مكانتها وسط هذا اللفيف الذى عرضنـــا لذكره، ربما يكون قد التقى ببعضهم كثرة وقلة على حسب ما أشرنا إليه أثناء الكلام عن حياة شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان ولكنه على كل حال بز هؤلاء فى نظـــرى وتفوق عليهم وكانت له الغلبة، وإن لم تقع مساجلات بين شـــاعرنا وبيـــن هـــؤلاء مجتمعين، إما بسبب الزمان أو المسافة وإما للانشغال الفكرى بما كان عليه شاعرنا من عمله بالفتيا من ناحية والتصنيف والتدريس من ناحية أخرى، وانشغاله بالسياسة على النحو الذى أشرنا إليه، المهم أنه ربما لم يكن قد اطلع على شعر بعضهم ولكنه على كل حال تفوق عليهم كما هو فى نظرى وكما حاولت أن أثبت له ذلـــك حيـــن

Marfat.com

أعرض لرأى قيل فى شعره العربى وعن شخصه، ولا يفوتنا أن نذكر ما لموهبته الشعرية من قيمة مما جعلنا وقد رأيناه ينظم الشعر بأكثر من لغة، وذلك لتمكن الموهبة الشعرية من نفسه، ولكن انسجام شاعرنا مع لغة الدين، مع لغة الإسلام، مع لغة العرب دفعه لأن يقول الشعر أكثر من أن يقوله بغيرها، لأنها كانت لغة ثقافته، وقد طرأت عليه لأنه لم ينشأ فى البيئة العربية إنما نشأ وترعرع فى كنف العلماء والمثقفين بالهند، فأخذ العربية أخذ ثقافة وليس أخذ لغة الأم، شأنه فى ذلك شأن أهل الهند كلها، ومما هو معلوم أن شاعرنا أخذ اللغة الأردية أخذ لغة الأم فنظم بها، ثم تعلم الفارسية وقال بها شعرا ولكنه ما لبث أن قال بالعربية فأبدع وأفاض، وكان كالنهر الجارى، إذا فهى لغته الثالثة التى سبقت لغتيه الأوليين، إنها العربية التى تمت إلى العقيدة الإسلامية بصلة وثيقة، إنها العربية بجمالها وسحرها ورونقها وفن القول بها فى الجملة تركيبا، وتعبيرا، ونسجا، وصياغة، كما أن من فخرها أنها لغة أحب الأحباب، إنها لغة سيدنا ومولانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هادى البشرية إلى خيرها ونجاتها فى الدنيا والآخرة، ومهما تحدثنا عن العربية فلا نستطيع أن نفيها حقها، وأنى لنا ذلك وقد سبقنا المئات بل الألوف وأين نحن منهم؟! ولكنها على كل حال لغة الباحث الثالثة أيضا، ولعلى أتفق مع شاعرنا فى هذه النقطة، وليتنى أستطيع أن أقف فى صفه فيكون لى بعض الشرف فى الإسهام بوضع سطور فى مكتبتنا العربية ليتنى أستطيع ذلك.

لقد كتب لشعر الشيخ أحمد رضا خان أن يجمع على يد أحد أبناء الأزهر الشريف[1] ويطبع له ديوان شعر عربى بعد مرور أكثر من سبعين سنة على وفاته، وقد حاولت أن أعرض لأغراضه الشعرية فى الباب الثانى من هذا البحث،

---

(١) وهو الأستاذ حازم محمد أحمد المحفوظ، الأستاذ المساعد بكلية اللغات والترجمة قسم اللغة الأردية وادابها. جامعة الأزهر.

Marfat.com

ولم أستطع الإطلاع على دواوين شعر للشعراء الذين تناولت ذكرهم آنفا، وذلك لأن دواوين الشعر لبعضهم لم تحظ بالطباعة، وبعضها الآخر طبعت ونفدت نسخها، ولم يتيسر لى الوصول إليها، إلا أننى استطعت أن أطلع على ثلاثة دواوين من الشعر للشعراء الذين أشرت اليهم آنفا، أولهم مولانا فيض الحسن السهارنفورى، وثانيهم مولانا أصغر على الروحى، وثالثهم القاضى طلاء محمد البيشاورى.

نرى أن اللغة العربية حظيت لدى شاعرنا بما لم تحظ به لغتاه السابقتان – الأردية والفارسية – اللتين عرفهما شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان، وأرى أنه كان يعرف الإنجليزية أيضا ولكنه أقلع عن الإنجليزية إقلاع من يجهلها تماما، وقد سبق أن أشرت إلى ذلك وبينت وقدمت الدليل على معرفته اللغة الإنجليزية، ولكنه لم يقل بها شعرا، وقد تناساها تماما وتعامل معها باعتبار أنه لا يعرف من الإنجليزية حرفا واحدا فكيف يقول بها الشعر؟! وإنما بلغ من بغضه للإنجليزية أنه تغاضى وترفع لسانه عن أن ينطق بها أبدا لأنه لغة من احتل أرض الهند وحاول أن يناهض الإسلام والمسلمين فى الهند.

يلتقى شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان مع سراج الهند الإمام عبد العزيز المحدث الدهلوى، والشيخ رفيع الدين الدهلوى ابنى الإمام ولى الله الدهلوى، كما يلتقى مع مولانا عبد المنعم الشيتاغونغى فى نظم المديح النبوى الشريف منهجا، وعقيدة، وعاطفة، فإننا نجد عند كل هؤلاء الأربعة أسلوب التوسل بالرسول – صلى الله عليه وسلم – كما نرى قلوبهم عامرة بالحب النبوى الشريف الذى يفوق حب الأولاد والآباء وكرائم الأموال والناس، فقد اتخذ شاعرنا من شعره تعبيرا عن العاطفة، حبه للرسول – صلى الله عليه وسلم – مرة وهذا رأى الحب عنده، وحبه لشريعته وأتباعه من العلماء الصالحين مرة أخرى، وشعراء العربية مرة ثالثة، ويعنى هذا الجانب كله من شخصية شاعرنا أنه أحب دينه ونبيه – صلى الله عليه

Marfat.com

وسلم – وأتباعه، وأحب أولئك الذين تغنوا باللغة العربية الرصينة من شعراء العربية، وقد حاول أن يقلد بعضهم أو يعارضهم على نحو ما يمكن أن نستنتج من خلال البحث كله.

ولما كان الشعر ترجمة عن الإحساس ينبع من عاطفة تفيض بالإنسجام مرة وبالعقل أخرى وبالإحساس ثالثة، وعاطفة شاعرنا تخرج من قلب أفعم بالعلم والحكمة والانشغال بتحصيل العلم ومختلف الفنون التى عدها بعض المؤرخين لسيرته خمسة وخمسين علما وفنا، لابد أن يكون لهذا الشاعر أثره ولهذه الثقافة وهذه العلوم والفنون التى انشغل بها شاعرنا، لابد أن يكون لها أثرها فى شعره على نحو ما وجدناه عند شاعرنا، فإن القرآن عنده النسيج الذى يجب أن يغترف منه كل راغب فى الثقافة لأننا وجدنا القرآن والحديث قد اقتبس منهما شاعرنا فى شعره الكثير، لا تكاد تقرأ له قصيدة من القصائد حتى تحس بثقافته الدينية والاقتباس من القرآن تارة والحديث أخرى بمختلف ألوانه، وإنه عبر فى شعره عن التحلى بسلوك الإسلام فقها وغاية وعقيدة وشرعة ومنهاجا الأمر الذى يؤدى إلى النجاة فى الآخرة وما يحصل عليها من أرفع الدرجات ومجاورة الحبيب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – والانضواء تحت لواء شفاعته – عليه الصلاة والسلام – ورجل اعتمد هذا المنهج فى شعره جدير أن نقول إنه له الغلبة على غيره من الشعراء، ولا ندرى أن كنا سوف نجد شاعرنا يضاهيه أو يقرب منه درجة، هذا ما ستكشف عنه الأيام.

Marfat.com

آراء العلماء ونقاد الأدب العربى

حاز شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان مكانة مرموقة بين فقهاء الأحناف فى الهند، وذلك لأنه كان من المتخصصين فى الفقه الحنفى، ومع ذلك فقد كان - بفضل عبقريته التى أكرمه الله تعالى بها - موفقا فى مجال الشعر والأدب بلغات ثلاث، العربية والفارسية والأردية، وله ثلاثة دواوين شعرية بهذه اللغات، وكان التوفيق حليفه فى الجمع بين عصارة علومه الكثيرة وعاطفته الشعرية الفياضة، فقد ارتضع حب اللغة العربية وآدابها منذ صباه، ونمت هذه المحبة مع نشأته، كما ظلت ثقافته الإسلامية والعربية فى تطور وازدهار مستمرين مع مرور الوقت، كان الدين مصدر حبه للغة العربية وآدابها، كما كان حب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - من أكبر الدوافع إلى شغفه البالغ بالعربية، ولقد استلفتت براعته فى اللغة العربية وآدابها نظر النقاد إليها فلننتقل إلى أراء علماء العربية ونقادها فى الأدب العربى لشاعرنا - نظما ونثرا - والموازنة بينه وبين معاصريه من شعراء العربية بكل إيجاز، والى الحديث الموجز عن مدى تأثير شاعرنا فى شعراء العربية الهنديين المعاصرين له وحتي يومنا هذا.

نبدأ حديثنا عن النقطة الأولى والتى تتضمن آراء علماء العربية الذين عاصروه، والذين تذوقوا شعره العربى في عصرنا الراهن، سواءً كانوا من الحجاز أو مصر المحمية أو شبه القارة الباكستانية الهندية، فلنبدأ بآراء علماء العربية من الحرمين الشريفين فى براعة الشيخ أحمد رضا خان فى اللغة العربية، لقد أثنى علماء العرب المعاصرون للشيخ أحمد رضا خان على أدبه العربى وذلك

Marfat.com

عند قيام شاعرنا برحلته للحج فى المرة الثانية، فقد صنف باللغة العربيـــة بعـض الكتب خلال إقامته بالحرمين الشريفين، فقال الشيخ أحمد أبو الخـير مـرداد عنـد مطالعته "كفل الفقيه الفاهم فى أحكام قرطاس الدراهم" تأليف الشيخ أحمـــد رضـا خان(١): "الحمد لله على وجود مثل هذا الشيخ، فإنى لم أر مثله فى العلم و الفصاحـة وسعة الباع مع حسن سبك العبارة".

و قال الشيخ السيد مأمون المدنى فى شأن فصاحة الشيخ أحمد رضا خـان(٢): "صاحب القلم الأسحار، و الكلام الفائق لطفه على نسيم الأشجار".

و امتدحه الشيخ على بن حسين على بعض مؤلفاته العربية فقال(٣):

ذا خبرة مولى المعارف والـهدى رب البلاغة من به الدنيا زهـت

أبدى معانى المشـــكلات بيانـــه ببديع منطقه الجواهر نظمـــت

ويتحدث الشيخ أحمد محمد الحدادى المكى عن لغة الشيخ أحمد رضا خان فى بعض مؤلفاته العربية فيقول(٤): فوجدتها شذرة من عسجد، وجوهرة مـــن عقـود، ودررا من ياقوت وزبرجد".

---

(١) خطاب السيد إسماعيل بن خليل - حافظ كتب الحرام بمكة المكرمة - تحريرا فى ١٢ رجب مـن عام ١٣٣٤هـ. المطبوع بين دفتى رسائل رضوية، للشيخ أحمد رضا خان، ج ٢، ص ٢٦٢.

(٢) خطاب الشيخ مأمون المدنى إلى الشيخ أحمد رضا خان المطبوع بين دفتى رسائل رضوية، للشيخ أحمد رضا خان، ج ٢، ص ٢٦٦.

(٣) وقع اختيارنا على البيت الحادى والأربعين والخامس والأربعين مـــن قصيـدة قوامـها أربعـة وخمسون بيتا. انظر: حسام الحرمين، للشيخ أحمد رضا خان (ط: رضوى كتب خانـــه، بريلـى ١٩٥٩م)، ص ١٤٢، ١٤٤، ١٤٦.

(٤) المرجع السابق، ص ١٧٠.

Marfat.com

ويتحدث الشيخ أسعد بن الدهان المكى عن تمكن الشيخ أحمد رضا خان من ناصية اللغة العربية فيقول(١): "العلامة الذى افتخرت به الأواخر على الأوائل، الفهامة الذى ترك بتبيانه سحبان بأقلا".

ويدلى الشيخ عبد الرازق بن عبد الصمد القادرى بدلوه فى فصاحة شاعرنا فيقول(٢): "ويذعن بفصاحته كل ناظم وناثر".

هذه آراء علماء الحجاز فى تمكن شاعرنا من اللغة العربية ومدى فصاحته فيها، ولننتقل الآن إلى آراء بعض النقاد المحدثين فى الأدب العربى لشاعرنا الشيخ أحمد رضا خان، يقول الدكتور حسين مجيب المصرى فى هذا الصدد(٣): "إن الشيخ أحمد رضا خان نظم فى العربية والفارسية والأردية والهندية على حين عالج اقبال نظم القريض فى لغتين اثنين، وشعر اقبال صورة واضحة المعالم لأفكاره ومبادئه التى كتب لها الذيوع فى الآفاق، وهو مصلح دينى اجتماعى بكل ما تنطوى عليه الكلمة من معنى، ويختلف الشاعران فى أسلوبهما، فأحمد رضا يتوخى تمام الوضوح ولا يجنح إلى استخدام البديع إلا بمقدار، ويأبى أن يكون كلامه مستغلقا لا يحيط بشئ منه إلا الراسخون فى العلم، لأنه ينطق عن الدين والدين حقائق ثابتة للناس كافة لا يسع كائنا من كان أن يصرفها عن وجهها".

ويقول أستاذنا الدكتور رزق مرسى أبو العباس(٤): نحن أمام شاعر عالم دقيق لكننا نفرض الكلام عن شاعريته فقط ... إنه شاعرنا مجيد جياش العاطفة فى

---

(١) المرجع السابق، ص ١٥٠.
(٢) رسائل رضوية، للشيخ أحمد رضا خان، ج ١، ص ١٥٨.
(٣) السلاميةفى مدح خير البرية، ترجمها إلى العربية الاستاذ حازم محمد / صاغها إلى النظم الاستاذ الدكتور حسين مجيب المصرى (تحت الإصدار).
(٤) الإمام الأكبر المجدد محمد أحمد رضا خان، للأستاذ حازم محمد، ص ١٦٤.

Marfat.com

أمور كثيرة، كنا ننتظر من عالم بحر فى علمه ومفكر رائع فى فكره أن يأتى شعرا فاترا، وكنا نلتمس له العذر، ولكننا وجدنا أن ربنا تبارك وتعالى أفاض عليه بخضم هائل من الفكر، ومع ذلك لم يحرم العاطفة فرزقه الله عينا فى قلبه فياضة بالشعر، ولسانا يتغنى بأحلى الكلمات العربية، وكأنما قد حيزت له العربية بحذافيرها، وقد تمكن منها تمكن المولود فى الجزيرة العربية المرتضع لأفاويض اللغة، الشارب من منهلها حتى اكتمل ريه، الطاعم من خيرها وبركتها وحبها حتى نما سائر عقله ولسانه".

ويحدثنا الأستاذ حازم محمد عن ديوان شعر عربى للشيخ أحمد رضا خان فيقول(١): "وبمطالعة هذا الديوان العربى - بساتين الغفران - نتيقن من أسلوبه ولغته العذبة أن ناظمه لابد وأن يكون عربى اللسان والبيان، بيد أننا عندما نطالع أغراضه وموضوعاته التى تصور المجتمع الهندى فى عصره نقول: إن ناظمه من تلك البيئة، ونتسائل أين وكيف ومتى تعلم وأجاد واطلع الشاعر على اللغة العربية وآدابها فى عصورها المختلفة ابتداءً من العصر الجاهلى وحتى عصره؟!.

يقول الدكتور محمود حسين البريلوى فى شأن أدب الشيخ أحمد رضا خان(٢): تعد شخصية الشيخ أحمد رضا خان شخصية غريبة فريدة فى القرن الرابع عشر الهجرى، ولا يوجد فى الهند من يماثله فى نواحى حياته العلمية، ولا يستطيع أحد إنكار خدماته الجليلة فى نشر اللغة العربية وآدابها فى أرجاء شبه القارة الهندية ... وإن براعته فى اللغة العربية وآدابها لم تكن مقصورة على النثر العربى بل تجاوزت إلى قرض الشعر بلغة الضاد، فكان يتميز بوصفه شاعرا موهوبا فى النظم باللغة العربية فأبدع وأجاد فى نظم الشعر بها، كما عليه الحال فى اللغتين الفارسية

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٢.
(٢) معارف رضا لصفوة من العلماء، ج ١٢، ص ١٣٨.

Marfat.com

والأردية، ويصعب علينا إحصاء عدد ما نظمه من شعر عربى نظرا لتفرقه فى كثير من مؤلفاته العربية والفارسية والأردية التى لا توجد فى مكتبة واحدة(١)، وقد قمت بالاطلاع على ثمانية وأربعين بعد المائة والألف بيت عربى للشيخ أحمد رضا خان، وذلك بعد أن قمت ببذل مجهود كبير من أجل هذا الاطلاع، ولكنى وجدت بعد ذلك أيضا أن مؤرخى سيرة الشيخ أحمد رضا خان يشيرون إلى مزيد من أبياته".

وقال مشيرا إلى أهم الأغراض الشعرية عند شاعرنا(٢): إن شعره [بالفارسية والأردية] متسم بطابع الحب النبوى الشريف، حيث إن الحب النبوى الشريف يفيض فى أغلب قصائده وأبياته ... وبالإضافة إلى ذلك نظم الشيخ أحمد رضا خان شعرا عربيا فى الكثير من الأغراض الشعرية [وقد استطاع الباحث أن يصنفها فى ستة أغراض طبقا لما جاء فى الباب الثانى من هذا البحث] على ما كان عليه حال الشعراء المعاصرين له".

ونحن إذا قرأنا للدكتور محمود حسين البريلوى نستطيع أن نستنتج مجالات موهبة شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان الأدبية فيما يلى:

١- براعة فى الشعر العربى أسوة بما برع فيه من الفارسية.

٢- تعدد فى الأغراض إلى درجة أن الشيخ غذى الكثير من الأغراض الشعرية منافسا فى ذلك أهل عصره من الشعراء، وأرى أن عفته وعلمه ومكانته قد حال بينه وبين أغراض أكثر من ذلك.

---

(١) أشار فضيلة الدكتور إلى هذا قبل إصدار مجموعة أشعار لشاعرنا فى ديوان بساتين الغفران.

(٢) معارف رضا لصفوة من العلماء، ج ٨، ص ٧٥.

Marfat.com

ولم يكن رأى الدكتور محمود حسين البريلوى فريدا فى عربية الشيخ أحمد رضا خان بل نستمع إلى غيره حيث يقول الأستاذ الدكتور ظهوْر أحمد أظهر(١): إننى إطلعت على قصائد عربية للشيخ أحمد رضا خان ومنها عرفت مدى مقدرته الفائقة وعمق وسعة اطلاعه على أسرار الشعر العربى ومدى ما يتمتع به من موهبة فذة ومقدرة عظيمة على النظم العربى".

يحدثنا الدكتور حامد على خان عن مكانة الشيخ أحمد رضا خان بين شعراء العربية فى الهند فيقول(٢): كان الشيخ أحمد رضا خان شاعرا موهوبا فى اللغة العربية، وقد أكرمه الله تعالى بملكة شعرية رصينة، ولا نجد له من معاصريه نظيرا فيما نظم وكتب بالعربية، وقد أثنى علماء العرب على طول باعه فى اللغة العربية وآدابها، فكان أديبا كبيرا فى النظم والنثر العربيين".

يقول أستاذنا الدكتور محمد إسحاق القريشى مشيرا إلى مقدرة الشيخ أحمد رضا خان فى التأليف والكتابة باللغة العربية(٣): كان الشيخ أحمد رضا خان شغوفا باللغة العربية وآدابها، وله الكثير من المؤلفات بالعربية، وكان يستطيع أن يعبر عن أفكاره وعواطفه بالنثر العربى بسهولة بالغة، ولا نرى فى مؤلفاته العربية ما يشير أدنى إشارة إلى عدم قدرته على التعبير بلغة الضاد وبالتالى نفى عدم القدرة يشهد بوجود القدرة باعتبارها اللغة الثالثة تلقينا، الأولى إتقانا واهتماما".

هكذا يمكننا أن نقرر موهبته الأدبية التى اتفق على وجودها ثلاثة من ذوى الأقلام والذوق العربى مطمئنين إلى إحساس الشيخ أحمد رضا خان الشعرى

---

(١) إمام أحمد رضا كانفرس ١٩٩٦م (مؤتمر الامام أحمد رضا لعام ١٩٩٦م) مقالات لصفوة من العلماء (ط: ادارة تحقيقات إمام أحمد رضا كراتشى، ١٩٩٦م)، ص ١٣.

(٢) أنوار رضا، لصفوة من العلماء، ص ٥٦٨.

(٣) معارف رضا، لصفوة من العلماء، ج ١٢، ص ١٣٩.

Marfat.com

وتذوقه الفنى، وجودة صياغته والتى حاولت أن أتذوقها ولعلى أكون قـــد أدركـــت بعض جماليات التصوير عند شاعرنا.

تحدثنا فيما سبق عن آراء بعض الأقلام العربية وغير العربية مـــن اولئـــك الذين حاولوا أن يعرضوا للحديث عن النتاج العربى الذى تغنت به قريحة شـــاعرنا الشيخ أحمد رضا خان وصوتها إذ ذاك عربى، ولننتقل الآن إلى ظاهرة أثر أدبـــه العربى فى غيره، فمن المعلوم أن الشيخ أحمد رضا خان كان من بيـــن المحبيـــن المتحمسين للغة العربية وآدابها فى عصر الانهيار الثقافى وحين كانت اللغة العربية هدفا لغزو اللغة الإنجليزية، فقد أنشأ معهدا لنشر العلوم الإسلامية والعربية والـــذى تحدثنا عنه فيما سبق فقد اتسعت دائرة تلاميذه، ولم تقتصر على العربية وعلومـــها فحسب، وعلة ذلك أن شخصية شاعرنا كانت شخصية موسوعية فى اللغات العربية والفارسية والأردية وعلومها، إلى جانب كونه إماما كبيرا أثرى المكتبـــة العربيـــة والأردية بمئات المؤلفات فى خمسة وخمسين علما وفنا.

إن تشعب شخصيته العلمية والأدبية أدى إلى تشعب تلاميذه الذين أخذوا عنه، فقد رأينا من بينهم شعراء وأدباء فى العربية والأردية إلى جانب علماء متبحريـــن وأئمة وفقهاء ومحدثين وسياسيين إلى غير ذلك، ولعل الشيخ أحمد رضا خان يعـــد الشخصية الوحيدة فى عصره التى تركت آثارا متعددة تجلت فى تلاميذه وفى الأدب العربى والعلوم الإسلامية، وقد ترك تلاميذه بصمات واضحة فى هذا المجال فـــى بينتهم، وهذه ميزة تبرز شخصية شاعرنا من بين معاصريه من شعراء العربية فـــى الهند.

نال أسلوب الشيخ أحمد رضا خان فيما نظم وكتب باللغات العربية والفارسـية والأردية شهرة كبيرة دفعت الكثير من مشاهير تلاميذه وغيره للاقتـــداء بأســـلوبه،

Marfat.com

ولما كان موضوع دراستنا قاصرا على اللغة العربية نقوم بإيراد بعض النماذج لاقتداء الشعراء بأسلوبه وها هو مولانا محمد حامد رضا خان يقتفى أسلوب والده فى كتابة التقديم العربى على تأليف والده "كفل الفقيه الفاهم فى أحكام قرطاس الدراهم" كما رأيناه يقدم على نظم بيتين عربيين على غرار والده، بل إننا لا نتجاوز الحد إذا قلنا: إنه استخدم نفس البحر والقافية والرديف التى جاءت فى شعر والده، يقول مولانا محمد حامد رضا خان(١):

"وتشبثى بذيول عبد المصطفى أحمد رضا خان رحمة الرحمان
وتوسلى وتوددى وإرادتى بأبى الحسنين أحمد النورانى"

إنه يسير على منوال والده فيما جاء ببساتين الغفران من بيت عربى نظمه شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان على منوال شاعر حنفى، هذا وثمة شاعر عربى آخر ألا وهو مولانا أحمد بخش الذى سار على دروب الشيخ أحمد رضا خان الشعرية، وبالتالى تتلمذ على يديه بإرساله قصيدته العربية ليقوم شاعرنا بإصلاح لغتها ووزنها العروضى، وقد تحدثنا عن هذه القصيدة فيما سبق.

وفى العصر الحاضر رأينا مولانا أختر رضا خان الأزهرى ينظم شعرا عربيا على منوال جده باستخدام الأفكار والبحور نفسها، بل إنه يتجاوز كل هذا فيستخدم كثيرا من المفردات الواردة فى القصيدة النونية لشاعرنا - على سبيل المثال - وقد رأيناه يضمن ديوانه الأردى سبع قصائد عربية قوامها أربعة وثمانون بيتا، ونورد الآن نموذجا من شعره العربى، فلنسمع إليه حيث يقول(٢):

---

(١) بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان ، ص ٢١٣.

(٢) سفينة بخشش (سفينة المغفرة) لمولانا اختر رضا خان الأزهرى (ط: مكتبة سنى دنيا، رضا نكر، بريلى، الهند دون سنة الطبع)، ص ٧٠. هذه أربعة أبيات من بداية قصيدة قوامها واحد وعشرون بيتا نظمها الشاعر أيام حرب الخليج حين ضرب الإيرانيون مدينة بغداد، وقد أشار إليهم بكلمتى "شرار العدى".

Marfat.com

"أعيناى جودا ولا تجمـــدا وكونا لخير البـــلاد فـــدى

ألا تبكيان لها مـــن أســـى ألا تهميان لأرض الـــهدى

وما قد أبيح لها من حمـــى وما قد أريق بها من دمـــى

ألا تبكيـــان لبغدادنـــــا وقد قذفوه شرار العـــدى"

ومن شعراء العربية فى باكستان الذين نظموا كذلك فى نفس الموضوعـــات التى أدلى بها الشيخ أحمد رضا خان نذكر على سبيل المثـــال لا الحصـــر مولانـــا محمد عبد الحكيم شرف القادرى الذى نظم قصيدة عربية ورباعيتين على منـــوال الشيخ أحمد رضا خان واستخدم كثيرا من مفردات ومعانى شعره وأقوم الآن بإيراد نموذج(١):

"محمد سيد السادات فى كـــرم معلـــم النـــاس بـــالتوحيد والعظـــم

والمسلمون علوا فى كل معركة بالرشد والخـــير والإيمـــان ذى القيـــم

لما عصوا أمره جهلا بعظمتـــه صاروا ذوى الذل والخسران فى الأمـم"

ومما يبرز شخصية شاعرنا ومكانته الأدبية من بين شعراء العربية الـــهنديين فى العصر الحديث أن شخصية شاعرنا بأبعادها الكثيرة كانت ومـــازالت موضـــع اهتمام الباحثين لمرحلتى الماجستير والدكتوراه فـــى بعـــض جامعـــات باكســـتان وبنجلاديش والهند، وبالتالى نال العديد من الباحثين الدرجات العلميـــة، ولا نذكـــر عناوين الرسائل حتى لا نخرج عن الموضوع الذى نحن فيه ولم يكن الشعر العربى للشيخ أحمد رضا خان قد حظى بالدراسة - فيما أعلم - وذلك لعدم وجود ديـــوان مطبوع له حتى عام ١٩٩٥م.

وباب آخر من أبواب شخصيته وأثرها فى الكثير ممن عرفوه إنها تلك المحبة التى تسكن قلوب الكثيرين والتى تتمثل فى تلكم الاحتفـــالات الرســـمية والشـــعبية الكثيرة العظيمة التى تقام فى ربوع شبه القارة الباكستانية الهندية خاصة فى شـــهر صفر من كل عام هجرى، هذا الشهر الذى رحل فيه شاعرنا عن دنيانا هذه ولقـــى

---

(١) شهر يارعلم (مدينة العلم) للشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادرى، (ط: رضا اكيدمى، لاهـــور، ١٤١٧هـــ)، ص ٧٥.

Marfat.com

ربه راضيا مرضيا، وكان آخر هذه الاحتفالات الرسمية الكبيرة المؤتمر العالمى الذى نظمه مركز بحوث الإمام أحمد رضا بكراتشى فى شهر صفر من العام التاسع عشر بعد الأربعمائة و الألف للهجرة، وشارك فيه علماء وأدباء باكستان ودول أخرى، وقد ترأس هذا المؤتمر وزير التعليم الباكستانى الشريف غوث على شاه، كما كان مفخرة باكستان الدكتور عبد القدير خان من بين المشاركين فى هذا المؤتمر برسالته(١) و الجدير بالذكر أن مرتب بساتين الغفران ديوان الشعر العربى للشيخ أحمد رضا خان كان من ضمن المشاركين فى هذا المؤتمر حيث أكرمه الشريف غوث على شاه بالميدالية الذهبية تقديرا لخدماته الجليلة فى مجال الدراسات الرضوية، هذا وسوف تكشف الأيام المقبلة عن سمات أخرى جليلة القدر فى شخصية الشيخ أحمد رضا خان، كما نلحظ عشرات من الكتب تطالعنا بها الهيئات العلمية فى كل عام بباكستان و الهند، و هى تتضمن كل جديد عن الإمام أحمد رضا خان و حياته العلمية بالعلم، ومؤلفاته القيمة و إسهاماته الجليلة فى سبيل وحدة الأمة و نهضتها من جديد(١). وفى ضوء ما ذكرنا يتجلى لنا أن شاعرنا من أعلام اللغة العربية و أدبائها فى شبه القارة، وقد امتدح موهبته وتضلعه فى العربية أكابر معاصريه وأدباء عصرنا الراهن، وبهذا أكون قد انتهيت من محاولتى لدراسة شعراء العربية فى الهند فى العصر الحديث، كما حاولت إبراز شخصيته الأدبية من بينهم، وأرجو أن أكون موفقا فى محاولتى المتواضعة هذه والله- سبحانه وتعالى- ولى التوفيق.

---

(١) للإطلاع على نص هذه الرسالة انظر: امام أحمد رضا كانفرلس [مؤتمر الإمام أحمد رضا] مجموعة مقالات وخطابات العلماء والأدباء والمفكرين (ط: ادارة تحقيات إمام أحمد رضا، كراتشى ١٩٩٨م)، ص

(١) انظر: أحمد رضا خان شيخ مشايخ التصوف وأعظم شعراء المديح النبوى فى العصر الحديث، مقال مستفيض مستخرج من صيحفة آفاق عربية (صحيفة أسبوعية) فى عددها رقم ٣٩٦ الصادر فى يوم الخميس ٢ ذئ القعدة ١٤١٩هـ - ١٨ فبراير ١٩٩٩م، ص ٦.

Marfat.com

الخاتمة

فى نهاية المطاف ببساتين الغفران بعد ما تنسمت عبير أزهاره الفواحه، وتنعمت بجوه اللطيف العذب، وعشت فى ظلاله الوارفة أضع القلم مثلج الصدر شاكرا الله - سبحانه وتعالى - على أنه وفقنى لهذا العمل الذى كلما أراه أقوم بسجدة الشكر لله - عز وجل - ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فقد وصلت إلى بعض النتائج بعد إتمام البحث - بتوفيق الله - العلى العظيم - وهى كالتالى:

(١) كان ميلاد شاعرنا الشيخ أحمد رضا خان قبل الثورة الهندية - التى انتهت بفوز الإنجليز وسيطرتهم الغاشمة على الهند - بسنة، وإنه لما بلغ سن الشعور رأى الإنجليز يستميلون الهنادكة وطائفة السيخ، كما رآهم جميعا يتآمرون للقضاء على المسلمين ثقافيا واجتماعيا وسياسيا، ولو استطاعوا دينيا لفعلوا وأنى لهم ذلك؟!، وكان شاعرنا تلقن درس إعلاء كلمة الحق من جده ووالده، كما ورث منهما بغض الغاصب الإنجليز فى مجال الدين والسياسة.

(٢) كان شاعرنا من أسرة كريمة تتصف بالحفاظ على الدين، كما كانت تتمتع بنعمة الله فى المال، الأمر الذى جعل من شاعرنا رجلا غيورا على دينه وعرضه، والذى أبعده تمام البعد عن الطمع فى النوال من الإنجليز والتزلف إلى بابهم.

(٣) لقد نشأ وتربى شاعرنا على حب الدين الحنيف واللغة العربية حيث كان جده ووالده من علماء المسلمين الملمين باللغة العربية وآدابها، فقد رزق موهبة أدبية هائلة غذى بها اللغات التى كان يعرفها من العربية والفارسية والأردية متناولا

Marfat.com

عدة أغراض شعرية، وأجاد فى نظمها، فقد وجدت الأغراض الشعرية لديه بعد إحصائى لديوانه العربى فى المدح، والرثاء، والهجاء، والمناجاة، والغزل، والأحاسيس الدينية الفياضة وشئ من السيرة،.

(٤) تبين للباحث أن اللغة العربية وآدابها كانت فى حالة لا بأس بها عند مجيئ الإنجليز إلى الهند، ولكن ما أن تمكن الإنجليز من السيطرة على الهند حتى حاولوا تغيير المظاهر الإسلامية كلها، وكانت العربية من ضمن هذه المظاهر التى تعرضت لتصرفات الإنجليز، فأصبحت لا قيمة لها رسميا، ولكن علماء الدين الحنيف تصدوا لهذا التصرف بكل قوة إيمانية وأنقذوا حياة اللغة العربية فى شبه القارة وفيما بعد اضطر الإنجليز مراعاة لمصالحهم إلى دراسة اللغات الشرقية وعلى رأسها اللغة العربية، الأمر الذى أفاد اللغة العربية دون إرادة الإنجليز ولو بعض الإفادة.

(٥) لاحظت أنه تناول فن المدح بكل براعة وروعة وصدق عاطفة، فلم يمدح أحدا للنوال، بل كان محور مدحه بعض أهل العلم والتقى من العلماء والصوفية المعاصرين له وبعض الذين سبقوه، وكان المديح النبوى الشريف على رأس هذا الغرض الشعرى.

(٦) ومما يحسب له أنه عند إقدامه على النظم فى الرثاء سائرا على منهجه فى المدح كان يرثى أهل العلم والفضل فقط، ولم يرث أحدا إلا لوجه الله – سبحانه وتعالى – ومما تميز به فى مجال الرثاء هو إقدامه على نظم التاريخ فى أغلب مراثيه ليس مرة واحدة فقط بل أكثر من مرة، فقد كان موفقا فى الإتيان بالتاريخ بأسلوب خال من التكلف، كما أتى بالرموز الصوفية خلال الرثاء مما يدل على اطلاعه على الأدب الصوفى أيضا.

Marfat.com

(٧) لم يحرم شعره من فن الهجاء، ولكنه لم يكن ينظم فـــى هـــذا الفـــن إلا لمقاومة الأفكار الزائغة التى رآها شاعرنا أنها بعيدة عـــن إجمـــاع أهـــل الســـنة والجماعة، فقد انصبت جهوده الإصلاحية على مقاومة الأفكار الدينية الزائغة تـــارة والأفكار السياسية تارة أخرى.

(٨) لم تكن الأغراض الشعرية عند شاعرنا قاصرة على المذكورة آنفا إنمـــا أبدع شاعرنا فى قول الغزل الذى يراه الباحث صوفيا، فلم تنقصـــه العاطفـــة، ولا الأفكار، ولا الخيال، فكان غزله مفعما بجانب ما ذكر بروعـــة التعبـــير، وجمـــال الأسلوب، يتخيل إلى قارئة أن الشاعر يعبر عن تجربة عاشها، ولكنه غزل صنعـــة، أفصح فيه الشاعر عن عواطفه التى هو أدرى بها.

(٩) وكانت المناجاة مما كلل به شاعرنا أدبه، فقد أتى بأحلى وأرق ما يمكـــن من المنظومات فى هذا المجال، لقد لقنته ثقافته الصوفية كيف يتـــأدب مـــع الله – سبحانه وتعالى – ورأيناه فى هذه الأبيات رجلا متواضعا لله – عز وجل – ملمـــا بأدب الدعاء.

(١٠) وأخيرا لا آخرا وجدنا أبياته فى **الحديث بينه وبين نفسه، فالشاعر يدلى** بخواطره الدينية الفياضة، وهذا ما كان منتظرا من عالم دينى ذى الموهبة الشعرية، وهذا ما حاول الباحث دراسته فى الباب الثانى حيث تنـــاول الأغـــراض الشـــعرية دراسة تحليلية.

(١١) وقد خصص الباحث فصلا خاصـــا لدراســـة الخصـــائص الأســـلوبية واللغوية فى الشعر العربى للشيخ أحمد رضا خان، فاتضح له أن الشاعر موضـــوع البحث استطاع أن يأتى بالأساليب العربية القديمة والحديثة على السواء رغم كونـــه هندى المولد والنشأة، فقد أملاه اطلاعه على الثقافـــة العربيـــة – لا ســـيما الأدب العربى على مر العصور – الأساليب اللغوية والأســـلوبية، ولـــم يكـــن اهتمامـــه بالمحسنات البديعية أقل من اهتمامه بالأساليب اللغوية، وكانت هذه عصارة فكـــره العميق فى الأدب العربى الذى حببه إليه الدين الحنيف، نظرا لتشـــريف النصيـــن الشريفين هذه اللغة.

Marfat.com

(١٢) ولم يكن شاعرنا منكبا على المحسنات البديعية بشكل ممقوت بل كان متمكنا من إثارة الجماليات فى شعره، فقد إطلع الباحث على الكثير من الأبيات التى يمكن أن توصف بأنها أبيات القصيد، حتى أن مقطوعاته أيضا لم تخل عن بيت القصيد، الأمر الذى يستلفت أنظار الذواقين، بحلاوة الأدب العربى؛ وقد أفرد الباحث مبحثا خاصا لدراسة هذا الجانب من شعر الشيخ أحمد رضا خان فى موضوع البحث.

(١٣) لم يكن شاعرنا - موضوع البحث - متفرغا لنظم الشعر بل كانت الموهبة الشعرية من إحدى المواهب التى جعلت من الرجل عبقريا، ويعد شاعرنا من شعراء العصر الحديث، ولقد انجبت شبه القارة الهندية العديد من شعراء العربية، ولكن شاعرنا استطاع أن يفوق أقرانه من حيث نتاجه العلمى الأدبى ذى ، كما كانت ومازالت ثقافته محل اهتمام الباحثين فى بعض جامعات باكستان وبنجلاديش والهند حتى الأزهر المعمور.

هذا ما وصل إليه الباحث دون أن يدعى أن محاولة خالية من الشوائب، معترفا بأنه لم يوف الشاعر حقه من الدراسة، فالكمال لله وحده - سبحانه وتعالى - و إذا كان الباحث موفقا و لو بعض التوفيق فليس هذا إلا بفضل الله - سبحانه تعالى-.

أسأل ربى - عز وجل - أن يغفر لى تقصيرى ويوفقني لما فيه الخير ورضاه، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم هذا وبالله التوفيق.

Marfat.com

قائمة المراجع

أولا: المراجع العربية:

١- الآداب العربية فى شبه القارة الهندية، للدكتور زبيد أحمد، ترجمه إلى العربية الدكتور عبد المقصود شلقامى، (ط: نهضة مصر، القاهرة، ط ٢).

٢- آمال الأبرار وآلام الأشرار، للشيخ أحمد رضا خان (ط: المطبعة الحنفية بعظيم آباد، دون سنة الطبع).

٣- اتجاهات الأدب الصوفى، للدكتور على الخطيب (ط: دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٤هـ).

٤- اتجاهات الهجاء فى القرن الثالث الهجرى، للأستاذ قحطان رشيد تميمى، (ط: دار المسيرة، بيروت، دون سنة الطبع).

٥- الاحتفال بالمولد النبوى الشريف بين المؤيدين والمعارضين، مناقشة وردود، للسيد أبى الحسنين عبد الله الحسينى المكى الهاشمى، (ط: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

٦- الأدب السعودى فكرة ونص، للدكتور رزق مرسى أبو العباس على، (ط: مطبعة رفاعى، بالقاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٧- الأدب العربى بين الزهد والتصوف، للدكتور عبد الفتاح السيد محمد الدمامصى، (ط: المطبعة العربية، القاهرة، ١٣٩٨هـ).

Marfat.com

٨- الأدب الهندى المعاصر، للدكتور محى الدين الألوائى، (ط: دار العلم، القاهرة، دون سنة الطبع).

٩- الأزهر تاريخه وتطوره، تأليف اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر (ط: الازهر ١٤٠٣هـ).

١٠- أسد الغابة فى معرفة الصحابة، للإمام عز الدين على بن محمد بن عبد الكريم الجزرى، (ط: المكتبة الإسلامية بطهران، دون سنة الطبع).

١١- أطيب النغم، للإمام ولى الله الدهلوى، (ط: مجتبائى، دلهى، دون سنة الطبع).

١٢- الأعلام، لخير الدين الزركلى (ط: دار العلم، بيروت، ١٩٨٦م).

١٣- أعلام الحجاز فى القرن الرابع عشر الهجرى وبعض القرون الماضية، للأستاذ محمد على المغربى (ط: مطبعة المدنى، القاهرة، ١٤٠١هـ).

١٤- الأغانى، للإمام أبى الفرج راغب الأصفهانى، (ط: مطبعة التقدم، بشارع محمد على، بمصر، دون سنة الطبع).

١٥- إقبال الشاعر الثائر، للدكتور نجيب الكيلانى (ط: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ).

١٦- إقبال العرب على دراسات إقبال، للأستاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر، (ط: المكتبة العلمية، لاهور، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).

١٧- الإمام أحمد رضا خان الحنفى البريلوى وشخصيته الموسوعية، للأستاذ كوثر النيازى، (ط: أكاديمية رضا، لاهور، ١٤١٦هـ).

١٨- الإمام أحمد رضا خان وأثره فى الفقه الحنفى، للشيخ مشتاق أحمد شاه، رسالة ماجستير مخطوطة بمكتبة رسائل الماجستير بكلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، تحت رقم ٣١٥٩.

Marfat.com

١٩- الإمام الأكبر المجدد محمد أحمد رضا خان والعالم العربى، للأستاذ حازم محمد المحفوظ (ط: رضا فاونديشن، لاهور، ١٤١٩هـ).

٢٠- الإمام عبد الحى اللكنوى، علامة الهند وإمام المحدثين والفقهاء، للدكتور ولى الدين الندوى، (ط: دار القلم، دمشق، ١٤١٥هـ).

٢١- بحوث فى الأدب، للدكتور رزق مرسى أبو العباس على، (ط: مؤسسة أبو المجد للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤١٠هـ).

٢٢- بردة المديح المباركة، للإمام شرف الدين محمد البوصيرى، شرح وتقديم دكتور أحمد عمر هاشم (ط: دار المقطم، القاهرة، ١٣١٧هـ - ١٩٩٦م).

٢٣- بساتين الغفران، للشيخ أحمد رضا خان، رتبه الأستاذ حازم محمد، (طبع بمشاركة أكاديمية رضا بمدينة ستاك بورت، إنجلترا، مجمع بحوث الإمام أحمد رضا كراتشى، ورضا دار الاشاعة، لاهور، ١٤١٨هـ).

٢٤- بين التصوف والأدب، للدكتور محمد إبراهيم الجيوشى، (ط: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دون سنة الطبع).

٢٥- تاريخ الأدب العربى، للأستاذ أحمد حسن زيات، (ط: مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة، دون سنة الطبع، الطبعة العشرون).

٢٦-- تاريخ الإسلام فى الهند، للدكتور عبد المنعم النمر، (ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

٢٧- تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتها، للدكتور أحمد محمود الساداتى، (ط: مكتبة الآدب، بالجماميز، دون تاريخ الطبع).

٢٨- تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام محب الدين محمد مرتضى الزبيدى، (ط: المطبعة الخيرية، المنشأة بجمالية مصر، ١٣٠٦هـ).

Marfat.com

٢٩- تبييض الصحيفة فى أخبار أبى حنيفة، للإمام جلال الديـــن الســيوطى. (ط: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٣٤هـــ).

٣٠- تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القـــرآن، لابـــن أبـــى الإصبع المصرى (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٣هـــ).

٣١- ترتيب القاموس المحيط (للفيروز آبادى) على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، للأستاذ طاهر أحمد الطرابلسى (ط: مطبعـــة الاســـتقامة، القـــاهرة، ١٩٥٩م).

٣٢- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، للإمام عبد العظيم بن عبد القـــوى المنذرى، ضبط أحاديثه وعلق عليه الأستاذ مصطفى محمد عماره (ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، ١٢٧٣هـــ).

٣٣- التصوف الإسلامى فى الآداب والأخلاق، للدكتور زكـــى مبـــارك (ط: دار الكتاب العربى، بمصر ١٣٧٣هـــ - ١٩٥٤م).

٣٤- التعريفات، للعلامة على بن محمد السيد الشريف الجرجانى، حققه الدكتـــور عبد المنعم الحفنى، (ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى، ١٣٥٧هـــ).

٣٥- تيارات أدبية، للدكتور إبراهيم سلامة، (ط: مطبعة أحمد مخيمر، ١٩٥٢م).

٣٦- الثقافة الإسلامية فى الهند، للسيد عبد الحى اللكنوى، (ط: مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٣هـــ).

٣٧- الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير، للإمام جلال الدين الســـيوطى (ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـــ).

٣٨- جد الممتار على رد المحتار، للإمام أحمد رضا خان، (ط: المجمع الإســـلامى بمباركفور، الهند، ١٣٩٩هـــ).

Marfat.com

٣٩- حزر الإمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع، للإمام قاسم بن فيره الشاطى (ط: مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة، ١٤١٥هـ).

٤٠- حسام الحرمين على منحر الكفر والمين، للشيخ أحمد رضا خان (ط: ليتهو بريس كانفور، الهند، ١٣٧٩هـ).

٤١- حقيقة باكستان الإسلامية، أكبر دولة إسلامية فى العالم، للدكتور محمد حسن الأعظمى، (ط: مكتبة سليم الحديثة، بالقاهرة).

٤٢- الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، للدكتور محمد غنيمى هلال، (ط: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م).

٤٣- دائرة المعارف الإسلامية، لمجموعة من المستشرقين، الترجمة العربية لصفوة من العلماء والمحققين، (ط: دار الشعب، القاهرة، ١٣٩١هـ).

٤٤- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، للإمام جلال الدين السيوطى، (ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠هـ).

٤٥- الدعوة إلى الفكر، لمولانا محمد منشا تابش القصورى، ترجمه إلى العربية مولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى، (ط: منظمة الدعوة الإسلامية، لاهور، دون سنة الطبع).

٤٦- دور الشيخ أحمد رضا خان فى مقاومة البدع والرد عليها، للأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد (ط: أكاديمية رضا، لاهور، ١٤١١هـ).

٤٧- ديوان أبى تمام، تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد، (ط: محمد على صبيح بالقاهرة، دون سنة الطبع).

٤٨- ديوان أبى نواس (ط: دار صادر بيروت، دون سنة الطبع).

Marfat.com

٤٩- ديوان ابن الفارض، شرحه وقدم له مهدى محمد ناصر الدين، (ط: دار الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

٥٠- ديوان الأعشى، (ط: دار صادر بيروت، دون سنة الطبع).

٥١- ديوان البحترى، حققه وشرحه وعلق عليه حسن كامل اليرمى، (ط: دار المعارف بمصر، ١٩٧٣م).

٥٢- ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح الإمام محمد طاهر بن عاشور، (ط: الشركة التونسية، بالجزائر، ١٩٧٦م).

٥٣- ديوان جميل بثينه، جمع وتحقيق وشرح الدكتور حسين نصار، (ط: مكتبة مصر بالقاهرة، دون سنة الطبع).

٥٤- ديوان حسان بن ثابت الأنصارى، (ط: دار صادر، بيروت، دون سنة الطبع).

٥٥- ديوان حطيئه، تحقيق الأستاذ نعمان أمين طه (ط: مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر، ١٣٧٨م).

٥٦- ديوان الشيخ أصغر على الروحى، تحقيق الدكتور رانا ذو الفقار على، (ط: المجمع العربى الباكستانى، دون سنة الطبع).

٥٧- ديوان صفى الدين الحلى، (ط: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٣هـ).

٥٨- ديوان الفيض، لمولانا فيض الحسن السهارنفورى، شرحه وحقق غوامضه وقدم له الدكتور ظهور أحمد أظهر (ط: المجمع العربى الباكستانى، لاهور، ١٤١٦هـ).

٥٩- ديوان كثير، قدم له وشرحه مجيد طراد (ط: دار الكتاب العربى، ١٤١٣هـ).

Marfat.com

٦٠- ديوان المتنبى بشرح أبى البقاء العكبرى، (ط: شركة ومكتبة المصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، دون سنة الطبع).

٦١- الرثاء، لمجموعة من العلماء (ط: دار المعارف القاهرة، دون سنة الطبع).

٦٢- رحلة الإمام الأكبر إلى الهند، للشيخ محمد مصطفى محمد جميعة، (ط: إدارة مجلة الأزهر، القاهرة، ١٤١٧هـ).

٦٣- الرسالة القشيرية، للإمام أبى القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى، (ط: مكتبة محمد على صبيح وأولاده، القاهرة، دون سنة الطبع).

٦٤- الرمز الشعرى عند الصوفية، للدكتور عاطف جوده، (ط: دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣م).

٦٥- الرمزية فى الأدب العربى، للدكتور درويش الجندى، (ط: النهضة المصرية بالقاهرة، دون سنة الطبع).

٦٦- رياض الصالحين، للإمام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى، (ط: مكتبة الإيمان، القاهرة، ١٤٠٩هـ).

٦٧- الزلال الأنقى من بحر سبقة الأتقى، للشيخ أحمد رضا خان، (والمخطوط فى مكتبة مولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى، بمدينة لاهور).

٦٨- زهر الربيع فى المعانى والبيان والبديع، للشيخ أحمد الحملاوى، (ط: المطبعة الأميرية، ببولاق مصر المحمية، ١٣٢٣هـ).

٦٩- سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون لابن نباته المصرى، (ط: دار الفكر العربى، مطبعة مدنى، القاهرة، ١٣٨٣هـ).

Marfat.com

٧٠- السلامية فى مدح خير البرية، للشيخ أحمد رضا خان، ترجمها إلى العربية نثرا الأستاذ حازم حمد، نظمها شعرا الأستاذ حسين مجيب المصرى، (تحت الإصدار).

٧١- سنن ابن ماجة، للإمام أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجه، حقق نصوصه، ورقم كتبه، وأبوابه، وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقى (ط: عيسى البابى الحلبى وشركاه، دون سنة الطبع).

٧٢- سنن أبى داود، للإمام أبى داود سليمان بن الأشعث (ط: مطبعة السعادة، القاهرة، دون سنة الطبع).

٧٣- سنن الترمذى، للإمام أبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى، (ط: شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، ١٣٨٢هـ).

٧٤- السنن الكبرى، للإمام أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى (ط: دار الفكر، بيروت، دون سنة الطبع).

٧٥- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى (ط: مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ).

٧٦- السيرة الحلبية فى سيرة الأمين المأمون، للعلامة على بن برهان الدين الحلبى (ط: دار المعرفة، بيروت، دون سنة الطبع).

٧٧- سيرة ميلاد الأمة، للدكتور اشتياق حسين القريشى، ترجمه إلى العربية الدكتور خليل جواد (ط: مؤسسة علا للطباعة والتوزيع بدمشق، ١٩٩٦م).

٧٨- السيرة النبوية، لأبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى، (ط: دار المنار، القاهرة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

Marfat.com

٧٩- السيرة النبوية، لابن كثير الدمشقى، تحقيق صدقى جميل العطـــار، (ط: دار الفكر، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٧٧م).

٨٠- شرح قصيدة كعب بن زهير فى مدح سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لجمال الدين محمد بن هشام الأنصارى، ضبط وتحقيق ومراجعة الدكتـــور محمود حسن أبو ناجى، (ط: مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٩٨٤م).

٨١- الشعر الأردي منذ نشأته حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى، للدكتـور ابتسام صالح الدين (ط: القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

٨٢- شفاء السقام فى زيارة خير الأنام - صلى الله عليه وسلم - للإمام تقى الديـن السبكى (ط: دار كنز السعادة، درب الأتراك، القاهرة، دون سنة الطبع).

٨٣- الشوقيات، (ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ).

٨٤- شوقى وشعره الإسلامى، للدكتور ماهر حسن فهمى، (ط: القاهرة، دون سـنة الطبع).

٨٥- الشيخ أحمد رضا خان وشئ من حياته وأفكاره وخدماته، للأســتاذ الدكتـور محمد مسعود أحمد، تعريب مولانا محمد عارف الله المصباحى، (ط: مؤسسة رضا، لاهور، ١٤١١هـ).

٨٦- صحيح البخارى، للإمام محمد بن إسماعيل البخارى، (ط: مطبعـــة الفجالـة الجديدة، القاهرة، ١٣٧٧هـ).

٨٧- صحيح مسلم المسمى الجامع الصحيح، للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى، (ط: مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، ١٣٧٧هـ).

٨٨- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحى، تحقيق محمود محمد شاكر، (ط: مطبعة المدنى، القاهرة، دون سنة الطبع).

Marfat.com

٨٩- العلامة فضل حق الخير آبادى مع تحقيق كتابه الثورة الهندية، للدكتور قمر النساء، (ط: المكتبة القادرية، لاهور، ١٤٠٩هـ).

٩٠- العلامة محمد إقبال حياته وآثاره، للدكتور أحمد معوض، (ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م).

٩١- علماء العرب فى شبه القارة الهندية، للشيخ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى، (ط: وزارة المعارف والشئون الدينية بالعراق، دون سنة الطبع).

٩٢- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبى الحسين بن رشيق القيروانى، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد (ط: المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٧٤هـ).

٩٣- الغزل عند العرب، للدكتور حسان أبو طالب، (ط: مكتبة مصر بالقاهرة، ١٣٦٦هـ).

٩٤- فصول فى الشعر ونقده، للدكتور شوقى ضيف، (ط: دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م).

٩٥- الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى، للدكتور محمد البهى، (الطبعة الثانية ١٩٦٠م دون ذكر الطابع).

٩٦- فنون الشعر الفارسى، للدكتور إسعاد عبد الهادى قنديل، (ط: دار الأندلس، بيروت. ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م).

٩٧- فهرس الفهارس، لأبى جعفر الكتانى، (ط: دار العرب الإسلامى، دون سنة الطبع).

٩٨- فى الأدب الصوفى، للدكتور نظمى عبد البديع محمد (الطبعة الأولى، دون ذكر الطابع وسنة الطبع).

٩٩- القائد الأعظم محمد على جناح، للعباس محمود العقاد، (ط: دار الهلال، الفاهرة، ١٣٧٢هـ).

١٠٠- القصيدة اللامية، لمولانا أحمد بخش (المخطوط فى حوزة أولاد مولانا أحمد بخش بقرية تونسه المبجلة).

Marfat.com

١٠١- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة النـــاس، للعلامة إسماعيل بن محمود العجلونى، (ط: دار التراث، القاهرة، دون سنة الطبع).
١٠٢- الكشف شافيا فى حكم فوتوغرافيا، للشيخ أحمد رضـــا خـــان، (ط: رضـــا أكاديمى، مومبائى، الهند، ١٤١٨هـــ).
١٠٣- كنز العمال فى سنن الأفعال والأقوال، للعلامة علاء الدين على المتقى، (ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـــ).
١٠٤- لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) لأبـــى العـــلاء المعـــرى، (ط: دار صـــادر، بيروت، دون سنة الطبع).
١٠٥- لسان العرب، للإمام أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بـــن منظـــور، (ط: دار صادر، بيروت، سنة ١٩٧٤م).
١٠٦- اللغة العربية فى باكستان دراسة وتحقيق وتاريخ، للدكتور محمود محمد عبد الله المصرى، (ط: مجلة العرب، كراتشى، ١٤٠٤هـــ).
١٠٧- اللغة العربية وأدباؤها فى الهند منذ دخول الإسلام إلـــى نهايـــة الاحتـــلال الإنجليزى، للدكتور حبيب الله خان، رسالة دكتـــوراه مخطوطـــة بمكتبـــة الرسائل العلمية بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر الشريف، تحـــت رقـــم ١٤٣٧.
١٠٨- محمد على جناح بانى باكستان، حياته وسياسته، للدكتور إحسان حقـــى، (ط: دار الفكر، دمشق، ١٤٠٧هـــ).
١٠٩- المدائح النبوية، للدكتور زكى مبارك (ط: مطبعة مصطفى البـــابى الحلبـــى وأولاده بمصر، ١٣٥٤هـــ).
١١٠- المدائح النبوية فى نهاية العصر المملوكى، للدكتور محمد سالم محمـــد، (ط: دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٩٩٦م).
١١١- المدائح النبوية، للدكتور محمود على مكى، (ط: الشركة المصرية العالميـــة للنشر، لونجمان، القاهرة، ١٩٩١م).
١١٢- المديح النبوى بين الغلو والإنصاف، للدكتور محمد علوى المالكى، (ط: دار وهدان، للطباعة والنشر، القاهرة، دون سنة الطبع).
١١٣- مديح الرسول فى فجر الإسلام، للدكتور صلاح عيـــد، (ط: دار المعرفـــة، القاهرة، دون سنة الطبع).

Marfat.com

١١٤- المختصر من كتاب نشر النور والزهر فى تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، للشيخ عبد الله مرداد أبو الخير (ط: عالم المعرفة، جدة، ١٤٠٦هـ).
١١٥- المرشد إلى فهم أشعار العرب، للدكتور عبد الله الطيب (ط: دار الفكر، بيروت، ١٩٧٠م).
١١٦- المستدرك، للإمام أبى عبد الله الحاكم النيسابورى، (ط: مكتبة ومطابع النهضة الحديثة، الرياض، دون سنة الطبع).
١١٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ط: دار صادر بيروت، دون سنة الطبع).
١١٨- مصابيح السنة، للإمام أبى محمد الحسن بن مسعود البغوى، تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلى، ومحمد سليم إبراهيم سمارة، وجمال حمدى الذهبى (ط: دار المعرفة، بيروت).
١١٩- معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص، للشيخ عبد الرحيم أحمد العباسى، حققه وعلق عليه حواشيه، ووضع فهارسه الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد (ط: عالم الكتب، بيروت، ١٣٦٧هـ).
١٢٠- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله، (ط: دار إحياء التراث العربى، دون سنة الطبع).
١٢١- معجم مصطلحات الصوفية، للدكتور عبد المنعم الحفنى، (ط: دار السيرة، بيروت، ١٤٠٧هـ).
١٢٢- المفردات فى غريب القرآن، للإمام أبى القاسم الحسين بن محمد راغب الأصفهانى، تحقيق وضبط محمد سيد الكيلانى (ط: شركة ومطبعة البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٩٦١م).
١٢٣- مقدمة النحو العربى الفلسفى، للدكتور ويليام لايتنر (ط: المجمع العربى الباكستانى، لاهور).
١٢٤- ملامح الأدب والثقافة فى العصر المملوكى، للدكتور رزق مرسى أبو العباس على (ط: مصر للخدمات العلمية، القاهرة، ١٩٩٧م).
١٢٥- من الأدب المقارن، للأستاذ نجيب عفيفى (دون ذكر الطابع وسنة الطبع).
١٢٦- من عقائد أهل السنة، لمولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى (ط: منظمة الدعوة الإسلامية، لاهور، ١٤١٥هـ).
١٢٧- من هو أحمد رضا، للشيخ شجاعت على القادرى، (ط: منظمة الدعوة

Marfat.com

الإسلامية، لاهور، ١٩٨٦م).
١٢٨- موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، للدكتور أحمد شلبى، (ط: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٣م).
١٢٩- ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب، للسيد أحمد الهاشمى، (ط: المكتبة التجارية الكبرى بمصر، دون سنة الطبع).
١٣٠- نخبة من اراء مفكرى العرب حول محمد إقبال، جمعه وقدم له الدكتور محمد السعيد جمال الدين، والدكتور أمجد حسن سيد أحمد (نشرة السفارة الباكستانية بالقاهرة، ١٩٩٨م).
١٣١- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للشريف عبد الحى اللكنوى، (ط: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن، الهند ١٣٨٢هـ).
١٣٢- نصوص أدبية تذوق وإحساس، للدكتور رزق مرسى أبو العباس على، (ط: مطبعة الرفاعى بالقاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
١٣٣- نظرات فى الأدب، للأستاذ أبى الحسن على الندوى، (ط: دار القلم، دمشق، ١٤٠٨هـ).
١٣٤- نقد النثر، لقدامة بن جعفر، تحقيق الدكتور طه حسين، والأستاذ عبد الحميد العبادى (ط: مطبعة مصر، ١٩٣٩م).
١٣٥- نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز، للإمام فخر الدين الرازى، تحقيق الدكتور بكرى شيخ أمين (ط: دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م).
١٣٦- وظيفة الأدب، للدكتور محد النويهى، (ط: الرسالة، بالقاهرة، ١٩٦٧م).
١٣٧- الهجاء، لمجموعة من العلماء (ط: دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م).
١٣٨- الهجاء والهجاؤن فى الجاهلية، للدكتور محمد محمد حسين، (ط: مطبعة أحمد مخيمر، القاهرة، ١٩٤٧م).
١٣٩- هدية الحجاز، للدكتور محمد إقبال، قدم لها وشرحها وترجمها شعرا عن الفارسية الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصرى، (ط: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥م).
١٤٠- هدية العارفين، اسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادى (ط: المكتبة الإسلامية بطهران، دون سنة الطبع).

Marfat.com

ثانيا: المراجع غير العربية:

(الأردية)

١- الإجازة فى ذكر الجهر مع الجنازة، لمولانا محمد عمر الدين القادرى، (ط: مطبع كلزار حسين، بومبائى، ١٣١٥هـ).

٢- اردو زبان و أدب مين مستشرقين كى علمى خدمات كا تحقيقى جائزة، (الاستعراض التحقيقى و النقدى لإسهامات المستشرقين فى تطور اللغة الأردية و آدابها)، للدكتور رضيه نور محمد، (ط: لائن آرط بريس، لاهور، ١٩٨٥م).

٣- اردو مين نعت كوئى (المديح النبوى فى الأدب الأردى)، للدكتور رياض مجيد، (ط: اقبال اكيدمى، لاهور ٩٩٥م).

٤- إسلامى عقائد (العقائد الإسلامية)، للشيخ يوسف الشيخ هاشم الرفاعى، ترجمه إلى الأردية مولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى، (ط: مكتبة قادرية، لاهور، ١٤١٠هـ).

٥- إسلامى مجلس مذاكره علمية (الندوة الإسلامية للمناقشة العلمية)، للشيخ كرامت على الجونفورى، (ط: نولكشور، لكهنو بالهند، دون سنة الطبع).

٦- إعلام الأعلام بأن الهند دار الإسلام، للشيخ أحمد رضا خان (ط: حسنى بريس، بريلى، دون سنة الطبع).

٧- أعلى حضرت كى شاعرى برايک نظر (نظرة على شعر الحضرة العالية)، للشريف نور محمد القادرى، (ط: مركزى مجلس رضا، لاهور، ١٤١٠هـ).

٨- إقامة القيامة على طاعن القيام لنبى تهامة، للشيخ أحمد رضا خان، (ط: مكتبة قادرية، لاهور، ١٤١٩هـ).

٩- اقبال اور علماء باك و هند (إقبال و علماء شبه القارة الباكستانية الهندية)، للأستاذ إعجاز الحق القدوسى (ط: اقبال اكيدمى لاهور، ١٩٩٧م).

١٠- إقبال اور محبت رسول (إقبال وحب الرسول)، للدكتور محمد طاهر الفاروقى، (ط: إقبال اكيدمى، لاهور، ١٩٩٥م).

١١- إمام أحمد رضا اور رد بدعات ومنكرات (الإمام أحمد رضا ودوره فى

Marfat.com

مقاومة البدع والمنكرات)، لمولانا يسين اختر المصباحى، (ط: مدنى كتب خانه، ملتان، ١٤٠٥هـ).

١٢- إمام أحمد رضا كانظريه تعليم (نظرية الإمام أحمد رضا التعليمية) لمولانا جلال الدين القادرى، (ط: مركزى مجلس رضا، لاهور، ١٩٨٤م).

١٣- إمام أحمد رضا كانفرنس ١٩٩٦ء (مؤتمر الإمام أحمد رضا ١٩٩٦م) مجموعة مقالات وخطابات العلماء والأدباء والمفكرين (ط: إدارة تحقيقات امام أحمد رضا كراتشى، ١٩٩٦م).

١٤- إمام أحمد رضا كانفرنس ١٩٩٨ء (مؤتمر الإمام أحمد رضا ١٩٩٨م) مجموعة مقالات وخطابات العلماء والأدباء والمفكرين (ط: إدارة تحقيقات إمام أحمد رضا كراتشى، ١٩٩٨م).

١٥- إمام أحمد رضا كے كياره عربى أشعار (أحد عشر بيتا عربيا للإمام أحمد رضا) لمولانا محمود أحمد القادرى (ط: الاصلاح يبلى كيشنز، ملتان، دون سنة الطبع).

١٦- إمام أحمد رضا كے نثرى شه پارے، النماذج النثرية [الأردية الرائعة فى أدب الإمام أحمد رضا] للشريف رياست على القادرى، (ط: إدارة تحقيقات إمام أحمد رضا، كراتشى، ١٤٠٥هـ).

١٧- أنوار رضا، لصفوة من العلماء (ط: ضياء القرآن ببلى كيشنز، لاهور، ١٩٨٦م).

١٨- بر صغير باكـ وهندكى سياست مين علماء كاكردار (دور العلماء فى سياسة شبه القارة الباكستانية الهندية)، للأستاذ حبيب الله خان (ط: قومى إدارة برائى تحقيق وتاريخ وثقافت اسلام آباد، ١٩٨٥م).

١٩- بروفيسر مولوى حاكم على (الأستاذ المولوى حاكم على) للأستاذ محمد صديق (ط: مكتبة رضوية، لاهور، ١٩٨٨م).

٢٠- تاريخ اورينئيل كالج (تاريخ الكلية الشرقية) للدكتور غلام حسين (ط: جديد

Marfat.com

اردو نائب بريس، لاهور، ١٩١٢م).

٢١- تاريخ تعليم الهند (تاريخ التعليم فى الهند) للشريف نـــور الله، (ط: ساوتهـــ ايشين ببلشرز، كراتشى، ١٩٨١م).

٢٢- تجلى اليقين بأن نبينا سيد المرسلين، للشيخ أحمد رضا خان، (ط: بروكريسـو ببلشرز، لاهور، دون سنة الطبع).

٢٣- تحريك آزادىء هند اورالسواد الأعظم (حركة استقلال الهند وموقف الســواد الأعظم منها) للأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد (ط: ضياء القـــرآن ببلـــى كيشنز، لاهور، ١٩٨٨م).

٢٤- تحريك خلافت (حركة الخلافة) للدكتور ميم كمال اوكى، (ط: سنك ميل ببلى كيشنز، لاهور، ١٩٩١م).

٢٥- تحذير الإخوان، للشيخ اشرف على التانوى، (ط: نهانة بهون، الهند، دون سنة الطبع).

٢٦- تذكرة أكابر أهل سنت (ذكر أكابر أهل السنة) لمولانا محمـــد عبـــد الحكيـــم شرف القادرى (ط: مكتبة قادرية، لاهور، ١٤٠٩هـــ).

٢٧- تذكرة خلفاء أعلى حضرت (ذكر خلفاء الحضرة العالية) للأستاذ محمد صادق القصورى، والدكتور مجيد الله القادرى، (ط: إدارة تحقيقات إمام أحمد رضـــا كراتشى، ١٤١٣هـــ).

٢٨- تذكرة علماء أهل سنت (ذكر علماء أهل السنة) لمولانا محمود أحمد القـــادرى (ط: سنى دار الاشاعت، فيصل آباد، باكستان، ١٩٩٢م).

٢٩- تذكرة محدث دكن (أحوال محدث الدكن) للدكتور عبـــد الســـتار خـــان، (ط: الممتاز ببلى كيشنز، لاهور، ١٩٩٨م).

٣٠- ترجمان الوهابية (لسان حال الوهابية) للشيخ صديق حسن خان البوفالى، (ط: مطبع محمدى، لاهور، دون سنة الطبع).

Marfat.com

٣١- جهان رضا (عالم الدراسات الرضوية) لمولانا مريد أحمـــد الجشـتى، (ط: مركزى مجلس رضا، لاهور، ١٤٠١هـ).

٣٢- جود هويل صدى كے مجدد (مجدد القرن الرابع عشر الهجرى) لمولانا محمد ظفر الدين البهارى (ط: مركزى مجلس رضا، لاهور، ١٩٨٠م).

٣٣- حدائق بخشش (حدائق العطاء) للشيخ أحمد رضا خان، (ط: رضوى كتـاب كهر، بهيوندى، الهند، ١٤٠٥هـ).

٣٤- حياة أعلى حضرت (حياة الحضرة العالية) لمولانا محمد ظفر الدين البهارى، (ط: المكتبة الرضوية، كراتشى، الطبعة الأولى، دون سنة الطبع).

٣٥- حياة صدر الأفاضل، لمولانا غلام معين الدين النعيمـى، (ط: إدارة نعيميـة رضوية، لاهور، دون سنة الطبع).

٣٦- حياة محمد على جناح، للأستاذ رئيس أحمد الجعفرى، (ط: كتب خانه آفـس بومبائى، الهند، دون سنة الطبع).

٣٧- حياة ملك العلماء، للأستاذ الدكتور مختار الدين أحمـد، (ط: إدارة معـارف نعمانية، لاهور، ١٩٩٣م).

٣٨- حياة مولانا أحمد رضا خان، للأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمـد (ط: إدارة تحقيقات إمام أحمد رضا بومبائى، الهند، ١٤١٠هـ).

٣٩- رسائل رضويه (الرسائل الرضوية) للشيخ أحمد رضا خان / رتبه مولانا عبد الحكيم اختر شاهجها نفورى، (ط: مكتبة حامدية، لاهور، ١٣٩٦هـ).

٤٠- زنده رود (النهر الخالد) للدكتور جاويد إقبال (ط: شيخ غلام علـى و أبنائـه، لاهور، دون سنة الطبع).

Marfat.com

٤١- الزبدة الزكية لتحريم سجود التحية، للشيخ أحمد رضا خان (ط: نورى كتب خانه، لاهور، ١٣٣٠هـ).

٤٢- سبحان السبوح عن عيب الكذب المقبوح، للشيخ أحمد رضا خان، (ط: نورى كتب خانه، لاهور، ١٣٧٧هـ).

٤٣- سفينه بخشش (سفينة المغفرة) لمولانا اختر رضا خان الأزهرى، (ط: مكتبة سنى دنيا، بريلى الهند، دون سنة الطبع).

٤٤- سوانح إمام أحمد رضا (أحوال الإمام أحمد رضا) لمولانا بدر الدين القادرى (ط: مكتبة نوريه رضويه، سكهر باكستان ١٤٠٧هـ).

٤٥- شهريار علم (مدينة العلم) لمولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى، (ط: أكاديمية رضا بلاهور، ١٤١٧هـ).

٤٦- ضمان التكميل، للشيخ أشرف على تهانوى، (ط: مجتبائى، دلهى).

٤٧- العطايا النبوية فى الفتاوى الرضوية، للشيخ أحمد رضا خان (ط: شيخ غلام على ايندسنز، لاهور، دون تاريخ الطبع).

٤٨- فاضل بريلوى علماء حجازكى نظرمين (الفاضل البريلوى من منظور علماء الحجاز) للأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد، (ط: ضياء القرآن ببلى كيشنز، لاهور، ١٩٨٨م).

٤٩- فتاوى رضويه كى انفرادى خصوصيات (مزايا الفتاوى الرضوية) لمولانا محمد عبد الحكيم شرف القادرى (ط: رضا اكيدمى، لاهور، ١٤١٦هـ).

٥٠- فورت وليم كالج (كلية فورت ويليام) للأستاذ الدكتور وقار العظيم، (ط: الوقار ببلى كيشنز، لاهور، ١٩٩٥م).

Marfat.com

٥١- قائد أعظم اوران كاعهد (القائد الأعظم وعصره) للأستاذ رئيس أحمد الجعفرى (ط: مقبول اكيدمى، لاهور، ١٩٦٢م).

٥٢- كارسان دتساى اوراس كى همعمر بهى خواهان اردو (غارسان دتاسى والمعاصرين له من المتعاطفين مع الأردية) للشريف محي الدين القادرى، (ط: سب رس كتاب كهر، حيدر آباد دكن، ١٩٦١ م)

٥٣- كناه بى كناهى (جريمة البراءة) للأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد (ط: اكاديمية رضا، لاهور، ١٩٨٨م).

٥٤- كلستان سخن (حديقة الشعر) لميرزا قادر بخش صابر (ط: مجلس ترقى أدب، لاهور، ١٩٩٦م).

٥٥- مجموعة فتاوى (مجموعة الفتاوى) لمولانا عبد الحى اللكنوى الفرنجى محلى، (ط: مطبع يوسفى، لكهنو، دون سنة الطبع).

٥٦- مرحوم دهلى كالج (كلية دلهى المرحومة) للدكتور عبد الحق، (ط: انجمن ترقى اردو، دلهى، ١٩٨٩م).

٥٧- معارف رضا لصفوة من العلماء، ج ٧ (ط: إدارة تحقيقات إمام أحمد رضا، كراتشى، ١٤٠٨هـ).

٥٨- مقالات، للشيخ محمد كرم شاه الأزهرى، رتبها الأستاذ أحمد بخش (ط: ضياء القرآن بيلى كيشنز، لاهور، ١٩٩٠م).

٥٩- مقال العرفاء بإعزاز شرع وعلماء، للشيخ أحمد رضا خان، (ط: نورى كتب خانه، لاهور، ١٣٢٨هـ).

Marfat.com

٦٠- مقالات يوم رضا، للأستاذ عبد النبى كوكب، (ط: مركزى مجلـــس رضـــا، لاهور).

٦١- مكتوبات إمام أحمد رضا [خطابات الإمام أحمد رضا] لمولانا محمود أحمد القادرى (ط: مكتبه نبويه، لاهور، ١٩٨٦م).

٦٢- مكتوبات إمام أحمد رضا خان مع تنقيدات وتعاقبات [خطابات الإمام أحمـــد رضا مع آرائه النقدية] رتبه الأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد، (ط: مكتبـه نبويه، لاهور. ١٤٠٨هـــ).

٦٣- ملفوظات سديديه (خواطر سديدية) للأســـتاذ معيـــن النظـــامى، (ط: مكتبـــه سديديه، معظم آباد، سركودها، ١٤١٠هـــ).

٦٤- مولانا محمد مصطفى رضا خان، للشريف شاهد على النورانـــــى (ط: إدارة معارف رضا، لاهور، ١٩٩٤م).

٦٥- مولانا نقى على خان، لمولانا محمد شهاب الديـــن الرضـــوى (ط: عـــالمى دعوت إسلامية، لاهور، ١٩٩٦م).

٦٦- هندؤں سے ترك موالاة (الامتناع عن الموالاة للهنادكة) للمنشى تـــاج الديـــن أحمد (ط: لاهور، ١٩٩٠م).

(الفارسية)

٦٧- أرمغان رضا (هدية رضا) للشيخ أحمد رضا خان، رتبه الأســـتاذ الدكتـــور محمد مسعود أحمد (ط: المختار ببلى كيشنز، كراتشى، ١٩٩٤م).

(الإنجليزية)

68- Both Ends of the Candle, By Sir Roos Densan (Febn Ltd. London 1931, AD).

69- Ulma in politic, By Ishtiaq Husain Qureshi (Ma'aref Limited Krachi, 1974 AD).

Marfat.com

الملحق

والذى يشتمل على التالى :

(ا) صورة ضوئية لغلاف الرسالة

(ب) صورة ضوئية للبطا قة التى تحتوى على الدعوة للحضور فى مناقشة الرسالة

(ج) صورة ضوئية لتقرير لجنة المنا قشة والحكم.

(د) صورة ضوئية لغلاف الديوان العربى للشيخ أحمد رضا خان.

(ه) صورة ضوئية لمظروف بريدى كتب عليه الشيخ أحمدرضاخان العنوان بحيث أصبح رأس جورج السادس إلى الأسفل.

Marfat.com

Marfat.com

جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بنين - القاهرة
قسم اللغة العربية وآدابها
أدب ونقد

الشيخ أحمد رضا خان البريلوى الهندى
شاعراً عربياً

بحث مقدم لنيل درجة التخصص الماجستير

إعداد الطالب
ممتاز أحمد سديدى بن محمد عبدالحكيم شرف القادرى

تحت إشراف
فضيلة الدكتور/ رزق مرسى أبو العباس على

١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

صورة ضوئية لغلاف الرسالة.

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأستاذ/ .....

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد

فأتشرف بدعوة سيادتكم لحضور مناقشة رسالة التخصص (الماچستير) فى الأدب والنقد المقدمة إلى قسم اللغة العربية وآدابها كلية الدراسات الإسلامية والعربية (بنين) القاهرة جامعة الأزهر وموضوعها : ـ

«الشيخ أحمد رضا خان البريلوى الهندى شاعراً عربياً»

وتتكون لجنة المناقشة من السادة الأساتذه : ـ

١ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد السعدى فرهود مناقشاً

٢ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور/ القطب يوسف زيد مناقشاً

٣ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور/ رزق مرسى أبو العباس على مشرفاً

وذلك فى مدرج الكلية فى تمام الساعة الحادية عشرة ظهر يوم الأحد ١٢ ربيع الثانى ١٤٢٠ هـ الموافق ٢٥ يوليو ١٩٩٩م .

ولكم جزيل الشكر

الباحث الباكستانى ممتاز أحمد سديدى

صورة ضوئية للبطاقة التى تحتوى على الدعوة للحضور فى مناقشة الرسالة

Marfat.com

جامعة الازهـــــــــر

كلية الدراسات الاسلاميه والعربية للبنين بالقاهـرة

الدراسات العليـــا

قرار لجنة المناقشة والحكم على رسالة / التخصص الماجستير

المقدمـة من الطالب / الباكستاني / ممتاز أحمد سديدي محمد

اجتمعت اللجنـة المكونـة من :-

١- الاستاذ الدكتور / رزق مرسي أبو العباس أستاذ الأدب والنقد المساعد بالكلية شرفاً

٢- " " / محمد السعدي فرهود " " " المتفرغ " عضواً

٣- " " / القطب يوسف زيد " " بكلية اللغة العربية بأنيا بالبارود عضواً

٤- " " /

٥- " " /

في اتمام الساعة الحادية عشرة من يوم الأحد الموافق ١٩٩٦/٧/٢٥ / ١٢ ربيع الثاني ١٤٤٠ هـ

بمدرج رقم (٢) بالدور الثاني بكلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنين بالقاهرة وذلك لمناقشة

رسالة التخصص الماجستير المقدمة من الطالب / ممتاز أحمد سديدي محمد

وموضوعها (الشيخ أحمد رضا خان البريلوي الهندي شاعراً عربياً

وقد استمرت المناقشـة مدة ٣ ساعات تقريبا وبعد المناقشـة خلت اللجنـة للمداولة

وقررت اللجنـة منح الطالب / ممتاز أحمد سديدي بن محمد عبد الحكيم شرف القادري

درجـة التخصص الماجستير في الدراسات الاسلامية والعربية في اللغة العربية وآدابها أدب ونقد

بتقديـر (ممتاز)

وأعلنـت اللجنـة هذا القرار على جمهور الحاضريـن

والله ولي التوفيـق ،

اعضـاء اللجنـة

الاستاذ الدكتور /

" " / رزق مرسي أبو العباس

" " / أ.د محمد السعدي فرهود

" " / أ.د القطب يوسف زيد

" " /

التوقيع

د. رزق مرسي أبو العباس

يعتمد عميـد الكليـة

(أ.د / محمود السيد شيخون)

صورة ضوئية لتقرير لجنة المناقشة والحكم.

Marfat.com

"إن من الشعر لحكمة و إن من البيان لسحرا"

الديوان العربي

الموسوم بـ

بساتين الغفران

لمعالي فضيلة الإمام الأكبر المجدد إمام أهل السنّة والجماعة

محمد أحمد رضا خان رحمه الله تعالى

١٢٧٢هـ ١٣٤٠هـ

جمعه ورتبه وضبطه وحققه وقدم له واردفه بملحق

الأستاذ الدكتور محمد أحمد عبد الرحيم المحفوظ

بكلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر الشريف. القاهرة. مصر

والأستاذ الزائر بجامعة بنجاب والجامعة النظامية الرضوية. لاهور. باكستان

طبع بمشاركة

أكاديمية رضا، ستاك بورت، بريطانية ٥ رضا دار الاشاعة لاهور

مجمع بحوث الامام احمد رضا، كراتشي، باكستان

صورة ضوئية لغلاف الديوان العربي للشيخ أحمد رضا خان.

Marfat.com

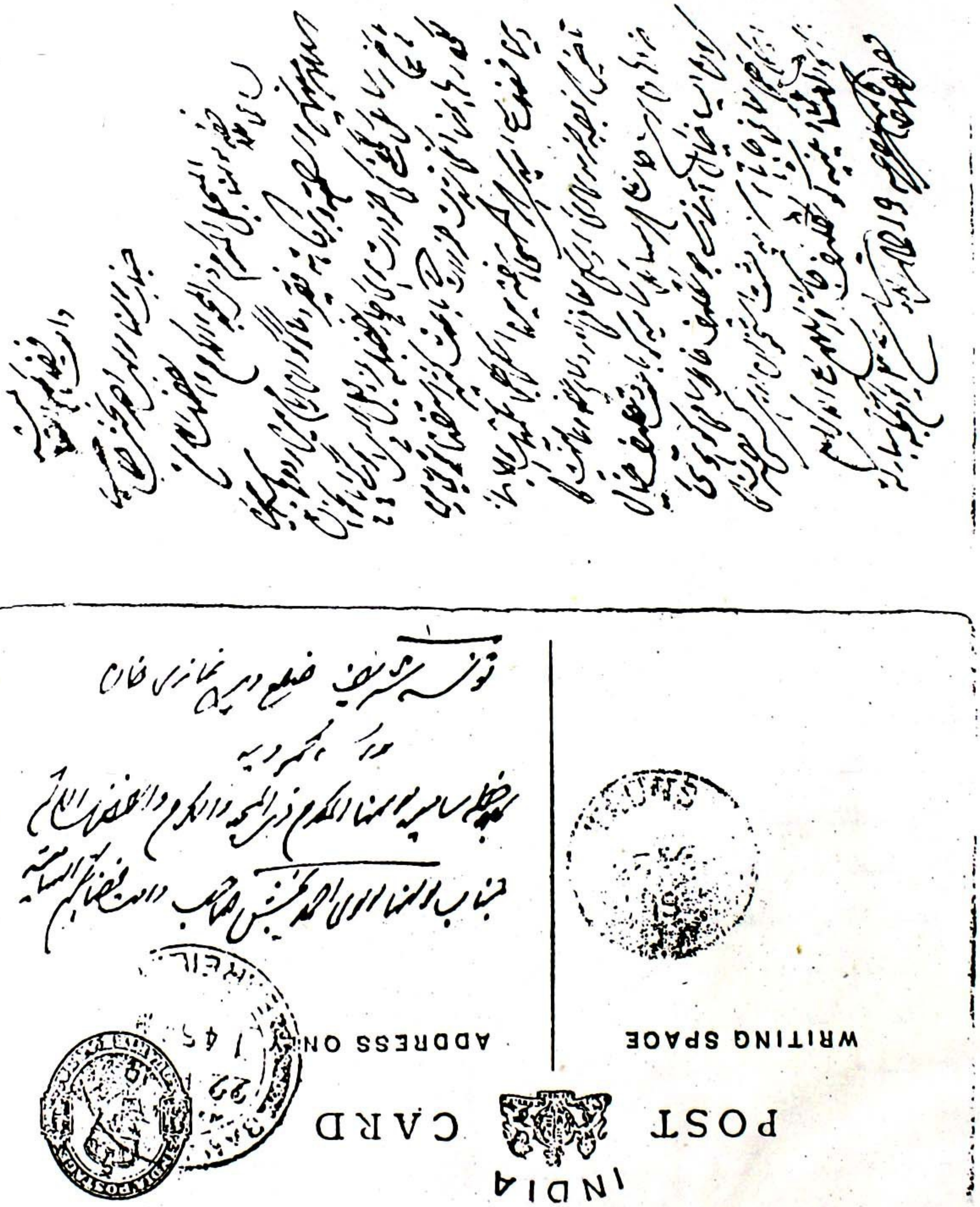

صورة ضوئية لمظروف بريدى كتب عليه الشيخ أحمدرضاخان العنوان بحيث أصبح رأس جورج السادس إلى الأسفل.

Marfat.com

Marfat.com

المحتويات

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
كلمة المؤلف	٥
كلمة الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي	١١
كلمة الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري	١٥
كلمة الأستاذ الدكتور القطب يوسف زيد	٢١
كلمة الأستاذ الدكتور رزق مرسي ابو العباس علي.....	٣١
مقدمة البحث.....	٣٥
الباب الأول: أثر البيئة فى الشاعر الشيخ أحمد رضا خان	٤٣
الفصل الأول: الوضع الثقافى والاجتماعى والسياسى لشبه القارة الهندية فى عصره	٥١
المبحث الأول: الوضع الثقافى فى عصره	٥٣
المبحث الثانى: الوضع الاجتماعى فى عصره	٦٢
المبحث الثالث: الوضع السياسى فى عصره	٦٩
المطلب الأول: حركة الخلافة	٧٢
المطلب الثانى: حركة عدم التعاون مع الإنجليز	٧٥
المطلب الثالث: حركة الهجرة	٨١
المطلب الرابع: حركة استقلال باكستان	٨٦
الفصل الثانى: موطنه، مولده، ووفاته	٩١
- اسمه، ومولده	٩٤
- أحوال أجداده	٩٤
- نشأته	١٠٠
- موطنه	١٠٣
- خلقه	١٠٥
- حياته الأسرية	١٠٩
- وفاته	١١٣
الفصل الثالث: ثقافته ومؤلفاته	١١٥
أولا: تعليمه	١١٨
ثانيا: رحلته إلى الحرمين الشريفين	١٢٢

Marfat.com

ثالثا: شيوخه ١٢٦
رابعا: إقدامه على التدريس ١٣٣
خامسا: جلوسه للإفتاء ١٣٥
سادسا: قيامه التصنيف والتأليف ١٤٠
سابعا: موهبته الأدبية ١٤٣
الفصل الرابع: حال اللغة والأدب العربى بشبه القارة الهندية تحت الاحتلال الإنجليزى ١٥٧
تمهيد ١٥٩
المبحث الأول: جهود المسلمين فى نشر اللغة العربية ١٦٣
المبحث الثانى: دور الإنجليز فى نشر اللغة العربية ١٧٣
الباب الثانى: الأغراض الشعرية فى ديوان الشيخ أحمد رضا خان ١٨٧
تمهيد: التعريف بالديوان (للشيخ أحمد رضا خان) ١٨٨
الفصل الأول: المديح ١٩٩
تمهيد: التعريف بفن المدح والمديح النبوى الشريف ٢٠١
المبحث الأول: جهوده فى المديح النبوى الشريف ٢٢
المبحث الثانى: جهود شاعرنا فى مدح الأولياء الصالحين وعلماء الدين.. ٢٤٥
تمهيد ٢٤٧
المطلب الأول: مدحه لمولانا الشريف أبو الحسين أحمد النورى ٢٤٩
المطلب الثانى: مدحه لمولانا إسماعيل بن خليل وأخيه وأبيه ٢٥٦
المطلب الثالث: مدحه لمولانا صالح كمال المكى ٢٥٨
المطلب الرابع: مدحه لمولانا عبد القادر البدايونى ٢٦٥
المطلب الخامس: مدحه للشيخ عبد القادر الجيلانى ٢٦٩
المطلب السادس: مدحه لمولانا عبد المجيد البدايونى ٢٧٧
المطلب السابع: مدحه لمولانا فضل الرسول البدايونى ٢٨٢
المطلب الثامن: مدحه لمولانا محمد رضا على خان النقشبندى ٢٩٣
المطلب التاسع: مدحه لمولانا محمد نقى على خان القادرى ٢٩٨
المطلب العاشر: مدحه للشيخ معين الدين الجشتى الأجميرى ٣٠٠
المطلب الحادى عشر: مدح أثناء الهجاء ٣٠٥
الفصل الثانى: الرثاء ٣٢٣
تمهيد: فى التعريف بفن الرثاء ٣٢٥

Marfat.com

المبحث الأول: قصائد شاعرنا فى الرثاء والتاريخ ٣٣٣
المطلب الأول: فى رثاء وتاريخ عام رحيل مو لانا محمد إسماعيل القادرى ٣٣٥
المطلب الثانى: فى رثاء وتاريخ عام رحيل مو لانا محمد عبد الغنى ٣٦٢
المطلب الثالث: فى رثاء وتاريخ عام رحيل مو لانا محمد عبيد الله ٣٦٦
المطلب الرابع: فى رثاء وتاريخ عام رحيل مو لانا محمد عمر الحنبلى الحيدر آبادى ٣١٨
المبحث الثانى: مقطوعات شاعرنا ورباعيته وبيته فى الرثاء والتاريخ .. ٣٨٥
المطلب الأول: فى رثاء وتاريخ رحيل ابنه الشيخ الشريف آل رسول المارهروى ٣٨٧
المطلب الثانى: فى رثاء وتاريخ عام رحيل الشيخ آل رسول المارهروى ٣٨٩
المطلب الثالث: فى رثاء وتاريخ عام رحيل مو لانا الحكيم حبيب على . ٣٩٣
المطلب الرابع: فى رثاء وتاريخ عام رحيل السيدة سكينه زوجة مو لانا محمد عبد السلام الجبلفورى ٣٩٥
المطلب الخامس: فى تاريخ عام رحيل مو لانا شفيع أحمد خان ٣٩٧
المطلب السادس: فى تاريخ عام رحيل الشريف حيدر ميان ٣٩٨
المطلب السابع: فى تاريخ عام رحيل مو لانا القاضى عبد الوحيد ٤٠٠
المطلب الثامن: فى تاريخ عام رحيل مو لانا الشريف مجتبى حسن ٤٠٢
المطلب التاسع: فى تاريخ عام رحيل مو لانا محمد إسماعيل القادرى ٤٠٣
المطلب العاشر: فى رثاء وتاريخ عام رحيل مو لانا عبد الكريم الحيدر آبادى ٤٠٥
المطلب الحادى عشر: فى رثاء وتاريخ عام رحيل الحكيم محمود أحمد خان ٤٠٨
الفصل الثالث: الهجاء ٤١١
تمهيد: فى التعريف بفن الهجاء ٤١٣
الوقفة الأولى: فى هجاء مولانا عبد البارى الفرنجى محلى ٤٢١
الوقفة الثانية: فى هجاء القائلين بإمكان كذب الله تعالى الله علوا كبيرا عما يقولون ٤٢٩
الوقفة الثالثة: فى هجاء اشخاص لم يذكرهم باسم ٤٣٣

Marfat.com

الوقفة الرابعة: مقطوعته وشعره فى الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة ٤٤٢
الوقفة الخامسة: قصيدته فى الخارجين على إجماع أهل السنة والجماعة. ٤٤٦
الفصل الرابع في غير ذلك من الأغراض ٤٥٧
تمهيد..... ٤٥٩
المبحث الأول: المناجاة ٤٦١
المبحث الثانى: الغزل ٥٠١
المبحث الثالث: شاعر دينية فياضة..... ٥٢٩
الباب الثالث: دراسة تحليلية نقدية لديوان الشيخ أحمد رضا خان ٥٤٧
الفصل الأول: الخصائص الأسلوبية واللغوية فى ديوانه العربى ٥٤٩
المبحث الأول: الخصائص اللغوية فى ديوان شاعرنا ٥٥١
المبحث الثانى: الخصائص الأسلوبية فى ديوان شاعرنا ٥٦٧
المبحث الثالث: بيت القصيد عند شاعرنا ٥٩٥
الفصل الثانى: شاعرنا بين شعراء العربية فى الهند ٦١١
الخاتمة وأهم نتائج البحث ٦٨٥
قائمة المراجع ٦٨٩
الملحق ٧٠٩

* *

Marfat.com

Marfat.com

Marfat.com

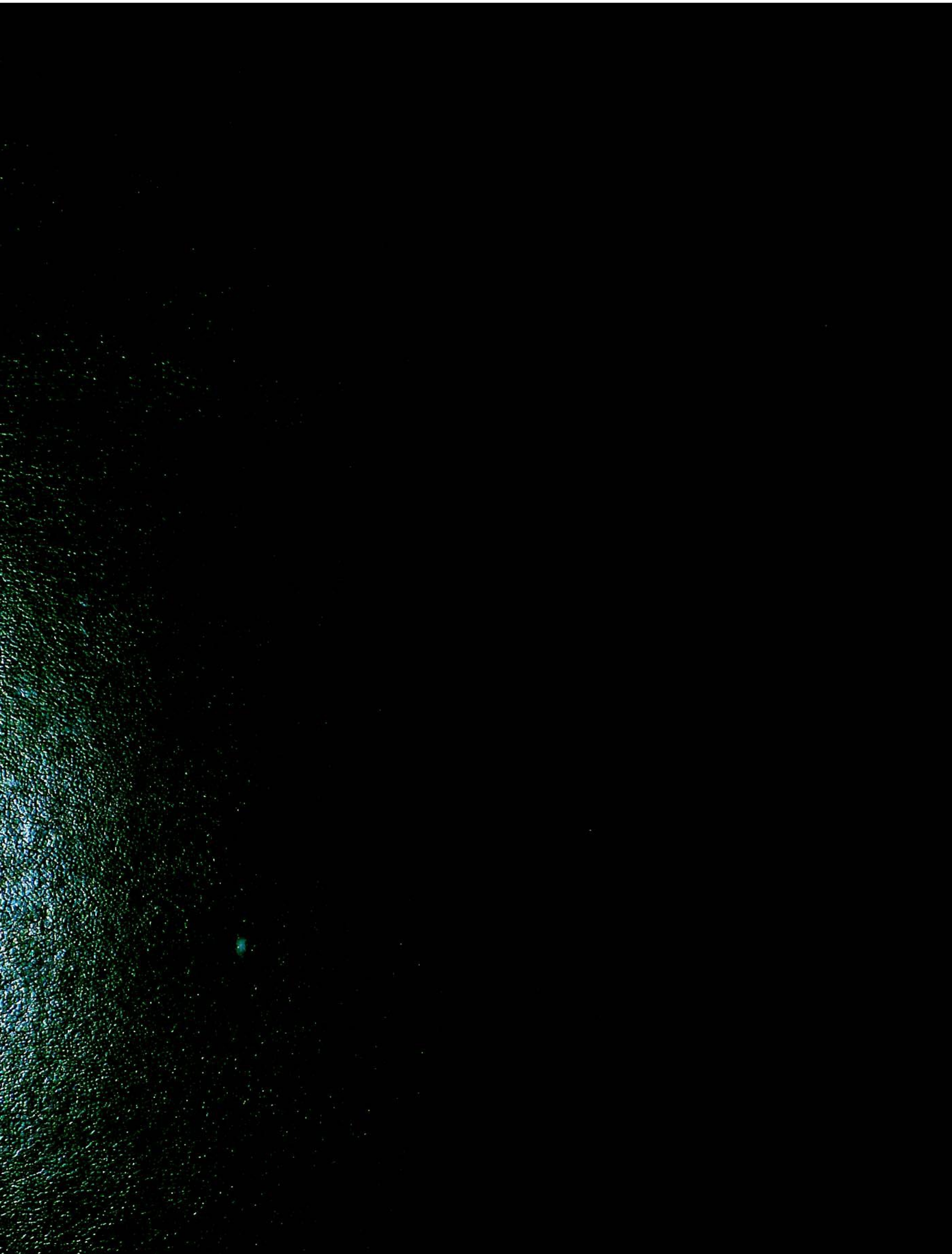

Marfat.com

